موسوعة
الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله
بالصور والأرقام والإحصاءات

الأنباء الغيبيّة
للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

عبد المجيد مير دامادي

دار الأثر

6513
6.000

الأنباء الغيبية

للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

سرشناسه	: میردامادی، عبدالمجید، ۱۳۳۶ -
عنوان و نام پدیدآور	: الأنباء الغیبیه للرسول المصطفی (ص)/مولف : عبدالمجید میردامادی.
مشخصات نشر	: مشهد: سنبله، ۱۳۸۶.
مشخصات ظاهری	: یک، ۷۴۴ ص.
فروست	: موسوعه الرسول المصطفی(ص)/باهتمام محسن احمد الخاتمی؛ ۲۵.
شابک	: ۹۷۸-۹۶۴-۳۹۲-۵۶۳-۵
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت : ص.ع.به انگلیسی :	
موضوع	: محمد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق. --کلمات قصار.
موضوع	: غیبگویی (اسلام).
شناسه افزوده	: خاتمی، محسن.
شناسه افزوده	: موسوعه الرسول المصطفی(ص)/باهتمام محسن احمد الخاتمی؛ ۲۵.
رده بندی کنگره	: ۱۳۸۶ ج.۲۵.م۷۴/BP ۱۴۲
رده بندی دیویی	: ۲۹۷/۲۱۸
شماره کتابشناسی ملی	: ۱۱۸۲۴۴۵

نشر سنبله

الأنباءُ الغيبية للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

نویسنده : عبدالمجید میردامادی

ناشر : سنبله

شمارگان : ۱۰۰۰ نسخه

نوبت چاپ : بهار ۱۳۸۷

تعداد صفحات : ۷۴۴ صفحه وزیری

چاپ : دقت

هماهنگی و نظارت چاپ : هادی عدالتیان

شابک :۵-۵۶۳-۳۹۲-۹۶۴-۹۷۸

قیمت : ۷۰۰۰۰ ریال

موسوعة
الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الخاتمي

الأنباء الغيبية
للرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

عبد المجيد زنداني

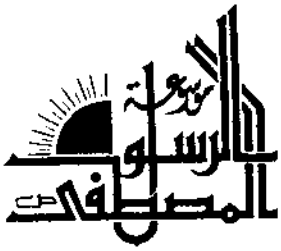

(٢٥)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت – الغبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في إيران:
مشهد – ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ – ٠٠٩٨)

البريد الإلكتروني: e.mail
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

مركز التوزيع والنشر في لبنان: دار الأثر

مركز التوزيع والنشر في إيران: إنتشارات زرف

تهران – خيابان انقلاب – خيابان فخر رازى – شماره ١١١. هاتف: ٦٤٠١٧٢٧ (٢١ – ٠٠٩٨) ص.ب: ٥٣٣ – ١٣٤٤٥

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ – ٢٠٠٤

دار الأثر
للطباعة والنشر والتوزيع
ش.م.م. مطبوعات الأمين

توزيع ونشر دار الأثر
بيروت - بئر العبد - شارع دكاش - بناية شحرور
هاتف: ٠٣/٣٤٩٢٣٧ ـ ٠١/٢٧٣٩١٣
E-mail:alathar2002@yahoo.com
E-mail: alathar2002@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

الأحزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

عندما يُختزل الزمن وتُعتصر الأوقات، وترتفع الحواجز وتُزال الحجب، وعندما تبدو الوقائع كحقائق لا تشوبها نسبيّة الأزمان ولا تعتريها شوائب الأعراض... عندها تبدو وتظهر كل الأشياء كما هي من دون رتوش ومن دون ألوان فهي ناصعة شفّافة واضحة كوضوح الشمس في رائعة النهار من دون غيوم وسحب، فالوقائع بما هي هي، حقائق لا تعرف الماضي ولا الحاضر ولا المستقبل، وإنما أنا وأنت اللذان حَجَزْنا وحَبَسْنا هذه الحقائق وراء براقع الزمن الماضي والحاضر والمستقبل لأننا نعيش في إطار هذه الأزمان، اما المترفعون عن هذه الحواجز، فقد رُفعت عن عيونهم وقلوبهم تلك الحجب وأذِنَ لهم خالق الأزمان وخالق الليل والنهار أن يتطلعوا إلى الحقائق والوقائع كما هي من دون حواجز الليل والنهار ومن دون حجب الأزمان.

فالمشكلة إذن، ليست في الحقائق نفسها ولا في الوقائع ذاتها بل المشكلة فينا نحن المتبرقعون وراء حجب الأزمان والمتسترون خلف قضبان الأعراض والرتوش.

أما أنبياء الله وأولياء الرحمان، فقد حاولَت بشريّتُهم الناسوتية حَبْسَهم وراء مختلف الحجب، ولكنهم بلاهوتيتهم المعطاة لهم من قبل المهيمن على الحجب، استطاعوا أن يكسروا قضبان تلك السجون، ليفلتوا بأنفسهم عن أسر الحواجز وقيد الحجب، فانطلقوا محلّقين في سماء الحقائق نفسها من دون قيد أو شرط إلا أن يقيّدهم خالق القيود والشروط الذي بيده كل شيء.

هكذا نفهم مقام المتصلين بالسماء، وهكذا ندرك التفاوت بيننا كبشر لا يوحى الينا وبين الأنبياء كبشر يوحى اليهم، فنحن نشترك واياهم بل هُم يشتركون وايانا في البشرية ولا نشترك واياهم في الارتباط بمصدر الغيب، تماماً كالذي يمتلك جهازاً لإلتقاط الأصوات البعيدة، قياساً بالذي لا يمتلك ذلك الجهاز، وتماماً كالذي يسيطر على مجهرٍ يكبِّر حتى الذرات غير المرئية أو على

مرصد يرى من خلاله الكواكب البعيدة والمجرات المجهولة بالقياس إلى من لا يمتلك ذلك المجهر وهذا المرصد.

فالأنبياء وأولياء الله، قد أمدّهم الله بأعلى مراصد الكشف عن الماضي العريق في المضي وعن الحاضر الغائب عن عيون وأسماع الناس، والأغرب من ذلك هو سيطرتهم على ما سوف يكون، فكأن ما سيحدث في المستقبل القريب أو البعيد هو بمثابة صفحة منقوشة في علم الله يفتحها للمقربين من ساحة قدسه ليكون ذلك برهاناً على صدقهم وحجةً على من سواهم، ولولا ذلك لما تبيَّن الصادقون من الكاذبين والمرتبطون بالحقيقة من المدلِّسين الدجالين.

وهنا تبقى إشكالية مراوغة يستغلّها بعض عباقرة التدليس وهي السيطرة الجزئية والمشكوكة على بعض الغيب، فكم من مرتاض شيطاني أو مرتبطٍ ببعض فسقة الجن أو بارعٍ في الشعوذة والسحر وبعض العلوم الغريبة استطاع في سالف الزمان وفي عصرنا الحاضر -مع الأسف- من الضحك على أذقان البسطاء من الناس وذلك لاستغلالهم في جمع الأموال أو الركوب على رقابهم للاستعلاء، فبين فترةٍ واخرى نسمع بخبر من اجتمع الناس حوله وقدّسوه إلى حدّ الارتباط باللائكة المقرّبين أوجعلوه باباً للامام المنتظر (عج)، وليس ذلك إلا أن البسطاء من الناس لم يفرّقوا بين من يعلم الغيب لاتصاله بالله سبحانه وتعالى وبين من استطاع بالاتصال ببعض الأبالسة أو بواسطة السحر والشعوذة، السيطرة على بعض ذلك مخلوطاً أو مشوّهاً أو مكذوباً.

وإذا أردنا أن نتوسّع في هذا المجال ليشمل بحثنا المعجزة كسلاح ايجابي بنّاء بيد الأنبياء، والسحر كسلاح سلبي مخرّب بيد المبطلين، نستذكر قصة معجزة موسى عليه السلام والتهام عصاه كل ما فعله سحرة فرعون، حيث كانت الغلبة لموسى عليه السلام بما عرفه السحرة من أن هذه العصا ليست من السحر الأقوى بل هي تختلف في جوهرها وحقيقتها عن كل أنواع السحر، وكذلك الإنباء عن الغيب الحاضر المجهول للناس فالذي كان عند الأنبياء هو من النوع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنهم كانوا يستقونه من معين الغيب المكنون عند الله وأما الإنباء عن الغيب عند المبطلين فهو إما مكذوب أساساً أو

هو من نوع التخرص وحتى بعض ما يطابق الواقع منه فهو من إمداد الأبالسة والشياطين أو بسبب الرياضة الشيطانية وأما الإنباء عن المستقبل فهذا مجال لا يرتاده بكماله وتمامه إلا المرتبطون بالله سبحانه وتعالى.

والكتاب الذي بين يديك-أيها القارئ العزيز-يجمع رشحاً منيراً من ذلك الغيب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ذلك الرشح النبوي الناصع الحق المبين الذي لولاه لما كان محمدٌ ﷺ نبياً، والذي لولاه لما كان محمدٌ رسولاً مرتبطاً بالسماء ومتصلاً عبر الوحي بالله تبارك وتعالى وإلا فما هو الفرق الجوهري بين النبي وبين غيره من سائر أفراد البشر.

ولقد حاول أخي الفاضل السيد الميرداماني مشكوراً وموفّقاً أن يسرد أكثر التنبوءات المترشحة من نبينا المصطفى محمد ﷺ وأن يطبّقها على ما تحقق منها عبر هذا التاريخ الطويل من صدورها إلى يومنا هذا، فخرج الكتاب جامعاً بين النبوءة من جهة والتاريخ من جهة أخرى وبذلك استطاع المؤلف أن يحوّل كتابه إلى وثيقة صدق وبرهان على حقانية نبوة سيدنا وسيد الكونين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومصداقية رسالته التي لا تحتاج إلى برهان.

وبقيت رشائح نبوية صادقة تنبئ عن عصر ظهور حفيده المنتظر الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف لتتحقّق بإذن الله ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله وقل انتظروا إنا منتظرون.

محسن أحمد الخاتمي

مشهد المقدسة ٢٢/شوال/ ١٤٢٨

٣/ نوفمبر/ ٢٠٠٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على رسوله المصطفى من بريته وأشرف رسله البشير النذير الذي أيده بغيبه فأظهر دينه على الدين كله، وعلى المصطفين الأبرار من أهل بيته الذين الله جعلهم حججاً في أرضه وشهداء على خلقه ومعادن علمه وحكمته وارتضاهم لغيبه وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

لدينا دين اسمه الإسلام يقدّم نفسه استثناء على كل الأديان، بصفته الدين الحقيقي الذي ظلّ يتعاظم وينتشر، وبلغ نوره أقاصي الأرض خصوصاً في الأزمنة الأخيرة، حيث صار أكثر كثافة وحدّة، الأمر الذي حدى بالكتّاب المؤالف والمخالف إلى دراسة مقومات هذا الدين واستكشاف العجلة التي تدفع به إلى الأمام، وصارت تبحث ذلك الأمر من زوايا مختلفة، كالإستفادة من العقل والتقدم العلمي لإسناده من المؤالف، ولهدمه من المخالف، ونحن نحاول دراسة استفادة الإسلام من عنصر الزمان ومظروفه لأجل تسليط الضوء على بعض الخبايا والعوامل الأساسية في بنائه وبقائه، وإلفات الأنظار إليها من أجل تقويتها.

كان ومازال الدين الإسلامي يعتمد في مشروعه الهادف على مظروف الزمان، ماضيه وحاضره ومستقبله، فيستحلب تلك البدنة الصخمة المركبة من بناء وهدم وتغييرات وتحولات طعاماً سائغاً يغذّي به البنية الإسلامية التي تولّدت وظلّت تنمو بمرور الأيام، كما ويجمع ما مخّضته الدهور وما ستمخّضه فيستخرج الزبدة التي تساهم في كمال ذلك النامي لتبلغه إلى أعلى المراتب، حتى يرث الأرض ومن عليها ويظهر على الدين كله.

فهو-أعني الإسلام-يستحلب الماضي-يعني التاريخ-ويجتني ما مخّضته القرون الخالية مما ينفع الناس من العبر والوقائع، وهذا ما يعني الإستفادة من التاريخ حيث تكاد تكون أكثر الدراسات في هذا الجانب.

كما ويستحلب الحاضر، أعني الفترة الزمنية التي عاشها النبي ﷺ الذي بُعث بهذا الدين والتي يعيشها كل جيل في زمانهم، ليستفيد من تلك الفترة الزمنية، وليجني من مخض أهلها رجالاً يقوم بهم الدين وتغذّي أعمالهم وعلومهم بدنته الناشئة، وهذا مما لم يدرس بشكل واضح.

ويستحلب المستقبل بما سيشهده من وقائع وأحداث وعواقب، فيخبر عنها وعن نتائجها وعن أعظم ما سيجيء به الزمان، ليساهم في تحديد مسار الإنسان المؤمن وصيانته عن الانحراف بتفصيل سيأتي ذكره.

فمن المؤكد أنّ نجاحات متعددة كانت قد أُنجزت في دراسة التاريخ بصفتها مطالب نقدية تلحّ على تجميع الوقائع الإيجابية التي حصلت بالفعل، كما أنّ هناك دراسات تحاول إلقاء الضوء على المنهج المعرفي الإسلامي المعاصر، غير أنّ أكثر رموزها ظلّت غامضة يحاول البعض الإطلال عليها ودراستها.

ولكن البعد الثالث ظلّ مغفولاً عن كليته وعن دراسة حجم تأثيره، ومساهمته في البناء الإسلامي العظيم، الأمر الذي نحاول موضعته وتسليط الضوء عليه من خلال الدراسة التي بين يديك.

إذا تأملنا بدقة وطالعنا ماذا يحدث وماذا يكرس في ذهن المسلم كي يكون مسلماً على اختلاف مرتبته ودرجته الإيمانية وكذا مقدار تحمّسه لأجل الدين على إجماله، نجده مغموراً بإلقائين يدفعان بقوة عجلة اعتقاده وتحرّكه في الساحة العملية، الإلقاء الأول يرتبط بالماضي وهو ما نسمّيه التاريخ، فإنّ الماضي يظلّ يتجسّد في ذهنه فهو يدفعه للاقتباس منه والاقتداء به أو حتى يحاول تكراره ولا أقلّ من تطبيق النموذج السابق على الحاضر.

والإلقاء الآخر هو ما يحدث في المستقبل، فيظلّ يكرّس نفسه من أجله إذا كان يرغب في تحققه، ويحاول تهيئة الأرضية المناسبة له ويتحاشاه إذا كان غير مرغوب به، ويحاول الحيلولة من تحققّه ولا أقلّ من التوقّي من آثاره، وبالتالي يتدخل المستقبل في سيرته بقوة بحيث يمكن تعيين المسيرة الكلية لأبناء المعتقد الواحد والمذهب الواحد المستلهمين لإلقاءات واحدة.

ومن هنا يظلّ الإسلام في كل برهة زمنية وكل نسل بدنة مادية عملية

تطير بجناحين الماضي أعني التاريخ، والمستقبل أعني الإنباءات والإخبارات الغيبية، وليس هذا حكر على الدين الإسلامي وحده، بل هو حال كل الديانات، حيث كان بنو إسرائيل قد وُعدوا بمجيء موسى عليه السلام بعنوان المنجي أو القائم، واليهود وُعدوا بمجيء المسيح، فإنّ هذه الإخبارات المسبقة، لها الدور الهام في تأسيس الديانات وانبثاقها، كما لها الدور الأكبر في بقائها واستمرارها، بخلاف التحولات الأُخرى في العالم، فهي غير مدعومة بهذا العنصر، ولا يقدّر لها البقاء والاستمرار، فهي تبقى ما دامت مدعومة بالقوة والمال، بينما الديانات تجد أنصارها في كل حين، وتتفاعل القوى المحرّكة معها هنا وهناك بشكل ذاتي.

ومن بين الديانات نجد أنّ الديانة الإسلامية-بما أنها أعظم الديانات وأكملها-خاصة الشيعة من بين الفرق الإسلامية ترتكز ارتكازاً هائلاً على هذه الإخبارات، وباليقين أنها أصبحت من معاجز الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام، لكثرة تأثيرها في البناء والبقاء، لأنّ المستقبل يميل إلى صالحه.

ضمن منظور كهذا نتبنّى مشروع البحث عن ركائز الدين الإسلامي الكلية، ونسلّط الضوء عليها، بعد إلقاء الضوء على دور التنبؤ في أصل ولادة الإسلام الموفقة وبقائه ودوامه إلى قيام الساعة.

ولنتأمل هنا لحظة صغيرة مسألة الميثاق الذي أخذ على النبيين، الأمر الذي أخبر عنه القرآن: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ...﴾.

ومعلوم أنّ نصرتهم كانت بالإخبار ببعثته وظهوره، مع إضفاء صبغة التعظيم والتمجيد عليه إلى أقصى الحدود، وما هذه العملية سوى نوع من الإنباء والإخبار بالمغيبات، وبعبارة أدقّ الإخبار بما سيحدث في المستقبل.

وهل يمكن لآثار هذا الذي استعرضناه أن تصبح قابلة للتفكير فيها والإحاطة بها؟ الجواب: هذا يستحيل التفكير فيه لكثرة تشعّبه، فقد يكون لإيمان كل إنسان بالنبي صلى الله عليه وآله دخل لكلمة صدرت من نبي من الأنبياء السابقين على مرّ العصور.

ولعل المثل الأوضح مسألة تبشير النبي عيسى عليه السلام بنبي يأتي من بعده اسمه

أحمد، فهذا إخبار بالغيب وبما سيحدث في المستقبل، ولا شك أنّ له دوره الأمثل لانخراط كثير من النصارى في الصفّ الإسلامي يوم ظهوره، وحتى مثل إسلام أهل المدينة لأجل احتكاكهم بمثل نصارى نجران واليهود الذين اجتمعوا حول المدينة بانتظاره وكانوا يستفتحون على الذين آمنوا، وقد استمرّ الإنباء بظهوره ومبعثه حتى حين ولادته وبعدها.

التبشير بنبوتهﷺ

فمنها ما تنبّأ به بعض الأولياء والنصارى والرهبان وهو طفل يتيم.

منهم: جده عبد المطلب: فإنه قد تنبأ جده عبد المطلبؑ بنبوته وعلوّ شأنه كراراً، منها: لما وُلدﷺ فرآه مختوناً مسروراً، وأعجب ذلك عبد المطلب وحظي عنده، وقال ليكوننّ لابني هذا شأن، فكان له ذلك الشأن[1].

وفي رواية، قال: دعوا إبني إنه يؤسّس ملكاً[2].

وقال لأم أيمن -وكانت تحضنه-: يابركة لا تغفلي عن ابني،فإني وجدته مع غلام قريب من السدرة، وإنّ أهل الكتاب يزعمون أنّ ابني نبي هذه الأمة[3].

ومنهم: بحيرى الراهب، فإنه حينما رأى الغمامة تظلّ النبيﷺ وهو مع عمه أبي طالبؑ، قال: فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده...[4].

وفي رواية قال: فارجع بابن أخيك إلى بلادك واحذر عليه اليهود فوَ الله لئن رأته وعرفوا منه الذي عرفته ليبغينّه شراً، فخرج أبو طالب وردّه إلى مكة[5].

ومنها: إنهﷺ لما رجع من حراء وكان قد أبطأ عن خديجة، فقالت: يا أبا

---

(١) كنز العمال١٢: ٤٤٤، المناقب لابن شهر آشوب، وعنه في البحار ١٥: ٢٧٤.

(٢) سيرة ابن كثير ١: ٢٤٠.

(٣) سيرة ابن كثير ١: ٢٤٠.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ١: ٢٤٥.

(٥) الخرائج والجرائح ١: ٧٢ ذيل ح ١٣٠.

القاسم أين كنت؟ فوَالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتّى بلغوا مكة(أي نواحيها)ورجعوا إليّ.

فأخبرها بالذي سنح له من نزول الوحي وإبلاغه الرسالة، فقالت: أبشر يا بن العم واثبت، فوَ الذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة.

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل، فأخبرته بما أخبرها به رسول الله، فقال ورقة: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبي هذه الأمة، وقولي له فليثبت، فرجعت إلى رسول اللهﷺ فأخبرته بقول ورقة.

ولما لقيه ورقة وهو يطوف بالكعبة قال له: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره، فقال له ورقة نفس الذي قاله لخديجة، وزاد: ولتكذّبنّه ولتوذيَنّه ولتخرجنّه ولتقاتلنّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنّ الله نصراً يعلمه، ثمّ أدنى رأسه منه فقبّل يا فوخه، ثمّ انصرف رسول اللهﷺ إلى منزله[1].

هذا ولسنا بصدد بسط الكلام في التنبؤات ببعثة النبي المكرّم ولا دراسة آثارها بشكل واسع، نعم ولا نقصد بذلك سوى الإشارة إلى أبسط تلك الآثار، مثل انتقال النبوة من بني إسحاق إلى بني إسماعيل ومن الشام إلى الحجاز، فإنه لم يكد ممكناً ولم يقدّر له التحقق لولا كل تلك الإخبارات والإنباءات.

بل الذي تصدّينا هو بسط الكلام في نبوءات نبينا محمدﷺ نفسه وإخباراته الغيبية التي عندما يُسلّط الضوء عليها وعلى آثارها البنّاءة في طريق الدعوة نراها من أهم معاجز نبي الإسلام، المعجزة التي لا زال الاسلام يعلو ولا يُعلى عليه بسببها، أو لا أقلّ من القول بأنها أحد العوامل الهامة، ولم تزل الأجيال تدخل في دين الله أفواجاً، ولا زال المؤمنون متمسكون بحبل الله مع كل المعارضات الهادفة، وهذا كله ببركة تلك النبوءات والإخبارات الغيبية الصادرة من الرسول المصطفىﷺ وأمثالها التي تحقق كثير منها في حياتهﷺ، ومنها بعد ارتحاله، وأخذت تنطبق واحدة بعد أُخرى على مرّ الزمان، وسيستمرّ انطباقها

(١) سيرة ابن كثير ١: ٤٠٣-٤٠٤.

حتى يظهر المهدي المنتظر ﷺ، ويشاهد الناس ما وعد الله ورسوله من النصر وظهور الامر.

ومن أظهر ذلك هو ما حدث بعد وفاة النبي ﷺ، إذ كانت هناك عدّة انطلاقات للتراث، وحدثت عدّة اتجاهات، وشهدنا ما اتفق من الإنحراف والإرتداد وتغيير المسيرة التي خطّطها النبي ﷺ لهم وضمن لهم السموّ والسعادة إن حققوها، وشهدنا صراعات دموية أخبر عنها النبي ﷺ مثل قتل الحسين بن علي ﷺ في كربلاء وصعود معاوية وسائر بني أُمية إلى كرسي الحكم ومن بعدهم بني العباس، والإنباء بمجيء المنقذ أعني المهدي من آل محمد ﷺ وعدوه السفياني من آل أبي سفيان.

فعندما يتحقق شيء من تلك النبوءات والإخبارات فسيكون له ثقل أكبر ويصير هذه المرة ماضياً يغذّي البدنة الإسلامية عامة أوانطلاقة مذهبية خاصة، فقد صار استشهاد الحسين ﷺ ماضياً يستلهم منه الشيعة دروس الثبات والإباء والتفاني من أجل الدين[1]، وصار مثل الإنباء بمجيء المهدي ﷺ من ولد الحسين ﷺ طموحاً وأملاً لإستعادة دولة الحق والعدل وبسط نفوذها على العالم.

فهذان جناحان تطير به البدنة الشيعية وحاضرها في كل دور، أعني الماضي والمستقبل.

وهناك بعض الفِرَق السنية المنحرفة تستلهم السطوة على الملك والقسوة على الشيعة من مثل معاوية بن أبي سفيان، وهم يطمحون ويأملون بمجيء السفياني من ولده الذي يصبّ حمه على محبي أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، كما أخبر به النبي ﷺ، فهذان جناحان تطير بها هذه الفِرَق المشؤومة وحاضرها في كل دورة، أعني الماضي والمستقبل.

وهذا هو الواقع التاريخي الذي قد يعكس بعض الحقائق التي تقبع خلف

---

(١) من الواضح أنّ واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين ﷺ لم يترك أثره على الشيعة ولا على عامة المسلمين فحسب، بل ترك أثره على كل الاحرار والمتطلعين للحرية وصار سبباً لاستنارة عقول كثير من الناس وهدايتهم إلى الاسلام، ولكن الشيعة أكثر من غيرهم بحيث لا تمكن المقارنة.

الستائر، وستلاحظ دور إخبارات النبيﷺ وأهل بيته عن المستقبل في صيانة الدين الإسلامي والمذهب الحق وحفظه رغم كل الصعوبات التي واجهها والصراعات الدموية الغير متوازنة والمناقشات الحامية العقيمة.

ولا ينفع إغماض الطرف وإطراق القلب عما حدث في التاريخ من الإنباءات والإخبارات الغيبية وقطع النظر عن دورها وقد شهد بها كل الأديان السماوية وكل الفرق والملل.

النبي والنبيء

لعل التنبؤ قد انطلق أولاً من مفهوم النبأ «الخبر» باعتبار أنّ المتنبّئ يخبر عن المستقبل، وهذا غير ما انطلقت منه كلمة النبي، لأنها جاءت من النبوة والنباءة التي تعني المرتفع من الأرض، وقد يقال للمتنبّئ نبيء بمعنى فاعل مبالغة عن النبأ «=الخبر»، ولكن هل تمتُّ كلمة النبي إلى كلمة النبيء بصلة أو لا تمت؟ لايهمنا ذلك فإنّ النبيﷺ يحمل المعنيين بارتفاعه على سائر أقرانه وسائر البشر، ولأنه قد أنبأ عن الله سبحانه وتعالى.

بينما يظلّ مفهوم النبي ممتازاً على مفهوم النبيء أكثر من كل ذلك، ولا يمكننا التوصل إلى استقصاء حقيقي ومتفهّم لمفهوم النبي يحيط بالكلية الشاملة لجميع زواياها من أجل إعداد فرق جديد ونظرية شاملة للروابط والمفارقات بين المفهومين، غير أننا نفهم المنشأ والمصدر لنبوءة النبي وإخباراته، والمصدر لنبوءة المتنبّئ وإخباراته، فالنبي يُخبر عن الله سبحانه وتعالى من دون واسطة أو مع واسطة أمينة كالملائكة، بينما يستقي المنجّم والكاهن وغيرهم من الرُئي والجن والشياطين الذين يقعدون مقاعد للسمع.

والنبؤة بمعناها العام تشمل كلاً من الكهّان والمنجمين والعرّافين وأمثالهم ممن ينبئك عن الأمور الغيبية التي تشبه ما أنبأ عنه الأنبياء والأولياء، ولكنه لم يُعدّ ممكناً الإكتفاء بذلك من أجل أن يتمفصل ويتعاضد الإخبار النبوي وإخبار الكاهن والمنجم، لأنّ النبيﷺ قد ارتفع فأنبأ، بينما الكاهن والمنجم قد انخفض فأنبأ؛ لأنّ الجن والشيطان والرُئي في مرتبة نازلة من مرتبة الإنسان.

لا شك أنّ الأنبياء حصلت لديهم تطورات مذهلة راحت تتكامل لتبلغ أعلى درجات الكمال، بعدها صاروا يتمفصلون مع عالم المجردات ويتعاضدون مع العوالم العلوية، ليكونوا روحانيين مع الحفاظ على صورتهم المادية، وبروحانيتهم صاروا يطّلعون على الأُمور الغيبية والعلوم الإلهية، وما تكّنه الضمائر والقلوب فكل ما أنبؤا عنه هو ما تقتضيه الظروف الموضوعية والإرادة الإلهية، لا يخالطه باطل ولا يمتزج معه كذب وافتراء، كل ذلك من أجل إخصاب الذاكرة الإسلامية، وترسيخ القبسات الإيمانية التي تلقّاها المسلم، فهي بحاجة إلى دعم أكبر يخطو وراء درك العقل البشري المتعارف ليخبر عن أُمور لم تتحقق بعد، ثم تتحقق في ظرفها وحينها.

ولا يكاد مثل ذلك أن ينسجم مع تنبؤات سائر المتنبئين من الكهان والعرافين، ويختلف عما يحصلون عليه من العلوم الغريبة وبعض الأسرار الشاردة من طرق غير سليمة، ولقلتها يلغمونها بعالم من الحدسيات والظنيات فيطابق ذلك القليل ولا يصدق الكثير مما قالوه وأخبروا به، ولعل هذا وأمثاله دعا النبيﷺ لأن يقول: «أنا لست بنبيء»[1]، إن صح الخبر.

ولأجل ذلك الوهن المجتمع في إنباءاتهم لم يصمد كل ذلك الكيان الكهني أمام نهي واحد للنبيﷺ، وسرعان ما صار ذلك البنيان القائم يضعف بمجرد أن قال النبيﷺ «لا تأتوا الكهان»[2].

أو قال: «ليسوا بشيء» أو حينما بيّن حقيقتهم وحقيقة علمهم حينما اعترض البعض فقال: يا رسول الله فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً، فقال رسول اللهﷺ: **«تلك الكلمة يخطفها الجني فيقرّها في أُذن وليّه قرّ الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»**[3].

ولكن يبدو من الاعتراض المار أنّ استئصال الكهانة والعرافة ليس بتلك

---

(١) لسان العرب لابن منظور١: ١٦٢، ضعفاء العقيلي٣: ٨١.

(٢) صحيح مسلم٧: ٣٥، ومثله في مسند أحمد٥: ٤٤٧.

(٣) صحيح مسلم٧: ٣٦.

السهولة والسذاجة، بيد أنّ الناس كانوا يشاهدون صدق الكاهن في بعض الموارد، ومن جانب آخر فإنّ الحاجة في بعض الأحيان تجعل من الشخص كالغريق الذي يتشبّث بطحلب، فمن سرق متاعه وهو يسعى للحصول عليه بعد الأياس لا يجد أيّ حزازة في الرجوع إلى الكاهن ليدلّه على سارقه ويوصله إلى متاعه، ولا يجد في ذلك تضاداً مع معتقد أو ديانة، ولكن النبيﷺ كان يرى في هذا العمل آلاف العواقب الوخيمة التي تشمل أنواع الإتهامات والظنون والعداوات الفارغة، الأمر الذي جعله يستفيد من التقسيم المعروف(مؤمن- كافر)، للضغط على الأواصر الموجودة بين الناس والكهان وأمثالهم حتى تنفصم، ذلك التقسيم الذي يكبح أكبر قوة وعلاقة، ويفصم أقوى عرى، لأنها الكلمة التي كانت أُطلقت على المكيين الذين ناصبوا الدين الجديد بكل حجمه.

فقد جاء في بعض الأخبار أنّ الهيثم بن واقد قال: قلت لأبي عبد اللهعليه السلام إنّ عندنا بالجزيرة رجلاً ربما أخبر من يأتيه يسأله عن الشيء يُسرق أو شبه ذلك فنسأله؟ فقال: قال رسول اللهﷺ «**من مشى إلى ساحر أو كاهن أو كذاب يصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله من كتاب**»[1].

وقالعليه السلام: «من تكهّن أو تُكهّن له فقد برئ من دين محمدﷺ»[2].

وعلى هذا الصعيد يمكننا الكلام عن حقيقة إظهار الغرائب من غير الأنبياء في محاولة لتقليد النموذج الأكبر، أعني معاجز الأنبياء الشاملة لإخباراتهم الغيبية ومعاجزهم في النوء والمطر وغيرها، فإنا إذا تفحّصناها نجد أنها لا تتجاوز كونها شيطنة، فقد روي أنه حدث في زمن أبي محمد العسكريعليه السلام قحط، فخرج الناس للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يمطر عليهم، فخرج في اليوم الرابع الجاثليق مع النصارى فسقوا، فخرج المسلمون يوم الخامس فلم يمطر عليهم، فشكّ الناس في دينهم، فأخرج المتوكل الإمام العسكريعليه السلام من السجن وقال: أدرك دين جدك يا أبا محمد، فلما خرجت

---

(١) السرائر٣: ٥٩٣، وعنه في البحار٢: ٣٠٨، ونحوه في المصنف لابن أبي شيبة٥: ٤٣٦.

(٢) الخصال للصدوق: ١٩، وعنه في البحار٦٧: ٢١٠.

النصارى ورفع الراهب يده إلى السماء، قال أبو محمد ﷺ لبعض غلمانه: خذ من يده اليمنى ما فيها، فلما أخذه كان عظماً أسوداً، فقال له: استسق الآن، فاستسقى فلم يمطر وأصحت السماء، فسأل المتوكل عن العظم، قال ﷺ: لعلّه أُخذ من قبر نبي، ولا يكشف عظم نبي إلا ليُمطر[1].

وبهذا يبقى المجال للانتخاب والامتحان مفتوحاً، تسنح الفرصة للعقل أن يميز بين الحق الباطل، فإنّ للأنبياء الربانيين والعلماء الإلهيين صفاتهم الخاصة بهم تميّزهم عن الآخرين.

ومن تلك الصفات إخبارهم عن المغيبات، والشواهد والقرائن التي تشهد بصدقهم وصدق دعواهم، ومنها تصديق النبي السابق وعملهم بالبرّ الذي يأمرون الناس به.

وتبقى كيفية إنباء الرسول ﷺ عن الله وما هي تلك اللوحة التي تنطبع عليها التعاليم القرآنية وكيف تحققت، فهو يبقى خارج عن دائرة الدرك البشري، وإذا كان بتكليم الله سبحانه فما هو حقيقة كلامه ومصدره، فهو سرٌّ آخر وفوق السرّ، وإذا كان بواسطة مَلَك فما هي حقيقة الملك وكيفية نزوله وإبلاغه، فهو داخل في المبهمات التي لا نستطيع تصوّر سوى صورة ألفاظها.

ونحن إذ لم يتجاوز دركنا لهذه الأرض وما حولها، ولم يبلغ حتى أطراف السماء الأولى فكيف نفهم المعراج والعروج إلى السماء السابعة ثم إلى سدرة المنتهى دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقتراباً من العلي الأعلى، وبعدها مشافهة الله سبحانه وتعالى له.

وأمّا التجربة الإنسية لأجل تلقّي الوحي بواسطة الملائكة أو بسبب الإلهام أو الرؤيا، وغيرها من الطرق التي وصلت عنها المعرفة الدينية والحقيقة الكلية في إطار الكتب السماوية وخصوصاً القرآن الذي كان في البداية عبارة عن مجموعة من العبارات الشفهية التي أصبحت مصحفاً فيما بعد، أو الأمور التي أخبر بها الرسول ثم صارت سُنّة فيما بعد، فهي إخبارات صادقة تبعث

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب٣: ٥٢٦، وعنه في البحار٥٠: ٢٧١، ونحوه في الخرائج١: ٤٤٢.

على التصديق والإطمئنان، فالقرآن وكل ما تُلُقّي من الرسولﷺ مشافهة مما لا يدخله الريب ولا يتدخل الشيطان في انبعاثه ووصوله، ولم تتحكّم به الخيالات والأوهام والأضغاث ولا يتداخله خطأ أو هفوة أو زلّة، فكل ما كان بهذا السبيل من الإنباءات والإخبارات عن المستقبل يتحقق في الساحة العملية كما أُخبر به، على أن لا ننسى البداء وتأثيراته بعد اعتقادنا الجازم به.

منهجنا:

نعم نحن بحاجة إلى شروع الكلام في أُفق أوسع، وهو ما يُسمّى بعلم الغيب، أي العلم بكل ما غابت صورته عن الحس أو حتى الذهن، لأنّ التنبؤ بالغيب والإخبار عنه ينطلق من هذا السبيل، ولأهميته ومدخليته وكثرة التساؤلات فيه، فلنشرع في هذا المبحث أولاً، وقد خصصّنا له فصلاً، ثم نستعرض لما أنبأ به الرسولﷺ -من ابتداء بعثته- عن المغيبات الحاضرة والمستقبلة، وعن ضمائر بعض الناس وما فعلوه في السرّ بما أدى لفضيحة بعضهم وإستبصار البعض الآخر، والإنباء عن مصير بعض الصناديد اللئام، وعن الحروب التي ستحمّل على المسلمين، ونهايتاً الإنباء عن النصر والغلبة ونجاح المسلمين ومستقبل الاسلام، وكان لابدّ لي في بلورتها وبيان انطباقها من نظرة عابرة على التاريخ، لا كل التاريخ، بل ما يمُتّ بتلك النبوءات بصلة، ومن ثم جعلتها منهجاً لهذه الدراسة التاريخية المتضمنة لزوايا من السيرة النبوية العطرة، فحاولت في تنظيم تلك النبوءات وتطبيقها على تسلسل التاريخ منذ البعثة إلى الوفاة، وقد خصّصت لهذا المقطع من التاريخ فصلاً ثانياً، ثم استعرضت لما أنبأ بهﷺ من الأحداث التي ستقع بعده وتكرار تاريخ الأمم وما سيجري على أهل بيت الرسولﷺ من الظلم والإعتداء، وجعلتها أيضاً منهجاً لدراسة هذا البعد من التاريخ المظلم المؤلم وجعلت له فصلاً ثالثاً، وهكذا تدرّجت في ذكر ما يناسب تاريخ أميرالمؤمنينؑ من النبوءات التي تحقّقت في خلافته الظاهرية إلى استشهادهؑ، وهكذا في تاريخ الإمام الممتحن الحسن بن عليؑ، ثم ملك الشجرة الملعونة -بني أمية- وما وقع فيه من

الإجرام وإراقة دماء الأبرياء من العترة وغيرها، التي من أعظمها وأرزاها مصيبة استشهاد مهجة قلب الرسول ﷺ الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، ثم ملك بني العباس القاسي، إلى غيبة ولي الله المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وما سيقع في غيبته من الأحداث إلى ظهوره، ثم رجعة الأئمة وحكومتهم إلى قيام الساعة، وقد جعلت أيضاً لهذه المقاطع من التاريخ فصولاً تجدها في مطاوي هذه الدراسة المتواضعة إن شاء الله.

الفصل الأول

في الإنباء عن الغيب وحقيقته

وهل العلم بالغيب مختص بالله؟

هل العلم بالغيب مختص بالله ﷻ؟

الجواب: ينبغي أن نعترف بأنّه لا مانع ولا استحالة في أن ينكشف لعبد من عباد الله ما لا ينكشف لغيره، من غير فكر ولا ترتيب مقدمات، لأنّ خالق الكون وواهب الفكر ومانح النظر بإمكانه أن يُظهر على غيبه من اختار من عباده ويطلعه على أمور لم يطلع عليها غيره، من أخبار الماضين وما سوف يقع في الكون من ملاحم وفتن وأحداث وغيرها، أو يوقفه على ما تكنه القلوب وما لم يره ولم يشهده الآخرون، وليس في ذلك أيّ تناقض واصطدام مع اختصاصه سبحانه بالغيب، لأنّ علمه تعالى بالأصالة والذات، وعلم غيره بتعلّم من الله وبالإفاضة منه سبحانه، وفي نفس الوقت هو قادر على سلب العلم منه.

ففي الإشارات لابن سينا: التجربة والقياس متطابقان على أنّ للنفس الإنسانية أن تنال من الغيب نيلاً ما في حالة المنام، فلا مانع أن يقع مثل ذلك النيل في حال اليقظة إلاّ ما كان إلى زواله سبيل، ولارتفاعه إمكان، أمّا التجربة فالسمع والتعارف يشهدان به وليس أحد من الناس إلاّ وقد جرّب ذلك في نفسه، تجارب ألهمته التصديق، اللهم إلاّ أن يكون أحدهم فاسد المزاج، نائم قوى التخيّل والتذكّر، وأما القياس فاستبصر فيه من تنبيهات...[1]، ثم ذكر نبذة من التنبيهات لإثبات ما ذهب إليه.

وقال فريد وجدي: مما شهدت به البديهة أنّ درجات العقول متفاوتة يعلو بعضها بعضاً، وأنّ الأدنى منها لا يدرك ما عليه إلاّ على وجه من الإجمال، وإنّ ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط، بل ولابدّ معه من التفاوت في الفطر الذي لا مدخل فيها لاختيار الإنسان وكسبه، ولا شبهة في أنّ من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه، ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك إلى ما لا يحصره العدد وإنّ من أرباب الهمم وكبار

---

(١) الإشارات والتنبيهات للشيخ الرئيس، النمط العاشر٣: ٣٩٩.

النفوس ما يرى البعيد عن صغارها قريباً فيسعى إليه ثم يدركه، والناس دونه ينكرون بدايته ويعجبون نهايته، ثم يألفون ما صار إليه كأنه من المعروف الذي لا ينازع والظاهر الذي لا يجاحد، فإذا أنكره منكر ثاروا عليه ثورتهم في بادئ الأمر على من دعاهم إليه، ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلّته ظاهراً في كل أمة إلى اليوم.

فإذا سُلِّم ولا محيص عن التسليم بما أسلفنا من المقدمات فمن ضعف العقل والنكول عن النتيجة اللازمة لمقدماتها عند الوصول إليها، أن لا يُسلّم بأنّ من النفوس البشرية ما يكون لها من نقاء الجوهر بأصل الفطرة ما تستعدّ به من محض الفيض الإلهي أن تتصل بالأفق الأعلى، وتنتهي من الإنسانية إلى الذروة العليا، وتشهد من أمر الله شهود العيان ما لم يصل غيرها إلى تعقّله أو تحسّسه بعصي الدليل والبرهان، وتتلقّى عن العالم الحكيم ما يعلو وضوحاً على ما يتلقّاه أحدنا من أساتذة التعليم، ثم تصدر عن ذلك العلم إلى تعليم ما علمت ودعوة الناس إلى ما حملت على إبلاغه إليهم، وأن يكون ذلك سنة الله في كل أمة وفي كل زمان، على حسب الحاجة، يُظهر برحمته من يختصه بعنايته لبقي الاجتماع بما يضطرّ إليه من مصلحته، إلى أن يبلغ النوع الإنساني أشُدّه، وتكون الأعلام التي نصبها لهدايته إلى سعادته كافية في إرشاده، فتُختَم الرسالة ويغلق باب النبوة.

ثم قال: أمّا وجود بعض الأرواح العالية وظهورها لأهل تلك المرتبة السامية فمما لا استحالة فيه بعد ما عرفنا من أنفسنا وأرشدنا إليه العلم قديمه وحديثه من اشتمال الوجود على ما هو ألطف من المادة وإن غُيِّب عنا، فأيّ مانع من أن يكون بعض هذا الوجود اللطيف مشرقاً لشيء من العلم الإلهي، وأن يكون لنفوس الأنبياء إشراف عليه، فإذا جاء به الخبر الصادق حَمَلنا على الإذعان بصحته[1].

فنتج أنّه لا مانع ثبوتاً من اطلاع غير الله تعالى على الغيب، وأنّ حدود

---

(١) دائرة المعارف – محمد فريد وجدي ٩: ٧٤٨.

الغيب ليست مغلوقة على الإطلاق ولا هي من الممتنعات والمحالات ولا من الصخور العماء التي لا منفذ إلى داخلها، نعم العملية صعبة وليست بتلك السهولة، وبحاجة إلى مقدمات طويلة، ولذلك لم يتيسر الإطلاع على الغيب إلاّ للأوحدي من الناس، هذا من ناحية الثبوت وأصل الإمكان.

وأما إثباتاً ومن وجهة نظر الشارع الخالق المدبرّ، فهل يتماشى كلامه مع ذلك الإمكان المفترض؟.

القرآن وعلم الغيب

فقد ورد في القرآن وبعض المرويات ما استُدِلّ بظاهرها على عدم إمكان اطلاع غير الله على المغيبات، وأنه مختص بالله، فلا بدّ من الاستطلاع على الآيات المرتبطة بذلك أولاً، وهي كالتالي:

الأولى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

الثانية: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2].

الثالثة: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[3].

الرابعة: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

الخامسة: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾[5].

فهذه ثلاث طوائف من الآيات الدالة على حصر العلم بالغيب بالله تعالى، فبعضها ما هو صريح بالحصر، وبعض يستفاد منها الحصر بمعونة القرائن، وبعض يسلب علم الغيب عن غيره، ويدلّ بالملازمة العرفية

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) النحل: ٦٥.

(٣) المائدة: ١٠٩.

(٤) الأعراف: ١٨٨.

(٥) هود: ٣١.

على اختصاصه به سبحانه.

و بهذه الوجوه الثلاثة استظهر المخالفون اختصاص العلم بالغيب به تعالى، وأنّه لا يشاركه فيه غيره، لكن هناك حقيقة غفلوا عنها، وهي أنّ الاختصاص به سبحانه على الوجه اللائق بشأنه لا ينافي إمكان اطلاع الغير على الغيب بعنايته وتعليم منه سبحانه، فيكون علمه تعالى بالأصالة والاستقلال وأزلي وذاتي، وهو مختص به ولا يشاركه فيه أحد، وعلم غيره بالإفاضة وعلى نحو التبعية، فهو حاصل لهم بإذنه وإرادته وليس خارجاً عن شؤونه على كل حال، هذا مضافاً إلى أنّ إمعان النظر في تلك الآيات يخرجها عن حيّز النفي المطلق.

وبهذا البيان ترتفع جميع الاشكاليات الواردة ويرتفع التعارض البدوي بين الآيات النافية لاطلاع الغير على الغيب والآيات المثبتة لذلك، وهكذا الحال بالنسبة إلى المرويات الواردة في هذا المجال، فاطلاع النبي والأئمة الذين هم ورثة علم الرسول على الغيب ليس فيه أيّ تناف مع اختصاصه تعالى بالغيب.

على أنّ في بعض الآيات الظاهرة في الحصر ما يؤيد هذا البيان.

ففي قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾[1].

ترى أنّه تعالى حصر الإطلاع على الغيب في نفسه، وأنّه لا يظهر عليه أحد، لكنه أخرج من تحت النفي من ارتضاه من أنبيائه ورسله، فيظهر على رسوله ما شاء من الغيب.

وهذه الآية إذا انضمت إلى غيرها من الآيات، كقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2]، يتّضح معنى الاختصاص بالغيب

---

(١) الجن: ٢٦ – ٢٨.

(٢) النمل: ٦٥.

بأنه على نحو الأصالة والذاتية، واطلاع الغير بتعليم وإفاضة منه تعالى، وليس إبطالاً لعلمه، بل استثناء منه بما يشبه الاستثناء المنقطع، لأنّ علمه بالأمور ذاتي له وعلى نحو الاستقلال، وعلم غيره بالتبعية، والعلم التبعي الاستنادي لم يكن داخلاً فيه كي يحتاج إلى إخراج، إلاّ بنحو من التأويل، لتشابه العلمين من بعض الجهات، وإن افترقا من جهات عديدة، فصحّ أن يقال: إنّ العلم بالغيب مختص به سبحانه، وفي نفس الوقت إنّه تعالى يظهر على غيبه بعض عباده المرضيين، وهذا لا يخدش كرامة اختصاصه به.

وهذا النحو من النفي والإثبات القرآني الذي ورد في علم الغيب هو أسلوب شائع في بيان الأفعال الإلهية كالخلق والرزق والموت، فترى في آية أنّ الله هو الذي يتوفّى الأنفس، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[1]، وفي آية أخرى أنّ ملك الموت هو الذي يتصدّى لهذا الأمر بتوكيل منه سبحانه، كما في قوله: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[2]، فالمستفاد من الآيتين أنّ التوفّي وقبض الأرواح من فعل الله سبحانه على نحو الأصالة والاستقلال، ومن فعل غيره على وجه التسبيب والتبعية والتوكيل وبأمر منه سبحانه، وأنّ فعل غيره لا ينافي اختصاصه به سبحانه على نحو الإطلاق، لاختلاف الفعلين من جهة وتشابههما من جهة أخرى.

ويجدي في المقام التنبيه على جهة أُخرى في قوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ وهي أنّ العام وإن خُصّص بالرسول بحيث لا يشمل جملة من الأنبياء الذين لم يعطوا الرسالة، إلاّ أنه لا يأبى عن ورود مخصص آخر عليه، فإنه تعالى كما أظهر غيبه على رسله، أظهر أيضاً عليه غيرهم من الأنبياء، حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[3]، والوحي أحد مصاديق الغيب،على أنّ نبينا ﷺ داخل تحت التخصيص في جميع الأحوال ومهما ضاقت

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) السجدة: ١١.

(٣) النساء: ١٦٣.

دائرته، لأنه ﷺ كما كان نبياً كان رسولاً أيضاً وكان أشرف الأنبياء والمرسلين وسيدهم، وهو ممن ارتضى لا محالة.

هذا على القول باختلاف الرسول والنبي في المصداق وأنّ بين اللفظين حسب المصداق عموم مطلق أو عموم من وجه، وأمّا على القول باختلافهما في المفهوم وتساويهما في المصداق، فلا يلزم تخصيص آخر، وإذن فلا يأتي إشكال من جهة كلمة «الرسول» في الآية.

وهناك إشكالية من جهة أخرى يطرحها البعض: وهو أنّ المراد من الغيب الذي ورد في القرآن واستُدِلّ به على جواز تعرّف النبي ﷺ على الغيب في قوله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ ونظائر هذه الآية، هو الوحي القرآني الذي نزّله جبرائيل، وهذا لا خلاف فيه، وإنما الخلاف في التعرّف على المغيبات من سائر الطرق، ومما يقوّي هذا الإشكال قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[1]، فإنّ (نوحيه) تدل على حصر طريق التعرف على الغيب بالوحي.

والجواب عن هذه الإشكالية يتضح بسهولة بعد الوقوف على معنى الغيب في اللغة والعرف والمصطلح القرآني.

أمّا لغةً فقد تقدم أنّ الغيب يطلق على كل أمر غائب عن الحس، في قبال الشهود الذي يطلق على كل محسوس بأحد الحواس، فقد ورد في القرآن في وصفه تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[2]، ومن المعلوم ليس المراد علمه تعالى بخصوص الوحي، فإذا أُطلق الغيب على الوحي فهو بسبب خفائه عن حواسنا كسائر الحوادث الكونية الغائبة عن حواسنا، والوحي أحد مصاديق الغيب، وهو أحد طرق التعرف على الغيب، إذن لا يصح تخصيص كلمة الغيب بالوحي فقط، فالآية الشريفة تشير إلى أحد طرق التعرف عليه، وليس فيها دلالة على حصر الغيب بالوحي.

---

(١) آل عمران: ٤٤، يوسف: ١٠٢، هود: ٤٩.

(٢) الانعام: ٧٣.

أضف إلى ذلك أنّ الله تعالى جعل الإيمان بالغيب من أحد علائم المتقين، فقال في كتابه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[1]، ومن البديهي أنّ شرطية الإيمان بالغيب وكونه علامة للمتقين يتضمن أموراً قد آمن بها المتقون رغم عدم إدراكهم لها بالحواس الظاهرة،مثل الإيمان بالبعث والقيامة والحساب ونفخ الصور والميزان والوحي، والحجة الغائب عن الأنظار وغيرها مما يجب الإيمان به وتصديقه.

فمع هذا المعنى الواسع للغيب، هل يسوغ لأحد أن يفسّر الغيب في الآية بالوحي فقط؟.

وأزيدك عزيزي القارئ أنه قد ورد لفظ الغيب في القرآن الكريم وفي آيات كثيرة يبلغ عددها أربعاً وخمسين آية ولم يُقصد فيها إلاّ الأمور الغائبة عن الحس، حتى الآيات التي استُدِلّ بها على إرادة الوحي من لفظ الغيب، وقد تقدم بيانه.

ولو تصفّحت ما جاء عن المفسرين رأيتهم قد فسّروا كلمة(الغيب)بكل أمر غائب عن الحس مطلقاً، ولم يفسّر أحد الغيب بالوحي خاصة.

انتهى الجواب عما استُدِلّ به من الآيات التي تخصص علم الغيب به تعالى وتنفيه عن غيره.

وحصيلته: إنّ علمه تعالى بالمغيبات أزلي ذاتي وبالاصالة والاستقلال، فإنّ الإطلاع على ما يحدث في المستقبل من غير طريق الإخبار-إمّا بالمشاهدة أو الإحاطة أو مطلق العلم-لا يكون إلاّ لمن كان خارجاً عن إطار الزمان، ويكون جميع أجزاء الزمان حاضراً عنده، بل هو فوق الزمان تخصصاً وخالق الزمان، فينحصر به سبحانه، ويكون علم غيره من الزمانيات بالسماع ووصول الأخبار من عالم الغيب، فهو بالتبع والسببية وناشئ عن إفاضته وإرادته وبإذنه ورضاه، وليس خارجاً عن شؤونه تعالى.

وبهذا الجواب يظهر المراد من الآيات التي يُستدَلّ بها في إمكان حصول

---

(١) البقرة: ٣.

العلم بالغيب لبعض العباد، ويرتفع التعارض البدوي بين هذه الطائفة من الآيات، والطائفة الأخرى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[1]، والأسماء كانت من المغيبات، وقوله تعالى عن لسان يوسف النبي: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[3].

وهناك آيات تثبت إفاضته لخاتم الأنبياء مضافاً لما تقدم، مثل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[4]،وقد تقدم ذكرها، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[5]، وسبق أنّ الوحي من مصاديق الغيب وهكذا العلم النابع منه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾[6].

وفي هذا المجال جاء في الكافي بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: لا والله لا يكون عالم جاهلاً أبداً، عالماً بشيء جاهلاً بشيء،ثم قال: الله أجلّ وأعزّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه[7].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ الله أدّب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[8]، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده، فقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[9]، وإنّ رسول الله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزلّ ولا يخطئ في شيء مما يسوس به، فتأدب بآداب الله[10].

---

(١) البقرة: ٣١.

(٢) يوسف: ٣٧.

(٣) آل عمران: ٧.

(٤) آل عمران: ٤٤.

(٥) النجم: ٦.

(٦) الأعلى: ٦.

(٧) الكافي ١: ٢٦٢ ح ٦.

(٨) القلم: ٤.

(٩) الحشر: ٧.

(١٠) الكافي ١: ٢٦٦ ح ٤.

فقد لاحظت أنّ في الروايتين إشارة إلى ما حكم به العقل من لزوم العصمة وكمال الأدب والتسديد بروح القدس وامتلاك العلم بالغيب وسائر الأمور التي يحتاجها الأنبياء والأولياء خاصة خاتم الأنبياء وأوصيائه عليهم السلام من أجل سياسة العباد وبسط العدل بين الناس وسوقهم إلى الصلاح والسداد، إذ لو انتفت منه هذه الصفات لم يكن موفقاً في إبلاغ الرسالة وأداء الوظيفة، وعندئذ ينتقض الغرض من إرسال الرسل، وهكذا الحال في الأوصياء، فيكون حالهم حال الذين غصبوا الخلافة وادعوا الإمامة من غير أن يحرزوا شرائطها- من العدالة والعلم و غيرها- فأفسدوا في البلاد وظلموا العباد وأظهروا البدع وحرّفوا الآيات.

إذن: فالآيات وحكم العقل والمرويات كلها تشهد على إمكان اطلاع غير الله على الغيب، وأنه من لوازم نبوة الأنبياء وإمامة الأوصياء.

وحيث بلغ الكلام إلى هذا المقام، من لزوم تسديد الأنبياء خاصة سيدهم وأشرفهم وتأييدهم بتلك الصفات وخارق العادات كي لا ينتقض الغرض، ينبغي التنبيه على أنه لا مناص من تسريته إلى خلفاء الرسول المصطفى وأوصيائه الذين ارتضاهم الله لعلمه وانتجبهم لإكمال دينه و نصبهم أعلاماً لخلقه وحججاً على بريته، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: إنّ الأرض لا تخلو إلاّ وفيها إمام، كي ما إن زاد المؤمنون شيئاً ردّهم وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم[1].

وقال عليه السلام: إنّ الله لا يجعل حجة في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا أدري[2].

وانطلاقاً من نفس الغرض نستعرض الآيات والنصوص التي تثبت إعطاء علم الغيب لأوصياء الرسول المصطفى الأئمة الهداة المهديين صلوات الله عليهم أجمعين بنحو من الاختصار إن شاء الله.

---

(١) الكافي ١: ١٧٨ باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة ح ٢.

(٢) التوحيد للصدوق: ٢٧٥ الباب ٣٧ – باب الرد

الآيات التي تثبت العلم بالغيب لأوصياء الرسول المصطفى ﷺ

فمنها: ما أثبتت العلم للنبي ﷺ، وبما أنّ أوصياءه ﷺ هم ورثة علمه وتمام صفاته إلاّ النبوة- وقد ثبتت هذه الخصوصية لهم بالأدلة القاطعة من طرق الفريقين-، فمن المعلوم ثبوت امتلاكهم العلم بالغيب أيضاً بتلك الآيات، وهي كالتالي:

١ـ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ﴾[1].

٢ـ ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ وقد تقدم ذكر هذه الآية وبيان المراد من (رسول) وثبوت العلم بالغيب للرسول المصطفى ﷺ، فإذا ثبت له ﷺ ثبت أيضاً لأوصيائه المعصومين عليهم السلام بالملازمة والسراية وبنفس الملاك المتقدم بيانه.

فقد ورد في الخرائج عن الرضا عليه السلام في ذيل هذه الآية، أنه قال: فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي اطلعه الله على ماشاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة... نحن ورثة علم الرسول ﷺ...[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في جواب من سأله عن الذين ارتضى الله، قال: هم رسول الله ﷺ ومن حلّ محله من أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه ورسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم لنفسه، وهم ولاة الأمر الذين قال الله فيهم: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وقال فيهم: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ...﴾[3].

وفي تفسير القمي في ذيل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ قال: في ولاية علي عليه السلام ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾، قال النبي ﷺ: «يا علي أنت قسيم النار

---

(١) آل عمران: ١٧٩.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٣٤٣.

(٣) النساء: ٨٣ والحديث في الاحتجاج ١: ٣٧٥.

تقول هذا لي وهذا لك؟ قالت قريش: فمتى يكون ما تعدنا يا محمد من أمر علي والنار؟ فأنزل الله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ ﴾ يعني الموت والقيامة ﴿ فَسَيَعْلَمُونَ ﴾ يعني فلاناً وفلاناً ومعاوية وعمرو بن العاص وأصحاب الضغائن من قريش ﴿ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ قالوا: فمتى يكون هذا يا محمد؟ قال الله لمحمد: ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴾ قال: أجلاً ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ يعني علياً المرتضى من الرسول ﷺ وهو منه، قال الله: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ قال: في قلبه العلم ومن خلفه الرصد يعلّمه علمه ويزقّه العلم زقاً ويعلّمه الله إلهاماً، والرصد التعليم من النبي ﷺ ﴿ لِّيَعْلَمَ ﴾ النبي ﴿ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ ﴾ علي عليه السلام بما لدى الرسول من العلم ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴾ ما كان وما يكون منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة من فتنة أو زلزلة أو خسف أو قذف أو أُمّة هلكت فيما مضى أو تهلك فيما بقي، وكم من إمام جائر أو عادل يعرفه باسمه ونسبه ومن يموت موتاً أو يُقتل قتلاً، وكم من إمام مخذول لا يضره خذلان من خذله، وكم من إمام منصور لا ينفعه نصرة من نصره[1].

وفي كشف الغمة ضمن حديث عن الهادي عليه السلام أنبأ فيه عما اختلج في صدر فتح بن يزيد، فقال: وأمّا الذي اختلج في صدرك ليلتك فإن شاء العالم أنبأك، إنّ الله لم يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول، فكلما كان عند الرسول كان عند العالم، لئلا تخلو أرضه من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته، وجواز عدالته...[2]، ومنه يُعلم أنّ علم الغيب من المقومات لعمل الحجة، ولولاه لما صدّقهم الناس، وواضح أنّ المراد من العالم هو الإمام المعصوم.

ويمكن إثبات امتلاكهم لعلم الغيب بنحو آخر، وهو أنه وإن كان للآية ظهورٌ بدويٌ في انطباق جملة: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ على نبينا محمد ﷺ، بيد أنه يمكن أن يقال بشمول حكمه لأمير المؤمنين عليه السلام من باب الحكومة، لما ورد من

---

(١) انظر تفسير القمي ٢: ٣٨٩ من سورة الجن.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٣: ١٨٠.

طرق الفريقين من أنّ أمير المؤمنين نفس رسول الله ﷺ، كما جاء في آية المباهلة: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ... ﴾[1].

وعنه ﷺ: «علي مني وأنا من علي»[2]، وقال جبرائيل مفتخراً: «وأنا منكما»[3].

٣ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[4]، فقد صرّح تعالى بأنه قد أحصى كل شيء في الإمام المبين، ومن المعلوم أنّه لايعني إحصاء الموجودات الخارجية فقط، بل المراد-كما في الروايات-إعطاء العلم بكل الأمور للإمام المبين، ومعلوم أيضاً أنّ الإمام المبين هو المبيّن للحق من الباطل والفاروق بين الحق والباطل، وليس هو سوى أمير المؤمنين عليه السلام كما صرّحت به الاخبار.

وقد استعمل هذان اللفظان في مواضع عديدة من القرآن بهذا المعنى، وإلى هذا المعنى الصريح في الآية أشارت الروايات، وهي-كما قال المفسر الجليل علي بن إبراهيم القمي-من الآيات المحكمات.

ومع ما في الآية من الصراحة بأنّ المراد من الإمام المبين هو أمير المؤمنين عليه السلام نضيف إليها نبذة من المرويات المصرّحة بذلك أيضاً.

فقد قال رسول الله ﷺ في خطبة الغدير: «معاشر الناس ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم علمته فقد أحصيته في إمام المتقين، وما من علم إلاّ وقد علّمته عليّاً، وهو الإمام المبين»[5].

وعن الباقر، عن أبيه، عن جده الحسين عليهم السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ قالوا: يا رسول الله، هو التوراة أو الانجيل أو

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان الكوفي ١: ٤٧٤، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٨٧، فضائل الصحابة: ١٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢: ٥٣ وص ٦٢ عن عشرة من أجلاء الصحابة، وغيرها من مصادر الفريقين.

(٣) أمالي الطوسي: ٣٦٨، وعنه في البحار ٣٥: ٢٠٨.

(٤) يس: ١٢.

(٥) أنظر الاحتجاج ١: ٧٤، وعنه في البحار ٣٥: ٤٢٨، الصراط المستقيم ١: ٢٧٠.

القرآن؟ قال: «لا»، فأقبل إليه أبي، فقال: «هو هذا الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء»[1].

وعن ابن عباس، عن أميرالمؤمنين قال: أنا والله الإمام المبين أُبيّن الحق من الباطل، ورثته من رسول الله[2].

وروي عن عمار بن ياسر أنه قال: كنت مع أميرالمؤمنين سائراً فمررنا بوادٍ مملوة نملاً، فقلت: يا أميرالمؤمنين ترى أحداً من خلق الله يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمار أنا أعرف رجلاً يعرف عدده وكم فيه ذكر وكم فيه أنثى، فقلت: من ذلك الرجل يا مولاي؟ فقال: يا عمار ما قرأت في سورة يس: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾؟ فقلت:بلى يا مولاي، فقال: أنا ذلك الإمام المبين[3].

بيد أنّ جمعاً من المفسرين قد فسّروا الإمام المبين بالكتاب المبين، وهذا إن صح لا ينافي ما أردنا إثباته، لأنه قد ثبت أيضاً بأنّ المراد من الكتاب المبين هو أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب.

٤ـ ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[4]، فقد جعل الله لرسوله شاهدين لا يمكن إنكارهما، وذلك بعد ما كذّبوا رسالته رغم ما رأوا منه من آثار الصدق والمعجزات الكثيرة، وكان الشاهدان هو الله الذي أنزل الكتاب، ومن بعده من عنده علم الكتاب وهو أميرالمؤمنين، فإنه رغم علمه الوافر وشجاعته وسائر كراماته كان شاهد صدق على رسالة الرسول المصطفى، ومن ثمّ ترى كثيراً من الكفار والمشركين قد آمنوا على يد علي بن أبي طالب بعد رسول الله، لمّا رأوا منه من العلم بكل شيء والمعجزات والكرامات الكثيرة التي لم يروها

---

(١) ينابيع المودة: ٧٥ ب ١٤، وعنه في إحقاق الحق ١٤: ٤٧٢، وفي البحار ٣٥: ٤٢٨ عن الباقر،، وفيه بدل (قالوا) قام أبو بكر وعمر من مجلسهما فقالا: يا رسول الله هو التوراة؟ قال: «لا»، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: «لا»، قالا: فهو القرآن؟ قال: «لا»... .

(٢) تفسير القمي ٢: ٢١٢، وعنه في البحار ٣٥: ٤٢٧.

(٣) ينابيع المودة: ٧٥ ب ١٤، وانظر الفضائل لابن شاذان: ٩٤، وعنه في البحار ٤٠: ١٧٦.

(٤) الرعد: ٤٣.

من غيره ممن ادعى الخلافة، وكانت لهم دليلاً على تقدّمه وحقانيته.

علماً بأنه ما أحاط أحد بشيء من علم الكتاب إلاّ وظهرت منه المعجزات وخوارق العادات، وهو مقام اختصه الله بالأنبياء وأوصيائهم الذين هم شهداء على رسالة الأنبياء، فمنهم من كان يمتلكه كله ومنهم من أُعطي بعضه، مثل آصف بن برخيا وصي سليمان، الذي أشار القرآن إلى قصته، فقال: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[1].

وكان ذلك عند ما أتى الهدهد إلى سليمان- بعد غيبته- بخبر بلقيس، وما رأى في سبأ من العجب، فقال سليمان للملأ: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا...؟ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ: أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ... قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ ﴾ فما كان إذ رأى بلقيس وعرشها عنده، فلما رأت ما رأت من الإعجاز آمنت بالله، ومن ثم كان آصف بن برخيا شاهد صدق سليمان، مع أنه قد أُعطي حرفاً من علم الكتاب، فاستطاع به على أن يتصرف في النواميس الكونية.

كما أنّ شاهد صدق النبيﷺ هو أميرالمؤمنين وسيد الوصيين الذي أُعطي علم الكتاب كلّه، وآيته الكثير من المرويات الواردة من طرق الفريقين.

منها: ما روي عن عبد الله بن عطاء أنه قال: كنت مع محمد الباقرعليه السلام في المسجد فرأيت ابن عبد الله ابن سلام، فقلت: هذا ابن الذي عنده علم الكتاب، قال: إنما ذلك علي بن أبي طالبعليه السلام، وهكذا رُوي عن محمد بن الحنفية[2].

---

(١) النمل: ٤٠.

(٢) ينابيع المودة ١: ٣٠٥ عن الثعلبي وابن المغازلي، وبمضمونه في تفسير الجامع للقرطبي ٩: ٣٣٦، وخصائص الوحي المبين لابن بطريق: ٨٢، وشواهد التنزيل للحسكاني ١: ٤٠١، وقد سُئِل سعيد ابن جبير عن قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ هوعبد الله بن سلام؟ قال: فكيف وهذه السورة مكية، وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة بعد الهجرة، ينابيع المودة ١: ٣٠٨.

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: علم الكتاب كله والله عندنا، وما أُعطي وزير سليمان بن داود عليه السلام إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي بعض الكتاب ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾.

وقال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ بكلمة البعض، وقال في علي عليه السلام: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي كل الكتاب، وقال: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وعلم هذا الكتاب عنده[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عز وجل ثناؤه: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال: **«ذاك وصي أخي سليمان بن داود»** فقلت له: يا رسول الله فقول الله عز وجل: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال: **«ذاك أخي علي بن أبي طالب»**[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر[3].

٥ـ قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾[4]، هذه الآية وإن كانت تحكي عن قصة الطوفان ومن نجى من قوم نوح، إلاّ أنّ الخطاب موجّهٌ للجميع، كما دل عليه قوله ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴾ ثم نبّه سبحانه على أنّ من يعي الأمور ويحفظ المواعظ قليل، وهذه القلة تستفاد من التأمل في كلمة أُذن، والإفراد الموجود في الجملة، والدليل عليه المرويات الواردة من طرق الفريقين من تعيين الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله لذلك الفرد النادر بأنه أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٦، وفي البحار ٣٥: ٤٣٠-٤٣٢ بطرق عديدة واختلاف في اللفظ.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٥٩، البحار ٣٥: ٤٢٩، ينابيع المودة ١: ٣٠٧، شواهد التنزيل ١: ٤٠٠.

(٣) تفسير القمي ١: ٣٦٧، البحار ٣٥: ٤٢٩.

(٤) الحاقة: ١١.

فقد قال ﷺ لعلي عليه السلام: «إنّ الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأعلّمك لتعي، وأنزلت علي هذه الآية ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ فأنت الأذن الواعية لعلمي يا علي، وأنا مدينة العلم وأنت الباب، ولا يؤتى المدينة إلاّ من بابها»[1].

ومن ثمّ كان عليه السلام يخبر الناس عن طريق معرفته بالقرآن فيقول: إني لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وما حرف نزل إلاّ وأنا أعرف فيمن أُنزل، وفي أيّ يوم وأيّ موضع أُنزل، أما تقرؤن: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ والله هي عندي ورثتها من حبيبي رسول الله ﷺ ومن إبراهيم وموسى، والله أنا الذي أنزل الله فيّ: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ فإنا كنا عند رسول الله ﷺ فيخبرنا بالوحي فأعيه ويفوتهم، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً[2].

والجملة الأخيرة منه عليه السلام إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[3].

ولأجل ما كان يمتلكه من علم الكتاب وما ورثه من الرسول ﷺ من العلوم -بحيث صار باب علم الرسول- تراه يتحدّى الناس ويخبرهم عن المغيبات وينبؤهم عن ضمائرهم وعن الملاحم والفتن وما سوف يقع إلى يوم القيامة، ويقول لهم: سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة، وتهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها إلى يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال له: أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر؟ فقال عليه السلام: والله لقد حدثني خليلي رسول الله ﷺ بما سألت عنه، وإنّ على كل طاقة شعر في رأسك ملكاً يلعنك، وإنّ على كل طاقة شعر في لحيتك شيطاناً يستفزّك، وإنّ في بيتك

---

(١) كنز العمال ١٣: ١٧٧، حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٦٧ - ترجمة الامام علي عليه السلام، فرائد السمطين للحموي ١: ٢٠٠، الدر المنثور للسيوطي ٦: ٢٦٠، ينابيع المودة ١: ٣٦٠ ب ٣٩، وقريب منه في شواهد التنزيل ٢: ٣٧٧ ح ١٠٢٧، وفيه: قال علي عليه السلام: فمنذ نزلت هذه الآية ما سمعت أذناي شيئاً من الخير والعلم والقرآن إلا وعيته وحفظته.

(٢) ينابيع المودة ١: ٣٦١، وأنظر بصائر الدرجات: ١٥٥ – ١٥٦، وعنه في البحار ٤٠: ١٣٨.

(٣) محمد: ١٦.

لسخلاً يقتل ابن رسول اللهﷺ، وذلك مصداق ما أخبرتك به، ولولا أنّ الذي سألت عنه يعسر برهانه لأخبرت به، ولكن آية ذلك ما نبّأتك به من لعنك،وسخلك الملعون، وكان ابنه في ذلك الوقت صبياً، وهو الذي تولّى قتل الحسينعليه السلام فيما بعد[1].

وقالعليه السلام مخبراً عن حوادث غيبية: والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم عن مخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول اللهﷺ، ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق ما أنطق إلاّ صدقاً، وقد عهد إليّ بذلك كله، ومهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلاّ أفرغه في أذني وأفضى به إليّ[2].

٦ـ ومنها: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[3]، نظراً إلى أنّ عموم إذهاب الرجس والتطهير من جميع النواقص الظاهرية والباطنية وشوائب الكدر وظلمات الجهل والسهو، يقتضي عموم علمهم وفعليته، وإحاطتهم العلمية بكل الأمور وما تكنه الصدور، فلو كان علمهم ناقصاً ومشوباً بالجهل والنسيان لانتقضت إرادة الله في تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم.

هذا وقد ورد في جوامع علمهم صلوات الله عليهم أجمعين نصوص كثيرة تدل على أنهم ورثوا جميع علوم الأنبياء وما في كتبهم وصحفهم وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، إفاضة من رسول اللهﷺ، وإنّ علم رسول الله إفاضة من الله تعالى، وقد ذكرنا نبذة منها في ضمن بيان بعض الآيات الدالة على اطلاعهم على المغيبات، وهناك آيات أخرى وروايات كثيرة لا يسع المجال ذكرها، لكن نكتفي بذكر واحدة منها، وبها نختم الكلام في الاستدلال على علمهم بالمغيبات.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٢٨٦وج ١٠: ١٤-١٥، وانظر الاحتجاج ١: ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٠: ١٠.

(٣) أحزاب: ٣٣.

ففي الكافي مسنداً عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال الراوي: قلت: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث علم النبيين كلهم؟ قال: نعم.

قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد ﷺ أعلم منه.

قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله، قال: صدقت، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله ﷺ يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره فقال: ﴿ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ حين فقده، فغضب عليه، وقال: ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا -وهو طائر- قد أُعطي ما لم يُعط سليمان، وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإنّ الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[2]، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطّع به البلدان وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلاّ أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه المخزون جعله الله لنا في أمّ الكتاب، إنّ الله يقول: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[3]، ثم قال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[4]، فنحن الذين اصطفانا الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء[5].

والآيتان الأخيرتان في الحديث من الآيات التي استُدِلّ بها لإثبات العلم بالغيب للأئمة من أهل البيت، كما قال الإمام عليه السلام: فنحن الذين اصطفانا الله... .

---

(١) النحل: ٢١.

(٢) الرعد: ٣٠.

(٣) النمل: ٧٧.

(٤) فاطر: ٢٩.

(٥) الكافي ١: ٢٨٢ ح ٧، وعنه في البحار ١٧: ١٣٤.

وبعدما أثبتنا إمكان اطلاع غير الله على الغيب وأنه لا ينافي اختصاص الله به، وأنّ اطلاع غيره-بما أنه عرضي وتبعي ومحدود ومفاض منه وبإذنه تعالى-لا يوجب مشاركة الممكن مع الواجب في بعض صفاته، لأنّ ما هو ثابت له من العلم هو عين ذاته وأزلي أبدي غير محدود وغير مكتسب من غيره وهو حاضر عنده ومختص به سبحانه ولا مشاركة للممكن فيه، وأثبتنا أيضاً وصول علمه إلى النبيﷺ والأئمةعليهم السلام بما ورد في القرآن من الآيات وبيانها بالمرويات الواردة في الباب.

ينبغي التنبيه على أنّ ما ثبت لأهل بيت الوحي والعصمة من الإحاطة على المغيبات والإنباء بها ليس أمراً حادثاً حتى تُتّهم الشيعة بالغلوّ في الأئمة، بل هو أمر ثابت لكثير ممن مضى من الأنبياء والأوصياء والصالحين، وقد أشار القرآن الكريم إلى نبذة منها.

نبوءات الأنبياء والصالحين

قد استعرض القرآن استعرض لقصص الماضين بما فيها من المواعظ والحكم والعبر، ويتمثل في إتمام الحجة وتسريع نزول العذاب، بيّنها سبحانه لنبيه الأعظمﷺ فقال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1]، فعبّر عنها بالأنباء الغيبية.

وقد أشار إلى أخبار غيبية أنبأت عنها طائفة من الأنبياء والرسل والصالحين، أظهرها الله عليهم من علمه المكنون، لها دور هام في إنجاح دعوة كل نبي وإيصال الرسالة وترسية قواعد الدين في الأرض، بحيث يمكن الجزم بأنه لولا هذه النبوءات ما كان يقدّر لكل دعوة النجاح ولما سبقت للدين في الأرض باقية، وهي تدعو القارئ للتفطّن والتأمل في كل قصة.

يعقوبعليه السلام ينبئ عن مصير يوسفعليه السلام:

ذاك نبي الله يعقوب، قد أنبأ عن حقيقة مستورة لابنه يوسف، وهي السلطنة،

---

(١) هود: ٤٩.

وأنه سيكون نبياً ويكون له مقام شامخ ويكون عالماً بتفسير الأحلام والإطلاع على الواقع المستور خلال تلك الأحلام، وذلك عند ما قصّ عليه رؤياه: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾ وأنبأه أيضاً عن كيد إخوته، ثم قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1]، فلاحظت أنّ هذه الأنباء صدرت على أثر رؤيا رآها يوسف عليه السلام، وهذه(الأحلام)من أطوار الغيب الذي خصّ الله به بعض عباده، ويظهر أنّ الرؤيا الصادقة هي أحد الطرق لعلم الغيب.

ثم إنّه أنبأ أولاده أيضاً عن علمه بمكيدتهم لمّا طلبوا منه أن يرسل يوسف ليرتع ويلعب معهم، فقال: ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾، وقد تحقق هذا الإنباء لما رجعوا إليه فقالوا: ﴿ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ فطابق قولهم: ﴿ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ﴾ ما أخبرهم به بقوله: «أخاف أن يأكله الذئب».

وعاد إليهم بعدما سمع تقوّلهم في حق أخيهم، فأخذ يكذّبهم وينبئهم عما سوّلت أنفسهم وأخبرهم بأنّ يوسف ما زال حياً يرزق ولم يأكله الذئب، فقال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾، فكان مقال يعقوب من أنباء الغيب والإخبار عما تكنه القلوب، ومن ثمّ وصفه الله بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وكذّبهم أيضاً عندما أخبروه بأنّ بنيامين(أخا يوسف من أمّه)قد سرق، وقال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾ فأخبرهم بأنّ الله سوف يردّهما عليه، وتولّى عنهم واستمرّ على البكاء أسفاً على يوسف، فلما اعترضوا على بكائه بقولهم: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾ أخبرهم بما أحاطه الله من العلم

---

(١) يوسف: ٤ – ٦.

(٢) يوسف: ٦٨.

بالغيب، وأكّد ثانياً على ما أنبأهم بحيلة يوسف بقوله: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

وكان آخر إنبائه في يوسف هو الإخبار عن قرب وصاله وتحقق ما أنبأهم به سابقاً، فقال: ﴿ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[2].

هذه نبوءات نبي الله يعقوب وقد تحققت كما أنبأ، فأضائت عن صدق ما قالهعليه السلام في شأنه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ كما أعربت عن صدق قوله: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾.

فهذه النبوءات التي صدرت من أحد عباد الله وقد اطلعه الله عليها، أليست من مصاديق العلم بالغيب؟

نبوءات يوسف لأهل السجن:

إنّ الله قد أخبر عما أنبأ يوسف بعض المعتقلين فقال: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فقال يوسف: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[3].

فتحقق ما أنبأ به يوسفعليه السلام حيث نجى أحدهما وصار ساقي البلاط وهلك الآخر، ومن المعلوم أنّ هذا النحو من تعبير الأحلام هو ضرب من الغيب الذي نطق به يوسفعليه السلام.

وأخبر أيضاً عن القحط الذي أنبأ عنه يوسف أهل مصر، و ذلك على أثر رؤيا رآه الملك: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ

---

(١) يوسف: ٨٥ – ٨٧.

(٢) يوسف: ٩٤.

(٣) يوسف ٣٦ – ٤١.

عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فما استطاع أحد على تعبيره، بل ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

بيد أنه بعد مضي مدة ذكر الذي نجى منهما ما أنبأ به يوسف وصدق ما أخبره، فأرسلوه إليه،فقال: ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ..﴾ فأنبأه يوسف بما سيأتي عليهم من القحط وما به التحفظ من الهلاك وقال لهم: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

وحاصل القصة هو إخبار يوسف عليه السلام ضمن تعبيره للرؤيا عن ثلاثة أمور غيبية:

١ـ إنّ أهل مصر يتنعمون بالبركات والخيرات وكثرة الزرع لمدة سبع سنين

٢ـ ثم يصابون بعدها لمدة سبع سنين بالقحط وزوال النعم والبركات

٣ـ وفي الخامسة عشر تفتح عليهم أبواب الرحمة بعد ما غُلّقت وتعود إليهم ما زالت من البركات والنعم.

صالح عليه السلام يحذّر قومه من عذاب قريب

قد أنبأ صالح قومه بمصير رهيب سيّئ، لنكولهم عن طاعة الله وارتكابهم معصيته، المتمثلة في مخالفتهم أمره بشأن ناقة الله التي كانت تمثل معجزته وشاهد صدقه، وأن لا يمسوها بسوء، فقال لهم: ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ لكنهم خالفوا أمر الله ولم يحذروا ما وعدهم من العذاب ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[2]، فتحقق ما أخبرهم وأتى العذاب في الوقت الذي

---

(١) يوسف ٤٣ – ٤٩.

(٢) هود ٦٤–٦٥.

وعدهم به، كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾[1].

عيسى عليه السلام ونبوءاته عن المغيبات

والذي يثير التعجّب بين الناس أن يتكلم طفل في المهد وتظهر منه الغرائب وأن يخبر الناس بنبوته ويكون شاهد صدق على براءة أمه مريم.

فإذا أخبر شخص ذو ظاهرة خارقة للعادة عن شيء مكنون أو أنبأ عما سيكون، هل يسوغ تكذيبه أونسبته إلى أمور لا تليق بشأنه؟! فقد حكى الله عز وجل عن تحدّيات عيسى ونبذة من نبوءاته الغيبية التي أظهرها الله عليه، فقال: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

فتراه قد أنبأ بني إسرائيل عن أسرارهم وما كانوا يدّخرونه في الصيف لشتائهم ومقداره ولونه في سبيل تقوية إيمانهم، وأن يكون لهم آية وحجة.

وفي موضع آخر قد بشّر الناس بقدوم خاتم الأنبياء وسيدهم، فقال: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[3]، فما أجلى من هذه النبوءات التي أعربت عن قدوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بستمائة سنة؟.

وما ورد من إنباء عيسى عليه السلام عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يكن منحصراً بالقرآن، بل جاء في العهدين -الكتاب المقدس- ذكر أسمائه وسماته وغلبة دينه، وما سيرد عليه وعلى أولاده وأمّته من الملاحم والفتن، فإنّ الكتب السماوية من الدلائل القاطعة على صدق ما أتى به نبينا صلى الله عليه وسلم وأنبأ به.

---

(١) الذاريات ٤٣ – ٤٤.

(٢) آل عمران: ٤٨.

(٣) الصف: ٦.

الخضر وموسى عليهما السلام

قد أخبر القرآن عن لقاء موسى عليه السلام مع نبي الله الخضر عليه السلام الذي شرب ماء الحياة، وهو الآن ما زال حياً ملازماً للحجة المنتظر عليه السلام، وسوف يكون من أصحابه عند ظهوره إن شاء الله.

فإنّ موسى عليه السلام لما كان على جانب البحر رأى ذلك العالم الذي عبّر عنه الله بقوله: ﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[1].

فما أصرح هذه الآية في إعطاء الله علمه اللدنّي من يشاء من عباده؟ أليس هذا هو العلم بالمغيبات؟.

فطلب منه موسى أن يعلّمه مما علّمه الله فقال: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ وعندما أصرّ عليه وتعهد له بالصبر والطاعة، شرط عليه الخضر أن لا يسأله عما يرى منه من الغرائب إلى أن يخبره به، فكان أول ما أظهره من علمه الخارق أن خرق السفينة التي ركباها، فاعترضه موسى على هذا العمل ولم يستطع معه صبراً، والثاني عندما لقيا غلاماً فقتله، فاعترضه مرة أُخرى، والثالث لما دخلا قرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا جداراً يريد أن ينقضّ فأقامه العالم، فاعترضه ثالثاً، وكان ما اعترضه موسى سبباً لفراقهما، هناك أنبأه عن تأويل ما لم يستطع عليه صبراً، فقال: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[2].

والذي يستفاد من هذه القصة بوضوح هو أنّ في هذا العالم أُناساً قد

---

(١) الكهف: ٦٥.

(٢) كهف: ٧٩ – ٨٢.

اطلعهم الله بالمغيبات ما لم يحط به غيرهم.

وهذه الحقيقة تقودنا إلى الخضوع والاعتراف بوجود من يمتلك هذه الظاهرة في كل فترة من تاريخ البشرية.

فليس من الانصاف ولا من قواعد العلم والثقافة لمن آمن بالقرآن الكريم أن ينفي العلم بالمغيبات والإحاطة بها لغير الله، فقد أثبت القرآن-كما تقدم من الآيات والقصص-إفاضة هذا العلم للأنبياء والأولياء والصالحين، وأمّا سعة دائرته، فهي تتبع مراتبهم ومقاماتهم العالية وسعة تقربهم من الله.

إلى هنا قد أثبتنا إمكان الإطلاع على المغيبات والإنباء عنها في إطار ديني كلامي، وعلى ضوء الكتاب والسنة وحاولنا الاختصار عند البحث عنه ما لم يُخلّ في تمامية الاستدلال.

وهناك طريق آخر لإثباته ينفع أصحاب الثقافات والعلوم الحديثة، وهو إثباته في إطار علمي حديث، فإن شئت التحديث في البحث عن هذه الظاهرة لاحظ ما سيوافيك إن شاء الله.

الإنباء عن الغيب في العلم الحديث

منذ القِدَم وفي كل فترة من الزمن شاهد الناس في بعض الأفراد أموراً خارقة للعادة،منها الإطلاع على حوادث تحققت في أماكن بعيدة عن مكان الرائي بمئات الأميال، أو الإخبار عن ضمير الآخرين، أو التنبؤ بما سيقع في المستقبل القريب أو البعيد من الحوادث والفتن و... ومنها يعلم أنّ للإنسان وراء هذه الكتلة الدقيقة المتشكلة من الغدد والخلايا والأجهزة العصبية والحشوية شيئاً يسمّى روحاً أو نفساً، وهو الذي يقوم بهذه الخوارق.

وقد أذعن القدماء بصدق هذه الظاهرة، غير أنهم لم يتمكنوا من تحليلها ودراستها، بحيث تنطبق على القواعد العلمية وتكشف لهم حقيقة النفس ومدى قدرتها، وظلّ الاعتقاد بهذه الظاهرة مدى القرون على هذا الحدّ، حتى برزت طلائع الثقافة الحديثة فحاولت دراستها والعثور عليها من طريق العلوم التجريبية، واستخدمت لهذه المهمة علمين تجريبيّين هما الفيزيولوجيا

والسيكولوجيا، ووضعت الإنسان في مختبراتها، لترى أحقّ ما يُدّعى أنّ وراء هذه الكتلة الإنسانية ما يسمىّ روحاً؟ أو أنه خرافة من جملة الخرافات؟ وكانت نتيجة الفحص-وكما هو المتوقع-أن لا روح ولا نفس ولا شيء وراء هذا الجسم، وقد أعلنت هذه النتيجة للناس وأنها ممّا وصل إليها وأثبتها العلم التجريبي، وقد آمن به البعض من المدّعين للحضارة والثقافة، وارتاح على حلّ أعظم مشكلة واجهت العقل الإنساني منذ القدم، وظنّ أنّ أمر الروح الإنسانية قد انقضى، وغفل هذا البعض عن أنّ العلم التجريبي والتطبيقي مع الاذعان بتطوره واكتشافاته المهمة، لكن النفس الإنسانية ليست موضوعاً لهذا التجريب، نعم بدن الإنسان بما فيه من اللحم والعظم والدم وسائر العناصر المشدودة بعضها إلى بعض بجهاز من العصب يمكن أن يكون موضوعاً له.

وبعبارة أخرى: إنّ العلوم التجريبية بإمكانها التجربة والتحليل على الموجودات الخارجية المحسوسة-ولو بواسطة الأجهزة الميكروسكوبية-، فإن يد الإنسان وعينه وأُذنه وقلبه وأمعائه، وكل موضوع خارجي يصلح أن يقع تحت أداة التجريب ويصلح أيضاً أن يكون ميداناً للعلم الذي يستخدم هذه الأداة، ويمكن أن يتوصل فيه بسببها إلى نتائج معتدّ بها نسبياً.

وأمّا الروح فهل هي من هذا القبيل؟ وهل تصلح أن تكون موضوعاً لأداة الاختبار والتجريب العلمية؟.

الجواب: لا، وما اجترء أحد من الباحثين عنها على القول بأنها شيء ذوكيان خارجي ملموس يمكن أن يصل إليه الحس أو ما يصطنعه الإنسان من الأدوات الدقيقة.

غير أنّ من علماء السيكولوجيا والفيزيولوجيا من يدّعي الاستطاعة على اختبار وجود الروح عن طريق مراقبة الانفعالات الطارئة على أجهزة الإنسان بفعل المواد الكيمياوية المختلفة، ولكن هل يمكن جمع عواطف الإنسان ومطامحه ونواياه في بضعة من عصب كي تنفعل بإراقة السوائل الكيمياوية عليها ثم يُحكم بأن لا روح ولا شيء سوى هذه الكتلة المتشكلة الخاضعة للمواد الكيمياوية؟.

واضح أنّ نتيجة كهذه وبهذه المقدمات لا يمكن الاعتماد عليها في تقرير موقفنا من الحياة والكون، ونفس العلم التجريبي يأبى علينا أن نأخذ بنتيجةٍ هذه مقدماتها، فلا يصح أن نسمّيها نتيجة علمية أبداً.

إذن، لم ينهض دليل على أنّ الروح الإنسانية لا واقع لها.

بل الأدلة بأسرها ناهضة على أنّ الروح الإنسانية أعظم واقعية من بعض الأشياء التي نحسبها واقعية، فإنّ من التفسير السلاج والبعيد عن المفاهيم العلمية الحديثة القول بأنّ الواقعي هو ما تدركه الحواس.

ولو اجترءنا أن نفسّر الواقعي بهذا التفسير للزم علينا أن ننكر كثيراً من الحقائق الشائعة في عصرنا الحاضر التي منها الطاقة الكهربائية، وهذا أمر لا يستسيغه أحد من العوام فضلا عن المثقفين.

فإنّ الطاقة الكهربائية واقع وحقيقة لا مجال لإنكارها، لكن لا صورة ذهنية لها عندنا ولا شكل نستطيع أن نراه بعين العقل أو نتخيّله، غير أنّ لمدلوله وجوداً ذاتياً مستقل في هذا النظام الموضوعي للكون، ونحن نشاهد ونلمس آثار هذه الطاقة وعملها في حياتنا.

فليس الواقع هو ما نحسّه، وإنما هو ما يعمل على صياغة حياتنا بآثاره وإن لم يبلغ علمنا مدى كنهه، وإذا كان هذا هو الواقع فما هو المانع من أن تكون الروح من الحقائق الجمة التي تصنع حياتنا بآثارها؟ فإنّ جهلنا بحقيقتها لا يكون مبرراً لنُكران وجودها، وقد تبيّن أنّ المنكرين لها قد ابتنى نكرانهم على الأداة التجريبية التي لا تصلح أن تكون وسيلة لمعرفة الروح التي هي من أعظم الحقائق، فهي قاصرة من أن توصلهم إلى ما أرادوا معرفته، لقد حدس القدماء فلم يهدهم حدسهم إلى شيء، ولقد جرّب المتجددون فلم تهدهم تجربتهم إلى شيء.

فلا مناص من انصياع الانسان أمام الأسرار الكونية والغيوب الإلهية واعترافه بما أعلنه القرآن: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، وإيمانه بالغيب،فيكون ممن وصفه القرآن: ﴿ الٓمٓ

(١) الأسراء: ٨٥.

ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ..﴾.

وبعد هذه المقدمات نصرّح بأنّ المنكرين للغيب شرذمة ينظرون إلى الإنسان من نافذة واحدة ضيّقة ويبنون نظرياتهم على ذلك المنظار، غافلين أنّ للإنسان ثمة أبعاد وجوانب.

وأنّ حكمهم على الإنسان قبل الإحاطة به من جميع جهاته وحدوده هو نوع من الخبط العشوائي الذي لا يليق بمن يدّعي التطور العلمي ويقتدي به في عمله وقوله.

ونصرّح أيضاً بأنّ هؤلاء أشبه بمن يحكم على هرمٍ بأنه أحمر بمجرد رؤية ضلعٍ من أضلاعه بهذا اللون قبل أن يرى سائر أضلاعه.

فإذا عرفنا أنّ للإنسان قوى وراء هذا الجسم المتشكل من الأعضاء والجوارح لا ندركها بما لدينا من الأجهزة الحديثة ولا يصل علمنا إليها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فلا مبرّر لإنكار جملة من الحقائق التي منها أن يكون في المجتمع الإنساني أُناس بلغوا إلى مرحلة من السمو والكمال الروحي وصفاء الباطن وانقطعت أنفسهم الروحانية من أبدانهم المادية بحيث قدروا على معرفة كثير من الأمور الغائبة عن غيرهم، وتنبئوا بما سيقع في المستقبل البعيد، وهذه الظاهرة ليست في كل من أنبأ عن المغيبات على حد سواء، بل تتبع مدى الانقطاع وسمو الروح، فإن منهم من قد اجتاز ميادين السبق وتقدم على غيره، كالانبياء والاوصياء، ومن أكثرهم اجتيازاً في العوالم العُلوية هو الرسول المصطفىﷺ، فإنه وصل إلى مرتبة لم يصل إليها أحد من الأولين والآخرين ولا الملائكة المقربون، وهو العبور عن سدرة المنتهى والوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، ورأى من العجائب والآيات ما لم يره غيره، وسمع مالم يسمعه غيره.

هذا ويؤيد ما أثبتناه من أنّ للإنسان وراء هذه الكتلة المتشكلة قوى غير مدركة بالحس قادرة على الإطلاع والإنباء على ما وراء عالم الشهود، عملية التنويم المغناطيسي.

التنويم المغناطيسي (هيبنوتيزم)

فقد ثبت بما لا يحصى من الأدلة العلمية أنّ الإنسان لو أُنيم نوماً مغناطيسياً فانقطعت عنه خواطر الحس ظهر تعلّق روحه بذلك العالم ظهوراً لا يحتاج معه إلى دليل، فتراه يرى بغير عينه المادية ويسمع بغير أُذنه ويحس بغير هذه المشاعر، فيرى البعيد عنه كأنه جالساً عنده، ويسمع ما يُقال مع وجود الفواصل الشاسعة في أقطار متناهية، يقرأ الخواطر الكامنة بنفس المحيطين به، ويطّلع على نواياهم فيصوّرها ويظهرها لهم كأنه يشاهد جيشانها في صميم نفوسهم وأعماق صدورهم.

قال العالم الفرنسي(بيو)في كتابه(المذكرات على المغناطيس الحيوي): النوم المغناطيسي يثبت وجود الروح وخلودها ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة عن المادة لأُخرى لم تزل مكسّوة بها.

وكتب الكاتب الكبير(جول بوا)في جريدة الطان ٢١ يونيو سنة ١٩٠٥: إنّ ما حدث من أنواع الشفاء بواسطة التنويم المغناطيسي مما يكاد يُعدّ معجزة، وما حصل من الفوائد بسبب التلقين و... ومسائل الإحساس بالمستقبل وقراءة الأفكار وظهور شبح الإنسان في مكان وهو في محله لم يتحرك، واستخراج القوة الحيوية من الجسد، وما يراه الإنسان من الغيوب في النوم والإنباء بالأمور المستقبلة والخوارق التي تتم على الوسطاء ودراويش الهنود-، وهي في أكثر الأحيان صحيحة صادقة-كل هذا يتكوّن منه مجموع عظيم من حوادث ومشاهدات يستحيل على الإنسان أن يزدريها وأن لا يعبأ بها[1].

فهنا نتسائل: ما هذا الحال من الانسان إذا كان مادة محضاً وجسداً صرفاً؟ إذا لم يكن للإنسان سوى تلك الأعضاء والحواس والمشاعر الظاهرة بحيث لا يدرك ولا يشعر إلا بها، فما هذا الإحساس الذي يحصل في التنويم المغناطيسي والإخبار عن أمور ليس بينه وبينها اتصال؟ فعملية الهيبنوتيزم التي قد شاعت

(١) لاحظ دائرة المعارف – فريد وجدي-٩: ٧٦٨ كلمة (نبأ).

وانتشرت في عصرنا الحاضر خصوصاً في العالم الغربي قد أثبتت بسهولة تامة ما تحيّر المتقدمون في إثباته، وعندما عجزوا بتوّا في نكران وجود الروح وقدرتها في الإحاطة على المغيبات.

ومن هنا اقتنع كثير من علماء العصر بالحس والشهود على أنّ للإنسان روحاً من جنس الملاة، وأنّ هذه الروح لاحدّ لسلطانها ولا غاية لارتفاعها، وبإمكانها الاتصال بأرواح مجردة عن الملاة فتخبر عنها عن شهود وعيان، لا عن وهم وخيال.

ومن ثمّ أكبّ علماء الغرب في أواخر القرن التاسع عشر على دراسة الروح ومظاهرها دراسة علمية واهتموا بها اهتماماً لم يسبق له مثيل في سائر المسائل العلمية-، وإن كان جمع من علماء الشرق في ناحية عنها، بما عهد فيهم من الإعراض عن دراسة المسائل العلمية، فما زالوا يؤيدون المذاهب القديمة، ولم يبرز فيهم رجل ذووا جرأة وغيرة علمية ينبّهونهم على ما هو حاصل في العالم الغربي، وما فتح الله به على الناس في أواخر القرن التاسع عشر[1].

نعم قد انتدب في العصر الحاضر ألوف من رجل العلم في الأمم المتمدنة ودوّنوا كتباً لا يُحصى عددها في العلوم النفسية، وأصدروا المجلات الكثيرة، وعقدوا المؤتمرات والنوادي والجمعيات العلمية في سبيل إثبات هذه الظاهرة إثباتاً علمياً، وقد وصلوا بسبب هذه النشاطات إلى نتائج إيجابية، ولا زال عدد هؤلاء العلماء في تعاظم وازدياد.

وأوّل حركة قامت بإثبات هذه الظاهرة وصدقها، هي تأسيس جمعية المباحث النفسية في بريطانيا سنة ١٨٨٢، وقد اشترك فيها جمّ غفير من العلماء والفلاسفة، وكان أوّل رئيس انتخب لها هو البروفيسور(هنري سدجوك)، وكان من منهج الجمعية طريقة جمع الوثائق وفحصها، فإن سمع المحققون بشخص حاز على موهبة خارقة أرسلوا إليه وقاموا بدراسة ما يقوم به، ووضعوه تحت المراقبة الشديدة،ثم يقدّمون تقريراً بما شاهدوه منه، وكان لتوفيق تلك الجمعية انعكاسٌ

---

(١) لاحظ دائرة المعارف-فريد وجدي - ٩: ٧٦٥.

في أنحاء العالم، ومن ثم أُسست فروع في الأقطار الأوروبية بسبب كثرة استقبال الناس واتجاههم لعالم الروح والنفس.

وكانت حصيلة جهد الباحثين في هذه الجمعية وغيرهم: أنّ في الإنسان ملكات نفسية خارقة، أهمها: تناقل الأفكار، ورؤية الأشياء من وراء الحُجُب أو على بعد المسافة، والتنبؤ عن المغيبات.

وأثبتت جمعيات المباحث النفسية بطلان دعوى الصدفة عند إصابة التنبؤات بنحو قاطع، بحيث أثبت العالم الطبيعي المشهور(أوليفرلودج)بأنّ قدرة الإنسان على التنبؤ أعلى من مستوى الصدفة حسب قانون الاحتمالات.

ويؤيد هذه النظرية ما أثبتته التجارب المتعددة التي أجراها البروفيسور(راين)وغيره من أنّ الإنسان يملك في الغالب قدرة على الحدس بمعدل يفوق معدل الصدفة قليلاً أو كثيراً.

وقد أسس راين في سنة١٩٣٠فرعاً في جامعة ديوك الامريكية لدراسة القوى النفسية دراسة مختبرية، و كان ذلك على أثر اطلاعه على حلم عجيب في تفاصيل دقيقة تحققت في الخارج، وساعده على ذلك(وليم مكدوجل)الباحث النفساني المشهور، بيد أنّ المنهج الذي اتخذه راين كان يختلف عن منهج جمعيات المباحث النفسانية، لأنه اهتم لفحص الفرد العادي لمعرفة مقدار ما لديه من قوى خارقة لا الفحص على ذوي المواهب الخارقة وحدهم، وقد أثارت تجارب راين ضجة كبرى في الأوساط العلمية الغربية[1].

والذين قاموا بتلك النشاطات العلمية واشتركوا في جمعيات المباحث النفسية جم كثير من مشاهير العلماء، منهم: «وليم كروكس، وجارني، وميارس، ومورجان، وشارل ريشيه، وكاميل فلامريون، وزولنر، وزوومابس، وهيزلوب وهودسون، وتوماسن هكسلي، وهنرى برجسون» وغيرهم[2].

فمع إذعان مشاهير العلماء في الأوساط المترقية على واقعية الروح

---

(١) لاحظ خوارق اللاشعور للدكتور علي الوردي: ١٤٣-١٦٠.

(٢) لاحظ دائرة المعارف-فريد وجدي-٤: ٢٧٧ - ٢٧٨ كلمة(روح)، خوارق اللاشعور: ١٦٥.

وعظمتها وظهور الخوارق منها على حسب مراتبها وكثرة انقطاعها عن المادة، قد أصبح النكران على هؤلاء العلماء ونسبتهم إلى الجهل، والسذاجة من أكبر الظلم والعدوان على المجتمعا المتحضرة، وزلّة لا يعذر فاعلها.

عود إلى بدء

وبعد هذه التفاصيل نرجع إلى أصل الكلام وهو إثبات نبوءات الأنبياء وأوصياء الأنبياء ونخاطب القارئ الكريم البلحث عن الحقائق: بأنه إذا ثبت أنّ المنوّم نوماً مغناطيسياً يُتّصل به فيُروى عنه معلومات تفوق معلومات البشر، وأنّ الوسيط الذي يُستخدم لتحضير الأرواح المجردة فتظهر للحاضرين بعد أن تكتسي بالمادة فيلمسونها ويفحصونها وتأتيهم من الخوارق بما يشبه معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء.

وإذا ثبت أمثال ذلك من الأمور الخارقة للأرواح،ثبوتاً شهودياً علمياً على أيدي جحافل العلم الحديث، وقد شاع وانتشر انتشاراً لا يمكن إنكاره، فهل من الإنصاف أن يُنكر على أفراد من النوع البشري قدراتهم الفائقة؟وذلك بسبب إظهارهم النبوة واتصالهم بالعوالم العلوية-على قدر مراتبهم-فيأتون للناس من عالم القدس بما لا يعلمون ويخبرونهم بما كانوا يجهلون ويفيضون عليهم منه ما يزكيهم ويزيل شكوكهم ويضمن سعادتهم وتعاليهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

إنّ من العدوان على البشرية أن يجترء أحد من رجال العصر على إنكار هذه الظاهرة الزاهرة مع ما فيها من الآثار والفوائد، خاصة بعدما ثبت بالمشاهدة والعيان في الجوامع المترقية وبعد ما أذعن حتى الماديون على صحة النبوات وتصديقها وخضعوا أمام دعوى الأنبياء في الاتصال بالعالم الروحاني واستقاء علومهم منه، بعدما كانوا ينكرونها سابقاً وكانوا يعدّون الأنبياء الإلهيين من قبيل المصابين بالهستريا، أو المخادعين المرائين الدجالين.

إذن نختم البرهنة على حقيقة الروح الإنسانية وقدرتها بكلام البرفيسور ثولس أستاذ علم النفس بجامعة كمبردج، فإنه قال: إنّ هذه الظاهرة يجب أن

تعتبر حقيقة ثابتة كأيّة حقيقة أخرى توصّل إليها البحث العلمي[١].

ولنبدأ في تبيين القانون العلمي الذي يمكن إدراج هذه المسألة فيه، وبالمآل معرفة ماهية هذه القوى ومصادرها في الإنسان في حد الإمكان.

فنقول: إنّ علماء النفس قد اهتموا في هذا الأمر ووضعوا لهذه الظاهرة فرضيات عديدة كل واحدة منها تبتني على وجهة نظر خاصة في المسائل الطبيعية، وكان لبعضها مؤيدون أكثر من غيرها، فقد مال كثير من الطبيعيين إلى نظرية سينل، وذلك لما فيها من الملائمة للنظريات الفيزيائية في العصر الحاضر.

فرضية سينل

إنّ الرأي السائد بين الفيزيائيين على أنّ الكون كله مؤلف من أمواج كهربائية، وليست المادة إلاّ أمواج كهربائية قد اجتمعت في حيّز ضيّق، فاستخلص سينل من هذه الفرضية أنّ كل مادة في الكون تبعث ذبذبات وأمواجاً خاصة لا تدركها الحواس.

ومن الذين مالوا إلى هذه الفرضية دنكان-أستاذ العلوم الطبيعية بجامعة نيويورك-، والذي يؤيده هو أنّ المحاولات العلمية اكتشفت أنواعاً معينة من الأمواج الكهربائية تنطلق من دماغ كل إنسان، ومن ثم ذهب بعض العلماء إلى أنّ كل إنسان يطلق من رأسه أمواجاً دماغية خاصة به، وعليه فسبب الإحساس الخارق هو أنّ ناحية معينة من جسم الإنسان تتلقى أمواجاً كهربائية يتأثر بها من حيث لا يشعر.

وأُشكل على هذا التفسير بأنّ الأمواج تضعف عند بعد المسافة، وثبت عند العلماء أنّ الإحساس الخارق لا يتأثر بالمسافة، هذا أولاً، وثانياً، بأنه لما ثبت كون التنبؤ من جملة الظواهر الخارقة فلا يبقى مجال للاعتقاد بفرضية الأمواج، إذ لا يتصور صدور أمواج كهربائية مما لم يوجد بعد.

---

(١) لاحظ خوارق اللاشعور للدكتور علي الوردي: ١٥٠.

وكان الجواب عن الاشكال الأول هو أنّ سرعة الأمواج تختلف باختلافها طولاً وقصراً، فالموجة القصيرة لا يؤثر عليها البعد والقرب، وقد تكون الأمواج التي يطلقها دماغ الإنسان ويتلقاها من أقصر الأمواج.

وعن الثاني بأنّ التنبؤ يمكن أن يبنى على نظرية إينشتاين في الزمان، حيث ذهب إلى أنّ للفضاء أربعة أبعاد: الطول، والعرض، والارتفاع، والزمان، فللزمان في النظام الموضوعي للكون، كيان حقيقي، وليس هو اختراع أقررناه لنقيس أعمالنا، وهذا البعد لا يفترق عن سائر الأبعاد الثلاثة، غير أننا لا نعيه، لأنّ أدوات الإدراك قاصرة عن إدراكه.

وهذا الكلام من إينشتاين يعني أنّ التنبؤ عن المستقبل لا يختلف جوهره عن الإحساس بأشياء موجودة في الوقت الحاضر، فالنفس البشرية التي تستطيع أن تخترق حاجز المسافة المكانية بما لديها من قوى خارقة تستطيع أيضاً أن تخترق حاجز المسافة الزمانية بهذه القوى، وقد تبصر بهذه القوى شيئاً مغيّباً عنها في ثنايا المستقبل بنفس السهولة التي تبصر بها شيئاً مغيباً عنها في سائر الأبعاد الثلاثة من الفضاء.

فالأمواج الكهربائية على مختلف أنواعها تتحرك في فضاء ذي أربعة أبعاد، أي الأبعاد الثلاثة مضافاً إليها بُعد الزمان.

والقرائن التي تدل على صحة هذه النظرية هي:

أولاً: إنّ الأبحاث الفيزيائية الحديثة اكتشفت أنّ شعاع الضوء يظهر على شكل موجات تارة، وعلى شكل دفقات متتالية تارة أُخرى، وقد حار العلماء في تفسير هذا الازدواج العجيب في شخصية الشعاع الضوئي.

والمحتمل أننا حين نرى الضوء على شكل دفقات متتالية، إنما نستبين منه قمم الموجات في فضاء ذي أربعة أبعاد.

ثانياً: إنّ الأبحاث الذرية كشفت عن أنّ الالكترون يقفز داخل الذرة من مدار إلى آخر ولا يلتزم مداراً ثابتاً، وهو حين يقفز من مدار (١) آخر لا يمرّ بالمسافة التي تفصل بين المدارين، فإنه يختفي من مدا ي المدار الآخر، فأين يذهب أثناء القفز؟ الظاهر أنه يذهب في الزمان لأنه يسبح في فضاء

ذي أربعة أبعاد.

ثالثاً: إنّ الالكترون لا يخضع في سيره لقانون، بل إنما يسير سيراً عشوائياً في الظاهر.

وقد فسّر كثير من العلماء الحركة العشوائية في سير الالكترون بأنها ناتجة من قصورنا عن مراقبة حركته على نحو صحيح، وذلك لأننا نراقب ظل الالكترون فقط، ولا نستطيع أن نراقبه نفسه، لأنه سيتحرك في فضاء ذي أربعة أبعاد، ونحن نراقبه من خلال ثلاثة أبعاد، فهذه الفوضى التي نراها في سير الالكترون إنما ترجع إلى أننا لا نراه نفسه، وإنما نرى ظله، لأنّ ما يتحكم في سيره كامن في الزمان الذي هو بُعدٌ يخضع له الالكترون في سيره.

والحاصل أنّ فرضية سير الأمواج في فضاء ذي أربعة أبعاد، بناء على ما جاء به اينشتاين من المفهوم الجديد للزمان والمكان، لا نرى في قبولها صعوبة، وعلى هذا فالتنبؤ بحوادث المستقبل ليس مستحيلاً، لأنّ الأمواج الخفية التي تساعدنا على الإحساس الخارق لا يصعب عليها أن تتصل بالمستقبل وتكشف ما يحدث فيه، فهي تتحرك في كون ليس فيه مستقبل ولا ماضي.

فعليه إنّ هذه الظاهرة التي تشمل الرؤية عن بُعد، وانتقال الأفكار، والتنبؤ، أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره، وقد أذعن به كثير من العلماء المتقدم ذكر بعضهم، وسبق أنّ العلم الحديث يقبلها كحقيقة موضوعية بعد ما بحث عن ماهية هذه الظاهرة وحقيقتها، ووضع لتفسيرها تلك الفرضية، وهي وإن ثبت صحتها لكنها غير قادرة على تبيين حقيقتها وماهيتها، بل تبقى كحقيقة مجهولة في عالم الوجود، لأنّ العلم لا يعرف عن ماهية هذه الأمواج النفسية التي ثبت وجودها شيئاً، بل بإمكانه أن يوضّح لنا آليات عملها وحدوده[1].

فحيث كان العلم الحديث يقبلها كحقيقة موضوعية لا مراء فيها، وقد حاول جحافل العلم في كشف حقيقتها والتعرف على آلياتها، فلا محيص من الإذعان بوجودها بما لها من الآليات والآثار، والإعتراف بأنّ الإنسان مع كل

(١) هذه الدراسة قد اقتبست من خوارق اللاشعور للدكتور علي الوردي: ١٥٠-١٦٢.

الترقيات والكشفيات وصعوده إلى الفضاء و... لا يحيط بكل شيء علماً، بل لا تزال حقائق كونية والتي من جملتها ظاهرة الروح لا يصل إلى معرفتها العلم الحديث، فإنّ كل ما وصل إليه من التطورات العلمية والكشفيات كان ببركة شيء قليل من العلم الذي منحه الله تعالى للإنسان، فلا بدّ أن نرجع ونخضع إلى ما قاله الله تعالى في كتابه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

فقد جاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا(القائم)أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً[1].

وعلى هذا الضوء لا يبقى مجال لأحد من الباحثين وطالبي العلم لنكران ظاهرة الروح وقدرتها الفائقة بصرف أنه لا يعرف ماهيتها، لأنه سيكون حينئذ كالأعمى الذي ينكر وجود النور لأنه لا يراه.

وفي نهاية البحث عن حقيقة الروح وذكر ما ذهب إليه الكثير من علماء الأوساط المترقية في إثبات وجودها، وذكر الدليل العلمي لها، يجدر بنا الجواب عما يختلج في بعض الأذهان، من الاشكاليات في العلم بالغيب.

إشكاليات العلم بالغيب والاجابة عنها

قد يختلج في بعض الأذهان ما يتشبث به المخالفون من الشبهات، من أنّ النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام لو كانوا عالمين بالغيب لما مسّهم السوء وما عرضت لهم الأخطار والحوادث، وما قتلهم أو سمّهم الأعداء، والحال أنهم كانوا عرضة لهذه الأمور، كما صرّح به القرآن: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[2].

فالعاقل إذا علم بأنّ في الذهاب إلى مكان ما خطراً على نفسه أو ماله، أو

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١١٧، الخرائج والجرائح ٢: ٨١٤،وعنه في البحار ٢٥: ٣٣٦.

(٢) الأعراف: ١٨٨.

علم بأنّ في هذا المأكول سماً لاجتنبه حتماً، ولا يفرق في الحكم كيفية حصول العلم وطريقه، فالناتج مما تقدم أنّ عروض بعض المكاره والأخطار دليل على عدم اطلاع النبي والأئمةعليهم السلام على الغيب، لا من جانب أنفسهم ولا بإفاضة من غيرهم.

وبتعبير آخر: إنّ النبيصلى الله عليه وآله لو كان يعلم بأنّ اللحم مسموم لاجتنب منه وما أكله[1]، لأنّ أكله إلقاء للنفس في التهلكة، وهو منهي عنه.

ولو كان يعلم بما سيقع على أهل بيته من الظلم وغصب الخلافة وعدم العمل بالوصية لاتخذ تدابير تمنع من وقوع تلك الأمور وما ينتج منها من السلبيات العظيمة التي ما زال أثرها في العالم.

ولو كان يعرف المنافقين ونواياهم لطردهم أو لقتلهم حذراً من الفتنة، فقد أخبره الله تعالى عنهم فقال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ ...﴾[2].

ولو كان عليعليه السلام يعلم باغتياله والوقت والمكان الذي يقتل فيه، ومن يقتله، كما كان يخبر عنه كراراً، سيما في الليلة التي ضرب فيها، وكان رسول اللهصلى الله عليه وآله قد أنبأ عنه كراراً، فلماذا لم يتحذر منه؟وعندما أخبر القاتل عن نيته والسيف الذي كان يحمله، لماذا لم يأمر بأخذه وقتله حتى لا تقع تلك البلية؟ أليس هذا من إلقاء النفس في التهلكة الممنوع؟

ولو كان الحسن المجتبىعليه السلام يعلم بما صنعت زوجته من دسّ السم الذي أرسله معاوية إليها في الماء أو اللبن، لتحذّر منه ولم يشربه.

ولو كان الحسين بن عليعليهما السلام يعلم بما يصيبه من الأسى لما خرج ليوقع نفسه وأهله وعياله في التهلكه والأسر.

وهكذا ما أصاب سائر الأئمةعليهم السلام فإنهم لو كانوا يعلمون بما سيصيبهم من سوء لتحذّروا منه.

---

(١) هذا على اعتقادهم بأنهصلى الله عليه وآله أكل من الشاة المسمومة بعد خيبر.

(٢) التوبة: ١٠١.

فإما أن يُقال بعدم علمهم، أو الإذعان بأنهم قد ألقوا بأيديهم إلى التهلكة المنهي عنه.

وفي صعيد آخر إنّ نبذة من نبوءاتهم-مثل موت بعض الأشخاص وغيرها-قد ثبت في الخارج خلافها أو عدم تحققها، وهل هذا إلاّ دليل على عدم علمهم بالغيب؟.

ثم إنّ ما ورد في توجيه تخلّف تلك النبوءات من وقوع البداء وتغيّر النظر فيها هل يمكن توفيقه مع الاعتقاد بأزلية علم الله تعالى وأنه عالم بالأشياء قبل خلقها وجعلها؟.

الجواب: يقع الجواب عنها من وجوه لو انضمت بعضها إلى بعض لانحلّت الإشكاليات كلها، وهي كالتالي:

١ـ معاملة الناس بالظاهر

إنّ النبي والأئمة عليهم السلام كانوا مأمورين في سلوكهم مع الناس بالحكم على الظاهر ولم يلزم عليهم الحكم بعلمهم الواقعي، وهكذا سائر الأنبياء، فإنهم كانوا يعاشرون الناس على ما هم عليه من الغرائز البشرية ويأكلون ويشربون معهم ويتناسبون معهم كغيرهم، ولا يلحظون مقاماتهم العالية النورانية، كما قال: ﴿ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ...﴾[١]،وقد وصفهم الله بقوله: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾[٢]، وكانوا يُجرون حكم الإسلام على من أقرّ بالشهادتين وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت، ولو كان ظاهرياً، وكانوا يصدقون قول هؤلاء إن لم يثبت خلافه ظاهراً، وإن كان مخالفاً لعلمهم الواقعي، ومن ثم قال المنافقون: إنّه أُذن، وقد ردّ الله سبحانه عليهم وأيّد هذه الخصلة وأمضاها لنبيّه بقوله: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]، وكان شأن نزولها أنّ رجلاً كان ينقل كلمات النبي ﷺ

---

(١) فصلّت: ٦.

(٢) المؤمنون: ٣٣.

(٣) التوبة: ٦١.

للمنافقين، فنزل جبرئيل وأخبره بالأمر، فلما طلبه النبي واعترض عليه أنكر ذلك وحلف على عدم فعله، فقبل النبيﷺ عذره ظاهراً، ومن ثم جاء في المرويات الأمر في تصديق قول المؤمنين، واستُدِلّ فيها بهذه الآية.

فتبين أنّ النبيﷺ كان مأموراً بالظاهر، لمداراة الناس وجذبهم إلى الجادة القسطى، وبهذه الخصلة الكريمة تمكّن من تنفيذ ما أمره الله من هداية الناس وإنقاذهم من ظلمات الجهل والشرك.

ولولا المداراة والأخذ بالظاهر وتحمّل الأذى والغض عما كان يكنه المنافقون والانتساب مع بعضهم لما نجحت دعوة الإسلام.

على أنّ الحكم بالظاهر أمر عام إلهي ذو آثار عميقة في النظم العالمي والمنع من التشتت.

فقد أمر الله سبحانه المؤمنين بعدم التجسس وأن يجتنبوا كثيراً من الظن، وقد خاطب الناس كراراً في القرآن بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وهذا الخطاب شامل لكل من أجاب دعوة النبيﷺ ظاهراً ولو كان قلبه لم يعتقد به، وأمر المسلمين أن يقبلوا عذر الآخرين إن اعتذروا إليهم ولو ظاهراً، وأمر بعدم إظهار المعصية، وجعل إشاعة الفاحشة إثماً كبيراً، وإذا اتُهِم أحد بالزنا ولم تقم عليه الشهادة بأربعة عدول لايصح إجراء الحدّ عليه وإن كان في الواقع زانياً، وهذه الأمور وأمثالها دليل على أنّ الله سبحانه جرت حكمته بين الناس على الأخذ بالظاهر.

فإذا كان كذلك هل يجوز للنبيﷺ أن يتخلّف عن أمر الله، فلو أظهر مسلم أمراً ولا يوجد أيّ مانع شرعي من قبوله ولم يثبت كذبه ظاهراً، لا مناص من أن يصدّق ويُقبل منه ولوكان في الواقع كاذباً، وعلى النبي والإمام أيضاً تصديقه ولو كان في علمهم أنه كاذب.

وعليه فمادام لم يظهر جرماً ولم يرتكب جناية لا يحق لأحد ولا لنبي وإمام أن يحكم عليه بما ينويه أو يعاقب قبل تنفيذ نواياه، وهذا الأمر نافذ ماض في جميع الأمم وأنبيائهم، لا ترى فيه استثناء إلاّ بالنسبة للخضرؑ حيث كان مأموراً بالباطن والواقع المحض، إذ قتل الغلام وبنى الجدار وأغرق السفينة بأمر الله

تعالى، فاعترضه موسى لأنه كان مأموراً بالظاهر، وهكذا بالنسبة إلى من ادّخره الله لإقامة الحق وتجديد الفرائض والسنن واجتثاث الظلم والجور والطغيان الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه، فإنه أيضاً مأمور في سلوكه وحكومته بين الناس بالباطن والواقع المحض، لأنّ الله سبحانه وعد الأمم أن يملأ به الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وأن لا يبقي منافقاً ولا فاسقاً ولا ظالماً على وجه الأرض، فلهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يعمل بعلمه الباطني، حيث لا مناص من تحقق تلك الأمور على يده من العمل بالباطن.

وبهذا الجواب ترتفع كثير من الإشكاليات التي أُوردت على علم النبي والأئمة بالغيب، ومنه تتضح الحكمة في عدم عملهم على طبق علمهم تجاه بعض الحوادث والأمور التي عرضت لهم.

فمن المثال في قصة براء رئيس قبيلة بني عامر على ما ذكره بعض مؤرخي العامة: إنه جاء إلى النبيﷺ وطلب منه أن يبعث إليهم من يرشدهم إلى الإسلام ويعلّمهم أحكامه، فبعث النبيﷺ أربعين نفراً من المسلمين إلى نجد، فلما دخلوا فيها قتلوهم جميعاً، فإن الجواب عن هذه القصة-على فرض صحتها-أن النبي كان مأموراً بالظاهر، وحيث لم يظهر له ما يثبت كذب الرجل فعمل بالظاهر وأرسل إليهم تلك الفئة، وقُتلوا جميعاً من أجل الدين ونالوا بذلك ثواب الآخرة.

على أنّ النبيﷺ بعلمه اللدنّي كان يعلم آجالهم وخاتمة أعمارهم وما قُدّر لهم من الموت بالشهادة وإنه لا محيص من تحقق ما قدّره الله لهم، فهل يمكنهﷺ الفرار من قضاء الله بعدم إرسالهم إلى نجد؟ وهل للعباد أن يفرّوا من قدره ويخرجوا عن مملكته؟ وقد قال: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1].

وقس على هذه الوقعة سائر الوقائع التي عرضت للنبيﷺ والأئمة في حياتهم التي تشبّث المخالفون بها على نقض علمهم بالغيب، مع أنهم كانوا

---

(١) النساء: ٧٨.

مكلفين بالعمل على الظاهر.

فإنه ﷺ لو كان مكلفاً بالعمل بعلم النبوة في سلوكه مع الناس وأن يعامل كل شخص على باطنه أو على ما يصدر منه في المستقبل، للزم أن يبعّد أكثر الناس عنه وأن لا يسمح لهم في دخول المسجد، وأن يكون في أكثر أوقاته كئيباً محزوناً لما يعلم منهم من الجفاء والنفاق، وبذلك كان الإسلام قابعاً في موقعته لم يتقدم شيئاً في أرجاء العالم، لأنّ الإفصاح عن بعض الأمور وبيان مفاصلاتها لا يترتب عليه إلاّ التخلف والتمزّق وما به ضعف الاسلام وشماتة الاعداء.

فهل يجوز للنبي ﷺ قبل فعلية الارتداد من الذين علم بارتدادهم أن يجري عليهم حكم الارتداد وهو لا زال حياً؟

ثم إنّ النبي ﷺ كان يعلم من يظلم أهل بيته ويغصب حقهم من بعده، فهل كان له أن يطردهم من حوله أويؤاخذهم قبل الجناية ولايعتد بإيمانهم الظاهري؟ كلاّ إنّ علمه بمستقبلهم وما تكنّه صدورهم لا يقوده إلى تغيير سلوكه معهم، نعم اقتضت الحكمة والمصلحة-ومن أجل هداية الناس وتحذيرهم-بأن يخبر النبي ﷺ أو الإمام بعض الناس بما سيحدثونه في المستقبل بلا تغيير في سلوكهم ومعاشرتهم معهم أو الحكم بارتدادهم.

إنّ الزبير كان ابن عمة النبي ﷺ وابن أخ خديجة الكبرى ومن أصحاب النبي ﷺ ومن المجاهدين في سبيل الله، وقد انكسر سيفه في أحد الحروب فأعطاه النبي ﷺ خشبة ومرّ يده عليها فصارت من أحسن السيوف و جاهد مع النبي ﷺ مدّة حياته، وهكذا جاهد مع أمير المؤمنين عليه السلام ودافع عنه لما ارتدّ الكثير من الناس بعد النبي ﷺ ووقف أمام المؤتمرين موقفاً جريئاً، بيد أنّ النبي ﷺ أنبأ عن سوء عاقبته وأخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن خروجه في حرب الجمل عليه، وكان الزبير خائفاً حذراً من وقوع هذا الأمر، لأنّ النبي ﷺ أخبره: «**بأنك ستقاتله وأنت ظالم له**»[1]، ومع ذلك كله لم يعمل النبي ﷺ ولا أمير المؤمنين بما كانوا

---

(١) بشارة المصطفى للطبري: ٣٨٠، البحار ٢٣: ١٧٣عن الفضائل لابن مردويه، المناقب لابن شهر آشوب٢: ٣٤٠.

يعلمون من مصيره، بل فوّض النبي ﷺ بعض الأمور وما يرتبط بأمر الدين إليه، وقد أرسله مع أمير المؤمنين وجمع من المسلمين للقبض على ملك دومة الجندل، وكان الزبير من القليل الذين حضروا دفن فاطمة حين دفنت ليلاً.

وهذا السلوك من النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام يعني أنّ الشخص مادام لم يظهر منه خطأ وانحراف أو ارتداد لا يصح أن يُجرى عليه حكم ما سيبرز منه في المستقبل الذي كان معلوماً عندهم بعلم النبوة والإمامة، فهذا معنى ما قلنا بأنّ النبي والأئمة مأمورون بالظاهر.

ونظير قصة الزبير، ما أنبأ عنه النبي ﷺ وعلم به أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من جرائم بني أُمية وبني العباس وظلمهم وعدائهم لأهل بيت النبوة.

ونظيره أيضاً ما كان يعلمه بعض الأئمة من سوء عاقبة بعض عمالهم ووكلائهم الذين كانوا أمنائهم على بعض الأمور، ثم صدر منهم الخلاف والخيانة، فلو كان صحيحاً لحكموا عليهم قبل وقوع الخيانة أو الجناية أو الارتداد، أوقطعوا يد من علموا أنه سيسرق قبل السرقة، أو صح إجراء أحكام الإحرام لمن لم يُحرم بإحرام الحج أو العمرة بعدُ، بدليل العلم بأنه سوف يحرم في المستقبل!!!.

هذا أمر واضح البطلان لا يحتاج إلى دليل وبرهان، فلو كان هذا النوع من السلوك في الناس صحيحاً لعاقب الله من عباده من يعلم أنه سوف يرتكب المعاصي والظلم قبل ارتكابه، أو لنزّل العذاب على قوم مضى في علمه أنهم لا يهتدون قبل أن يُلقي الحجة عليهم و... .

فمن المضحك أن يقول أحد بهذه الأحكام التي هي خلاف سنة الله في العالم، بل تراه يأمر نبيه بمداراة الناس، كما جاء في الخبر عن الصادق عليه السلام أنه جاء جبرئيل إلى النبي ﷺ فقال: يامحمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: «دار خلقي»[1]، فإنّ سنته تعالى في عالم الإمكان أن تجري الأمور على بنيتها الظاهرية لا الواقعية، وإلا لاختل نظام الكون من أساسه واضطربت مقاييسه.

---

(١) الكافي ٢: ١١٧، وعنه في وسائل الشيعة ١٢: ٢٠٠، مشكاة الأنوار للطبرسي: ٣١١.

٢ـ مقام التسليم والعبودية

إنّ من عرف مقاماتهم النورانية ونفوسهم القدسية التي منها مقام التسليم والرضا الذي كان عند النبي والأئمةﷺ بحيث كانوا بلطفه وعنايته تعالى في أعلى مراتب التسليم والرضا والعبودية لله، تعرّف السرّ في انصياعهم لما يجري عليهم، وبذلك تصبح تلك الإشكالية فاقدة المصداقية.

على أنّ هذه الصفات قد جعلت فيهم أقوى الملكات والقابليات لكسب الكمالات والعلوم الإلهية وإحاطتهم على العوالم الغيبية، إلى حدّ لم يبلغ درجتهم أحد من الأنبياء والمرسلين ولا الملائكة المقربون، ولم يحط على مثل ما أحاطوا عليه من العلم والقدرة والسلطنة أحد غيرهم، وهي التي تُسمّى بالخلافة الإلهية والسلطنة والولاية الكلية، وهو الملك العظيم الذي منحهم الله به و حسدهم الناس عليه، فقال تعالى في كتابه: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[1].

فإنّ من لم يمتلك مقام التسليم والرضا، إذا علم بمقدّر إلهي تراه يمتنع من الانصياع له ويحاول الفرار من المقدرات الإلهية التي أُعدّت له أو لغيره ويسعى في صرفها وعدم تحققها، أو يطلب من الله تغييرها، ومن ثم لم يطلع الله على غيبه أحداً من الناس العاديين الذين لا يمتلكون مقام التسليم، لأنّ علمهم ببعض المقدرات والحوادث غير قابل للتحمل، بل يمكن أن يولّد آثاراً سلبية تبعدهم عن الله.

أمّا مقام الأنبياء والمرسلين خاصة خاتم الأنبياء وأشرفهم وأوصيائه المعصومينﷺ فبما أنهم بلغوا أعلى مراتب التسليم والرضا بحيث تراهم كالميت في يد الغسال، قد اطلعهم الله على غيبه وأخبرهم بما سيكون لهم ولغيرهم من المقدرات والحوادث، وتراهم قد انصاعوا وسلّموا ورضوا بالمقدرات الربانية وما تعلّقت به الحكمة الالهية من وقوع الحوادث عليهم وبروز المصائب والآلام لهم ولغيرهم، ولم يخالفوا ولم يجزعوا ولم يحاولوا في

---

(١) النساء: ٥٤.

الخلاص منها والتحذّر من وقوعها عليهم وعلى غيرهم.

هذا الإمام الحسين عليه السلام الممتحن المصاب بأعظم المصائب، تراه في مقام الشكر والرضا بما قدّره الله يقول: صبراً على قضائك لا إله سواك يا غياث المستغيثين»[1]، و يقال إنه عليه السلام تمثل بهذا الشعر:

تركت الخلق طراً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

ولو قطعتني في الحب إرباً ... لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

ولذلك وصفهم الله ومدحهم بتلك الصفات العالية بقوله: ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[2].

فمقام التسليم والرضا يقتضي أن لا يؤثّر العلم الباطني بالأمور والمقدرات على ظاهرهم، وأن يسيروا في حياتهم كسائر الناس الذين لا يعلمون بما سيحدث لهم من التقدير، وأن يسلّموا أمرهم إلى الله ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، هذا من جانب.

ومن جانب آخر إنّ علم النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام بحوادث المستقبل إنما يؤثر ويمكن الاحتراز منها إذا تعلّق بأمر ممكن غير واجب الوقوع، مثل أن يعلم أنه لو حضر في مكان معيّن ويوم معيّن وساعة كذا، قتل قطعاً، فلهذا العلم المعلق بكلمة(لو)تأثير خاص في ترك الحضور في المكان والوقت المعيّن، تحرّزاً من القتل.

وأمّا إذا تعلق العلم بأمر ضروري الوقوع وواجب التحقق عند الله فلا أثر له في التحرّز من ذلك الأمر ولا يؤثر فيه تدبير، فإنّ مثل هذه المقدرات لا تحتمل التخلف، بل هي واقعة في سلسلة نظام القضاء الحتمي الإلهي، كما ورد في القرآن: ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾[3]، وورد: ﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾[4]، فعلم النبي

---

(١) ينابيع المودة ٣: ٨٢ عن مقتل الحسين لأبي مخنف.

(٢) الأنبياء: ٢٧.

(٣) الأنفال: ٤٢.

(٤) مريم: ٢١.

والأئمة عليهم السلام بالحوادث والمصائب التي مضى فيها قضاء الله وتعلقت بها مصلحته وحكمته لا يؤثر في دفعها والحيلة في عدم الوقوع فيها، بل لابدّ من تسليم الأمر إليه تعالى والسير والعمل في مثل هذه الأمور كالجاهل الذي لا علم له بالضرر، ولمكان التسليم والرضا تراهم لا يخالفون في تقديره ولا يطلبون منه تغييره.

ويشهد لما قدّمنا ما جاء عنهم عليهم السلام، فقد قال حمران لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك أرأيت ما كان من أمر علي والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله وما أُصيبوا من قتل الطواغيب إياهم والظفر بهم حتى قُتلوا وغُلبوا؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إنّ الله تبارك وتعالى كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه ثم أجراه، فبتقدّم علم ذلك إليهم من رسول الله قام عليّ والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منا[1].

وعن حريز قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما أقلّ بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة الناس إليكم؟ فقال عليه السلام: إنّ لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته، فإذا انقضى ما فيها مما أُمر به عرف أجله قد حضر، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله، وإن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أُعطيها، وفُسّر له ما يأتي بنعي وبقي فيها أشياء لم تقض، فخرج للقتال، وكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لها ومكثت تستعدّ للقتال وتتأهب لذلك حتى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته وقتل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا رب أذنت لنا في الإنحدار وأذنت لنا في نصرته، فانحدرنا وقد قبضته، فأوحى الله إليهم: أن ألزموا قبره حتى تروه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته فإنكم قد خُصّصتم بنصرته وبالبكاء عليه، فبكت الملائكة تعزّياً وحزناً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج يكونون أنصاره[2].

وبهذا البيان يندفع الإشكال على الاعتقاد بعلمهم وإحاطتهم بجميع

---

(١) الكافي ١: ٢٨١ كتاب الحجة ح٣.

(٢) الكافي٢: ٢٨٣ - ٢٨٤ كتاب الحجة ح ٥.

الأمور والحوادث، وعدم خفاء شيء عليهم، بأنهم لو كانوا يعلمون لاحترزوا مما وقع عليهم من الحوادث والبليات، لحرمة إلقاء النفس في التهلكة.

لأنه إذا كان العلم بها بما أنها ضرورية التحقق وقد مضت في علم الله وحكمته، فالابتلاء بها ليس من قبيل إلقاء النفس في التهلكة، بل هو وقوع فيها، كما صرح الله تعالى بقوله: ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾[1].

فهذا الجواب بضميمة ما تقدم من تسليمهم الكامل ورضاهم تجاه تقديرات الله وأوامره يدفع جميع الإشكاليات التي وردت من جهة لزوم الاحتراز ودفع الشر.

وأمّا ما ورد في القرآن من قوله: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ فهو ناظر إلى ما قدمناه من البيان، فإنّ المراد من ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ الغيب النفسي الذاتي الاستقلالي.

ومن ﴿ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ أي اخترت أنفع الأمور وأصلحها، لأنّ من كان علمه نفسياً استقلالياً فهو مختار أيضاً لا يختار الشرّ والضرر ولا يسمح لأن يمسه السوء، خلافاً لمن علمه إفاضي وتبعي فهو غير مخيّر في الإنتخاب فيما إذا كان متعلّق علمه من الحتميات، فهو تابع لما يوحى إليه، فينظّم مسيره طبقاً لما أوحي إليه، وبما أنّ ما أُوحي إليه حتمي لا تخلّف فيه، إذن يصيبه من الخير والشرّ ما قُدّر له، فحينئذ لا يكون مسّ الشرّ والمصائب دليلاً على عدم علمه بالمغيبات، حيث لا أثر للعلم وعدمه بالمقدرات الحتمية في الوقاية والاجتناب منها.

ونظيره تفسير ما ورد في الآيات والمرويات من قوله: ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ ﴾ أو ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ ﴾، وأمثال هذه الكلمات التي يُستدلّ بظاهرها على عدم العلم بالغيب، فإنّ المراد منها هو نفي العلم الذاتي الاستقلالي الذي لم يقل أحد في امتلاكه لغير الله سبحانه وتعالى.

---

(١) آل عمران: ١٥٤.

وكيف يُجترء في نسبة عدم العلم إليهم مع ما تقدم من الأدلة والآيات البينات والمرويات الصريحة في إحاطتهم العلمية على جميع المغيبات واطلاعهم على ما كان ويكون إلى يوم القيامة وعلمهم بأعمال العباد كما قال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقد دلّت الأحاديث الصحيحة على أنّ المراد من ﴿ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ هم الأئمة الطاهرون عليهم السلام[2].

إشكالية التخلّف

وأمّا ما ورد من الإشكال في علمهم صلوات الله عليهم أجمعين من ناحية عدم تحقق بعض النبوءات أو وقوع خلافها في الخارج.

فالجواب عنه: إنّ تلك الأمور لا تنافي علمهم بالمغيبات وإحاطتهم بها من جانب الله تعالى، فإنّ لله تعالى -كما ورد في المرويات- علمين، علم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علّمه ملائكته ورسله، فما علّمه ملائكته ورسله فإنه سيكون، لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدّم منه ما يشاء ويؤخّر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء[3].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدّم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء[4].

وقال الصادق عليه السلام: إنّ لله علمين، علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو، من ذلك يكون البداء وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبيائه فنحن نعلمه[5].

وقد سُئل الإمام الباقر عليه السلام عن ليلة القدر، فقال: تنزل فيها الملائكة والكتبة إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما هو كائن في أمر السنة وما يصيب العباد فيها، قال: وأمر موقوف لله تعالى فيه المشيئة يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وهو قوله

---

(١) التوبة: ١٠٥.

(٢) أنظر أصول الكافي ١: ٢١٩ باب عرض الأعمال.

(٣) أنظر أصول الكافي ١: ١٤٧ ح ٦.

(٤) الكافي ١: ١٤٧ ح ٧.

(٥) أصول الكافي ١: ١٤٧ ح ٨

تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1].

فتحصّل مما تقدم: أنّ ما يشاهد من التقدم والتأخر والتخلف في انطباق النبوءات، كله بسبب وقوع البداء الذي قد اختص علمه بالله سبحانه، والذي يسمّى بلوح المحو والإثبات الذي لم يطلع عليه غيره، وقد أطلع غيره على أمّ الكتاب.

بيان آخر: إنّ لله سبحانه قضاءان، القضاء المحتوم: وهو الذي يكون التقدير فيه مبرماً قطعياً لا يقع فيه التغيير والتبدّل، وهو الذي عبّر عنه القرآن بسنة الله، إذ قال: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[2].

وهذا النوع من القضاء لا يعني أنّ الله سبحانه عاجز عن تبديله، بل معناه إنّ حكمته الأزلية اقتضت أن تكون هذه سنته وهذا قضاءه في الكون، فإنه تعالى اقتضت حكمته أن يخلق الخلق وقضى أن يجعل الإنسان مختاراً في أفعاله، إن شاء فليؤمن وإن شاء فليكفر -كما جاء في القرآن[3]-، وقضى أن يدخل الجنة من آمن وعمل الصالحات وأن يدخل النار من كفر واجترح السيئات، وقضى على خلائقه الموت، ومن أقضيته الحتمية أن كتب على نفسه الرحمة والعدل بين العباد و... .

فهذه الأقضية هي التي عبّر عنها القرآن بقوله: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾، فهي تقديرات محتومة لا تُبدّل ولا يعرض عليها التغيير بالصدقة والدعاء و... .

القضاء غير المحتوم

وهو ما يكون التقدير الإلهي فيه موقوفاً ومعلقاً على شيء، مثل أن يقدّر الله على شخص الموت في سنة الأربعين، و يعلّق موته على عدم دفع الصدقة

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٠ ح ٥٨، وعنه في البحار ٤: ١٠٢ ح ١٤.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف: ٢٩.

أو عدم برّ الوالدين أو نحوه من أنحاء البرّ، فإذا تحقق الشرط بأن لم يدفع الصدقة ولم يبرّ والديه ولم يأت بشيء من عمل البرّ تراه يموت في ذلك العمر المعين، وأمّا إذا تصدّق أو وصل رحمه أو برّ والديه أو قضى حوائج الناس أو تضرّع إلى الله في الدعاء بطول العمر، فإنّ الله يغيّر أجله ويمدّ في عمره.

ومثله إذا قضى الله موته بسبب مرض فيما إذا لم يراجع الطبيب ولم يتّخذ العلاج، لكن إذا اتخذ العلاج واستمرّ عليه يرتفع عنه القضاء ويغيّر أجله، كما أنّ الصدقة والدعاء وصلة الرحم تردّ القضاء.

وعلى ضوء هذا البيان يتضح الفرق في المقدرات الإلهية، فمنها ما هو حتمي لا يقع فيه البداء، وهو مقام أم الكتاب الذي لا يتأثر بالدعاء والصدقة ولا بشيء من أعمال البرّ والشرّ، وقد عبّر عنه القرآن بسنة الله الثابتة، ومنها ما يتطرق عليه البداء ويتغير بالصدقة والدعاء والأعمال الصالحة، فعمل الإنسان صالحه أو طالحه له تأثير وافر في مصيره المعلق على الشرائط والموانع، وهذا النوع من القضاء داخل في نطاق لوح المحو والإثبات، الذي هو معنى البداء الذي لم يُطلع عليه أحداً غيره، وفي ما تقدّم من الأحاديث وأمثالها بيان لهذه الحقيقة الثابتة في قضاء الله، من أنّ له تعالى قضائين، حتمي وغير حتمي.

ومهما يكن من أمر فقد وردت أحاديث كثيرة فيها توضيح عملي وتطبيقي حول تأثير الأعمال الصالحة والطالحة التي يأتي بها الإنسان على القضاء المعلق.

منها: ما جاء عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنّ المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة، وإنّ المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى»**، قال الراوي: وكان جعفر يتلو هذه الآية: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1].

ومن طرق العامة، في ظلال قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٢٠، وعنه في البحار ٤: ١٢١ ح ٦٦.

﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ عن عليؑ أنه سأل رسول اللهﷺ عن هذه الآية، فقال له: **«لأقرّنّ عينيك بتفسيرها ولأقرّنّ عين أمتي بتفسيرها، الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين، واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر، ويقي مصارع السوء»**[1].

و عن ابن عباس، عنهﷺ: **«لا ينفع الحذر من القدر، لكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر»**[2].

وفي سنن ابن ماجة عن رسول اللهﷺ أنه قال: **«لا يردّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرّ، وإنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»**[3].

وقد ورد لفظ البداء أيضاً في مرويات العامة، حيث أطلقه رسول اللهﷺ في حديث الأقرع والأبرص والأعمى، فقال: «بدا اللهﷻ أن يبتليهم»[4]، ومن هذه الأحاديث وغيرها يعلم أنّ الاعتقاد بالبداء والتلفظ به ليس من مختصات الشيعة.

وفي تفسير القرطبي سُئل ابن عباس: كيف يزاد في العمر والأجل؟ قال: قال اللهﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ﴾، فالأجل الأول أجل العبد من حين ولادته إلى حين موته، والأجل الثاني -يعني المسمى عنده- من حين وفاته إلى يوم يلقاه في البرزخ لا يعلمه إلا الله، فإذا اتقى العبد ربه ووصل رحمه، زاده الله في أجل عمره الأول من أجل البرزخ ما شاء، وإذا عصى وقطع رحمه، نقصه الله من أجل عمره في الدنيا ما شاء فيزيده من أجل البرزخ...[5].

وفي حديث آخر: **«إنّ الدعاء والقضاء ليعتلجان بين السماء والأرض»**[6].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ٤: ٦٦ و كنز العمال ٣: ٤٤٣.

(٢) مستدرك الحاكم ٢: ٣٥، الدر المنثور ٤: ٦٦.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٣٥ ح ٩٠، وج٢: ١٣٣٤ ح ٤٠٢٢.

(٤) النهاية في غريب الحديث١: ١٠٩، وعنه في البحار٤: ١٢٣، وانظر صحيح البخاري٤ ١٤٦.

(٥) تفسير القرطبي٩: ٣٣٠-٣٣١، والآية في سورة الأنعام: ٢.

(٦) تفسير ابن كثير ٢: ٥٣٨.

وفي هذا الصعيد وردت أخبار تطبيقية، منها: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله فقال: السام عليك، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «عليك» فقال أصحابه: إنما سلّم عليك بالموت، فقال الموت عليك؛ فقال صلى الله عليه وآله: «وكذلك رددت» ثم قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في قفاه فيقتله» قال: فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «ضعه» فوضع الحطب فإذا أسود في جوف الحطب عاضّ على عود، فقال: «يا يهودي ما عملت اليوم»؟ قال: ما عملت عملاً إلا حطبي هذا حملته فجئت به وكان معي كعكتان، فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بها دفع الله عنه» وقال: «إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان»[1].

ومنها: ما روي عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلاناً الملك: أني متوفّيه إلى كذا وكذا، فأتاه ذلك النبي فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير، وقال: يا رب أجّلني حتى يشبّ طفلي وأقضي أمري، فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن ائت فلاناً الملك فأعلمه أني قد أنسيت أجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة؛ قال ذلك النبي: يا ربّ إنك لتعلم أني لم أكذب قطّ فأوحى الله عز وجل إليه إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يُسأل عما يفعل»[2].

ومنها: ما رواه شعيب العقرقوفي، قال: قال لي أبو الحسن عليه السلام مبتدأً من غير أن أسأله عن شيء: يا شعيب غداً يلقاك رجل من أهل المغرب يسألك عني، فقل: هو والله الإمام الذي قال لنا أبو عبد الله عليه السلام، فإذا سألك عن الحلال والحرام فأجبه مني، فقلت: جعلت فداك فما علامته؟ قال: رجل طويل جسيم، يقال له: يعقوب، فإذا أتاك فلا عليك أن تجيبه عن جميع ما سألك فإنه واحد قومه، فإن أحبّ أن تدخله إليّ فأدخله.

---

(١) الكافي ٤: ٥ ح ٣، وعنه في البحار ٤: ١٢١ ح ٦٦.

(٢) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام، وعنه في البحار ٤: ٩٥ ح ٢.

قال: فوالله إني لفي طوافي إذ أقبل إليّ رجل طويل من أجسم ما يكون من الرجال فقال لي: أريد أن أسألك عن صاحبك، فقلت: عن أيّ صاحب؟ قال: عن فلان بن فلان، قلت: ما اسمك؟ قال: يعقوب، قلت: ومن أين أنت عرفتني؟ قال: أتاني آت في منامي: ألق شعيباً فسله عن جميع ما تحتاج إليه، فسألت عنك فدُللت عليك، فقلت: اجلس في هذا الموضع حتى أفرغ من طوافي وآتيك إن شاء الله تعالى، فطفت ثم أتيته فكلمت رجلاً عاقلاً، ثم طلب إليّ أن أدخله على أبي الحسن عليه السلام، فأخذت بيده فاستأذنت على أبي الحسن عليه السلام فأذن لي.

فلمّا رآه أبو الحسن عليه السلام قال له: يا يعقوب قدمت أمس، ووقع بينك وبين أخيك شرّ في موضع كذا وكذا حتى شتم بعضكم بعضاً، وليس هذا ديني ولا دين آبائي، ولا نأمر بهذا أحداً من الناس، فاتّق الله وحده لا شريك له، فإنكما ستفترقان بموت، أمّا أخوك سيموت في سفره قبل أن يصل إلى أهله، وستندم أنت على ما كان منك، وذلك أنكما تقاطعتما فبتر الله أعماركما، فقال له الرجل: فأنا جعلت فداك متى أجلي؟ فقال: أمّا إنّ أجلك قد حضر حتى وصلت عمتك بما وصلتها به في منزل كذا وكذا فزيد في أجلك عشرون.

قال: فأخبرني الرجل ولقيته حاجاً أنّ أخاه لم يصل إلى أهله حتى دفنه في الطريق[1].

وقد لاحظت عزيزي القارئ في هذه الأحاديث ما للصدقة والدعاء وقطيعة الرحم وصلتها من تأثير على المقدرات وتغيير القضاء المعلق، وبان لك ما فيها من عدم التنافي بين علم النبي والأئمة بالغيب وإخبارهم عنه وتغيير القضاء الإلهي فيما هو داخل في لوح المحو والإثبات-أو قل: البداء-، وجهة عدم التنافي أنّ البداء علمه مختص بالله سبحانه، فإذا أنبؤا عن شيء فعلمه من الله، وهو صادق لا خلاف فيه ولا يجوز تكذيبه، حتى إذا وقع البداء فيه، لأنّ ما أخبروا به من قضاء وقدر إذا كان من الموقوفات، فلا يأمن من البداء وتبديله.

ومن ثم روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال: لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم

---

(١) رجال الكشي: ٢٧٦وعنه في البحار ٤٨: ٣٥، مناقب ابن شهر آشوب ٣: ٤١٢، الاختصاص: ٨٩.

بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1].

وهذا الكلام يدل على سعة علمهم صلوات الله عليهم أجمعين وإحاطتهم بجميع الأمور والحوادث إلى يوم القيامة، وإنه لولا المحو والإثبات لبينوها كلها، وفيه تلويحٌ على أنّ ما ذكروه من النبوءات ليس من المحتومات، وما كان منها من المحتومات تراهم قد أشاروا إليه.

فلماذا التنبؤ

الحكمة في الإنباء عن بعض الأمور-كما يبدو-هو أن يجعلوا الناس على حذر كي لا يقعوا فيها، حيث إنّ كثيراً منها مقدرات موقوفة يمكن السعي والجدّ في التخلص منها وتغييرها بالدعاء والصدقة وضروب البرّ والعمل الصالح.

هذا بالنسبة إلى بعضها، وأمّا بالنسبة إلى بعضها الآخر، فالحكمة فيها جعل الإنسان على أمل ورجاء في ظهور الفرج من الله وشمول الرحمة الإلهية، ويكون على تهيؤ واستعداد لإدراك ما وعده الله، ونفس هذا الحال فيه عظيم الثواب ومن أفضل العبادة، وفي بعضها تصير سبباً لتقوية الإيمان والتوكل على الله ورسوخ الاعتقاد بالنصر والغلبة من الله سبحانه.

بخلاف ما لو كانت جميع المقدرات حتمية لا يعرض عليها المحو والإثبات، وجفّ القلم بما جرى لكل إنسان إن كان سعيداً فسعيد وإن كان شقياً فشقي، فإنه يصير سبباً لليأس والقنوط من رحمة الله، وعندئذ لا يتوب العاصي عن معصيته، بل يستمرّ في ما هو عليه لاعتقاده بأنّ الشقاء قد كتب عليه ولن يتغيّر حاله، ويترك العبادة والاجتهاد في الأعمال الصالحة ونيل السعادة، والفرار من الشقاوة، فإنّ الإنسان إذا علم أنّ العمل لا تأثير له في القضاء ترك المحاولات.

ولهذا الأصل البنّاء أصبح الاعتقاد بظاهرة البداء من ميّزات الإيمان ومن

---

(١) الاحتجاج ١: ٣٨٤ عن الأصبغ بن نباتة، وعنه في البحار ٤: ٥٩٧.

مرجحات العباد المؤمنين على غيرهم.

هذا وقد وردت في الحث على الاعتقاد بالبداء روايات كثيرة، وماسيوافيك نبذة منها.

أهمية البداء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام

روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: ما عُظّم الله عز وجل بمثل البداء[1].

ولعل أحد جهات التعظيم هو أنّ الاعتقاد بالبداء يلزم منه الاعتقاد بقدرته المطلقة وعدم محدوديتها، كما ورد في القرآن: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[2].

وعن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال:ما عُبِد الله عز وجل بشيء مثل البداء[3].

وبديهي أنّ الاعتقاد به يوجب الالتجاء إلى الله أكثر فأكثر، والتضرّع به وكثرة الاستغفار والعبادة و... .

وعن الصادق عليه السلام قال: ما بعث الله عز وجل نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد، وأنّ الله يقدّم ما يشاء ويؤخّر ما يشاء[4].

وعنه أيضاً قال: ما تنبأ نبي قطّ حتى يقرّ لله تعالى بخمس: بالبداء، والمشيئة، والسجود، والعبودية، والطاعة[5].

وعنه أيضاً قال: لو يعلم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه عليه السلام[6].

وبشأن معالجة الالتباس الذي يمكن أن يسنح لبعض الجهال نتيجة الالتفات إلى ظاهر المعنى اللغوي ونسبة الجهل إلى الله سبحانه، وبصدد رفع الاتهامات الواردة من بعض المغرضين-سيما شيخ المشككين-في اعتقاد

---

(١) الكافي ١: ١٤٦ ح ١، التوحيد للصدوق: ٣٣٣، وعنه في البحار ٤: ١٠٧ ح ١٩.

(٢) الرحمن: ٢٩.

(٣) التوحيد للصدوق: ٣٣٢، وعنه في البحار ٤: ١٠٧.

(٤) التوحيد للصدوق: ٣٣٣، وعنه في البحار ٤: ١٠٨: ١٠٨.

(٥) الكافي١: ١٤٨ ح١٣.

(٦) التوحيد للصدوق: ٣٣٤، وعنه في البحار٤: ١٠٨.

الشيعة بالبداء، نقول: قد اتفقت الأمة الإسلامية على امتناع المعنى اللغوي[١] للبداء في حقه سبحانه، وهو مما يجزم العقل والنقل ببطلانه، ومن نسب ذلك إلى الشيعة، فقد افترى عليهم كذباً كسائر الافتراءات التي لا تبتني على منطق وبرهان وهم براء منها، كما تبرّء أئمتهم منها، وقد تظافرت روايات أهل البيت عليهم السلام في درء هذه الشبهة ببيان واضح لا ظلام فيه، ومعها يظهر كذب المفترين ولا يحتاج إلى التوسع في الجواب.

فقد قال منصور بن حازم، سألت أبا عبد الله عليه السلام: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق[٢].

وروي عنه عليه السلام أنه قال: إنّ الله يقدّم ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب، وقال عليه السلام: فكل أمر يريده فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلاّ وقد كان في علمه، إنّ الله لا يبدو له من جهل[٣].

هذه نبذة من الروايات المتكاثرة الصريحة التي تبدي معتقد الشيعة في البداء من نفي الجهل عنه سبحانه.

ومن جانب آخر فإنه مع وجود الآيات الصريحة التي تثبت له البداء-أو قل التغيّر والتبدّل-مثل قوله تعالى: ﴿ يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾، وقوله: ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[٤]، وغيرها.

ومع وجود الأحاديث المتكاثرة المستفيضة التي وردت من الفريقين-وقد تقدم نقل بعضها من العامة أيضاً-وصراحتها في ثبوت التغيّر والتبدّل والمحو والإثبات لله تعالى، كما في حديث الأقرع والأبرص والأعمى، والأحاديث الواردة

---

(١) وهو ظهور الشيء بعد خفائه وحصول العلم بالشيء بعد الجهل به.

(٢) الكافي ١: ١٤٨ ح ١١.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢١٨، وعنه في البحار ٤: ١٢١ ح ٦٣.

(٤) الرعد: ١١.

من طرقهم في تأثير الصدقة والدعاء والأعمال الصالحة على القدر والقضاء، ووجود الأحاديث التطبيقية في هذا المجال، مثل حديث دعاء النبي على اليهودي وإخباره بأنه سيقتله الأسود، ومثله خبر عيسىعليه السلام، وما رواه السيوطي عن عليعليه السلام في ظلال آية: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ...﴾ المتقدمة.

فلامحيص من أن نقرّ بهذا الأمر في حقه تعالى، ونفسّر كلمة البداء بنحو لا تمسّه تعالى شائبة الجهل والنقصان، بل توجب تعظيمه اللائق بشأنه وقدرته.

وهو أن نقول طبقاً لما يستفاد من مرويات مدرسة أهل البيتعليهم السلام: إنّ المراد بالبداء هو إنّ الله سبحانه يقدّر لعبده تقديراً طبقاً لمقتضٍ معيّن، ثم يبدّل تقديره على غرار مقتضٍ جديد يظهر في العبد نتيجة عمل معيّن يقوم به، مع علمه السابق في كلا الأمرين والحالين.

هذا ما تعتقده الإمامية في البداء ولو أمعنت النظر في معنى البداء لتجد نفس المعنى موجوداً في النسخ، غير أنّ النسخ يقع في التشريع والبداء يقع في التكوين لا غير، فكما أنّ النسخ حقيقة لا منكر لها، كذلك البداء لا مناص من الإذعان به أيضاً، فإذا وقع في النسخ إشكال وجواب، فنفسه يأتي في البداء ولا موجب للتفريق بينهما.

وهذا التفسير للبداء مما اتفق عليه المسلمون، ولا نزاع فيه إلاّ من حيث اللفظ الذي لابدّ من استخدامه بالمعنى الاصطلاحي المجازي، كما قد استخدم غيره أيضاً في القرآن[1].

وإن أبيت إلاّ استخدام المعنى اللغوي والجمود على ظاهر اللفظ، وقعت في المحذور الذي لا يليق[2] بشأنه تعالى، وضاهيت اليهود في تحديدهم قدرة الله، وقولهم إنّ الله قد فرغ من أمر الخلق، وإنّ يده مغلولة، كما حكى عنهم القرآن.

---

(١) مثل قوله تعالى: الله يستهزئ بهم... ومكر الله... وليبلوكم... ولنعلم... ويد الله... ووجه الله... وجنب الله إلى غير ذلك من الألفاظ المجازية الموهمة بظاهرها لبعض المعاني الباطلة التي لا تليق بشأنه تعالى.

(٢) فإنّ البداء في مصطلح علماء العقائد الإسلامية: بدا لله في أمر، أي ظهر له في ذلك الأمر ما كان خافياً على العباد، ومن توهّم غير هذا المعنى فهو في خطأ فاحش.

وإليك أقوال بعض علماء الشيعة في البداء وما فيها من فضيحة المفترين.

نبذة من أقوال علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

يقول الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد: ليس البداء كما تظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة -تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً- ولكن يجب علينا أن نقرّ لله تعالى بأنّ له البداء، معناه أنّ له أن يبدء بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدء بخلق غيره، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة، وعدة المتوفى عنها زوجها، ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت مّا إلاّ وهو يعلم أنّ الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك، ويعلم أنّ في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم، فمن أقرّ لله تعالى بأنّ له أن يفعل ما يشاء ويؤخّر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويؤخّر ما يشاء كيف يشاء فقد أقرّ بالبداء، وما عظّم الله تعالى بشيء أفضل من الإقرار بأنّ له الخلق والأمر والتقديم والتأخير، وإثبات ما لم يكن، ومحو ما قد كان، والبداء هو ردّ على اليهود،لأنهم قالوا: إنّ الله قد فرغ من الأمر، فقلنا: إنّ الله كل يوم في شأن، يحيي ويميت، ويرزق، ويفعل ما يشاء، والبداء ليس من ندامة، وإنما هو ظهور أمر، تقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي ظهر، وقال الله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ أي ظهر لهم، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره، أو متى ظهرله قطيعة رحم نقص من عمره، ومتى ظهرله من عبد إتيان الزنا نقّص من رزقه وعمره، ومتى ظهر له منه التعفّف عن الزنا زاد في رزقه وعمره...[1].

ويقول الشيخ الطوسي رحمه الله: البداء حقيقته في اللغة هو الظهور، ولذلك يقال: بدا لنا سور المدينة وبدا لنا وجه الرأي... فأما إذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله تعالى، فمنه ما يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز، فأما ما يجوز من

---

(١) التوحيد للصدوق: ٣٣٦، وعنه في البحار ٤: ١٠٨.

ذلك، فهو ما أفاد النسخ بعينه ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسع، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقين عليهما السلام من الأخبار المتضمنة لإضافة البداء إلى الله تعالى، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن، ويكون وجه إطلاق ذلك فيه تعالى التشبيه، وهو أنه إذا كان ما يدل على النسخ يظهر به للمكلفين ما لم يكن ظاهراً لهم ويحصل لهم العلم به، بعد أن لم يكن حاصلاً لهم، أطلق على ذلك لفظ البداء[1].

ويقول المحقق السيد محمد باقر الداماد رحمه الله: البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع، فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفية نسخ فهو في الأمر التكويني والمكوّنات الزمانية بداء، فالنسخ كأنه بداء تشريعي، والبداء كأنه نسخ تكويني، ولا بداء في القضاء ولا بالنسبة إلى جانب القدس الحق والمفارقات المحضة من ملائكته القدسية، وفي متن الدهر الذي هو ظرف مطلق الحصول القارّ والثبات البات ووعاء عالم الوجود كله، وإنما البداء في القدر وفي امتداد الزمان الذي هو أفق التفصّي والتجدّد، وظرف التدريج والتعاقب، وبالنسبة إلى الكائنات الزمانية ومن في عالم الزمان والمكان وإقليم المادة والطبيعة، وكما أنّ حقيقة النسخ عند التحقيق إنتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه من وعاء الواقع، فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ انبتات استمرار الأمر التكويني وانتهاء اتصال الإفاضة، ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة، لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه وبطلانه في حدّ حصوله[2].

ويقول السيد شرف الدين في أجوبته عن مسائل جار الله: حاصل ما تقوله الشيعة هنا: إنّ الله ينقص من المرض وقد يزيد فيه، وكذا الأجل والصحة والمرض والسعادة و الشقاء والمحن والمصائب والإيمان والكفر وسائر الأشياء،

---

(١) عُدّة الأصول ٣: ٢٩.

(٢) البحار ٤: ١٢٦ عن نبراس الضياء للسيد الداماد أقول: قوله: «البداء في القضاء» أي القضاء الحتمي، كما يستفاد من سائر كلماته وبقرينة مقابلته بالقدر، حيث فرّق بينهما.

كما يقتضيه قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهذا مذهب عمر بن الخطاب وابن مسعود وأُبيّ وأبي وائل وقتادة، وقد رواه جابر عن رسول الله ﷺ.

وكان كثير من السلف يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء لا أشقياء، وقد تواتر ذلك عن أئمتنا عليهم السلام في أدعيتهم المأثورة.

وجاء في كتب السنن الكثيرة: إنّ الصدقة على وجهها، وبرّ الوالدين واصطناع المعروف يحوّل الشقاء سعادة ويزيد في العمر[1]، وصحّ عن ابن عباس، أنه قال: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر[2].

ثم قال: هذا هو البداء الذي تقول به الشيعة، تجوّزوا في إطلاق البداء عليه بعلاقة المشابهة... فالنزاع في هذه بيننا وبين أهل السنة لفظي... وما يقوله الشيعة من البداء بالمعنى الذي ذكرناه يقول به عامة المسلمين...[3].

ويقول السيد الخوئي في تفسير البيان: البداء إنما يكون في القضاء الموقوف المعبّر عنه بلوح المحو والإثبات، والالتزام بجواز البداء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه، وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله.

فالقول بالبداء هو الاعتراف الصريح بأنّ العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأنّ إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، بل وفي القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين، فعلم المخلوقين- وإن كانوا أنبياء وأوصياء-لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإنّ بعضاً منهم وإن كان عالماً- بتعليم الله إياه-بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه، فإنه لا يعلم بمشيئة الله تعالى-لوجود شيء-أو عدم مشيئته إلاّ حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم... .

---

(١) أنظر كنز العمال ٢: ٤٤١ وص ٤٤٣.

(٢) المستدرك للحاكم ٢: ٣٥٠ في تفسير سورة الرعد.

(٣) أجوبة مسائل جار الله: ١٠١ – ١٠٣.

ثم قال:وعلى الجملة: فإنّ البداء بالمعنى الذي تقول به الشيعة الإمامية هو من الإبداء «الإظهار» حقيقة، وإطلاق لفظ البداء عليه مبني على التنزيل والإطلاق بعلاقة المشاكلة، وقد أُطلق بهذا المعنى في بعض الروايات من طرق أهل السنة.

روى البخاري بإسناده عن أبي عمرة، أنّ أبا هريرة حدّثه أنه سمع رسول اللهﷺ يقول: إنّ ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأعمى وأقرع، بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً، فأتى الأبرص...».

وقد وقع نظير ذلك في كثير من الاستعمالات القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2].

وما أكثر الروايات من طرق العامة في أنّ الصدقة والدعاء يغيّران القضاء.

ثم قال: أما ما وقع في كلمات المعصومينعليهم السلام من الإنباء بالحوادث المستقبلة، فتحقيق الحال فيها: أنّ المعصوم متى ما أخبر بوقوع أمر مستقبل على سبيل الحتم والجزم ودون تعليق، فذلك يدلّ أنّ ما أخبر به مما جرى به القضاء المحتوم، وهذا هو القسم الثاني «الحتمي» من أقسام القضاء المتقدمة، وقد علمت أنّ مثله ليس موضعاً للبداء، فإنّ الله لا يكذّب نفسه ولا نبيه، ومتى ما أخبر المعصوم بشيء معلقاً على أن لا تتعلق المشيئة الإلهية بخلافه، ونصب قرينة متصلة أو منفصلة على ذلك، فهذا الخبر إنما يدلّ على جريان القضاء الموقوف الذي هو موضع البداء.

والخبر الذي أخبر به المعصوم صادق وإن جرى فيه البداء، وتعلقت المشيئة الإلهية بخلافه، فإنّ الخبر -كما عرفت- منوط بأن لا تخالفه المشيئة.

ثم روى عن العياشي[3]، عن عمرو بن الحمق أنه قال: دخلت على

---

(١) الأنفال: ٦٦.

(٢) الكهف: ٧.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢١٧، وعنه في البحار ٤: ١١٩.

أمير المؤمنين عليه السلام حين ضُرِب على قرنه، فقال لي: يا عمرو إني مفارقكم، ثم قال: سنة السبعين فيها بلاء... فقلت: بأبي أنت وأمي قلت: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ قال: نعم يا عمرو إنّ بعد البلاء رخاء... وذكر آية ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ...﴾[1].

فما قدمناه بين يدي القارئ هي نبذة مما ذهب إليه علماء الإمامية في البداء، ولا تجد من يعتقد غيره من العلماء، وهو كما ترى نفس ما يعتقده سائر المسلمين في البداء، فمن نسب غير هذا الاعتقاد إلى الشيعة لا تراه إلاّ مغرضاً متعمداً على الإفتراء.

إلى هنا نختم البحث عن علم الغيب وما ورد فيه من الاشكاليات والجواب عنها، وقد تناولناه لما فيه من الأهمية والارتباط بأصل التنبؤ، حيث لم يكن محيصاً من إثبات الأصل أولاً، ثم الاستعراض لما كنا بصدده من ذكر نبوءات الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وعرضها على التاريخ عرضاً تطبيقياً، وبما أنّ نبوءاته صلى الله عليه وآله مكتسبة من الله تعالى، سواء كان بالوحي القرآني أو غيره، وسواء كان بالإلهام أو المنام، فتشمل حتى النبوءات القرآنية، غير أنّ هدفنا تخصيص الكتاب بالنبوءات غير القرآنية، لأنّ القرآنية منها تحتاج إلى كراس مستقل.

وهكذا تشمل نبوءات وصي الرسول المصطفى ووارث علمه أمير المؤمنين عليه السلام وسائر أوصيائه وورثته المعصومين عليهم السلام، لأنها مكتسبة منه ومن الله تعالى، فما ذكروه عليهم السلام من النبوءات، هي نفسها نبوءاته، فلا يصح التفريق بينها، وعلماً بهذا الأصل ستوافيك بعض النبوءات منهم في ضمن نبوءات النبي صلى الله عليه وآله أو مستقلة فيما يناسب المقام، ومن الله التوفيق.

---

(١) البيان في تفسير القرآن – للسيد الخوئي: ٣٩١ – ٣٩٤.

الفصل الثاني

في نبوءاته قبل الهجرة

و نبوءاته بعد الهجرة

إبتداء نبوءته ﷺ

بدأت نبوّة الرسول المصطفى ﷺ عندما كان في حراء يعبد ربه ﷻ، فقد روى جابر بن عبد الله الأنصاري عنه ﷺ أنه قال: «**إني جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت بين يدي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أرَ شيئاً، ثمّ نظرت إلى السماء فإذا هي على العرش في الهواء، فأخذتني رعدة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثّروني، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ حتّى بلغ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾**»[1].

وفي شرح ما سنح له ﷺ حينما بدأ به الوحي وشاهد من تعظيم الكائنات له وسائر العجائب، قال عليّ بن محمّد عليه السلام: وأمّا تسليم الجبال والصخور والأحجار عليه، فإنّ رسول الله ﷺ لما ترك التجارة إلى الشام، وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كلّ يوم إلى حراء يصعده، وينظر من قُلله إلى آثار رحمة الله وأنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أكناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار ويتذكر بتلك الآيات ويعبد الله حق عبادته.

فلمّا استكمل أربعين سنة ونظر الله ﷻ إلى قلبه فوجده أفضل القلوب وأجلّها وأطوعها وأخشعها وأخضعها، أذن لأبواب السماء ففُتِحت، ومحمد ﷺ ينظر إليها، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد ﷺ ينظر إليهم، وأمر بالرحمة فأُنزلت عليه من لدن ساق العرش إلى رأس محمد وغمرته، ونظر إلى جبرئيل الروح الأمين المطوّق بالنور، طاووس الملائكة هبط إليه، وأخذ بضبعه وهزّه، وقال: يا محمد اقرأ.

قال: «**وما أقرأ؟**» قال: يا محمد ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ثمّ أوحى إليه ما أوحى إليه ربه ﷻ، ثمّ صعد إلى العلو، ونزل محمد صلّى الله عليه وآله من الجبل

---

(١) سيرة ابن كثير ١: ٤١٣.

وقد غشيه من تعظيم جلال الله، وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه به الحُمّى والنافض[١].

وجاء في رواية أخرى: إنّ الله أنزل جبرائيل وميكائيل عليهما السلام ومع كلّ واحد منهما سبعون ألف ملك، وأتى بالكراسي ووضع تاج على رأس محمد ﷺ وأعطاه لواء الحمد بيده، فقال: اصعد عليه واحمد الله، فلمّا نزل عن الكرسي توجه إلى خديجة فكان كل شيء يسجد له، ويقول بلسان فصيح: السلام عليك يا نبي الله، فلمّا دخل الدار صارت الدار منورة، فقالت خديجة: وما هذا النور! قال: «هذا نور النبوة، قولي لا إله إلاّ الله محمد رسول الله»، فقالت: طال ما قد عرفت ذلك، ثمّ أسلمت، فقال: «يا خديجة إنّي لأجد برداً» فدثّرت عليه، فنام فنودي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾، فقام وجعل اصبعه في أُذنه وقال: «الله أكبر الله أكبر» فكان كل موجود يسمعه يوافقه[٢].

نبوءاته ﷺ قبل الهجرة

الإنباء عن الصحيفة الظالمة

عند تصفّح كتب السيرة والتاريخ منذ بعثة النبي ﷺ إلى حين هجرته لم نعثر على نبوءات منه ﷺ إلاّ قليلاً، ولعل السبب هو عدم وجود أرضية مناسبة لذلك.

فمنها: الإخبار عن الصحيفة الظالمة قائلاً: «إنّ الصحيفة قد لحستها الأرضة».

وذلك لمّا علمت قريش أنّهم لا يقدرون على قتل الرسول المصطفى ﷺ، وأنّ أبا طالب لا يسلّمه، كتبت الصحيفة القاطعة الظالمة على ألا يتبايعوا مع أحد من بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يعاملوهم حتّى يدفعوا إليهم محمداً فيقتلوه، وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتم، ثمّ

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ١٥٦-١٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام ١: ٤٣، وعنه في البحار ١٨: ١٩٦-١٩٧.

حاصرت قريش رسول الله ﷺ وأهل بيته من بني هاشم وبني عبد المطلب في الشعب، فظلّ ومن معه في الشعب ثلاث سنين، وقد أنفق رسول الله ﷺ جميع ما كان يمتلكه، وهكذا أنفق أبو طالب عليه السلام، وخديجة عليها السلام مالهما، حتّى صاروا إلى حدّ الضُرّ والفاقة.

فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: **«إنّ الله بعث الأرضة على صحيفة قريش فأكلت كلّ ما فيها من قطيعة وظلم إلاّ المواضع التي فيها ذكر الله»**.

فخبّر رسول الله ﷺ أبا طالب بذلك، فخرج أبو طالب ومعه النبي وأهل بيته حتّى صار إلى الكعبة، فجلس بفنائها وأقبلت قريش من كلّ أوب، فقالوا: قد آن لك يا أبا طالب أن تذكر العهد وأن تشتاق إلى قومك وتدع اللجاج في ابن أخيك.

فقال لهم: يا قوم احضروا صحيفتكم فلعلّنا أن نجد فرجاً وسبباً لصلة الأرحام وترك القطيعة ؛ فأحضروها وهي بخواتيمهم، فقال: هذه صحيفتكم على العهد لم تنكروها؟ قالوا: نعم، قال: فهل أحدثتم فيها حدثاً؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فإنّ محمداً أعلمني عن ربّه أنّه بعث الأرضة فأكلت كلّ ما فيها إلاّ ذكر الله؛ أفرأيتم إن كان صادقاً ماذا تصنعون؟ قالوا: نكفّ ونُمسك.

قال: فإن كان كاذباً دفعته إليكم تقتلونه، قالوا: قد أنصفت وأجملت؛ وفُضّت الصحيفة فإذا الأرضة قد أكلت كلّ ما فيها إلاّ مواضع بسم الله، عزّ وجلّ، فقالوا: ما هذا إلاّ سحر، وما كنا قطّ أجَدّ في تكذيبه منا ساعتنا هذه، وأسلم يومئذ خلق من النّاس عظيم، وخرج بنو هاشم من الشعب وبنو عبدالمطلب فلم يرجعوا إليه[1].

الإنباء بولادة الزهراء عليها السلام وأنّ الله سيجعل من نسلها أئمة

إنّ السيدة فاطمة عليها السلام ولدت في السنة الخامسة من بعثة النبي ﷺ، وقيل في السنة الثانية، والأصحّ هو الأوّل، وعاشت عليها السلام مع أبيها ﷺ بمكة ثمان سنوات،

---

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي٢: ٣٢، سيرة ابن كثير٢: ٤٨– ٦٩، الطبقات الكبرى ١: ١٨٩و٢١٠.

ثمّ هاجرت معه إلى المدينة، فتزوجت بعلي عليه السلام في السنة التاسعة من عمرها، وتُوفّيت شهيدة ولها ثمان عشر سنوات، وقد وقع الخلاف في مدة مكثها بعد أبيها، فأقلّ ما قيل: هو أربعون يوماً، وأكثر ما قيل هو ستة أشهر، فما ورد من بعض العامة في أنّ ولادتها عليها السلام كان قبل المبعث ناجم عن أغراض نفسية، أو أحقاد قبلية تبتغي وراء ذلك أن تنقّص من عظمة الحوراء الإنسية، وتقلّل من نورانية الزهراء المرضية، ومن ثمّ لم يقرّوا بأنّها ولدت في نور الإسلام وأنّ نورها قد انتقل من ثمار الجنّة في صلب أبيها، وتناسوا ما ورد عن رسول الله ﷺ لمّا اعترضته عائشة في كثرة تقبيل فاطمة عليها السلام واحترامه إيّاها، فقالت له: أتحبّها يا رسول الله؟ قال: «**أما والله لو علمت حبّي لها لازددت لها حبّاً، إنّه لمّا عرج بي إلى السماء... أخذ جبرئيل بيدي فأدخلني الجنّة... فإذا أنا برُطب ألين من الزبد، وأطيب رائحة من المسك، وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها، فتحولت الرطبة نطفة في صلبي، فلمّا أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فإذا اشتقت إلى الجنّة شممت رائحة فاطمة**»[1].

وكانت فاطمة عليها السلام تؤنس أُمّها وتحدّثها -وهي في بطنها- وتذهب عنها ما نزل بها من هجرة نساء قريش إياها.

ففي أمالي الصدوق أنه سأل المفضل بن عمر الصادق عليه السلام عن كيفية ولادة فاطمة عليها السلام فقال: نعم إنّ خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله ﷺ هجرتها نسوة مكة فكنّ لا يدخلن عليها، ولا يسلّمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك، وكان جزعها وغمّها حذراً عليه ﷺ، فلمّا حملت بفاطمة كانت فاطمة عليها السلام تحدّثها من بطنها وتصبّرها، وكانت تكتم ذلك من رسول الله ﷺ، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدّث فاطمة عليها السلام فقال لها:

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٥٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٥، علل الشرائع: ١٨٣ ح٢، وفي رواية: «أتاني بتفاحة من تفاح الجنة...»، وفي رواية أُخرى: «أدناني من شجرة طوبى وناولني من ثمارها...»والروايات في هذا الصعيد كثيرة رواها الفريقان فراجع.

«يا خديجة من تحدّثين؟» قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: «يا خديجة هذا جبرائيل يبشّرني أنها أنثى وأنّها النسلة الطاهرة الميمونة وأنّ الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه»[1].

الإنباء بانتشار الإسلام وعلوّه

لمّا أسلم جمع كثير من بني هاشم وبني عبد المطلب وغيرهم بعد الإنذار يوم الدار، أخذت قريش في تهديد من أسلم من بني هاشم وغيرهم وقد وقف أمامهم أبو طالب عليه السلام فقال: والله لننصرنّه ثم لنعيننّه، وقال للنبي ﷺ: يابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح، فلما رأت قريش هذه الوقفة من أبي طالب أخذت بإيذاء من استضعفته من المسلمين وتعذيبهم بأنواع العذاب، فكان ممن عُذّب في الله عمّار بن ياسر وأبوه وأُمه سمية، حتّى قتل أبو جهل سمية وكانت أول شهيد في الإسلام، ومنهم: خباب بن الأرت، وصهيب و... .

قال خباب: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت له: ألا تدعو الله؟

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٩٠ح١، وعنه في البحار ٤٣: ٢، وبمضمونه مختصراً في ذخائر العقبى: ٤٤، ووسيلة المآب للحضرمي: ٧٧، ونزهة المجالس للصفوري ٢: ٢٢٧ ط القاهرة، وينابيع المودة ٢: ١٣٣ح٣٨١، وضمن حديث في تجهيز الجيش للدهلوي: ٩٩، وعنه في شرح إحقاق الحق ١٠: ١٢.
وقد ورد في حديثها عليها السلام مع أمها عليها السلام وتسليتها وهي في بطنها من طرق العامة روايات أخرى، منها: ما رواه الحريفش في الروض الفائق: ٢١٤ ط القاهرة: أنّ خديجة تمنّت يوماً من الأيام على سيّد الأنام أن تنظر إلى بعض فاكهة دار السلام، فأتى جبرئيل إلى المفضل على الكونين من الجنة بتفاحتين، وقال: يا محمد، يقول لك من جعل لكل شيء قدراً: كل واحدة واطعم الأخرى لخديجة الكبرى، فاغشها، فإني خالق لكما فاطمة الزهراء، ففعل المختار ما أشار به الأمين وأمر.
فلما سأله الكفار أن يريهم انشقاق القمر-وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر-قالت خديجة: واخيبة من كذّب محمداً، وهو خير رسول ونبي! فنادت فاطمة من بطنها: يا أماه لا تحزني ولا ترهبي فإنّ الله مع أبي، فلمّا تمّ أمد حملها وانقضى وضعت فاطمة، فأشرق بنور وجهها الفضاء.

فقعد وهو محمرّ وجهه فقال: «قد كان من كان قبلكم ليمشّط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقّ باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه».

ثم أنبأ عن مستقبل الاسلام والمسلمين، فقال: «وليتمنّ الله هذا الأمر حتّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه» وفي لفظ:(على غنمه)، وفي رواية قالﷺ: «إنكم لتستعجلون لقد كان الرجل ممن كان...»[1].

نبوءاتهﷺ عمّا رآه وسمعه ليلة الإسراء

وذلك كثير لا يسع الكتاب ذكره، وكان من أعظم الأمور والآيات الكبرى التي أنبأ عنها الرسول المصطفىﷺ هو إعلام خلافة أميرالمؤمنين ووصايته من قبل الله تعالى، وإيصاء الأنبياء نبينا محمداًﷺ في عليعليه السلام، واشتياق أهل السماء له.

فمنها: ما قاله الله للنبيﷺ: «...من خلّفت في قومك حين وفدت إليّ؟» قال: «فقلت: من أنت أعلم به مني، أخي وابن عمّي وناصري ووزيري وعيبة علمي ومنجز عداتي».

قالﷺ: «فقال لي ربي: وعزتي وجلالي وجودي ومجدي وقدرتي على خلقي لا أقبل الإيمان بي ولا بأنّك نبيّ إلا بالولاية له، يا محمد أتحبّ أن تراه في ملكوت السماء؟ قال: فقلت: ربي؛ وكيف لي به وقد خلّفته في الأرض؟ قال: فقال لي: يا محمد إرفع رأسك، قال: فرفعت رأسي وإذا أنا به مع الملائكة المقربين مما يلي السماء الأعلى، قال: فضحكت حتّى بدت نواجدي، قال: فقلت: يا ربّ اليوم قرّت عيني، قال: ثمّ قيل لي: يا محمد، قلت: لبيك ذا العزة لبيك، قال: إنّي أعهد إليك في علي عهداً فاسمعه، قال: قلت: ما هو يا رب؟ فقال: عليٌ راية الهدى، وإمام الأبرار، وقاتل الفجار، وإمام من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، أورثته علمي وفهمي، فمن أحبه فقد أحبني، ومن

---

(١) أنظر تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٨، سيرة ابن كثير ١: ٤٩٦.

أبغضه فقد أبغضني، إنه مبتلى ومبتلى به فبشّره بذلك يا محمد...».

وقال ﷺ: «التفتُّ فإذا برجال يقذف بهم في نار جهنم، قال: فقلت: من هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال لي: هؤلاء المرجئة والقدرية والحرورية وبنو أمية والنواصب لذريتك العداوة، هؤلاء الخمسة لا سهم لهم في الإسلام...».

وكان مما رأى أن لاقى الأنبياء والمرسلين وصلّى بهم، وقد أوصوه بعليّ عليه السلام، فلما أصبح ﷺ بعث إلى أنس بن مالك فدعاه، فلما جاءه قال له رسول الله ﷺ: «أُدع عليّاً» فأتاه، فقال: «يا عليّ أبشّرك؟» قال: بماذا؟ قال: «لقيت أخاك موسى وأخاك عيسى وأباك آدم صلى الله عليهم، فكلّهم يوصي بك» قال: فبكى عليٌّ، وقال: الحمد الله الذي لم يجعلني عنده منسياً، ثمّ قال: «يا عليّ ألا أبشّرك؟» قال: قلت: بشّرني يا رسول الله، فقال: «يا عليّ نظرت بعيني إلى عرش ربّي جلّ وعزّ فرأيت مثلك في السماء الأعلى، وعهد إليّ فيك عهداً» قال: بأبي وأمي يا رسول الله أوَكلّ ذلك كانوا يذكرون إليك؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «إنّ الملاء الأعلى ليدعون لك وإنّ المصطفين الأخيار ليرغبون إلى ربّهم جلّ وعزّ أن يجعل لهم السبيل إلى النظر إليك، وأنت تشفع يوم القيامة، وإنّ الأمم كلّهم موقوفون على جرف جهنم» قال: فقال علي: يا رسول الله فمن الذي كانوا يُقذف بهم في نار جهنم؟ قال: «أولئك المرجئة والحرورية والقدرية وبنو أمية ومناصبيك العداوة يا عليّ هؤلاء الخمسة ليس لهم في الإسلام نصيب...»[1].

وفي رواية عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطاني الله تعالى خمساً، وأعطى علياً خمساً: أعطاني جوامع الكلم، وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلني نبياً، وجعله وصياً، وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام، وأسرى بي إليه، وفتح لي أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه» قال: ثمّ بكى رسول الله ﷺ فقلت له: ما يبكيك فداك أبي وأمي؟.

---

(١) لاحظ تمام الحديث في كتاب اليقين: ٢٨٨-٢٩١، رواه بالاسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام عنه ﷺ، وعنه في البحار ١٨: ٣٩٠ - ٣٩٤ ح ٩٨ وج ٢٧: ٣٦٢ ح ٤٦.

فقال: «يا ابن عباس أول ما كلّمني به أن قال: يا محمد أنظر تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت، وإلى السماء قد فتحت، ونظرت إلى علي وهو رافع رأسه إليّ، فكلّمني وكلّمته، وكلّمني ربيﷻ» فقلت: يا رسول الله بمَ كلّمك ربك؟ قال: «قال لي: يا محمد إني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه، فها هو يسمع كلامك فأعلمته وأنا بين يدي ربيﷻ، فقال لي: قد قبلت وأطعت».

فأمر الله الملائكة أن تسلّم عليه، ففعلت فردّ عليهم السلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء إلا هنؤوني، وقالوا لي: يا محمد والذي بعثك بالحق لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف اللهﷻ لك ابن عمك، ورأيت حملة العرش قد نكّسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل لِمَ نكّس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمد ما من ملك من الملائكة إلا وقد نظر إلى وجه علي بن أبي طالب استبشاراً به، ما خلا حملة العرش، فإنهم استأذنوا اللهﷻ في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى علي بن أبي طالب فنظروا إليه، فلما هبطتُ جعلتُ أخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أني لم أطأ موطئاً إلا وقد كشف لعلي عنه حتّى نظر إليه...»[1].

وفي هذا الصعيد أحاديث كثيرة وردت من طرق الفريقين، كلها تذكر ما أنبأ به النبيﷺ عن أمير المؤمنين﵇ نكتفي بسرد هذا القليل منها.

وقد أنبأﷺ صبيحة الإسراء عما رأى في طريقه، فقال: «مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً، وإذا إناء فيه ماء وقد غطّوا عليه فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ورددت الغطاء كما كان، وآية ذلك أنّ عيرهم الآن تقبل من موضع كذا يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى زرقاء» فابتدر القوم الثنية فوجدوا ما وصف، وسألهم عن الإناء فوجدوا الأمر كما قال[2].

وإلى هذه الوقعة أشار الامام موسى بن جعفر﵇ -وهو ابن خمس سنين-

---

(١) أمالي الطوسي: ١٠٥، وعنه في بشارة المصطفى: ٧٧-٧٩، والبحار ١٨: ٣٧٠.

(٢) أعلام النبوة: ١٥٧، وقريب منه في سيرة ابن كثير٢: ٩٧، سيرة ابن هشام٢: ٢٧٢، وغيرها.

عند ما طلب اليهود منه أن يخبرهم بالآيات التي أُعطيها رسول الله ﷺ فأخبرهم بها إلى أن قال: ومن ذلك أنه ﷺ أخبر -صبيحة الليلة التي أسري به- عما رأى في سفره، فأنكر ذلك بعض وصدّقه بعض، فأخبرهم بما رأى من المارة والممتارة، وهيأتهم ومنازلهم وما كان معهم من الأمتعة، وأنه رأى عيراً أمامها بعيرٌ أورق، وأخبرهم بأنه يطلع يوم كذا من العقبة مع طلوع الشمس، فغدوا يطلبون تكذيبه للوقت الذي وقّته لهم، فلما كانوا هناك طلعت الشمس، فقال بعضهم: كذب الساحر، وأبصر آخرون بالعير قد أقبلت يقدمها الأورق، فقالوا: صدق، نعم قد أقبلت[1].

ثم إنّ إحدى الحِكَم فيما أنبأهم عنه ﷺ وقد رأوا تحققه سريعاً هو أن يكون شاهد صدق لما أنبأهم به من العجائب والآيات التي رآها عند عروجه إلى السماء، خاصة ما رآه وسمعه من فضائل علي عليه السلام.

و قال الإمام الصادق عليه السلام: لما أُسري برسول الله ﷺ أتاه جبرئيل بالبراق فركبها، فأتى بيت المقدس فلقي من لقي من إخوانه من الأنبياء، ثمّ رجع فأصبح يحدّث أصحابه: «**إني أتيت بيت المقدس الليلة، ولقيت إخواناً من الأنبياء**» فقالوا: يا رسول الله! وكيف أتيت بيت المقدس الليلة؟ فقال: «**جاءني جبرئيل عليه السلام بالبراق فركبته، وآية ذلك أني مررت بعير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد أضلوا جملاً لهم أحمر، وقد همّ القوم في طلبه**» قال: فقال القوم بعضهم لبعض: إنما جاء راكب سريع، ولكنكم قد أتيتم الشام وعرفتموها، فسلوه عن أسواقها وأبوابها وتجارها، فقالوا: يا رسول الله كيف الشام؟ وكيف أسواقها؟ قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُئِل عن الشيء لا يعرفه شُقّ عليه حتّى يُرى ذلك في وجهه، قال: فبينما هو كذلك إذ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك، فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو بالشام بأبوابها وأسواقها وتجارها، فقال: «**أين السائل عن الشام؟**» فقالوا له: فلان وفلان، فأجابهم في كل ما سألوه عنه، فلم يؤمن منهم إلاّ قليل، وهو قول الله: ﴿ وَمَا

---

(١) قرب الاسناد: ٣٢٧ – ٣٢٨، وعنه في البحار ١٧: ٢٣٣، الأورق: ما في لونه بياض إلى سواد.

تُغْنِي ٱلْآيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، ثم قال أبوعبد اللهعليه السلام: فنعوذ بالله أن لا نؤمن بالله ورسوله: آمنا بالله وبرسوله، آمنا بالله وبرسوله[1].

الإنباء عن انتصار المسلمين و مستقبل المشركين

وقولهﷺ لأبي جهل: «فوَ الله لتضحكنّ قليلاً ولتبكينّ كثيراً»

فقد مرّ النبيﷺ على أبي جهل وأبي سفيان، وهما جالسان، فقال أبو جهل: هذا نبيكم يا بني عبد الشمس، قال أبو سفيان: وتعجب أن يكون منا نبي! فالنبي يكون فيمن أقلّ منا وأذلّ، فقال أبو جهل: أعجب أن يخرج غلام من بين شيوخ نبياً!

ورسول اللهﷺ يسمع، فأتاهما فقال: «أما أنت يا أبا سفيان، فما لله ورسوله غضبت ولكنك حميت للأصل، وأمّا أنت يا أبا الحكم، فوَ الله لتضحكنّ قليلاً ولتبكين كثيراً» فقال: بئسما تعدني يا بن أخي من نبوتك[2].

فكان كل ما أنبأهما عنه، فإنّ أبا سفيان قد عادى رسول الله عدواناً شديداً وتحمل النبي منه ومن قومه أذىً كثيراً، وما كان كلامه في جواب أبي جهل لله، وأمّا أبو جهل فقد تحقق ما أنبأه رسول الله من قتل أولاده وأعزته في بدر العظمى.

و من أذاهم للنبيﷺ أنّه كان يصلي إذ جاء عقبة بن معيط فألقى سلا الجزور[3] على ظهره وأخذ الملأ من قريش يتضاحكون، فلم يزل ساجداً حتّى أتت فاطمةعليها السلام فألقته عن ظهره، وعند ذاك قال رسول اللهﷺ: «اللهم عليك

---

(١) الكافي ٨: ٣٦٤ ح٥٥٥، وعنه في تفسير العياشي ٢: ١٣٧ح ٤٩ ا، والبحار ١٨: ١٤٣ باختلاف يسير، والآية في سورة يونس: ١٠١، وفي قوله: «رفعت لي الشام» يحتمل أن يكون ظهورصورة الشام ومثالها، ويحتمل انّ نفس هذه البلدة ظهرت له بإزالة الحائل بينه وبينها أوبنقلها من محلها إلى قريب، وهذه من آيات قدرته تعالى في الكون، وهي ليست بأوّل آية أراها للناس، فإنه تعالى نقل بلقيس وعرشها على بعد مكانها بأقلّ من طرفة عين.

(٢) سيرة ابن كثير ١: ٥٠٧، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٨٣.

(٣) السلا: هو الذي يخرج مع ولد الناقة كالمشيمة لولد المرأة.

بهذا الملاء من قريش، اللهم عليك بعتبة بن ربيعة، اللهم عليك بشيبة بن ربيعة، اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، اللهم عليك بعقبة بن معيط، اللهم عليك بأبيّ بن خلف-أو أمية بن خلف-».

قال عبد الله راوي الحديث: فلقد رأيتهم قُتلوا يوم بدر جميعاً، ثمّ سُحبوا إلى القليب غير أُبيّ أو(أمية)، فإنه كان رجلاً ضخماً فتقطّع[1].

وعن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: كنت عند رسول اللهﷺ يوم أقبل أبو جهل لعنه الله، وهو يقول: ألست تزعم أنك نبي مرسل وأنك تعلم الغيب والله يخبرك بما تفعله، هل تخبرني بشيء فعلته لم يطّلع عليه بشر؟ فقالﷺ: **«لأخبرنّك بما فعلته... والذهب الذي دفنته في بيتك في موضع كذا وكذا، ونكاحك سودة، هل كان ما قلت؟»**، فأنكر، فقالﷺ: **«لئن لم تقرّ لأظهرنّ ذلك»**.

فعلم أنه سيظهره، فقال: قد علمت أنّ معك رجلاً من الجن يخبرك بجميع ما نفعله، فلا أقول إنك نبي أبداً، فقالﷺ: **«لأقتلنّك ولأقتلنّ شيبة ولأقتلنّ عُتبة، ولأقتلنّ الوليد بن عتبة ولأقتلنّ أشراركم، ولأقطعنّ دابركم ودابر مخزوم، ولأوطينّ الخيل بلادكم، ولآخذنّ مكة عنوة ولتدينّ لي الدنيا شرقها وغربها، وليعاديني قوم من قريش يكونوا طلقائي وطلقاء هذا وذريتي يمتعهم الله إلى حين والعاقبة بالنصر لرجل من ذريتي»** فتولى عنه أبو جهل عليه اللعنة وهو كالمستهزي، ففعل الله بهم ذلك[2].

وامرأته حمالة الحطب

وقد أنبأﷺ في أم جميل وقد قصدته بسوء: **«إنها لن تراني»**.

فقد روي عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: لما نزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٧١، صحيح مسلم ٥: ١٨٠، السنن الكبرى للنسائي ٥: ٢٠٣، وعنهم في أعلام النبوة للماوردي: ١٧٠، قال راوي الحديث(عبد الله): ما رأيت رسول الله دعا على قريش غير يوم واحد، وساق الحديث، وأقول: من اليقين إنهﷺ لو كان يعلم في أحد منهم خيراً، أو بخروج مؤمن منهم، لما دعا عليهم قطعاً مع كل الأذى.

(٢) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ١٠٤.

وَتَبَّ﴾ جائت العوراء أم جميل، ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول مذمّم أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر،فقال أبو بكر: يا رسول الله قد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك، فقال: **«إنها لن تراني»** وقرأ قرآناً فاعتصم به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾، قال: فجائت حتى قامت على أبي بكر ولم تر النبي ﷺ، فقالت: يا أبا بكر أُخبرت أنّ صاحبك هجاني؟ فقال: لا وربّ هذا البيت ما هجاك، فانصرفت وهي تقول: قد علمت قريش أني بنت سيدها[1].

قال أبو جعفر عليه السلام بعد ذكر هذه القصة: ضرب الله بينهما حجاباً أصفر، وكانت تقول له ﷺ مذمّم، وكذا قريش كلهم؛ فقال النبي ﷺ: **«إنّ الله أنساهم اسمي وهم يعلمون، يسمون مذمّماً وأنا محمد»**[2].

قوله ﷺ لأبي جهل: «سيخرج من صلبك ذرية طيبة: عكرمة ابنك...»

إنّ أصحاب المعارضة ضد النبي كانوا يطلبون منه الآيات والخوارق مع إصرارهم على عدم الإيمان، والنبي لمكان علمه بمقاصدهم لم ينفّذ طلباتهم إلا قليلاً، ففي وقفة له ﷺ معهم-ضمن حديث طويل-قال أبو جهل: يا محمد، هاهنا واحدة ألست زعمت أنّ قوم موسى احترقوا بالصاعقة لما سألوه أن يريهم الله جهرة؟ قال: «بلى».

قال: فلو كنت نبياً لاحترقنا نحن أيضاً، فقد سألنا أشدّ مما سأل قوم موسى، لأنهم كما زعمت قالوا: ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ونحن نقول: لن نؤمن لك حتّى تأتي بالله والملائكة قبيلاً نعاينهم، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا جهل أما علمت**

---

(١) مسند أبي يعلى١: ٥٤، تفسير ابن كثير٣: ٤٧، فتح القدير للشوكاني٣: ٢٢٣، تفسير مجمع البيان ١٠: ٤٧٧، وعنه في البحار ١٨: ١٧٥.وقريب منه عن ابن عباس باختلاف يسير، وفيه أنه قال: لما انصرفت قلت: يا رسول الله لم تراك؟! قال: «لا، لم يزل ملك يسترني منها بجناحه»، ولاحظ تاريخ دمشق ٦٧: ١٧٣، صحيح ابن حبان ١٤: ٤٤٠.

(٢) مجمع البيان للطبرسي ١٠: ٤٧٧، وعنه في البحار ١٨: ٧٣.

قصة إبراهيم الخليل لما رفع في الملكوت...» وذكر قصة رؤية إبراهيم ملكوت السماوات والارض، كما قال الله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾، ودعاء إبراهيم على من رآه من الناس على المعصية بالهلاك فهلكوا، هناك ردّ الله عليه في طلب الهلاك للناس، وذكّره برحمته وغفرانه وحلمه عليهم، وبيّن له أنّ سبب الكف عنهم هو علمه بخروج المؤمنين من أصلابهم، فإذا تزايلوا حلّ بهم العذاب.

إلى أن قال ﷺ: **«إنّ الله تعالى - يا أبا جهل - إنما دفع عنك العذاب لعلمه بأنه سيخرج من صلبك ذرية طيبة، عكرمة ابنك، وسيلي من أمور المسلمين ما إن أطاع الله ورسوله فيه كان عند الله جليلاً، وإلا فالعذاب نازل عليك، وكذلك سائر قريش السائلين لمّا سألوا من هذا إنما أمهلوا لأنّ الله علم أنّ بعضهم سيؤمن بمحمد، وينال به السعادة، فهو تعالى لا يقطعه عن تلك السعادة، ولا يبخل بها عليه أو من يولد منه، فهو ينظر أباه لإيصال ابنه إلى السعادة، ولولا ذلك لنزل العذاب بكافتكم، فانظر إلى السماء»**.

فنظر فإذا أبوابها مفتحة وإذا النيران نازلة منها مسامتة لرؤوس القوم تدنو منهم حتّى وجدوا حرّها بين أكتافهم، فارتعدت فرائص أبي جهل والجماعة.

فقال رسول الله ﷺ: **«لا تروعنّكم فإنّ الله لا يهلككم بها، وإنما أظهرها عبرة لكم»** ثمّ نظروا إلى السماء، وإذا قد خرج من ظهور الجماعة أنوار قابلتها ورفعتها حتّى أعادتها في السماء كما جاءت منها.

فقال رسول الله ﷺ: **«إنّ بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد، وبعضها أنوار ذرية طيبة ستخرج من بعضكم ممن لا يؤمن وهم يؤمنون»**[1].

فلاحظت ما في هذه المناظرة من النبوءات الزاهرة وهي كالتالي:

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٦-٣٧، عن التفسير المنسوب للإمام العسكري: ٥١٣ – ٥١٤، وعنه في البحار ٩: ٢٧٩ – ٢٨٠.

١ـ قوله ﷺ: «سيخرج من صلبك ذرية طيبة-عكرمة ابنك-وسيلي أمور المسلمين ما إن أطاع الله ورسوله فيه كان عند الله جليلاً» فجعل جلالة عكرمة معلقاً على طاعة الله ورسوله.

٢ـ قوله: «إنما أمهلوا لأنّ الله علم أنّ بعضهم سيؤمن بمحمد وينال به السعادة».

٣ـ قوله ﷺ حينما رآى فرائصهم ترتعد من الخوف لما رأوا آثار العذاب: «لا تروعنّكم فإنّ الله لا يهلككم بها...».

٤ـ قوله ﷺ عندما رأوا الأنوار قد خرجت من ظهور الجماعة: «إنّ بعض هذه الأنوار أنوار من قد علم الله أنه سيسعده بالإيمان بي منكم من بعد، وبعضها أنوار ذرية طيبة ستخرج من بعضكم ممن لا يؤمن وهم يؤمنون» وقد تحققت جميع نبوءاته ﷺ لهم.

أبو جهل وأصحابه يطالبون بآيات الأنبياء

أجل إنّ نبينا محمداً ﷺ -كما أخبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام- لما أظهر دعوته بمكة وأبان-عن الله تعالى-مراده، رمته العرب عن قسيّ عداوتها بضروب مكائدهم... فجاءه بعض المشركين فقالوا له: يا محمد؟ تزعم أنك رسول رب العالمين، ثمّ إنك لا ترضى بذلك حتّى تزعم أنك سيدهم وأفضلهم، فلئن كنت نبياً فأتنا بآية كما تذكره عن الأنبياء قبلك... .

وصار هؤلاء المشركون فرقاً أربعة، هذه تقول: أظهر لنا آية نوح، وهذه تقول: أظهر لنا آية موسى، وهذه تقول: أظهر لنا آية إبراهيم، وهذه تقول: أظهر لنا آية عيسى.

فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنا لكم نذير وبشير مبين أتيتكم بآية مبينة: هذا القرآن الذي تعجزون أنتم والأمم وسائر العرب، وهو بلغتكم، فهو حجة بيّنة عليكم، وما بعد ذلك فليس لي الاقتراح على ربي، وما على الرسول إلا البلاغ المبين إلى المقرّين بحجة صدقه وآية حقه، وليس عليه أن يقترح بعد قيام الحجة على ربه ما يقترحه عليه المقترحون الذين لا يعلمون هل الصلاح أو

الفساد فيما يقترحون».

فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد! إنّ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: **«إني سأظهر لهم هذه الآيات، وإنهم يكفرون بها إلا من أعصمه منهم، ولكني أريهم ذلك زيادة في الإعذار والإيضاح لحججك».**

فقل لهولاء المقترحين لآية نوح عليه السلام: امضوا إلى جبل أبي قبيس فإذا بلغتم سفحه فسترون آية نوح، فإذا غشيكم الهلاك فاعتصموا بهذا -أي بعلي حيث كان جالساً عنده- وبطفلين يكونان بين يديه[1].

وقل للفريق الثاني المقترحين لآية إبراهيم عليه السلام: امضوا إلى حيث تريدون من ظاهر مكة، فسترون آية إبراهيم في النار، فإذا غشيكم البلاء فسترون في الهواء امرأة قد أرسلت طرف خمارها فتعلّقوا به، لتنجّيكم من الهلكة، وترد عنكم النار.

وقل للفريق الثالث المقترحين لآية موسى: امضوا إلى ظلّ الكعبة، فسترون آية موسى وسينجيكم هناك عمي حمزة.

وقل للفريق الرابع ورئيسهم أبو جهل: وأنت يا أبا جهل فاثبت عندي لتصل بك أخبار هؤلاء الفرق الثلاث، فإنّ الآية التي اقترحتها تكون بحضرتي.

فقال أبو جهل للفرق الثلاث: قوموا فتفرقوا ليتبيّن لكم باطل قول محمد ﷺ.

فذهبت الفرقة الأولى إلى حضرة جبل أبي قبيس، والثانية إلى صحراء ملساء، والثالثة إلى ظلّ الكعبة، ورأوا ما وعدهم الله عز وجل وأنبأهم به رسوله ﷺ،

---

(١) الذي يبدو من هذه الجملة وسائر القرائن الموجودة في المقام هو أنّ المراد من الطفلين الحسن والحسين عليهما السلام، ولايشكل بعدم ولادتهما حين ذاك لأنّ الله بإمكانه أن يظهر أشباح الوجودات النورانية للناس، كما أظهرها لملائكته على ساق العرش، على أنه تعالى قادر على أن يلبّس أنوارهم بالأبدان ويظهرهم لمن شاء وفي أي وقت شاء، كما أظهرهم لبعض الأمم المتقدمة أو لبعض أنبيائه حين الشدة فأنجاهم الله بهم من تلك الشدائد، وحصل نظائره لهذه الأمة - وقد دلّت عليه الاخبار -. كما أنه قادر أيضاً على أن يردّ الأرواح لمن شاء من الموتى ويبعثهم إلى الدنيا مرة أُخرى، هذا مضافاً إلى أن المقام مقام الاعجاز وخرق العادات، وهولا يقاس بالعقول ولا ينطبق على قانون، بل مبتن على قدرته تعالى في تدبير الكون.وإن شئت المزيد فراجع ما ورد في هذا الصعيد عن الأعلام.

ورجعوا إلى النبيﷺ مؤمنين، وكلما رجع فريق منهم إليه، وأخبروه بما شاهدوا، ألزمه رسول اللهﷺ الإيمان بالله، فاستمهل أبو جهل إلى أن يجيء الفريق الآخر.

قال أمير المؤمنينعليه السلام: فلما جاءت الفرقة الثالثة وأخبروا بما شاهدوا عياناً، وهم مؤمنون بالله وبرسوله، قال رسول اللهﷺ لأبي جهل: **«هذه الفرقة الثالثة قد جاءتك وأخبرتك بما شاهدت»**.

فقال أبو جهل: لا أدري أصدق هؤلاء أم كذبوا؟ أم حقّق لهم ذلك أم خيّل إليهم؟ فإن رأيتُ أنا ما اقترحته عليك من نحو آيات عيسى بن مريم، فقد لزمني الإيمان بك، وإلاّ فليس يلزمني تصديق هؤلاء على كثرتهم.

فقال رسول اللهﷺ: **«يا أبا جهل، فإن كان لا يلزمك تصديق هؤلاء على كثرتهم وشدة تحصيلهم، فكيف تصدق بمآثر آبائك وأجدادك، ومساوي أسلاف أعدائك؟ وكيف تصدّق عن الصين والعراق والشام إذا حدّثت عنهما؟ وهل المخبرون عن ذلك إلا دون هؤلاء المخبرين لك عن هذه الآيات مع سائر من شاهدها منهم من الجمع الكثير الذين لا يجتمعون على باطل يتخرصونه، إلا كان بإزائهم من يكذّبهم ويخبر بضدّ أخبارهم؟ ألا وكل فرقة محجوجون بما شاهدوا، وأنت يا أبا جهل محجوج بما سمعت ممن شاهده...»**.

ثم إنهﷺ أجاب عن اقتراح أبي جهل لآية عيسى، حيث قال: إنه كان يخبرهم بما يأكلون وما يدّخرون في بيوتهم، فأخبرني بما أكلت اليوم، وما ادّخرته في بيتي، وزدني على ذلك أن تحدّثني بما صنعته بعد أكلي، كما زعمت أنّ الله زادك في المرتبة فوق عيسىعليه السلام، فقال رسول اللهﷺ: **«أما ما أكلت وما ادّخرت فأخبرك به وأخبرك بما فعلته في خلال أكلك وما فعلته بعد أكلك، وهذا يوم يفضحك الله فيه لاقتراحك، فإن آمنت بالله لم تضرّك هذه الفضيحة، وإن أصررت على كفرك أضيف لك إلى فضيحة الدنيا وخزيها خزي الآخرة الذي لا يبيد ولا ينفد ولا يتناهى»** قال: وما هو؟.

قال رسول اللهﷺ: **«قعدت يا أبا جهل تتناول من دجاجة مسمنة استطبتها، فلما وضعت يدك عليها استأذن عليك أخوك أبو البختري ابن هشام، فأشفقت عليه أن يأكل منها وبخلت، فوضعتها تحت ذيلك، وأرخيت**

عليها ذيلك حتّى انصرف عنك» فقال أبو جهل: كذبت يا محمد، ما من هذا قليل ولا كثير، ولا أكلت من دجاجة، ولا ادّخرت منها شيئاً، فما الذي فعلته بعد أكلي الذي زعمت؟ قال رسول الله ﷺ: **«كان عندك ثلاثمأة دينار لك، وعشرة آلاف دينار ودائع الناس عندك... وقد عزمت أن تختانهم، وقد كنت جحدتهم ومنعتهم، واليوم لما أكلت الدجاجة أكلت زورها وادّخرت الباقي، ودفنت هذا المال أجمع مسروراً فرحاً باختيانك عباد الله، وواثقاً بأنه قد حصل لك، وتدبير الله في ذلك خلاف تدبيرك».**

فقال أبو جهل: وهذا أيضاً يا محمد؛ فما أصبت منه قليلاً ولا كثيراً، وما دفنت شيئاً، وقد سُرقت تلك العشرة آلاف الودائع التي كانت عندي.

فقال رسول الله ﷺ: **«يا أبا جهل ما هذا من تلقائي فتكذبني، وإنما هذا جبرائيل الروح الأمين يخبرني به عن رب العالمين، وعليه تصحيح شهادته وتحقيق مقالته».**

ثم قال رسول الله ﷺ: **«هلمّ يا جبرائيل بالدجاجة التي أكل منها»** فإذا الدجاجة بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: **«أتعرفها يا أبا جهل؟»** فقال أبو جهل: ما أعرفها وما أخبرت عن شيء، ومثل هذه الدجاجة المأكول بعضها في الدنيا بكثير، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أيتها الدجاجة إنّ أبا جهل قد كذّب محمداً على جبرائيل، وكذّب جبرائيل على ربّ العالمين فاشهدي لمحمد بالتصديق، وعلى أبي جهل بالتكذيب»** فنطقت وقالت: أشهد يا محمد أنك رسول الله وسيد الخلق أجمعين، وأنّ أبا جهل هذا عدو الله المعاند الجاحد للحق الذي يعلمه، أكل مني هذا الجانب، وادّخر الباقي، وقد أخبرته بذلك، وأحضرتنيه فكذّب به، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين فإنه مع كفره بخيل استأذن عليه أخوه فوضعني تحت ذيله إشفاقاً من أن يصيب مني أخوه، فأنت يا رسول الله أصدق الصادقين من الخلق أجمعين، وأبو جهل الكاذب المفتري اللعين.

فقال رسول الله ﷺ: **«أما كفاك ما شاهدت، آمن لتكون آمناً من عذاب الله عز وجل»** قال أبو جهل: إني لأظنّ أنّ هذا تخييل وإيهام، فقال رسول الله ﷺ: **«فهل تفرّق بين مشاهدتك لهذا وسماعك لكلامها، وبين مشاهدتك لنفسك ولسائر قريش...؟».**

ثم وضع رسول الله ﷺ يده على الموضع المأكول من الدجاجة فمسح يده عليها فعاد اللحم عليه أوفر ما كان، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا جهل أرأيت هذه الآية؟**» قال: يا محمد توهّمت شيئاً ولا أوقنه، قال رسول الله ﷺ: «**يا جبرائيل فأتنا بالأموال التي دفنها هذا المعاند للحق، لعله يؤمن**» فإذا هو بالصُرَر بين يديه كلها ما كان رسول الله ﷺ قاله إلى تمام العشرة آلاف وثلاثمائة دينار، فأخذ رسول الله ﷺ -وأبو جهل ينظر إليه- صرّة منها، فقال: «**ائتوني بفلان بن فلان**» فأتي به وهو صاحبها، فقال: «**هاكها يا فلان ما قد اختانك فيه أبو جهل**» فردّ عليه ماله، ودعا بآخر ثمّ بآخر حتّى ردّ العشرة آلاف كلها على أربابها وفُضح أبو جهل، وبقيت الثلاثمائة دينار بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «**الآن آمن لتأخذ الثلاثمائة دينار، ويبارك الله لك فيها حتّى تصير أيسر قريش**» قال: لا آمن، ولكن آخذها فهي مالي، فلما ذهب يأخذها صاح رسول الله ﷺ بالدجاجة: «**دونك أبا جهل، وكفيه عن الدنانير، وخذيه**» فوثبت الدجاجة على أبي جهل فتناولته بمخالبها، ورفعته في الهواء، وطارت به إلى سطح بيته فوضعته عليه، ودفع رسول الله ﷺ تلك الدنانير إلى بعض فقراء المؤمنين.

ثم نظر رسول الله إلى أصحابه فقال لهم: «**معاشر أصحاب محمد هذه آية أظهرها ربنا ﷻ لأبي جهل، فعاند، وهذا الطير الذي حيي يصير من طيور الجنة الطيارة عليكم فيها، فإنّ فيها طيوراً كالبخاتي، فيها من جميع أنواع المواشي، تطير بين سماء الجنة وأرضها فإذا تمنى مؤمن محب للنبي وآله الأكل من شيء منها وقع ذلك بعينه بين يديه مشوياً بلا نار، فإذا قضى شهوته ونهمته وقال الحمد لله رب العالمين عادت كما كانت فطارت في الهواء وفخرت على سائر طيور الجنة، تقول: من مثلي وقد أكل مني ولي الله عن أمر الله**»[1].

عزيزي القارئ: السبب في نقل هذا الحديث بطوله اشتماله على كثير من النبوءات والكرامات الدالة على عظمة النبي ﷺ وحقانيته وفضائل أهل بيته،

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٤٢٩، وعنه في البحار ١٠: ٢٣٩- ٢٤٨، وانظر الاحتجاج ١: ٦٨- ٧٣.

ومع ذلك هي أيضاً بذاتها حائزة للاهتمام لما فيها من فضائل أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وأهل بيت العصمة عليهم السلام، ولا غرابة في هذا الحديث وأمثاله فيما يخص بالمعجزات والفضائل التي أظهرها النبي للقوم من أجل هدايتهم وإلقاء الحجة على المعاندين منهم.

على أنّ نظائرها موجودة في كثير من أحاديث الفضائل والمعجزات، وكلها دليل على صحة ما نعتقده من ولايتهم التكوينية، وأنها لا تقاس بولاية إبراهيم وسليمان وموسى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام، ومن نزّلهم عن تلك المراتب فقد ظلمهم وجفاهم، وأمّا من ناحية النبوءات فلاحظت فيه كثيراً من النبوءات الباهرة ولا نعيد ذكرها.

قوله ﷺ: منكم من يطرح في القليب ومن يحزّب الأحزاب

في خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام قال:... وقد كنت مع رسول الله ﷺ وقد أتاه الملأ من قريش فقالوا: يا محمد! إنك قد ادّعيت عظيماً لم يدّعه آباؤك ولا أحد من أهل بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب، قال لهم: **«وما تسألون»**؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعُروقها وتقف بين يديك.

فقال ﷺ: **«إنّ الله على كل شيء قدير فإن فعل الله ذلك لكم أتؤمنون وتشهدون بالحق»**؟ قالوا: نعم، قال: **«فإني سأريكم ما تطلبون وإني لأعلم أنكم لا تفيؤن إلى خير، وأنّ منكم من يُطْرح في القَلِيب ومن يحزّب الأحزاب»** ثمّ قال: **«أيّتها الشجرة إن كنت تُؤمنين بالله واليوم الآخرة وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بُعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله تعالى»**.

فوَ الذي بعثه لانْقَلَعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصيف أجنحةِ الطير حتّى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ مُرفرفة وألقت بعضها الأعلى عليه وببعض أغصانها على منكبيّ وكنت عن يمينه، فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا -علوّاً واستكباراً-: فمُرْها فليأتك نصفها ويَبْقَى نصفُها، فأمرها بذلك فأقبل نصفها كأعْجَبِ إقبال وأشدّه دويا، فكادت تلتفّ برسول

اللهﷺ، فقالوا-كُفراً وعُتوّاً-: فمُر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره فرجع، فقلت أنا: لا إله إلاّ الله فأنا أول مؤمن بك يا رسول الله وأول من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً لنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم:بل ساحرٌ كذّاب عجيبُ السّحر خفيف فيه، وهل يصدّقك في أمرك هذا إلاّ مثل هذا-يعنونني-...[1].

الإنباء بالهجرة من مكة

إنّ الرسول المصطفىﷺ أنبأ-وهو بمكة-عن الهجرة إلى المدينة، فقال لأصحابه «قد أُريتُ دار هجرتكم، أُريتُ سبخة ذات نخل بين لابتين»[2].

وفي رواية عن صهيب،عنهﷺ: «أُريتُ دار هجرتكم سبخة بين ظهراني حرّتين، فإما أن تكون هَجَر أو تكون يثرب»[3].

فهاجر جمع من الأصحاب حين ذكر ذلك لهم إلى المدينة، ورجع من كان هاجر إلى الحبشة منهم إليها.

وفي رواية أبي موسى عنهﷺ: «رأيت في المنام أنّي أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلِي إلى أنها اليمامة أو هَجَر، فإذا هي المدينة يثرب»[4].

وفي رواية ابن اسحاق:...«إنّ الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها»[5]، وبقي رسول اللهﷺ في مكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج منها

---

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم: ١٩٢، الطرائف: ٤١٥، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣: ٢١٢، وعنه في البحار ١٧: ٣٨٩ و١٤: ٤٧٦، ورواه الماوردي في أعلام النبوة: ١٩١، وقال: وهذا حكاهُ خطيباً على الإشهاد وقلّ أن يخلو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله فكانوا بالموافقة مجمعين على صحته ولولاه لظهر الرد وإن ندر، وهذا من أبلغ آية وأظهر إعجاز له.

(٢) سيرة ابن كثير٢: ٢١٣.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٧: ١٧٨، كنز العمال ١٦: ٦٥٤، تاريخ دمشق ٢٤: ٢٢٧.

(٤) سيرة ابن كثير ٢: ٢١٣، ذهب وهلي: أي خطر ببالي.

(٥) سيرة ابن كثير٢: ٢١٥.

والهجرة إلى المدينة.

الإنباء عن تآمر المشركين ونزول: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾

لما رأى المشركون اجتماع الناس حول النبي ﷺ وازدياد أصحابه، وعلموا ببيعة الأنصار من أهل المدينة عند العقبة، ومعاهدتهم على أن ينصروه ويأووه وأصحابه -ومن ثمّ هاجر جمع من أصحابه إليها-، ازدادوا كيداً وحقداً، فتنادوا للتشاور في أمره واجتمعوا في دار الندوة، وقد حضر في المؤتمر كبار قريش، وانضم إليهم إبليس في هيئة شيخ نجدي، فتبادلوا في الآراء، وكان من الآراء التي استقروا عليه رأي أبي جهل، إذ اقترح عليهم أن يأخذوا من كل قبيلة فتىً شاباً جلداً، ثمّ يعمدون إلى الرسول ﷺ فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه، فيتفرّق دمه في القبائل كلها، فلا تقوى عشيرته على حرب قومهم جميعاً، فيرضون بالدية، فوافقوه، ووافقهم إبليس على هذا الرأي.

بيد أنّ الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بمكيدتهم قبل تنفيذها، فأوحى إليه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1]، فدعا رسول الله ﷺ علياً ﷺ وأنبأه عن كيد المشركين وأنهم آتون في طلبه الليلة، ثم قال: **«إنّ الله أمرني أن أخرج من دار قومي وأنطلق إلى غار ثور في ليلتي هذه، وأن آمرك بالمبيت على مضجعي ليخفى عليهم أمري»**.

إنباؤه ﷺ علياً ﷺ عن دفع كيد الأعداء

فقال عليٌّ ﷺ: أوَ تسلمنّ بمبيتي هناك يا نبي الله؟ قال: «نعم»، فلما أنبأه النبي بسلامته منهم، تبسّم عليٌّ ﷺ وأهوى إلى الأرض ساجداً شكراً لسلامته ﷺ، وكانت أول سجدة شكر في هذه الأمة، ثمّ رفع رأسه وقال: إذهب أينما أُمرت، روحي لك الفداء، فاحتضنه النبي ﷺ وبكى وجداً

---

(١) الأنفال: ٣٠.

به،فبكى عليٌّ عليه السلام جزعاً لفراق رسول الله ﷺ، ورقد في فراشه بعد ما اشتمل على بردة النبي ﷺ... .

وفتح رسول الله ﷺ الباب وخرج عليهم-وهم جلوس ينتظرون الفجر كي ينفذوا مخططهم-وهو يقول: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾، قال علي عليه السلام: ومضى وهم لا يرونه، فرأى أبابكر قد خرج في الليل يتجسّس من خبره، وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم، فأخرجه معه إلى الغار، فلما طلع الفجر تواثبوا إلى الدار وهم يظنون أني محمد ﷺ فوثبت في وجوههم وصحت بهم، فقالوا: عليٌّ؟ قلت: نعم، قالوا: وأين محمد؟ قلت: قد خرج من بلدكم، قالوا: إلى أين خرج؟ قلت: الله أعلم، فتركوني وخرجوا، فاستقبلهم أبو كرز الخزاعي وكان عالماً بقصص الآثار، فقالوا يا أبا كرز اليوم نحب أن تساعدنا في قصص أثر محمد، فقد خرج عن البلد، فوقف على باب الدار فنظر أثر رجل محمد ﷺ فقال: هذه أثر قدم محمد، وهي والله أخت القدم التي في المقام، ومضى به على أثره حتى إذا صار إلى الموضع الذي لقيه فيه أبو بكر، قال: هنا قد صار مع محمد آخر، وهذه قدمه، إمّا أن تكون قدم أبي قحافة أوقدم ابنه، فمضى على ذلك إلى باب الغار، فانقطع عنه الأثر، وقد بعث الله قبجة فباضت على باب الغار، فقال: ما جاز محمد هذا الموضع، ولا من معه، إمّا أن يكون صعدا إلى السماء أو نزلا في الأرض، فإنّ باب هذا الغار كما ترون عليه نسج العنكبوت، والقبجة حاضنة على بيضها بباب الغار، فلم يدخلوا الغار، وتفرقوا في الجبل يطلبونه[1]، و هكذا تحقق ما أنبأ به ﷺ في دفع كيد الأعداء وسلامته منهم.

فما كان إلا أن نزل الوحي على النبي ﷺ في تكريم أخيه أمير المؤمنين عليه السلام على تضحياته وإيثاره من أجل الحفاظ على رسول الله ﷺ إذ قال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2].

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٤٣ح ٢٣١، وعنه في البحار ١٩: ٧٣.

(٢) البقرة: ٢٠٧.

وكان نزول الآية بعدما باهى الله ملائكته بعلي عليه السلام، فأوحى إلى جبرائيل وميكائيل أني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه، فأيكما يؤثر أخاه؟ وكلاهما كره الموت، فأوحى الله إليهما: عبداي ألا كنتما مثل وليي علي آخيت بينه وبين محمد نبيي، فآثره بالحياة على نفسه؟ ثمّ رقد على فراشه يقيه بمهجته، اهبطا إلى الأرض جميعاً فاحفظاه من عدوه، فهبط جبرائيل فجلس عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجعل جبرائيل يقول: بخٍ بخٍ، من مثلك يا ابن أبي طالب؟ والله يباهي بك الملائكة[1].

قوله ﷺ لعليٍّ: إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا عليّ...

وكان إنباؤه هذا في آخر ليلة من مبيته في الغار وهو على استعداد في المغادرة إلى المدينة، فقد أوصى علياً -حيث كان يلتقي معه في الغار-: أن يهتف بالأبطح غدوة وعشيّاً: من كان له قِبَل أحمد أمانة أو وديعة فليأت فليؤدّ إليه أمانته، ثمّ أخبره ﷺ: «**إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي بأمر تكرهه حتّى تقدم عليّ، فأدّ أماناتي على أعين الناس ظاهراً، ثمّ إني مستخلفك على فاطمة ابنتي ومستخلف ربّي عليكما ومستحفظه فيكما**» فأمره أن يبتاع رواحل له وللفواطم ومن عزم للهجرة معه من بني هاشم[2].

ما أنبأ به رسول الله ﷺ أبا بكر في الغار

لما رأى أبو بكر أنّ القوم قد بلغوا الغار اضطرب اضطراباً شديداً خوفاً

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ٩٤، وعنه في البحار ١٩: ٨٦، تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٩، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢: ٤٠٩ باختلاف في اللفظ، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٢٣، نهج الايمان لابن جبر: ٣٠٥من حديث المناشدة، وفي حديث رفعه الخوارزمي في مناقبه: ٣١٩إلى النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل عليّ جبرئيل صبيحة يوم الغار، فقلت: حبيبي جبرئيل أراك فرحاً، فقال: يا محمد وكيف لا أكون كذلك وقد قرّت عيني بما أكرم الله به أخاك ووصيك وإمام أمتك علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: بماذا أكرمه الله؟ قال: باهى بعبادته البارحة ملائكته، وقال: ملائكتي! انظروا إلى حجتي في أرضي بعد نبيي وقد بذل نفسه، وعفّر خدّه في التراب تواضعاً لعظمتي أشهدكم أنه إمام خلقي ومولى بريتي»، وعنه في نهج الايمان لابن جبر: ٣٠٦، كنز الفوائد: ٤٠، وعنه في البحار ١٩: ٨٧

(٢) أمالي الطوسي: ٤٦٨، البحار ١٩: ٦٢، ولاحظ إمتاع الاسماع للمقريزي ١: ٤٨.

من قريش، فعزم على الخروج وتسليم نفسه، فقال له النبيﷺ: «**لا تخف إنّ الله معنا**»وأنبأه بعدم وصول العدو إليهم، فقال: «**إنهم لن يصلوا إلينا**»لكنه ما زال مضطرباً.

فلما رآه مرتعداً من شدة خوفه، قال له: «**تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون، فأريك جعفراً وأصحابه في البحر يغوصون؟**» قال: نعم، فمسح رسول اللهﷺ بيده على وجهه، فنظر إلى قصور أهل المدينة وإلى الأنصار يتحدثون ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فقال في نفسه شيأً، فأنبأهﷺ عما أضمره[1].

في طريق المدينة

وقوله لبريدة: ستبعث بعوث فكن في بعث يأتي خراسان

وفي طريقهﷺ إلى المدينة لاقى بريدة بن الحصيب الأسلمي في سبعين راكباً من أهل بيته، فقال له النبيﷺ: «**من أنت؟**» قال: أنا بريدة، فالتفت إلى أبي بكر قائلاً: «**يا أبا بكر برد أمرنا وصلح**».

ثم قال: وممن أنت؟ قال: من أسلم، فقالﷺ: «**سلمنا**» ثمّ قالﷺ: «**ممن؟**» قال: من بني سهم، فقال: «**خرج سهمك**».

فقال بريدة للنبيﷺ: من أنت؟ فقال: «**أنا محمد بن عبد الله ورسول الله**»، فقال: بريدة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً...[2].

ويناسب هنا ذكر نبوءة أنبأها النبيﷺ بريدة، وذلك أنه قال: «**ستُبعث**

---

(١) وفي رواية في البحار ١٩: ٧٤ إنهﷺ رفس ظهر الغار فانفتح منه باب إلى بحر وسفينة، فقال له: «**اسكن الآن فإنهم إن دخلوا من باب الغار خرجنا من هذا الباب وركبنا السفينة**» فسكن عند ذلك، فلم يزالوا في الطلب، فيئسوا وانصرفوا، وقد اقتبسنا ما ورد في قصة الغار ونبوءة الرسول المختارﷺ من مجموعة أحاديث وردت عن الأئمة الأطهارﷺ، فانظر الكافي ٨: ٢٦٢ ح٣٧٧، كتاب سليم بن قيس: ٣٤٩، بصائر الدرجات: ٤٤٢ ح١٤، وعنه في البحار ١٩: ٧١ وج ١٨: ١٠٩ وج ٣٠: ١٩٤.

(٢) أنظر البحار ١٩: ٤٠، عن المنتقى في مولود المصطفى-الفصل الثاني-.

بعوث فكن في بعث يأتي خراسان،ثم اسكن مدينة مرو، فإنه بناها ذو القرنين ودعا لها بالبركة، وقال: لا يصيب أهلها سوء»[1].

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ في بعث العساكر إلى خراسان والتحاق بريدة بهم ونزوله بمرو، وكان بريدة من المعترضين على غصب الخلافة، ولما رأى ارتداد القوم وتحقق نبوءات رسول الله ﷺ فيهم ترك المدينة وقال: حرام عليّ أن أسكنها أبداً حتى أموت، ورجع إلى قبيلته وبقي فيهم حتى رجعت الخلافة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكان من أصحابه، وغزا معه صفين،وبعد استشهاد أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام انعزل عن القوم، حتى كان ذهابه إلى مرو ومات بها رحمه الله[2].

إخباره ﷺ بقدوم عليٍّ عليه السلام ما أسرعه

قدم النبي ﷺ المدينة في الثاني عشر من ربيع الأول فنزل بقباء، فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثمّ لم يزل مقيماً بها ينتظر علياً عليه السلام... ويقول: **«إني أنتظر علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أمرته أن يلحقني ولست مستوطناً منزلاً حتّى يقدم علي عليه السلام وما أسرعه إن شاء الله؟»** فقدم علي عليه السلام والنبي ﷺ في بيت عمرو بن عوف، فنزل معه... .

ثم إنّ أبا بكر لما رأى رسول الله ﷺ ينتظر قدوم علي عليه السلام، قال للنبي: انهض بنا إلى المدينة، فإنّ القوم قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تقم هاهنا تنتظر علياً، فما أظنّه يقدم إليك إلى شهر، فقال رسول الله ﷺ: **«كلاّ ما أسرعه، ولست أريم حتّى يقدم ابن عمّي وأخي في الله عز وجل، وأحبّ أهل بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين»**، فغضب عند ذلك أبوبكر واشمأزّ وداخله من ذلك شيء، فانطلق حتّى دخل المدينة، وتخلّف رسول الله ﷺ، بقباء ينتظر علياً... .

وقدم عليٌّ عليه السلام من مكة للنصف من ربيع الأول ورسول الله ﷺ بقباء لم

---

(١) تاريخ دمشق٢: ٤١٣، إعلام الورى١: ٨٩، المعجم الأوسط للطبراني ٨: ١٤١باختلاف يسير.
(٢) أنظر البحار ٢٨: ٩٣.

يرم بعده، وقدم معه صهيب، وذلك بعد ما أدّى عليٌّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده، وبعد ما كان يسير الليل ويكمن النهار حتّى تفطّرت قدماه، فاعتنقه النبي ﷺ وبكى رحمة مما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك حتّى قتل عليه السلام[1].

(١) أنظر روضة الكافي: ٣٣٨ – ٣٤١، وعنه في البحار ١٩: ١٠٦و١١٦، إمتاع الأسماع ١: ٦٨.

النبوءات الصادرة بعد الهجرة

بناء المسجد النبوي

وقوله ﷺ: عمار ستقتله الفئة الباغية

أول عمل قام به النبي ﷺ في المدينة بعد استقراره في بيت أبي أيوب الأنصاري، هو بناء المسجد الشريف، وقدشارك المسلمون في عملية بناء المسجد، بنقل الحجارة واللبن، وكان ﷺ حين العمل يردّد: «**لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة**» وهكذا كان يردّد المسلمون، وبهذا العمل رغّب المسلمين في التعاون على عمل الخير، وعلّمهم بأن لا فرق بين عال ودان ولا غني وفقير ولا قوي ولا ضعيف.

فقد روي أنه لما بُني المسجد عمل فيه الرسول ﷺ والمهاجرون والأنصار معاً، وكان أحد المهاجرين يحافظ على ثيابه البيض ويحيد الغبار عنها، فارتجز الإمام علي عليه السلام:

لايستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يُرى عن الغبار حائداً

فسمعه عمار بن ياسر، فأعجبه وأخذ يرتجز بها، وأكثر من الارتجاز حتّى ظنّ عثمان بن عفان أنه يعرّض به، فقال له: قد سمعت ما تقول منذ اليوم الأول يابن السوداء إياي تعني؟ والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك -وكان في يده عصا-، فغضب رسول الله ﷺ ثمّ قال: «**مالهم ولعمّار! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إنّ عماراً جلدة ما بين عيني وأنفي**».

وفي رواية زيادة: «**قاتله وسالبه إلى النار**».

ولذلك كان المسلمون يقولون لعمار: قد غضب فيك النبي، ونخاف أن ينزل فينا القرآن، فأخذ رسول الله ﷺ بيده ومسح وفرته وطاف به في المسجد، ثمّ أتى عثمان رسول الله ﷺ فقال له: لم ندخل معك لتسبّ أعراضنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**قد أقلتك إسلامك فاذهب**» فأنزل الله تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ

عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ﴾[١].

وفي وقفة أخرى بين عمار و أعضاء الحزب القرشي حين بناء المسجد، رُوي أنّ المسلمين كانوا يحملون كل واحد منهم لبنة، وعمار يحمل لبنتين، ويقول: لبنة عني ولبنة عن رسول الله ﷺ، ولّما رأوا هذا الإخلاص وحسن السريرة منه، أخذوا يحمّلونه أكثر من طاقتة حسداً منهم، فلما رآه النبي ﷺ وقد أثقلوه باللبن، قال يا رسول الله: قتلوني يحمّلون عليّ ما لا يحملون.

قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض وفرته بيده- وكان رجلاً جعداً-، وهو يقول: **«ويح ابن سمية، ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية»**.

وفي رواية: لّما رآه النبي ﷺ قد أُثقل باللبن، مسح على ظهره وقال: **«ابن سمية، للناس أجرٌ ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية»**[٢].

وهذه الوقفات بين عمار وجماعة الحزب القرشي تُبيّن قدم الصراع بين أتباع النبي ﷺ المخلصين له وأعدائه المنضمّين حوله المؤتمرين عليه.

وعلى أية حال، فالمرويات في هذا الصعيد وفي فضل عمار كثيرة جداً رواها الفريقان، ولا يشك أحد في فضل عمار، بحيث كان الناس يرونه معياراً للحق والباطل.

ولسنا بصدد بيان فضائله هنا، حيث إنّ مهمّتنا ذكر نبوءات الرسول

---

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٤٩٦، عن ابن إسحاق، وذكر أنّ ابن اسحاق عبّر عن اسم الرجل الذي ظن بعمار، لكنه لم يذكره في سيرته، بل عبّر عنه برجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وفي التعليقة على سيرة ابن هشام-ج١- تصريح على أنّ الرجل الذي سماه ابن إسحاق هو عثمان بن عفان، والحوار كان بينه وبين عمار، وفي الروض الأنف ٢: ٣٣٨ قال السُهيلي: وقد سمّى ابن إسحق الرجل، وكره ابن هشام أن يسمّيه كي لا يُذكر أحد من أصحاب رسول الله ﷺ بمكروه، فلا ينبغي إذاً البحث عن اسمه، وهذا أمر عجيب!، والأعجب منه أنّ صاحب السيرة الحلبية في ج٢: ٢٦٢ ذكر هذه الوقفة في غزوة الخندق وسجّلها باسم عثمان بن مظعون ظلماً به وصوناً لشخصية عثمان بن عفان، والحال أنّ القرائن والشواهد ظاهرة في تزييفهم وتحريفهم!.

المصطفى ﷺ، وما فيها من دلائل نبوته وسعة علمه وإحاطته على مستقبل الأمور، بحيث تراه يخبر عمن يقتل عماراً و يقول له: «إنّ آخر زادك من الدنيا شربة من لبن».

وقد تحققت هذه النبوءة في وقعة صفين، وسيأتي إن شاء الله ذكرها.

إنباؤه ﷺ عن مقتل أبي جهل وعتبة وشيبة والوليد و...

إنّ أبا جهل أرسل رسالة إلى النبي ﷺ يؤنّبه ويهدّده فيها، وقد وصلت إليه وهو بظاهر المدينة بحضرة كافة أصحابه وعامة الكفار من يهود بني إسرائيل.

فقال ﷺ لرسول أبي جهل: «إنّ أبا جهل بالمكاره والعطب يتهدّدني وربّ العالمين بالنصر والظفر يعدني، وخبر الله أصدق، والقبول من الله أحق،لن يضرّ محمداً من خذله، أو يغضب عليه بعد أن ينصره الله تعالى، ويتفضّل بجوده وكرمه عليه».

«قل له: يا أبا جهل إنك راسلتني بما ألقاه في خلدك الشيطان، وأنا أجيبك بما ألقاه في خاطري الرحمن، فأنبئه إنّ الحرب بيننا وبينك كائنة إلى تسعة وعشرين يوماً، وإنّ الله سيقتلك فيها بأضعف أصحابي، وستُلقى أنت وعتبة وشيبة والوليد وفلان وفلان-وذكر عدداً من قريش-في قليب بدر مقتّلين، أقتل منكم سبعين، وآسر منكم سبعين، وأحملهم على الفداء العظيم الثقيل».

ثم نادى بعض من بحضرته من المؤمنين واليهود والنصارى وسائر الأخلاط: «ألا تحبّون أن أريكم مصرع كل واحد من هؤلاء؟» قالوا: بلى، قال: «هلمّوا إلى بدر فإنّ هناك الملتقى والمحشر، وهناك البلاء الأكبر، لأضع قدمي على مواضع مصارعهم، ثمّ ستجدونها لا تزيد ولا تنقص، ولا تتغيّر ولا تتقدم ولا تتأخّر لحظة، ولا قليلاً ولا كثيراً».

فلم يخفّ ذلك على أحد منهم، ولم يجبه إلاّ علي بن أبي طالب عليه السلام وحده، وقال: نعم بسم الله.

فقال الباقون: نحن نحتاج إلى مركوب وآلات ونفقات، فلا يمكننا الخروج إلى

هناك وهو مسيرة أيام.

فقال رسول الله ﷺ لسائر اليهود: «فأنتم ماذا تقولون؟» قالوا: يا محمد: نحن نريد أن نستقرّ في بيوتنا، ولا حاجة لنا في مشاهدة ما أنت في ادّعائه محيل.

فقال رسول الله ﷺ: «لا نصب عليكم في المسير إلى هناك، أخطوا خطوة واحدة، فإنّ الله يطوي الأرض لكم ويوصلكم في الخطوة الثانية إلى هناك».

قال المؤمنون: صدق رسول الله ﷺ فلنشرّف بهذه الآية، وقال الكافرون والمنافقون: سوف نمتحن هذا الكذاب، لينقطع عذر محمد، وتصير دعواه حجة عليه، وفاضحة له في كذبه.

قال: فخطا القوم خطوة،ثمّ الثانية، فإذا هم عند بئر بدر، فعجبوا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «اجعلوا البئر العلامة، واذرعوا من عندها كذا ذرعاً».

فذرعوا فلما انتهوا إلى آخرها قال: «هذا مصرع أبي جهل، يجرحه فلان الأنصاري ويجهز عليه عبد الله بن مسعود أضعف أصحابي».

ثم قال: «اذرعوا من البئر من جانب آخر، ثمّ من جانب، ثمّ من جانب آخر، كذا وكذا وذراعاً» وذكر عدد الأذرع مختلفة.

فلما انتهى كل عدد إلى آخره، قال رسول الله ﷺ: «هذا مصرع عتبة، وهذا مصرع شيبة، وذاك مصرع الوليد، وسيقتل فلان وفلان» إلى أن سمّى تمام سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وقال: «وسيؤسر فلان وفلان» إلى أن ذكر سبعين منهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وصفاتهم ونسب المنسوبين إلى الآباء منهم ونسب الموالي منهم إلى مواليهم.

ثم قال رسول الله ﷺ: «أوقفتم على ما أخبرتكم به؟» قالوا: بلى، قال: «إنّ ذلك لحق كائن بعد ثمانية وعشرين يوماً في اليوم التاسع والعشرين وعداً من الله مفعولاً، وقضاءً حتماً لازماً...».

ثم قال رسول الله ﷺ: «يا معشر المسلمين واليهود! اكتبوا بما سمعتم».

فقالوا: يا رسول الله قد سمعنا ووعينا ولا ننسى.

فقال رسول الله ﷺ: «الكتابة أذكر لكم» فقالوا: يا رسول الله! وأين الدواة والكتف؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك للملائكة» ثمّ قال: «يا ملائكة

ربّي، اكتبوا ما سمعتم من هذه القصة في أكتاف، واجعلوا في كمّ كل واحد منهم كتفاً من ذلك».

ثم قال: **«يا معشر المسلمين! تأمّلوا أكمامكم وما فيها وأخرجوها واقرأوها»**، فتأملوها وإذا في كمّ كل واحد منهم صحيفة قرأها، وإذا فيها ذكر ما قاله رسول اللهﷺ في ذلك سواء لا يزيد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخّر.

فقال: **«أعيدوها في أكمامكم، تكن حجة عليكم، وشرفاً للمؤمنين منكم، وحجة على أعدائكم فكانت معهم».**

فلما كان يوم بدر، جرت الأمور كلها ووجدوها كما قال رسول اللهﷺ لا يزيد ولا ينقص، قابلوها في كتبهم فوجدوها كما كتبها الملائكة لا تزيد ولا تنقص ولا تتقدم ولا تتأخر، فقبل المسلمون ظاهرهم، ووكلوا باطنهم إلى خالقهم[1].

غزوة العُشَيرة والإنباء عن شهادة عليٍّ

غزا رسول اللهﷺ قريشاً في الثانية من الهجرة، فنزل العُشيرة من ينبع وأقام فيها أياماً ينتظر قدوم رهط من قريش إلاّ أنه لم يلتقي بهم، فوادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة.

يروى عن عمار بن ياسر أنه قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العُشيرة، فقال لي عليؑ: هل لك يا أبا اليقظان في هذا النفر من بني مُدلج يعملون في عين لهم ننظر كيف يعملون؟ فأتيناهم فنظر إليهم ساعة، ثمّ غشينا النوم، فعمدنا إلى صور من النخل في دقعاء من الأرض فنمنا فيه،فوَ الله ما هبّنا إلاّ رسول الله بقدمه فجلسنا وقد تتربّنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول اللهﷺ لعليؑ: **«يا أبا تراب»** لما عليه من التراب، وقال: **«ألا أخبركم بأشقى الناس؟»** قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه»**ووضع رسول اللهﷺ يده على رأسه وقال:

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكريؑ: ٢٩٥-٢٩٧، وعنه في الاحتجاج١: ٤١-٤٣، والبحار١٧: ٣٤٣.

«حتّى تبلّ منها هذه»ووضع يده على لحيته.

وقد تكررت هذه النبوءة من رسول اللهﷺ في مناسبات أُخرى أيضاً، وفي بعضها شبّه قاتل عليؑ بعاقر الناقة، وسيأتي ذكرها إن شاء الله[١].

الإنباء عن انتصار العرب على العجم

إنّ الرسول المصطفىﷺ قد أنبأ عن انتصار العرب على العجم كراراً، منها: حينما عرض الإسلام على قبائل العرب.

فقد روي أنه حينما قدم عليه الأوس والخزرج وعرض عليهم الإسلام، فقال لهم: «**وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون أنفسكم وتمنعون أهلي مما تمنعون أهاليكم وأولادكم**» فقالوا: فما لنا على ذلك؟ فقال: «**الجنة في الآخرة وتملكون العرب وتدين لكم العجم وتكونون ملوكاً في الجنة**»[٢].

ولذلك كان أعداء الإسلام يستهزئون بقوله، فقالوا: إنّ محمداً يزعم أنكم إن بايعتموه كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بُعثتم بعد موتكم فجعل لكم جنان كجنان الأرض...[٣].

وكان من كلامهﷺ للعرب: «**أرأيتم إن لم يلبثوا إلاّ يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويُفرشكم بناتهم، أتسبّحون الله وتقدّسونه**» فلما انتصر المسلمون في وقعة بدر ذلك الانتصار العظيم وقتل من قريش صناديدهم وأُسر جمع منهم وأعزّ الله نبيهﷺ، وأوفدت العرب وفودها إلى رسول اللهﷺ، فما كان إذ خرج رسول الله في يوم على أصحابه وأنباهم عن ظفر ربيعة على فارس، فقال لهم: «**احمدوا الله كثيراً، فقد ظفرت اليوم أبناء ربيعة بأهل فارس، قتلوا ملوكهم واستباحوا عسكرهم، وبي نصروا**».

فجاء خبر الوقعة بذي قار بالقرب من الفرات وكان شعارهم: يا محمد يا محمد، ولذلك قالﷺ: «وبي نُصروا» فقال رسول اللهﷺ: «**اليوم أول يوم**

---

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤١، سيرة ابن كثير ٢: ٣٦٣، إعلام الورى ١: ١٦٥، وعنه في البحار ١٩: ١٨٨.

(٢) تفسير القمي ١: ٢٧٢-٢٧٣، وعنه في البحار ١٩: ٤٧.

(٣) البحار ١٩: ٣٨ عن المنتقى في مولد المصطفى، الفصل الثاني.

انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصبروا».

وكان تحقّق الخبر في الساعة من اليوم الذي أنبأ به رسول الله ﷺ، وذلك بعد وقعة بدر بأربعة أو خمسة أشهر، وكانت العنزة بيد رسول الله ﷺ، وذبح شاتين بالمصلى بيده، وقيل شاة[1].

غزوة بدر الكبرى

وقوله ﷺ: «سيروا على بركة الله، فإنّ الله وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل...».

سبق أنّ الرسول المصطفى ﷺ أنبأ عن وقوع هذه الغزوة وغلبة المسلمين على المشركين وهلاكهم وجميع ما يحدث فيها بما فيها من المفاصلات.

وقد حدثت في نفس الزمن الذي أنبأ عنه ﷺ وكانت في السابع عشر من رمضان السنة الثانية من الهجرة.

ومختصر القول فيها: إنّ تسعمائة وخمسين رجلاً من كفار قريش، كعُتبة وشيبة إبني ربيعة والوليد بن عتبة وأبي جهل والبختري ونوفل بن خويلد وسائر صناديد مكة والمعارضين، خرجوا من مكة بالقيان والدفوف بهدف قتال النبي ﷺ، وعلى أثره خرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجل، فلما قرب من بدر وضع عليهم عيناً فأخبره بهم وبعُدتّهم وعددهم، وكان من حكمته ﷺ أن استشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير ليمتحنهم.

فقام أبوبكر فقال: إنها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزّت، ولم تخرج على أهبّة الحرب، وقام صاحبه فقال مثل ما قوله. فأشار النبي ﷺ لهما بالجلوس.

ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس[2] لخضناه معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى:

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير٣: ١٧٧، تاريخ اليعقوبي١: ٢١٥، السيرة الحلبية ١٥٨: ٢.

(٢) جمر الغضا: الجمرة التي خشبها من أصلب الخشب وتبقى زمناً طويلاً، الهراس: شجر كبير الشوك.

﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ولكنّا نقول: إمض لأمر ربك فإنا معك مقاتلون، فجزاه رسول اللهﷺ خيراً على قوله ذلك، ثمّ قال: «**أشيروا عليّ أيها الناس**» وإنما كان يريد الأنصار -لأنّ أكثر الناس منهم- ليختبرهم بالوفاء على ما عاهدوه عليه.

فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا؟ فقال: «**نعم**» فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنا بك، وصدقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله أن يريك ما تقرّ به عينك، فسِر بنا على بركة الله، ففرح بذلك رسول اللهﷺ وقال: «**سيروا على بركة الله، فإنّ الله وعدني إحدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان وفلان**»، وكان قد أنبأ بهذه الأمور سابقاً وعيّن موضع هلاكهم وتاريخه، فأمر رسول اللهﷺ بالرحيل وخرج إلى بئر بدر.

قول عليٍّ عليه السلام: رأيت ريحاً شديدة!

وقول النبيﷺ: ذلك جبرئيل في ألف من الملائكة...

ومن الحوادث التي اتفقت ليلة بدر، أنّ النبيﷺ استندب الناس إلى الماء، فانتدب عليٌّ عليه السلام، وكانت ليلة باردة ذات ريح وظلمة، فخرج بقربته، فلما دنى من القليب لم يجد دلواً، فنزل في الجبّ تلك الساعة فملأ قربته، ثمّ أقبل فاستقبلته ريح شديدة فجلس حتّى مضت، ثمّ قام، ثمّ مرّت به أخرى فجلس حتّى مضت، ثمّ قام، ثمّ مرّت به أخرى فجلس حتّى مضت، فلمّا جاء إلى النبيﷺ قال له: «**ما حبسك يا أبا الحسن؟**»

قال: لقيت ريحاً، ثمّ ريحاً، ثمّ ريحاً شديدة، فأصابتني قشعريرة.

قال رسول اللهﷺ: «**أفتدري ما كان ذلك يا علي؟**» فقال: لا

قال: «**ذلك جبرئيل في ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا، ثمّ مرّ ميكائيل في ألف من الملائكة فسلّم عليك وسلّموا، ثمّ مرّ إسرافيل في ألف**

من الملائكة فسلم عليك وسلّموا»[١].

وفي رواية عن عبد الرحمن بن صالح بإسناده عن الليث زيادة: «وما أتوك إلا ليحفظوك» وقال بعد نقله الخبر: كان لعليٍّ عليه السلام في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة وثلاثة مناقب[٢].

فلمّا تلاقت الفئتان ورأى المسلمون كثرة عدد العدو وقلة عددهم استغاثوا بالله تعالى، وقيل: إنّ النبي لما رأى كثرة المشركين وضعف المسلمين استقبل القبلة وقال: «اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك...».

فنزلت ملائكة النصر، ونزل قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، فهيّأ الله أسباب نصرته للمسلمين وثبّت أقدامهم، وألقى الرعب في قلوب المشركين وزلزل أقدامهم.

ثم أرسلت قريش عمير بن وهب الجمحي -وكان فارساً شجاعاً- ليستطلع مواقع جيش النبيﷺ، فجال بفرسه، ثمّ رجع فقال: مالهم من كمين ولا مدد، ولكنّ نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خُرساً لا يتكلمون، يتلمظون تلمظ الأفاعي، ومالهم من ملجأ إلاّ سيوفهم، وما أراهم يولون حتّى يقتلوا، ولا يُقتلون حتّى يقتلوا بعددهم، فارتأوا رأيكم.

فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت.

وعند ذاك نزلت الآية: ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ فرسول اللهﷺ مع علمه أنّ قريش لن تجنح للسلم، لكن لأجل الإعذار وتطييب قلوب المسلمين وعملاً بما أنزل الله عليه أرسل إلى قريش قائلاً: «يا معشر قريش إني أكره أن أبدأكم، فخلّوني والعرب وارجعوا».

فقال عتبة: ما ردّ هذا قوم قط فأفلحوا، يا معشر قريش، أطيعوني اليوم

---

(١) قرب الإسناد: ١١٢، وعنه في البحار ١٩: ٣٠٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٧٩ – ٨٠.

واعصوني الدهر، إنّ محمداً له إلٌّ وذمة، وهو ابن عمكم، فخلّوه والعرب، فإن يكن صادقاً فأنتم أعلى عيناً به، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فغاظ أبو جهل قوله وقال له: جبنت وانتفخ سحرك، فقال:يا مصفرّاً استه، مثلي يجبن؟ ستعلم قريش أينا الألم وأجبن، وأينّا المفسد لقومه، ولبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا له، فقالوا: ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش.

فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحارث وكان له يومئذ سبعون سنة، فقال: «قم يا عبيدة» ونظر إلى حمزة فقال: «قم يا عمّ» ونظر إلى علي عليه السلام وكان أصغر القوم، فقال: «قم ياعليّ، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها،تريد أن تطفئ نور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره» ثمّ قال: «يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة»وقال لحمزة: «عليك بشيبة» وقال لعلي عليه السلام: «عليك بالوليد» فخرجوا حتّى انتهوا إلى القوم، فقالوا: أكفاء، فحمل أميرالمؤمنين عليه السلام على الوليد بن عتبة فضربه على عاتقه فأخرج السيف من ابطه، وحمل عبيدة على عتبة فتصاولا ثمّ تبادلا ضربتين، فأصابت ضربة عبيدة مفرق راس عتبة فمزّق رأسه نصفين وأصابت ضربة عتبة ساق عبيدة فقطعتها، فسقطا على الأرض، وحمل حمزة على شيبة فتضاربا بالسيف حتّى انثلما، ثمّ اعتنقا، فصاح المسلمون: يا علي، أما ترى الكلب قد نهز عمك؟ فحمل عليه علي عليه السلام وقال: يا عم طأطئ رأسك، لأنّ حمزة كان أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره، فحمل علي عليه السلام على عتبة فطرح نصفه.

ثم توجّه عليه السلام إلى عتبة وكان فيه رمق، فأجهز عليه، وبهذا النحو شرك في قتل الرجال الثلاثة.

ومن ثمّ قال عليه السلام لمعاوية عند قتاله: وعندي السيف الذي أغضضته أخاك وخالك وجدك يوم بدر.

ثم حُمل عبيدة إلى رسول الله ﷺ، فاستعبر، فقال: يا رسول الله ألست شهيداً؟ قال ﷺ: «بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي» وعند أوبتهم من بدر

مات عبيدة في الروحاء ودفن هناك.

وعلى أثر مقتل الثلاثة دبّ الرعب في قريش، فراح أبو جهل يحرّضهم على القتال، وجائهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: أنا جار لكم، ادفعوا إليّ رايتكم فدفعوا إليهم راية الميسرة، ولما نظر رسول اللهﷺ إليه قال لأصحابه: «غضّوا أبصاركم وغضوا على النواجد» ورفع يده إلى السماء فقال: «يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» فغُشي عليه، ولما سُري عنه أنبأ أصحابه: «هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين»، وعلى جراء ذلك جُرِح جمع كثير من المشركين يبلغ عددهم السبعون.

ففي المناقب عن الصادقؑ في حديث بدر قال: لقد كان يُسأل الجريح من المشركين فيقال: من جرحك؟ فيقول: علي بن أبي طالب، فإذا قالها مات[1].

قولهﷺ للعباس: أين المال الذي وضعته بمكة عند أُم الفضل

وانهزم الباقي منهم، فخرج المسلمون في أثرهم فأسروا منهم سبعين، وكان ممن أُسِرَ العباس بن عبد المطلب، فأتوا به إلى رسول اللهﷺ فقال له: «إفد نفسك وافد ابن أخيك» فقال: يا محمد تتركني أسأل قريش في كفي؟.

فأنبأ النبيﷺ عما خلّفه عند أم الفضل فقال: «إعط مما خلّفت عند أم الفضل وقلت لها: إن أصابني في وجهي هذا شيء فانفقيه على ولدك ونفسك»، فقال له: يا ابن أخي من أخبرك بهذا؟

فقال: «أتاني به جبرئيل من عند اللهﷻ».

فقال: وحلوفه ما علم بهذا أحد إلاّ أنا وهي، أشهد أنك رسول الله[2].

وفي رواية قالﷺ: «إفد نفسك وابني أخيك عقيلاً ونوفلاً وحليفك فإنك ذومال» فقال: يا رسول الله إني كنت مسلماً وأُخرجت.

فقال: «والله أعلم بإسلامك فأين المال الذي وضعته بمكة عند أم الفضل حين خرجت وليس معكما أحد فقلت: إن أصبت في سفري فللفضل كذا

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٧٩، وعنه في البحار ١٩: ٢٨٥.

(٢) أنظر الكافي ٨: ٢٠٢ ح ٢٤٤، البحار ١٩: ٢٤١.

ولعبد الله كذا ولقثم كذا» فقال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله.ففدى نفسه وابني أخيه وحليفه، فقال له رسول اللهﷺ: «إنّ الله سيعوضك خيراً إن كان ما قلته عن إسلامك حقاً، فعوّضه الله تعالى مالاً جمّاً»[1].

وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ وتحقق ما وعده الله عند ما أتي للنبيﷺ بمال دراهم، فقال للعباس: «يا عباس ابسط رداءك وخذ من هذا المال طرفاً» فبسط رداءه وأخذ منه طائفة، فقالﷺ: «يا عباس هذا من الذي قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ... ﴾»[2].

وفي المناقب عن عامر بن سعد أنه لما جاء أبو اليسر الأنصاري بالعباس فقال: والله ما أسّرني إلاّ ابن أخي علي بن أبي طالبؑ، فقال النبيﷺ: «صدق عمي ذلك ملك كريم» فقال: قد عرفته بجلحته وحسن وجهه، فقال النبيﷺ: «إنّ الملائكة الذين أيّدني الله بهم على صورة عليٍّ بن أبي طالبؑ ليكون ذلك أهيب في صدور الأعداء»[3].

وقد بان هذا الأمر لمن حضر الوقعة ورأوا تصديق ما أنبأ عنهﷺ من حضور الملائكة ونصرتهم، بحيث روى أبو أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه قال: لقد رأينا يوم بدر وإنّ أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف[4].

وروى عكرمة عن ابن عباس، أنّ النبيﷺ قال يوم بدر: «هذا جبرئيل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب»، ومن ثم قال أبو سفيان لأبي لهب يخبره عما رآه: والله إن كان إلاّ لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا، وأيم

---

(١) إعلام الورى ١: ١٦٩.

(٢) قرب الإسناد ٢١ح٧٣، البحار ١٩: ٢٦٥، تفسير العياشي ٢: ٦٩ ح ٨٠، والآية في سورة الأنفال: ٧٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ٧٩، وعنه في البحار ١٩: ٢٨٥، وقريب منه في مسند أحمد ١: ٣٥٣.

(٤) دلائل النبوة: ٢٢٨، تفسير القرطبي ٤: ١٩٤، تفسير مجمع البيان ٤: ٤٤١.

الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض، والله ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء[١].

وعندما اشتّد القتال تراجع إبليس ورمى باللواء، فأخذ منبّه بن الحجاج بمجامع ثوبه ثمّ قال:ويلك يا سراقة، تفتُّ في أعضاد الناس[٢]؟ فركله إبليس ركلة في صدره وقال: إني أرى ما لا ترون، مخبراً عن رؤيته جبرئيل مع الملائكة.

فما زال المسلمون يشدّون على الكفار حتّى قتل من صناديدهم سبعون، منهم: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة وحنظلة بن أبي سفيان وطعيمة بن عدي والعاص بن سعيد ونوفل بن خويلد وأبو جهل، وكل أولئك قد أنبأ النبي ﷺ بمقتلهم وموضعه، وكان هلاك أكثر الصناديد على يد أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، كما عليه أكثر المؤرخين وأصحاب السير من الشيعة والسنة، ومن لم يقتله بنفسه فقد شرك هو في قتله.

فلما أتوا برأس أبي جهل للنبي ﷺ سجد لله شكراً، وقد قتله عبد الله بن مسعود إذ رآه مجروحاً، فاحتزّ رأسه وألقاه بين يدي النبي ﷺ[٣].

وهكذا تحققت نبوءة رسول الله في قاتل أبي جهل.

تحقق ما أنبأ عنه ﷺ في طرح الكفار في القليب

بعد ما كتب الله النصر للمسلمين وتحقق جميع ما أنبأ عنه النبي ﷺ من الغلبة، أمر ﷺ بطرح القتلى في القليب، فطرحوا فيه، إلاّ أمية بن خلف، حيث تزايل لحمه، فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة.

---

(١) أنظر مجمع البيان ٤: ٤٤٢، سيرة ابن هشام ٢: ٤٧٤، البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٣٧٦، تاريخ الطبري ٢: ١٦٠، مناقب آل أبي طالب ١: ٦٦، ما تليق: ما تبقي.

(٢) تفتُّ في أعضاد الناس: أي تلقي الضعف والنكسار فيهم وتذهب بقوتهم وشوكتهم.

(٣) قد اقتبست صورة هذه الوقعة بما فيها من النبوءات وما ورد في تحققها من كُتب السيرة والتفسير والتاريخ والحديث المعتبرة عند الفريقين، مثل تفسير القمي، والعياشي، ومجمع البيان، والكافي، وإعلام الورى، وقرب الإسناد، والمناقب لابن شهر آشوب، وبحار الأنوار، وسيرة ابن هشام، وابن كثير، وتاريخ اليعقوبي، والطبري، وإمتاع الأسماع، ودلائل النبوة، وتفسير القرطبي، وغيرها، فراجع.

ولما انتهى أمر المشركين سُمِع النبيﷺ في جوف الليل يخاطب القتلى بقوله: «**يا أهل القليب، يا عتبة ابن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام،**-فعدّد من أُلقي منهم في القليب-**هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً**»؟

فقيل: يا رسول الله تنادي قوماً قد جيفوا؟

فقال: «**وما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني**».

وفي بعض المرويات قال: «...**بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذّبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس؛ هل وجدتم...**»[1].

قريش تبعث فداء أسراها إلى النبيﷺ

إنّ بقايا قريش لما رجعوا إلى مكة مهزومين منكسرين، بعثوا إلى النبي بفداء أسراهم وكان في ضمن الأسرى أبو وداعة بن حبيرة السهمي، الذي أنبأ رسول اللهﷺ عن مجيء ابنه، إذ قال: «**إنّ له بمكة إبناً كيّساً تاجراً ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه**».

وسرعان ما تحققت نبوءة الرسول المصطفىﷺ، فإنّ قريش قالت: لا تعجلوا بفداء أسراكم، لا يأرب عليكم محمد وأصحابه، فقال المطّلب بن أبي وداعة:صدقتم لا تعجلوا، فانسلّ من الليل وقدم المدينة، ففدى أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق به، وكان أول أسير فُدي، ثمّ بعثت قريش في فداء أسراها...[2].

مؤامرة قتل النبيﷺ وإخباره عنها

بعد هلاك صناديد قريش في بدر بيسير جلس عمير بن وهب الجحمي مع صفوان بن أمية في الحجر، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فقال لصفوان بعد ذكر أصحاب القليب ومصابهم: أما والله لولا دين عليّ ليس

---

(١) لاحظ سيرة ابن كثير٢: ٤٨١ عن ابن إسحاق، البداية والنهاية١: ١٥٨، البحار ١٩: ٣٤٦.

(٢) لاحظ سيرة ابن كثير ٢: ٤٨١ عن ابن إسحاق، عيون الأثر١: ٣٥٠، لا يأرب: لا يتشدد.

عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتّى أقتله، فإنّ لي فيهم علة أعتلّ بها، ابني أسير في أيديهم.

فقال صفوان عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، فقال عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك، سأفعل، ثمّ أمر بسيفه فشُحذ له وسُمّ وانطلق حتّى قدم المدينة، فبينما المسلمون يتحدثون عن يوم بدر وما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلاّ لشرٍّ، وهو الذي حرّش بيننا وحزرنا[1] للقوم يوم بدر، فأخبر النبي ﷺ به.

فقال ﷺ: «أدخله عليّ» فأقبل عمر حتّى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّبه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: أُدخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا من هذا الخبيث.

فلما رآه رسول الله وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال ﷺ: «أرسله يا عمر، أدن يا عمير» فلما دنا، قال له: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: «فما بال السيف في عنقك؟» قال: قبّحها من سيوف وهل أغنت شيئاً! قال النبي ﷺ: «أصدِقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك.

فأنبأه النبي بما كان يأتمره وقال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثمّ قلت: لولا دينٌ عليّ وعيال عندي لخرجت حتّى أقتل محمداً، فتحمّل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك» فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذّبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلاّ أنا وصفوان، فوَ الله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثمّ شهد شهادة الحق.

---

(١) حرّش: حمل القوم بعضهم على بعض وأفسد بينهم، حزر: قدّر عددهم بالتخمين.

فقال رسول الله ﷺ: «فقّهوا أخاكم في دينه، وعلّموه القرآن، وأطلقوا أسيره» ففعلوا، فاستأذن النبي أن يرجع إلى مكة ويدعوهم إلى الإسلام، فأذن له، ورجع فدعاهم إلى الإسلام، فأسلم على يديه ناس كثير[١].

الإنباء عن مولد الحسن المجتبى عليه السلام

روي عن أمّ الفضل زوجة العباس أنها قالت: قلت يا رسول رأيت في المنام كأنّ عضواً من أعضائك في حجري، فقال ﷺ: «تلد فاطمة غلاماً فتكفليه» فوضعت فاطمة الحسن، فدفعه إليها ﷺ فرضعته بلبن قُثم بن العباس[٢].

وفي رواية قال ﷺ: «تلد ابنتي فاطمة غلاماً ترضعينه بلبن قُثم»[٣].

فوُلد صلوات الله عليه بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به أمّه فاطمة عليها السلام إلى النبي ﷺ يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنة، جاء بها جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فسمّاه حسناً بأمر من الله وعقّ عنه كبشاً.

الإنباء عن موقف عثمان في إخفاء المغيرة في المشجب

إنّ للخليفة عثمان مثالب ظهرت منه في مواقف عديدة تضيء شخصيته المترجرجة، وقد ملأت مواقفه السلبية كتب السيرة والتاريخ، وإن حاول الكثير من الكتّاب إخفاء تلك الحقائق بتبريرها وتحريفها، بيد أنّ الله يأبى إلا أن يخزي الخائنين.

وكان من أحد مثالبه البارزة التي قد تشخّص بها أن آوى أعداء رسول الله ﷺ الحاقدين الذين طردهم وهدر دمهم وحذّر المسلمين عن إيوائهم، منهم المغيرة بن أبي العاص الملعون على لسان رسول الله ﷺ، وبإزائه طرد أصحاب رسول الله الصالحين، مثل أبي ذر الغفاري الذي قال ﷺ في حقه: «ما أظلّت

---

(١) لاحظ سيرة ابن كثير٢: ٤٨٦-٤٨٨، عن ابن إسحاق، المعجم الكبير للطبراني ١٧: ٥٨.

(٢) العُدد القوية، وعنه في البحار ٤٣: ٢٤٢، وورد مضمونه في مسند أحمد ٦: ٣٣٩، وغيره.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٢: ١٤٦، الطبقات الكبرى ٨: ٢٧٩.

الخضراء ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[1].

فنفاه عثمان في خلافته من المدينة إلى الربذة.

ففي الكافي ضمن حديث عن الصادق عليه السلام ذكر فيه عثمان فقال:... آوى عمه المغيرة بن أبي العاص، وكان ممّن هدر رسول الله دمه، فقال لابنة رسول الله ﷺ: لا تخبري أباك بمكانه، كأنه لا يوقن أنّ الوحي يأتي محمداً، فقالت: ما كنت لأكتم رسول الله عدوّه، فجعله بين مشجب[2] له ولحّفه بقطيفة، فأتى رسول الله الوحي، فأخبره بمكانه، فبعث علياً عليه السلام وقال: اشتمل على سيفك، وائت بيت ابنة ابن عمك فإن ظفرت بالمغيرة فاقتله، فأتى البيت فجال فيه فلم يظفر به، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال:يا رسول الله لم أره، فقال ﷺ: **«إنّ الوحي قد أتاني فأخبرني أنه في المشجب»**.

ودخل عثمان بعد خروج علي عليه السلام، فأخذ بيد عمّه فأتى به إلى النبي ﷺ،فلمّا رآه أكبّ عليه، ولم يلتفت إليه وكان نبي الله ﷺ حيّياً كريماً، فقال: يا رسول الله هذا عمي، هذا المغيرة بن أبي العاص، وقد والذي بعثك بالحق آمنته، فأعادها ثلاثاً... .

قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذب والذي بعثه بالحق ما آمنه، وأعادها ثلاثاً أنّى آمنه؟ إلا أنه يأتيه عن يمينه ثم يأتيه عن يساره، فلما كان في الرابعة رفع رأسه إليه فقال له: قد جعلت لك ثلاثاً (أي ثلاثة أيام)، فإن قدرت عليه بعد ثالثة قتلته.

فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: **«اللهم العن المغيرة بن أبي العاص والعن من يؤويه والعن من يحمله والعن من يطعمه والعن من يسقيه والعن من يجهّزه والعن من يعطيه سقاءً أو حذاء أو رشاءً أو وعاء»**، وهو يعدهنّ بيمينه[3].

---

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٣٤ ح ٣٨٨٩، أنساب الأشراف ٥: ٥٤، مناقب أمير المؤمنين لابن سليمان الكوفي: ٤٢١.

(٢) المشجب: خشب منصوبة توضع عليها الثياب.

(٣) وفي رواية الخرائج ١: ٩٥...قال: يا رسول الله إنك آمنت عمّي المغيرة، وكذب، فصرف رسول

وقال الصادق عليه السلام: فانطلق به عثمان فآواه وأطعمه وسقاه وحمله وجهّزه حتى فعل جميع ما لعن عليه النبي ﷺ من يفعله به، ثم أخرجه في اليوم الرابع يسوقه، فلم يخرج من أبيات المدينة حتى أعطب الله راحلته ونقب حذاه وورمت قدماه فاستعان بيديه وركبتيه وأثقله جهازه حتى وجس به، فأتى شجرة فاستظلّ بها، لو أتاها بعضكم ما أبهره ذلك[1].

فأتى رسول الله الوحي فأخبره بذلك فدعا علياً عليه السلام فقال: «**خذ سيفك وانطلق أنت وعمار وثالث لهم، فأت المغيرة بن أبي العاص تحت شجرة كذا وكذا**» فأتاه علي عليه السلام فقتله، فضرب عثمان بنت رسول الله ﷺ وقال: أنت أخبرت أباك بمكانه[2].

من أطاف البارحة بفتاته

فأرسلت إلى رسول الله ﷺ تشكو ما لقيت، فأرسل إليها رسول الله ﷺ «**أتني حيلك ما أقبح بالمرأة ذات حسب ودين في كل يوم تشكو زوجها**» فأرسلت إليه مرات كل ذلك يقول لها ذلك، فأرسلت إليه أنه قتلني.

فلما كان في الرابعة دعا علياً عليه السلام وقال «**خذ سيفك واشتمل عليه، ثم ائت بيت ابنة عمك فخذ بيدها فإن حال بينك وبينها أحد فاحطمه بالسيف**» وأقبل رسول الله ﷺ كالواله من منزله إلى دار عثمان، فأخرج علي عليه السلام ابنة رسول الله، فلما نظرت إليه رفعت صوتها بالبكاء واستعبر رسول الله ﷺ وبكى، ثم أدخلها منزله وكشف عن ظهرها، فلما رأى ما بظهرها قال ثلاث مرات: «**ماله قتلكِ قتله الله**» وكان ذلك يوم الأحد، وبات عثمان ملتحفاً

الله ﷺ وجهه عنه، ثم قال: «آمنه وأجّلناه ثلاثاً، فلعن الله من أعطه راحلة أو قتباً أو سقاءً أو قربة أو دلواً أو خفاً أو نعلاً أو زاداً أو مزاداً...» قال عاصم: هذه عشرة أشياء، فأعطاها كلها إياه عثمان، فخرج فسار على ناقته فنقبت...

(١) نقبت حذاه: أي رقّت، وجس به: خاف الموت على نفسه، البهرة: تتابع النفس للإعياء.

(٢) وفي الخرائج: فرجع عثمان من عند النبي ﷺ فقال لامرأته: إنك أرسلت إلى أبيك فأعلمته بمكان عمي، فحلفت له بالله ما فعلتُ، فلم يصدّقها فأخذ خشبة القتب فضربها مبرحاً.

بجاريتها، فمكثت الاثنين والثلاثاء وماتت في اليوم الرابع، فلما حضر أن يخرج بها أمر رسول اللهﷺ فاطمةعليها السلام فخرجت ونساء المؤمنين معها، وخرج عثمان يشيّع جنازتها، فلما نظر إليه النبيﷺ قال: «**من أطاف البارحة بأهله أو بفتاته فلا يتبعنّ جنازتها**» قال ذلك ثلاثاً فلم ينصرف، فلما كان في الرابعة، قال: «**لينصرفنّ أو لأسمّينّ باسمه**» فأقبل عثمان متوكئاً على مولى له يمسك ببطنه، فقال: يا رسول الله إني أشتكي بطني فإن رأيت أن تأذن لي أنصرف!!، قال: «**انصرف**»، وخرجت فاطمةعليها السلام ونساء المؤمنين والمهاجرين فصلّين على الجنازة[1]، أقول: وفي قولهﷺ: «**من أطاف البارحة بأهله...**» نبوءة أخرى عما كان عليه عثمان تلك الليلة وتوبيخاً له.

وفي شأن رقية سأل أبو بصير الصادقعليه السلام: أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: نعوذ بالله، ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر، إنّ رقيّة لما قتلها عثمان وقف رسول اللهﷺ على قبرها فرفع رأسه إلى السماء، فقال: «**اللهم هب لي رقية من ضمة القبر**» فوهبها الله له[2].

وقد تكررّ هذا الموقف من عثمان عند ما آوى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري المرتد الذي هدر رسول اللهﷺ دمه بعد فتح مكّة.

فإنه كان يكتب لرسول اللهﷺ فصار إلى مكة مرتداً، فقال: أنا أقول كما يقول محمد، والله ما محمد نبيّ وقد كان يقول لي: «**أكتب عزيز حكيم**»فأكتب لطيف خبير، ولو كان نبيّاً لعلم، فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع، وأتى به إلى رسول اللهﷺ فجعل يكلّمه فيه ورسول الله ساكت، ثم قال لأصحابه: «**هلاّ قتلتموا هذا الفاسق**»! فقالوا: انتظرنا أن تومىء.

فقال رسول اللهﷺ: «**إنّ الأنبياء لا تقتل بالإيماء**»[3].

وقد قالﷺ في عبد الله بن أبي سرح: «**إنه كلب**»[4].

---

(١) الكافي٣: ٢٥١ح ٨، وعنه في البحار ٢٢: ١٥٨.

(٢) الكافي١: ٦٤، وعنه في البحار٢٢: ١٦٣.

(٣) مغازي الواقدي٢: ١٨٥٦، لكامل في التاريخ ٢: ٢٥١، مستدرك الحاكم٣: ٣١٢.

(٤) أنساب الأشراف١: ٤٥٤.

بيد أنّ عثمان عيّن هذا الكلب والياً على مصر عناداً لرسول الله ﷺ!! واعترض عليه أهل مصر فقالوا: كيف تولّيه على المسلمين وقد أباح رسول الله ﷺ يوم الفتح دمه؟![1].

ويؤيد غضب رسول الله على عثمان في قتله رقية، ما في مسند أحمد عن أنس: إنّ رقية رضي الله عنها لما ماتت قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل القبر رجل قارف أهله**» فلم يدخل عثمان القبر[2].

مع أنّ زوج المرأة أولى من غيره في دخول القبر، بيد أنه مُنِع من دخول القبر لما صدر منه من القسوة وعدم الرأفة على زوجته، وآية ذلك المقارفة في ليلة وفاتها والكون على السمر والفرح في ليلة المصيبة والحزن، ومن ثم فضحه النبي ﷺ وأبدى خبيئة سرّه للناس، فانتشر الخبر بين المسلمين وساءت سمعته، لخيانته في إخفاء أعداء رسول الله والظلم على رقية المعروف أنها بنت رسول الله ﷺ.

و اعتقد بعض المحققين:أنها لم تكن ابنته على الحقيقة، بل هي ربيبته، وقد أقام على هذا القول أدلة وشواهد إن شئت فراجع كتاب بنات النبي أم ربائبه؟ للسيد جعفر مرتضى العاملي،والصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج٥: ٢٢٨ لنفس المؤلف.

ومع صدور تلك الخيانة والجناية على رقية، كيف يمكن ويعقل أن يزوّجه رسول الله أمّ كلثوم؟!! أوكيف يقول رسول الله ﷺ: «**لو كنّ عشراً لزوجتهنّ عثمان**»؟ أو يقول: «**ما زوّجت عثمان أمّ كلثوم إلاّ بوحي من السماء؟**»!!، وأمثال هذه المكذوبات التي وضعوها لهدف إخفاء الحقائق وتحريفها وصنع شخصية كاذبة لعثمان، ريثما تقابل شخصية أمير المؤمنين علي عليه السلام وفضائله، بكونه زوج ابنة رسول الله ﷺ، بل كونه ذا النورين، ويكون له صهر مثل رسول الله ﷺ ويصبح بهذا اللقب أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّ علياً كان ذا نور واحد.

---

(١) السيرة الحلبية٢: ٢٦٩.

(٢) مسند أحمد ٣: ٢٢٩، وانظر الغدير للأميني ٨: ٢٣٢ و٩: ٣٧٢، وله في المقام بيان فراجع.

والحال أنّ تزويجه رقية كان تألّفاً لإسلامه وانصياعه تحت راية الإسلام، إذ طلب من أبي بكر أن يخطب له رقية-وكانت ذات جمال رائع-من رسول الله على أن يسلم، فزوّجه رسول الله ﷺ تألفاً له[1]، فكان إسلامه طمعاً في التلذّذ بالشهوات لا رغبة في الدين.

غزوة أحد وما ورد فيها من الإنباء

فقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن هذه الغزوة وما يقع فيها من الأحداث والمصائب، وأخبر بأن النصر للمسلمين إن صبروا، وذلك عند ما شاع خبر زحف المشركين للحرب، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: **«أيها الناس إني رأيت في منامي كأني في درع حصينة، ورأيت كأنّ سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبّته، ورأيت بقراً تذبح، ورأيت كأني مردف كبشاً»**.

قال الناس: يا رسول الله فما أوّلتها؟ قال: **«أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها، وأما انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي، وأمّا البقر المذبّح فقتلى في أصحابي، وأما إني مردف كبشاً، فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله»**[2].

وفي مقام آخر قال ﷺ لعمه حمزة رضي الله عنه في الليلة التي أصيب في يومها مخبراً فيها عن شهادته: **«يا حمزة يا عمّ رسول الله، يوشك أن تغيب غيبة بعيدة، فما تقول لو وردت على الله تبارك وتعالى وسألك عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟»**، فبكى حمزة وقال: بأبي أنت وأمي أرشدني وفهّمني.

فقال: **«يا حمزة تشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، وأني رسول الله تعالى بالحق»** قال حمزة: شهدت... وساق الحديث في شروط الإيمان التي منها الإقرار بولاية أمير المؤمنين وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ثمّ أنبأه أيضاً: **«أنك سيد الشهداء وأسد الله ورسوله و...»**[3].

---

(١) مناقب آل أبي طالب١: ٢٢.

(٢) أنظر سيرة ابن كثير٣: ٢٣، البحار٢٠: ١٢٣عن شرح النهج لابن أبي الحديد،وغيرها.

(٣) البحار ٢٢: ٢٧٨-٢٧٨ ح ٣٢، رواه من كتاب الطرف لابن طاووس.

وبعد ما أنبأهم بالرؤيا وتعبيرها، قال ﷺ: «**أشيروا عليّ**» ورأى ﷺ أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا، ووافقه على هذا الإقتراح عبد الله بن أبيّ، وكان ذلك رأي الأكابر من المهاجرين والأنصار.

إلاّ أنه قام فتيان أحداث لم يشهدوا بدراً فطلبوا من النبي ﷺ الخروج إلى العدو ورغّبوا في الشهادة، وأيدهم رجال آخرون، منهم حمزة عم النبي وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك و... .

فكان قولهم: إنا نخشى أن يظن عدونا أنّا كرهنا الخروج إليهم جُبناً عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا، فقال حمزة: والذي أنزل عليه الكتاب لا أطعم اليوم طعاماً حتّى أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة، وكان في يوم الجمعة والسبت صائماً، فلاقاهم وهو صائم.

فلما انتهى الأمر إلى الخروج صلّى بهم الجمعة ووعظهم وأخبرهم «**بأنّ لهم النصر ما صبروا**»[1]، وهذا أيضاً خبر غيبي دال على نبوته يبشرهم بالنصر بشرط الصبر والطاعة.

فلبس النبي ﷺ لامته وتهيأ للحرب وقال: «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يقاتل**»، وخرج ﷺ مع نفر من أصحابه يبتغون موضعاً للقتال، فلختار أن يكون جبل أحد من خلفهم وجبل عينين إلى يسارهم، والمدينة أمامهم، ونظراً لوجود شعب في جبل عينين جعل رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب، وأشفق أن يأتي كمين العدو من ذلك المكان، فقال لعبد الله بن جبير وأصحابه: «**إن رأيتمونا قد هزمناهم حتّى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا، والزموا مراكزكم**»[2].

وهذا الكلام دليل على علمه بما سيصدر من المشركين من المكيدة، و فيه إيحاء إلى خذلان المسلمين.

---

(١) أنظر البحار ٢٠: ١٢٤ عن الواقدي، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ٣٦ غزوة أحد.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٢٢٢، تاريخ الخميس ١: ٤٢٤.

ومن جانب آخر: هذا الإنتخاب والأمر الصادر من القائد الحكيم، تتجلّى فيه عبقرية قيادة النبي ﷺ العسكرية، وأنه لا يمكن لأيّ قائد مهما كانت كفاءته أن يضع خطة أدق وأحكم من هذا، حيث احتلّ أفضل موضع في ساحة القتال،مع أنّ نزوله كان بعد نزول العدو، فتراه حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل، وحمى ميسرته وظهره حين يحتدم القتال بسدّ الثلمة الوحيدة التي كانت في جانب جيش الإسلام، واختار لمعسكره موضعاً مرتفعاً يحتمي به إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين، وألجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم الغلبة معه.

غير أنّ الشرط الأساسي لتحقق الخطط العسكرية هو إطاعة أمر القائد الحكيم وعدم التخلف عن أوامره، وإلا فلا أثر حتّى لأقوى الخطط، كما حدث-مع كل الأسف-في غزوة أحد.

ثم أخرج النبيّ سيفاً وقال: «من يأخذ بحقه؟»، فقال عمر بن الخطاب: أنا، فأعرض النبي ﷺ عنه، وقال الزبير: أنا، فأعرض عنه، فوجدا في أنفسهما، فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: وما حقّه يا رسول الله؟ قال ﷺ: «تضرب به حتّى ينثني» فقال: أنا آخذه بحقه، فأعطاه إياه[1].

وكان أبو دجانة عند حسن ظن رسول الله ﷺ، خلافاً لغيره.

وفي امتناعه من إعطاء السيف لعمر والزبير دليل من دلائل نبوته ﷺ وإنباء بأنهما سيفرّان، وقد تحقق هذا الأمر حينما فرّ كثير من المسلمين، وكانا من الفارين والمخالفين لأمر رسول الله ﷺ، وثبت أبو دجانه حتّى استشهد.

ولما قربت ساعة الصفر وأخذ الفريقان صفوفهم، وكان حامل لواء المسلمين علي بن أبي طالب ؑ[2]، وأول من حمل لواء الكفر طلحة بن أبي طلحة-كبش

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٣: ٢١٣،و رواه الطبري في تاريخه ٢: ١٩٥، غير أنه لم يذكر عمر، بل قال: إنّ الزبير قام مرتين وطلب منه أخذ السيف، وفي تفسير ما حقه؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «حقه ألا تقتل به مسلماً، وأن لا تفرّ به عن كافر»، وانظر مستدرك الحاكم ٣: ٢٣٠.

(٢) مستدرك الحاكم٣: ١١١، فقد روي عن ابن عباس أنه قال: كان لعلي ؑ أربع خصال ليست لأحد: هو أول عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لوائه معه في كل زحف و...، مناقب الخوارزمي١: ٢٢، الإرشاد للمفيد: ٤٨، الثقات لابن حبان١: ٢٢٤، وفي تاريخ الخميس١: ٤٣٤ قال: كسرت

الكتيبة-، فصاح من يبارز؟ فلم يجترأ أحد على برازه إلا أمير المؤمنين عليه السلام، برز إليه كالأسد الهصور وهو يرتجز، فشدّ طلحة على علي عليه السلام فضربه، فاتقاه أمير المؤمنين بالحجفة، ثمّ ضربه على فرقه ففلق هامته، فسقط على ظهره وسقطت راية المشركين، وانصرف علي عليه السلام، فقيل له: هلا دفّفت عليه؟ قال إنه لما صرع استقبلتني عورته، فعطفتني عليه الرحم، وقد علمت أنّ الله سيقتله، هو كبش الكتيبة، فسرّ رسول الله ﷺ وكبّر تكبيراً عالياً، وكبّر المسلمون[1].

وعلى هذا الضوء يتجلّى أنّ شخصية النبي وأمير المؤمنين عليه السلام ليست متألّقة في الشجاعة فقط، بل هي نسيج من الشجاعة ممزوجة بأعلى فضائل الأخلاق، فأخلاق علي عليه السلام تتمثل في عدم قتل الهارب من المعركة، والأسير ومن كشف عورته وسأله بالرحم.

ثم حمل اللواء سائر صناديدهم، فقتلهم أمير المؤمنين واحداً بعد واحد.

قال الواقدي: وقالوا: ما ظفر الله بنبيه قطّ ما ظفره وأصحابه يوم أحد حتّى عصوا الرسول وتنازعوا في الأمر، لقد قتل أصحاب اللواء وانكشف المشركون، ونساؤهم يدعون بالويل بعد ضرب الدفوف، فلما ترك أصحاب عبد الله بن جبير مراكزهم طمعاً في الغنائم ونظر خالد بن الوليد إلى خلأ الجبل وقلة أهله، فرجع بالخيل وتبعه عكرمة بمن معه، وانطلقا إلى موضع الرماة فحملوا عليهم فراماهم القوم حتّى أُصيبوا، ورامى عبد الله بن جبير حتّى فنيت نبله، ثمّ طاعن بالرمح حتّى انكسر ثمّ كسر جفن سيفه فقاتل حتّى قتل[2].

هزيمة المسلمين

وعند ذلك أحدقوا بالمسلمين ووضعوا السيف فيهم، فاستشهد حمزة عمّ

يده يوم أحد فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله ﷺ: «دعوه في يده اليسرى إنه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة».

(١) أنظر مغازي الواقدي ١: ٢٢٦، تاريخ الطبري ٢: ١٩٤، الكامل في التاريخ ٢: ١٠٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤: ٢٣٦، البحار ٢٠: ١٢٧، الحجفة: الترس، دفف: أجهز

(٢) أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤: ٢٣٩، والبحار ٢٠: ١٢٨ أنظر الواقدي. و الطبقات الكبرى ٣: ٤٦٣، وسبل الهدى والرشاد ٤: ١٩٥، وعيون الأثر ١: ٤١٦.

رسول اللهﷺ وجمع من المسلمين، وعادت راية المشركين إلى الارتفاع، فلما نظرت قريش إلى الراية قد ارتفعت لاذوا بها، وجاء إبليس عليه اللعنة في صورة جعال بن سراقة وناديٰ: ألا إنّ محمداً قد قتل، فانهزم أصحاب رسول الله هزيمة قبيحة، وتخلّوا عن رسول اللهﷺ، وكان رسول اللهﷺ يدعوهم فلم يجيبوه، فلم يبق معه إلاّ أمير المؤمنينعليه السلام وأبو دجانة وسبعة من الأنصار، ومن ثمّ قال رسول الله في حق الهاربين: «من فرّ يوم الزحف فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير»[1].

والذي يستفاد من ظلال ما رواه كُتّاب السيرة والتاريخ من الفريقين هو الاتفاق على انهزام أبي بكر وعمر وعثمان ومعظم المسلمين من المعركة واختفائهم في الجبل إلى ثلاثة أيام، وتركهم نبيهمﷺ يلاقي سيوف قريش الحاقدة، غير أنّ منهم من لم يصرّح بأسمائهم!.

فقال لهم رسول اللهﷺ حين رآهم بعد ثلاثة أيام: «لقد ذهبتم فيها عريضة»[2].

وإذ ذاك نزل القرآن في شأنهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾[3].

وقد اعترف عمر بذلك في خطبة له حينما قرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ فقال: لما كان يوم أحد هزمونا، ففررت حتّى صعدت الجبل، فلقد رأيتني أنزو كأنني أروى والناس يقولون قتل محمدﷺ[4].

---

(١) أنظر المصادر السابقة.

(٢) لاحظ صحيح مسلم ٥: ١٧٥، مغازي الذهبي: ١٩١، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ٢، طبقات ابن سعد ٣: ١٥٥، سيرة ابن كثير ٣: ٥٨، تفسير الطبري ٤: ٩٦، الكامل لابن أثير٢: ١٥٨، الاستيعاب لابن عبد البرّ ٢: ٤٣، الاصابة لابن حجر٢: ١٩٠، الدر المنثور ٢: ٣٥٥، وقال الفخر الرازي في تفسيره ٩: ٥٠: ومن المنهزمين عثمان، انهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهما سعد وعقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعاً بعيداً ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم النبيﷺ: «لقد ذهبتم عريضة»، وقال ايضاً: ومن المنهزمين عمر بن الخطاب، إلاّ أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد، بل ثبت على الجبل.

(٣) آل عمران: ١٥٥.

(٤) حياة الصحابة ٣: ٤٩٧، كنز العمال ٢: ٢٤٢، وفي المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١١٦ عن النطنزي

ولما انهزم المتأسلمون واستشهد المؤمنون، منهم أبو دجانة بقي أمير المؤمنين يدافع عن رسول الله ﷺ وحده، فكلما حملت كتيبة من المشركين عليه ﷺ نادى علياً عليه السلام: «**يا علي اكفني هذه الكتيبة**» فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارساً، وهو راجل، فما زال يضربها بالسيف حتّى تتفرق عنه، ثمّ تجتمع عليه كتيبة أخرى، وهكذا حتّى أبادهم جميعاً وفرّقهم عن رسول الله ﷺ، وقد تقطّع سيفه ثلاث قطع، فجاء إلى النبي ﷺ فطرحه بين يديه، فقال: هذا سيفي تقطع، فيومئذ أعطاه النبي ﷺ ذا الفقار، وكان قد أصيب عليه السلام بتسعين جراحة.

فنزل جبرئيل وقال: يا رسول الله ﷺ: إنّ هذه للمواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى، فقال رسول الله ﷺ: «**وما يمنعه وهو مني وأنا منه**» فقال جبرئيل: وأنا منكما[1].

في الخصائص بسنده عن شقيق بن سلمة قال: كان عمر يمشي فالتفت إلى ورائه وعدا، فسألته عن ذلك، فقال: ويحك أما ترى الهزبر القثم ابن القثم الفلاق للبهم الضارب على هامة من طغى وظلم ذا السيفين ورائي؟ فقلت: هذا علي بن أبي طالب، فقال: ثكلتك أمك إنك تحقّره، بايعنا رسول الله ﷺ يوم أحد أنّ من فرّ منا فهو ضال ومن قتل فهو شهيد ورسول الله يضمن له الجنة، فلما التقى الجمعان هزمونا وهذا كان يحاربهم وحيداً حتى انسلّ نفس رسول الله وجبريل، ثم قال: عاهدتموه وخالفتموه ورمى بقبضة رمل فقال: شاهت الوجوه، فوالله ما كان منا إلا أصاب عينه رملة، فرجعنا نمسح وجوهنا قائلين: الله الله يا أبا الحسن أقلنا أقالك الله فالكرّ والفرّ عادة العرب فاصفح، وكل ما أراه وحيداً إلاّ خفت منه، وعنه في البحار ٤١: ٧٢ ح٣، مدينة المعاجز ٢: ٨١، وفي فرار أبي بكر قالت عائشة: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: كان ذاك يوماً كله يوم طلحة، ثم أنشأ يحدّث، قالت: قال: كنت أول من فاء يوم أحد إلى رسول الله ﷺ...أنظر مسند أبي داود الطيالسي: ٣ح٦، تاريخ الاسلام للذهبي ٢: ١٩١، دلائل النبوة ٣: ٢٦٣. وقد كثرت المرويات في فرار عثمان، منها: ما رواه الواقدي عن شيوخه، قالوا: لما صاح إبليس أنّ محمداً قد قتل تفرق الناس، فمنهم من ورد المدينة حتى دخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن: عن رسول الله تفرون؟! قال: وكان ممن ولّ فلان بن فلان والحارث بن حاطب و...ولم يذكر اسم الفار الاول، وصرّح البلاذري في روايته عن الواقدي أنه عثمان، لاحظ دلائل النبوة ٣: ٢٦٠، واعترف ابن عمر بفرار عثمان يوم التقى الجمعان، إلاّ أنه قال: قد عفا الله عنه، أخرجه البخاري في المغازي-غزوة أحد-٢: ٥٨١.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٢٣٧، وانظر الكامل في التاريخ لابن أثير ٢: ١٠٧-ذكر غزوة أحد-، مجمع الزوائد ٦: ١١٤، البحار ٢٠: ٥٤، ٩٥، ١٠٥، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤: ٢٥٠ – ٢٥١ قال: ثمّ سُمع في تلك الساعة مناد ينادي في السماء لا يُرى شخصه: لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي،

وقد أقبل عليٌّ عليه السلام على النبي ﷺ يقول: يا رسول الله؛ أسمع دوياً شديداً وأسمع: أقدم حيزوم، وما أهمّ أضرب أحداً إلاّ سقط ميتاً قبل أن أضربه، فقال: «هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة»[1].

وكان من نبوءاته ﷺ بعد ما أفاق من غشيته أن قال: «إنهم لن ينالوا منا مثلها أبداً»[2]، وهكذا كان.

تحقق نبوءته ﷺ في مقتل أُبيّ بن خلف

لما أسند رسول الله ﷺ في شعب الجبل الذي كان مقرّ المنهزمون - وكان ﷺ قد أُثخن في الجراح - أدركه أُبيّ بن خلف وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوتُ إن نجى، فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: «دعوه»؛ فلما دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة واستقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً.

وكان أُبيّ بن خلف يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد إنّ عندي العود(أي:فرساً)أعلفه كل يوم فرَقاً من ذرة أقتلك عليه.

فيقول رسول الله ﷺ في جوابه: «أنا أقتلك إن شاء الله» فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً خفيفاً لا يُعتدّ به فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد، فقالوا: ذهب والله فؤادك! والله إن بك بأس؛ قال: إنه قد كان قال لي بمكة: «أنا أقتلك» فوَالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدوّ الله بسرف وهم قافلون إلى

فسأل النبي ﷺ عنه، فقال: «هذا جبرئيل».

(١) الكافي ٨: ٣٢١ ح ٥٠٢، وعنه في البحار ٢٠: ١٠٨، تفسير كنز الدقائق ٢: ٢٤٤، أقول: ومن أجل هذه البطولات والتضحيات العظيمة حقدت قريش على علي وأبناء عليهم السلام وظلّ الحقد يغلي في صدور رجال الحزب القرشي إلى أن أخذوا بثارهم حين استضعفوهم بعد رسول الله ﷺ، واستمرّ العدوان حتّى قتلوا أفلاذ كبد رسول الله ﷺ في مواطن عديدة، منها كربلاء، ومن ثم قالت فاطمة عليها السلام: إنّ ما جرى عليهم بعد وفاة رسول الله ﷺ كان بسبب أحقاد بدرية وترات أُحُدية، أنظر المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٤٩، وعنه في البحار ٤٣: ١٥٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٢: ٤٤، سبل الهدى والرشاد للصالحي٤: ٢٣١،ورواه ابن شهر آشوب في المناقب١: ٩٥، والمجلسي في البحار ١٨: ١٣٢ عن شرف المصطفى.

مكة، وقد قال رسول الله ﷺ: «اشتدّ غضب الله على رجل قتله رسول الله ﷺ فسحقاً لأصحاب السعير»[١].

ولما انهزم القوم قال رسول الله ﷺ لعلي: «يا عليّ إمض بسيفك حتّى تعارضهم فإن رأيتهم قد ركبوا القلاص وجنّبوا الخيل فإنهم يريدون مكة، وإن رأيتهم قد ركبوا الخيل وهم يجنبون القلاص فإنهم يريدون المدينة» فأتاهم علي عليه السلام، فكانوا على القلاص، فقال أبو سفيان لعلي عليه السلام: يا علي ما تريد هو ذا نحن ذاهبون إلى مكة فانصرف إلى صاحبك[٢].

فاتّبعهم جبرئيل فكلما سمعوا وقع حافر فرسه جدّوا في السير وكان يتلوهم، فإذا ارتحلوا قالوا: هو ذا عسكر محمد قد أقبل، فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر وجاء الرعاة والحطابون فدخلوا مكة فقالوا: رأينا عسكر محمد كلّما رحل أبو سفيان نزلوا، يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم، فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبخونه على تلك الفضيحة[٣].

وفي الجملة أنه قد تحقق في هذه المعركة جميع ما أخبر به النبي ﷺ مما رآه في منامه من انقصام السيف، وهي المصيبة العظمى التي وردت عليه ﷺ أثر مخالفة المسلمين أمره بتركهم مواقعهم التي وضعهم فيها من الجبل، وكان قد أكّد عليهم بعدم تركها مهما بلغ الأمر، لكان علمه بمكيدة العدو، ومن ثمّ أخبرهم بأنّ النصر والغلبة لهم ما صبروا وأطاعوا الأمر، ومفاده الإخبار بنزول المصيبة والانكسار المؤلم في صورة المخالفة ومعصية الأمر، وما كان يترقبه قبل شروع الحرب.

وهكذا البقر المذبّح، حيث وقع القتل في أصحاب النبي ﷺ المخلصين واستشهد منهم عدد كثير، منهم أسد الله وأسد رسوله حمزة سيد الشهداء، فقد قاتل في سبيل رسول الله وجاهد حتّى استشهد، وكانت مصيبته من أعظم

---

(١) انظر تاريخ الطبري٢: ٢٠٠، سيرة ابن كثير٣: ٦٤، الروض الأنف ٣: ٢٦٩، الفرَق: مكيال يسع ستة عشر منّاً، وقيل اثنى عشر رطلاً.

(٢) انظر سيرة ابن كثير ٣: ٧١، وفاء الوفا للسمهودي ١: ٢٩٤، الروض الأنف ٣: ٢٨٠.

(٣) الكافي ٨: ٣١٨ح ٥٠٢، وقد ذكر القصة بتمامها.

المصائب على رسول الله ﷺ.

وهلاك كبش الكتيبة وحامل لواء المشركين وغيره من الصناديد، وقد تحقق على يد أمير المؤمنين وصار سبباً لوهن المشركين.

وهكذا تحققت سائر نبوءاته ﷺ، وتمّ النصر والغلبة على المشركين بعد الهزيمة والإنكسار، وهكذا تحقق ما وعد الله.

ما يلحق بغزوة أحد من النبوءات

منها: قوله ﷺ: «حنظلة غسيل الملائكة»

إنّ حنظلة ابن أبي عامر لما استشهد في الحرب، قال رسول الله ﷺ: «**إنّ صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته عنه**».

فسُئلت زوجته جميلة بنت أبيّ بن سلول، وكانت عروساً عليه تلك الليلة، فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهاتف، فقال رسول الله ﷺ: «**كذلك غسلته الملائكة**»[1].

ومنها: قوله ﷺ: عبد الله بن حرام تظلّه الملائكة بأجنحتها

يقول جابر بن عبد الله الأنصاري: دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلاّ مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبي ﷺ وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإنّ عليّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً...، فأصبحنا فكان أول قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثمّ لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هنيّة غير أذنه[2].

وقال أيضاً: إنه لما قُتل أمر به رسول الله ﷺ فرفع، فسمع صوت باكية أو صائحة، فقال: «**من هذه؟**» فقالوا: بنت عمرو أو أخت عمرو.

---

(١) سيرة ابن كثير ٣: ٤١، مستدرك الحاكم ٣: ٢٠٤.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٩٥، فتح الباري ٣: ١٧٣. ويمكن أن يكون صدور هذا الكلام منه على أثر نبوءة أنبأ النبي ﷺ بها، كما تكررت منه لغيره، كقوله ﷺ لحمزة: «**يوشك أن تغيب غيبة بعيدة**»، أنظر البحار ٢٢: ٢٧٩.

فقال: «ولم تبكي؟ فما زالت الملائكة تظلّه بأجنحتها حتّى رفع»[١].

وفي هذا الإنباء إخبار عن فضله وكرامة الله لهذا الصحابي الجليل، وتسلية لأهله وابنه جابر.

وروى جابر أيضاً: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يا جابر! ألا أخبرك ما قال الله ﷻ لأبيك؟**» قلت بلى، قال: «**ما كلّم الله أحداً إلاّ من وراء حجاب، وكلّم أباك كفاحاً، فقال: يا عبدي تمنّ عليّ أعطك، قال: يا رب فأبلغ من ورائي**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[٢].

ومنها: قوله ﷺ: «قزمان من أهل النار»!!

رأى أصحاب رسول الله ﷺ في معركة أحد رجلاً يضرب بسيفه ولا يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلاّ اتّبعها يضربها بسيفه، فقيل: ما أُجزأ منا اليوم أحد كما أُجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**» فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرِح الرجل جرحاً شديداً، فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين يديه، ثمّ تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: «**وما ذاك؟**».

قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، وذكر قصته... .

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: «**إنّ الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإنّ الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»[٣].

---

(١) أنظر سنن النسائي ٤: ١١، مسند أبي داود: ٢٣٧، فضائل الصحابة لأحمد: ٤٣.

(٢) تفسير ابن كثير ١: ٤٣٦، أُسد الغابة ٣: ٢٣٦، الآية في سورة آل عمران: ١٦٩.

(٣) صحيح البخاري ٣: ٢٢٦، وفي فتح الباري١١: ٤٢٦: إنّ اسم الرجل قزمان الظفري، وكان قد تخلّف عن المسلمين يوم أحد فعيّرته النساء، فخرج حتّى صار في الصف الأول، فكان أول من رمى بهم، ثمّ صار إلى السيف ففعل العجائب، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول، الموت أحسن من الفرار، فمرّ به قتادة بن النعمان فقال له: هنيئاً لك الشهادة، قال: والله إني ما

غزوة الخندق وما ورد فيها من الأنباء

حدثت هذه الغزوة في شهرشوال من السنة الخامسة للهجرة، وذلك لأنّ نفراً من يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن المدينة وعاهدوه على أن لا يحاربوه ولا يعينوا أحداً على حربه، قدموا مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله ﷺ، فسرّت قريش على ذلك واستفحلت، وكتبوا على ذلك بينهم عهداً، ثمّ جاؤا إلى غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم، وأنّ قريشاً بايعوهم على ذلك، فأجابتهم غطفان على ذلك أيضاً، واستصرخت قريش القبائل من الأعراب لحرب المسلمين، ومن ثمّ سمّيت بغزوة الأحزاب.

فخرج أبو سفيان بقريش وعيينة بن حصين بغطفان، وهكذا سائر الأحزاب، وبلغ عددهم عشرة آلاف مقاتل.

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبرهم أمر بضرب الخندق على المدينة، وقد أشار عليه بذلك سلمان الفارسي، وهو أول مشهد شهده مع رسول الله ﷺ.

وخطّط النبي ﷺ حدود الخندق وخصّ كل عشرة من المسلمين في حفر جانب منه، واختلف المسلمون في سلمان لما رأوه رجلاً قوياً، فقالت كل طائفة: سلمان منا، ففضّ النبي ﷺ نزاعهم بأن قال: «**سلمان منا أهل البيت**»[1].

ومن خصائص الرسول المصطفى ﷺ باعتباره القائد الأعلى للجيش الإسلامي، أنه كان يشرف على عمل الفئات و يعمل معهم في حفر الخندق، وقد شدّ الحجر على بطنه كي لا يحس بالجوع.

الإنباء عن فتوحات عظيمة في المستقبل

ومما ظهر من دلائل نبوته في حفر الخندق، ما روي من أنه ظهرت صخرة- أو كدية- عظيمة كسرت حديد العاملين وشقّت عليهم، فجاء سلمان إلى رسول

قاتلت على دين، وإنما قاتلت على حسب قومي، ثمّ أقلقته الجراحة فقتل نفسه... .

(١) عيون أخبار الرضا ١: ٧٠، مستدرك الحاكم ٣: ٥٩٨، المعجم الكبير ٦: ٢١٣.

اللهﷺ فأخبره بها، فأخذ المعول من يد سلمان فضربها به ضربة صدّعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، كأنّه كان مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول اللهﷺ تكبيرة فتح وكبّر المسلمون، ثمّ ضربها رسول اللهﷺ الثانية فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لا بتيها حتى لكأنّ مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول اللهﷺ تكبيرة فتح وكبّر المسلمون، وفي الثالثة كسرها وبرق أيضاً ذلك البرق وكرّر النبي تكبيرته والمسلمون، فأخذ بيد سلمان ورقى، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت منك شيئاً ما رأيته منك قطّ؟

فالتفت رسول اللهﷺ إلى القوم وقال: «رأيتم ما يقول سلمان؟» فقالوا: نعم، قال: «ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل: أنّ أمتي ظاهرة عليها، ثمّ ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبرئيل أنّ أمتي ظاهرة عليها، ثمّ ضربت ضربتي الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبرئيل أنّ أمتي ظاهرة عليها فأبشروا»، فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر[1].

وفي رواية أخرى زيادة: وجعلﷺ يصف لسلمان أماكن فارس، ويقول سلمان: صدقت يا رسول الله، هذه صفتها، أشهد أنك رسول الله، ثمّ قال رسول اللهﷺ: «هذه فتوح يفتحها الله بعدي يا سلمان...»[2].

وفي الإمتاع زيادة: «لتُفتحنّ الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته، وتظهرون على الشام ولا ينازعكم أحد، ولتفتحنّ اليمن، ولتفتحنّ هذا

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢: ٢٦٩-٢٧٠، وعنه في البحار٢٠: ١٨٩، وانظر كنز العمال ١١: ٣٧٣، تفسير الطبري ٢١: ٥٠، الدر المنثور٥: ١٨٦، سيرة ابن كثير ٣: ١٩٢، وغيرها.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٦٣٥، ومن ثمّ روي أنه لما فتحت هذه الأمصار في عهد عمر وعثمان وما بعده، قال أبو هريرة: افتتحوا ما بدا لكم، فوّ الذي نفس أبي هريرة بيده، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلاّ وقد أعطى الله سبحانه محمداًﷺ مفاتيحها قبل ذلك، لاحظ سيرة ابن هشام ٣: ١٧١، سبل الهدى والرشاد ٤: ٣٦٨.

المشرق ويهرب كسرى فلا يكون كسرى بعده»[1].

فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمنّيكم ويعدكم الباطل ويُعلِمكم أنّه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق(أي الخوف)ولا تستطيعون أن تبرزوا[2].

فأخبر الله نبيه بمقالتهم، فقال: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[3].

وفي رواية: أنزل الله تعالى في جواب استهزائهم: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

ولما فرغ المسلمون من حفر الخندق-وقد جعلوا له ثمانية مداخل-، أمر رسول اللهﷺ أن يحرس كل مدخل رجل من المهاجرين وآخر من الأنصار مع آخرين، وأمر بالنساء والأطفال فوضعوا في مأمن، وهكذا أحكم تحصين المدينة قبل قدوم قريش، واستتبّ حالة الانضباط التام والانسياق تحت الخطط التي رسمها لمن كان تحت قيادته، وأمرهم بترك الاجتهادات الموجبة للتشتت في صفوف المسلمين وتحقيق آمال العدو-كما حدث في غزوة أحد-.

فلما قدمت قريش بأحابيشها ومن تابعهم من الأحزاب وفي واجهتهم بطلهم المعروف عمرو بن عبد ودّ ورأوا الخندق، قالوا: والله إنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وهنالك بدأ الحصار على المسلمين، وفي خلاله جاء خبر نقض العهد من جانب بني قريظة،بيد أنّ رسول اللهﷺ خفّف عنهم وبشّر المسلمين بالنصر

---

(١) إمتاع الأسماع ١: ٢٢٨.

(٢) أنظر مغازي الواقدي ٢: ٤٤٩، وعنه في سبل الهدى والرشاد ٤: ٣٦٨،وفيه زيادة: قال سلمان: فكل هذا قد رأيت، مجمع البيان ٤: ٥٥٣، البحار٢٠: ١٨٩،وفي رواية الكافي ٨: ٢٧٧: فقال أحدهما لصاحبه: يعدنا كنوز كسرى وقيصر وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلّى، والبحار٢٠: ٢٧٠.

(٣) الأحزاب: ١٢.

(٤) آل عمران: ٢٦،ولاحظ الحديث في مجمع البيان ٤: ٥٥٣، والسيرة الحلبية ٢: ٦٣٥.

والغلبة من عند الله ﷻ، مع ذلك بان الخوف واليأس على نواجد من لم ترسخ له بعد قدم في الإيمان والتوكل على الله، وعمّ الفزع أصحاب القلوب الخائرة حتّى كادت العيون تخرج من محاجرها لمّا رأوا تكاثر الأحزاب، فظهر النفاق، وأخذ المنافقون في تضعيف معنويات المؤمنين ودبّ اليأس في قلوبهم، وعنده نزل القرآن في وصفهم، فقال: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1].

ومهما يكن من أمر فقد استمرّ الحصار بضعاً وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلاّ الرمي بالنبل، بيد أنّ بعض فرسانهم مثل عمرو بن عبد ودّ ونوفل بن عبد الله بن المغيرة و... قد اجتازوا الخندق، فجعل عمرو يغلي فوق رأسه من الغرور، وكان له دور فعال في زيادة معنويات المشركين، وتخاذل المسلمين.

فقد روي أنه لما اجتاز المشركون الخندق، قال رجل من المهاجرين -وهو فلان- لرجل يجبّنه من اخوانه: أما ترى هذا الشيطان عمرو؟ ألا والله ما يفلت من يديه أحد، فهلمّوا ندفع إليه محمداً ليقتله، ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيه: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]، وأنبأه بمقالته.

فنادى عمرو: هل من مبارز؟ -وكان يسمىّ فارس يليل- وهو واد قريب من بدر- ويعدلونه بألف فارس من الشجاعة- فلما سمع المسلمون صوته صمتوا كأنّ على رؤوسهم الطير، وأراد أحد المنافقين أن يتحرّى لهم عذراً، فراح يذكر طرفاً من شجاعة عمرو، مما زاد في تخاذل المسلمين، وهذا ليس أول تخاذل منهم، بل سبق منهم في مثل بدر وأحد وسائر الغزوات.

فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: «**هل فيكم من يكفينا شرّه؟**»

---

(١) الأحزاب: ١٠-١٢.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٨٢، وعنه في البحار ٢٠: ٢٢٥، والآية في سورة الأحزاب: ١٨.

فتطأطأت رؤوسهم إلاّ أمير المؤمنين فقال: أنا له يا رسول الله، فقال ﷺ «إنه عمرو اجلس» فنادى عمرو ثانياً: ألا رجل، وأخذ يؤنبهم ويسبّهم ويقول: أين جنّتكم التي تزعمون أنّ من قتل منكم دخلها، فلم يجبه أحد إلاّ أمير المؤمنين عليه السلام، وهكذا نادى في المرة الثالثة وهو يرتجز.

فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أنا له يا رسول الله، فقال ﷺ: «إنه عمرو» فقال عليه السلام: وإن كان عمرو، فأذن له رسول الله ﷺ وألبسه درعه الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعمّمه بعمامته السحاب ودعا له، وقال: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»، فبرز إليه مرتجزا.

فقال عمرو: من أنت؟ قال عليه السلام: أنا علي، قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف، فقال: غيرك يا بن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال عليّ عليه السلام: لكني والله لا أكره أن أهريق دمك، و دعا عمراً -ضمن حوار- إلى واحدة من ثلاث: إمّا الإسلام، وإما الرجوع عن حرب رسول الله ﷺ، وإمّا أن ينزل عن فرسه -لأنّ علياً عليه السلام كان راجلاً-، فأبى الاثنين واختار الثالثة، وقد كان يبطن الخوف من قتل عليّ عليه السلام[1].

فلما نزل عن فرسه وعقرها، وهو مغضب لما سمعه من كلام علي عليه السلام سلّ سيفه على عليّ عليه السلام وكأنه شعلة نار، فاتّقاه بدرعه فقطعها وثبت السيف على رأسه فجرحه، وضربه عليّ على ساقيه فقطعهما، فسقط عمرو على الأرض، وجلس أمير المؤمنين عليه السلام على صدره، واجتزّ رأسه بعد جولة جالها في ساحة القتال، وذلك على أثر إساءة أدب صدرت من عمرو، فأراد عليٌّ عليه السلام أن يكون قتله لهذا الخبيث لله ولا يختلط معه غضب لنفسه.

وفي رواية: ضربه على عاتقه، فسقط وكبّر عليٌّ عليه السلام واجتزّ رأسه، فعلم

---

(١) لأنّ علياً عليه السلام كان فارساً شجاعاً معروفاً عند أهل مكة والمدينة، وبطولته في قتل ذؤبان العرب وصناديدهم في بدر وأحد وغيرها لا تكاد تخفى عليهم، وكانت ضرباته مبكرات يقتل بواحدة لا يحتاج أن يعيد.

النبي ﷺ والمسلمون أنّ علياً عليه السلام قتل عمراً، هناك قال رسول الله ﷺ قولته المعروفة: «ضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

وفي لفظ: «قتل علي لعمرو بن عبد ودّ أفضل من عبادة الثقلين»[1].

وعلى جراء قتل عمرو دخل الذلّ والرعب في قلوب المشركين وبان الإنكسار فيهم، فخرج أصحابه منهزمين، ولاحقهم بعض المسلمين، فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذا! ينزل بعضكم أقاتله، فتقدم إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقضى عليه بضربة واحدة، ثم ضرب هبيرة ضربة أصابت قربوس فرسه ونفذت إلى درعه

---

(١) قد بلغت مصادر هذا الحديث في كتب الفريقين إلى حدّ يغنينا من الاستعراض لذكرها.
وروي أنّ رسول الله ﷺ قال له: «كيف وجدت نفسك معه يا علي» قال عليه السلام: وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم، (السيرة الحلبية ٢: ٣٢٠).
ويروى عن حذيفة اليمان أنّ النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: «أبشر يا عليّ فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عزّ بقتل عمرو»، (تفسير مجمع البيان ٨: ١٣٢، شواهد التنزيل ٢: ١٢، ينابيع المودة ١: ٢٨٤وزاد: فنزلت آية ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾ بعلي عليه السلام، الأحزاب: ٢٥، عن ابن مسعود، وانظر كفاية الطالب: ٢٣٤، والدر المنثور ٥: ١٩٢).
وعن الصادق عليه السلام أنه قال: لما قتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ودّ أعطى سيفه ذا الفقار الحسن عليه السلام وقال: قل لأمك: تغسل هذا الصيقل، فرنّه وعلي عليه السلام عند النبي ﷺ وفي وسطه نقطة لم تنق، قال: أليس قد غسلته الزهراء؟ قال: نعم، قال: فما هذه النقطة؟ فقال النبي ﷺ: «ياعلي سل ذا الفقار يخبرك» فهزّه وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس؟ فأنطق الله السيف فقال: بلى ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ودّ فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه، وهو حظي منه، فلا تنتضيني يوماً إلاّ ورأته الملائكة فصلّت عليك»(الخرائج والجرائح١: ٢١٥ح ٥٩، وعنه في البحار ٢٠: ٢٤٩).وفي الفردوس بإسناده إلى ابن عباس قال: لما قتل علي عليه السلام ابن عبد ودّ دخل على رسول الله وسيفه يقطر دماً، فلما رآه كبّر وكبّر المسلمون، وقال النبي ﷺ: «اللهم اعط علياً فضيلة لم يعطها أحد قبله ولم يعطها أحد بعده» قال: فهبط جبرئيل عليه السلام ومعه من الجنة أترجة، فقال لرسول الله ﷺ: إنّ الله عز وجل يقرء عليك السلام ويقول لك: حييّ بهذه علي بن أبي طالب، قال: فدفعها إلى علي عليه السلام فانفلقت في يده فلقتين، فإذا فيها حريرة خضراء فيها مكتوب سطران(بخضرة): تحفة من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب،(مدينة المعاجز: ١٦٣ عن الفردوس لابن شيرويه، مناقب الخوارزمي: ١٠٥).

فقطعتها، وسقط مضرّجاً.

وفي رواية أخرى: أنّ رسول الله أمر عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً، فقال ضرار: ويلك يا بن صهاك ارمي في مبارزة، والله لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلاّ قتلته، فانهزم عنه عمر، ومرّ نحوه ضرار وضرب بالقناة على رأسه، ثمّ قال: احفظها يا عمر، فإني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما وُلّي وولاّه!![1].

وكان قد سنح له مثل هذا في أحد فإنه التقى معه فضرب عمر بالقناة ثمّ رفعها عنه، وقال له: ما كنت لأقتلك يا بن الخطاب،وهكذا لم يقتله خالد في أحد حين تمكّن منه.

وعند ما يقرأ الباحث هذه الحقائق في التاريخ يندهش ولا يجد لها تحليلاًولا تفسيراً إلاّ أن يقول: إنّ النزعات الجاهلية كانت متأصلة في بعض النفوس وإن كانوا قد أعلنوا الاسلام.

ويروى أنه لما أقبل عليعليه السلام نحو رسول الله ووجهه يتهلّل، قال عمر بن الخطاب: هلاّ استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خيراً منها؟ فقالعليه السلام: ضربته فاتقاني بسوءته فاستحييت من ابن عمّي أن أستلبه[2].

ثم بعث المشركون إلى رسول اللهﷺ يشترون جيفة عمرو بن عبد ودّ بعشرة آلاف، فقال النبيﷺ: «هي لكم نحن لا نأكل ثمن الموتى»[3].

وهكذا تحققت نبوءات الرسولﷺ عند حفر الخندق وضربته على تلك الصخرة من أنّ النصر الساحق سيكون للمسلمين، وصار سبباً لتقوية معنويات المسلمين وقواعد الاسلام.

---

(١) تفسير القمي ٢: ١٨٤، وعنه في البحار ٢٠: ٢٢٨.

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني٢: ١٢، البداية والنهاية ٤: ١٢٢، وفي رواية: أنه لما جلسعليه السلام على صدره قال: يا علي قد جلست مني مجلساً عظيماً، فإذا قتلتني فلا تسلبني حلتي، فقال أمير المؤمنينعليه السلام: هي أهون عليّ من ذلك، وذبحه وأتى برأسه، (كنز الفوائد: ١٣٧، وعنه في البحار٢٠: ٢١٥).

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٧١، وعنه في البحار٢٠: ٢٠٥، البداية والنهاية ٤: ١٢٢.

إستمرار الحصار والنصر الإلهي

بقيت قوات الأحزاب على أبواب الخندق واستمرّ الحصار القاسي على المسلمين، وقد أصابتهم المجاعة والبرد الشديد والخوف، وتكلّم المنافقون بما حكى الله عنهم، ولم يبق أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا نافق إلا القليل منهم، فبعض قال: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً، وبعض استأذن النبي ﷺ أن يذهبوا إلى دورهم أطراف المدينة، وبعض قال: هلمّوا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب فإنّ الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله و... .

علماً بأنّ رسول الله كان قد أنبأ أصحابه عن هذه الحالة وأخبرهم بأنّ العرب تتحزّب عليّ، ويجيؤنا من فوق، وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه يصيبهم جهد شديد ثم تكون العاقبة والظفر لي عليهم، ولم يكن شيء خفي عنه.

الإنباء عن هزيمة المشركين

فلما رأى ﷺ اليأس والخذلان قد بدى عليهم توجه إلى مسجد الفتح ودعا الله وناجاه فيما وعده، وقال: «**يا صريخ المكروبين، ويا مجيب المضطرين ويا كاشف الكرب العظيم...**» فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا محمد إنّ الله قد سمع مقالتك، وأجاب دعوتك، وأمر الدبور مع الملائكة أن تهزم قريشاً والأحزاب، وبعث الله على قريش الدبور فانهزموا، وقُلعت أخبيتهم.

فنادى ﷺ حذيفة فلم يجبه إلى ثلاث مرات، فقال: لبيك يا رسول الله، فقال ﷺ: «**أدعوك فلا تجيبني؟**» قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي من الخوف والبرد والجوع، فقال ﷺ: «**أدخل في القوم وأتني بأخبارهم، ولا تحدثنّ أحداً حتّى ترجع إليّ**» وأنبأه ﷺ: «**إنّ الله قد أخبرني أنه قد أرسل الرياح على قريش وهزمهم**».

قال حذيفة: فمضيت وأنا انتفض من البرد، فوَالله ما كان إلاّ بقدر ما جزت الخندق فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء ولا يثبت لهم نار ولا يطمئن لهم قدر، فإني لكذلك إذ خرج أبو سفيان من رحله، ثمّ قال:

يا معشر قريش لينظر أحدكم من جليسه، قال: فبدأت بالذي عن يميني فقلت: من أنت؟ قال: أنا فلان، قال: ثمّ عاد أبو سفيان براحلته فقال: يا معشر قريش والله ما أنتم بدار مقام، هلك الخفّ والحافر، وأخلفتنا بنو قريظة[1]، وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء.

ثم عجّل فركب راحلته، وإنها لمعقولة ما حلّ عقالها إلاّ بعد ما ركبها، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي، فأخبرته الخبر.

وبذلك تحقق جميع ما أنبأ عنه النبي ﷺ، وفرح المسلمون فرحاً شديداً، وأخذ رسول الله ﷺ يقول: **«لا إله إلا الله وحده، أعزّ جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده»**.

وأنزل الله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾.

وقد أنبأ رسول الله ﷺ أصحابه حين أُجلي عنه الأحزاب: **«الآن نغزوهم ولا يغزونا»** فكان كما قال ﷺ، فلم يغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو يغزوهم حتّى فتح الله عليهم مكة[2].

غزوة بني قريظة

وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: **«دعهم فإنّ الله سيمكّن منهم... وأبشر بنصر من عند الله...»** وقوله: **«سِرعلى بركة الله فإنّ الله قد وعدكم أرضهم وديارهم»**.

حينما فرغ النبي ﷺ من غزوة الخندق دخل المدينة ولوائه معقود فأراد أن

---

(١) وسبب ذلك أنّ نعيم بن مسعود الأشجعي أتى إلى رسول الله ﷺ وأسلم على يديه خفية، فأمره رسول الله ﷺ أن يذهب إلى الأحزاب ويخذّلهم عن الحرب ويشقّ بين جماعتهم، ففعل ذلك، وانصرفت على أثره بنو قريظة ونقضت العهد مع أبي سفيان.

(٢) قصة الخندق مقتبسة من مصادر تفسيرية وتاريخية وحديثية كالتالي: تفسير القمي٢: ١٧٧ – ١٨٨من سورة الاحزاب، تفسير مجمع البيان ٨: ٥٣٣-٥٤٦، مغازي الواقدي ١: ٢٣٧، السيرة الحلبية ٢: ٦٣١ – ٦٥٣، سيرة ابن كثير ٣: ١٧٩ – ٢٢٢، سيرة ابن هشام ٣: ١٦٦ – ١٨٢، الكامل لابن الأثير٢: ١٢٢-١٢٦، البحار٢٠: ١٨٦ – ٢٣٢.

يغتسل من الغبار، إذ أتاه جبرائيل معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحال وقطيفة من ديباج، فقال: عذيرك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لامتها، كيف تضع لامتك؟ إنّ الله يأمرك أن لا تصلي العصر إلا ببني قريظة، فإني متقدمك ومزلزل بهم حصنهم، إنّا كنا في آثار القوم نزجرهم حتّى بلغوا حمراء الأسد، فخرج رسول الله ﷺ فاستقبله حارثة بن نعمان، فقال له: «ما الخبر يا حارثة؟» فقال: بأبي وأمي يا رسول الله هذا دحية الكلبي ينادي في الناس: ألا لا يصلينّ العصر أحد إلاّ في بني قريظة، فقال: «ذاك جبرئيل»، أُدعوا علياً، فجاء عليّ عليه السلام فقال له: «ناد في الناس أن لا يصلينّ أحد العصر إلاّ في بني قريظة».

فنادى فيهم، وخرج عليٌّ عليه السلام ومعه الراية العظمى، وتبعه المسلمون مع ما كانوا عليه من التعب والسهر خلال حصار الأحزاب لهم، فلما دنوا من بني قريظة وهم في حصونهم سمعهم أمير المؤمنين عليه السلام يشتمون النبي ﷺ ويتكلمون فيه بأفحش الكلام، فرجع ليطلب من النبي ﷺ أن لا يدنو منهم -حيث كان في الطريق إليهم- فقال لعلي عليه السلام: «لعلهم شتموني، إنهم لو رأوني لأذلّهم الله».

وفي رواية قال ﷺ: «دعهم فإنّ الله سيمكّن منهم، إنّ الذي أمكنك من عمرو بن عبد ودّ لايخذلك، فقف حتّى يجتمع الناس إليك وأبشر بنصر من عند الله، فإنّ الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي مسيرة شهر».

قال عليٌّ عليه السلام: فاجتمع الناس إليّ وسرت حتّى دنوت من سورهم فأشرفوا عليّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو، وجعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك، وكان النبي ﷺ قال لي حين توجهت إلى بني قريظة: «سر على بركة الله تعالى فإنّ الله قد وعدكم أرضهم وديارهم...» فسرت متيقناً لنصر الله عزّ وجلّ حتّى ركزت الراية في أصل الحصن... .

فنزل النبي ﷺ والمسلمون على بئر من آبارهم وجلس عنده خمساً وعشرين ليلة. فلما اشتدّ عليهم الحصار واستولى عليهم الخوف والرعب، أرادوا التنصل

من فعلتهم[1]،غير أنّ الرسول المصطفى ﷺ أبى أن يقبل عذرهم، لثبوت غدرهم، وعدم الوفاء منهم بالمعاهدات، ولعلمه بخستهم التآمرية على المسلمين لو فلتوا من المجازاة.

ولما أيقنوا أنّ رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتّى ينلجزهم أو ينزلوا على حكمه، عرض عليهم زعيمهم ثلاثة حلول يختارون أحدها، بيد أنهم رفضوها وظلوا داخل حصونهم، ولم يقع بينهم غير التراشق بالنبل والحجارة بين الحين والآخر.

واستمرّ الحصار إلى أن سألوا النبي ﷺ النزول على حكم سعد بن معاذ وكانت الأوس قد توسطت في ذلك، وكأنهم نسوا موقفهم مع سعد حينما نقضوا العهد وانضموا إلى قريش، وتحذيره إياهم من الإقدام على هذا الأمر، وكيف قابلوه بشتم رسول الله ﷺ، وكأنهم ظنّوا أنّ سعداً نسي ذلك الموقف منهم.

فذهبوا إلى سعد وكان قد أصيب بسهم في أكحله قطع عرقاً منه خلال حصار الخندق، فنزف أكثر دمه وأصبحت حياته مهددة بالخطر، وكان قد قال:... اللهم لا تمتني حتّى تقرّ عيني من بني قريظة.

فقالوا له: إنّ رسول الله ولاّك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فحكم فيهم بقتل الرجال المقاتلين وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال.

فقال رسول الله ﷺ: **«يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»**.

وما حكم به سعد كان رأي رسول الله ﷺ فيهم، ولوكان النبي ﷺ يعلم فيهم خيراً ويحتمل فيهم الوفاء وترك العداء، وأن يهادنوا المسلمين ويخضعوا لأُسس التعايش السلمي و الاحترام المتقابل لما قدم على هذا الأمر، لأنه لم يكن يلتجأ إلى السيف إلاّ كعلاج أخير لا يرى له بديلاً، حيث إنّ لذة العفوعند الكرام أطيب من لذة التشفي والانتقام، وقد بيّن عنه تعالى ما أمر به من العفو والصفح فقال: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾[2].

---

(١) لأنهم قد عاهدوه على عدم التعرض وأن لايساعدوا عدوه، فغدروا به لما رأوه قد انشغل بعدو آخر.
(٢) النور: ٢٢.

إخبار النبي ﷺ عن مقالة الحبر الذكيّ بشأنه ووصيته لكعب

فأمر النبي ﷺ بإنزال الرجال مكتّفين واسترقّ الذراري والنسوان وقسّم الأموال، وجيء بالأسارى إلى المدينة، وأمر ﷺ أن يضرب أعناق المجرمين المعاندين في الخندق، فقدّموا واحداً بعد واحد، وممن قدّم كعب بن أسيد، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «**يا كعب أما نفعك وصية ابن الحواس الحبر الذكي الذي قدم عليكم من الشام؟ فقال: تركت الخمر والحمير وجئت إلى البؤس والتمور لنبيّ يبعث، مخرجه بمكة، ومهاجره في هذه البحيرة، يجتزئ بالكسر والتميرات، ويركب الحمار العريّ، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه، لا يبالي من لاقى، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر**».

فقال: قد كان ذلك يا محمد، ولولا أنّ اليهود يعيّروني أني جزعت عند القتل لآمنت بك وصدقتك، ولكني على دين اليهود عليه أحيا وأموت، فقال رسول الله ﷺ: «**قدّموه واضربوا عنقه**» فضرب عليٌّ عليه السلام عنقه.

ومنهم حيّ بن أخطب، قال رسول الله ﷺ له: «**يا فاسق كيف رأيت الله صنع بك؟**» فقال: والله يا محمد لا ألوم نفسي في عداوتك، ولقد قلقلت كل مقلقل، وجهدت كل الجهد، ولكن من يخذل الله يُخذل، فقُدّم وضرب عليّ عنقه، وكان يقول: قتلة شريفة بيد شريف، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ خيار الناس يقتلون شرارهم وشرارهم يقتلون خيارهم، فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف، والسعادة لمن قتله الأراذل الكفار، فقال: صدقت، لا تسلبني حلّتي، فقال عليه السلام: هي أهون عليّ من ذاك... .

وقد نزلت فيهم: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[1].

---

(١) الأحزاب: ٢٥-٢٧، و لاحظ مصادر هذه الوقعة في مغازي الواقدي٢: ٤٩٦ – ٥٣١، سيرة ابن هشام٣: ١٨٣ – ١٩٤، تاريخ الطبري٢: ٥٨٨، سيرة ابن كثير٣: ٢٣٣ – ٢٤٢، البحار ٢٠: ٢٣٣–٢٨٠، السيرة الحلبية ٢: ٦٥٧ – ٦٦٨.

هذا وقد تحقق ما أنبأ عنه رسول الله ﷺ من النصر الإلهي والتمكين من بني قريظة وفتح حصونهم ودفع شرّهم، وقد وقعت هذه الغزوة في السنة الخامسة من الهجرة.

الإنباء عن هبوط الملائكة لتشييع سعد وضمة القبر

وأمّا سعد فإنه لمّا أُعيد إلى خيمته في المسجد النبوي ودعا الله أن تكون له الشهادة، واختار الله له ما عنده، فانفجر جرحه من الليل، فلم يزل يخرج منه الدم حتّى مات شهيداً.

فحضر عنده رسول الله ﷺ وقال: **«جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته ولينجزنّك الله ما وعدك»**.

وأخبر رسول الله ﷺ عما وقع في العالم الأعلى عند موت سعد وأنبأ عن حظور الملائكة في تشييعه، ثم الشدة التي حصلت له وضمة القبر، وانكشاف ذلك.

ففي رواية عن جابر بن عبد الله: إنّ جبرئيل أتى رسول الله ﷺ فقال: من هذا العبد الصالح الذي مات، فُتحت له أبواب السماء وتحرّك له العرش؟! وفي رواية: **«إهتزّله العرش»** فخرج رسول الله ﷺ فإذا بسعد بن معاذ.

قال: فجلس رسول الله على قبره وهو يدفن، فبينما هو جالس إذ قال: **«سبحان الله»** مرتين، فسبّح القوم، ثمّ قال: **«الله أكبر»** فكبّر القوم، ثمّ قال رسول الله ﷺ: **«عجبت لهذا العبد الصالح شُدّد عليه في قبره حتّى كان هذا حين فرّج له»**.

وقال رسول الله ﷺ: **«لقد هبط يوم مات سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم يهبطوا قبل ذلك، ولقد ضمّه القبر ضمة»**.

ومن ثمّ روي أنّ الذين حملوا جنازته قالوا: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفّ علينا منه، فقال ﷺ: **«ما يمنعه أن يخفّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم قد حملوه معكم»**[1].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ١٩٩ – ٢٠١، سيرة ابن كثير ٣: ٢٤٥ – ٢٤٨، السيرة الحلبية ٢: ٦٧٢ – ٦٧٣، الروض الأنف للسهيلي ٣: ٤٥٥ – ٤٥٦.

وفي إخبار النبيﷺعن اهتزاز العرش دلالة على جلالة شأنه وكرامته عند اللهﷻ، وكان اهتزازه فرحاً بلقائه، ونظيره ما روي عنهﷺ: «إذا بكى اليتيم اهتزّ له العرش»[1]فاهتزاز العرش(تحرّكه)من جهة عظمة الأمر.

وأما إنباؤهﷺ عن ضغطة القبر، فالسبب فيه ما روي عن الصادقؑ أنه قال الراوي: جعلت فداك إنا نحدّث أنه كان يستخف بالبول، فقال: معاذ الله، إنما كان من زعارة في خلقه على أهله[2].

ومهما يكن من أمر فرحم الله سعداً،وعافانا من ضغطة القبر وأهوال الموت ويوم القيامة بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

نبوءة الرسول المصطفىﷺ عن قصة الظالم والمظلوم

ويناسب هنا ذكر نبوءة صدرت من النبيﷺ في شأن سعد بن معاذ وقصته مع الظالم والمظلوم وما فيها من المعطيات الهامة.

ففي حديث طويل عن الإمام العسكريؑ، عن جده رسول اللهﷺأنه- بعد ذكر نبذة من فضائل أصحاب الكساء، وما اختاره الله من البقاع والليالي والأيام والعباد-قال: «ألا أنبئكم برجل قد جعله الله من آل محمد كأوائل أيام رجب من أوائل أيام شعبان؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «منهم الذي يهتزّ عرش الرحمن لموته وتستبشر الملائكة في السماوات بقدومه، ويخدمه في عرصات القيامة وفي الجنان من الملائكة ألف ضعف عدد أهل الدنيا من أول الدهر إلى آخره، ولا يميته الله في هذه الدنيا حتّى يشفيه من أعدائه ويشفي صاحباً له وأخاً في الله مساعداً له على تعظيم آل محمدﷺ...».

قالوا: ومن ذلك يا رسول الله؟ قال: «ها هو مقبل عليكم غضبان، فاسألوه عن غضبه فإنّ غضبه لآل محمدﷺ خصوصاً لعلي بن أبي طالبؑ».

فطمح القوم بأعناقهم وشخصوا بأبصارهم ونظروا فإذا أوّل طالع عليهم

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٨، البحار ٧٩: ٨٠، وسائل الشيعة ٣: ٢٨٧.

(٢) الكافي ٣: ٢٣٦ ح ٦.

سعد ابن معاذ وهو غضبان، فأقبل فلما رأى رسول اللهﷺ قال له: «يا سعد أما إنّ غضب الله لما غضبت له أشدّ، فما الذي أغضبك؟ حدثنا بما قلته في غضبك حتّى أحدّثك بما قالته الملائكة لمن قلت له، وقالته الملائكة لله وأجابها الله».

فقال سعد: بأبي وأمي يا رسول الله بينا أنا جالس على بابي وبحضرتي نفر من أصحاب الأنصار إذ تمادى رجلان من الأنصار قد دبّ في أحدهما النفاق، فكرهت أن أدخل بينهما مخافة أن يزداد شرّهما، وأردت أن يتكافّا فلم يتكافّا، وتماديا في شرّهما حتّى انتهيا إلى أن جرّد كلّ واحد منهما السيف على صاحبه، فأخذ هذا سيفه وترسه وهذا سيفه وترسه وتجلادا وتضاربا، فجعل كل واحد منهما يتّقي سيف صاحبه بدرقته، وكرهت أن أدخل بينهما مخافة أن تمتدّ إليّ يد خاطئة، وقلت في نفسي: اللهم انصر أحبهما لنبيك وآله، فما زالا يتجاولان لا يتمكن واحد منهما من الآخر إلى أن طلع علينا أخوك علي بن أبي طالبؑ فصحت بهما: هذا علي بن أبي طالب لم توقّراه؟ فوقّراه وتكافّا، وهذا أخو رسول الله وأفضل آل محمد.

فأمّا أحدهما فإنه لما سمع مقالتي رمى بسيفه ودرقته من يده، وأمّا الآخر فلم يحفل بذلك، فتمكّن لاستسلام صاحبه منه، فقطّعه بسيفه قطعاً أصابه بنيّف وعشرين ضربة، فغضبت عليه ووجدت من ذلك وجداً شديداً، وقلت له: يا عبد الله بئس العبد أنت لم توقّر أخا رسول الله وأثخنت بالجراح من وقّره، وقد كان لك قرناً كفيّاً بدفاعك عن نفسه، وما تمكّنت منه إلاّ بتوقيره أخا رسول اللهﷺ.

فقال رسول اللهﷺ: «فما الذي صنع علي بن أبي طالب لما كفّ صاحبك وتعدّى عليه الآخر؟» قال: جعل ينظر إليه وهو يضربه بسيفه لا يقول شيئاً ولا يفعله، ثمّ جاز وتركهما، وإنّ ذلك المضروب لعلّه بآخر رمق.

فقال رسول اللهﷺ: «يا سعد لعلك ظننت أنّ ذلك الباغي المتعدي ظافر، إنه ما ظفر، يغنم من ظُفِر بظلم، إنّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من دنياه، إنه لا يُحصَد من المُرّ حُلوٌ ولا من الحُلو مُرٌّ؛ وأما غضبك لذلك المظلوم على ذلك الظالم فغضب الله عليه أشدّ من ذلك وغضب الملائكة على ذلك الظالم لذلك المظلوم؛ وأما كفّ علي بن أبي طالب عن

نصرة ذلك المظلوم فإنّ ذلك لما أراد الله من إظهار آيات محمد في ذلك، لا أحدثك يا سعد بما قال الله وقالته الملائكة لذلك الظالم ولذلك المظلوم ولك حتّى تأتيني بالرجل المثخن فترى فيه آيات الله المصّدقة لمحمّدﷺ».

فقال سعد: يا رسول الله وكيف آتي به وعنقه متعلقة بجلدة رقيقة، ويده ورجله كذلك، وإن حرّكته تميّزت أعضاؤه وتفاصلت؟

قال رسول اللهﷺ: «يا سعد إنّ الذي ينشئ السحاب ولا شيء منه حتى يتكاثف ويُطبق أكناف السماء وآفاقها ثمّ يلاشيه من بعد حتّى يضمحل فلا ترى منه شيئاً، لقادر وإن تميزت تلك الأعضاء أن يؤلّفها من بعد، كما ألّفها إذا لم تكن شيئاً».

قال سعد: صدقت يا رسول الله، وذهب فجاء بالرجل ووضعه بين يدي رسول اللهﷺ وهو بآخر رمق، فلّما وضعه انفصل رأسه عن كتفه ويده عن زنده وفخذه عن أصله، فوضع رسول اللهﷺ الرأس في موضعه واليد والرجل في موضعهما، ثمّ تفل على الرجل ومسح يده على مواضع جراحاته وقال: «اللهم أنت المحي للأموات والمميت للأحياء والقادر على ما يشاء وعبدك هذا مثخن بهذه الجراحات بتوقيره لأخي رسول الله علي بن أبي طالب: اللهم فأنزل عليه شفاءً من شفائك ودواءً من دوائك وعافية من عافيتك».

قال: فوَ الذي بعثه بالحق نبياً إنه لما قال ذلك التأمت الأعضاء والتصقت وتراجعت الدماء إلى عروقها، وقام قائماً سوياً سالماً صحيحاً، لا بليّة به ولا يظهر على بدنه أثر جراحة كأنه ما أُصيب بشيء البتة.

ثم أقبل رسول اللهﷺ على سعد وأصحابه فقال: «الآن بعد ظهور آيات الله لتصديق محمد أحدثكم بما قالت الملائكة لك ولصاحبك هذا ولذلك الظالم، إنك لما قلت لهذا العبد: أحسنت في كفك عن القتال توقيراً لأخي محمد رسول اللهﷺ كما قلت لصاحبه: أسأت في تعدّيك على من كفّ عنك توقيراً لعلي بن أبي طالب أخي محمدﷺ،ثمّ لعنه الله من فوق العرش، وصلّى عليك يا سعد في حثك على توقير عليؑ وعلى صاحبك في قبوله منك، ثمّ قالت الملائكة: يا ربنا لو أذنت لانتقمنا من هذا المتعدي، فقال

تعالى: يا عبادي سوف أمكّن سعد بن معاذ من الانتقام منهم وأشفي غيظه حتّى ينال فيهم بغيته، وأمكّن هذا المظلوم من ذلك الظالم بما هو أحبّ إليه من إهلاككم لهذا المتعدّي، إني أعلم ما لا تعلمون؛ فقالت الملائكة: أفتأذن أن ننزّل إلى هذا المثخن بالجراحات من شراب الجنة وريحانها لينزل به الشفاء؟ فقال الله تعالى: سوف أجعل له أفضل من ذلك: ريق محمد، ينفث منه عليه ومسح يده عليه فيأتيه الشفاء والعافية، يا عبادي إني أنا مالك الشفاء والإحياء والإماتة والغناء والإفقار والإسقام والصحة والرفع والخفض والإهابة والإعزاز دونكم ودون سائر الخلق، قالت الملائكة: كذلك أنت يا ربّنا.

فقال سعد: يا رسول الله قد أصيب أكحلي هذا وربّما ينفجر منه الدم وأخاف الموت والضعف قبل أن أشفي من بني قريظة، فمسح عليه رسول اللهﷺ يده فبرأ إلى أن شفا الله صدره من بني قريظة، فقُتلوا عن آخرهم وغُنمت أموالهم وسبيت ذراريهم، ثمّ انفجر كلمه ومات وصار إلى رضوان الله.

فلما رقأ دمه من جراحاته قال رسول اللهﷺ: **«يا سعد سوف يشفي الله بك غيظ المؤمنين ويزداد بك غيظ المنافقين»**، فلم يلبث يسيراً حتّى كان حُكم سعد في بني قريظة لمّا نزلوا بحكمه وهم تسع مائة وخمسون رجلاً جلداً شباباً ضرّابين بالسيف، فقال: أرضيتم بحكمي؟ قالوا: بلى، وهم يتوهّمون أنه يستبقيهم-لما كان بينه من الرحم والرضاع والصهر-قال: فضعوا أسلحتكم، فوضعوها، قال: اعتزلوا، فاعتزلوا، قال: سلّموا حصنكم، فسلّموه، قال: رسول اللهﷺ: **«أحكم فيهم يا سعد»** قال: حكمت فيهم بأن يقتل رجالهم وتُسبى نساؤهم وذراريهم وتغنم أموالهم، فلما سلّ المسلمون سيوفهم ليضعوا عليهم، قال سعد: لا أريد هكذا يا رسول الله، قال: **«كيف تريد؟ اقترح ولا تقترح العذاب، فإنّ الله كتب الإحسان في كل شيء حتّى في القتل»** قال: يا رسول الله لا اقترح العذاب إلاّ على واحد وهو الذي تعدّى على صاحبنا هذا لما كفّ عنه توقيراً لعلي بن أبي طالبؑ وردّه نفاقه إلى إخوانه من اليهود فهو منهم، يؤتى واحد واحد منهم نضربه بسيف مرهف إلا ذلك فإنه يعذّب به، فقال رسول اللهﷺ: **يا سعد ألا من اقترح على عدوّه عذاباً باطلاً، فقد اقترحت أنت عذاباً حقاً.**

فقال سعد للفتى: قم بسيفك هذا إلى صاحبك المتعدي عليك فاقتصّ منه، قال: فتقدم إليه فما زال يضربه بسيفه حتّى ضربه بنيف وعشرين ضربة كما كان ضربه هو... .

قال رسول الله ﷺ لسعد: «**أنت من الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم**» فلما فرغ من آخرهم انفجر كلمه ومات؛ فقال رسول الله ﷺ: «**هذا ولي من أولياء الله حقاً، إهتزّ عرش الرحمان لموته، ولمنديله في الجنة أفضل من الدنيا وما فيها، إلى سائر ما يكرم به فيها، حيّاه الله بتوقيره أخا رسول الله ما حيّاه**»[1].

عزيزي القارئ لاحظت ما في هذا الحديث من النبوءات الهامة بشأن سعد بن معاذ ومناقب أمير المؤمنين عليه السلام وما صدرت من المعاجز والكرامات التي تثبت ولاية أهل البيت التكوينية.

إنباءه عن موت منافق عظيم النفاق بالمدينة

وعن قول المنافق: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟!

عندما رجع رسول الله ﷺ من غزوة بني المصطلق فاتحاً، نزل على ماء فُوَيق النقيع وعندها هبّت ريح شديدة خاف المسلمون منها، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تخافوا، فإنما هبّت لموت عظيم من عظماء الكفار**» فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد يهود بني قينقاع وعظيمهم وكهف المنافقين مات ذلك اليوم[2].

وروى مسلم عن الأعمش عن جابر مثله، إلا أنه لم يسمّ الذي مات من المنافقين، قال: هبّت ريح شديدة والنبي ﷺ في بعض أسفاره فقال: «**هذه لموت منافق**» فلما قدمنا المدينة إذا هو قد مات عظيم من عظماء المنافقين.

وفي الإمتاع زيادة: «... **فلذلك عصفت الريح وكان موته للمنافقين غيظاً شديداً...**»[3].

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٦٦٧-٦٧٤، وعنه في البحار ٢٧: ٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢٦٢، سيرة ابن هشام ٢: ٣٧٠، وانظر عيون الأثر ٢: ٨٢.

(٣) أنظر سيرة ابن هشام ٣: ٧٦٠، سيرة ابن كثير ٢: ٣٤٩، إمتاع الاسماع ١: ٢١١.

وروى الطبرسي في ذيل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ ﴾ الوارد بشأن عبد الله بن أبيّ المنافق وأصحابه، قال: ثمّ رحل بالناس حتّى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق البقيع، يقال له: بقعاء، فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها، وضلّت ناقة رسول الله وذلك ليلاً، فقال ﷺ: **«مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة»** قيل: من هو؟ قال: **«رفاعة»**، فقال رجل من المنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟ ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي؟ فأتاه جبرئيل فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة، وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه، وقال **«ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه، ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب»**، فإذا هي كما قال، فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود قد مات ذلك اليوم[1].

زواجه ﷺ بجويرية بنت الحارث وما صدر من الإنباء في فداها

لما غزا رسول الله ﷺ بني المصطلق ورجع إلى المدينة مع السبايا والغنائم،كان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء، فرغب في بعيرين منها، فغيّبهما في شعب من شعاب العقيق، ثمّ أتى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد أصبتم ابنتي، وهذا فداؤها، فقال رسول الله ﷺ: **«فأين البعيران اللذان غيّبتهما بالعقيق، في شعب كذا وكذا؟»**.

فقال الحارث: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، فوَ الله ما اطّلع على ذلك إلا الله، فأسلم الحارث، وأسلم معه ابنان له، وناس من قومه

---

(١) مجمع البيان ١٠ – ٢٩٢ – ٢٩٥، وعنه في البحار٢٠: ٢٨٤، ورواه في السيرة الحلبية ٢: ٦٠١ باختلاف، وفيه قال ﷺ: إنّ رجلاً من المنافقين شمت أن ضلّت ناقة رسول الله... .

فقام ذلك الرجل سريعاً إلى رفقائه، فقالو له: لا تدن منا، فقال لهم: أنشدكم الله هل أتى أحد منكم محمداً فأخبره خبري؟ قالوا لا والله ولا قمنا من مجلسنا، فقال: إني وجدت ما تكلّمت به عنه فأشهد أنّ محمداً رسول الله كأني لم أسلم إلا اليوم.

وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وآله ودفعت إليه ابنته جويرية، فأسلمت وحسن إسلامها، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيها، فزوّجه أياها، وأصدقها أربعمائة درهم[1].

إنباؤه صلى الله عليه وآله عن كيد الجن

روي أنه لما خرج النبي صلى الله عليه وآله إلى بني المصطلق، نزل بقرب وادٍ وعر، فلما كان آخر الليل هبط عليه جبرئيل يخبره عن طائفة من كفار الجنّ قد استنبطوا الوادي، يريدون كيده وإيقاع الشرّ بأصحابه، فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «**اذهب إلى هذا الوادي، فسيعرض لك من أعداء الله الجنّ من يريدك، فادفعه بالقوة التي أعطاك الله إياها، وتحصّن منه بأسماء الله التي خصّك بعلمها**»؛ وأنفذ معه مأة رجل من أخلاط الناس، وقال لهم: «**كونوا معه، وامتثلوا أمره**».

فتوجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي، فلما قرب شفيره أمر المأة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتّى يأذن لهم، ثمّ تقدم فوقف على شفير الوادي وتعوذ بالله من أعدائه وسمّى الله عز وجل، وأومأ إلى القوم الذين تبعوه أن يقربوا منه، فقربوا فكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة، ثمّ رام الهبوط إلى الوادي فاعترضته ريح عاصف كاد القوم أن يقعوا على وجوههم لشدتها، ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول ما لحقهم، فصاح أمير المؤمنين عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وصي رسول الله وابن عمه، اثبتوا إن شئتم، وظهر للقوم أشخاص كالزط تخيّل في أيديهم شعل النار، قد اطمأنوا بجنبات الوادي، فتوغّل أمير المؤمنين بطن الوادي وهو يتلو القرآن، ويؤمي بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبث الأشخاص حتّى صارت كالدخان الأسود، وكبّر أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ صعد من حيث انهبط، فقام مع القوم الذين اتبعوه حتّى أسفر الموضع عما اعتراه[2].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٧٦٣، السيرة الحلبية ٢: ٥٨٩.

(٢) انظر إرشاد المفيد ١: ٣٤٠-٣٤١، إعلام الورى ١: ٣٥٣، الخرائج والجرائح ١: ٢٠٤.

صلح الحديبية[1] والإنباء بدخول مكة

وكان سببه أنّ النبي ﷺ رأى في النوم أنه دخل البيت وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت وعرّف مع المعرّفين، وبما أنّ رؤيا النبي بمثابة الوحي الإلهي أوهو نفسه، قام بتنفيذ الأمر واستنفر أصحابه إلى العمرة، فأسرعوا وتهيئوا للخروج وهم لا يشكون في الفتح -للنبوءة المذكورة- وساق النبي ﷺ الهدي ولم يخرج إلا بسلاح المسافر ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً، بل يريد دخول مكة للعمرة وعلى نحو المسالمة، وقد حصلت هذه الحركة من هذا القائد الحكيم عندما استقرّت له الأجواء السياسية والعسكرية في الداخل والخارج، وحصل له وللمسلمين الأمان من ناحية أحزاب المعارضة اليهودية القرشية، لأنه حطّم قواهم وشتّت شملهم وزلزل أركانهم، فإنّ وقت القيام بهذه الحركة العظيمة والخطة السياسية السلميّة النافذة، التي صارت منشأً للفتح الكبير ودخول الناس في دين الله أفواجاً، بلا حرب ولا إراقة دم.

وهذا التخطيط الدقيق من النبي يدل على حكمته الرائعة في الشؤون السياسية والعسكرية، وصار سبباً لتدهور جميع المعادلات الحربية، والذي يلفت النظر أنّ العجب أخذ يدبّ في قلوب بعض المسلمين، والشك والاعتراض في البعض الآخر على أثر هذا التخطيط، لعدم إحاطتهم بالأهداف والحكم وتغيير المعادلات.

ومن ثمّ اعترض عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وقال: أما تخشى يا رسول الله علينا من أبي سفيان ابن حرب وأصحابه ولم تأخذ للحرب عدّتها؟ فقال: **«ما أدري ولست أحبّ حمل السلاح معتمراً»**[2]، وقال سعد بن عبادة مستفسراً: لو حملنا يا رسول الله السلاح معنا، فإن رأينا من القوم ريباً كنا مُعدّين لهم!

---

(١) هي قرية بالقرب من مكة، ويقال: إنّ بعض الحديبية في الحلّ وبعضها في الحرم، وعند البعض: إنّ تمامها في الحرم، وإنما سُمّيت بالحديبية لكان شجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، أو لوجود بئر هناك بهذا الإسم، وكان وقوعها في ذي القعدة من السنة السادسة.

(٢) المغازي للواقدي ٢: ٥٧٢ – ٥٧٣.

فقال ﷺ: «لست أحمل السلاح، إنما خرجت معتمراً»[1].

والذي يبدو أنّ قريش وعيونهم عند النبي ﷺ كانوا يرغبون في إثارة الحرب لما رأوه من قلة أصحاب النبي وضعفهم، ريثما تنتصر قريش عليه، أو على الأقل من المنع من دخول النبي مكة عنوة، لأنّ فيه ذلّ قريش أكثر فأكثر، غافلين أنّ الله شاء أن يجعل النصر له ويدخل المسلمين مكة آمنين غانمين.

فأبى النبي ﷺ عن قبول اقتراح البعض من أصحابه في حمل السلاح، وأصرّ على عدم الحرب، مع حفظ الاقتدار، حتّى لا يظنّ المشركون أنّ اتخاذ هذا الموضع من النبي ناشئٌ عن الضعف والخذلان، بيد أنه أعلم الناس بهذه الأمور، لكنه يريد أن يعلن أنه نبي السلم وليس نبي السيف إن أمهله الأعداء وأمن من سيوفهم وغدرهم، وبهذا الصدد كان ﷺ يحمل راية الصلح والسلام في يد، والسيف في اليد الأخرى، تخويفاً وتهديداً للحاقدين من قريش.

فجمع أصحابه للبيعة تحت الشجرة وقد سُمّيت ببيعة الرضوان، فبايعوه جميعاً على بذل الروح في نصرته، وعلى أن لا يفرّوا ولا يتخلّفوا عن البيعة، إلاّ جدّ بن قيس الأنصاري وعثمان بن عفان، فإنّ عثمان ذهب بنفسه إلى مكة بدعوة قرشية، في حين ردّ عبد الله بن أبيّ زعيم المنافقين دعوة قريش قائلاً: لا أطوف حتّى يطوف رسول الله ﷺ.

وهذه ليست بأول فضيحة لعثمان فيحاول البعض في إخفائها صوناً لشخصيته، فقد ظهرت منه أضرابها، كالفرار عن معركتي بدر وأحد وإخفائه ابن العاص الذي مثّل بجثمان حمزة ﷺ، وقتله رقية المعروفة أنها بنت رسول الله ﷺ.

ومهما يكن من أمر، إنّ بيعة الرضوان كانت ضربة دامرة للمشركين ومزلزلة لأركانهم، حيث علموا باقتدار النبي وهيمنته القيادية ووفاء أصحابه وعزمهم على نصرته حتّى الموت، وفي الجانب الآخر رسّخت إيمان المسلمين وقوّت معنوياتهم تجاه المشركين.

فأمر الناس أن يسلكوا طريقاً ينتهي بهم على مهبط الحديبية من أسفل

---

(١) إمتاع الأسماع١: ٢٧٥.

مكة، فسلكوا ذلك الطريق، فلما كانوا به بركت ناقته ﷺ القصوى وألحّت على عدم القيام، فقالوا: خلأت القصوى(أي مرنت)فقال: «**ما خلأت وما هو لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة**» أي منعها الله عن دخول مكة، فعلم أنّ ذلك صدٌ له من الله عن مكة أن يدخلها عنوة، فقال: «**والذي نفس محمد بيده لا تدعني قريش اليوم إلى خطة-أي خصلة- يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها**» وفي رواية بدل(صلة الرحم): تعظيم حرمات الله، ثمّ أمر الناس بالنزول في ذلك الوادي.

وفي هذا الكلام إنباء عما ستسأله قريش، وقد صدر ذلك منهم.

ولما اشتكى الناس قلّة الماء، دعا بدلو من ماء البئر فتوضأ منه وتمضض ثمّ مجّه في الدلو وأمر أن يُلقى في البئر، فما كاد أن فار البئر كما يفور القدر حتّى طمّت واستوت بشفيرها... وكان على البئر عبد الله بن أُبيّ، فقيل له: ويحك أما آن لك أن تبصر ما أنت عليه؟ أبعد هذا شيء؟ فقال: إني رأيت مثل هذا...،ثمّ أقبل إلى النبي ﷺ فأنبأه بما قال آنفاً، فقال: «**يا أبا الحباب أني رأيت؟**» قال: ما رأيت مثله قط، قال: «**فلِمَ قلت ما قلت؟**» قال: استغفر لي...[1].

هذا وقد أنتجت إستراتيجية النبي ﷺ مفاوضات الصلح والسلام، بالرغم من عدم تمايل الأعداء، وذلك بعد تبادل السفراء من الجانبين وتبادل التهديدات.

فقد بعثت قريش سهيل بن عمرو وقالوا: ائت محمداً وصالحه، ولا نكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنا عامه هذا، فوَالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً، فأتى سهيل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ أنبأ عما جاء به، فقال: «**قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل**»[2].

وبعد المفاوضات الطويلة تمّ الإتفاق على عقد الصلح، وفرح المؤمنون به وخالف البعض فيه-كما سبق منه في الاعتراض على عدم حمل السلاح-وأخذ

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٦٩٣، إمتاع الأسماع ١: ٢٨٤.

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٣٢٠،تاريخ الطبري ٢: ٢٨٠، مسند أحمد ٤: ٣٢٥، عيون الاثر ٢: ١١٩.

يوسوس في صدور الناس اعتراضاً على ما ورد في الاتفاقية، وكانت بنودها كالتالي:

إتفاقية الصلح

دعى رسول الله ﷺ علياً عليه السلام لكتابة المعاهدة، فقال ﷺ: **«أكتب بسم الله الرحمن الرحيم»** فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال ﷺ: **«أكتب باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو»**.

فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فأبى علي عليه السلام أن يمحها، فقال: يا رسول الله إنّ يدي لم تنطلق بمحو اسمك من النبوة، فوضع رسول الله ﷺ يديه عليها ومحاها، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: **«ستُدعى لمثلها فتجيب وأنت على مضض»**[1].

وتحقق ما أنبأ به ﷺ في صفين حينما كتب الصلح بينه وبين معاوية، فقال عمرو بن العاص ومعاوية: لو علمنا أنك أمير المؤمنين لم ننازعك، فقال عليه السلام: اكتبوا ما رأيتم، فعلمت أنّ قول رسول الله ﷺ قد جاء[2].

ويروى أنه لما قال سهيل ذلك، قال عمر: يا رسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل ليلثغ لسانه فلا يقوم علينا خطيباً أبداً، فقال ﷺ: **«دعه يا عمر فعسى أن يقوم لك مقاماً تحمده»**! وفي رواية: **«دعها فلعلها أن تسرّك يوماً»** فلما مات النبي تحقق ما أنبأ عنه ﷺ، إذ قام سهيل بن عمرو فقال لهم: من كان يعبد محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإنّ الله حي لا يموت[3].

وقد كتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو:

١ـ أن يرجع رسول الله ﷺ بأصحابه من الحديبية فإذا كان العام القابل، تخرج قريش من مكة، فيدخلها رسول الله بأصحابه، فيقيم بها ثلاثاً وليس معه من السلاح سوى السيوف في القرب والقوس.

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٢١، البحار ٢٠: ٣٥٩.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١١٦ح ١٩٢، البحار ٢٠: ٣٥٧و٣٣: ٣١٦، السيرة الحلبية ٢: ٧٠٧.

(٣) أعلام النبوة للماوردي: ١٦١.

٢ـ أن توضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين، يأمن فيها الناس، ويكفّ فيها بعضهم عن بعض.

٣ـ من أحبّ من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ـ أن يكون الفريقان في عيبة مكفوفة(أي صدور منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة، وإنه لا إسلال ولا إغلال(أي لا سرقة ولا خيانة).

٥ـ إنه من أتى محمداً من قريش ممّن هو على دين محمد بغير إذن وليّه ردّ إليه، ومن أتى قريشاً ممن مع محمد فارتدّ عن الإسلام لا تردّه قريش إليه.

فعظم هذا الشرط على المسلمين، وقالوا: سبحان الله كيف نردّ للمشركين من جاءنا منهم مسلماً، وقالوا: يا رسول الله: أتكتب هذا على نفسك؟!.

قال: «**نعم إنه من ذهب منّا مرتدّاً أبعده الله، ومن جاءنا مسلماً فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً**»[1].

وكان هذا الكلام منه ﷺ إنباءً عن الغيب في حصول الفرج لتلك الفئة، ولولا علمه ﷺ بالفرج لما وافق بتسليمهم.

وطلب سهيل أيضاً ردّ العبيد الفارّين -مثل بلال وعمار- إلى مالكيهم، فغضب رسول الله على هذا الشرط، بحيث تبين الغضب في وجهه فالتفت إلى أبي بكر وعمر يختبرهم، فقال لهما: «**ما تقولان؟**» قالا: صدق الرجل، فتغيّر وجهه ﷺ وقال للوفد: «**لتنتهن أو ليبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للإيمان يضرب رقابكم على الدين**» وكان مراده من الرجل علي بن أبي طالب، يهدّدهم به لما يعلمون منه من الشجاعة وقتل الأبطال.

فقال بعض الحاضرين: يا رسول الله أبوبكر ذلك الرجل؟ قال ﷺ: «**لا**»، فقيل: عمر؟ قال: «**لا، ولكنه خاصف النعل في الحجرة**» فتبادر الناس ينظرون من الرجل؟ فإذا هو أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٧١٠.

(٢) لاحظ الإرشاد للمفيد ١: ١٢٢، سنن الترمذي ٥: ٢٩٧ ح٣٧٩٩، مستدرك الحاكم ٢: ١٢٥و ١٣٧،

وكان رسول اللهﷺ يعلم أنه لو وافق على هذا الشرط وداهنهم عليه كما داهنهم على سائر الشروط، وعاد بلال وعمار إلى المشركين لقتلوهم انتقاماً بمن قتلوا في بدر وأحد، ومن ثمّ أظهر الغضب حتّى يعلموا أنه ليس كلما يريدوه كائن.

فما كان إذ أقبل أبو جندل بن سهيل إلى النبيﷺ فاراً يرسف في قيوده،وكان قد أسلم قبل ذلك بمكة، فمنعه أبوه من الهجرة وحبسه موثوقاً، فلما سمع أنّ النبيﷺ وأصحابه في الحديبية، احتال حتّى خرج من السجن وتنكّب الطريق حتّى هبط على المسلمين، ففرحوا به وغضب أبوه.

وقال أبوه: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه أن تردّه إليّ، فأبى المسلمون، وحيث كان النبيﷺ قد عاهد، وتمّ العهد بينهما، قال لأبي جندل: «**إصبر واحتسب فقد تمّ الصلح قبل أن تأتي، ونحن لا نغدر وقد تلطّفنا بأبيك فأبى، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً**»[1].

وهذه النبوءة كسابقتها حاكية عما سيحدث له ولأضرابه من المؤمنين من الفرج قريباً، ومن ثم سلّمه له آمناً عليه.

وفي هذا الحال اقترب عمر من أبي جندل ورغّبه في قتل أبيه قائلاً: إصبر أبا جندل، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب، وكان يُدني قائم السيف منه، ويقول: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب أباه، فأبى عليه[2].

وفي رواية: جعل يقول: يا أبا جندل إنّ الرجل يقتل أباه في الله، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله، فقال له أبو جندل: مالك لا تقتله أنت؟ فقال عمر: نهانا رسول اللهﷺ عن قتله وقتل غيره، فقال أبو جندل: ما أنت أحق بطاعة رسول اللهﷺ مني[3].

ثم أخذ عمر يعترض بكل جرأة على النبيﷺ ويقول: ما شككت منذ

مسند أحمد ٣: ٨٢، دلائل النبوة ٦: ٤٣٥، المناقب لابن المغازلي: ٤٣٨ –٤٤٠.

(١) السيرة الحلبية ٢: ٧١٠.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٧١١، سيرة ابن هشام ٣: ٧٨٣.

(٣) المصادر السابقة، إمتاع الأسماع ١: ٢٩٣.

أسلمت إلاّ يومئذ، فأتيت النبيﷺ فقلت: ألست نبي الله؟ قال: «بلى» فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلِمَ نُعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: «إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري».

قلت: أو ليس كنت تحدثنا: إنا سنأتي البيت ونطوف به؟.

قال: «أفأخبرتك أنك آتيه العام؟» قلت: لا.

قالﷺ: «إنك آتيه ومطوّف به»، وهذه نبوءة منه أيضاً لرفع الشك من صدور المرتابين، لكن عمر لم يؤمن بهذه الأمور ولم يقتنع بها، فعامل رسول اللهﷺ معاملة رجل عادي، لا يرى أنه رسول الله، وأنّ كل ما يفعله ويقوله فمن عند الله وبأمر منه تعالى، فذهب إلى أبي بكر وكرّر نفس الكلام عنده، وقال: فعملت لذلك أعمالاً[1].

هناك نزل الوحي تأييداً لنبوءتهﷺ، ودعماً لما فعله وتوبيخاً لمن خالفه، قائلاً: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[2].

هذا وقد رجع النبيﷺ من الحديبية ينتظر السنة القادمة، وفي هذا الفاصل أخذ الإسلام في الانتشار والإزدهار، وذلك عندما أحسّ الناس بالأمن من إظهاره في مكة، ودخلت كثير من طوائف العرب في الدين والتحقوا بالنبيﷺ وأصبحت له جمهرية عظيمة في داخل مكة وخارجها، بعدما كان الضعف ظاهراً على أصحابه قبل عدد المشركين.

يشهد لذلك ما نقله ابن هشام عن الزهري، قال: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلّم بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلّم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد

---

(١) سيرة ابن كثير ٣: ٣٣٤.

(٢) الفتح: ٢٧.

دخل في تينك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

فقال ابن هشام: والدليل على ما قاله الزهري، إنّ رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربع مائة رجل -في قول جابر- ثمّ خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف[1].

وليس هذا إلا من جهة عبقرية الرسول المصطفى ﷺ وحكمته النافذة في تخطيطاته وارتباطه بعالم الوحي، وإن جهلها بعض أصحابه.

تحقق ما أنبأ به النبي ﷺ في فرج المستضعفين

يقول الصادق عليه السلام: فما انقضت تلك المدة حتّى كاد الإسلام يستولي على أهل مكة، ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة انفلت أبو بصير بن أسيد بن حارثة الثقفي من المشركين، وبعث الأخنس بن شريق في أثره رجلين فقتل أحدهما، وأتى رسول الله ﷺ مسلماً مهاجراً، فقال ﷺ: **«مسعر حرب لو كان معه واحد»** ثمّ قال: **«شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت»**.

فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين حتّى كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جهينة على طريق عيرات قريش مما يلي سيف البحر.

وانفلت أبو جندل بن عمرو في سبعين راكباً أسلموا فلحق بأبي بصير، واجتمع إليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة حتّى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون لا يمرّ بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها.

فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه، وقالوا: من خرج منا إليك فامسكه غير حرج أنت فيه، وعلى أثر هذه القصة علم الذين كانوا أشاروا على رسول الله ﷺ أن يمنع أبا جندل من أبيه أنّ طاعة رسول الله ﷺ خير لهم مما أحبّوا وكرهوا[2].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٣٢٢.

(٢) إعلام الورى ١: ٢٠٦، وفي سيرة ابن كثير ٣: ٣٣٥، ومجمع البيان ٩: ١٩٩-٢٠٠ باختلاف.

فهذه نتيجة ديبلوماسية الرسول المصطفى ﷺ، وهذا معنى الحكمة الإلهية وأنّ الرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، فقد تحقق جميع ما أنبأ به وأنتجت جميع مخططاته الرائعة.

عمرة القضاء وتحقق نبوءة الرسول المصطفى ﷺ في دخول مكة

لما استدار العام على معاهدة الصلح عزم النبي ﷺ في الخروج هو وأصحابه إلى مكة لأداء مناسك الحج، حسب الإتفاق الذي وقع بينه وبين قريش، فنادى مناديه في الناس أن يتجهزوا للسفر، فأسرع الناس بلهفة إلى تلبية هذا الطلب، وخرج ﷺ مع ألفين من المسلمين، فلما بلغ ذا الحليفة أحرم وأصحابه للحج، ولما قرب من مكة خرج منها زعماؤها إلى رؤوس الجبل والنواحي المجاورة، وانحدر المسلمون إلى مكة، فلما نظروا إلى البيت علت أصواتهم بالتلبية (لبيك اللهم لبيك) وأهل مكة ينظرون إليهم.

وأخذ النبي ﷺ والمسلمون بأداء المناسك بصفوف منظّمة وأصوات متحدة مهيبة، والذين على الجبل من رؤوس قريش ينظرون إليهم وبكل عجب، من دخول هذا الطريد الذي خرج من مكة قبل سبع سنوات، وقد عاد إليها اليوم ودخلها كالفاتح المنتصر لا يصدّه عنها صاد، وفي تلك اللحظات ارتفعت أصوات المسلمين بشعار التوحيد: لا إله إلا الله وحده، نصر عبده وأعزّ جنده، وخذل الأحزاب وحده، وبه ارتجّت قلوب المشركين وأخذ الحقد والغضب يغلي في قلوبهم، أثر هذا التحدي الصارخ، ولما تمّ الحج وفي خلال الأيام الثلاثة أدّى النبي ﷺ فرائضه في أوقاتها وبكل حرّية وفخر وخلفه ألفان من المسلمين، وقريش تنظر إلى هذه المواقف ولم تجترء على التعرض بالمسلمين، بعد ما كان الإختناق حاكماً على الموحدين سابقاً.

وجاء في السيرة الحلبية: إنه ﷺ لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه، قال: **«هذا الذي وعدتكم»**، فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال: **«أدعوا لي عمر بن الخطاب»** فقال ﷺ: **«هذا الذي قلت لكم»**.

وفيه أيضاً: فلما كان في حجة الوداع بعرفة، فقال ﷺ: **«أي عمر! هذا الذي**

قلت لكم» قال: أي رسول الله ! ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية[1].

فلما انتهت الأيام الثلاثة طلبت قريش من النبي ﷺ أن يخرج من مكة عملاً بنص المعاهدة، فخرج هو وأصحابه منها فائزاً فرحاً بإتيان فرائضه الدينية، وبتحقق ما وعده الله من النصر ودخول البيت معتمراً ولو بعد سنة، وبهذا انقطع ريب المرتابين في صدق نبوءته ﷺ -مثل عمر- حيث قال ﷺ له: **«فإنك آتيه ومطوف به»**.

قال الواقدي: لما قضى رسول الله ﷺ نسكه في عمرة القضاء دخل البيت فلم يزل فيه حتّى أذّن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة، وكان رسول الله ﷺ أمره بذلك، فقال عكرمة بن أبي جهل: لقد أكرم الله أبا الحكم حين لم يسمع هذا العبد يقول ما يقول!.

وقال صفوان بن أمية: الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا، وقال خالد بن أسيد: الحمد لله الذي أمات أبي ولم يشهد هذا اليوم حتّى يقوم بلال ينهق فوق البيت.

وأما سهيل بن عمرو ورجل معه لما سمعوا بذلك غطّوا وجوههم[2].

إرسال السفراء إلى الآفاق وأنباء صدرت بين صلح الحديبية وفتح مكة

وكان من تدبير النبي ﷺ في هذه الفترة أن بادر في إرسال الرسل والسفراء إلى ملوك الأفاق، وقد صدرت منه خلال ذلك نبوءات هامة.

منها: قوله ﷺ في كسرى: **«مزّق الله ملكه... أما أنه ستمزقون ملكه... أما أنكم ستملكون أرضه»**.

وذلك أنه كتب النبي ﷺ إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام قائلاً: **«من محمد رسول الله إلى كسرى بن هرمز، أما بعد فأسلم تسلم، وإلا فأذن بحرب من الله ورسوله، والسلام على من اتبع الهدى»**.

---

(١) السيرة الحلبية ٢: ٧١٥، إمتاع الأسماع ١: ٢٩٤.

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٤٣٨ عن الواقدي، إمتاع الأسماع ١: ٣٣٣.

فلما وصل إليه الكتاب مزّقه واستخف به، وقال: من هذا الذي يدعوني إلى دينه، ويبدأ باسمه قبل إسمي، وبعث إليه بتراب، فقال ﷺ: «**مزّق الله ملكه كما مزّق كتابي، أما إنه ستمزّقون ملكه، وبعث إليّ بتراب أما إنكم ستملكون أرضه**» فكان كما قال رسول الله ﷺ.

منها: قوله ﷺ لرسول كسرى: «**أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة، وسلّط عليه ابنه شيرويه...**»[1].

ففي أعلام النبوة: إنّ كسرى كتب في نفس الوقت إلى عامله باليمن باذان، ويكنّى أبا مهران: أن احمل إليّ هذا الذي يذكر أنه نبي، وبدأ باسمه قبل اسمي ودعاني إلى غير ديني، فبعث إليه فيروز الديلمي في جماعة مع كتاب يذكر فيه ما كتب به كسرى، فأتاه فيروز بمن معه، فقال للنبي ﷺ: إنّ كسرى أمرني أن أحملك إليه، فاستنظره ليلة، فلما كان من الغد حضر فيروز مستحثاً، فقال النبي ﷺ: «**أخبرني ربي أنه قتل ربّك البارحة، سلّط عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل، فأمسِك حتّى يأتيك الخبر**».

فراع ذلك فيروز وهاله وعاد إلى باذان فأخبره، فقال له باذان: كيف وجدت نفسك حين دخلت عليه؟ فقال: والله ما هبت أحداً كهيبة هذا الرجل، فوصل الخبر بقتل كسرى في تلك الليلة من تلك الساعة، فأسلما جميعاً[2].

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٧٠، وعنه في البحار ٢٠: ٣٨١.

(٢) أعلام النبوة للماوردي: ١٥٥.

أقول: حيث بلغ المقام من ذكر قصة لباذان وفيروز، رأيت من المناسب ذكر قصة العنسي وما ورد فيه من الإنباء، وإن كان الترتيب الزمني يقتضي درجها في آخر السنة العاشرة.

أمّا العنسي: فهو عيهلة بن كعب بن عوف الأسود العنسي يلقّب ذا الخمار، ادّعى النبوة باليمن، وكان كاهناً مشعوذاً يفعل الأعاجيب ويستجلب الناس بحسن حديثه، فتبعه جمع من مذحج وغيرها من القبائل واحتلّ أكثر مناطق اليمن واستفحل أمره فيها، وكان ذلك بعد وفاة باذان عامل النبي ﷺ على اليمن وابتداء المرض برسول الله بعد حجة الوداع، فكتب رسول الله ﷺ إلى نفر منهم: فيروز - أن يقوموا في إنهاء أمره، إما باغتياله أو مصادمته، وأن يستنجدوا بمن حوله، وكتب لفيروز: «**أقتله قتله الله**»، فدخلوا على زوجته فقالوا: هذا قد قتل أباك وزوجك فما هو عندك؟ قالت: هو أبغض خلق الله إليّ، وهو مجرّد والحرس محيطون بقصره إلاّ هذا البيت، فانقلبوا عليه، فنقبّوا، ودخل فيروز

وفي رواية: لما دخلا عليه ﷺ رسولا باذان وقد حلقا لحاهما وأعفيا شاربهما، فكره النظر إليهما وقال ﷺ: **«ويلكما من أمركما بهذا؟»** قالا: أمرنا بهذا ربنا- يعنيان كسرى-، فقال رسول الله ﷺ: **«لكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي وقصّ شاربي»** ثمّ قال لهما: **«إرجعا حتّى تأتياني غداً»**.

أقول: ومن هذا الكلام يظهر أنه كان قد علم أنّ كسرى سيقتل في تلك الليلة فأوكل جوابهما إلى الغد، وهذا من دلائل نبوته وعلمه بالغيب.

فأتى رسول الله الخبر من السماء أنّ الله ﷻ قد سلّط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في شهر كذا وكذا لكذا وكذا من الليل، فلما أتيا رسول الله ﷺ قال لهما: **«إنّ ربي قد قتل ربكما ليلة كذا وكذا من شهر كذا وكذا بعد ما مضى من الليل كذا وكذا، سلّط الله عليه شيرويه فقتله»**، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نقمنا منك ما هو أيسر من هذا، فنكتب بها عنك ونخبر الملك، قال: **«نعم أخبراه ذلك مني وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخفّ والحافر، وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملّكتك على قومك»**.

ثم أعطى خرخسك مِنطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتّى قدما على باذان وأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول، وأنتظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقاً، ما فيه كلام أنه نبي مرسل، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فإني قد قتلت كسرى،

الديلمي فخالطه فأخذ برأسه فقتله، فخار خوار ثور فابتدر الحرس الباب فقالوا: ما هذا؟ فقالت: النبي يوحى إليه، ثمّ خمد، وقد كان يجيء إليه شيطان فيوسوس له فيغطّ ويعمل بما قاله، فلما طلع الفجر نادوا بشعارهم الذي بينهم ثمّ بالأذان وقالوا فيه: أشهد أنّ محمداً رسول الله وأنّ عيهلة كذاب وشنوّها غارة، وتراجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى أعمالهم وكتبوا إلى رسول الله بالخبر، فسبق خبر السماء إليه، فخرج رسول الله قبل موته بيوم أو بليلة فأخبر الناس بذلك، فقال: **«قتل الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين»** قيل: ومن هو؟ قال: **«فيروز، فاز فيروز»**، ووصل الكتاب إلى أبي بكر بعد ارتحال النبي ﷺ، وكان من أول خروجه إلى أن قتل نحو أربعة أشهر (مناقب ابن شهر آشوب١: ٧٠ – ١٧١، البحار٢١: ٤١١ عن المنتقى للكازروني ب ١١ فيما كان سنة إحدى عشرة).

ولم أقتله إلاّ غضباً لفارس، لّما كان استحلّ من قتل أشرافهم، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه، يأتيك أمري فيه.

فلمّا انتهى كتاب شيرويه، قال: إنّ هذا الرجل لرسول، فأسلم و أسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن[1].

وقد صدرت هذه النبوءة منهﷺ في مواطن عديدة، منها ما أنبأ به في حفر الخندق حين كسر الصخرة،وقد تقدم.

ومنها: ما رواه الشافعي عن أبي هريرة عنهﷺ: **«وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقنّ كنوزها في سبيل الله»**[2].

وأمّا قيصر فكان قد علم بزوال ملكه وظهور النبيﷺ على الروم وسائر الأقطار، وكان قد اقترح على قومه أن يؤمنوا به، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت لكم ملككم؟ فتبايعوا لهذا النبي.

وأعرب عن اشتياقه لدين النبيﷺ إلاّ أنه كان يخاف من أهل مملكته القتل، ومن ثمّ لما دخل عليه دحية الكلبي وقرأ عليه كتاب النبيﷺ، قال له: والله إني لأعلم أنّ صاحبك نبي مرسل، وأنه الذي كنا ننتظر ونجده في كتابنا، ولكني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى صغاطر الأُسقف فاذكر له أمر صاحبكم، فهو والله في الروم أعظم مني وأجوَزُ قولاً عندهم مني، فانظر ماذا يقول لك؟

فلما ذهب إلى صغاطر وأخبره بالأمر، قال: صاحبك والله نبيّ مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه، فخرج صغاطر على الروم وأخبرهم بالأمر فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ أحمد عبده ورسوله، فوثبوا عليه وثبة واحدة

---

(١) لاحظ سيرة ابن كثير٣: ٥٠٧ – ٥١٢، الطبقات الكبرى١: ٢٦٠، الكامل في التاريخ٢: ١٤٦، السيرة الحلبية ٣: ٢٧٨، البحار٢٠: ٣٨٢–٣٩١، وفي الخرئج والجرائح١: ١٣٣باختلاف، والليلة التي قُتل فيها هي الثلاثاء العاشر من جمادي الأولى سنة سبعة من الهجرة.

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٤٩٧.

فضربوه حتّى قتلوه، فلما رجع دحية إلى قيصر وأخبره الحال، قال: قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا...[١].

وقال هرقل(قيصر)لأبي سفيان- بعد ما سائله عن شأن النبيﷺ وصفاته-: فلئن صدقتني ليغلبنّ على ما تحت قدميَّ هاتين، ولوددت أني عنه فأغسل عن قدميه.

فقال أبو سفيان لما خرج من عنده وهو يضرب إحدى يديه على الأخرى: يا عباد الله لقد أمِرَ أمر ابن أبي كبشة وأصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم[٢]، وفي لفظ زيادة قوله: فما زلت موقناً أنه سيظهر حتّى أدخل الله عليّ الإسلام[٣].

وروى اليعقوبي: إنّ هرقل أرسل كتاباً إلى رسول اللهﷺ فيه: إلى أحمد رسول الله الذي بشّر به عيسى من قيصر ملك الروم: إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل، بشّرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك، فقال رسول اللهﷺ: «**يبقى ملكهم ما بقي كتابي عندهم**»، وفي لفظ: «**ثبت ملكه**»[٤].

وهذا إنباء منهﷺ على تأخير زوال ملك قيصر، بسبب احترامه للنبيﷺ وتواضعه وتصديقه له.

وفي الخرائج: روي أن هرقل بعث رجل من غسّان وأمره أن يأتيه بخبر محمد، وقال له: احفظ لي في أمره ثلاثاً: انظر على أي شيء تجده جالساً، ومن على يمينه، وإن استطعت أن تنظر إلى خاتم النبوة فافعل، ففعل الغساني ما أمره

---

(١) سيرة ابن كثير ٣: ٥٠٤.

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٤٩٨،قواه لقد أمر: أي عظم، وأبي كبشة اسم الحارث بن عبد العزي، رجلاً من خزاعة خالف قريش في عبادة الأوثان.

(٣) وكان هذا الحوار بعد صلح الحديبية وقبل مؤتة، ويؤيده قول أبي سفيان: فلما كانت الهدنة -هدنة الحديبية بيننا وبينه لم نأمن إن وجدنا أمناً، فخرجت إلى الشام تاجراً... سيرة ابن كثير٣: ٥٠١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٧، سيرة ابن كثير ٣: ٥١٣، السنن الكبرى للبيهقي ٩: ١٨١.

إلاّ أنه نسي ما قال له في الخاتم، فدعاه النبي ﷺ وأنبأه عن ذلك، فقال: «هلّم إليّ ما أمرك به صاحبك» فنظر إلى خاتم النبوة، فلما قدم على هرقل وأعلمه بما سمع ورأى، قال هرقل: هذا الذي بشّر به عيسى بن مريم، إنه يركب البعير فاتبعوه وصدّقوه...[1].

وروي بالإسناد عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لتفتحنّ عصابة من المسلمين كنوز كسرى في القصر الأبيض».

فقال جابر بن سمرة: كنت أنا وأبي فيهم فأصبنا من ذلك ألف درهم[2].

ومنها: ما روي أنّ النبي ﷺ رأى ذراعي سراقة بن مالك بن جعشم دقيقين أشعرين، فقال: «كيف بك إذا ألبست بعدي سواري كسرى».

فلما فُتِحت فارس دعاه عمر وألبسه سواري كسرى، وقال له: قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن جعشم[3].

ومنها: قوله ﷺ لسلمان: «سيوضع على رأسك تاج كسرى».

فوضع التاج على رأسه عند الفتح[4].

ومنها: ما قاله ﷺ لعدي بن حاتم: «لا يمنعك من هذا الدين ما ترى من جهد أهله وضعف أصحابه فكأنهم ببيضة المدائن قد فتحت عليهم، ولكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتّى تأتي مكة بغير خفارة لا تخاف إلا الله».

قال الماوردي: فأبصر عدي ذلك كله، وهذا لا يكون إلاّ من اطلاع الله تعالى له على غيبه وتحقيقه لوعده في قوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[5].

ونجد من المناسب ذكر قصة عدي بن حاتم وإسلامه، وإن كان محل ذكره حسب الترتيب الزمني متأخراً، نظراً إلى أنّ إسلامه كان في السنة التاسعة.

---

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ١: ١٠٤، وعنه في البحار ٢٠: ٣٧٨.

(٢) أنظر سيرة ابن كثير ٣: ٥١٤، سبل الهدى والرشاد للصالحي ١٠: ٨٢.

(٣) أعلام النبوة: ١٥٥، الشفاء للقاضي عياض ١: ٦٧٤، مناقب آل أبي طالب ١: ٩٥.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ٩٥-١٠٠، وعنه في البحار ١٨: ١٣١.

(٥) أعلام النبوة: ١٥٣.

إرسال عليٍّ إلى طيّ وقصة عدي

إنّ التفوّق العسكري والاستقرار السياسي أعطى فرصة للنبيﷺ في بعث السرايا العسكرية لنفي مظاهر الشرك والوثنية في أنحاء الحجاز أيضاً، فأرسل أميرالمؤمنين مع فرقة من المسلمين إلى طيّ ليهدم أكبر موقع للوثنية في ذلك المكان، وكان صنماً كبيراً تقدّسه بنو طيّ.

وكان من فراسة الإمام علي أنه أدرك أنّ قبيلة طي ستقاوم جنود الإسلام- نظراً لأهمية ذلك الصنم عندهم- فحمل على موضع ذلك الصنم عند الفجر والناس نيام، فاستطاع أن يأسر جمعاً ممن قاوم منهم، وأن يعود بهم وبالغنائم إلى المدينة.

وفي الجانب الآخر إنّ عدي بن حاتم- رئيس تلك القبيلة- الذي كان يكره رسول الله كراهية شديدة لما بلغه توجه الإمام إليهم- وكان مرتقباً لهذا الأمر- قال لغلامه: قرّب لي أجمالي، فلحتمل أهله وولده عليها، ولحق بأهل دينه في الشام، وترك أُخته في قومه، فكانت فيمن أصيب وجيء بها إلى رسول اللهﷺ، فقالت له- وكانت امرأة جزلة- يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ منّ الله عليك، فقال: «ومن وافدك؟» قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفار من الله ورسوله» فمضى رسول الله وتركها، وكانت تكرّر عليه قولها في كل يوم.

وفي اليوم الثالث قال لها: «قد فعلت فلا تعجلي حتّى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتّى يبلغك إلى بلادك،ثمّ آذنيني» فأقامت حتّى قدم ركب فقدمت معهم إلى الشام ولحقت بأخيها- بعدما كساها رسول اللهﷺ وأعطاها نفقتها- فعاتبت أخاها، فقال لها: والله ما لي عذر، ثم قال: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن نلحق به سريعاً، فخرج عدي سريعاً حتّى قدم على النبيﷺ وهو في المسجد، فسلّم على النبي، واستقبله رسول الله استقبالاً حاراً وانطلق به إلى بيته، فرأى من النبي من الصفات ما قل في نفسه والله ما هذا بأمر ملك، فقال رسول اللهﷺ: «إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسياً؟» قلت:

بلى، قال: «أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟»[1] قلت: بلى، قال: «فإنّ ذلك لم يحل لك في دينك» قلت: أجل والله، وعرفت أنه نبي مرسل، يعلم ما يُجهل.

ثم قال ﷺ: «لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوَ الله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتّى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوَ الله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتّى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه إنك ترى أنّ الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم».

قال عدي: فأسلمت، وكان يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكوننّ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتّى تحجّ هذا البيت، وأيم الله لتكونّن الثالثة، ليفيضنّ المال حتّى لا يوجد من يأخذه[2].

الإنباء بفتح مصر

ومن ذلك أنّ النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة سفيراً إلى المقوقس عظيم مصر يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأ كتاب النبي ﷺ عظّمه وأكرم الرسول، وكتب إلى رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أنّ نبياً قد بقي، وقد كنت أظنّ أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك.

فالاحترام الذي أبداه للنبي ﷺ في رسالته وتكريم السفير والهدايا التي

---

(١) الركوسية: صنف من النصارى، لهم دين بين النصارى والصابئة، المرباع: ربع الغنيمة.

(٢) مغازي الواقدي٢: ٩٨٨–٩٨٩، إمتاع الأسماع١: ٤٤٥، وفي مجمع البيان٣: ٢٤ ذيل قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ في سورة التوبة: ٣١.

بعثها إليه كلها حاكية عن قبول دعوة النبيﷺ في السرّ،غير أنّ حبّ بقاء السلطة منعه من التظاهر بالإيمان، فلما رجع حاطب إلى النبي وألقى الهدايا عنده وقرأ النبي كتابه، قال: «ضنّ بملكه، ولا بقاء لملكه»[١].

وبه أنبأﷺ عن زوال ملك المقوقس.

وقد أنبأ أيضاً عن فتح مصر، فعن كعب بن مالك أنه قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإنّ لهم رحماً وذمة»، يعني من الرحم زوجته مارية القبطية، إذ كانت منهم.

ولهذا الحديث أصل رواه مسلم عن أبي ذر، عنهﷺ «إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإنّ لهم ذمة ورحماً...»[٢].

حكومة الإسلام على جميع الأقطار

وقد أنبأﷺ عن شمول ملك أمته جميع الأقطار، فقال: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها».

قال الماوردي: فصدّق الله خبره، وحقّق ما ذكره وملّك أمته أقطار الأرض حتّى دان له بشرعه من في المشرق والمغرب[٣].

سفير الإسلام في اليمن
والانباء عن ظهور الدين إلى منتهى الخفّ والحافر

وقد أرسل النبيﷺ سليط بن عمرة العامري إلى هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة يدعوه إلى الإسلام، فقدم عليه بكتاب النبيﷺ وفيه: «بسم الله

---

(١) لاحظ السيرة الحلبية٣: ٢٩٩، الطبقات الكبرى لابن سعد١: ٢٦٠، وفي البحار٢٠: ٣٨٣ عن الكازروني في المنتقى باختلاف.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٩٠، ١: ١٦٦، أعلام النبوة: ١٥٤،الخصائص ٢: ١١١، القيراط جزء من أجزاء الدينار، واختصاص أهل مصر بذكر الدينار لكثرة ذكرهم له في محاوراتهم.

(٣) أعلام النبوة: ١٥٣، مناقب آل أبي طالب ١: ٩٨-١٠٠، وتمام الحديث في صحيح مسلم ٨: ١٧١- ب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض- بسنده عن ثوبان، ومسند أحمد ٥: ٢٧٨-٢٨٤.

الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أنّ ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر(أي يعم الشرق والغرب)فأسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك». فوقع بينه وبين سفير النبي حوار حول هذا الدين، وكانت ملامح ملك اليمامة توحي بحسن تأثير كلمات سليط في قلبه، فطلب من سفير النبي أن يمهله حتّى يفكّر في الأمر[1].

وصادف أن قدم عليه من كبار أساقفة الروم فتحدّث معه في قضية النبيﷺ، فكان من كلامه مع هوذة: بلى والله لئن اتبعته ليملكنّك، وأنّ الخير لك في اتباعه، وأنه للنبي العربي الذي بشّر به عيسى بن مريمعليه السلام، وأنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله[2].

فتركت نصايح الأسقف أثراً عميقاً في نفسه، فاستدعى سفير النبيﷺ وكتب إلى النبيﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر أتبعك.

ومن كلامه يبدو أنه كان طامعاً في هذا الأمر وطلب أن يجعله خليفة من بعده، ولم يكتف بهذا، بل بعث وفداً إلى النبيﷺ برسالة مفادها: إن جعل الأمر له من بعده أسلم وسار إليه ونصره، وإلاّ قصد حربه.

فلما قدم السفير وأخبر النبيﷺ بما جرى وقرأ الكتاب على النبيﷺ قال: «لا ولا كرامة، لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت».

ثم قال: «باد ملكه» وفي لفظ: «باد وباد ما في يده»[3].

وهذا إنباء منهﷺ بأنّ هوذة سيهلك ويزول ملكه، فلما انصرف رسول اللهﷺ من الفتح جاءه جبرئيل فأخبره أنه قد مات.

---

(١) أنظر سبل الهدى والرشاد ١١: ٣٥٧.

(٢) أنظر عيون الأثر ٢: ٣٣٧.

(٣) أنظرالسيرة الحلبية٣: ٣٠٣، الكامل في التاريخ٢: ١٤٦، الطبقات الكبرى١: ٢٦٢، البحار٢٠: ٣٩٥، والسيابة: قطعة من الأرض المهملة.

سفير الرسول المصطفىﷺ إلى أمير الغساسنة في الشام والإنباء عن زوال ملكهم

وقد أرسلﷺ أيضاً سفراءه إلى سائر الأقطار لإبلاغ الرسالة الإسلامية، منهم شجاع بن وهب، فقد أرسله إلى أرض الغساسنة، وأودعه كتاباً إلى الملك حارث بن أبي شمّر الغساني، فخرج إلى الشام وانتهى إليه وهو بغوطة دمشق متهيأً لاستقبال قيصر، لأنّ قيصر قد نذر إن انتصر على الفرس أن يذهب لزيارة بيت المقدس ماشياً، فكان عبوره على غوطة.

فلم يتمكن شجاع من ملاقاة ملك الغساسنة إلاّ بعد أيام، إلاّ أنه صادف حاجب الملك وألقى عليه فكرته فاستحسنها الحاجب وأبدا رغبته في هذا الدين، وأحسن ضيافته لسفير النبيﷺ، إلاّ أنه كان خائفاً من الحارث أن يقتله لو أظهر إسلامه، وكان الحارث يخاف قيصراً أيضاً.

هناك خرج الملك وأذن لسفير النبي بالدخول عليه واستلم كتاب النبيﷺ، فلما رأى فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمّر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدّق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك**»، وكان الإنباء ببقاء الملك مشروطاً.

فانزعج الحارث مما في الكتاب ورمى به جانباً وقال: من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس، وأمر بتهيؤ القوات المسلحة إرعاباً وتخويفاً لسفير النبيﷺ،وكان من أمره إعلان حمايته لقيصر، فأرسل رسالة إليه يخبره بالأمر، وعزمه على غزو المملكة الإسلامية، واتفق وصول رسالة الحارث إلى قيصر في الوقت الذي كان دحية الكلبي عنده يحاوره في أمر النبيﷺ، فانزعج قيصر من مبادرة الغساني على هذا التصميم وكتب إليه يمنعه عن اتخاذ أيّ قرار إلاّ بعد اللقاء به في إيلياء.

فقد غيّر هذا الموقف الإيجابي ذاك الموقف السلبي من ملك الغساسنة، فبادر في إكرام سفير النبيﷺ وبعث معه الهدايا، واكتفى بإرسال السلام إليه، بيد أنّ النبي لم يقتنع بهذا الموقف الانفعالي الذي لم يصدر عن واقع قلبي، فقال

في جوابه منبأً: «باد ملكه».

فمات الحارث في السنة الثامنة من الهجرة بعد الفتح[١].

الإنباء بفتح بلاد الروم

فقد أنبأ ﷺ المسلمين: «إنكم تفتحون رومية، فإذا فتحتم كنيستها الشرقية فاجعلوها مسجداً، وعدّوا سبع بلاطات ثمّ ارفعوا البلاطة الثامنة فإنكم تجدون تحتها عصى موسى عليه السلام وكسوة إيليا»

وأخبر ﷺ: بأنّ طوائف من أمته يغزون في البحر»،وكان كذلك[٢].

سفير النبي ﷺ في عمان

والإنباء بزوال الملك من جيفر وعبد ابني الجلندي

وبعث رسو ل الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزدي، وبعث معهما كتاباً يدعوهما فيه إلى الإسلام ويُنبئ عن زوال ملكهما، فقال ﷺ: «...وإنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرّا بالإسلام فإنّ ملككما زائل عنكما، وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»[٣].

وفي المناقب: إنه ﷺ كتب إلى ابن جلندي وأهل عمان، وقال: «أما إنهم سيقبّلون كتابي ويصدّقوني، ويسألكم ابن جلندي هل بعث رسول الله معكم بهدية؟ فقولوا: لا، فسيقول:لو كان رسول الله بعث معكم بهدية لكانت مثل المائدة التي نزلت على بني إسرائيل وعلى المسيح».

قال: الراوي: فكان كما قال رسول الله ﷺ[٤].

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٣٠٥، البحار ٢٠: ٣٩٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٩٥-١٠٠، وعنه في البحار ١٨: ١٣٢.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ٣٠١، أسد الغابة ١: ٣١٣، الكامل في التاريخ لابن أثير ٢: ٨٨.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠٠، وعنه في البحار ١٨: ٣٣٨.

غزوة خيبر والإنباء بالفتح على يد عليٍّ الكرارعليه السلام

بعدما عقد رسول اللهﷺ اتفاقية الصلح والسلام مع قريش واطمأنّ إلى حدٍّ من أذى قريش والعرب المكبّين على الشرك، تفرّغ لدفع شرّ يهود خيبر الذين جهّزوا جيوش الأحزاب ضدّه ولم يزالوا مكبين على عدائه وإحباك المؤامرات في قتله والغدر به، وهم كما قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ... ﴾[1]، فمن الصعب جداً أن يطمئن بهم ويوادعهم كما وادع قريش، بعد أن جرّبهم كراراً ووجدهم أهل مكر لايلتزمون بأيّ عهد.

ونظراً لما قد وعده الله سبحانه من الفتح القريب بعد الحديبية بقوله: ﴿...وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[2].

وبعد عشرين يوماً من رجوعه من الحديبية أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو يهود خيبر سريعاً-إذ كان لا يأمن مكرهم وغزوهم-فأراد أن يفجئهم قبل أن يغزوه.

فخرج من المدينة في ألف وستمائة من المسلمين وأعطى الراية-كما في سائر حروبه-علي ابن أبي طالبعليه السلام، وسار إليها فأشرف عليها بعد ثلاثة أيام، وكان وصوله إليها ليلاً، فدعى الله بالنصر وأن يرده منها فاتحاً غانماً، وعندما خرج الناس من بيوتهم مبكّرين لمزارعهم وأعمالهم، فوجئوا بجيش المسلمين، فولّوا صارخين: هذا محمد قد جائكم بأصحابه، فانتبه الناس مذعورين، واستبشر النبيﷺ قائلاً: «**الله أكبر، لقد خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**»[3]، فحاصرهم المسلمون، وكانوا لا يظنون أنّ رسول اللهﷺ يغزوهم أو يسبقهم بالغزو لمنعتهم في حصونهم وسلاحهم وعددهم، ووجود الحُلَفاء مثل غطفان وغيرهم.

ومن ثم قال أحد يهود المدينة للمسلمين: ما أمنع والله خيبر منكم! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات

---

(١) المائدة: ٨٢.

(٢) الفتح: ١٨.

(٣) صحيح البخاري ٥: ٧٣،سنن الترمذي ٣: ٥٤ ح ١٥٩٠، سيرة ابن كثير ٣: ٣٤٨.

في ذرى الجبال، والماء واتن، وقال أيضاً: إنّ بخيبر لألف دارع ما كانت أسد وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلاّ بهم فأنتم تطيقون خيبر؟![1].

وبذلك أخذوا يجبّنون المسلمين ويضعّفون معنوياتهم.

فقال المسلمون: إنّ الله وعد نبيه أن ينصره عليهم ويغنمه إياها.

ولأهمية المسألة و النتائج والمعطيات التي فيها، أخذ العرب وبخاصة قريش يتطلعون بشوق ولهفة إلى نتائج الغزوة، ويأملون أن تكون الدائرة فيها على المسلمين ويتراهنون عليها.

فتشاور اليهود فيما بينهم فاتفقوا على القتال، وأدخلوا نسائهم وذراريهم وأموالهم في حصن الوطيح والسلالم، ودخل المقاتلون في حصن نطاة، والتقى الجمعان حول الحصن واقتتلوا قتالاً شديداً، وجرح عدد من المسلمين، فالمسلمون يهاجمون وأولئك يدافعون، وكان أكثر دفاعهم بالنبل.

واستمرّ الحصار بهذا الحال بضع عشر ليلة، فولّى رسول الله القيادة في يوم أبا بكر وبعثه لينالجز القوم، فرجع ومن معه منهزماً ولم يصنع شيئاً، وفي اليوم الثاني بعث عمر، فرجع منهزماً يجبّن أصحابه وهم يجبّنوه.

هناك قال رسول الله ﷺ: **«لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كراراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه»**[2].

وهذا حديث معروف أخرجه أكثر المحدثين والمؤرخين من العامة، وفيه إنباء بالفتح والغلبة على أعظم حصون اليهود.

ومن ثم تطاولت رؤوس الحاضرين سيّما من خرج بالراية ورجع خائباً هارباً، رجاء أن يكون هو صاحب الراية ويكون هو صاحب المفخرة، فباتوا يخوضون في هذه الأمنية، مع أنهم قد خرجوا بها وأبدوا ما عندهم من بطولة ورجعوا خائفين، وقد سمعوا من النبي ﷺ ما فيه تعريض عليهم من قوله ﷺ: «كراراً ليس بفرار»، مع ذلك كله يقول عمر: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٨٤، تاريخ الخميس٢: ٤٧، سيرة ابن كثير٣: ٣٥١ – ٣٥٥، واتن: دائم.

(٢) أنظر صحيح البخاري ٤: ٢٠٧، مستدرك الحاكم ٣: ٣٧، مجمع الزوائد ٩: ١٢٤،وغيرها.

(٣) لاحظ سيرة ابن كثير ٣: ٣٧٥، السيرة الحلبية ٢: ٧٣٣، السنن الكبرى ٥: ١١١ و١٨٠، خصائص

وكان هذا منه بعد ما سمع كلام النبي ﷺ، وقد أُصيب عليٌّ برمد.

فلما أصبح المسلمون طلب النبي ﷺ علياً وهو أرمد، فبصق في عينه -أو مسح عليها- فبرئ من ساعته، فلم يرى ألماً من عينه بعد ذلك أبداً، فدفع إليه اللواء ودعا له.

وفي رواية أنه قال: «**اللهم اكفه الحرّ والبرد**» فما وجد بعد ذلك حراً ولا برداً[1].

وفي رواية أخرى: قال عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله أقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**أنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حُمر النعم**»[2].

وفي حديث آخر زيادة: «...**فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم**»[3].

قتل الأبطال، فتح الحصون، قلع الباب

فخرج عليه السلام إليهم يهرول هرولة والباقي خلفه حتّى ركّز الراية بين حجارة مجتمعة تحت الحصن، فاطّلع عليه يهودي من رأس الحصن، وقال: من أنت؟ قال: أنا علي ابن أبي طالب، قال: اليهودي: علوتم وما أُنزل على موسى، وخرج إليه اليهود يتقدمهم أبطالهم، وفيهم الحارث أخو مرحب وكان معروفاً بالشجاعة، فحمل بمن معه على المسلمين فانكشفوا، فوثب علي عليه السلام وضربه بسيفه فخرّ صريعاً، ثمّ كرّ بأصحابه على اليهود، فتفرقوا وتخاذلوا بعد مقتل الحارث، وجماعة منهم ولّوا منهزمين إلى داخل الحصن فغلقوا باب الحصن، فاستعظم ذلك قائدهم مرحب، فخرج من الحصن متبختراً بشجاعته وقامته الطويلة وهامته العظيمة، متقلداً بسيفين وعليه درعان، وكان شاكاً بالحديد، بحيث ما بقي من بدنه ثغرة ينفذ فيها السيف، وهو يرتجز.

أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٥٧، مستدرك للحاكم ٣: ٣٨.

(١) تفسير مجمع البيان ٩: ٢٠٢، تاريخ الإسلام للذهبي ٢: ٤١٢، السيرة الحلبية ٢: ٧٣٥.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠ و٢٠٧وج٥: ٧٧، صحيح مسلم ٧: ١٢٢، سيرة ابن كثير ٣: ٣٥١.

(٣) العمدة لابن بطريق: ١٤٩ ذيل حديث ٢٢٧.

فبرزله عليٌّ عليه السلام قائلاً:

أنا الذي سمّتني أمي حيدرة أكيلكم بالصاع كيل السندرة

كليث غابات شديد قسورة

فاختلفا بضربتين، فبدره عليٌّ عليه السلام وضربه بسيفه ذي الفقار، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه نصفين حتّى وصل إلى أضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته، وكان الفتح على يده، وفرّ اليهود منهزمين إلى حصونهم[1].

وجاء في كتب السيرة عن أبي رافع أنه قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام حين بعثه رسول الله برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود بالسيف فاتقاه بترسه، فوقع الترس من يده فتناول باباً كان عند الحصن وأخذه بيده مكان الترس، ولم يزل بيده يقاتل حتّى فتح الله عليه، ثمّ ألقاه من يده-حين فرغ-وراء ظهره ثمانين شبراً، فلقد اجتمعنا ثمانية على أن نقلب ذلك الباب فلم نستطع[2].

وفي حجم الباب قال اليعقوبي: وكان حجراً طوله أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع، فرمى به إلى خلفه ودخل الحصن هو والمسلمون[3].

ومن عظمة هذه البطوله والقدرة التي أثارت العجب عند المسلمين بعد ما كانوا خائفين آيسين حين تقابل الفارسان، ترى عمر بن الخطاب يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن! لقد اقتلعت منيعاً وأنت ثلاثة أيام خميصاً، فهل قلعتها بقوة بشرية؟، فقال عليه السلام: ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية،

---

(١) أنظر تاريخ دمشق٤٢: ٩١،مناقب الخوارزمي: ١٦٨، تفسير مجمع البيان ٩: ٢٠١.

(٢) سيرة ابن هشام ٣: ٧٩٨، سيرة ابن كثير ٣: ٣٥٩، السيرة الحلبية ٢: ٧٣٧، ويروى عن جابر بن عبد الله أنه قال: إنّ عليا عليه السلام حمل الباب يوم خيبر حتّى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وإنه حُرّك بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً، (مجمع البيان ٩: ٢٠٢، مغازي الذهبي: ٤١٢، دلائل النبوة ٤: ٢١٢، مناقب ابن شهر آشوب ٢: ١٢٥)، ويقول هيكل: إنّ علياً بعد أن أخذ الباب بيده مكان الترس ظل يقاتل حتّى انهزم اليهود وكانوا قد حفروا خندقاً حول الحصن، فجعل علي عليه السلام الباب الذي كان بيده قنطرة على الخندق واجتاز المسلمون عليه إلى داخل أبنية الحصن، وذلك بعد أن قتل قائدهم الحارث بن أبي زينب،(انظر تاريخ محمد ﷺ-وقعة خيبر-لمحمد حسنين هيكل).

(٣) تاريخ اليعقوبي٢: ٥٦، ويقول ابن دحلان في سيرته-باب وقعة خيبر-: كان طوله ثمانين شبراً...

وتفس بلقاء ربها مطمئنة مرضية[١].

وفي هذا المجال روي: أنه لما جاءت صفية بنت حي بن أخطب إلى رسول الله ﷺ وكانت من أحسن الناس وجهاً، فرأى في وجهها شجّة فقال: «ما هذه وأنت ابنة الملوك؟» فقالت: إنّ علياً عليه السلام لما قدم إلى الحصن هزّ الباب واهتزّ الحصن وسقط من كان عليه من النظّارة وارتجف بي السرير فسقطت لوجهي فشجّني جانب السرير، فقال لها رسول الله ﷺ: «**يا صفية إنّ علياً عظيم عند الله، وإنه لمّا هزّ الباب اهتزّ الحصن، واهتزّت السماوات السبع، والأرضون السبع، واهتزّ عرش الرحمن غضباً لعليّ**»[٢].

وبهذا الانتصار الرائع اجتاز المسلمون حصون الكفر المنيعة، وأول حصن فتحه أمير المؤمنين عليه السلام هو حصن ناعم، ثمّ فتح حصن القموص، وهكذا انفتحت الحصون واحداً بعد واحد.

فلما أحسّ اليهود بسقوط جميع حصونهم وأنهم سيؤسرون أو يقتلون إن لم يسلّموا، طلبوا من النبي ﷺ الصلح، فأجابهم نبي الرحمة ﷺ على ذلك بعد أن استولى على أموالهم، وأبقاهم يعملون في أراضيهم على أن يكون لهم

---

(١) تاريخ الخميس ٢: ٥١، مشارق أنوار اليقين: ١١٠، وعنه في البحار ٢١: ٤٠، وكان عمر يتحسّر لثلاث خصال أُعطيت لأمير المؤمنين عليه السلام ولم تكن فيه واحدة، يقول: لقد أعطي علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من أن أعطى حُمر النعم، تزوجه لفاطمة عليها السلام، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له ما يحل له، والراية يوم خيبر،(مستدرك الحاكم ٣: ١٢٥، دلائل النبوة ٣: ٤٤٠، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٧٧).

(٢) مشارق الأنوار للبرسي: ١١٠،وعنه في البحار ٢١: ٤٠، حلية الأبرار للبحراني ٢: ١٦١، وروي أنه لما شطر عليٌّ عليه السلام مرحباً شطرين وألقاه مجدّلاً، جاء جبرئيل من السماء متعجباً، فقال له النبي ﷺ: «مم تعجبت؟» فقال: إنّ الملائكة تنادي في صوامع جوامع السماوات: لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار، وأما إعجابي فإني لما أُمرت أن أدمّر قوم لوط حملت مدائنهم وهي سبع مدائن من الأرض السابعة السفلى إلى الأرض السابعة العليا على ريشة من جناحي ورفعتها حتّى سمع حملة العرش صياح وبكاء أطفالهم، ووقفت بها إلى الصبح أنتظر الأمر ولم أثقل بها، واليوم لما ضرب عليٌّ ضربته الهاشمية وكبّر أُمرت أن أقبض فاضل سيفه حتّى لا يشقّ الأرض، وتصل إلى الثور الحامل لها فيشطره شطرين، فتنقلب الأرض بأهلها، فكان فاضل سيفه عليّ أثقل من مدائن لوط، هذا وإسرافيل وميكائيل قد قبضا عضده في الهواء،(المصادر السابقة).

نصف ثمرها إزاء عملهم.

وهكذا تمّ الانتصار على حصون الكفر والشرك وأهل الغدر والإعتداء، وفرح المسلمون وقويت قواعد الإسلام، وكل هذه الفتوحات كانت على يد أمير المؤمنين وبسبب تضحياته الحاسمة، وفي هذه المرة أيضاً تحققت نبوءة رسول الله ﷺ بالفتح على يد مولى الموحدين ويعسوب الدين أمير المؤمنين عليه السلام، كما اعترف به أكثر المؤرخين ورواة السيرة والحديث، بما لاينكرها إلا من أعمى الله قلبه وظلّ مكباً على الضلال المبين، وكان حاسداً لآل إبراهيم عليهم سلام رب العالمين.

مؤامرة اليهود في اغتيال النبي ﷺ والإنباء عن الشاة المسمومة

لما فُتحت خيبر وفرغ النبي ﷺ من أمرها، وأصبحت اليهود صاغرة لرسول الله ﷺ بعدما كانوا من أشد الأعداء له وللمسلمين وقد تآمروا في إطفاء نوره ولم تنتج مؤامراتهم إلا الذلّ والهوان لهم، بادروا في اغتيال الرسول ﷺ بالسم كي يقضوا عليه ويرتاحوا من دينه، وبما أنّ النبي ﷺ منصور ومؤيد من الله، فقد فشلت محاولتهم هذه أيضاً، إذ نزل عليه الوحي وأخبره بالأمر.

وذلك أنّ زينب بنت الحارث-الذي قتله أمير المؤمنين عليه السلام-أهدت للنبي ﷺ شاة مصلية، وقد سألت أيّ عضو أحب إلى رسول الله ﷺ، فقيل لها الذراع، فأكثرت فيها من السمّ، ثمّ سمّت سائر الشاة، فجاءت بها إليه ﷺ، فلما بسط القوم أيديهم ليأكلوا منها، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **«أمسكوا فإنها مسمومة»** وقال لها: **«ما حملك على ما صنعت»**؟ قالت: أردت أن أعلم إن كنت نبياً فسيطلعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أُريح الناس منك، قال الراوي: فما تعرض لها رسول الله ﷺ[1].

وروى البخاري بسنده عن أبي هريرة أنه قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سمّ، فقال رسول الله ﷺ: **«اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود»** فجمعوا له، فقال النبي ﷺ: **«إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيّ**

---

(١) أنظر سيرة ابن كثير٣: ٣٩٥، فتح الباري٧: ٣٨١، سنن أبي داود٢: ٣٦٩ عن هارون بن عبد الله، السنن الكبرى للبيهقي ٨: ٤٦ عن أبي هريرة، تاريخ بغداد ٧: ٣٨٤.

عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتم بل أبوكم فلان» قالوا: صدقت وبررت، فقال رسول الله ﷺ: «هل أنتم صادقيّ عن شيء إذا سألت عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم ﷺ: «من أهل النار؟» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثمّ تخلّفونا فيها.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «والله لا نخلفكم فيها أبداً» ثمّ قال لهم: «هل أنتم صادقيّ عن شيء إذا سألتكم؟» فقالوا: نعم، قال: «هل جعلتم في ذلك الشاة سماً؟» فقالوا: نعم، قال: «ما حملكم على ذلك؟» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك[1].

هذا هو الصحيح فيما ورد في محاولة اغتيال النبي ﷺ، وقد لاحظت عزيزي القارئ أنّ النبي ﷺ كان قد علم بهذه المؤامرة، وقد أنبأ عنها أصحابه بما فيه دلالة واضحة على نبوته ﷺ، وكان إنباءه قبل أن يأكل هو وأصحابه منها، وقد أخرج هذه الوقعة كثير من الرواة والمؤرخين ورأوها من دلائل نبوته ﷺ وإطلاعه الواسع على المغيبات.

ومن الواضح إنه لو كان قد اطلع على مسموميتها فكيف ينبغي له أن يأكل منها أو يلوك بها؟! وهذا إقدام عمدي على التهلكة الذي لا يصدر من عامي فضلاً عن نبي معصوم مرسل.

على هذا الضوء يتضح أنّ ما ورد في بعض المرويات من أكل النبي وأصحابه منها أو أنه لاكها، كله باطل لا يليق بشأنه ﷺ ومن تحريف وتزوير المحرّفين القصاصين أعوان السلطة الغاصبة والمرتزقين منها.

والقارئ اللبيب بأدنى دقة في متن الروايات يعلم أنّ تلك العبارات من إضافات المحرّفين وليست من الرواية، فإنّ الإنباء بسمومية الشاة والإطلاع عليه ينافي الأكل منها أو لوكها، فلا مناص من أن نقول إما بكذب النبوءة، وإما

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٦٦، مسند أحمد ٢: ٤٥١، سيرة ابن كثير ٣: ٣٩٥، تاريخ ابن أثير ٢: ٢٢١، طبقات ابن سعد ٢: ١١٥، سيرة ابن دحلان ٢: ١٧.

بكذب الأكل، والأول غير ممكن، لأنّ جميع النصوص الصحيحة منها والمحرفة متفقة على صحتها وصدورها من النبي ﷺ، فثبت كذب الثاني.

فإن قلت: إنّ الأكل أو اللوك كان قبل إخبار الذراع، قلنا: إنه لا يعقل، لأنّ الله سبحانه وتعالى كان إخباره إياه لدفع الخطر عنه ولحفظه منه، فما الفائدة والأثر في إخباره بعد وقوع الأمر، فلا مناص من أن نذعن على وقوع النبوءة قبل الأكل، كما شهدت عليه المرويات المتقدمة.

نعم وردت روايتان إحداهما في التفسير المنسوب إلى الامام العسكري عن أبيه عليهما السلام، والثانية رواها البزار بسنده عن أبي سعيد الخدري[1]، تدلان على أنه ﷺ أنبأ عن مسموميتها، وأكل هو وأصحابه منها بعد ما ذكروا اسم الله عليها،فلم تضرهم أبداً، ففي رواية الامام العسكري قال عليه السلام:... ووضع يده على الذراع ونفث عليه وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم،بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ولا داء في الارض ولا في السماء، وهو السميع العليم» وأمر أصحابه أن يذكروا اسم الله عليها ويأكلوا منها، فأكل وأكلوا منها ولم تضرهم أبداً، وفي اليوم الثاني جاء باليهودية فقال لها: «أليس هؤلاء أكلوا ذلك السم بحضرتك؟ فكيف رأيت دفع الله عن نبيه وصحابته؟» فقالت:يا رسول الله كنت إلى الآن في نبوتك شاكة والآن قد أيقنت أنك رسول الله حقاً...[2]،وهي كما ترى تثبت إعجازه وأثر البسملة ودعائه ﷺ، وتبطل ادعاء من قال: إنّ وفاته ﷺ كان بسبب سمّ شاة اليهودية.

وأما موت براء بن معرور، فإنه كان على أثر أكله منها قبل النبوءة وتقدّمه على رسول الله، وقد نهاه أمير المؤمنين عن ذلك، فلاحظ تفصيله في الحديث المتقدم.

عوامل التحريف

من الجائز أن يسأل الباحث عن سبب التحريف وهدف المحرّفين.

والجواب أنه: طالما شاهدنا ونشاهد في سيرة الحكومات والسلطات الظالمة

---

(١) لاحظ سيرة ابن كثير ٣: ٤٠٠.

(٢) التفسير المنسوب إلى الامام العسكري: ١٧٦ – ١٧٩، وعنه في البحار ١٧: ٣٦٧ – ٣٦٩.

عند محاولاتهم في اغتيال ونفي المفكرين النوابغ-الذين لم يسيروا في خطهم، ويرون في بقائهم تهديداً لمصالح السلطة-أن يلقوا الاتهام على غير القاتل حتّى يغطّوا على جنايتهم ويهربوا من الفضيحة والقصاص المترتب على القتل،غافلين عن أن الله سبحانه بالمرصاد وإنه مبطل كيد الظالمين الخائنين-كما أبطل كيد قابيل في قتل هابيل و... .

وهكذا مسأله قتل النبيﷺ وشهادته، فإنها لم تكن على أثر شاة اليهودية المسمومة قطعاً، فإنّ الشواهد والقرائن النقلية والعقلية تشهد على عدم أكل النبي منها، وإنه ما لاكها حتّى يؤثر السم، وذلك بعد مضي سنين عليه.

فإنّ حادث الشاة المسمومة كانت في السنة السابعة من الهجرة وفي غزوة خيبر، وحادث قتل النبيﷺ في السنة الحادية عشر من الهجرة، و الثابت في العلوم الحديثة وطبيعة السموم هو أنها تقتل صاحبها في أسرع وقت ولا تمهله، فما ظنك بأعظم السموم الذي أرشدهم عليه لبيد بن الأعصم اليهودي والمتخصص بالسموم والسحر، وقد سألوه عن سمّ لا يطني[1].

العامل الثاني: التنقيص في نبوة الرسول المصطفىﷺ وإبطال الكرامات الإلهية التي وهبها له المتمثّلة بالإنباء عن المغيبات وكشف كيد الأعداء وولايته على الكائنات،كما في الشاة المشوية التي أنطقها الله لنبيه وأخبرته بأنها مسمومة، وبهذا الإعجاز أراد الله نصرة نبيه وحفظه من كيد الكائدين وأن يفشل مؤامرتهم.

والحاصل أنّ الأكل منها أو لوكها يعني عدم العلم بسمّها، وهذا يخدش في نبوتهﷺ.

والذي يفضح المحرّفين والمتآمرين على الرسول إنهم حينما حرّفوا المسألة غفلوا عن حذف هذه النبوءة التي تبطل الأكل منها.

من القاتل لرسول اللهﷺ؟

إنّ الذين أشاعوا مقتله بسمّ اليهودية وجعلوا المرويات في ذلك، لعلهم الذين قتلوا رسول اللهﷺ فكانت إشاعاتهم تحريفاً للواقع وتغطية لجنايتهم.

---

(١) لاحظ الطبقات الكبرى لابن سعد ٢: ١٩٧ – ٢٠٢.

ودليل ذلك يتجلّى في بيان أمور، الأول: إنه ثبت عنهﷺ: «ما منّا إلا مسموم أو مقتول»[١]، وثبت أيضاً عنه: «ما من نبي أو وصي إلا شهيد»[٢]، فدلّت هاتان الروايتان على أنّ موت النبيﷺ لم يكن بحتف أنفه، بل مات مقتولاً، و ثبت أنهﷺ مات مسموماً.

فقد أخرج البيهقي عن عبد الله بن مسعود، أنه قال: لئن أحلف تسعاً أنّ رسول اللهﷺ قُتل قتلاً أحبّ إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل، وذلك أنّ الله اتخذه نبياً واتّخذه شهيداً[٣].

وترى ابن مسعود قد كذّب موت النبيﷺ بسمّ خيبر، ثمّ أيّد وأكّد مقتله في سنة الحادية عشر من الهجرة[٤].

وقال الشيخ المفيد: وقبضﷺ بالمدينة مسموماً يوم الأثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته وهو ابن ثلاث وستين سنة[٥].

وأخرج الحاكم عن الشعبي قتل رسول اللهﷺ بالسم، وروى أيضاً: أنه مات مسموماً وله ثلاث وستون سنة، وهو قول ابن عبدة[٦].

الثاني: قد سبق أنّ موتهﷺ لم يكن على أثر الأكل من الشاة المسمومة، لأنه ما أكل منها وما لاكها أصلاً، وبيّنا الصحيح من الروايات والذي يؤيده العقل والنقل في هذا المجال.

الثالث: بعدما أثبتنا شهادته بالسم، وأنه لم يكن بالأكل من الشاة المسمومة، التي كانت بعد وقعة خيبر وفي السنة السابعة، بل هو كما أكّد عليه ابن مسعود كان مقتله في السنة الحادية عشر.

فبعد العبور من هذه المراحل، يبقى لنا طريق واحد لتعيين القاتل، وهو أن نقول: بأنّ القاتل هم أعداء الرسول والمنافقون الذين كانوا حوله، وكما قال

---

(١) كفاية الأثر للخزاز: ٢٢٦، وعنه في البحار ٤٤: ١٣٨.

(٢) إعلام الورى ٢: ١٣٢، من لا يحضره الفقيه ٤: ١٧، البحار ١٧: ٤٠٥ عن البصائر.

(٣) أنظر سبل الهدى والرشاد ١٢: ٣٠٣، وفي سيرة ابن كثير ٤: ٤٤٩ عن أبي الأحوص.

(٤) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٣١٧ – ٣٢٢.

(٥) المقنعة للمفيد: ٤٥٦.

(٦) أنظر مستدرك الحاكم ٣: ٥٩ باب المغازي والسرايا.

الامام الصادق عليه السلام:...فسُمّ قبل الموت...[١].

وقدحاولوا اغتياله عدّة مرات، منها في عقبة تبوك، وقد مُلئت صفحات التاريخ من أذاهم له ومخالفتهم إياه في مواطن عديدة.

والغور في هذا المجال يخرجنا عما نحن في صدده وهو بيان نبوءاته ﷺ.

مؤامرة أخرى من اليهود وإنباء النبي ﷺ عنها

روي عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه قال: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى النبي ﷺ، وقال: يا محمد،قال: «**لبيك يا جبرئيل**» قال: إنّ فلاناً اليهودي سحرك وجعل السحر في بئر بني فلان فابعث إليه-يعني البئر-أوثق الناس عندك وأعظمهم في عينك، وهو عديل نفسك، حتى يأتيك بالسحر، قال: فبعث النبي ﷺ علي ابن أبي طالب عليه السلام وقال: «**إنطلق إلى بئر ذروان فإنّ فيها سحراً سحرني به لبيد بن أعصم اليهودي فأتني به**».

علي عليه السلام يبطل السحر

قال علي عليه السلام: فانطلقت في حاجة رسول الله ﷺ فهبطت فإذا ماء البئر قد صار كأنّ ماء الحياض من السحر، فطلبته مستعجلاً حتى انتهيت إلى أسفل القليب فلم أظفر به، قال الذين معي: ما فيه شيء فاصعد، فقلت: لا والله ما كذب وما كذبت وما نفسي به مثل أنفسكم-يعني رسول الله ﷺ-ثم طلبت طلباً بلطف فاستخرجت حُقاً، فأتيت النبي ﷺ فقال: «**افتحه**»، ففتحته فإذا في الحق قطعة كرب النخل في جوفه وتر عليها إحدى وعشرون عقدة.

وكان جبرئيل عليه السلام أنزل يومئذ المعوذتين على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «**يا علي إقرأها على الوتر**» فجعل أمير المؤمنين عليه السلام كلّما قرأ آية انحلّت عقدة حتى فرغ منها، وكشف الله عز وجل عن نبيه ما سحر به وعافاه[٢].

وهذه ليست أول مؤامرة منهم ولا آخرها، بل قد تكررت واستمرت

---

(١) تفسير العياشي ١: ٢٠٠، وعنه في البحار ٢٢: ٥١٦.

(٢) طب الأئمة: ١١٣، وعنه في البحار٦٩: ١٨، تفسيرمجمع البيان ١٠: ٥٦٨.

محاولاتهم في اغتيال النبي ﷺ وإطفاء نوره، وأذاه، فأبطل الله سبحانه مكرهم وكيدهم في جميعها ونصر الله نبيه على اليهود الخونة وسائر أعدائه، فإنهم ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

الإنباء عما فعله بعض الأصحاب من عمل البرّ وتأثيره

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله ﷺ بعث جيشاً ذات يوم إلى قوم من أشداء الكفار فأبطأ عليه خبرهم وتعلّق قلبه بهم وقال: «ليت لنا من يتعرف أخبارهم ويأتينا بأنبائهم» بينا هو قائل إذ جاءه البشير بأنهم قد ظفروا بأعدائهم واستولوا وصيّروهم بين قتيل وجريح وأسير... .

فلما قرب القوم من المدينة خرج إليهم رسول الله بأصحابه،فلما لقيهم- وكان رئيسهم زيد بن حارثة- نزل زيد عن ناقته وقبّل يد رسول الله ﷺ وقبّله النبي ﷺ وهكذا فعل عبد الله بن رواحة وسائر القوم، ثم قال لهم: «حدثوني خبركم وحالكم مع أعدائكم» فقالوا يا رسول الله: لو علمت كيف حالنا لعظم تعجّبك، فقال رسول الله ﷺ: «لم أكن أعلم ذلك حتى عرّفنيه الآن جبرئيل عليه السلام، وما كنت أعلم شيئاً من كتابه ودينه أيضاً حتى علّمنيه ربي، قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ...﴾ ولكن حدّثوا بذلك إخوانكم هؤلاء المؤمنين لأُصدّقكم، فقد أخبرني جبرئيل بصدقكم» فأخبروه بقصتهم على تفصيلها وما رأوا من كثرة العدو وغارة العدو عليهم ليلاً، غير أنّ الله أعمى عيون القوم وأظهر أنواراً من أفواه خيار الأصحاب فأضاءت معسكرهم وهجم المسلمون عليهم وفرّقوهم ودخلوا بلادهم و... .

فقال رسول الله ﷺ: «فقولوا: الحمد لله رب العالمين على ما فضلّكم به من شهر شعبان، هذه كانت غرة شعبان، وقد انسلخ عنهم الشهر الحرام، وهله الأنوار بأعمال إخوانكم هؤلاء في غرة شعبان، والأعمال لنثاب عليها؟» قال رسول الله ﷺ: «أما قيس بن عاصم المنقري فإنه أمر بمعروف في يوم غرّة شعبان، وقد نهى عن منكر، ودلّ على خير، فلذلك قُدّم له النور في بارحة يومه

عند قراءة القرآن، وأما قتادة بن النعمان فإنه قضى ديناً كان عليه في يوم غرّة شعبان، فلذلك أسلفه الله النور في بارحة يومه، وأما عبد الله بن رواحة فإنه كان براً بوالديه فكثرت غنيمته في هذه الليلة، فلما كان من غده قال له أبوه: إني وأمك لك محبان، وإنّ امرأتك فلانة تؤذينا وتعيبنا، وإنا لا نأمن من انقلاب في بعض هذه المشاهد، ولسنا نأمن أن تستشهد في بعضها فتداخلنا هذه في أموالك، ويزداد علينا بغيها وغيها، فقال عبد الله: ما كنت أعلم بغيها عليكم وكراهيّتكما لها، ولو كنت علمت ذلك لأبنتها من نفسي، ولكني قد أبنتها الآن لتأمنا ما تحذران، فما كنت بالذي أحبّ من تكرهان، فلذلك أسلفه الله النور الذي رأيتم.

وأما زيد بن حارثة الذي كان يخرج من فيه نور أضوء من الشمس الطالعة وهو سيّد القوم وأفضلهم فلقد علم الله ما يكون منه فاختاره وفضّله على علمه بما يكون منه، إنه في اليوم الذي ولي هذه الليلة التي كان فيها ظفر المؤمنين بالشمس الطالعة من فيه جاءه رجل من منافقي عسكرهم يريد التضريب بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام وإفساد ما بينهما، فقال له: بخّ بخّ لك، أصبحت لا نظير لك في أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته، هذا بلاؤك وهذا الذي شاهدناه نورك.

فقال له زيد: يا عبد الله إتق الله ولا تفرّط في المقال، ولا ترفعني فوق قدري، فإنك بذلك مخالف وبه كافر، وإني إن تلقّيت مقالتك هذه بالقبول كذلك،يا عبد الله ألا أحدثك بما كان في أوائل الإسلام وما بعده حتى دخل رسول الله ﷺ المدينة وزوّجه فاطمة عليها السلام، وولدت الحسن والحسين عليهما السلام؟ قال: بلى، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان لي شديد المحبة حتى تبنّاني لذلك، فكنت أُدعى زيد بن محمد، إلى أن ولد لعليٍّ الحسن والحسين عليهما السلام فكرهت ذلك لأجلهما، وقلت لمن كان يدعوني: أحبّ أن تدعوني زيداً مولى رسول الله ﷺ فإني أكره أن أضاهي الحسن والحسين، فلم يزل ذلك حتى صدّق الله ظنّي وأنزل على محمد ﷺ ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ يعني قلباً يحب محمداً وآله ويعظّمهم، وقلباً يعظّم به غيرهم كتعظيمهم، أو قلباً يحب به أعداءهم، بل من أحب

أعداءهم فهو يبغضهم ولا يحبهم، ثم قال: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ يعني الحسن والحسين عليهما السلام أولى ببنوة رسول الله ﷺ في كتاب الله وفرضه ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ﴾ إحساناً وإكراماً لا يبلغ ذلك محل الأولاد ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ فتركوا ذلك، وجعلوا يقولون: زيد أخو رسول الله ﷺ فما زال الناس يقولون لي هذه وأكرهه حتى أعاد رسول الله ﷺ المؤاخاة بينه وبين علي ابن أبي طالب عليه السلام.

فقال زيد: يا عبد الله إنّ زيداً مولى علي بن أبي طالب، كما هو مولى رسول الله ﷺ فلا تجعله نظيره، ولا ترفعه فوق قدره فتكون كالنصارى لمّا رفعوا عيسى عليه السلام فوق قدره فكفروا بالله العظيم.

قال رسول الله ﷺ: «فلذلك فضّل زيداً بما رأيتم وشرّفه بما شاهدتم، والذي بعثني بالحق نبياً، إنّ الذي أعدّه الله لزيد في الآخرة ليصغر في جنبه ما شاهدتم في الدنيا من نوره، إنه ليأتي يوم القيامة ونوره يسير أمامه وخلفه ويمينه ويساره وفوقه وتحته من كل جانب مسيرة ألف سنة»[1].

غزوة مؤتة وما فيها من النبوءات

كان سبب هذه الغزوة أنّ رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٦٣٧، ذكرته ملخصاً، وعنه في البحار ٢٢: ٧٩.
وقد لا حظت عزيزي القارئ ما للأعمال الصالحة من الآثار والقدرة، وقد نطق بها الرسول المصطفى ﷺ وأنبأ بعلمه الإلهي عمّا عمله أولئك الأتقياء الأخيار في ليلتهم، سيّما عمل زيد بن حارثة ومحاورته مع ذلك المنافق وتواضعه لأمير المؤمنين ولأهل بيت رسول الله ﷺ وإظهار حبّه الشديد لهم وإنكاره على من ضاهى غيرهم بهم، فكيف لا يكون له ذلك النور النافذ وتلك المقامات مع هذا الإيمان والولاء؟ وكيف لا يكون رسول الله ﷺ شديد الحب له ولا يتبنّاه ولا يؤويه، وقد آثر نبيه على والده وأخلص في الإيمان والحب حتى رفضه من كان رؤفاً عليه وتبرأ منه، فصار كاليتامى، فهل جزاؤه إلا أن يتبنّاه، وهل يؤويه إلا من ذاق طعم اليُتم؟ وخاطبه ربّه: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ ولكن ترى هذا المخلص المتفاني في الولاء يستحيي أن يُدعى زيد بن محمد وأن يكون مضاهياً لأبناء رسول الله وريحانتيه.

بكتاب إلى هرقل عظيم الروم بالشام، فلما نزل مؤتة تعرّض له شرحبيل بن عمر الغساني من أمراء قيصر على الشام، فعرف أنه من رسل النبيﷺ فأوثقه وقتله، فلما بلغ ذلك رسول اللهﷺ بعث إليهم جعفر بن أبي طالب[1]، وجهّز له فئة من أصحابه يبلغ عددهم ثلاثة آلاف، واستعمل عليهم مع جعفر زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وولّى الراية لزيد بن حارثة، وقال: «إن قُتل زيد فجعفر بن أبي طالب، وإن قُتل جعفر فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتض المسلمون واحداً فليجعلوه عليهم».

وفي بعض المرويات بدل قوله: «قتل»كلمة «أصيب»، وفي هذا الكلام إنباء منهﷺ على أنهم سيقتلون.

ومن ثمّ قال رجل من اليهود: إن كان محمد نبياً كما يقول سيُقتل هؤلاء الثلاثة، فقيل لِمَ؟ قال: لأنّ أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا بعثوا بعثاً في الجهاد فقال: إن قتل فلان فالوالي فلان بعده عليكم، فإن سمّى للولاية كذلك اثنين أو مائة أو أقل أو أكثر قتل جميع من ذكر فيهم الولايات.

الإنباء عن مقتل زيد بن حارثة وقطع يدي جعفر ثم استشهاده

قال جابر: فلما كان اليوم الذي وقع فيه حربهم صلّى النبيﷺ بنا الفجر، ثمّ صعد المنبر(وفي رواية: كشف الله له ما بينه وبين الشام فهو ينظر إلى معتركهم)فقال: «قد التقى إخوانكم من المشركين للمحاربة» فأقبل يحدثنا بكرّات بعضهم على بعض إلى أن قال: «قُتل زيد بن حارثة وسقطت الراية» ثمّ قال: «قد أخذها جعفر بن أبي طالب وتقدّم للحرب بها» ثمّ قال: «قد قُطعت يده وأخذ الراية بيده الأخرى» ثمّ قال: «قُطعت يده الأخرى وقد أخذ الراية في صدره»ثمّ قال: «قُتل جعفر بن أبي طالب وسقطت الراية، ثمّ أخذها عبد الله بن رواحة، وقد قُتل من المشركين كذا، وقُتل من المسلمين كذا فلان فلان» إلى أن ذكر جميع من قُتل من المسلمين بأسمائهم، ثمّ قال «قُتل عبد الله بن

---

(١) ويؤيد استعمال جعفر على الجيش ما رواه أبان بن عثمان عن الصادقؑ: أنهﷺ استعمل عليهم جعفراً فإن قتل فزيد فإن قتل فابن رواحة...(إعلام الورى للطبرسي ١: ٢١٢،وعنه في البحار ٢١: ٥٥).

رواحة، وأخذ الراية خالد بن الوليد فانصرف المسلمون» ثمّ نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره، وجعل يمسح على رأسه، فقالت والدته أسماء بنت عميس: يا رسول الله إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم، قال: «قد استشهد جعفر في هذا اليوم»، ودمعت عينا رسول الله ﷺ، وقال: «قُطعت يداه قبل أن استشهد وقد أبدله الله من يديه جناحين من زمرّد أخضر، فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء».

وفي رواية قال ﷺ: «إنّ الله أخبرني أنّ له جناحين...»، وهذا إنباء آخر منه ﷺ عن مقام جعفر عليه السلام في الجنة وما أكرمه الله تعالى، وكان رسول الله ﷺ قد أنبأ جعفراً عن ذلك قبل هذا، وذاك بعد ما صلّى جعفر خلفه بأمر أبيه أبي طالب عليه السلام، وقد صلّى علي عليه السلام عن يمينه، فلما فرغ النبي من صلاته قال له: «يا جعفر وصلت جناح ابن عمك، إنّ الله يعوّضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة»، فأنشد أبو طالب شعراً يحثّ فيه ابنيه في نصرة النبي ﷺ[1].

وفي حديث آخر ذكر فيه النبي ﷺ ما أوحى الله في شأن جعفر، ثم قال له: «حق لله تعالى أن يجعل الله لك جناحين تطير بهما مع الملائكة»[2].

ثم جاءت الأخبار باستشهادهم على الهيئة التي أنبأ عنها النبي ﷺ.

ويروى أيضاً عن أنس أنه قال: نعى النبي ﷺ جعفراً وزيد بن حارثة وابن رواحة، نعاهم قبل أن يجيئ خبرهم وعيناه تذرفان.

وفي رواية ابن إسحاق أنّه ﷺ قال: «لقد رُفعوا إلى الجنة فيما يرى النائم على سُرُر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريرَي صاحبيه، فقلت: عمّ هذا؟ فقيل لي: مضيا وتردّد عبد الله بن رواحة بعض التردد ثمّ مضى».

وهو كما أنبأ رسول الله ﷺ، لأنّ عبد الله بن رواحة -كما يستفاد من الرواية- كان قد تردّد، وأنه لم يبادر إلى أخذ الراية كما بادر جعفر.

---

(١) أنظر البحار ٣٥: ١٢١، كتاب الحجة لابن معد: ٢٥، وعنه في الغدير ٧: ٣٩٥.

(٢) علل الشرائع للصدوق ٢: ٥٥٨، أمالي الصدوق: ١٣٣، وعنهما في البحار ٢٢: ٢٧٢.

ويروى أنّ يعلي بن أمية قدم على رسول اللهﷺ بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول اللهﷺ: «**إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرك**» قال: أخبرني يا رسول الله، قال: فأخبرهم رسول اللهﷺخبرهم كله ووصفه لهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره، وإنّ أمرهم لكما ذكرت، فقال رسول اللهﷺ: «**إنّ الله رفع لي الأرض حتّى رأيت معتركهم**»[1].

غزوة ذات السلاسل[2]

والإنباء عن قصة أهل الوادي وما أمر الله فيهم

كان سبب وقوعها أنّ النبيﷺ أُخبر عن قصة أهل الوادي، فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: «**يا معشر المهاجرين والأنصار إنّ جبرئيل أخبرني أنّ أهل وادي اليابس اثني عشر ألف فارس قد استعدوا وتعاقدوا وتعاهدوا أن لا يغدر رجل صاحبه ولا يفرّ عنه ولا يخذله حتّى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب، وقد أمرني أن أسيّر إليهم فلاناً في أربعة آلاف فارس، فخذوا في أمركم واستعدوا لعدوكم وانهضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الإثنين إن شاء الله تعالى**».

فاستعدّ المسلمون وأمّر رسول اللهﷺ عليهم أبا بكر، وكان فيما أمره أن يعرض عليهم الإسلام فإن قبلوا الإنضواء، وإلا واقعهم، فقتل مقاتليهم وسبى

---

(١) تجد مصادر هذه الوقعة في سيرة ابن كثير٣: ٤٥٥، السيرة الحلبية٢: ٧٨٦-٧٩٢، إمتاع الأسماع ١: ٣٤٠-٣٤٣، الخرائج والجرائح ١: ١٦٦-١٨٨، البحار ٢١: ٥٠-٦٠، تاريخ اليعقوبي ٢: ٦٥، تاريخ دمشق ٢٧: ٢٥٧، شرح النهج١٥: ٧١، واتفقت في السنة الثامنة من الهجرة.

ثم لاعجب في قولهﷺ: «رُفعت لي الارض» وقد أعطاه الله من القدرة والإحاطة على جميع العوالم بحيث يكون كل شيء في قبضته وأمام عينه ولايفرق عنده البعيد والقريب،فإن شاء أخبر عن كل مكان، وهذه الخوارق قد تحصل بإحاطة علمية، وقد تحصل بتصرف كوني كما حصل سابقاً لآصف بن برخيا الذي كان عنده علم من الكتاب، وحصلت لنبيناﷺ كراراً، منها بعد رجوعه من الإسراء، فأخبر عن عير أبي سفيان، وقد رفعت له بلاد الشام فأخبر عنها بمواصفاتها فحيّر عقول السامعين.

(٢) حدثت في السنة الثامنة من شهر صفر، وسمّيت بذات السلاسل لأن أمير المؤمنين جاء بالأسرى مربّطين بالحبل والسلاسل، ويقال لواديهم وادي اليابس أو وادي الرمس بينه وبين المدينة عشرة أيام، وفيها قبيلة قضاعة، وقد تحالفت مع قبائل من شمال جزيرة العرب للهجوم على المدينة وقتل النبيﷺ.

ذراريهم واستباح أموالهم وخرّب ضياعهم وديارهم، فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدّة وأحسن هيئة يسير بهم رفيقاً حتّى انتهوا إلى الوادي اليابس، فلّما بلغ القوم نزول المسلمين عليهم ونزل أبو بكر وأصحابه قريباً منهم، خرج إليهم مائتا رجل مدجّجين بالسلاح، فلما صادفوهم قالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟ ليخرج إلينا صاحبكم حتّى نكلّمه.

فخرج إليهم أبو بكر في نفر من المسلمين، فقال لهم: أنا أبو بكر صاحب رسول اللهﷺ.

قالوا: ما أقدمك علينا؟ قال: أمرني رسول اللهﷺ أن أعرض عليكم الإسلام، فإن تدخلوا فيما دخل المسلمون لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، وإلا فالحرب بيننا وبينكم.

فقالوا:أما واللات والعزّى لولا رحم ماسة وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك وارجو العافية، فإنا إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم! القوم أكثر منكم أضعافاً وأعدّ منكم، وقد ناء داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلِم رسول اللهﷺ بحال القوم.

فقالوا جميعاً: خالفت يا أبا بكر رسول الله وما أمرك به فاتّق الله وواقع القوم، ولا تخالف قول رسول الله.

فقال: إني أعلم ما لا تعلمون، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فانصرف وانصرف الناس أجمعون.

الإنباء عن مخالفة أبي بكر و ردّ المسلمين عليه

وفي نفس الوقت أخبر النبيﷺ عن مقالة أبي بكر واعتراض المسلمين عليه وما قال في جوابهم، فلما رجع قالﷺ له: **«يا أبا بكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به، وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك»**.

فقامﷺ وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأنبأ الناس عما جرى، وقال:

«يا معشر المسلمين إني أمرت أبا بكر أن يسير إلى أهل وادي اليابس، وأن يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إلى الله، فإن أجابوا وإلا واقعهم، فإنه سار إليهم وخرج منهم إليه مائتا رجل، فإذا سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ صدره ودخله الرعب منهم وترك قولي ولم يطع أمري».

ثم قال: «وإنّ جبرئيلؑ أمرني عن الله أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه أربعة آلاف فارس، فسر يا عمر على اسم الله ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك، فإنه قد عصى الله وعصاني»، وأمره بما أمر به أبا بكر، فخرج عمر والمهاجرون والأنصار، وكان قريباً منهم حيث يراهم ويرونه، فخرج إليهم مائتا رجل، فقالوا له ولأصحابه مثل مقالتهم لأبي بكر.

فانصرف وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدّة القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

نبوءتهﷺ عما فعل عمر

فنزل جبرئيلؑ وأخبر النبيﷺ عما صنع عمر، فصعد النبيﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه وأخبرهم عما صنع عمر، وما كان منه، وأنه «قد انصرف وانصرف المسلمون معه مخالفاً لأمري، عاصياً لقولي».

فلما قدم عليه أخبره النبيﷺ بما قاله مثل ما أخبر به صاحبه، وقال له: «يا عمر عصيت الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي، وعملت برأيك، ألاقبّح الله رأيك، وإنّ جبرئيل قد أمرني أن أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين، فأخبرني أنّ الله يفتح عليه وعلى أصحابه».

إنباءهﷺ علياً بالفتح على يديه

فدعا علياً وأوصاه بما أوصى به أبا بكر وعمر وأصحابه، فخرج عليؑ ومعه المهاجرون والأنصار، فسار بهم سيراً غير سير أبي بكر وعمر، وذلك أنه أعنف بهم في السير حتّى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابّهم، فقال لهم: لا تخافوا فإنّ رول الله قد أمرني بأمر، وأخبرني: «إن الله سيفتح عليّ

وعليكم» فأبشروا فإنكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير المتعب، حتّى إذا كانوا قريباً من القوم حيث يرونه ويراهم، أمر أصحابه أن ينزلوا، وسمع أهل الوادي بمقدم علي بن أبي طالب وأصحابه، فخرجوا إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم عليؑ خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟.

قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وأخوه ورسوله إليكم أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، ولكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم من خير وشرّ.

فقالوا له: إياك أردنا وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، فاستعدّ للحرب العوان واعلم أنّا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعد فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم عليٌّؑ: ويلكم تهدّدوني بكثرتكم وجمعكم، فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم، فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف عليٌّؑ إلى مركزه، فلما جنّه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، ويقضموا ويسرجوا، فلما انشق عمود الصبح صلّى بالناس بغلس، ثمّ غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتّى وطئهم الخيل فما أدرك آخر أصحابه حتّى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرّب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه، ونزل جبرئيل فأخبر رسول اللهﷺ بما فتح الله على عليٌّؑ وجماعة المسلمين.

الإنباء عما فتح الله على يد عليٍّؑ

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأخبر الناس عما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلان، ونزل فخرج يستقبل علياً في جميع أهل المدينة من المسلمين حتّى لقيه على أميال من المدينة، فلما رآه عليٌّ مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبيﷺ حتّى التزمه، وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة

المسلمين إلى علي عليه السلام حيث نزل رسول الله، وأقبل بالغنيمة والأسارى وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس.

وهو كما قال الصادق عليه السلام: ما غنم المسلمون مثلها قطّ إلا أن تكون خيراً، فإنها مثل خيبر، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم: ﴿ وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴾[1].

وفي رواية أنه لما وقعت عينا أمير المؤمنين عليه السلام على النبي ترجّل عن فرسه، فقال النبي صلى الله عليه وآله له: «اركب فإنّ الله ورسوله عنك راضيان» فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فرحاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدميك».

وكان النصر في هذه المعركة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد أن كان لغيره فيها من العصيان والجبن، واختص من مديح النبي صلى الله عليه وآله فيها بفضائل لم يحصل منها شيء لغيره، وبأنّ له من المنقبة منها ما لم يشركه فيه سواه[2].

وهكذا كان شأن أمير المؤمنين في سائر الحروب والمواقف.

وقد ذكر هذه الوقعة ابن هشام وابن كثير وغيرهما في حوداث السنة الثامنة الهجرية، ولم يذكروا عن إرسال الإمام علي عليه السلام في المرة الأخيرة شيئاً !!.

فقد اكتفوا بذكر ما ورد في إرسال عمرو بن العاص إلى وادي اليابس، وإرسال أبي عبيدة الجراح مع جمع من المسلمين مدداً لعمرو ووقوع الاختلاف بينهما، وذكروا: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى أبا عبيدة حين وجّهه فقال له: «لا تختلفا»، وفي رواية: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا» بما فيه من النبوءة عما سيحدث من الاختلاف بينهما، وقد حدث حينما قال عمرو بن العاص له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلك لي مدداً، فأنا أميرك، فقال أبو عبيدة: لا ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه، فأبى عمرو، فقال أبو عبيدة: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال لي: «لا تختلفا» وإنك إن عصيتني أطعتك، فقال عمرو: فإني أمير

---

(١) لاحظ تمام القصة والأحاديث الواردة في تفسير القمي ٢: ٤٣٤-٤٤٨،وعنه في البحار٢١: ٦٧-٧٥، تفسير فرات الكوفي: ٥٩٩-٦٠١.

(٢) الإرشاد للمفيد١: ١١٤-١١٧، ولاحظ المناقب لابن شهر آشوب١: ٦٠٢، البحار٢١: ٨٢

عليك وصلّى عمرو بالناس.

وروي أنه صلّى بالناس جنباً، فلما رجع قال له النبي ﷺ: «**يا عمرو صلّيت بأصحابك وأنت جنب؟...**»[1].

هذا حاصل ما ورد عنهم في هذه القصة، ولاحظت أنه لم يكن لعلي عليه السلام فيه ذكر، في حين أنّ النبي ﷺ كان قد أرسل أبا بكر أولاً، فرجع منهزماً، ثمّ عمر فرجع منهزماً، ثمّ عمرو بن العاص، فلما رأى كثرة العدو وقلة أصحابه خاف وطلب من النبي المدد، فأرسل إليه المدد، لكنه لم يأتِ بشيء غير الاختلاف والصلاة جنباً والفرار، وعند ذلك أرسل النبي ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام وكان النصر على يديه، كما في سائر الحروب.

ففي رواية المفيد رحمه الله أنّ علياً عليه السلام سار بهم على غير الطريق، فلما اقترب الوادي ولم يشكّ ابن العاص أنّ الفتح سيكون على يده، فمن حسده لعلي عليه السلام، قال لأبي بكر: أنا أعلم بهذه الأرض من علي بن أبي طالب، وفيها من الضباع والذئاب ما هو أشدّ علينا من بني سليم فإن خرجت علينا قطّعتنا، فكلّمه لعله يتركنا نعلوا الوادي، فجاءه أبو بكر يعرض عليه الفكر فلم يلتفت إليه علي، ثمّ جاء عمر فلم يلتفت إليه، وبقي أمير المؤمنين مرابطاً في مكانه حتّى الفجر، ثمّ هاجم القوم على غفلة منهم، فأمكنه الله من السيطرة عليهم وقتل أبطالهم وتمّ الفتح على يده، فنزلت على النبي ﷺ سورة العاديات، فبشّر النبي ﷺ المسلمين بأمرهم وأمرهم أن يستقبلوا علياً...[2].

نبوءته ﷺ لصاحب الجزور

ومن نبوءاته ﷺ ما رواه ابن إسحاق بسنده عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنت في الغزوة التي بعث فيها رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، وهي غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم

---

(١) أنظر سيرة ابن هشام٤: ٢٢٩، سيرة ابن كثير٣: ٥١٦-٥٢٠، تاريخ الطبري٢: ٣٦٥، تاريخ دمشق ٢٥: ٤٤٩، أسد الغابة٤: ١١٦، مستدرك الحاكم١: ١٧٧، السنن الكبرى للبيهقي١: ٢٢٥.

(٢) لاحظ الإرشاد للمفيد ١: ١٦٤-١٦٥، وعنه في البحار ٢١: ٧٨-٧٩.

وهم على جزور قد نحروها وهم لا يقدرون على أن يبعّضوها، وكنت امرءاً جازراً، فقلت لهم: تعطوني منها عشراً على أن أقسمها بينكم؟ قالوا: نعم، فأخذت الشفرة فجزّأتها مكاني، وأخذت منها جزء فحملته إلى أصحابي فطبخناه وأكلناه، فقال أبو بكر وعمر: أنّى لك هذا اللحم يا عوف: فأخبرتهما، فقالا: لا والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا، ثم قاما يتقيّان ما في بطونهما منه، فلما أن قفل الناس من ذلك السفر كنت أول قادم على رسول اللهﷺ فجئته وهو يصلي في بيته، فقلت السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: «أعوف بن مالك؟» فقلت: نعم بأبي أنت وأمي، فقال: «صاحب الجزور؟» ولم يزد على ذلك شيئاً [1].

الفتح المبين وما فيه من الأنباء

سبق أن بيّنا في صلح الحديبية ومعاهدة السلام ما صدر من الإنباء بفتح مكة المكرمة ودخول القوات الإسلامية فيها، وقد تحقق هذا الوعد الإلهي بعد مضيّ سنتين على هدنة الحديبية.

وقد تحقق هذا النصر الإلهي في رمضان من سنة ثمان، وبسبب نقض قريش لبنود المعاهدة، لأنّ من شروطها: الرخصة في أن يتحالف كل من قريش والمسلمين مع من شاؤوا من القبائل، فتحالفت خزاعة مع المسلمين، وتعهّد رسول اللهﷺ لخزاعة في أن يدافع عن أرضهم وأموالهم وأنفسهم كلما تعرّضوا للخطر وطلبوا ذلك منه، وهكذا تحالفت بنو كنانة مع قريش-وكان بين خزاعة وبني كنانة عداء ونزاع دامي-.

وقد تمّ عقد المعاهدة لمدة عشر سنوات، تعهد فيها المسلمون وقريش على عدم التعرض لبعض والتعايش السلمي، وأن لا يقوم أحد منهم بعمليات عسكرية ضدّ الآخر حتى على المحالفين، وأن لا يحرّك حليفه ضد الحليف الآخر، ومضى الأمر على ذلك والناس في هدنة وسلام وقد أصبحوا آمنين على

---

(١) سيرة ابن كثير ٣: ٥٢٠.

أموالهم وأنفسهم، إلى درجة استطاع كل من المسلمين وقريش أن يزوروا مكة والمدينة بكامل حريتهم ويؤدوا مناسكهم، ويرتبط بعضهم ببعض، وبذلك انتشر الإسلام أكثر فأكثر.

غير أنّ معركة مؤتة واستشهاد قادة الجيش الإسلامي وجمع من المسلمين أدّى في تغيير طريقة قريش تجاه المسلمين والمتحالفين، بظن أنّ المسلمين بعد تلك النكسة التي أُصيبوا بها لم يكن في مقدورهم نصر حلفائهم، فصمّموا على أن ينتهزوا الفرصة ويقضوا على خزاعة وينتقموا منهم، فبادروا في توزيع السلاح على قبيلة بني بكر من كنانة وتحريضهم في الزحف على خزاعة المتحالفة مع المسلمين ليلاً، وأن يقتلوا فريقاً وفريقاً يأسرون، وهذا التصرف اللئيم أوقعهم في عويصة لا مخرج فيها، بل أدت إلى ذلهم وانكسارهم أمام المسلمين.

وقد أنبأ رسول اللهﷺ عن نقض العهد والإعتداء على محالفيه صبيحة الواقعة إذ قالﷺ: «**لقد حدث في خزاعة حدث**»[1].

ويدّعي البعض أنّ أبا سفيان كان كارهاً لنقض المعاهدة، لعلمه أنّ خزاعة ستطلب النجدة من رسول الله، وأنّهﷺ سيجيبهم على ذلك، لأنّ النبيﷺ ليس من دأبه الغدر وعدم الوفاء.

الإنباء عن مجيئ أبي سفيان لتجديد العهد

وبالفعل استنجدت خزاعة من رسول الله ولجأت إليه، فأجابهم بكل ميل، وقال: «**لا نُصرت إن لم أنصر بني كعب**» وفي نفس الوقت قال لأصحابه: «**وكأنكم بأبي سفيان قد جاءكم يطلب تجديد العهد وزيادة أمد الهدنة**»[2].

وهذا من أنباء الغيب التي أيّده الله سبحانه به في دعوته الإسلامية، إلا أنه اتخذ تدبيراً يعرب عن حكمته وحنكته السياسية ومخططاته البارعة في الشؤون العسكرية، وكأنه قد قضى فترة من حياته في المعاهد العسكرية العليا،

---

(١) لاحظ سبل الهدى والرشاد للصالحي ٥: ٢٠١ –٢٠٢.

(٢) إعلام الورى١: ٢١٥،وعنه في البحار٢١: ١٢٥،مسند أبي يعلي٧: ٣٤٣،شرح النهج١٧: ٣٤٣.

حيث تراه يخطط في جميع المراحل أفضل من أيّ قائد عسكري محنّك، وراح الإسلام ينتشر كل الانتشار والمسلمون ينتصرون في السلحات المختلفة على أثر حكمة هذا القائد العظيم، وبطولة وزيره الباسل وسيفه الباتر أمير المؤمنين عليه السلام، وكل ذلك يعني الاستمداد من حكيم خبير، والارتباط بعالم الوحي، والتأييد الرباني.

ومن تدبيره أن أمر المسلمين بالتهيؤ للحرب من غير أن يخبرهم بوجهته التي يريدها، وحرب من يريد، وقال لبني خزاعة: «**ارجعوا وتفرقوا في الأودية**»، ولعل حكمة هذا الأمر أن لا يعلم أحد بقدومهم إلى المدينة، ولهذا أوصاهم بالكتمان.

أجل قد صمّمت قريش وعلى رأسها أبو سفيان على أن يتداركوا الأمر قبل أن يبادر المسلمون بغزوهم ونصرة حلفائهم، فيطلبوا منهم تمديد الهدنة، غافلين أن خزاعة قد سبقتهم بالذهاب وقد تم الأمر الذي كانوا منه يحذرون.

فخرج أبو سفيان بهذه المهمة إلى المدينة وصادف أن لاقى بعض من ذهب إلى المدينة من خزاعة، فلما رآهم أيقن أنهم سبقوه إلى النبي ﷺ وقد فسد أمرهم، غير أنّ النفر ضيعوا عليه الواقع، فلما دخل المدينة ذهب إلى النبي ﷺ وطلب منه تمديد الهدنة وتجديد العهد.

فقال رسول الله ﷺ: «**فهل حدث عندكم ما يوجب ذلك؟**» قال: معاذ الله نحن على موقفنا، وصلحنا، وأراد النبي ﷺ بهذا السؤال أن يغطّي عليه ما جرى بينهم وبين خزاعة.

وطلب أبو سفيان من بعض الأصحاب أن يتوسطوا له عند النبي ﷺ في تنفيذ طلبته، إلا أنّ جميع المحاولات التي استمرت عدة أيام لم تودّ إلا إلى الفشل، فركب ناقته وتوجه إلى مكة خائباً، وكان أهل مكة قد ظنّوا بدخوله في الإسلام، ولما علموا بفشله أخذوا بتقبيحه، وعيّرته أيضاً على فشله زوجته هند، وقد دبّ الخوف والقلق في قلوب قريش من محمد ﷺ وجنوده.

وعندما عزم رسول الله على غزو قريش أخفى الأمر إلا عن بعض الأصحاب وأمرهم بعدم تسرّب الخبر لقريش، ريثما يدخل مكة من غير حرب

ويكون فتحها عنوة، وقد طلب ذلك من اللهﷻ داعياً: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها»، وفي رواية قال: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة» ثم أخذ بالأنقاب -أي أوقف بكل طريق جماعة- ليعرف من يمرّ بها، وقال: «لا تَدَعوا أحداً يمرّ بكم تنكرونه إلاّ رددتموه».

الإنباء عن خيانة حاطب

بيد أنّ الأمر تسرّب إلى حاطب بن أبي بلتعة، فكتب إلى قريش سراً يخبرهم بعزم النبيﷺ على الغزو، وأعطى الكتاب لامرأة من قبيلة مزينة مع مبلغ قبل إيصال الكتاب لقريش، فوضعت الكتاب في رأسها وفتلت عليه قرونها واتجهت نحو مكة.

فما كان أن نزل الوحي على النبيﷺ يخبره بما صنع حاطب، فأرسل النبي من ساعته علياً والمقداد والزبير في طلب المرأة قبل أن تصل إلى قريش، وأنبأهم بشأنها ومكانها، فأسرعا في السير حتى أدركاها بذي الحليفة، وعلى رواية: روضة خاخ -أميال من المدينة- نفس المحل الذي ذكره رسول اللهﷺ، فاستنزلوها، وفتّشوا رحلها طلباً للكتاب، فلم يجدوا شيئاً، فسألوها عنه فأنكرت، فقال عليؓ: إني أحلف بالله ما كذب رسول اللهﷺ ولا كذبنا ولتخرجنّ لنا الكتاب أو لنكشفنّكِ، فلما رأت منه الجدّ حلّت قرونها وأخرجت الكتاب ودفعته إليه، فأقبلا به على رسول اللهﷺ.

فانزعج رسول اللهﷺ من عمل حاطب -وكان من المسلمين السابقين- فدعاه وعاتبه قائلاً: «يا حاطب ما حملك على هذا»، فأخذ يعتذر وأبدا عن عدم تعمدّه لشرّ، فقال: يا رسول الله أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله، ما غيّرت ولا بدّلت، ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه!!.

وهذا الاعتذار وإن كان غير وجيه لأنّه لا يبرّر إفشاء أسرار المسلمين، غير أنّ نبي العفو والرحمة صفح عنه لمصالح.

وهناك أراد عمر أن يظهر بطولته، لأنّه موضع لا يعرّضه إلى خطر، فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه فلقد نافق! فلم يلتفت إليه النبي ﷺ.

ولكي يحذّر المسلمين من ارتكاب مثل هذه الجرائم ويعلموا بأنّ الله لايخفى عليه خافية أنزل تعالى قرآناً بهذا الشأن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

الإتجاه إلى مكة

وفي العاشر من رمضان أمر قواته المسلحة التي يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل شاك بالسلاح بالخروج من المدينة وكان سائراً على خطته الحكيمة من إخفاء الأمر وعدم التسرب ومبدأ المباغتة، فما كان جيش الإسلام يعلم دقيقاً بالاتجاه إلى أيّ من الأعداء إلى أن وصلوا بالقرب من مكة، وقد أعطى الألوية إلى أمراء الجيش، وعقد تحت كل لواء ألف فارس، وكان من أكبر الأمراء علي بن أبي طالب والزبير وسعد بن أبي وقاص، وكان العباس عم النبي قد خرج من مكة وهو مسلم قاصداً النبي في المدينة، إذ لاقاه في الطريق والتحق به.

وصادف أن خرج أبو سفيان وعبد الله بن أمية المخزومي من مكة متجهين نحو المدينة، فالتقيا في الطريق واستأذنا على رسول الله فأعرض عنهما، فقالت أم سلمة: ابن عمك وابن عمتك وصهرك، فقال: **«لا حاجة لي بهما، أما ابن عمي فقد هتك عرضي**(لأنه كان يهجوه)، **وأما ابن عمتي فهو الذي قال لي بمكة ما قال»**.

فقال أبو سفيان: والله ليأذن لي أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبنّ في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً، فرقّ لهما النبي ﷺ، وقال علي ﷺ لأبي

---

(١) الممتحنة: ١.

سفيان: إئت من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ وكان علي عليه السلام أعرف الناس بخلق النبي، وأنه في العفو وحسن الخلق لا يقاس بغيره، فإذا كان يوسف قد عفى عن إخوته، فكيف به وهو صاحب الخلق العظيم!! فهو كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولاً منه.

ففعل أبو سفيان، فقال له النبي ﷺ: «لا تثريب عليكم اليوم» وأخذ أبو سفيان يعتذر عما كان منه قائلاً:

لعمرك أني يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أواني حين أهدى وأهتدي

وقد بلغ جيش الإسلام بتدبير القائد الحكيم وبتلك المهارة والتخطيط الرائع مشارف مكة، وعلماً بأنّ قريش كانت ترسل عيونها لتحصيل أخبار النبي وكان في جيش الإسلام من يعمل لصالحهم، مع ذلك كله لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً عن نوايا رسول الله ﷺ.

فعمد رسول الله ﷺ لخطط حكيمة تُرعب أهل مكة كي تسوقهم إلى التسليم وتُصرفهم عن التفكير في مقابلة جيش الإسلام، فيتسنّى لهم دخول مكة وفتحها وتحطيم صرح الوثنية بارتياح كامل وبدون إراقة الدماء، وبالفعل قد أنتجت تلك الخطط.

وكان من نتائجها أن التقى أبو سفيان بالعباس، وقد جاء يتحسس عن أخبار النبي ﷺ، فقال له العباس: ويحك يا أبا حنظلة هذا رسول الله في عشرة آلاف مقاتل وهو مصبحكم، فقال: بأبي وأمي هل من حيلة؟ قال نعم تركب معي لكي أذهب بك إلى رسول الله فأستأمنه لك، فركب معه ليلاً وعبروا من صفوف المسلمين والنيران تشتعل بأطراف مكة وقد أرهبت قريش، فدخل العباس بأبي سفيان على النبي ﷺ.

فلما رآه عمر قال: الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، وطلب من رسول الله -كعادته في غير ساحات القتال- أن يضرب عنقه، فأجاره العباس، غير أنّ عمر أصرّ على قتله، فقال العباس: مهلاً يا عمر والله لو كان من بني

عدي بن كعب ما قلت هذا، فقطع النبي ﷺ حوارهما، وقال للعباس: **«إذهب به فقد أجرناه فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت»**.

ففي رواية: أنه لما جلس في خيمة العباس قال في نفسه: من فعل بنفسه مثل ما فعلت أنا؟ جئت فأعطيت بيدي، ولو كنت انصرفت إلى مكة فجمعت الأحابيش وغيرهم فلعلي كنت أهزمه، فأنبأ رسول الله عما حدّث في نفسه، وناداه وهو في خيمته بالقرب من خيمة العباس: **«إذن كان الله يخزيك»**[1].

فلما أصبح جاء به إلى رسول الله ﷺ فقال له: **«ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟»** قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك، قد كان يقع في نفسي أنه لو كان مع الله إله لأغنى عنا.

فقال النبي: **«ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟»** قال: بأبي وأمي ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك، أما هذه إنّ في النفس منها شيء حتى الآن، فقال له العباس: ويحك اشهد شهادة الحق، وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله قبل أن تقتل، فشهد على كُره منه ودخل في عداد المسلمين.

ويروى: إنّ العباس قال: إني لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه[2]، لأنه كان معروفاً بالغدر.

وهذا وإن لم يكن بالإسلام الذي يطلبه رسول الله ﷺ ولكنّ مصالح معينة كانت توجب أن يقبل منه، ليرتفع بذلك أكبر سدّ وينزاح أكبر مانع في طريق الدعوة الإسلامية، إذ مع وجود رجل مثل أبي سفيان وعكرمة وصفوان و...والجوّ المشحون بالإرعاب الذي أوجدوه، لم يجترئ أحد من أهل مكة أن يفكّر بالإسلام أو يظهر الإنظواء تحت رايته، فإذا انزاح مثل هذا المانع تسنّى الأمر لاستقرار الحكومة الإسلامية في مكة، وهذا هو الذي يطلبه النبي من أجل الفتح السلمي.

ومع ذلك أمر النبي ﷺ عمه العباس أن يحبسه بمضيق الوادي حتى تمرّ به

---

(١) الخرائج والجرائح١: ١٦٣، وعنه في البحار ٢١: ١١٩.

(٢) دلائل النبوة ٥: ٤١.

جنود الإسلام فيراها ويبصر عظمة القوات الإسلامية. ومن جانب آخر يأمن من مكره قبل أن تُفتح مكة.

واتّخذ النبي ﷺ خطوة أخرى حكيمة جداً بصدد سلب فكر الغدر من أبي سفيان والمقاومة من أهل مكة، فأصدر القرار التاريخي الناشئ عن عظمة خلقه وسموّ روحه وعمق حكمته وهو العفو الشامل، إذ قال: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن طرح سلاحه فهو آمن**».

وبهذا القرار التاريخي اطمأنّ أهل مكة ووضعوا السلاح ودخلوا بيوتهم، واستسلمت مكة بسهولة بعد ما كانت معقلاً رئيسياً لأعداء الإسلام ومركزاً للشرك والوثنية، فدخل جيش الإسلام مكة المكرمة وبفرق منظمة من جهات مختلفة، وقد أنجز الله ما وعد نبيه من النصر ودخول المسلمين مكة آمنين ظاهرين، وبدا الذلّ والانكسار على معاندي الإسلام.

وبعد ما اطمأن النبي ﷺ من الفتح وحصل له الاستقرار، اغتسل وركب ناقته القصوى وتوجّه والمسلمون إلى زيارة بيت الله الحرام والطواف به، بينما كان يحمل السلاح وتحيط به هالة من العظمة ويحدق به المهاجرون والأنصار، وقد صفّ له الناس من المسلمين والمشركين، بعضٌ يغمره الفرح والسرور وآخرون يكادون ينفجرون من الغيظ والانكسار.

ثم أمر بتحطيم الأصنام ومن جملتها أكبر صنم المشركين(هُبل)وقد حطّم بعضها بعصاه، وأمر علياً عليه السلام أن يصعد على كتفه ليكسّر أصنام الكعبة بعد ما عسر حمل النبي ﷺ لتكسيرها[1]، فإنه ﷺ قال: «**لو أنّ ربيعة ومضر جهدوا على أن يحملوا مني بضعة وأنا حيٌّ ما قدروا**»[2].

ولما صعد أمير المؤمنين عليه السلام فوق الكعبة رمى بصنم خزاعة الذي كان من صفر فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون، لثقله[3].

---

(١) سيرة ابن دحلان ٢: ٨٧، تاريخ الخميس ٢: ٨٦.

(٢) الصراط المستقيم للعاملي ١: ١٧٩.

(٣) تاريخ الخميس ٢: ٨٦.

وقيل لعلي عليه السلام: كيف كان حالك، وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله ﷺ؟ فقال: كان حالي أني لو شئت أن أتناول الثريا لفعلت.

وفي رواية قال: خُيّل لي حين نهض بي أني لو شئت لنلت أفق السماء[1].

وقال النبي ﷺ لعلي عليه السلام لما ألقى بنفسه من فوق الكعبة إلى الأرض دون إصابة: «**كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وأنزلك جبرئيل**»[2].

وقد أشار أحد الشعراء -كما يرويه الديار بكري- إلى صعود علي عليه السلام على كتف النبي ﷺ لتحطيم الأصنام، بقوله:

قيل لي قل في عليّ مدحا ... ذكره يخمد ناراً مؤصدة
قلت لا أقدم في مدح امرئ ... ضلّ ذو اللب إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحسّ القلب أن قد برده
وعليٌّ واضع أقدامه ... في محل وضع الله يده[3]

ومن دلائل نبوته ﷺ وإنباءاته الغيبية أنه لما دخل الكعبة أراد فضالة بن عمير الليثي أن يقتل رسول الله، فأخبره النبي ﷺ بقصده وضحك منه[4].

ولما حان وقت صلاة الظهر أمر رسول الله بلالاً أن يؤذّن فوق الكعبة، فصعد بلال وأذّن ورفع بصوته العالي نداء التوحيد والرسالة الإلهية، فقال عدد من قريش: يا ليتنا متنا قبل هذا اليوم ولم نسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة، وتكلم آخرون بما ينمّ عن حقدهم وحسدهم على محمد ﷺ، فنزل الوحي وأخبره بمقالتهم، فأنبئهم النبي ﷺ بها وقال: «**يا فلان قد قلت في نفسك كذا، ويا فلان قلت في نفسك كذا**»[5].

وكان من نبوءاته الغيبية أن قال لعثمان بن طلحة: «**سترى المفتاح بيدي**

---

(١) السيرة الحلبية ٣: ٢٩.
(٢) تاريخ الخميس ٢: ٨٦.
(٣) تاريخ الخميس ٢: ٧٨.
(٤) تاريخ الخميس ٢: ٧٨.
(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ١٠٩.

يوماً أضعه حيث شئت»، وقد تحققت هذه النبوءة، عند ما أرسل عليٌ عليه السلام إلى عثمان بن طلحة ليأتيه بمفتاح البيت فأبى دفعه، وقال:لو علمت أنه رسول الله لما منعته منه، فلوى علي عليه السلام يده وأخذ المفتاح منه وفتح الباب، وكان بنو طلحة يزعمون أنه لا يفتح الباب أحد غيرهم[1].

وروي أنه ﷺ لما أخذ مفتاح الكعبة ودخلها طلب عمر وقال له: «هذا الذي كنت قد وعدتكم به»وكان قد قال عمر: ما شككت منذ أسلمت إلا حين رجعنا من الحديبية ولم ندخل مكة، لأنّ النبي قد وعدنا بدخولها ولم يتمكن من ذلك[2].

إنباؤه ﷺ عن مقالة أبي سفيان لهند

ومنها: ماروي أنه لما دخل المسلمون مكة ليلة الفتح، لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا، فقال أبو سفيان لهند: أترى هذا من الله؟ قالت:نعم هذا من الله، ثم أصبح أبو سفيان وغدا إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ له: «قلت لهند: أترى هذا من الله؟ قالت: نعم هذا من الله» فقال أبو سفيان: أشهد أنك عبد الله ورسوله، والذي يُحلَف به ما سمع قولي هذا أحد من الناس غير هند.

ولأبي سفيان مواقف أخرى نظير هذا، منها: ما ورد من أنه قال بعد وفاة رسول الله ﷺ: والله ما علمت أنه نبي حتى رأيته بعرفة في حجة الوداع وهو يخطب، ورأيت ما حوله من الخلائق، فقلت في نفسي: لو كان معي مثل نصف هؤلاء لقمت عليه، فترك الخطبة وأقبل عليّ بوجهه وقال: «إذاً يكبّك الله في النار على وجهك» وعلمت حينئذ أنه نبي.

ومرّة أخرى مرّ بي ومعي هند، فقلت لها: يا هند بماذا غلبني هذا الغلام من بني هاشم وأنا أكبر منه سنّاً وأعظم شرفاً في قومي منه؟ وكنّا في سفر، فلمّا نزل يومه ذلك مضيت إليه فسلّمت عليه، فقال: «بالله والله غلبتك يا أبا سفيان» فقلت في نفسي: ومتى تعينه هند بعدي فأخبرته، والله ما سمع مني ذلك غيرها،

---

(١) تاريخ الخميس ٢: ٨٧.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٣: ١٠٩.

ولأضربنّها ضرباً وجيعاً، وسكت وتغافلت عن قوله، فلمّا أردت أن أقوم قال: «**هيه أبا سفيان أفقلت في نفسك: إنّ هنداً أخبرتني ما قلت لك فأردت ضربها، لا والله ما هي أخبرتني**»،قال: فعلمت أنه يوحى إليه[1].

أقول: إنّ أبا سفيان وابنه مع جميع ما بدا لهما من الآيات وعلامات النبوة مضيا على عدائهما للنبي وأهل بيته ولم يؤمنا به، بل تظاهرا بالإيمان، وفيهم نزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2].

وقد انطوى التاريخ وانقلبت الأمور التي كانت ضدّ النبي المرسل، واعتدلت، فصار طريد مكة ويتيم أبي طالب، فاتحاً عزيزاً شاكراً حامداً لله على ما وهبه من العزّ والكرامة وما أنجز له من الوعد.

وذلك بعد ما أخرجه أهله من مكة، وكان عند خروجه منها يقول: «**الله يعلم أني أحبّك ولولا أنّ أهلك أخرجوني عنك لما آثرت عليك بدلاً ولا ابتغيت عليك بدلاً، وإني لمغتمّ على مفارقتك**» فسلاّه ربه الجليل سنردّك إلى هذا البلد ظافراً غانماً سالماً قادراً، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[3]، فأخبر رسول اللهﷺ أصحابه عن ذلك، فاتّصل بأهل مكة، فسخروا منه، فأنبأ الله تعالى رسوله:سوف يظفرك الله بمكة ويجري عليهم حكمي، وسوف أمنع عن دخولها المشركين...[4].

وفي ختام قصة الفتح وما فيها من النبوءات نقول: صدق الله العلي العظيم وصدق رسوله النبي الأمين الكريم والحمد لله رب العالمين.

الإنباء عن إتيان عكرمة مهاجراً

إنّ رسول اللهﷺ لما دخل مكة ظافراً أخذ بعضادتي باب الكعبة وقال: «لا

---

(١) المناقب والمثالب: ١٨٢.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) القصص: ٨٥

(٤) اقتبستُ مقتطفات هذه القصة من السيرة الحلبية ٣: ٣-٣٠. إمتاع الاسماع ١: ٣٤٧ – ٣٩٦، سيرة ابن كثير٣: ٥٢٦ –٥٦٠، البحار٢١: ٩١ – ١٣٦، الكامل في التاريخ ٢: ١٦٢– ١٧٢.

إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده» ثم التفت إلى الناس وقال: «ما تظنون؟ وما أنتم قائلون؟» فقالوا: نقول: خيراً ونظن خيراً، كريم وابن عمّ وقد قدرت.

فقال: «فإني أقول كما قال أخي يوسف: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ ألا إنّ كل مال ودم ومأثرة كان في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي...» ثم قال: «ألا بئس جيران النبي كنتم، لقد كذّبتم وطردتم وأخرجتم وفللتم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني، فاذهبوا فأنتم الطلقاء»، فخرج القوم كأنما نشروا من القبور، ودخلوا في الإسلام.

فترى النبي الطريد الذي كان من حقه أن ينتقم قد قلّب الموازين وواجههم بالحنوّ والمودة بصدور عفوه الشامل، وبقوله: «اليوم يوم المرحمة، اليوم تحفظ فيه الحرمة».

ثم إنّ هذا القرار وإن كان شاملاً إلا أنه استثنى منه بعض الطغاة الشديدي العداوة والأذى، منهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية والوحشي الذي قتل حمزة رضي الله عنه و...ومن النساء هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان، فقد أمر بقتلهم وإن كانوا معلّقين بأستار الكعبة.

لكن مع ذلك كله ترى أنّ رحمة رسول رب العالمين قد شملتهم أيضاً فاستأمنوه بعد ما كانوا هاربين من القتل.

حيث روي أنّ عكرمة هرب إلى اليمن خوفاً من القتل، وكانت امرأته قد اتبعت رسول الله ﷺ فجاءت إليه، فقالت: إنّ ابن عمي عكرمة قد هرب منك إلى اليمن فآمنه، قال: «قد آمنته بأمان الله فمن لقيه فلا يتعرض له»، فخرجت امرأته في طلبه فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر، فجعلت تلوّح إليه وتقول: يا ابن عمّ جئتك من عند أوصل الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك فآمنك.

وبعدما اطمأنّ رجع معها، فلما دنى من مكة، أنبأ رسول الله ﷺ عن قدومه فقال لأصحابه: «يأتيكم عكرمة مؤمناً مهاجراً فلا تسبّوا أباه، فإنّ سبّ الميت يؤذي الحي ولا يبلغ» فلما قدم مكة وانتهى إلى باب رسول الله ﷺ استأذنت

زوجته رسول الله وأخبرته بقدوم عكرمة فاستبشر، وقال: «أدخليه» فلما دخل، قال: يا محمد إنّ هذه أخبرتني أنك آمنتني، فقالﷺ: «صدقت فأنت آمن» فقال عكرمة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله، وقال: أنت أبرّ الناس وأوفى الناس، أقول ذلك وإني لمطاطئ الرأس استحياء منك، ثم قال: يا رسول الله استغفر لي كل عداوة عاديتكها أو مركب أوضعت فيه أريد به إظهار الشرك.

فقال رسول اللهﷺ: «اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادى فيها، أو منطق تكلم به، أو مركب أوضع فيه يريد أن يصدّ عن سبيلك...».

فقال عكرمة: أما والله لا أدع نفقة في صدّ عن سبيل الله إلا أبليت ضعفها في سبيل الله، ثم اجتهد في القتال حتى قُتل في خلافة أبي بكر[1].

وهكذا تحقق ما أنبأ به رسول الله أبا جهل في إسلام ابنه عكرمة.

معركة حنين وما فيها من الانباءات الغيبية

إنّ رسول اللهﷺ بعدما أبى البقاء بمكة وعزم على مغادرتها أمر بالاتجاه إلى قبيلتي هوازن وثقيف المتحالفتين على مقابلتهﷺ وقتله عبر خطة عسكرية، وقد دخل في تحالفهما طوائف أخرى من الطلقاء والمتظاهرين بالإسلام في مكة، وبمساعدة عيون قريش المحتفين حول النبيﷺ، وقد حصل هذا الإتفاق على أثر حضور جاسوس هوازن واجتماع الفئات الحاقدة في مكة، والذي يثبت هذا التحالف، الأمور التي حدثت في هذه الغزوة ضدّ النبيﷺ.

فكان النبيﷺ بدرايته الواسعة وتدبيره النافذ قد علم بهذه المؤامرة وعزم على إخمادها قبل التنفيذ، فخرج بجيش يربو على اثني عشر ألف مقاتل وبعُدّة كاملة، عشرة آلاف من الذين دخلوا معه مكة بما فيهم من المنافقين والجواسيس، وألفين من طلقاء مكة بما فيهم من الحاقدين على النبيﷺ.

وكان من شأن عيينة بن حصين أن قال: والله ما جئت معكم أقاتل ثقيفاً ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلها تلد

---

(١) البحار ٢١: ١٤٣عن المنتقى للكازروني ب ٨، إمتاع الاسماع ١: ٣٩٨، السيرة الحلبية ٣: ٤٠.

لي رجلاً، فإنّ ثقيفاً قوم مباركون!، فقال النبي ﷺ فيه: «هذا الأحمق المطاع»[١].

ويقول المقريزي: كان قد خرج رجل من مكة على غير دين، ينظرون على من تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم، منهم أبو سفيان بن حرب، ومنهم معاوية بن أبي سفيان، خرج ومعه الأزلام في كنانته، وكان يسير في أثر العسكر كلما مرّ بترس ساقط أو رمح أو متاع حمله، حتى أوقر جمله، وصفوان بن أمية و... فلما كانت الحرب وقفوا خلف الناس[٢].

فأصبح جيش الإسلام قليل النظير ونادر المثيل في ذلك الزمان، وأدّت تلك الكثرة إلى إثارة العُجب في أفكار المسلمين وإيقاع النظرة عليهم، بما أدّى إلى هزيمتهم في بادي الأمر، ومن الذين أخذهم العُجب وألقى النظرة أبو بكر، إذ قال:لو لقينا بني شيبان ما بالينا، لن نغلب اليوم من قلة[٣]، فعان المسلمين.

غافلاً عن أنّ النصر ليس بكثرة العُدّة والعدد فقط،بل هناك أمور أخرى لابدّ أن تلحظ.

وقد أشار القرآن إلى هذا العُجب والأثر التخريبي المترتب عليه بقوله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[٤].

وبعث المدبّر الحكيم ﷺ إلى هوازن عبد الله أبي حدرد- وكان منهم-، ليأتيه بخبرهم ومخططاتهم، فأقام فيهم وسمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله، بحيث وصل إلى خباء قائدهم واكتشف مخططهم، فرجع إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، ثم قال: يا رسول الله إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيها، بظعنهم ونعمهم وشائهم واجتمعوا إلى حنين.

---

(١) مغازي الواقدي ٢: ٩٣٧.

(٢) إمتاع الأسماع ٢: ١٢.

(٣) مغازي الواقدي ٣: ٨٩٠، البداية والنهاية ٤: ٣٦٩، الطبقات الكبرى ٢: ١٥٠.

(٤) التوبة: ٢٥.

فتبسم النبي ﷺ وقال منبئاً: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله»[1] وتحققت نبوءته ﷺ كما قال.

إلا أنّ عمر غضب على ما أخبر به عبد الله فكذّبه، فقال عبد الله: إن تكذّبني فطالما كذّبت بالحق يا عمر، وكذبت من هو خير مني -يريد به رسول الله ﷺ- فقال عمر: يا رسول الله أتسمع ما يقول به ابن أبي الحدرد؟.

فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر»[2]، وفي جواب رسول الله ﷺ إيحاء إلى تأييد كلام ابن أبي حدرد.

وكان قائد جيش العدو -مالك بن عوف النضري- شاباً متهوراً، وقد بعث ثلاثة جواسيس ليتسللوا في صفوف المسلمين ويأتوه بأخبارهم، فما كان إذ عادوا فزعين مما شاهدوه من قوة المسلمين وكثرتهم.

فقرّر العدو أن يستخدم الخُدع العسكرية لجبران ضعف جيشه، وعزم على اتخاذ مبدأ المباغتة والمفاجئة ليفرّق بين صفوف المسلمين ويهدم نظامهم ويوقع الفوضى فيهم، وبالمآل يخلّ في تدابير النبي فيؤول الأمر إلى الانتصار على المسلمين، وكان من لوازم هذه الخطة الهبوط إلى وادٍ ينحدر إلى منطقة حنين، واختفاء المقاتلين خلف الصخور والأحجار وكل ما ارتفع من ذلك الوادي ونشز، فإذا ورد المسلمون في الوادي فاجئوهم بالخروج من مكامنهم ورموهم بالحجارة والنبل، ثم يخرج فريق من العدو إليهم يضربونهم بالسيف.

وقد أنتج مخطّط العدو عند نزول المسلمين الوادي على غفلة، ففاجئوهم بالنبل والحجارة، وفي الجهة الأخرى بالسيوف، فألقت أصوات الأحجار والنبل ووقع السيوف فزعاً شديداً في قلوب المسلمين، ففرّقت صفوفهم وأوقعت فيهم الفوضى وألجأتهم إلى الفرار العاجل، بحيث تركوا قائدهم ورفضوا أوامره، وفرح هنالك الطلقاء والمنافقون في جيش الإسلام وسرّوا سروراً عظيماً، بحيث قال أبو سفيان شامتاً: لا ينتهي هزيمتهم دون البحر، وكان قد اعتزل هو وابنه

---

(١) مغازي الذهبي: ٤٧٨، تحقيق محمد محمود حمدان.

(٢) سيرة ابن هشام ٤: ٨٩١، مغازي الذهبي: ٤٧٥، تاريخ الطبري ٢: ٣٤١، مستدرك الحاكم ٣: ٤٩، البداية والنهاية ٤: ٣٧١.

معاوية وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام وراء تلٍّ ينظرون لمن تكون الدبرة.

وقال آخر: بطل سحر محمد، وقال ثالث: لا يخبرها محمد وأصحابه، وقال رابع: ترجع العرب على دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه[1].

نبوءته ﷺ عن عزم شيبة في قتله

وعزم آخر في ذلك الوضع المضطرب على اغتيال النبي ﷺ وإطفاء نوره، إذ قال: أسير مع قريش إلى هوازن، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها-وكان أبوه وعمه قُتِلا في بدر-، فلما اختلط الناس ونزل النبي ﷺ عن بغلته أصلَتُ السيف ودنوت منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل، فحال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد، فناداني النبي ﷺ «يا شيبة ادن مني»، فدنوت منه، فالتفت إليّ وتبسّم وعرّف الذي أريد منه، فمسح صدري،ثم قال: «اللهم أعذه من الشيطان» فقال شيبة: فوَ الله لهو الساعة أحبّ إليّ من سمعي وبصري ونفسي[2].

وفي رواية الزهري: ...فاطّلع الله رسوله على ما في نفسي، فالتفت إليّ وضرب في صدري وقال: «أعيذك بالله يا شيبة» فأرعدت فرائصي، فنظرت إليه وهو أحب إليّ من سمعي وبصري، فقلت: أشهد أنك رسول الله، وأنّ الله اطلعك على ما في نفسي[3]، وهذه النبوءة أيضاً من آيات نبوّته ورسالته.

نبوءة أُخرى عن عزم النضير على اغتياله

في أعلام النبوة عن محمد بن إبراهيم ابن شرحبيل، عن أبيه قال: كان النضير بن الحرث بن كلدة يصف شدة عداوته لرسول الله ﷺ لقتله أخيه

---

(١) مغازي الواقدي٣: ٩٠٩، مغازي الذهبي: ٤٧٩، إمتاع الأسماع١: ٤١١.

(٢) المغازي للواقدي٢: ٨٩٤، مغازي الذهبي: ٤٨٥، وفي آخره قال: «يا شيبة قاتل الكفار»، السيرة الحلبية ٣: ٧١.

(٣) تفسير مجمع البيان ٥: ٣٥-٣٦، وانظر الخرائج والجرائح١: ١١٨،وفيه...فلما انقضى القتال دخلنا على رسول الله ﷺ فقال لي: «الذي أراد الله بك خير مما أردته لنفسك» وحدثني بجميع ما زورته في نفسي، فقلت: ما اطلع على هذا إلا الله واسلمت.

النضر بن الحارث، قال: و كنت شهدت بدراً فرأيت قلة المسلمين وكثرة قريش، فلما نشب القتال رأيت المسلين أضعاف قريش فانهزمت قريش، ورأيت يومئذ رجالاً على خيل بلق بين السماء والأرض معلّمين يأسرون فريقاً ويقتلون فريقاً، فهربت مذعوراً.

ثم خرجت معه بعد الفتح إلى هوازن لأصيب منه غرة، فلما انهزم المسلمون صعدت لرسول الله ﷺ فإذا هو في وجه العدو واقف على بغلة شهباء حوله رجال بيض الوجوه، فأقبلت عامداً إليه فصاحوا بي: إليك إليك، فرعب فؤادي وأرعدت جوارحي، فقلت: هذا مثل يوم بدر، إنّ الرجل لعلى حق وإنه معصوم، فأدخل الله في قلبي الاسلام، ثم التقيت برسول الله بعد رجوعه من الطائف فحين رآني قال: «النضير؟» قلت لبيك، قال: «**هذا خير لك مما أردت يوم حنين ما حال بينك وبينه**»[1].

هذا وبقي عدد من بني هاشم وفي مقدمهم الإمام البطل المجاهد علي بن أبي طالب عليه السلام، فضلّوا يذبّون عن رسول الله ﷺ، وحمل عليٌّ عليه السلام بسيفه الباتر على صفوف المشركين، ورسول الله ﷺ ينادي المسلمين بأعلى صوته: «**يا أنصار الله وأنصار رسوله أنا عبد الله ورسوله**» فلم يلتفتوا.

فأخذ العباس يصيح بأعلى صوته-وكان ذا صوت عظيم-يا معشر الأنصار، يا معشر السمرة، وبهذه الكلمة(السمرة) ذكّرهم ببيعة الرضوان التي كانت تحت الشجرة وما كان من تعهدهم للنبي على النصر حتى الموت، فلما رأوا انكشاف المشركين من عند رسول الله بسيف عليّ الذي لولاه لتغير وجه التاريخ ولتبدّل مسار البشرية، وعلموا بحياة رسول الله، هناك ثارت حميّتهم ولبّوا نداء النبي والعباس ووثبوا حوله، وأظهروا ندمهم على الفرار.

دور الفارين

قال أبوقتادة الأنصاري: انهزم المسلمون...يوم حنين وانهزمت معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس(المنهزمين)فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمرالله[2].

---

(١) أعلام النبوة للماوردي: ١٦٣.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٠١، البداية والنهاية ٤: ٣٧٦، سيرة ابن كثير ٣: ٦٢٤.

وقال معاوية بن أبي سفيان في فضل أبيه: لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكة فصحت به: يا ابن حرب والله ما صبرت مع ابن عمك، ولا قاتلت عن دينك ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك[1].

والذي يزيد في فضل أبي سفيان، اهتمامه الوافر على الدنيا حيث جعل يجمع في حوزته كل ترس أو سيف يسقط من الصحابة![2].

هذا وقد بايعوه على أن لا يفرّوا من القتال، قال جابر بن عبد الله الأنصاري: لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت، إنما بايعنا على أن لا نفرّ[3].

وقال يزيد ابن أبي عبيد: قلت لسلمة بن الأكوع: على أيّ شيء بايعتم النبي ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت، ولكنّ الناس انهزموا![4].

مع ذلك لم يُغيّرني الرحمة سلوكه معهم، فقد روى أنس بن مالك: إنّ أمّ سليم ابنة ملحان جعلت تقول:يا رسول الله، أرأيت هؤلاء الذين أسلموك وفرّوا عنك وخذلوك لا تعف عنهم إن أمكنك الله منهم، فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين، فقال النبي ﷺ: «يا أمّ سليم قد كفى الله، عافية الله أوسع».

وقد عوّض صمود هذه المرأة عن جبن الفارين من الصحابة، إذ أخذت بيدها خنجراً، وقالت: إن دنى مني أحدٌ من المشركين بعجته به[5].

النصر الإلهي

أجل إنّ معركة حنين أعطت درس الإعتبار على أنّ النصر ليس بالكثرة، بل هو بالجهاد والثبات والدعم الإلهي، كما ثبت في سائر الحروب.

فترى أنّ المسلمين لمّا انهزموا وتركوا النبي ﷺ مع عدد قليل، التجأ النبي ﷺ إلى الله وطلب منه النصر، فقال: «اللهم إني أنشدك ما وعدتني، اللهم

---

(١) الإرشاد للمفيد ٢: ١٤٤.

(٢) مغازي الذهبي: ٤٨١.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٢٥، سنن النسائي ٧: ١٤٠، سنن الترمذي ٣: ٧٦ح ١٦٤٢.

(٤) صحيح البخاري ٨: ١٣٣، سنن النسائي ٧: ١٤٠، السنن الكبرى ٤: ٤٢٣.

(٥) مغازي الواقدي ٢: ٩٠٤، إمتاع الأسماع ١: ٤٠٩، السيرة الحلبية ٣: ٧٢.

لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا»[١]،فاستجاب الله له إذ ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، وكان عذاب الكافرين على يد يعسوب الدين وليث الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام ومساندة جند الله المقربين، حيث قال المشركون: أتانا رجل بيض على خيل بلق فوَ الله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى[٣].

دور أمير المؤمنين عليه السلام

وقد أدّى عليٌّ عليه السلام دوره البنّاء-كما في سائر المواطن-فأخذ يدافع عن رسول الله ويكرّ على المشركين حتى قتل بطلهم وحامل لوائهم أبا جرول، وكان أبو جرول على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل يقود القوم ويرتجز:

أنا أبو جرول لا براح ... حتى نبيح القوم أونباح

فصمد له عليٌّ عليه السلام وضرب عجز بعيره فصرعه، ثم ضربه فقطّره، ثم قال:

قد علم القوم لدى الصباح ... أني في الهيجاء ذو نصاح

ثم قتل أربعين شجاعاً من هوازن، فكانت هزيمتهم وتفرّقت صفوفهم[٤].

ففي الأمالي عن الفضل بن العباس، قال: التفت العباس يومئذ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم، فلم يُرَ علياً فيمن ثبت، فقال:شوهة بوهة، أفي مثل هذه الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ وهو صاحب ما هو صاحبه؟! يعني المواطن المشهورة له، فقلت: نقصّ قولك لابن أخيك يا أبه، قال: ما ذاك يا فضل؟ قلت: أما تراه في الرعيل الأول؟ أما تراه في الرهج؟ قال: أشعِره لي يا بُنيّ، قلت: ذو كذا، ذو البردة، قال: فما تلك البرقة؟

قلت: سيفه يزيّل به بين الأقران، فقال: برّ بن برّ فداه عمّ وخال، قال: فضرب عليٌّ يومئذ أربعين مبارزاً كلّهم يقدّه حتى أنفه، وذكره فقال: وكانت

---

(١) مغازي الذهبي: ٥٧٨.

(٢) التوبة: ٢٦.

(٣) مغازي الواقدي ٣: ٨٩٢، سيرة ابن هشام ٤: ١٢٢، تاريخ الطبري ٣: ٨٢.

(٤) أنظر مغازي الواقدي ٢: ٩٠٢، سيرة ابن دحلان ٢: ١٠٢، الإرشاد للمفيد١: ١٤٢.

ضرباته مبتكرة[١].

ردّ الشمس لأمير المومنينؑ والإنباء عن ردها مرة أُخرى

وفي شأنه قالت أسماء بنت عميس:كنا مع النبيﷺ في غزوة حنين فبعث علياً في حاجة، وقد صلّى رسول الله العصر ولم يصلّها عليٌّؑ، فلما رجع وضع رسول الله رأسه في حجره حتى غربت الشمس، فلما رفع النبي رأسه، قال عليؑ: لم أكن صلّيت العصر، فقال النبيﷺ: «**اللهم إنّ علياً حبس بنفسه على نبيك، فردّ له الشمس**».

فطلعت حتى ارتفعت على الحيطان والأرض حتى صلّى عليٌّ العصر، ثم غربت، قالت أسماء: وذلك بالصهباء في غزوة حنين، وإنّ علياً صلّى إيماء، ثم قال له النبي: «**يا عليّ أما إنها سترّدّ عليك بعدي حجة على أهل خلافك**» فقال حسان بن ثابت في ذلك:

إنّ علي بن أبي طالب ... ردّت له الشمس من المغرب
ردّت عليه الشمس في ضوئها ... عصراً كأنّ الشمس لم تغرب[٢]

وهذه النبوءة منهﷺ قد تحققت في خلافة أميرالمؤمنينؑ، وذلك عند ما قاتل الخوارج بأرض بابل وقد غابت الشمس فتكلّم بكلام فردّت عليه الشمس...وسيأتي تفصيله في باب تكرار التاريخ إن شاء الله.

وعلى جرّاء مجاهدات أميرالمؤمنين وتكاثر المسلمين خلفه، أصبحت الكرّة للمسلمين والهزيمة للمشركين، تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين أتوا بهم إلى ساحة القتال، وجعلوهم خلف ظهورهم امتثالاً لأوامر قائدهم، وتابع المسلمون هوازن فلجئوا إلى منطقة أوطاس وقلاع الطائف.

فأخذ المسلمون بجمع الغنائم والأموال والسبايا التي خلّفها العدو، فلما أحصوا الغنائم كانت اثنين وعشرين ألفاً من الإبل، وأربعين ألفاً من الشياه

---

(١) أمالي الشيخ: ٥٧٥، وعنه في البحار ٢١: ١٧٩، إمتاع الأسماع ٢: ١٤، شوهة: أي قبح، بوهة: طاش، تقل للرجل الطائش أو الأحمق، الرعيل: جماعة الخيل، الرهج: الغبار.

(٢) الخرائج والجرائح٢: ٤٩٨،وترى قريباً منه في مناقب الخوارزمي: ٢١٧، ينابيع المودة ١: ٤١٧.

وأربعة آلاف أوقية من الفضة وغير ذلك من الأمتعة، وقد بلغ عدد الأسرى ستة آلاف أسير، فأمر النبي ﷺ بجمع السبي والأموال في محل، وجعل جماعة على حراستها، ثم أوصى بأن لا يُقتل أحد من الأسرى أبداً[1].

تقسيم الغنائم

إنّ طريقة رسول الله ﷺ في تقسيم الغنائم كانت نابعة عن حكمة بالغة وتدبير سياسي نافذ حيث أجزل القسم للمؤلفة قلوبهم،كأبي سفيان وعكرمة وصفوان والحارث بن هشام وغيره من المعاندين الذي أسلموا عند فتح مكة كُرهاً أو طمعاً، وهذا السلوك ناشئ عن حنكته السياسية في إطفاء نائرة العداء والسيطرة عليهم.

وقد أعطى كلاً من المهاجرين والأنصار على حسب شؤونهم، ثم قال: **«أيها الناس إني والله ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس، والخمس مردود عليكم»**، وروي أنّ ما أجزله على المؤلفة قلوبهم كان من الخمس الخاص به[2].

قوله ﷺ: سيخرج من ذي الخويصرة قوم يخرجون من الدين... .

ومع هذه الرحمة والشفقة، ترى من في قلبه مرض يعترض على النبي الأمين ﷺ، حيث وقف ذو الخويصرة أمامه وقال: اعدل فإنك لم تعدل!.

فقال رسول الله ﷺ: **«ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون»**

---

(١) أقول: إنّ تأكيد النبي ﷺ في النهي عن قتل الأسرى يلوّح عن درايته الواسعة في الوصول إلى بعض الأسرار العسكرية التي يضمرها العدو، غير أنّ عمر أمر بقتل بعضهم، وذلك إنّ هذيل بعثت رسولاً-يقال له: ابن الأكوع-أيام الفتح عيناً على النبي ﷺ حتى علم علمه، فجاء إلى هذيل بخبره، وأسير يوم حنين فمرّ به عمر بن الخطاب، فلما رآه أقبل على رجل من الأنصار وقال: عدوّ الله الذي كان علينا عيناً، هو أسير فاقتله، فضرب الأنصاري عنقه، وبلغ ذلك النبي ﷺ فكرهه، وقال: **«ألم أمركم أن لا تقتلوا أسيراً؟»** وقُتل بعده جميل ابن معمر بن زهير وهو أسير، فبعث رسول الله ﷺ إلى الأنصار وهو مغضب، فقال: **«ما حملكم على قتله وقد جاءكم الرسول أن لا تقتلوا أسيراً؟»** فقالوا إنما قتلناه بقول عمر، فأعرض رسول الله ﷺ حتى كلّمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك،(الإرشاد للمفيد ١: ١٤٤-١٤٥)

(٢) مغازي الواقدي ٣: ٣٤٣، سيرة ابن هشام ٤: ٩٢٩، تاريخ الطبري ٢: ٣٥٨.

وهناك أنبأ عن الخوارج وقال: «سيخرج من ضئضئ هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم تراقيهم»[1].

وفي رواية العياشي: إنه قال: ما عدلت حين قسّمت، فقال له رسول الله ﷺ: «ويلك ما تقول؟ ألا ترى قسّمت الشاة حتى لم يبق معي شاة؟ أوَ لم أقسّم البقر حتى لم يبق معي بقرة واحدة؟ أوَ لم أقسّم الإبل حتى لم يبق معي بعير واحد؟» فقال بعض الأصحاب: أتركنا يا رسول الله حتى نضرب عنق هذا الخبيث، فقال ﷺ: «لا، هذا يخرج في قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، بلى قاتلهم غيري»[2].

وفي رواية المفيد إنه ﷺ قال: «دعوه فإنه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلهم الله على يد أحبّ الخلق إليه من بعدي». فقتله أمير المؤمنين عليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج[3].

وفي لفظ: قال الراوي أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل ثمود»[4].

وفي رواية الزهري: أنه ﷺ قال: «ويلك من يعدل إن أنا لم أعدل؟ وقد خبت أو خسرت إن أنا لم أعدل»، فقال عمر بن الخطاب: -كما هو دأبه في غير الحروب- يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيّه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة، تدردر، يخرجون على حين فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأشهد أنّ علي

---

(١) المنتظم ٣: ٣٣٩، وانظر الغدير ٧: ٢١٧.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٩٢ – ٩٣، وعنه في البحار ٢١: ١٦٤.

(٣) الإرشاد للمفيد ١: ١٤٩.

(٤) سيرة ابن كثير ٤: ٢٠٧.

بن أبي طالبؓ قاتلهم وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذي نعت[1].

وفي رواية: إنهﷺ قال في جواب عمر: «معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي...»[2].

نبوءتهﷺ للأنصار: إنكم ستلقون بعدي أثرة

لما أجزل النبيﷺ من الغنائم -لمصالح خاصة- للمؤلفة قلوبهم، غضب قوم من الأنصار على ذلك، وبلغ رسول اللهﷺ عنهم، فجمعهم وبيّن لهم بعض الأمور، فأخذوا يعتذرون وقبّلوا يديه ورجليه، ثم قالوا: رضينا بالله وبرسوله، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئت فاقسمها على قومك، وكان ظنهم أنّ السبب في طريقة التقسيم هو سخط رسول الله عليهم، وقد استغفروا من ذنوبهم واستغفر لهم النبيﷺ ثم قال: «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار... الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»[3].

وقد تحقق ما أنبأ عنهﷺ لما وليّ معاوية عليهم فمنع عطاياهم، فلما قدم عليهم، فلم يتلقّوه، فقال لهم: ما الذي منعكم أن تلقوني؟ قالوا: لم يكن لنا ظهور نركبها، فقال لهم: أين كانت نواضحكم؟ فقال أبو قتادة: عقرناها يوم بدر في طلب أبيك، ثم رووا له نبوءة رسول اللهﷺ، فقال لهم: ما قال لكم رسول الله؟ قالوا: قال لنا: «اصبروا حتى تلقوني» قال: فاصبروا إذاً، فقال في ذلك عبد الرحمن بن حسّان:

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٧٩، وفيه وفي غيره: إنه عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، ويسمى حرقوص، سيرة ابن كثير ٣: ٦٨٨، إمتاع الأسماع ٢: ٣٠، قوله: يمرقون من... أي يخرجون من غير الموضع الذي دخلوا فيه، والنصل: حديدة السهم، والرصاف: العقب الذي تحت الفرق، ونضيه -أي قدحه- وهو السهم قبل أن ينصّل ويُريّش، وقذذ: ريشة السهم، تدردر: أي ترجرج _ تجيء وتذهب.

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٦٧٨.

(٣) سيرة ابن كثير ٣: ٦٧٧-٦٧٨، إمتاع الأسماع ٢: ٣٥.

ألا أبلغ معاوية بن صخر أمير المؤمنين بنا كلامي
فإنا صابرون ومنظروكم إلى يوم التغابن والخصام[1]

حصار الطائف

لما تمّ النصر لجيش الإسلام على هوازن أمر النبي ﷺ بملاحقة المنهزمين في معركة حنين، وكانت قبيلة ثقيف قد اشتركت مع هوازن في الحرب ضد الإسلام، فلما ظفر المسلمون هربوا إلى قلاعهم الحصينة وتحصّنوا بها، فتوجه جيش الإسلام إلى الطائف، وكان مرورهم على حصن مالك بن عوف النضري مثير فتنة حنين، فأمر النبي ﷺ بتهديمه حتى لا يبقى ملجأ يعتمد عليه العدو.

نبوءة رسول الله ﷺ عن أبي ثقيف

وكان من نبوءاته ﷺ في مسيره إلى الطائف ما روي بالإسناد عن عبد الله بن عمرو، إنه قال:حين خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى الطائف، فمررنا بقبر، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف، وكان من ثمود، وكان بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه، وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه»**، قال: فابتدره الناس فاستخرجوا معه الغصن[2].

وعند ما بلغوا حصن الطائف-وكان مرتفع الجدران، فيه أبراج للمراقبة مسيطرة على خارج الحصن- بدأ الحصار، وأخذ المشركون يرمون المسلمين بالنبل والحجارة للحيلولة دون تقدمهم نحو الحصن، واستطاعوا أن يقتلوا جمعاً من المسلمين في بادي الأمر، فأمر النبي بالابتعاد عن مركز الحصن إلى نقطة بعيدة عن المرمى، الموضع الذي فيه مسجده ﷺ اليوم بالطائف، قد بنته ثقيف بعد إسلامها.

---

(١) مناقب آل أبي طالب١: ٩٦،عن شرف النبي ﷺ للخركوشي، والأثرة: تقديم الغير،والمعنى: سيفضّل غيركم عليكم.

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٦٥٥، السيرة الحلبية ٣: ٧٧.

وفي مدة الحصار خرج نافع بن غيلان في خيل من ثقيف، فقابله عليٌّ عليه السلام في خيله فقتله وانهزم باقي المشركون إلى الحصن.

الضربات المعنوية والاقتصادية

وكان من مخططات النبي ﷺ في تضعيف معنويات العدو أن أصدر بياناً لعبيد ثقيف، هذا نصه: أيّ عبد نزل من الحصن خرج إلينا فهو حُرّ، وعلى أثره خرج من الحصن وبطريقة ماهرة جمع من عبيد ثقيف والتحقوا بصفوف المسلمين وبسببه حصّل النبي على معلوماتٍ هامة عن أوضاع المتحصنين.

ومن مخططاته ﷺ في استئصالهم أن أنذر المتحصنين، بأنه سيعمد إلى قطع الأشجار وإفناء المزارع - وكانت مزارع جميلة مثمرة - لكن العدو لم يكترث بهذه التهديدات.

الإنباء عن خيانة عيينة بن حصن

ولعل سبب عدم الاكتراث أنّ عيينة بن حصن استأذن رسول الله في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلى الإسلام، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم، وقال: لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار...فلما رجع، قال له رسول الله ﷺ: «ما قلت لهم»؟ قال: دعوتهم إلى الإسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنة، فقال ﷺ: «كذبت، بل قلت لهم كذا وكذا» فقال: صدقت يا رسول الله، أتوب إلى الله وإليك من ذلك[1]، وهذا أيضاً من دلائل نبوته وعلمه بالمغيبات.

وفي خلال حصار الطائف بعث رسول الله ﷺ علياً عليه السلام إلى خيل من خثعم، فبرز له رجل من القوم يقال له شهاب في غبش الصبح، فقال: هل من مبارز؟.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: من له؟ فلم يقم أحد، فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام ووثب أبو العاص بن الربيع فقال: تكفاه أيها الأمير؟ فقال عليه السلام: لا ولكن إن قتلت فأنت على الناس، فبرز إليه وهو يقول:

إنّ على كل رئيس حقاً ... أن يروي الصعدة أو تدقّا

---

(١) أنظر سيرة ابن كثير ٣: ٦٥٩، الكامل في التاريخ ٢: ٢٦٨.

ثم ضربه فقتله، ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام، ورجع إلى رسول الله ﷺ وهو محاصر لأهل الطائف، فلما رآه النبي ﷺ كبّر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً، فلما رآه عمر يناجي عليّاً عليه السلام أتاه فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به دوننا؟

فقال: «يا عمر، ما أنا انتجيته، بل الله انتجاه»[1]، فأعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ فلم ندخله وصُدِدنا عنه، فناداه النبي ﷺ: «لم أقل لكم إنكم تدخلونه في ذلك العام»[2].

ونزل من حصن الطائف مالك بن عوف قائد هوازن فمدح رسول الله ﷺ بشعر وأسلم، فوهب له رسول الله ﷺ أهل بيته ومائة من الإبل واستعمله على من أسلم من قومه ومن حول الطائف، وكان قد أسلم وفد هوازن بعد أن ردّ عليهم رسول الله ﷺ السبايا.

فقد روي عن أبي ذر أنّ رسول الله ﷺ قال -وقد قدم عليه وفد من الطائف-: «يا أهل الطائف والله لتقيمنّ الصلاة ولتؤتنّ الزكاة، أو لأ بعثنّ عليكم رجلاً كنفسي، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، يقصعكم بالسيف» فتطاول لها أصحاب رسول الله ﷺ فأخذ بيد عليّ فأشالها، ثم قال: «هو هذا» فقال أبو بكر وعمر: ما رأينا كاليوم في الفضل قطّ[3].

ومن ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى: نشدتكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ: «لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثنّ إليهم رجلاً كنفسي، طاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يغشاهم بالسيف» غيري؟ قالوا: بلى اللهم بلى...[4].

وقرّر رسول الله -بعد استشارة- على الرجوع لمصالح خاصة، ولأجل حلول

---

(١) أنظر الجامع الصحيح للترمذي ٥: ٦٣٩ح ٣٧٢٦، وعنه في البداية والنهاية ٧: ٣٥٦، مسند أبي يعلى ٤: ١١٨ح ٣٣٩، تاريخ بغداد ٧: ٤٠٢، ولم يذكروا ذيل الحديث (فأعرض عمر...).

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ١٥٢ و ٥٣٦، إعلام الورى ١: ٢٣٥، مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٦٢.

(٣) أمالي الطوسي: ٥٧٩، وعنه في البحار ٢١: ١٦٤ و ١٦٩.

(٤) الخصال: ٥٥٥، وعنه في البحار ٢١: ١٨٠، وانظر السنن الكبرى ٥: ١٢٧، خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٨٩.

شهر ذي القعدة الحرام، والأهمّ من ذلك علمه بمجيء ثقيف إليه مسلمين، وعليه فلا موجب للحرب، فقال عند رجوعه منها: «**اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم**»[1].

وعند رجوعه من الطائف اعتمر من الجعرانة ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع منها بعد ما أدى مناسكه.

ومن نبوءاتهﷺ: ما أخبر عطاء: أنّ صفوان بن يعلي بن أمية أخبره أنّ يعلي كان يقول: ليتني أرى رسول اللهﷺ حين ينزل عليه، قال: فبينا رسول اللهﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أُظِلّ به، معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمّخ بطيب، فأشار عمر بن الخطاب إلى يعلي بيده: أن تعال، فجاء يعلي فأدخل رأسه،فإذا النبيﷺ محمرّ الوجه يغطّ كذلك ساعة ثم سرّي عنه، فقال: «**أين الذي يسألني عن العمرة آنفاً؟**» فالتُمس الرجل فأتي به، فقال: «**أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك**»[2].

نبوءتهﷺ عن مقتل عروة بن مسعود

وفي السنة التاسعة من الهجرة قدم من الطائف عروة بن مسعود الثقفي على رسول اللهﷺ فأسلم واستأذن رسول اللهﷺ في العودة إلى الطائف لتبليغ الإسلام، فأنبأه النبيﷺ «**بأنهم قاتلوك**».

فقال عروة: أنا أحبّ إليهم من أبكارهم، وكان فيهم مطاعاً،فلما دعاهم للإسلام رموه بالنبل وقتلوه[3]، فتحققت نبوءة رسول اللهﷺ فيه.

إسلام ثقيف

ثم بعثت ثقيف وفداً بعد إسلام عروة بأشهر، إذ رأوا أن لا طاقة لهم على حرب النبيﷺ ومن حوله وقد بايع سائر العرب، فقدم وفدهم إلى المدينة،

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٩٢٥، سيرة ابن كثير ٣: ٦٦٧، الطبقات الكبرى ٢: ١٠٠

(٢) سيرة ابن كثير ٣: ٦٩٥.

(٣) انظر تاريخ الطبري ٢: ٣٦٣ تاريخ الكامل ٢: ٢٨٣ – ٢٨٥، طبقات ابن سعد ١: ٣١٢.

وأسلموا بعد المفاوضات التي جرت بينهم، وحسن إسلامهم، وأصبح عروة بن مسعود الثقفي قدوة لهم في شهادته وإسلامه[1].

فتحقق ما كان يراه النبي ﷺ في إسلامهم، واستجاب الله دعائه فيهم.

الإنباء عن موت النجاشي في الحبشة

عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي: «**مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلّوا على أخيكم أصحمة**»[2]، وكان النجاشي عبداً صالحاً لبيباً ذكياً، وعادلاً عالماً، وهو الذي ورد عليه جعفر بن أبي طالب ﷺ وأصحابه من المسلمين مهاجرين، فأكرمهم وأحسن إليهم، وأظهر اعتقاده بدين الاسلام، وقد أرسل كتاباً إلى النبي ﷺ يظهر فيه إيمانه، وبعث إليه هدايا ثمينة.

وقد وقع موته على بعض الأقوال في شهر رجب في السنة التاسعة من الهجرة وقبل تبوك وفي بعض المرويات كانت وفاته قبل الفتح بمدة وبعد فتح خيبر والله العالم.

ومهما يكن من أمر، قال جابر بن عبد الله: صلّى بنا رسول الله ﷺ ثم قال: «**إنّ النجاشي أصحمة توفّي هذه الساعة فاخرجوا بنا إلى المصلّى نصلّي عليه**» فصلّى عليه وكبّر أربعاً، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلّي على علج نصراني لم يره قط: فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ ﴾[3]، ثم جاء الخبر بموت النجاشي من تجار وردوا المدينة[4].

وعن قتادة وجابر في قوله: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ... ﴾ نزلت في النجاشي، لما مات نعاه جبرئيل إلى النبي ﷺ فجمع الناس في البقيع، وكشف

---

(١) تجد مقتطفات غزوة الطائف في سيرة ابن كثير ٣: ٦٥٢ – ٦٦٦، مغازي الذهبي: ٤٩١ – ٤٩٥، البحار ٢١: ١٨١ – ١٨٤، إمتاع الأسماع ٢: ٢٢ – ٢٥.

(٢) سيرة ابن كثير ٢: ٢٩عن البخاري في كتاب الجنائز، إمتاع الأسماع ٢: ٤٦.

(٣) آل عمران: ١٩٩.

(٤) أعلام النبوة للماوردي: ١٥٦،أخرجه عن البخاري وأبو داود والترمذي.

له من المدينة إلى أرض الحبشة، فأبصر سرير النجاشي وصلّى عليه، فقالت المنافقون في ذلك، فجاءت الأخبار من كل جانب أنه مات في ذلك اليوم وفي تلك الساعة، وما علم هرقل بموته إلا من تجار وردوا من المدينة[1].

وروي مسنداً عن علي عليه السلام: قال لما أتاه جبرئيل ينعى النجاشي بكى رسول الله بكاءً حزيناً وقال: «**إنّ أخاكم أصحمة مات**» ثم خرج إلى الجبّانة وكبّر سبعاً، فخفض له كل مرتفع حتى رأى جنازته وهو بالحبشة[2].

وفي رواية عن أم كلثوم، أنه لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة قال: «**قد أهديت إلى النجاشي أواقي من مسك وحلّة وإني لأراه قد مات، ولا أرى الهدية إلا سترّدّ عليّ، فإن ردّت عليّ -أظنه قال- قسّمتها بينكنّ، أو فهي لك**» قال: فكان كما قال رسول الله ﷺ مات النجاشي وردّت الهدية، فلما ردّت عليه أعطى امرأة من نسائه أوقية من ذلك المسك، وأعطى سائره أمّ سلمة، وأعطاها الحلة[3].

غزوة تبوك وما صدر فيها من الإنباء

حدثت هذه الغزوة في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، وعلى أثر أخبار وصلت إلى النبي ﷺ تعرب عن تهيّؤ الروم لغزو المسلمين وزحفهم على الشريط الحدودي لأرض الشام، وقد التحقت بهم القبائل الحدودية، وكان وصول هذا الخبر عن طريق القوافل التجارية العاملة على خط الحجاز والشام.

فصمّم رسول الله ﷺ على أن يجهّز لمواجهتم جيشاً عظيماً وعلى مستوىً يناسب عُدّة الروم وعددهم، فأمر المسلمين بالتهيؤ واتخاذ العُدّة الوافرة بحيث تكفيهم لمدة طويلة، واتفق هذا الحادث في زمان عسرة، وشدة الحرّ وجدب من البلاد، وقد طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

وبالرغم من ذلك لبّى جماعة من المسلمين هذه الدعوة بقلوب موقنة

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٩٣، البحار ١٨: ١٣٠.

(٢) سنن البيهقي ٤: ٥٠، الخصال للصدوق: ٣٥٩، عيون أخبار الرضا: ١٥٤.

(٣) سيرة ابن كثير ٣: ٥٢٥، دلائل النبوة ٤: ٤١٢، البداية والنهاية ٤: ٣١٧.

ونفوس مطمئنة، وتثاقل الكثير من ذوي المصالح والأهداف عن الخروج محتجّين بالحرّ تارة، وبُعد المسافة أخرى، وقوة العدو ثالثة، إلى غير ذلك مما كانوا يتعلّلون به ويتهامسون فيه لتثبيط عزيمة المسلمين وتضعيف معنوياتهم.

فكانت هذه الغزوة محكّاً عظيماً لمعرفة الصادقين وتمييزهم عن الكاذبين وكشفت القناع عن وجوه المنافقين الذين نزلت في ذمهم آيات في القرآن الحكيم، منها: قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ وقوله حاكياً عنهم: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1].

ومن ثَمّ كان عدد المتخلفين عن تبوك من المنافقين والإنتهازيين كثيراً جداً لا يؤمن مكرهم وتحرّكاتهم ضد النبي، وعليه فلا مناص من أن يتّخذ النبي ﷺ تدبيراً حكيماً عند خروجه من المدينة، كي تأمن ساحة المدينة من شيطنتهم، وهو أن ينصب عليها شخصاً مقتدراً مهاباً يعتمد عليه من كلّ الجهات، وهذه السمات لم تكن إلا في علي عليه السلام، فلذلك أتاه جبرئيل بأمر من الجليل وقل: **«يا محمد إنّ العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك يا محمد: إما أنت تخرج ويقيم عليّ، أو تقيم أنت ويخرج عليّ، لابدّ من ذلك، فإنّ علياً قد ندبته لإحدى اثنتين، لايعلم أحدٌ كنه جلال من أطاعني فيهما، وعظيم ثوابه غيري..»**[2].

فأنبأ ﷺ علياً عليه السلام بما نزل في شأنه، وأمره ﷺ بالبقاء، ونصبه خليفة على المدينة، كما خلّف موسى عليه السلام هارون، وقل له: **«أنت خليفتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي، يا علي إنّ المدينة لا تصلح إلا بي وبك»** وخرج من المدينة مع المسلمين.

فنصبُ علي عليه السلام بالخلافة على المدينة يعرب عن أهمية المسألة وقوة دراية النبي عمّا يكنّه المنافقون من انتهاز فرصة غيابه ﷺ عن المدينة، وإثارة الفتنة

---

(١) التوبة: ٤٩ و٨١.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ١: ٥٩، وعنه في البحار٢٢: ٢١، عن الامام العسكري عليه السلام.

فيها، فرجّح -ولأول مرة- بقاء علي عليه السلام لإخماد المؤامرة التي لا يتفوّق عليها إلا هازم الأحابيش وقاتل الصناديد.

بيد أنّ تدبير النبي ﷺ هذا قد أزعج المتربّصين، لأنهم عرفوا أنّ بقاء علي عليه السلام سيبطل مخططاتهم، وسيحول بينهم وبين ما عزموا عليه من الثورة والسيطرة على عاصمة الإسلام والقضاء على دين محمد ﷺ، فرأوا أن يرجفوا به ويبثّوا الشايعات على أنّ رسول الله ﷺ لم يخلّف علياً إلا استثقالاً منه واستخفافاً به، ريثما يستعمل النبي ﷺ من هو أضعف من علي عليه السلام، وتبقى الساحة بأيديهم لمدة طويلة يفعلون ما يشاؤن.

ولإبطال هذه الشايعات، سرعان ما أخذ عليٌّ عليه السلام سلاحه ولحق بالنبي ﷺ وهو بالجرف ورجع إلى المدينة وقد أبطل جميع الشائعات، وذلك أنه قال: يا نبي الله لقد زعم المنافقون بأنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وتخفّفت مني.

فقال النبي ﷺ: «كذبوا، ولكنّي خلّفتك لما تركت ورائي، إنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وفي بعض المرويات: «لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي وأنت وليّ كل مؤمن ومؤمنة من بعدي»[1].

والظاهر اتفاق المؤرخين والمحدثين وأصحاب السيَر على أصل الحديث (أما ترضى أن تكون...) وأما مازاد عن حديث المنزلة فقد وقع الاختلاف في النقل بما لا يؤثر في أصل الفضيلة الواردة عنه ﷺ في شأن أمير ا لمؤمنين عليه السلام.

فلما أبطل الشائعات أخذ في الرجوع إلى موضعه، وعظم ذلك الفشل على الفجرة، ورأوا أنّ علياً إذا رجع إلى المدينة أبطل جميع المؤامرات، فدبّروا على قتله قبل وصوله إليها، كي ينفذوا بقتله مؤامرتهم في المدينة.

مؤامرة المنافقين في قتل أمير المؤمنين عليه السلام

فحفروا -كما عن الإمام العسكري عليه السلام- في طريقه حفرة طويلة تبلغ خمسين

---

(١) أنظر الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٨، إمتاع الأسماع ٥: ٢، مغازي الذهبي: ٥٢٤، إعلام الورى ١: ٢٤٤، وعنه في البحار ٢٤٥: ٢١، وفيه أنه قال: «طال ما آذت الأمم أنبياءها...».

ذراعاً، ثم غطّوها بحُصر دقاق، ونثروا فوقها يسيراً من التراب، بقدر ما غطّوا وجوه الحصر، وكان ذلك على طريق عليٍّ عليه السلام الذي لا بدّ له من سلوكه، ليقع هو ودابّته في الحفيرة التي قد عمّقوها، وكان ما حوالي المحفور أرضاً ذات حجارة، دبرّوا على أنّه إذا وقع مع دابته في ذلك المكان كبسوه بالأحجار حتى يقتلوه بها.

إخبار الدابة عن كيد المؤتمرين

فلمّا بلغ عليٌّ عليه السلام قرب المكان لوّى فرسه عنقه، وأطاله الله فبلغت جحفلته أذنه[1]، وقال: يا أميرالمؤمنين قد حفروا هنا ودبّر عليك الحتف، وأنت أعلم، لاتمرّ فيه، فقال له عليٌّ عليه السلام: جزاك الله من ناصح خيراً، كما تدبّر تدبيري، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يخليك من صنعه الجميل، وسار حتى شارف المكان فتوقّف الفرس خوفاً من المرور على المكان، فقال عليٌّ عليه السلام: سير بإذن الله سالماً سوياً، عجيباً شأنك بديعاً أمرك، فتبادرت الدابة، فإذا ربك عزّ وجلّ قد متّن الأرض وصلّبها ولأم حفرها، وجعلها كسائر الأرض.

فلمّا جاوزها عليٌّ عليه السلام لوّى الفرس عنقه ووضع جحفلته على أذنه ثم قال: ما أكرمك على ربّ العالمين، أجازك على هذا المكان الخاوي، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام جازاك الله بهذه السلامة عن تلك النصيحة التي نصحتني،ثم قلّب وجه الدابة إلى ما يلي كفلها، والقوم معه بعضهم كان أمامه، وبعضهم خلفه، وقال: اكشفوا عن هذا المكان، فكشفوا عنه فإذا هو خاو، ولا يسير عليه أحد إلا وقع الحفرة، فأظهر القوم الفزع والتعجب مما رأوا، فقال علي عليه السلام للقوم: أتدرون من عمل هذا؟ قالوا: لا ندري، قال عليٌّ عليه السلام: لكنّ فرسي هذا يدري، يا أيها الفرس كيف هذا؟ ومن دبّر هذا؟ فقال الفرس: يا أميرالمؤمنين إذا كان الله عزّ وجلّ يُبرم ما يروم جُهّال الخلق نقضه، أو كان ينقض ما يروم جُهّال الخلق إبرامه فالله هو الغالب والخلق هم المغلوبون، فعل هذا يا أميرالمؤمنين فلان وفلان إلى أن ذكر العشرة بمواطأة عن أربعة وعشرين هم مع رسول الله صلى الله عليه وآله في طريقه، ثم دبّروا هم على أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله على العقبة،

(١) الجحفلة لذي الحافر كالشفة للانسان.

والله ﷻ من وراء حياطة رسول الله ﷺ ووليّ الله لا يغلبه الكافرون.

فأشار بعض أصحاب أمير المؤمنين ﷺ بأن يكاتب رسول الله ﷺ في ذلك ويبعث رسولاً مسرعاً، فقال أمير المؤمنين ﷺ إنّ رسول الله إلى محمد أسرع، وكتابه إليه أسبق، فلا يهمنّكم هذا.

الإنباء عما حدث لأمير المؤمنين ﷺ

وفي نفس الوقت أنبأ رسول الله ﷺ عن تدبير المنافقين في قتل عليٍّ ﷺ وهو نازل بتبوك، إذ جمعهم فقال لهم: **«هذا جبرئيل الروح الأمين يخبرني أنّ علياً دُبرّ عليه كذا وكذا، فدفع الله ﷻ عنه من ألطافه وعجائب معجزاته بكذا وكذا، أنه صلّب الأرض تحت حافر دابته وأرجل أصحابه، ثم انقلب على ذلك الموضع عليٌّ ﷺ وكشف عنه فرئيت الحفيرة، ثم إنّ الله ﷻ لائمها كما كانت لكرامته عليه، وإنه قيل له: كاتب بهذا وأرسل إلى رسول الله ﷺ فقال: رسول الله إلى رسول الله ﷺ أسرع، وكتابه إليه أسبق»**.

ولم يخبرهم النبي ﷺ بما قال عليٌّ ﷺ على باب المدينة: إنّ مع رسول الله ﷺ منافقين سيكيدونه، ويدفع الله تعالى عنه.

فلما سمع الأربعة والعشرون أصحاب العقبة ما قاله رسول الله ﷺ في أمر عليّ ﷺ قال بعضهم لبعض: ما أمهر محمداً بالمخرقة، وإنّ فيجاً[1] مسرعاً أتاه، أو طيرا من المدينة من بعض أهله وقع عليه؟ إنّ علياً قتل بحيلة كذا، فهو الذي واطأنا عليه أصحابنا، فهو الآن لمّا بلغه كتم الخبر، وقلّبه إلى ضده، يريد أن يسكّن من معه، لئلا يمدّوا أيديهم عليه، وهيهات والله ما لبّث علياً بالمدينة إلا حينه ولا أخرج محمداً إلى هاهنا إلا حينه، وقد هلك عليٌّ ﷺ وهو ههنا هالك لا محالة، ولكن تعالوا حتى نذهب إليه ونظهر له السرور بأمر عليٍّ ليكون أسكن لقلبه إلينا، إلى أن نمضي فيه تدبيرنا، فحضروه وهنّؤوه على سلامة عليٍّ من الورطة التي رامها أعداؤه.

ولأجل أن يغطّوا ما هم عليه أخذوا يسألونه عن فضل عليٍّ ﷺ على

---

(١) الفيج: رسول السلطان الذي يسعى على رجليه.

الملائكة، فأخبرهم رسول الله ﷺ عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته وتقدمهم عن سائر الخلق، إذا احتملوا ما حملوه من الأثقل وقاسوا ما هم فيه بعرض من أعوان الشياطين... ثم أنبأ ﷺ عمّا سيقع على أهل بيته من العدوان والإضطهاد من جانب الأعداء، بما فيه تعريض على السائلين لمعاداتهم علياً وأهل بيته[1].

الإنباء عن مقالة المنافق حينما ضلّت ناقة رسول الله ﷺ

وفي طريق تبوك ضلّت ناقة رسول الله ﷺ، فخرج أصحابه في طلبها، فقام أحد المنافقين «زيد بن الصلّت القينقاعي» وقال: أليس محمد يزعم أنّه نبي، ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟.

فأنبأ رسول الله ﷺ عن مقالة المنافق وقال: «إنّ رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله، وقد دلّني الله عليها وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا، وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها» فذهب بعض الصحابة من فورهم وجاؤا بها[2].

وقد تقدمت مثل هذه النبوءة منه ﷺ في حادث آخر، ولا يبعد وقوعها مرتين.

ولأجل ما لاقاه ﷺ في غزوة تبوك من الجهد روي أنه قال لأصحابه: «ألا أسركم» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إنّ الله تعالى أعطاني الكنزين فارس والروم، وأمدّني بالملوك، ملوك حمير يجاهدون في سبيل الله ويأكلون فيء الله»[3]، فكان ذلك.

أبوذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده

وكان من نبوءاته ﷺ في طريق تبوك عند ما قصرت ببعض المسلمين رواحلهم، و تخلّف أبوذر الغفاري رحمه الله عن رسول الله ﷺ حيث أبطأ به

---

(١) أنظر الاحتجاج ١: ٥٥ -٦٦، البحار ٢١: ٢٢٦.

(٢) دلائل النبوة ٥: ٢٣٢، سيرة ابن هشام ٤: ٩٥٠، السيرة الحلبية ٣: ١٠٧، الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٩، إمتاع الأسماع ٢: ٥٦، مغازي الذهبي: ٥٣٢، البحار٢١: ٢٥٠ عن المنتقى.

(٣) أعلام النبوة للماوردي: ١٦٠.

بعيره فأخذ يعالجها ريثما تصحو فيلتحق بجيش الإسلام، لكنها كانت محاولة دون جدوى، فترك البعير وحمل متاعه على ظهره وجعل يجدّ السير ليلحق بالنبي ﷺ، فنظر أحد المسلمين إلى رجل مسرعاً يمشي وحده يريد اللحاق بهم، فأخبر رسول الله ﷺ، فقال: «**رحم الله أباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده**».

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر» فلما تأمله الناس قالوا: هو أبو ذر، فقال ﷺ: «**يرحم الله أباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده، وتشهده عصابة من المؤمنين**».

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ بعد مضيّ ثلاثة وعشرين عاماً، حينما ناهض أبوذر حكم الطغاة والجبابرة وجهر بالحق وما خاف في الله لومة لائم، ولما لم يجدوا سبيلاً إلى إسكاته نفوه إلى مغارة من الأرض بعيدة عن الناس، وظلّ فيها ما بقي من عمره يجالد المأساة ويعاني الكربات، وليس معه إلا زوجته وابنته، فسُلِب قواه حتى غدى طريح الفراش، وعند ما كان في دقائقه الأخيرة من حياته، وامرأته جالسة عنده، وهي تمسح بيدها عرق جبينه وتبكي لغربته وفقد المعين، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أبكي أنه لا بدّ لي بتغيّبك، فظهر الإبتسام عليه وقال: لا تبكي عليّ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول: «**ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين**».

ثم قال: فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة فراقبي الطريق، فإنك سوف ترين ما أقول لك، فإني والله ما كذبت ولا كُذّبت، ثم فاضت روحه الشريفة.

فما كان: إذ أقبل ركب من الكوفة قاصدين الحجاز فاستغاثت بهم، وكان في الركب عظماء من أصحاب الرسول، ممّن سمعوا كلام النبي ﷺ وثناءه على أبي ذر، ولمّا حضروا جنازته ذكروا ما أنبأ به ﷺ في أبي ذر، فاغرورقت عيونهم بالدمع، فقال ابن مسعود: صدق رسول الله ﷺ «**تمشي وحدك وتموت وحدك**»، فغسّلوه وكفّنوه وصلّى عليه ابن مسعود، ولما دفنوه وقف مالك الأشتر عند قبره، وقال: اللهم إنّ هذا صاحب رسول الله ﷺ عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين، لم يغيّر ولم يبدّل، لكنّه رأى غريباً منكراً فغيّره بلسانه وقلبه،

حتى جُفي وحُرِم واحتُقِر، ثم مات وحيداً غريباً[1].

ويناسب هنا ذكر نبوءة أخرى للنبي ﷺ تحققت في أبي ذر الغفاري.

فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: أتى أبوذر رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد اجتويت المدينة أفتأذن لي أخرج أنا وابن أخي على مزينة فنكون بها؟ فقال ﷺ: **«إني أخشى أن يغير عليك خيل من العرب، فيقتل ابن أخيك فتأتيني شعثاً، فتقوم بين يدي متكئاً على عصاك فتقول: قتل ابن أخي وأخذ السرح»**.

فقال: يا رسول الله، بل لا يكون إلا خيراً إن شاء الله، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج هو وابن أخيه وامرأته، فلم يلبث هناك إلا يسيراً حتى غارت خيل لبني فزاره فيها عيينة بن حصن، فأخذت السرح، وقتل ابن أخيه وأخذت امرأته من بني غفار، وأقبل أبوذر يشتدّ حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ وبه طعنة جائفة، فاعتمد على عصاه وقال: صدق الله ورسوله، أخذ السرح وقتل ابن أخي وقمت بين يديك على عصاي، فصاح رسول الله ﷺ في المسلمين، فخرجوا في الطلب فردّوا السرح وقتلوا نفراً من المشركين[2].

الإنباء عن قول المنافقين: لكأننا بكم غداً مقرّنين في الحبال

ومن نبوءاته ﷺ: إنه قبل وصوله إلى تبوك قال بعض المنافقين لبعض: أتحسبون أنّ جِلاد بني الأصفر (الروم) كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأنهم (الصحابة) غداً مقرّنون في الحبال، يقولون ذلك إرجافاً وترهيباً للمؤمنين.

فقال ﷺ لعمار بن ياسر: **«أدرك القوم فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا، فقل بلى قد قلتم كذا وكذا»**، فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله يعتذرون إليه، وقالوا: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[3].

---

(١) أنظر السيرة الحلبية ٣: ١٠٧-١٠٩، دلائل النبوة ٥: ٢٢٢، الكامل في التاريخ ٢: ٢٨٠.

(٢) الكافي ٨: ١٢٦ ح ٩٦، إجتويت: أي سئمتها وكرهت البقاء فيها، مزينة: قبيلة في الحجاز، الشعث: تفرّق الأمر وانتشاره، السرح: المال السائح من الغنم والبقر وغيره.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ١٠٣، مغازي الذهبي: ٥٣٣، والآية في سورة التوبة: ٦٥.

ستهبّ عليكم الليلة ريح شديدة

وفي طريق تبوك مرّ جيش الإسلام على وادي القرى فصادف حديقة لامرأة، قال الراوي: فقال رسول الله ﷺ: «أخرصوها» فخرصناها وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق، وقال للمرأة: «أحصيها حتى ترجع إليك إن شاء الله»، وهذه نبوءة منه ﷺ قد ظهر صحتها عند رجوعهم على تلك الحديقة، فسألوا المرأة كم بلغ ثمرها؟ قالت: عشرة أوسق[1].

ولما نزلوا بالحجر وبها أطلال لمنازل ثمود منقورة في الصخرة، أنبأ رسول الله ﷺ أصحابه بهبوب الريح والعواصف الشديدة في تلك الليلة، فقال: «ستهبّ عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد، فمن كان له بعير فليشدد عقاله»، ونهى الناس أن يخرج أحد منهم وحده تلك الليلة إلا ومعه صاحبه.

فتحققت نبوءة رسول الله ﷺ، حيث هبّت الريح، فخرج واحد منهم لحاجته فخُنق، وخرج آخر فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيّ، فأخبر عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه» ثم دعا للذي خُنق فشفي، والذي أُلقي في جبل طيّ أرسلته طيّء إلى رسول الله حين قدم المدينة[2].

ونهى الناس أن يستقوا من آبارها ويدخلوها، فدخلها بعض المسلمين، فقال النبي ﷺ لهم: «على ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم؟» فناداه رجل فقال: تعجب منهم يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ألا أنبّأكم بما هو أعجب من ذلك، رجل من أنفسكم ينبّأكم بما قبلكم، وما هو كائن بعدكم، استقيموا وسدّدوا، فإنّ الله ﷻ لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي الله ﷻ بقوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً»[3]، وهذه نبوءة عن المستقبل، تحققت كما قال ﷺ.

---

(١) دلائل النبوة ٥: ٢٣٨، إمتاع الأسماع٢: ٥٤، مغازي الذهبي: ٥٢٥، الخرص: التخمين.

(٢) السيرة الحلبية ٣: ١٠٦، دلائل النبوة ٥: ٢٣٨، الكامل في التاريخ ٢: ٢٧٩، إمتاع الأسماع ٢: ٥٥، البحار ٢١: ٢٤٩.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٦: ١٩٤، وعنه في دلائل النبوة ٥: ٢٣٥، مغازي الذهبي ٥٢٩.

وصول جيش الإسلام إلى تبوك وخروجه منها

وبعد طيّ الطريق المتعب وصل جيش الإسلام تبوك في مطلع شعبان، وقد علمت الروم بكثرة المسلمين وعزمهم على الجهاد والتضحية في سبيل الله، فرأوا الانسحاب إلى داخل البلاد وأن لا يواجهوا جيش الإسلام، وأظهروا بانسحابهم عدم الرغبة في القتال، والحيادهم تجاه الصراع بين الإسلام والكفر، فلما رأى النبي ﷺ تراجعهم، انصرف قافلاً -بعد إقامة بضع عشرة ليلة- إلى المدينة، وكان في الطريق وادٍ -يسمّى المشقق- فيه ماء يخرج من وشل[1] ما يروي الراكب والراكبين، فقال رسول الله ﷺ: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحي النهار، من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقي منه شيئاً حتى نأتيه»، فسبقه إليه بعض المنافقين فاستقوا منه وخالفوا أمر النبي ﷺ، فلمّا أتاه رسول الله ﷺ فلم يرَ فيه شيئاً، فقال: «من سبقنا إلى هذا الماء؟» فقيل له: يا رسول الله فلان وفلان، فقال ﷺ: «أوَلم ننههم أن يستقوا منه شيئاً حتى نأتيه» ثم لعنهم ودعا عليهم، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل، فجعل يصبّ في يده ما شاء الله أن يصبّ، ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو فانخرق منه الماء، وكان له حسٌّ كحسّ الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه.

فقال رسول الله ﷺ «من بقي منكم ليسمعنّ بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه»، وفي رواية إنه ﷺ قال لمعاذ: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ماءها هاهنا قد ملأ جناناً».

وقد تحققت نبوءته ﷺ، حيث قال البيهقي: هي كذلك حتى الساعة.

وفي السيرة الحلبية: حُكي عن بعضهم أنه قال: أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جناناً خضرة نضرة[2].

---

(١) الوشل: الحجر أو الجبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً.

(٢) دلائل النبوة ٥: ٢٣٦، إمتاع الأسماع ٢: ٥٨، ٧١، السيرة الحلبية ٣: ١١٠-١١١، والذي يظهر من نقل المؤرخين أنّ هذا الحادث اتفق مرتين، أحدهما عند تبوك والثاني عند منصرفه منها، وانظر مغازي الذهبي: ٥٢٨، البحار ٢١: ٢٥٠.

الإنباء موت معاوية الليثي بالمدينة

قال أنس بن مالك: كنّا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع نور لم أرها طلعت فيما مضى، فأتى جبرئيل رسول الله ﷺ فقال: «**يا جبرئيل، مالي أرى الشمس اليوم طلعت بضيه ونور وشعاع لم أرها طلعت فيما مضى؟**» فقال: ذاك أنّ معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم، فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلّون عليه، قال: «**وفيم ذاك؟**» قال: كان يكثر قراءة قل هو الله أحد بالليل والنهار وفي مشاه وقيامه وقعوده، فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلّي عليه؟ قال: «**نعم**»، فصلّى عليه، ثم رجع[1].

أُكيدر يصيد البقر

وكان من تدبير النبي ﷺ قبل رجوعه من تبوك أن أرسل إلى بعض القبائل المتاخمة لحدود الحجاز ودعاهم إلى الإسلام أو يدخلوا في الجزية، فقد أرسل خالد بن الوليد إلى أُكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل مع فرقة من المسلمين وأنبأه: «**بأنك ستجده يصيد البقر**»وصدق ما أنبأ به ﷺ.

إذ كان وصول جيش الإسلام إلى دومة في ليلة مقمرة صائفة، وكان الملك على سطح له ومعه امرأته، فما كان إذ نظروا إلى البقر تحكّ بقرونها باب القصر، فقالت له امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟ قال: لا والله، قالت: فمن يترك هذا؟ قال: لا أحد، فنزل فأمر بفرسه فأُسرج له وركب معه نفر من أهل بيته، وفيما هم يطاردون بقر الوحش وإذا جيش رسول الله يتلقّاهم، فأخذ أُكيدر أسيراً إلى النبي ﷺ، وحاول أخوه حسان أن يقاوم فقتل على فوره، وغنم المسلمون ما كان في دومة، وكانت على أُكيدر حلّة ديباج مطرّزة بالذهب فأخذها خالد وأرسلها إلى رسول الله ﷺ، فلما رآها المسلمون أعجبوا بها، فقال رسول الله ﷺ: «**أتعجبون من هذه، فوَ الذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذه**»[2].

---

(١) مغازي الذهبي: ٥٣٦، دلائل النبوة ٥: ٢٤٥، والليثي هو معاوية بن معاوية المزني.

(٢) الكامل في التاريخ ٢: ٢٨١، سيرة ابن كثير ٤: ٣٠-٣١، وانظر البحار ٢١: ٢٤٦.

عجوز من الأعراب تمرّ على ناقة لها معها سقاء

لما نزل جيش الإسلام يتبوك على غيرماء وكانوا نحو ثلاثين ألفاً، فعطشوا وشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فبعث أبا قتادة وأبا طلحة وسمّاك بن خرشة وسعد بن عبادة يلتمسون الماء، فغابوا إلى قائم الظهيرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئاً، وبلغ العطش من الناس والخيل والدوابّ، فصلّى النبي ﷺ بأصحابه متيمّماً، فلمّا فرغ شكوا إليه العطش، فبعث أسيد بن حُضَير وأسامة يلتمسون الماء من الأعراب، فقال المنافقون: إنّ محمداً يخبر بأخبار السماء وهو لا يدري الطريق إلى الماء، فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره بقولهم، وسمّاهم له، فشكى ذلك على سعد بن عبادة، فقال سعد: إن شئت ضربت أعناقهم، فقال: «**لا يتحدّث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه ولكن نحسن صحبتهم ما أقاموا معنا**».

ثم أمر أبا التيهان وأبا قتادة وسهيل بن بيضاء أن يستعرضوا الطريق ويأخذوا على الكثيب، وقال لهم: «**فتقفوا ساعة فإنّ عجوزاً من الأعراب تمرّ بكم على ناقة لها معها سقاء من ماء فاطعموها واشتروا منها بما عزّ وهان وجيئوا بها مع الماء**»، فمضوا حتى بلغوا الموضع الذي وصف لهم فإذا بالمرأة، فقالوا: تبيعينا هذا الماء؟ قالت: أنا وأهلي أجوع إلى الماء منكم، فطلبوا إليها أن تأتي رسول الله ﷺ الماء فأبت، وقالت: إنّ هذا لساحر، خير الأشياء أن لا أراه ولا يراني، فشدّوا وثاقها حتى جاؤا بها مع الماء، فلما وقفت بين يدي رسول الله ﷺ قال: «**خلّوا عنها**» وقال لها: «**تبيعين هذا الماء؟**» قالت: إنّ أهلي أحوج إليه منكم، قال: «**فأذني لنا فيه وليصيرنّ ذلك كما جئت به**» قالت: شأنكم، فقال لأبي قتادة: «**هات الميضأة**»، فقرّبت إليه فحلّ السقاء وتفل فيه وصبّ في الميضأة فوضع يده فيه،ثم قال: «**ادنوا فخذوا**» فجعل الماء يزيد والناس يأخذون حتى ما أبقوا معهم سقاء إلا ملؤه وأرووا خيلهم وإبلهم والميضأة ملأى، ثم زاد رسول الله ﷺ في السقاء حتى ملأت وبقي الميضأة ثلثاه، ثم توضؤا كلهم حين أصبحوا وهو لا يزيد ولا ينقص.

وفي رواية الحلبي إنه قال لها: «**تعلمين والله ما رزأنا من مائك شيئاً، ولكنّ الله هو الذي سقانا**»[1].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي١: ٢١٩، صحيح ابن حبان ٤: ١٢٦.

مؤامرة العقبة

ومن أهم أحداث تاريخ الإسلام هو حادث العقبة، وذلك أنّ المنافقين صمّموا على إنهاء مهمة الرسول المصطفى ﷺ بالقضاء عليه مهما يكن، وأن لا يرجع إلى المدينة سالماً، وكانت هذه المؤامرة بعد رجوع النبي ﷺ من تبوك، وبعد ما فشلت مؤامرتهم في المدينة في قتل علي عليه السلام عند العود إليها وكان النبي ﷺ قد علم بكل المؤامرات عن طريق الوحي.

وشرح المؤامرة على بيان الإمام العسكري عليه السلام: أنه أمر رسول الله ﷺ بالرحيل في أول نصف من الليل الأخير، وأمر منادياً: ألا لا يسبقنّ رسول الله ﷺ أحد إلى العقبة، ولا يطأها حتى يجاوزها رسول الله ﷺ، ثم أمر حذيفة أن يقعد في أصل العقبة فينظر من يمرّ به فيخبر رسول الله ﷺ، وقد أمره ﷺ أن يتشبّه بحجر، فقال حذيفة: يا رسول الله إني أتبيّن الشرّ في وجوه رؤساء عسكرك وإني أخاف إن قعدت في أصل الجبل وجاء منهم من أخاف أن يتقدمك إلى هناك للتدبير عليك يحسّ بي فيكشف عني فيعرفني وموضعي من نصيحتك، فيتّهمني، ويخافني فيقتلني.

انفراج الصخر بأمر رسول الله ﷺ

فقال رسول الله ﷺ: **«إنك إذا بلغت أصل العقبة فاقصد أكبر صخرة هناك إلى جانب أصل العقبة، وقل لها: إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تنفرجي لي حتى أدخل جوفك، ثم يأمرك أن ينثقب فيك ثقبة أبصر منها المارّين، ويدخل عليّ منها الروح لئلا أكون من الهالكين، فإنها تصير إلى ما تقول لها بإذن الله رب العالمين»** فأدّى حذيفة الرسالة، ودخل جوف الصخرة وجاء الأربعة والعشرون على جمالهم وبين أيديهم رجّالتهم، يقول بعضهم لبعض: من رأيتموه ههنا كائناً من كان فاقتلوه،لئلا يخبر محمداً أنهم قد رأونا هنا فينكص محمد، ولا يصعد هذه العقبة إلا نهاراً فيبطل تدبيرنا عليه، فسمعها حذيفة، واستقصوا فلم يجدوا أحداً، وكان الله قد ستر حذيفة بالحجر عنهم فتفرقوا فبعضهم صعد على الجبل وعدل عن الطريق المسلوك وبعضهم وقف على

سفح الجبل يميناً وشمالاً، وهم يقولون: ألا ترون حين محمد كيف أغراه، بأن يمنع الناس من صعود العقبة حتى يقطعها هو،لنخلوا به ههنا فيمضي فيه تدبيرنا وأصحابه عنه بمعزل، وكل ذلك يوصله الله من قريب أو بعيد إلى أُذن حذيفة وبعيه حذيفة.

الصخرة تكلّم حذيفة

فلمّا تمكّن القوم على الجبل حيث أرادوا كلّمت الصخرة حذيفة وقالت: انطلق الآن إلى رسول الله فأخبره بما رأيت وما سمعت، قال حذيفة: كيف أخرج عنك وإن رآني القوم قتلوني مخافة على أنفسهم من نميمتي عليهم؟ قالت الصخرة: إنّ الذي مكنك في جوفي، وأوصل إليك الرُّوح من الثقبة التي أحدثها فيّ هو الذي يوصلك إلى نبي الله وينقذك من أعداء الله، فنهض حذيفة ليخرج وانفرجت الصخرة فحوّله الله طائراً.

حذيفة يطير في الهواء

فطار في الهواء محلّقاً حتى انقضّ بين يدي رسول الله ﷺ ثم أعيد إلى صورته، فأخبر رسول الله ﷺ بما رأى وسمع، فقال رسول الله ﷺ: «أوَ عرفتهم بوجوههم؟» قال: يا رسول الله كانوا متلثمين، وكنت أعرف أكثرهم بجمالهم، فلمّا فتّشوا الموضع ولم يجدوا أحداً أحدروا اللثام، فرأيت وجوههم فعرفتهم بأعيانهم، وأسمائهم فلان وفلان حتى عدّ أربعة وعشرين، فقال رسول الله ﷺ: «يا حذيفة إذا كان الله يثبّت محمداً لم يقدر هؤلاء ولا الخلق أجمعون أن يزيّلوه، إنّ الله تعالى بالغ في محمد أمره ولوكره الكافرون».

ثم قال: يا حذيفة فانهض بنا أنت وسلمان وعمّار وتوكّلوا على الله، فإذا جزنا الثنية الصعبة فائذنوا للناس أن يتبعونا، فصعد رسول الله ﷺ وهو على ناقته وحذيفة وسلمان، أحدهما آخذ بخطام ناقته يقودها والآخر خلفها يسوقها وعمار إلى جانبها، والقوم على جمالهم ورجّالتهم منبثّون حوالي الثنية على تلك العقبات.

وقد جعل الذين فوق الطريق حجارة في دباب فدحرجوها من فوق لينفروا الناقة برسول الله ﷺ لتقع في المهوى الذي يهول الناظر النظر إليه من بُعده،

فلمّا قربت الدباب من ناقة رسول الله ﷺ أذن الله تعالى لها فارتفعت ارتفاعاً عظيماً، فجاوزت ناقة رسول الله ﷺ ثم سقطت في جانب المهوى، ولم يبق منها شيء إلا صار كذلك، وناقة رسول الله ﷺ كأنها لا تحسّ بشيء من تلك القعقعات التي كانت للدباب.

ثم قال رسول الله ﷺ لعمار: **«إصعد الجبل فاضرب بعصاك هذه وجوه رواحلهم فارم بها»**، ففعل ذلك عمار فنفرت بهم وسقط بعضهم فانكسر عضله، ومنهم من انكسرت رجله، ومنهم من انكسر جنبه، واشتدّت لذلك أوجاعهم، فلمّا جبرت واندملت بقيت عليهم آثار الكسر إلى أن ماتوا، ولذلك قال رسول الله ﷺ في حذيفة وأمير المؤمنين عليه السلام: **«إنهما أعلم الناس بالمنافقين»** لقعوده في أصل الجبل ومشاهدته من مرّ سابقاً على رسول الله ﷺ وكفى الله رسوله أمر من قصده، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكسى الذلّ والعار من كان قعد عنه، وألبس الخزي من كان دبّر على عليّ عليه السلام ما دفع الله عنه[1].

وقال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ...﴾ قيل: نزلت في إثنى عشر رجلاً وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك، فأخبر جبرئيل عليه السلام رسول الله بذلك، وأمره أن يُرسل إليهم و يضرب وجوه رواحلهم، وعمار كان يقود دابة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها، فقال لحذيفة: **«إضرب وجوه رواحلهم»** فضربها حتى نحّاهم، فلمّا نزل قال لحذيفة: **«من عرفت من القوم»** فقال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله ﷺ: **«إنه فلان وفلان»** حتى عدّهم كلهم، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال ﷺ: **«أكره أن تقول العرب: لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم»** رواه عن ابن كيسان.

ثم قال: وروي عن أبي جعفر عليه السلام مثله إلا أنه قال: ائتمروا بينهم ليقتلوه، وقال بعضهم لبعض: إن فطن نقول: إنا كنا نخوض ونلعب، وإن لم يفطن نقتله[2].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي٢: ٦٥-٦٦، البحار٢١: ٢٣١-٢٣٢.

(٢) مجمع البيان ٤٤: ٥، وعنه في البحار١٩٦: ٢١، وجاء في الخصال: ٤٩٩ ج٦ عنه بالإسناد عن زياد بن المنذر ذكر أسماء المتآمرين، وعنه في البحار ٢١: ٢٢٢، والاحتجاج للطبرسي ٢: ٦٥-٦٦، ومجمع البيان ٥: ٤٤، وقد روى حادث العقبة أعلام السنة أيضاً فراجع دلائل النبوة ٥: ٢٥٦، البداية والنهاية

وفود العرب

بعدما فتح الله على نبيه مكة المكرمة في السنة التاسعة، وفرغ من تبوك وسائر الغزوات، وأسلمت ثقيف وانتشر الإسلام في شبه جزيرة العرب، ضربت إليه وفود العرب من جميع الأنحاء، إذ كانت تنتظر أمر رسول اللهﷺ مع قريش، لأنها كانت في صدر المعارضة للنبيﷺ، فلما رأت انتصار الإسلام وعلوّ أمر النبيﷺ وفتح مكة، قدمت قبائل الأعراب وافدة إليهﷺ فدخلت في دين الله أفواجاً، كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ولذلك سُمّيت السنة التاسعة بسنة الوفود.

وكان رسول اللهﷺ قد أنبأ بوفود بعض الأشخاص والقبائل عليه.

منها: نبوءتهﷺ عن وفد بني عبد القيس

فقد روي أنّ النبيﷺ كان يحدّث أصحابه إذ قال لهم: «**سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق**» فقام عمر فتوجّه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً، فقال: من القوم؟ قالوا: من بني عبد القيس، قال: فما أقدمكم هذه البلاد أتجارة؟ قالوا: لا، قال: أما إنّ النبيﷺ قد ذكركم آنفاً، فقال خيراً، ثم مشى معهم حتى أتوا النبيﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم، فمنهم من مشى إليه، ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتى أتوا النبيﷺ، فأخذوا بيده فقبّلوها، وتخلّف الأشجّ في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد الرسولﷺ فقبّلها، فقال له النبيﷺ: «**إنّ فيك خُلّتين يحبهما الله ورسوله**» فقال جُبِّلت جُبِّلت عليه أم تخلّقاً مني؟قال: «**بل جُبِّلْ**» قال: الحمد لله الذي جبّلني على ما يحب الله ورسوله.

وفي رواية أخرى: إنهم لما دخلوا عليه طلبوا منه أن يعلّمهم ما يدخلهم الجنة، فعلّمهم رسول الله أحكام الإسلام،ثم نهاهم عن أمورٍ هم قائمون عليها،

٥: ٢٤ –٢٥، إمتاع الأسماع ٢: ٧٤، السيرة الحلبية ٣: ١٢٠، وأشار إليها اليعقوبي في تاريخه٢: ٣٨٧ مجملاً وذكر أنّ حذيفة كان يعرف أسمائهم وانظر أيضاً المحلى لابن حزم الأندلسي ١١: ٢٢٥ وما فيه من الإعتراف ببعض الحقائق.

فقال: «وأنهاكم عن أربع: عن الدُّبّاء، والحنتم، والمزّفت والنقير» قالوا: يا رسول الله وما علمك بالنقير؟ قال: «جذع تنقرونه، ثم تلقون فيه من القطيعاء والتمر، ثم تصبّون عليه الماء حتى يغلي، فإذا سكن شربتموه، حتى إنّ أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف» قال: وفي القوم رجل به ضربة كذلك، قال: كنت أخبأها حياء من رسول اللهﷺ...ثم قال نبي اللهﷺ لأشجّ عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله، الحلم والأناة...»[1].

منها: نبوءتهﷺ: بمسيلمة الكذاب

قدم مسيلمة الكذّاب مع وفد من بني حنيفة على عهد رسول اللهﷺ، وهو يقول: إن جعل لي محمدٌ الأمر من بعده اتبعته، فلما دخل على رسول اللهﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وكان في يد النبيﷺ قطعة من جريد، وقفﷺ على مسيلمة وأصحابه، فقال: «إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنّك الله، وإني أراك الذي أُريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت بن قيس بن شماس يجيبك عني»ثم انصرف.

وكان في كلام النبيﷺ إنباء له عمّا أراده من الأمر بعد رسول الله.

وأما قولهﷺ: «إني أراك الذي أريت...» فروي عنهﷺ أنه قال: «بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إليّ في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا، فأوّلتهما: كذّابَين يخرجان من بعدي، فهذا أحدهما العنسي صاحب صنعاء، والآخر مسيلمة صاحب اليمامة».

وفي رواية قالﷺ: «بينما أنا نائم إذ أُتيت بخزائن الأرض، فوضع بين يديّ سواران من ذهب فكبرا عليّ، وأهمّاني، فأوحي إليّ أن انفخهما، فأوّلتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة».

وقد صدّق الله تعالى رؤيا رسولهﷺ فإنّ الأسود العنسي خرج وكان معه شيطانان يقال لأحدهما سحيق والآخر شقيق، وكانا يخبرانه بكلّ شيء يحدث من أمر الناس، فسار الأسود حتى أخذ ذمار، وكان باذان إذ ذاك مريضاً بصنعاء،

---

(١) دلائل النبوة ٥: ٣٢٦ – ٣٢٧، سيرة ابن كثيرة ٤: ٨٩ – ٩٠، الدباء: القرع كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب، الحنتم: جرار خضر يحمل فيها الخمر، المزفت: إناء طُلي بالزفت فينتبذ فيه.

فلما مات، جاء الأسود شيطانه وهو على قصر ذمار، فأخبره بموت باذان، فنادى الأسود في قومه: يا آل يحابر -ويحابر فخذ من مراد-: إنّ سحيقاً قد أجار ذمار، وأباح لكم صنعاء.

وساق المؤرخون حديثه في تسلّطه على صنعاء واستنكاحه المرزبانة امرأة باذان و... إلى قتله على يد فيروز وابن بُزُرْج.

وأما مسيلمة، فكان من شأنه أنّه ادعى أنّ رسول الله ﷺ قد أشركه في الأمر وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القران، فحصل بذلك فتنة عظيمة لبني حنيفة، فأخذ يسجع السجعات فيقول لهم مضاهاة للقران: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى، ووضع عنهم الصلاة وأحلّ لهم الزنا والخمر.

فقد روي انه جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرؤن قراءة ما أنزلها الله على محمد ﷺ: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً، وكانت آيات نبوءته منكوسة، فقد تفل في بئر قوم سألوه ذلك تبركاً، فجفّ ماؤها، ومسح رأس صبي فقرع قرعاً فاحشاً، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه.

وكان مسيلمة يقصّ جناح الطير ثم يصله، ويدّعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها، وقد تزوج مسيلمة بسجّاح المتنبّأة وكانت تكنّى أم صادر، وله معها أخبار فاحشة، وقد قتل مسيلمة باليمامة[1].

ومنها: نبوءته ﷺ في زيد الخيل

قدم على رسول الله ﷺ وفد طيء وفيهم زيد الخيل وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلّموه وعرض عليهم الإسلام، فأسلموا وحسن إسلامهم.

وقال رسول الله ﷺ: **«ما ذكر رجل من العرب بفضل،ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل الذي فيه»**، ثم سماه زيد الخير،

---

(١) أنظر سيرة ابن كثير٤: ٩٤-٩٧، دلائل النبوة ٥: ٣٣٠-٣٣٦، مغازي الذهبي: ٥٦٧-٥٦٩.

فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، فقال ﷺ: «إن ينج زيد من حُمّى المدينة فإنه» فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه أصابته الحمّى، فمات بها[1].

ومنها: نبوءته ﷺ بقدوم بقيّة أبناء الملوك

فقد أنبأ ﷺ بقدوم وائل بن حجر الحضرمي، وكان أبوه من ملوك حضرموت، فقال: «يأتيكم بقية أبناء الملوك» فلما دخل عليه رحّب به. وأدناه من نفسه وقرّب مجلسه وبسط له ردائه وقال: «اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده» واستعمله على الإقيال من حضرموت، وكتب معه ثلاثة كتب، منها: كتاب إلى المهاجر بن أبي أميه، وكتاب إلى الإقيال والعباهلة، وأقطعه أرضاً، وأرسل معه معاوية بن أبي سفيان فخرج معه راجلاً، فشكا إليه حرّ الرمضاء، فقال: انتعل ظلّ الناقة، فقال: وما يغني عني ذلك، لو جعلتني ردفاً؟ فقال له وائل: أسكت فلست من أرداف الملوك.

وفي رواية ابن عبد البرّ: إنّ رسول الله ﷺ بشّر بقدومه فقال: «يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً راغباً في الله ﷻ وفي رسوله وهو بقية أبناء الملوك...»[2].

منها: نبوءته ﷺ بقدوم جرير بن عبد الله البجلي

في الدلائل عن جرير بن عبد الله، قال: لما دنوت من مدينة رسول الله ﷺ أنخت راحلتي، وحللت عيبتي فلبست حلّتي، فدخلت ورسول الله ﷺ يخطب فسلّم عليّ رسول الله ﷺ، فرماني الناس بالحدق، فقلت لجليسي: يا عبد الله! هل ذكر رسول الله ﷺ من أمري شيئاً؟ قال: نعم ذكرك بأحسن الذكر، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته، فقال: «إنه سيدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يمن، وإنّ على وجهه لمسحة ملك» فحمدت الله على ما أبلاني[3].

منها: نبوءته ﷺ في أهل اليمن

عن أنس بن مالك قال: إنّ النبي ﷺ قال: «يقدم قوم هم أرقّ منكم

---

(١) سيرة ابن كثير ٤: ١٢٢، مغازي الذهبي: ٥٧، دلائل النبوة ٥: ٣٣٧، إعلام الورى ١: ٢٥١.

(٢) سيرة ابن كثيرة ٤: ١٥٤، وانظر دلائل النبوة ٥: ٣٤٩، السنن الكبرى للبيهقي ٣: ٢٢٢.

(٣) دلائل النبوة ٥: ٣٤٦، البحار ٢١: ٣٧١، عن المنتقى.

قلوباً فقدم الأشعريون.

وعنه ﷺ: «أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض» فقال رجل من الأنصار: إلا نحن يا رسول الله؟ فسكت، ثم قال: إلا نحن؟ قال: «إلا أنتم بكلمة ضعيفة».

وقال ﷺ: «جاء أهل اليمن هم أرقّ أفئدة وأضعف قلوباً، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، السكينة في الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، قِبَل مطلع الشمس»[1].

وفي رواية: «الإيمان يمان والفتنة هاهنا، هاهنا يطلع قرن الشيطان».

وفي رواية: «الإيمان هاهنا- وأشار بيده إلى اليمن- والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر»[2].

وفي هذه المرويات أسرار وإشارات إلى فتن تحدث من جهة اليمن ووقوف بعض أهل اليمن في وجه الفتن، وإيحاء إلى حقيقة بعض المفتونين.

ومنها: قوله ﷺ لليماني: إنك سخيٌّ تطعم الطعام

فقد ورد عن أبي عبد الله ﷺ قال: أتى رسول الله وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً وأشدّهم استقصاء في محاجة النبي ﷺ، فغضب النبي حتى التوى عرق الغضب بين عينيه وتربّد وجهه واطرق إلى الأرض، فأتاه جبرئيل فقال: ربك يقرؤك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام، فسكن عن النبي ﷺ الغضب ورفع رأسه وقال له: «لو لا أنّ جبرئيل أخبرني عن الله ﷻ أنك سخيٌ تطعم الطعام لشرّدت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك».

فقال له الرجل: وإنّ ربك ليحبّ السخاء؟ فقال: «نعم» فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت من مالي أحداً[3].

ومنها: قوله ﷺ لأسير: إنّ فيك خمس خصال

قال أبو عبد الله ﷺ: أُتي النبي ﷺ بأُسارى، فأمر بقتلهم ماخلا رجلاً من

---

(١) دلائل النبوة ٥: ٣٥١ – ٣٥٣، سيرة ابن كثير٤: ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري ٥: ١٢٢، سيرة ابن كثير ٤: ١٣٥.

(٣) الكافي ٤: ٣٩ ح ٥.

بينهم، فقال الرجل: كيف أطلقت عني من بينهم؟ فقالﷺ: أخبرني جبرئيلؑ عن الله تعالى: «أنّ فيك خمس خصال يحبها الله ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، والسخاء، وحسن الخلق، وصدق اللسان والشجاعة» فأسلم الرجل وحسن إسلامه[1].

منها: نبوءتهﷺ للأعرابي عن أمور تخصّ به

في كنز الفوائد: روي أنّ النبيﷺ كان يوماً جالساً في نفر من أصحابه وقد صلّى الغداة إذ أقبل أعرابي على ناقة له حتى وقف على باب المسجد، فأناخها ثم عقلها ودخل المسجد يتخطّى الناس والناس يوسّعون له، وإذا هو رجل مديد القامة، عظيم الهامة، معتجر بعمامة، فلما مُثّل بين يدي رسول اللهﷺ أسفر عن لثامه،ثم همّ أن يتكلم فارتجّ،ثم همّ أن يتكلم فارتجّ حتى اعترضه ذلك ثلاث مرات، فلما رآه النبيﷺوقد ركبه الزمع لهى عنه بالحديث ليذهب عنه بعض الذي أصابه، وقد كسا الله نبيه جلالة وهيبة، فلما أنس وفرّخ روعه قال له النبيﷺ: «قل لله أنت ما أنت قائل» فأنشد أبياتاً اعتذاراً عما أصابه، فاستوى رسول اللهﷺ وكان متكئاً، فقال: «أنت أهيب بن سمّاع؟» ولم يره قط قبل وقته ذلك، فقال: أنا أهيب بن سمّاع الأبي الدفّاع القوي المنّاع.

قال: «أنت الذي ذهب جلّ قومك بالغارات، ولم ينفضوا رؤسهم من الهفوات، إلا منذ أشهر وسنوات» قال: أنا ذاك، قال: «أتذكر الأزمة التي أصابت قومك، احرنجم لها الذيخ، وأخلف نوء المريّخ وامتنعت السماء وانقطعت الأنواء واحترقت العنمة، وخفّت البرمة، حتى إنّ الضيف لينزل بقومك وما في الغنم عرق ولا غزر، فترصدون الضبّ المكنون فتقتنصونه؟.

وكأنك قلت في طريقك إليّ لتسألني عن حلّ ذلك وعن حرجه ألا ولا حرج على مضطرّ، ومن كرم الأخلاق برّ الضيف» قال: فقال: لا والله لا أطلب أثراً بعد عين، لكأنك كنت معي في طريقي وشريكي في أمري، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك محمد رسول الله، ثم قال: يا رسول الله زدني شرحاً وبياناً أزدد بك

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي: ٣٠٦، وعنه في البحار ١٨: ١٠٨، أقول: ولعل الأمر بقتلهم كان لما صدر منهم من الإجرام واستحقاقهم بذلك القصاص، وإلا فما كان يقتل الأسير.

إيماناً، فقال له النبيﷺ: «أتذكر إذ أتيت صنمك في الظهيرة فعترت له العتيرة» فقال: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنّ الحارث بن أبي ضرار المصطلقي جمع لك جموعاً ليدهمك بالمدينة، واستعان بي على حربك وكان لي صنم يقال له: واقب فرقبت خلوته، وقممت ساحته، ثم نفضت التراب عن رأسه، ثم عترت له عتيرة، فأتي لأستنجزه في أمري، وأستشيره في أمري واستشيره في حربك إذ سمعت له صوتاً قفّ له شعري، وأشتدّ منه ذعري، فولّيت وهو يقول:

أهيب مالك تجزع ... لا تنأ عني وارجع
واسمع مقالاً ينفع ... جاءك ما لا يدفع
نبي صدق أروع ... فاقصد إليه وأسرع

تأمن وبال المصرع

قال أُهيب: فأتيت أهلي ولم أطّلع أحداً على أمري، فلما كان من الغد أتيته في الظهيرة فرقبت خلوته، وقممت ساحته، وعترت له عتيرة، ثم جدّدته بدمها، فبينا أنا كذلك إذ سمعت منه صوتاً هائلاً فولّيت عنه هارباً، وهو يقول كلاماً في معنى كلامه الأول، قال: فلما كان من الغد ركبت ناقتي، ولبست لأمتي، وتكبدت الطريق حتى أتيتك، فأنر لي سراجك، وأوضح لي منهاجك، قال: فقال النبيﷺ: «قل لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأني محمد عبده ورسوله» فقالها غير مستنكف وأسلم وحسن إسلامه ووقر حبّ الإسلام في قلبه، فقال النبيﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ: «خذ بيده فعلّمه القرآن» فأقام عند النبيﷺ فلما حذق شيئاً من القرآن قال: يا نبي الله إنّ الحارث ابن أبي ضرار قد جمع لك جموعاً ليدهمك بالمدينة فلو وجّهت معي قوماً بسرية تشنّ عليهم الغارة، فوجّه النبيﷺ معه أمير المؤمنين وجماعة من المؤمنين فظفروا بهم واستاقوا إبلهم وماشيتهم[1].

ومنها: نبوءتهﷺ بقدوم تسعة من حضرموت

فقد ورد عن عليؑ أنّ النبيﷺ قال ذات يوم: «يأتيني غداً تسعة نفر من

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ٩٥ – ٩٦، وعنه في البحار ٢١: ٣٧٥، الزمع: الدهش، فزّع الروع: ذهب، إحرنجم: أراد الأمر ثم رجع عنه، الذيخ بالكسر: الذئب، النوء: سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجروطلوع رقيبه من المشرق، العنم شجر ليّن الأغصان، العتيرة: الذبيحة، قفّ شعره: قام فزعاً.

حضرموت، فيسلم منهم ستة نفر، ولا يسلم ثلاثة.

فوقع في قلوب أناس كثير، فقلت: أنا أصدّق الله ورسوله، هو كما قلت يا رسول الله، فقال: «أنت الصديق الأكبر، ويعسوب المؤمنين وإمامهم، ترى ما أرى وتعلم ما أعلم، وأنت أول المؤمنين إيماناً، ولذلك خلقك ونزع منك الشك والضلال، وأنت الهادي الثاني، والوزير الصادق».

فلمّا أصبح رسول الله ﷺ وقعد في مجلسه وأنا عن يمينه، أقبل تسعة رهط من حضرموت، حتى دنوا منه ﷺ، فسلّموا عليه، فردّ عليهم السلام، فقالوا: يا محمد، أعرض علينا الإسلام، فعرض عليهم، فأسلم الستة ولم يسلم ثلاثة، وانصرفوا.

فقال رسول الله ﷺ للثلاثة: «أما أنت يا فلان فتموت بصاعقة من السماء، وأما أنت يا فلان فيضربك أفعي في موضع كذا وكذا، وأما أنت يا فلان فإنك تخرج في طلب إبلك فيستقبلك أناس من كذا فيقتلونك».

فوقع في قلوب كثير من الناس، فقلت: صدق الله ورسوله، لا يتقدّمون ولا يتأخرون عما قلت، فقال ﷺ: «صدّق الله قولك، ولا زلت صدوقاً».

فأتى لذلك ما أتى، فأقبل الستة الذين أسلموا، فوقفوا على رسول الله ﷺ، فقال لهم: «ما فعل أصحابكم؟» فقالوا: والذي بعثك بالحق نبياً ما جاوزوا ما قلت، وكل مات بما قلت، وإنا جئناك لنجدّد الإسلام، ونشهد أنك رسول الله، وأنك الأمين على الأحياء والأموات[1].

إنباءه ﷺ علياً عليه السلام بأنّ الله سيهدي لسانك ويثبّت قلبك

لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك إلى المدينة واستقرّ أمر الإسلام وقدمت وفود العرب عليه، أرسل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن سفيراً، وأن يصلح أمورهم ويقضي بينهم.

فقد روى أحمد بسنده عن أبي البختري، عن علي عليه السلام أنه قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأنا حديث السنّ، قال: فقلت تبعثني إلى قوم يكون بينهم

---

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ١٠٣، كشف اليقين لابن طاووس: ١٩٦.

أحداث ولا علم لي بالقضاء؟ قال: «إنّ الله سيهدي لسانك ويثبّت قلبك» قال: فما شككت في قضاء بين اثنين[1].

وكان من قضائهؑ ما رواه أحمد بسنده عن زيد بن أرقم قال: أتي عليٌّؑ باليمن بثلاثة نفر وقعوا على جارية في طهر فولدت ولداً فادّعوه، فقال عليٌّؑ لأحدهم أتطيب به نفساً لهما؟ فقال: لا، فأقبل على الآخر فقال: أتطيب به نفساً لهذا؟ فقال: لا، فقال: أراكم شركاء متشاكسين، إني مقرع بينكم، فأيكم أصابته القرعة أغرمته ثلثي القيمة وألزمته الولد.

قال: فذكر ذلك للنبيﷺ فقال: «ما أجد إلا ما قال عليٌّ».

وفي رواية قال زيد بن رقم: فأتيت النبيﷺ فأخبرته بقضاء عليٍّؑ، فضحك حتى بدت نواجذه[2].

ولهؑ في القضاء أحكام تحيّر العقول، أخرجها أئمة المذاهب في كتبهم.

إرسال معاذ إلى اليمن والإنباء عما سيسأله أهل الكتاب

وأرسل النبيﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجة الوداع، وأنبأه: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله،فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة،فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنّ الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

وروى ابن إسحاق: أنّ رسول اللهﷺ حين بعث معاذاً، أوصاه وعهد إليه، ثم قال له: «يسّر ولا تعسّر وبشّر ولا تنفّر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسئلونك ما مفتاح الجنة، فقل شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»، فخرج معاذ، حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول اللهﷺ، فأتته امرأة من أهل اليمن، فقالت: يا صاحب رسول الله، ما حقّ زوج المرأة عليها؟ قال:

---

(١) سيرة ابن كثير ٤: ٢٠٧، ورواه أيضاً عن عليؑ بطرق أخرى.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٧٣، وعنه في العمدة ٢٥٤، والصراط المستقيم ٢: ١٠، أعلام النبوة: ١٧٣.

ويحك ! إنّ المرأة لا تقدر على أن تؤدي حقّ زوجها، فلجهدي نفسك في أداء حقه ما استطعت، قالت: والله لئن كنت صاحب رسول اللهﷺ إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة، قال: ويحك! لو رجعت إليه فوجدته تنشعب منخراه قيحاً ودماً، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أدّيت حقه[1].

وروي عن معاذ أنه: لما بعثه رسول اللهﷺ إلى اليمن خرج معه يوصيه وهو راكب و رسول اللهﷺ يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: «**يا معاذ إنك عسى ألا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمرّ بمسجدي هذا وقبري**» فبكى معاذ خشعاً لفراق رسول اللهﷺ، ثم التفتﷺ بوجهه إلى المدينة فقال: «**إنّ أولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا**»[2].

وفي هذا الحديث إنباء على أنّ معاذ لا يجتمع بالنبيﷺ بعد ذلك ؛ وهكذا كان، فإنه أقام باليمن حتى كانت حجة الوداع،ثم كانت وفاتهﷺ بعد مدة، وكان معاذ من الذين تعاهدوا على إزواء الخلافة عن عليؑ، فعاد إلى المدينة بعد ارتحال النبيﷺ وقام بدوره في نجاح الثورة، وقد أظهر الندم في أخريات عمره على ذلك، ولن ينفعه الندم.

وفيه أيضاً دلالة على مشروعية الزيارة بشدّ الرحال والحث عليها،كما حثﷺ معاذاً على زيارة قبره بقوله: «تمرّ...».

الإنباء عن دخول رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان

وكان من نبوءات الرسول المصطفىﷺ إنه قال ذات يوم لأصحابه: «**يدخل عليكم اليوم رجل من ربيعة يتكلّم بلسان شيطان**» فأتاه الحطم بن هند البكري وحده وخلّف خيله خارجة من المدينة، فدعاه رسول اللهﷺ فقال: إلى ما تدعو؟ فأخبرهﷺ، فقال: أنظرني لعلّي أسلم ولي من أشاوره، فخرج من عنده، فقال رسول اللهﷺ: «**لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر**» فمرّ بسرح من سرح المدينة، فساقه وانطلق مرتجزاً.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٠١٠-١٠١١.

(٢) مسند أحمد ٥: ٢٣٥، وعنه في سيرة ابن كثير١٩٢: ٤-١٩٣.

ثم أقبل في العام القابل حاجاً قد قلّد هدياً، فأراد رسول الله أن يبعث إليه فنزلت: ﴿ لَا تُحِلُّوا شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾،فقال ناس من أصحابه: هذا صاحبنا خلّ بيننا وبينه، فقال: «إنّه قد قلّده»[1].

ومنها: نبوءته ﷺ عن طلوع شخص ليس له عهد بأنيس

إنّ رسول الله ﷺ كان في بعض مسيره، فقال لأصحابه: «**يطلع عليكم من بعض هذه الفجاج شخص ليس له عهد بأنيس منذ ثلاثة أيام**» فما لبثوا أن أقبل أعرابي قد يبس جلده على عظمه وغارت عيناه في رأسه، واخضرّت شفتاه من أكل البقل، فسأل عن النبي ﷺ في أول الرفاق حتى لقيه فقال له: أعرض عليّ الإسلام، فقال: «**قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأني محمد رسول الله**» قال: أقررت، قال ﷺ «**تصلّي الخمس وتصوم شهر رمضان**» قال: أقررت، قال: «**تحج البيت وتؤدي الزكاة وتغتسل من الجنابة**»، قال:أقررت.

فتخلّف بعير الأعرابي ووقف النبي ﷺ فسأل عنه، فرجع الناس في طلبه فوجدوه في آخر العسكر قد سقط خفّ بعيره في حفرة من حفر الجرذان فسقط فاندقّ عنق الأعرابي وعنق البعير وهما ميّتان، فأمر النبي ﷺ فضربت خيمة فغُسّل فيها، ثم دخل النبي ﷺ فكفّنه، فسمعوا للنبي ﷺ حركة، فخرج وجبينه يترشّح عرقاً وقال: «**إنّ هذا الأعرابي مات وهو جائع وهو ممن آمن ولم يلبس إيمانه بظلم فابتدرته الحور العين بثمار الجنة يحشون بها شدقه، هذه تقول: يا رسول الله اجعلني في أزواجه، وهذه تقول: يا رسول الله اجعلني في أزواجه**»[2].

ومنها: إنباؤه ﷺ ذا النمرة عن الله تعالى

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يقال له: ذو النمرة، وكان من أقبح الناس، وإنما سُمّي ذو النمرة من قبحه، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني ما فرض الله عليّ؟.

فقال له رسول الله ﷺ: «**فرض الله عليك سبعة عشر ركعة في اليوم**

---

(١) أنظر تفسير مجمع البيان ٣: ٢٦٣-٢٦٤، تفسير القرطبي ٦: ٤٣، والآية في سورة المائدة ٢.

(٢) الخرائج والجرائح ٨٨: ١ ح ١٤٥، وعنه في البحار٧٥: ٢٢.

والليلة،وصوم شهر رمضان إذا أدركته، والحج إذا استطعت إليه سبيلاً، والزكاة وفسّرها له.

فقال: والذي بعثك بالحق نبياً ما أزيد ربي على ما فرض عليّ شيئاً، فقال له النبي ﷺ: **«لِمَ يا ذا النمرة؟»** فقال: كما خلقني قبيحاً، قال:فهبط جبرئيل على النبي ﷺ فقال:يا رسول الله إنّ ربك يأمرك أن تبلّغ ذا النمرة عنه السلام وتقول له: يقول لك ربك: أما ترضى أن أحشرك على جمل جبرئيل يوم القيامة؟ فقال له رسول الله ﷺ: **«يا ذا النمرة هذا جبرئيل يأمرني أن أبلّغك السلام ويقول لك ربك أما ترضى أن أحشرك على جمال جبرئيل؟»**.

فقال ذو النمرة: فإني قد رضيت يا ربّ فوَعزتك لأزيدنّك حتى ترضى[1].

إخباره ﷺ عن نبوءة تُبّع فيه

عن الصادق ﷺ قال: إنّ تبّعاً قال للأوس والخزرج: كونوا هاهنا حتى يخرج هذا النبي، أمّا أنا لو أدركته لخدمته ولخرجت معه،وأنشأ فيه شعراً.

وكتب تبّع كتاباً إلى النبي ﷺ يذكر فيه إيمانه وإسلامه، وأنه من أمته فليجعله تحت شفاعته.

عنوان الكتاب: إلى محمد بن عبد الله، خاتم النبيين ورسول ربّ العالمين، من تبّع الأول، ودفع الكتاب إلى العالم الذي نصح له، ثم خرج منه وسار حتى مات بغلسان- بلد من بلاد الهند- وكان بين موته ومولد النبي ﷺ ألف سنة.

ثم إنّ النبي ﷺ لما بُعث وآمن به أكثر أهل المدينة أنفذوا الكتاب إليه على يد أبي ليلى، فوجد النبي ﷺ في قبيلة بني سليم، فعرفه رسول الله ﷺ فقال له: **«أنت أبو ليلى؟»** قال: نعم، قال: **«ومعك كتاب تبع الأول؟»** فتحيّر الرجل.

فقال ﷺ: **«هات الكتاب»**، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله ﷺ، فدفعه النبي ﷺ إلى علي بن أبي طالب ﷺ فقرأه عليه، فلما سمع النبي ﷺ كلام تبّع قال: **«مرحباً بالأخ الصالح»**- ثلاث مرات- وأمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة[2].

---

(١) الكافي ٣٣٦:٨ ح ٥٣٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٧-١٨، وعنه في البحار٢٢٣: ١٥.

وفي عهد أبي بكر أراد قوم بناء مسجد بساحل عدن، فكلما بنوه سقط، فأتوا أبابكر، فقال: استأنفوا من البناء وافعلوا، ففعلوا وأحكموا فسقط، فعادوا فخطب الناس وناشدهم إن كان لواحد منكم به علم فليقل.

فقال علي عليه السلام: احفروا في ميمنة القبلة وميسرتها فإنه يظهر لكم قبران عليهما كوبة، مكتوب عليها: أنا رضوى وأختي حبّا ابنتا تبّع، لانشرك بالله شيئاً، فاغسلوهما وكفنوهما وصلّوا عليهما وادفنوهما ثم ابنوا مسجدكم فإنه يقوم بناءه، ففعلوا فكان كذا، فقام البناء[1]، وهذا من أنباء الغيب الذي علمّه النبي ﷺ.

ومنها: قوله ﷺ لقريش: إنكم تمطرون غداً

قال الصادق عليه السلام: طلب قوم من قريش إلى النبي ﷺ حاجة، فقال لهم: «**إنكم تمطرون غداً**» فأصبحت كأنها زجاجة وارتفع النهار، قال: فأتاه رجل عظيم عند الناس، فقال: ما كان أغناك عما تكلّمت بالأمس؟ فما رأيناك هكذا !!.

فارتفعت سحابة من قِبَل السور فأمطرت الأودية وجاءهم من المطر ما جاءوا إلى رسول الله ﷺ من أجله، فقالوا: يا رسول الله أُطلب إلى الله أن يكفّها عنا، فقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» فانقشع السحاب يميناً وشمالاً [2].

وروي أيضاً بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى قوم رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّ بلادنا قد قحطت وتوالت السنون علينا، فادع الله تبارك وتعالى يرسل السماء علينا، فأمر رسول الله ﷺ بالمنبر فأُخرج واجتمع الناس فصعد رسول الله ﷺ ودعا، وأمر الناس أن يؤمّنوا، فلم يلبث أن هبط جبرئيل عليه السلام، فقال: يا محمّد أخبر الناس أنّ ربك قد وعدهم أن يمطروا يوم كذا وكذا، فلم يزل الناس ينتظرون ذلك اليوم وتلك الساعة، حتى إذا كانت الساعة أهاج الله عز وجل ريحاً فأثارت سحاباً، وجلّلت السماء وأرخت عزاليها، فجاء أولئك النفر بأعيانهم إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله ادع الله لنا أن يكفّ السماء عنّا، فإنا قد كدنا أن نغرق، فاجتمع الناس ودعا النبي ﷺ وأمر

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٩٠ ح٢٥ وعنه في البحار ١٥: ٢٢٣.

(٢) أنظر الكافي ٨: ٢١٧، فرج المهموم لابن طاووس: ٢٢٢، وعنه في البحار١٨: ١٠٥.

الناس أن يؤمّنوا على دعائه، فقال له رجل من الناس: يا رسول الله أسمعنا فإنّ كل ما تقول ليس نسمع، فقال: «قولوا: اللهم حوالينا ولاعلينا، اللهم صبّها في بطون الأودية وفي نبات الشجر وحيث يرعى أهل الوبر، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً»[1].

ونظير هذه النبوءات والكرامات قد ظهرت منه كراراً، كما قد ظهرت من أوصيائه المعصومين الأئمة الميامين عليهم السلام في مواطن عديدة.

ومنها: قوله ﷺ لرجل: سيبعث عليك قرحة في لحييك...

وكان صدور هذه النبوءة في غزوة ذات الرقاع وعند ما أتاه رجل من محارب يقال له عاصم، فقال: يا محمد أتعلم الغيب؟ قال: **«لا يعلمه إلاّ الله تعالى»** فقال: والله لجملي هذا أحبّ إليّ من إلهك، قال: **«لكن الله أخبرني عن علم غيبه أنه سيبعث عليك قرحة في لحييك حتى تصل إلى دماغك فتمرّنّ والله إلى النار»** فرجع وقد بعث الله قرحة في لحييه وصلت إلى دماغه فجعل يقول: لله درّ القرشي إذ قال بعلم أو زجر فأصاب[2].

ومنها: قوله ﷺ: إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في قفاه فيقتله

والسبب في هذه النبوءة -كما عن الإمام الصادق عليه السلام-: أنّ يهودياً مرّ بالنبي ﷺ فقال: السام عليك، فقال النبي ﷺ: **«عليك»** فقال أصحابه: إنما سلّم عليك بالموت: قال: الموت عليك!؟ قال النبي ﷺ: **«وكذلك رددت»**.

ثم قال النبي ﷺ: **«إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في قفاه فيقتله»** فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً ثم لم يلبث أن انصرف، فقال: **«يا يهودي ما عملت اليوم؟»** قال: ما عملت عملاً إلا حطبي هذا احتملته فجئت به، وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين، فقال: رسول الله ﷺ: **«بها دفع الله عنه»** وقال: **«إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان»**[3].

---

(١) الكافي ٨: ٢١٧-٢١٨، وعنه في البحار ١٨: ٢١، سبل السلام للعسقلاني ٢: ٨٠.

(٢) فرج المهموم لابن طاووس: ٢٢٢، الخرائج والجرائح ١: ١٠٤، وعنه في البحار١٨: ١١٨.

(٣) الكافي٤: ٥ ح٣، وعنه في البحار١٨: ٢١.

ومنها: نبوءته ﷺ عن موت أبناء الأنصاري وإحيائهما بدعائه

روي أنه كان لبعض الأنصار عناق فذبحها، وقال لأهله: اطبخوا بعضاً، واشووا بعضاً، فلعلّ رسولنا يشرّفنا ويحضر بيتنا الليلة ويفطر عندنا، وخرج إلى المسجد، وكان له ابنان صغيران، وكانا يريان أباهما يذبح العناق، فقال أحدهما للآخر: تعال حتى أذبحك، فأخذ السكين وذبحه، فلمّا رأتهما الوالدة صاحت، فعدى الذابح فهرب فوقع من الغرفة فمات، فسترتهما، وطبخت وهيأت الطعام، فلمّا دخل النبي ﷺ دار الأنصاري نزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا رسول الله استحضر ولديه، فخرج أبوهما بطلبهما، فقالت والدتهما: ليسا حاضرين، فرجع إلى النبي وأخبره بغيبتهما، فقال: «**لا بدّ من إحضارهما**» فخرج إلى أمهما فأطلعته على حالهما، فأخذهما إلى مجلس النبي ﷺ فدعا الله فأحياهما وعاشا سنين[1]، ونظير هذه المرأة كانت في بني إسرائيل أيضاً.

ومنها: قوله ﷺ: يدخل عليكم من هذا الباب خير الأوصياء...

قال أنس: فدخل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اذهب عنه الحرّ والبرد**» فلم يجدهما حتى مات، فإنه كان يخرج في قميص في الشتوة[2]،وقد دعا ﷺ بمثله لعلي عليه السلام في خيبر أيضاً.

وفي رواية أخرى قال ﷺ: «**يدخل عليكم من هذا الباب خير الأوصياء وسيد الشهداء وأدنى الناس منزلة من الانبياء**» فدخل علي ابن أبي طالب، فقال رسول الله ﷺ: «**ومالي لا أقول هذا يا أبا الحسن وأنت صاحب حوضي والموفي عني ديني**»[3].

ومنها: نبوءته ﷺ عمن تخلّف في الجبل

كتب رسول الله ﷺ إلى قيس بن عرنة يأمره بالقدوم عليه، فأقبل ومعه خويلد بن الحارث الكلبي حتى إذا دنا المدينة هاب الرجل أن يدخل، فقال له

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٩٣٦، وعنه في البحار١٨: ١٦.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٠٣، وعنه في البحار ١٨: ١٥.

(٣) الأمالي للصدوق: ٢٧٨، وعنه في البحار ٣٨: ١٦.

قيس: أما إذا أبيت أن تدخل فكن في هذا الجبل حتى آتيه، فإن رأيت الذي تحب أدعوك فاتبعني، فأقام ومضى قيس حتى إذا دخل على النبيﷺ المسجد فقال: يا رسول الله أنا آمن؟ قال: «نعم وصاحبك الذي تخلّف في الجبل» قال:فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله،فبايعه وأرسل إلى صاحبه فأتاه، فقال النبيﷺ: «ياقيس إنّ قومك قومي، وإنّ لهم في الله وفي رسوله خلفاً»[1].

ومنها: نبوءتهﷺ عن أسئلة جماعة من المسلمين

جاء في قصص الأنبياء: أنّ رسول الله كان جالساً يوماً فاطّلع عليه عليٌّعليه السلام مع جماعة، فلّما رآهم تبسّم، قال: «جئتموني تسألوني عن شيء إن شئتم أعلمتكم بما جئتم، وإن شئتم تسألوني» فقالوا: بل تخبرنا يا رسول الله، قال: «جئتم تسألونني عن الصنائع لمن تحقّ؟ فلا ينبغي أن يصنع إلا لذي حسب أو دين، وجئتم تسألونني عن جهاد المرأة؟ فإنّ جهاد المرأة حسن التبعّل لزوجها، وجئتم تسألونني عن الأرزاق من أين؟ أبى الله أن يرزق عبده إلا من حيث لا يعلم، فإنّ العبد إذا لم يعلم وجه رزقه كثر دعائه»[2].

ومنها: قولهﷺ: جئتموني تسألونني عن ذي القرنين

وفيه أيضاً بسنده إلى أبي عقبة الأنصاري، قال: كنت في خدمة رسول اللهﷺ فجاء نفر من اليهود، فقالوا لي: استأذن لنا على محمد، فأخبرته فدخلوا عليه، فقالوا: أخبرنا عما جئنا نسألك عنه، قال: «جئتموني تسألونني عن ذي القرنين» قالوا: نعم، فقالﷺ: «كان غلاماً من أهل الروم، ناصحاً للهﷻ فأحبّه الله وملك الأرض، فسار حتى أتى مغرب الشمس...» قالوا: نشهد أنّ هذا شأنه وأنه لفي التوارة [3].

ومنها: قولهﷺ لأبي سفيان: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري

قال ابن عباس: دخل أبو سفيان على النبيﷺ يوماً فقال: يا رسول الله

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٠٣ ح ١٦٨، وعنه في البحار ٢٢: ٧١.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي: ٢٩٢، وعنه في البحار١٨: ١٠٦،ولاحظ كنز العمال ١٦: ٢٤٠.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ٢٩٢، وعنه في البحار ١٨: ١٠٧ ولاحظ الدر المنثور ٤: ٢٤١.

أريد أن أسألك عن شيء، فقالﷺ: «إنّ شئت أخبرتك قبل أن تسألني» قال: افعل، قال: «أردت أن تسأل عن مبلغ عمري» فقال: نعم يا رسول الله.

فقال: «إني أعيش ثلاثاً وستين سنة» فقال: أشهد أنك صادق.

فقال رسول اللهﷺ: «بلسانك دون قلبك».

قال ابن عباس: والله ما كان إلا منافقاً، قال: ولقد كنا في محفل فيه أبو سفيان وقد كفّ بصره، وفينا عليّ؈ فأذّن المؤذّن، فلما قال: أشهد أنّ محمداً رسول الله، قال أبو سفيان: ههنا من يُحتشَم؟ قال واحد من القوم: لا، فقال: لله درّ أخي بني هاشم، انظروا أين وضع اسمه؟ فقال علي؈: أسخن الله عينك يا أبا سفيان، الله فعل ذلك بقوله عزّ من قائل: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾، فقال أبو سفيان أسخن الله عين من قال: ليس هاهنا من يحتشم [1].

وهكذا كان حقد أبي سفيان على النبيﷺ بحيث يسأل عن مدى عمره ويترقّب أجله، وكان إظهاره الإسلام وشهادته بصدق النبيﷺ نفاقاً، وقد أنبأ عنه النبيﷺ، كما أنبأ عن نفاق أمثاله ومقالاتهم كراراً، حتى عُرفﷺ بذلك.

فقد روي أنّ من كان بحضرته من المنافقين كانوا لا يكونون في شيء من ذكره إلا اطّلعه الله عليه وبيّنه، فيخبرهم به، حتى كان بعضهم يقول لصاحبه: أُسكت وكفّ، فوَ الله لولم يكن عندنا إلا الحجارة لأخبرته حجارة البطحاء[2].

قال الراوندي بعد ذكر الحديث: ولم يكن ذلك منه ولا منهم مرّات، بل يكثر ذلك أن يحصى عدده حتى يظنّ ظانّ أنّ ذلك كان بالظنّ والتخمين، كيف وهو يخبرهم بما قالوا على ما لفظوا، ويخبرهم عمّا في ضمائرهم، فكلّما ضوعفت عليهم الآيات ازدادوا عمى لعنادهم[3].

ومنها: نبوءتهﷺ لرهط من اليمن عن كتاب يوشع

جاء في بصائر الدرجات مسنداً عن أمير المؤمنين؈ إنه قال: إنّ يوشع بن

---

(١) قصص الأنبياء: ٢٩٣، وعنه في البحار١٨: ١٠٧و٣١: ٥٢٣،الآية في سورة الإنشراح: ٤.

(٢) الشفاء للقاضي عياض١: ٣٤٥، أعلام النبوة: ١٦٥، المناقب لابن شهر آشوب ١: ١١٣.

(٣) الخرائج والجرائح ١: ٣٦،وعنه في البحار١٨: ١١٠.

نون عليه السلام كان وصي موسى بن عمران عليه السلام وكانت ألواح موسى عليه السلام من زمرّد أخضر، فلما غضب موسى عليه السلام ألقى الألواح من يده، فمنها ما تكسّر، ومنها ما بقي، ومنها ما ارتفع، فلما ذهب عن موسى الغضب قال يوشع بن نون عليه السلام: أعندك تبيان ما في الألواح؟ قال: نعم، فلم يزل يتوارثها رهط من بعد رهط حتّى وقعت في أيدي أربعة رهط من اليمن، وبعث الله محمداً ﷺ بتهامة وبلغهم الخبر، فقالوا: ما يقول هذا النبي؟ قيل ينهى عن الخمر والزنا، ويأمر بمحاسن الأخلاق وكرم الجوار، فقالوا: هذا أولى بما في أيدينا منّا، فاتّفقوا أن يأتوه في شهر كذا وكذا، فأوحى الله إلى جبرئيل: ائت النبيّ فأخبره، فأتاه فقال: إنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً وفلاناً ورثوا ألواح موسى عليه السلام وهم يأتوك في شهر كذا وكذا، في ليلة كذا وكذا، فسهر لهم تلك الليلة، فجاء الركب فدقّوا عليه الباب وهم يقولون: يا محمد، قال: «**نعم يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان، أين الكتاب الذي توارثتموه من يوشع بن نون وصي موسى بن عمران؟**».

قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك محمداً رسول الله، والله ما علم به أحدٌ قطّ منذ وقع عندنا قبلك.

قال: فأخذه النبي ﷺ فإذا هو كتاب بالعبرانية دقيق، فدفعه إليّ، ووضعته عند رأسي فأصبحت بالغداة وهو كتاب بالعربية جليل فيه علم ما خلق الله منذ قامت السماوات والأرض إلى أن تقوم الساعة، فعلمت ذلك[1].

ومنها: قوله ﷺ: سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين الشيطان

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ جالساً في ظلّ حجر كاد أن ينصرف عنه الظل، فقال: «**إنه سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين الشيطان، فإذا جاءكم فلا تكلّموه**» فلم يلبث أن طلع عليهم رجل أزرق فدعاه وقال: «**على ما تشتمونني أنت وأصحابك؟**» فقال: لا نفعل، قال: «**دعني آتك بهم**» فدعاهم، فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، فأنزل الله: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾[2].

---

(١) بصائر الدرجات: ١٦١، وعنه في البحار ١٧: ١٣٨، تفسير نور الثقلين للحويزي ٢: ٧٥.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٦١، وعنه في البحار ١٨: ١١١، دلائل النبوة ٥: ٢٨٢، وبمضمونه في مستدرك

ومنها: قوله ﷺ: إنّ الشيطان قد حال بين عمار وبين الماء

روي أنّ النبي ﷺ أنفذ عماراً في سفر ليستقي، فعرض له شيطان في صورة عبد أسود فصرعه ثلاث مرات، فقال ﷺ: «**إنّ الشيطان قد حال بين عمار وبين الماء في صورة عبد أسود، وإنّ الله أظفر عماراً**»، فدخل فأخبر بمثله[1].

منها: نبوءته ﷺ في رجل أنه من أهل النار

قال أبو سعيد الخدري: كنا نخرج في غزوات مترافقين تسعة وعشرة، فنقسّم العمل، فيقعد بعضنا في الرحال، وبعضنا يعمل لأصحابه ويسقي ركابهم ويصنع طعامهم، وطائفة تذهب إلى النبي ﷺ فاتفق في رفقتنا رجل يعمل عمل ثلاثة نفر: يخبط ويسقي ويصنع طعاماً، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**ذلك رجل من أهل النار**» فلقينا العدو وقاتلناهم، فجُرح وأخذ السهم فقتل به نفسه، فقال: أشهد أني رسول الله وعبده[2].

ومنها: نبوءته ﷺ عن إبليس عليه اللعنة

قال أنس بن مالك: إنّ رسول الله ﷺ كان ذات يوم جالساً على باب الدار ومعه علي بن أبي طالب ؑ إذ أقبل شيخ فسلّم على رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فقال رسول الله ﷺ لعلي ؑ: «**أتعرف هذا الشيخ؟**» فقال علي ؑ: ما أعرفه، فقال ﷺ: «**هذا إبليس**» فقال علي ؑ: لو علمت يا رسول الله لضربته ضربة بالسيف فخلّصت أمتك منه، قال: فانصرف إبليس إلى علي ؑ فقال له: ظلمتني يا أبا الحسن أما سمعت الله ﷻ يقول: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ فوَ الله ما شركت أحداً أحبّك في أمه[3].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا بمنى مع رسول الله ﷺ إذ بصرنا برجل ساجد وراكع ومتضرّع، فقلنا: يا رسول الله ما أحسن صلاته؟!

الحاكم ٢: ٤٨٢، المعجم الكبير ١٢: ٦، والآية في سورة المجادلة: ١٨.

(١) الخرائج والجرائح ١: ٦٠، وعنه في البحار ١٨: ١١١، ونحوه في دلائل النبوة ٧: ١٢٤.

(٢) الخرائج والجرائح١: ٦١، وعنه في البحار ١٨: ١١١، وانظر المعجم الكبير٦: ١٤٣.

(٣) المحاسن: ٣٣٢،وعنه البحار١٨: ٨٨،ولاحظ تاريخ بغداد٤: ٥٧،الآية في سورة الإسراء: ٦٥.

فقال ﷺ: «هو الذي أخرج أباكم من الجنة» فمضى إليه علي عليه السلام غير مكترث فهزّه هزّة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى، واليسرى في اليمنى، ثم قال: لأقتلنّك إن شاء الله، فقال: لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربي مالك تريد قتلي؟ فوَ الله ما أبغضك أحد إلا سبقت نطفتي إلى رحم أمه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد، وهو قول الله ﷻ في محكم كتابه: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ...﴾[1].

وقد وردت روايات كثيرة من الفريقين في هذه الفضيلة الباهرة لأمير المؤمنين عليه السلام من رسول الله ﷺ على أنّ حبّ علي عليه السلام علامة طيب الولادة وبغضه علامة خبث الولادة وشرك الشيطان، ثم إنه لو لا ما مضى في قضاء الله ﷻ من افتتان الناس به وتأخيره إلى الوقت المعلوم لقتله أمير المؤمنين عليه السلام وأراح الناس من فتنته.

بيد أنه سيقتل ويخلص الناس من شرّه بعد قيام دولة الإمام الثاني عشر الذي وعد الله أن يملأ به الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، ونسأل الله تعالى أن يقرّب ذلك الوقت المعلوم ويقرّ أعيننا وجميع المشتاقين بظهوره وتطهير الأرض من إبليس وجنده، آمين رب العالمين.

ومنها: نبوءته ﷺ عن أسئلة الجارود بن عمرو العبدي وصاحبه

حيث قالا للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فحدّثنا عما جئنا نسألك عنه، فقال ﷺ: «أما أنت يا جارود فإنك جئت تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الاسلام وعن المنيحة» قال: أصبت، فقال ﷺ: «فإنّ دماء الجاهلية موضوع، وحلفها لا يزيده الإسلام إلا شدة، ولا حلف في الإسلام، ومن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر الدابة ولبن الشاة».

«وأما أنت يا سلمة بن عباد فجئت تسألني عن عبادة الأوثان، ويوم السباسب، وعقل الهجين، أمّا عبادة الأوثان فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا

---

(١) علل الشرائع للصدوق ١: ١٤٢، وعنه في البحار١٨: ٨٩، ولاحظ مناقب الخوارزمي: ٣٢٤ح ٣٣٢، كفاية الطالب للكنجي: ٧٠، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٤٤٩ ح٤٧٦.

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ... ﴾ وأما يوم السباسب فقد أبدلك الله ﷻ ليلة القدر ويوم العيد لمحة تطلع الشمس لاشعاع لها، وأما عقل الهجين فإنّ أهل الإسلام تتكافأ دماؤهم ويجير أقصاهم على أدناهم، وأكرمهم عند الله أتقاهم» قالا: نشهد بالله أنّ ذلك كان في أنفسنا[1].

ومنها: نبوءته ﷺ عن أسئلة الثقفي والأنصاري

عن أبي جعفر ﷺ قال: إنّ النبي ﷺ صلّى وتفرّق الناس، فبقي أنصاري وثقفي، فقال لهما: «قد علمت أنّ لكما حاجة تريدان أن تسألاني عنها، فإن شئتما أخبرتكما حاجتكما قبل أن تسألاني، وإن شئتما فاسألا».

فقالا: نحب أن تخبرنا بها قبل أن نسألك، فإنّ ذلك أجلى للعمى، وأثبت للإيمان، فقال ﷺ: «يا أخا الأنصار إنك من قوم يؤثرون على أنفسهم وأنت قروي وهذا الثقفي بدويّ أفتؤثره بالمسألة؟» قال: نعم.

قال: «أمّا أنت يا أخا ثقيف فإنك جئت تسألني عن وضوئك وصلاتك، ومالك على ذلك من الأجر...» فأخبره ﷺ بذلك «وأمّا أنت يا أخا الأنصار فجئت تسألني عن حجك وعمرتك وما لك فيها...» فأخبره ﷺ بفضلهما[2].

وهكذا تراه ﷺ يخبر عن ضمائر الناس وعن خبيئة أسرارهم، فيما تقتضيه المصلحة، وكثيراً ما صارت نبوءته ﷺ سبباً لهدايتهم وسعادتهم.

ومنها: ماقال أنس: إنه ﷺ قال لرجل اسمه أبو بدر: «قل لا إله إلا الله» فسأله حجة، فقال: «في قلبك من أربعة أشهر كذا وكذا» فصدّقه وأسلم[3].

ومنها: الإخبار عن الآباء وفضيحة الأعداء

قال أبوعبد الله ﷺ: إنّ أبا بكر وعمر أتيا أمّ سلمة فقالا لها: يا أمّ سلمة

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٩٨-٩٩، وعنه في البحار١٨: ١٣٧، ولاحظ سبل الهدى والرشاد ٦: ٣٠٤. المنيحة: الشاة أو الناقة تدفع إلى من ينتفع من لبنها أوظهرها مدة. السباسب أحد أعياد النصارى، عقل الهجين: دية غير شريف النسب.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٤٢-٦٤٣، وعنه في البحار١٨: ١٣٨، الخرائج والجرائح ٢: ٥١٥.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١: ٩٩، وعنه في البحار ٨: ١٣٨.

إنك قد كنت عند رجل قبل رسول اللهﷺ فكيف رسول الله من ذاك في الخلوة؟! فقالت: ما هو إلا كسائر الرجال.

ثم خرجا عنها، وأقبل النبيﷺ فقامت إليه مبادرة فرقاً أن ينزل أمر من السماء فأخبرته الخبر، فغضب رسول اللهﷺ حتى تربّد وجهه، والتوى عرق الغضب بين عينيه وخرج وهو يجرّ ردائه حتى صعد المنبر، وبادرت الأنصار بالسلاح وأمر بخيلهم أن تحضر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **«أيها الناس ما بال أقوام يتّبعون عيبي؟ ويسألون عن غيبي؟ والله إني لأكرمكم حسباً وأطهركم مولداً وأنصحكم لله في الغيب ولا يسألني أحد منكم عن أبيه إلا أخبرته»**.

فقام إليه رجل فقال: من أبي؟ فقالﷺ: **«فلان الراعي»**.

فقام إليه أخر فقال: من أبي؟ فقالﷺ: **«غلامكم الأسود»**.

فقام إليه الثالث فقال: من أبي؟فقالﷺ: **«الذي تنسب إليه»**.

فقالت الأنصار: يا رسول الله أعف عنّا عفا الله عنك، فإنّ الله بعثك رحمة،فاعف عنّا عفا الله عنك، وكان النبيﷺ إذا كُلّم استحيى وعرق، وغضّ طرفه عن الناس حياءً حين كلّموه، فنزلﷺ[1].

أحاديث أُخرى في الإخبارعن الآباء

منها: ما رواه سليم بن قيس عن سلمان وأبي ذر والمقداد: إنّ نفراً من المنافقين اجتمعوا فقالوا: إنّ محمداً ليخبرنا عن الجنّة وما أعدّ الله فيها من النعيم لأوليائه وأهل طاعته، وعن النار وما أعدّ الله فيها من الأنكال والهوان لأعدائه وأهل معصيته، فلو أخبرنا بآبائنا وأمهّاتنا ومقعدنا في الجنّة والنار فعرفنا الذي يبنى عليه في العاجل والآجل، فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فأمر بلالاً فنادى بالصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد وتضايق بأهله، فخرج مغضباً حاسراً عن ذراعيه وركبتيه حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه.

---

(١) الكافي ٥: ٥٦٥ ح٤١، وعنه في البحار ٢٢: ٢٢٥، حلية الأبرار للبحراني ١: ٣٢٢.

ثم قال: «أيها الناس أنا بشرٌ مثلكم، أوحى إليّ ربي فاختصّني برسالته، واصطفاني لنبوته وفضّلني على جميع ولد آدم، واطّلعني على ما شاء من غيبه، فاسألوني عما بدا لكم، فوَ الذي نفسي بيده لا يسألني رجل منكم عن أبيه وأمّه وعن مقعده من الجنة والنار إلا أخبرته، هذا جبرئيل عن يميني يخبرني عن ربي فاسألوني».

فقام رجل مؤمن يحبّ الله ورسوله فقال: يا نبيّ الله من أنا؟ قال: «أنت عبد الله بن جعفر» فنسبه إلى أبيه الذي كان يدعى به، فجلس قريرة عينه، ثم قام منافق مريض القلب مبغض لله ولرسوله فقال: يا رسول الله من أنا؟ قال: «أنت فلان بن فلان راع لبني عصمة، وهم شرّ حيّ في ثقيف، عصوا الله فأخزاهم» فجلس، وقد أخزاه الله وفضحه على رؤوس الأشهاد، وكان قبل ذلك لا يشك الناس أنه صنديد من صناديد قريش، وناب من أنيابهم، ثم قام ثالث منافق مريض القلب فقال: يا رسول الله أفي الجنة أنا أم في النار؟ قال: «في النار ورغماً»، فجلس وقد أخزاه الله وفضحه على رؤوس الأشهاد، فقام عمر بن الخطّاب فقال: رضينا بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبك يا رسول الله نبياً، ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، أعف عنّا يا رسول الله عفى الله عنك، واستر سترك الله، فقال: «عن غير هذا-أو تطلب سواه- يا عمر؟» فقال: يا رسول الله العفو عن أُمّتك.

فقام عليُّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله أنسبني من أنا ليعرف الناس قرابتي منك، فقال: «يا عليّ خلقت أنا وأنت من عمودين من نور معلّقين من تحت العرش، يقدّسان الملك من قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ثم خلق من ذينك العمودين نطفتين بيضاوين ملتويتين ثم نقل تلك النطفتين في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الزكيّة الطاهرة حتى جعل نصفها في صلب عبد الله، ونصفها في صلب أبي طالب، فجزءٌ أنا، وجزء أنت وهو قول الله ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾.

يا عليّ أنت منّي وأنا منك، سيط[1] لحمك بلحمي، ودمك بدمي، وأنت

---

(١) سيط: اختلط.

السبب فيما بين الله وبين خلقه بعدي، فمن جحد ولايتك قطع السبب الذي فيما بينه وبين الله، وكان ماضياً في الدرجات، يا علي ما عُرف الله إلا بي ثم بك، من جحد ولايتك جحد الله ربوبيّته، يا علي أنت علم الله بعدي الأكبر في الأرض، وأنت الركن الأكبر في القيامة، فمن استظلّ بفيئك كان فائزاً، لأنّ حساب الخلائق إليك ومآبهم إليك، والميزان ميزانك، والصراط صراطك، والموقف موقفك، والحساب حسابك، فمن ركن إليك نجا، ومن خالفك هوى وهلك، اللهم اشهد، اللهم اشهد»،ثم نزلﷺ[1].

ومنها: نبوءتهﷺ عن مجيء أبي الدرداء وإسلامه

روي أنّ أبا الدرداء كان يعبد صنماً في الجاهلية، وأنّ عبد الله ابن رواحة ومحمد بن مسلمة ينتظران خلوة أبي الدرداء، فغاب فدخلا على بيته وكسرا صنمه، فلّما رجع قال لأهله: من فعل هذا؟ قالت: لا أدري، سمعت صوتاً فجئت وقد خرجوا، ثم قالت: لوكان الصنم يدفع، لدفع عن نفسه، فقال: إعطيني حلّتي، فلبسها، فقال النبيﷺ: «هذا أبو الدرداء يجيء ويسلم» فإذا هو جاء وأسلم[2].

ومنها: نبوءتهﷺ لابن الزبير عن شرب الدم وسوء العاقبة

روي أنّ عبد الله بن الزبير قال: احتجم النبيﷺ فأخذت الدم لأهريقه، فلما برزت حسوته، فلما رجعت قال: «ما صنعت؟» قلت: جعلته في أخفى مكان، قال: «ألفاك شربت الدم»، وفي لفظ: «لعلك شربت الدم».

ثم قال: «ويل للناس منك وويل لك من الناس»[3]،وقد تحققت نبوءتهﷺ فيه، إذ صار سبب افتتان أبيه وانحرافه، وخرج هو وأبوه مع عائشة على إمام زمانه أميرالمؤمنينعليه السلام، فنسأل الله العافية وحسن العاقبة.

---

(١) كتاب سُليم بن قيس: ٢٧٦-٢٧٨،وعنه في البحار٢٢: ١٤٧، والآية في سورة الفرقان: ٥٤.

(٢) الخرائج والجرائح١: ٦٤، وعنه في البحار٢٢: ١١٣، سيراعلام النبلاء٢: ٣٤٠،وفيه قالﷺ: «وما أراه جله إلا ليسلم إنّ ربي وعدني بأبي الدرداء أن يسلم»، مستدرك الحاكم ٣: ٣٣٦.

(٣) الخرائج والجرائح ١: ٦٧، وعنه في البحار ١٨: ١١٣، الآحاد والمثاني للضحاك١: ٤١٤، كنز العمال ١٣: ٤٧٠، تفسير القرطبي ٢: ١٠٣، أعلام النبوة للماوردي: ١٦٥، حسوته: شربته.

ومنها: نبوءته ﷺ عن قطع يد زيد بن صوحان

روي أنه ﷺ ذكر زيد بن صوحان فقال: «زيد وما زيد يسبق منه عضو إلى الجنة، فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله[1].

ومنها: نبوءته ﷺ عن شهادة أم فروة الأنصارية

فقد روي: أنّ النبي ﷺ كان إذا أراد الذهاب إلى أمّ فروة الأنصارية، قال لأصحابه: «انطلقوا بنا إلى الشهيدة فنزورها»، وأمر ﷺ أن يؤذن لها ويقام وأن تؤمّ أهل دارها في الفرائض.

فقتلها في أيام عمر غلام وجارية كانا لها، فصلبهما عمر، فكانا أول من صلب في الإسلام، وقد صدّق عمر في هذه المرّة قول رسول الله ﷺ!! فقال: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

وكان من شأنها أنّ النبي لما غزا بدراً قالت: قلت له يا رسول الله ائذن لي في الغزو معك أُمرّض مرضاكم، فعلّ الله أن يرزقني شهادة، قال: «قرّي في بيتك فإنّ الله تعالى يرزقك الشهادة»، فكانت تسمى الشهيدة[2].

وروي عن سلمان الفارسي ما ملخّصه: أنّ امرأة من الأنصار قُتلت تجنّباً بمحبة علي ﷺ يُقال لها: أمّ فروة، وكان علي ﷺ غائباً، فلّما وافى ذهب إلى قبرها ورفع رأسه إلى السماء، وقال: اللهم يا محيي النفوس بعد الموت، ويا منشيء العظام الدارسات بعد الفوت، أحيي لنا أمّ فروة واجعلها عبرة لمن عصاك، فإذا بهاتف قال: يا أميرالمؤمنين امض لما سألت، فرفس قبرها وقال: يا أمة الله قومي بإذن الله تعالى، فخرجت أمّ فروة من القبر وبكت وقالت: أرادوا إطفاء نورك،فأبى الله ﷻ لنورك إلا ضياء، ولذكرك إلا ارتفاعاً، ولو كره

---

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ٩٥، وعنه في البحار ١٨: ١٣١، وروي أنه ﷺ قال: «زيد ومازيد، جندب وما جندب» فسُئل عن ذلك؟ فقال: «رجلان من أمتي، أما أحدهما فتسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها جسده، وأما الآخر فيضرب ضربة تفرق بين الحق والباطل»، فكان زيد بن صوحان قطعت يده في يوم جلولاء، وقيل بالقادسية في قتال الفرس، وقتل يوم الجمل، وأما جندب فهو الذي قتل الساحر عند الوليد بن عقبة، أُسد الغابة٢: ٢٣٤، وجندب: هوجندب بن كعب بن عبد الله.

(٢) السنن الكبرى ٣: ١٣٠، سنن أبي داود ١: ١٤٢، مسند أحمد ٦: ٤٠٥،أعلام النبوة: ١٦٥.

الكافرون، فردّها أمير المؤمنين إلى زوجها وولدت بعد ذلك ولدين غلامين وعاشت بعد أمير المؤمنين ستة أشهر[١].

منها: نبوءتهﷺ عن مدفن أبي أيوب الأنصاري

روي في المناقب: أنّ أبا أيوب الأنصاري رُئي عند خليج القسطنطنية، فسُئل عن حاجته؟ قال: أمّا دنياكم فلا حاجة لي فيها، ولكن إن متّ فقدّموني ما استطعتم في بلاد العدو، فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**يدفن عند سور القسطنطنية رجل صالح من أصحابي**» وقد رجوت أن أكونه، ثم مات فكانوا يجاهدون والسرير يحمل ويقدّم، فأرسل قيصر في ذلك، فقالوا: صاحب نبيّنا وقد سألنا أن ندفنه في بلادك ونحن منفذون وصيّته، قال: فإذا وليّتم أخرجناه إلى الكلاب، فقالوا: لو نُبش هذا قبره ما ترك بأرض العرب نصراني إلا قتل، ولا كنيسة إلا هدّمت، فبنى على قبره قبّة يُسرج فيها إلى اليوم، وقبره إلى الآن يزار في جنب سور القسطنطنية[٢].

ومنها: نبوءتهﷺ عن سعادة رجل مذنب

في حديث عن الرضاؑ قال: قيل لرسول اللهﷺ يا رسول الله هلك فلان، يعمل من الذنوب كيت وكيت، فقال رسول اللهﷺ: «**بل قد نجا ولا يختم الله تعالى عمله إلا بالحسنى ويمحو الله السيئات ويبدلها له حسنات، إنه كان مرّة يمرّ في طريق عرض له مؤمن قد انكشفت عورته وهو لا يشعر، فسترها عليه ولم يخبره بها مخافة أن يخجل، ثم إنّ ذلك المؤمن عرفه في مهواه فقال له: أجزل الله لك الثواب وأكرم لك المآب ولا ناقشك في الحساب، فاستجاب الله له فيه، فهذا العبد لا يختم له إلا بخير بدعاء ذلك المؤمن**».

فاتصل قول رسول اللهﷺ بهذا الرجل فتاب وأناب وأقبل إلى طاعة الله عزّ وجل، فلم يأت عليه سبعة أيّام حتّى أُغير على سُرح المدينة، فوجّه رسول الله في أثرهم جماعة وذلك الرجل أحدهم، فاستشهد فيهم[٣].

---

(١) الثاقب في المناقب: ٢٢٦ ح٢،وفي الخرائج ٢: ٥٤٨ رواه مفصّلاً،وعنه في البحار٤١: ١٩٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب١: ١٢٢، وعنه في البحار٢٢: ١١٣.

(٣) عيون أخبار الرضا ؑ١: ١٨٠، البحار ٥: ١٥٥،و ٤٩: ١٨٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٥.

البساط والإنباء عن حوار عليٍّ عليه السلام مع أصحاب الكهف

فقد روي بالإسناد إلى ابن أبي جعدة قال: حضرت مجلس أنس بن مالك بالبصرة وهو يحدّث، فقام إليه رجل من القوم وقال يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذه الشيمة التي أراها بك؟ فأنا حدثني أبي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البرص والجذام لا يبلو الله به مؤمناً» قال: فعند ذلك أطرق أنس بن مالك إلى الأرض وعيناه تذرفان بالدموع، ثم رفع رأسه وقال: دعوة العبد الصالح علي بن أبي طالب عليه السلام نفذت فيّ، قال: فعند ذلك قام الناس حوله وقصدوه وقالوا: يا أنس حدّثنا ما كان السبب؟ فقال لهم: انتهوا عن هذا، فقالوا: لابدّ من أن تخبرنا بذلك.

فقال: اقعدوا مواضعكم واسمعوا منّي حديثاً كان هو السبب لدعوة علي، إعلموا أنّ النبي ﷺ كان قد أُهدي له بساط شعر من قرية كذا وكذا من قرى المشرق يقال لها هندف، فأرسلني رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف الزهريّ، فأتيته بهم وعنده أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقال لي: «يا أنس أبسط البساط وأجلسهم عليه» ثم قال: «يا أنس اجلس حتى تخبرني بما يكون منهم» ثم قال: «يا عليّ قل: يا ريح احملينا» فقال الإمام علي عليه السلام: يا ريح احملينا، فإذا نحن في الهواء، فقال: «سيروا على بركة الله» قال: فسرنا ما شاء الله، ثم قال: يا ريح ضعينا، فوضعتنا، فقال: أتدرون أين أنتم؟ قلنا: الله ورسوله ووليه أعلم، فقال: هؤلاء أصحاب الكهف والرّقيم كانوا من آيات الله عجباً، قوموا يا أصحاب رسول الله حتى نسلّم عليهم، فعند ذلك، قام أبو بكر وعمر فقالا: السّلام عليكم يا أصحاب الكهف والرّقيم، قال: فلم يجبهما أحد، فقام طلحة والزبير فقالا: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم، فلم يجبهما أحد، قال: فقمت أنا وعبد الرحمن ابن عوف وقلت: السلام عليكم يا أصحاب الكهف أنا أنس خادم رسول الله ﷺ فلم يجبنا أحد.

فعند ذلك قام الإمام عليه السلام وقال: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرّقيم الذين كانوا من آيات الله عجباً، فقالوا: وعليك السلام يا وصّي رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، فقال: يا أصحاب الكهف لِمَ لا رددتم على أصحاب رسول

ﷺ؟فقالوا بأجمعهم: يا خليفة رسول الله إنّا فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى، وليس معنا إذن السلام إلا على نبي أو وصي نبي وأنت وصي خاتم النبيّين وأنت سيد الأوصياء.

ثم قال: أسمعتم يا أصحاب رسول الله؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، قال فاقعدوا في مواضعكم، فقعدنا في مجالسنا، ثم قال: يا ريح احملينا، فحملتنا فسرنا ما شاء الله إلى أن غربت الشمس، ثم قال: يا ريح ضعينا، فإذا نحن في روضة كالزعفران ليس فيها حسيس ولا أنيس، نباتها القيصوم والشيح وليس فيها ماء، فقلنا: يا أمير المؤمنين دنت الصلاة وليس معنا ماء نتوضأ به، فقام وجاء إلى موضع من تلك الأرض فرفسه برجله فنبعت عين ماء، فقال: دونكم وما طلبتم، ولولا طلبتكم لجائنا جبرئيل بماء من الجنّة، قال: فتوضأنا وصلّينا ووقف يصلي إلى أن انتصف الليل، ثم قال: خذوا مواضعكم ستدركون الصلاة مع رسول الله ﷺ أو بعضها، ثم قال: يا ريح احملينا، فإذا نحن بمسجد رسول الله ﷺ وقد صلّى من الغداة ركعة واحدة، فقضيناها وكان قد سبقنا بها رسول الله ﷺ.

ثم التفت إلينا وقال لي: **«يا أنس تحدّثني أم أحدّثك بما وقع من المشاهدة التي شاهدتها أنت؟»** فقلت: بل من فيك أحلى يا رسول الله، قال: فابتدأ بالحديث من أوّله إلى أخره كأنه كان معنا، ثم قال: **«يا أنس تشهد لابن عمّي بها إذا استشهدك؟»** فقلت: نعم يا رسول الله، فلمّا وُلّي أبو بكر الخلافة أتى عليٌّ عليه السلام وكنت حاضراً عند أبي بكر والناس حوله، وقال لي: يا أنس ألست تشهد لي بفضيلة البساط ويوم عين الماء ويوم الجبّ؟ فقلت له: يا عليّ نسيت لكبري، فعندها قال لي: يا أنس إن كنت كتمته مداهنة بعد وصيّة رسول الله ﷺ فرماك الله ببياض في وجهك ولظى في جوفك وعمى في عينيك، فما قمت من مقامي حتى برصت وعميت، والآن لا أقدر على الصيام في شهر رمضان ولا غيره من الأيام، لأنّ الزاد لا يبقى في جوفي، ولم يزل أنس على تلك الحال حتى مات بالبصرة[1].

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ١٦٤، وعنه في البحار٤١: ٢١٧،وانظر مناقب أمير المؤمنين لابن سليمان: ٥٥٤، المناقب لابن شهر آشوب٢: ٣٢٧، غاية المرام: ٦٢٧، الأربعين لابن أبي الفوارس: ٨، المناقب

منها: الإنباء عن منطق البهائم

جاء في إخبار الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام عن منطق الحيوانات والهوام أحاديث كثيرة أخرجها أكثر محدثي الشيعة والعامة نكتفي بذكر نبذة منها مما كان بشأن النبي ﷺ.

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: بينا نحن قعود مع رسول الله ﷺ إذ أقبل بعير حتى برك ورغا وتساقلت دموعه على عينيه، فقال رسول الله ﷺ: «لمن البعير؟» فقيل لفلان الأنصاري، قال: «عليّ به» قال: فأُتي به، فقال له: «بعيرك هذا يشكوك» قال: ويقول ماذا يا رسول الله ﷺ؟قال: «تزعم أنك تستكدّه وتجوّعه» قال: صدق يا رسول الله ليس لنا ناضح غيره وأنا رجل معيل، قال: «فإنه يقول لك: إستكدّ بي وأشبعني» فقال: يا رسول الله ﷺ نخفّف عنه ونشبّعه، قال: فقام البعير فانصرف[1].

وعنه أيضاً قال: بينا نحن يوماً من الأيام عند رسول الله ﷺ قعود إذ أقبل بعير حتى برك ورغا وتسيل دموعه، قال ﷺ: «لمن هذا البعير» قالوا: لفلان، قال ﷺ: «عليّ به» فقال له: «بعيرك هذا يزعم أنه ربّا صغيركم وكدّ على كبيركم ثم أردتم أن تنحروه» قالوا: يا رسول الله ﷺ إن لنا وليمة، فأردنا أن ننحره، قال ﷺ: «فدعوه لي» قال: فتركوه فأعتقه رسول الله ﷺ، فكان يأتي دور الأنصار مثل السائل يشرف على الحجر، فكان العواتق يجبين له العلف حتى يجيء، وقلن: هذا عتيق رسول الله ﷺ، فسمن حتى تضايق به جلده[2].

وعن جابر أيضاً في بعير أتى إلى رسول الله ﷺ تشكو صاحبها في العزم على ذبحها وبيع لحمها... فقال له: «إنّ بعيرك أخبرني أنك عملت عليه حتى إذا أكبرته وأدبرته وأهزلته أردت نحره وبيع لحمه» قال: قد كان ذلك يا رسول الله، قال: «فبعنيه» قال: بل هو لك يارسول الله، قال: «بل بعنيه» فاشتراه

لابن المغازلي: ٣٣٢-٣٣٤، وكلّهم بالإسناد إلى الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، إلا أنّ البعض تصرّف فيه بحذف صدره وذيله، الثاقب في المناقب: ١٧٣، الشيح: النبات المتنوعة وطيبة الرائحة.

(١) بصائر الدرجات: ٣٦٨، الإختصاص للمفيد: ٢٩٥، وعنهما في البحار ١٧: ٤٠٠.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٦٨، الإختصاص للمفيد: ٢٩٥،وعنهما في البحار ١٧: ٤٠١.

رسول الله ﷺ ثم ضرب على صفحته فتركه يرعى في ضواحي المدينة، فكان الرجل منا إذا أراد الروحة والغدوة منحه رسول الله ﷺ، فقال جابر: رأيته وقد ذهب عنه دبره وصلح[1].

وعن الصادق عليه السلام ضمن نقل حديث مثله قال: ثلاثة من البهائم تكلّموا على عهد رسول الله ﷺ: الجمل والذئب والبقرة، فالجمل، فكلامه الذي سمعت، وأما الذئب فجاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع، فدعا أصحابه فكلّم فيه فتنحّوا[2]، فقال رسول الله ﷺ لأصحاب الغنم: «افرضوا للذئب شيئاً» فتنحّوا، ثم جاء الثانية فشكا إليه الجوع، فدعاهم فتنحّوا، فقال رسول الله ﷺ للذئب: «اختلس» -أي خذ- ولو أنّ رسول الله ﷺ فرض للذئب شيئاً ما زاد عليه شيئاً حتى تقوم الساعة.

وأما البقرة: فإنها آمنت بالنبي ﷺ ودلّت عليه، وكان في نخل أبي سالم، فقال: يا آل ذريح تعمل على نجيح صالح[3] يصيح بلسان عربي فصيح بأن لا إله إلا الله رب العالمين محمد رسول الله ﷺ وسيد النبيين وعليٌّ سيد الوصيين[4].

وقد روى الماوردي قصة البقرة عن برد، عن مكحول، قال: بينما أهل ذريح حيّ من عرب اليمن في مجلسهم إذ أقبل عجل وسلّم فسألهم وقال: أهل ذريح أمر نجيح ببطن مكة يصيح بلسان فصيح بشهادة أن لا إله إلا الله فأجيبوه، وقال: وفيه نزل قول الله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ ﴾[5].

ويناسب هنا ذكر قصة للذئب وكلامه في شأن النبي ﷺ.

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٧٠، الاختصاص: ٢٩٩، إعلام الورى ١: ٨٥، البحار ١٧: ٤٠١.

(٢) وفي الاختصاص: فشحّوا، ثم جاء الثانية فشكا إليه فدعاهم فشحّوا، ثم جاء الثالثة فشكا فدعاهم فشحّوا، فدعا رسول الله ﷺ أصحاب الغنم فقال: «افرضوا للذئب شيئاً» ثم أعاد عليهم الثانية فشحّوا، ثم أعاد عليهم الثالثة فشحوا، فقال ﷺ للذئب: «اختلس»، والظاهر أنّ فيه زيادة وتكرار.

(٣) في الإختصاص: كانت في نخل لبني سالم فقال: يا آل ذريح عمل نجيح صالح يصيح.

(٤) بصائر الدرجات: ٣٧٢، وعنه في البحار ٢٧: ٢٦٦، الإختصاص: ٢٩٦.

(٥) أعلام النبوة: ١٨٩، والآية في سورة آل عمران: ١٩٣.

قال أبو سعيد الخدري: بينما راع يرعى في الحرّة غنماً، إذ جاء ذئب إلى شاة من غنمه فانتهرها، فحال الراعي بين الذئب والشاة،فأقعى الذئب على عريمة ذنبه وقال للراعي: ألا تتّقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليّ، فقال الراعي: العجب من ذئب يقعى على ذنبه يكلّمني بكلام الإنس، فقال له الذئب: ألا أحدّثك بأعجب من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحرّتين يحدّث الناس بأنباء ما قد سبق.

فأخذ الراعي الشاة فأتى بها المدينة، وأتى النبي ﷺ، فخرج إلى الناس، فقال للراعي: «قم فحدّثهم»، فقام يحدّثهم، فقال: «صدق الراعي» وكان يُسمّى عُميراً الطائي، فسُمّي مسلم الذئب[1].

(١) أعلام النبوة: ١٨٦، وتفصيل القصة في تفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ١٨١.

الفصل الثالث

في الإنباء عن تكرار التاريخ
و الأحداث التي تحققت بعد
وفاته ﷺ و انطباقها عبر التاريخ

لتركبنّ طبقاً عن طبق

من الأمور التي يلتفت إليها أكثر الناس-سيما الباحثون-عبر النظر والدراسة في تاريخ البشرية والأحداث الكونية، هو تولّد قانون في نظام العالم يسمّى:

التاريخ يعيد نفسه

هذا الاصطلاح وإن كان عُرفياً، إلاّ أنّ له أساساً نابعاً عن مشيئة الله تعالى في تدبير الكون ومتأثراً عن سننه في خلقه، بتكرار الحوادث والوقائع في كل فترة من الزمان وعود الظواهر بنفس السمات والمواصفات التي حدثت في الأمم الماضية،بنحو من الأنحاء وفي إطار جديد وطابع جديد، وقد نشأ هذا القانون من مشيئة الله وسننه في تدبير العالم وطريقته المستمرة في نظام الكون، كما قال: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾[1]، وقال: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾[2]، وقد أنبأ المسلمين بتكرارها فقال: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[3]، أي تملكون حالاً بعد حال، إشارة إلى المطابقة والمشابهة للأمم من حيث الأحوال، فقد ورد في تفسيرها: أي لتسلكنّ سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء[4].

ومن ثم قال الباقر عليه السلام: يا زرارة، أوَ لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان[5].

وقال الصادق عليه السلام: ما بعث الله رسولاً إلا وفي وقته شيطانان يؤذيانه ويفتنانه ويضلاّن الناس بعده، فأما الخمسة أولوا العزم من الرسل:نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله، وأما صاحبا نوح؛ فقيطيفوس وخرام، وأما صاحبا

---

(١) الأحزاب: ٦٢.

(٢) فاطر: ٤٣.

(٣) الانشقاق: ١٩.

(٤) تفسير القمي ١: ١٩٠، تفسير الصافي٥: ٣٠٦، تفسير نور الثقلين ٥: ٥٤٠.

(٥) تفسير القمي٢: ٤١٣، وعنه في البحار ٢٨: ٩، الكافي ١: ٤١٥ ح١٧.

إبراهيم، فمكيل ورذام، وأما صاحبا موسى؛ فالسامري ومرعقيبا، وأما صاحبا عيسى، فمولس ومريسا، وأما صاحبا محمد، فحبتر وزُرَيق[1].

فكلما جرت من الأمور في الأمم السابقة من تكذيب الأنبياء والاستهزاء بهم والغدر بأوصيائهم و اضطهاد أتباعهم، ومل أمر المكذبين والظالين وعاقبة أمرهم، والفرج للمؤمنين بعد الشدة والصبر على البلاء، فهو جار في هذه الأُمة، فقد نبّه الله المسلمين عن ذلك بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[2]، وقال لنبيهﷺ: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾[3]، وقال أيضاً: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[4]، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[5].

ففي هذه الآيات إخبار منه تعالى عما كان عليه الماضون، وأنّ كل ما حدث فيهم فهو حادث في هذه الأمة، ومن ثم لما اقتُرح على النبيﷺ أن اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال لبعض أصحابه: «الله أكبر قلتم كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ثم قال: «لتركبنّ سنن من كان قبلكم»[6]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[7].

---

(١) تفسير القمي١: ٢١٤،وعنه في البحار١٣: ٢١٢ح ٥.

(٢) البقرة: ٢١٤.

(٣) السجدة: ٤٣.

(٤) الذاريات: ٥٢.

(٥) البقرة: ١١٩.

(٦) الصراط المستقيم للعاملي ٣: ١٠٧، وسنن الترمذي ٣: ٣٢٢،وزاد فيه: حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة،وانظر مسند أحمد ٥: ٣٤٠، ذات أنواط شجرة للمشركين، كانوا يعبدونها ويعلقون أسلحتهم عليها.

(٧) آل عمران: ١٣٧.

ثم إنّ جريان السنن وتكرار التاريخ لا يعني جريانها بتمامها حتى في الأحكام والسنن حتى يدل على عدم النسخ، بل هو فيما يخص بالمصالح المشتركة التي لا تتبدل بتبدل الزمان.

هذا وقد وردت في هذا الصعيد نبوءات كثيرة قد أعلن النبي ﷺ فيها بأنّ كل ما حدث في الأمم السابقة سيحدث في هذه الأمة شبراً بشبر وذراعاً بذراع وحذو القذه بالقذة والنعل بالنعل.

منها: ما قال رسول الله ﷺ: «**لتركبنّ سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة ولاتخطئون طريقتهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع، حتى أن لو كان من قبلكم دخل جحر ضبّ لدخلتموه**».

قالوا: اليهود والنصارى تعني يا رسول الله؟ قال: «**فمن أعني؟ لينقض عُرى الإسلام عروة عروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة**»[1]، ففي هذا الحديث نبوءة عن وقوع الأحداث والفتن وظهور البدع وارتداد الناس بعده ﷺ، وقد تحقق.

شواهد في تكرار التاريخ

وقد شاهد العالم الإسلامي انطباق هذا القانون واستمرار تلك السنن الجارية في الكون.

تكرار تاريخ يحيى عليه السلام بالحسين عليه السلام

فمن المثال: قد برزت في مقطع من التاريخ ظاهرة عظيمة ذات سمات باهرة في نبي من أنبياء الله اسمه يحيى عليه السلام وكان من شأنه أن قُتل مظلوماً وسُفك دمه لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ولكن الله شاء أن يجعل شهادته سبباً لتغيير المعادلات الحاكمة في ذلك الزمان، فما سكن دمه حتّى سلّط الله بخت النصر على بني إسرائيل فقتل منهم سبعين ألفاً، فسكن ذلك الدم.

وقد أعاد التاريخ نفسه في أمة الرسول المصطفى ﷺ إذ تجسّدت قصة يحيى

---

(١) تفسير القمي ٢: ٤١٣، وفي نسخة بدل الإمامة: الأمانة، ونحوه في مسند أحمد ٤: ١٢٥.

في شخصية سبط نبي الرحمة مولانا الحسين بن علي عليه السلام عند ما قُتل مظلوماً، لإبائه وعدم انصياعه لأولاد البغايا ولأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فلما سفك دمه وانتهكت حرمته ما رقأ دمه الشريف حتى صار سبباً لانهيار دولة الباطل وقلع الشجرة الملعونة وتغيير جميع المعادلات.

وعند مقايسة ما جرى على الحسين عليه السلام ويحيى من الحوادث والمصاب، وما فيهما من السمات، ترى لهما مشتركات عديدة.

حيث جاء في الأخبار: إنّ يحيى كان حمله ستة أشهر، وهكذا الحسين عليه السلام.

وإنّ يحيى عليه السلام ما تغذّى من ثدي أُمه، وهكذا الحسين عليه السلام.

وإنّ قاتل يحيى كان ابن بغي، وهكذا قاتل الحسين عليه السلام.

ولما قُتل يحيى بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهكذا الحسين عليه السلام.

وإنّ الله انتقم بدم يحيى من سبعين ألف، وهكذا ينتقم الله للحسين عليه السلام.

وإنّ رأس يحيى وُضع في طست من ذهب أمام بغي ابن البغايا وهو سكران، وهكذا الحسين بن علي عليه السلام[1].

وقد ضاهى الحسين عليه السلام موسى عليه السلام في خروجه من المدينة خائفاً على دينه يترقب من الأعداء بعد ما علم بكيدهم في قتله، وهكذا كان شأن موسى عليه السلام لما قال له مؤمن آل فرعون: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾[2]، فخرج من بلده خائفاً يترقب وذهب إلى مدين وورد على شعيب فأمن من القتل، بيد أنّ الحسين عليه السلام لم يجد مأمناً، لأنّ يزيد أمر بقتله ولو كان معلّقاً بأستار الكعبة.

ومنه: تكرار التاريخ في والد الرسول المصطفى ﷺ

إنّ التاريخ قد أعاد نفسه في شخصية والد الرسول المصطفى ﷺ عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام في قصة الذبح التي حدث لجده إسماعيل عليه السلام ففدي بذبح عظيم، وتكررت لعبد الله عند ما أراد أبوه أن يذبحه أداءً للنذر، فسلّم نفسه

---

(١) لاحظ البحار١٤: ١٨٥-١٨٠، ٤٥: ٢٠٤و ٣٩٨و٣٢٢و٣١٤.

(٢) القصص: ٢٠.

كتسليم جده إسماعيل، وقال لأمه: دعيني أمضي مع أبي فإن اختارني ربي كنت راضياً سامحاً ببذل روحي له، كما قال جده إسماعيل: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1]، ومن أجل هذا الإشتراك قال رسول الله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين المفتدَين بالتحف من بحبوحة الشرف أنا بن معد بن عدنان»[2].

وأعاد التاريخ نفسه أيضاً في شباهة عبد الله بيوسف عليه السلام، فيما لاقاه من النساء إذ كُنّ يراودنه على أنفسهنّ طمعاً في النور الذي كان في غُرّته، ومن ثم قيل: لقي عبد الله في زمانه ما لقي يوسف الصديق في زمانه[3].

ومنه: تكرار التاريخ في قصة الإمام الثاني عشر عليه السلام

إنّ التاريخ أعاد نفسه في قصة الإمام الثاني عشر عليه السلام آخر أوصياء الرسول المصطفى ﷺ حيث جرت فيه سنن من الأنبياء الماضين، في غيباتهم وطول عمرهم وخفاء مولدهم و... .

يقول الإمام الصادق عليه السلام: إنّ للقائم منا غيبة يطول أمدها، قال سُدير: فقلت له: ولِمَ ذاك يا بن رسول الله؟ قال: إنّ الله عزّ وجل أبى إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وأنه لابدّ له يا سُدير من استيفاء مُدد غيباتهم، قال الله عز وجل: ﴿ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴾ أي سنناً على سنن من كان قبلكم[4].

وورد في الأحاديث عنهم عليهم السلام: إنّ في القائم عليه السلام منّا سُنّة من نوح وسُنّة من إبراهيم وسُنّة من موسى وسُنّة من عيسى وسُنّة من أيوب وسُنّة من محمد ﷺ، فأما السنّة من نوح فطول العمر، وأما السنّة من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأمّا من موسى فالخوف والغيبة، وأمّا من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأمّا من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأمّا من محمد ﷺ، فالخروج بالسيف[5].

---

(١) الصافات: ١٠٢.

(٢) نهج الإيمان لابن جبر: ٤١٧.

(٣) البحار١٥: ٧٦و٧٨، ونحوه في إثبات الوصية للمسعودي: ٨٤.

(٤) كمال الدين: ٤٨١، الخرائج والجرائح ٢: ٩٥٥، البحار٥١: ١٤٢عن العياشي.

(٥) كمال الدين للصدوق: ٣٢٢ و٥٧٧، وعنه في البحار٥٢: ١٣٣.

وترى التاريخ قد كرّر نفسه في ظهور الطواغيت والظالمين الذين بلغ ظلمهم إلى حدّ سجّله التاريخ وضُرِب لهم الأمثال، كفرعون وبخت النصر وأمثالهما إلى زماننا هذا، ومن ثم جعلهم الله سبحانه عبرة للآخرين ريثما يرتدعوا عما هم عليه من الطغيان وتكذيب الأنبياء و... .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾[1]، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2].

نبوءات الرسول المصطفى ﷺ عن تكرار التاريخ بعده

قد سبق عنه ﷺ عبر البحث عن تكرار التاريخ ما يناسب هذا المقام، وما سيوافيك تفصيل ذلك.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتأخذنّ كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعاً بذراع وشبراً بشبر وباعاً بباع، حتى لو أنّ أحداً من أولئك دخل جحر ضبّ لدخلتموه»** قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب؟ قال: **«فهل الناس إلا هم»**[3].

وقال ﷺ في حديث آخر: **«ليحملنّ شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم حذو القذة بالقذة»**[4].

ونظراً إلى تلك النبوءات وتحققها بعد النبي ﷺ قال عبد الله بن مسعود

---

(١) الحج: ٤٢.

(٢) المؤمن: ٢٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٥: ٨٦، وانظر تفسير القرطبي ٨: ٢٠٠وج ١٩: ٢٧٩، مسند احمد ٢: ٣٢٥ و ٣٣٧،وتراه في كثير من مصادرهم باختلاف في اللفظ.

(٤) مجمع الزوائد ٧: ٢٦١، المعجم الكبير٧: ٢٨١.

للمرتدين: أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتاً وهدياً، تتبعون عملهم حذو القذّة بالقذّة، غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا؟[١].

ولكنّ الذي يستفاد من الأخبار، إنهم عبدوا من بحكم عجل السامري.

و في شأن المرتدين قال حذيفة: المنافقون الذين فيكم اليوم شرٌّ من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، فقيل له: وكيف؟

قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه[٢].

وقال أُبيّ بن كعب: هلك أهل العقدة وربّ الكعبة- ثلاثاً- ألا أبعدهم الله، هلكوا وأهلكوا، أمّا أني لا آسى عليهم ولكني آسى على من يُهلكون من المسلمين.

وقال أيضاً: فوَ الله ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ قبض رسول الله ﷺ، وأيم الله لئن بقيت إلى يوم الجمعة لأقومنّ مقاماً أُقتل فيه[٣]، فمات يوم الخميس، وما كان موته إلا اغتيالاً!!.

أقول: وهل كان أهل العقدة إلا من عقد الخلافة لغير أهلها في السقيفة؟

وقالت أمّ الدرداء: دخل عليّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمر(أمة) محمد ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلّون جميعاً[٤].

وفي صحيح البخاري عن الزهري قال: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة،وهذه الصلاة قد ضُيّعت[٥].

وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله قد شهدوا

---

(١) البحار ٢٨: ٥٣٨: ١٤١، عن الزمخشري في الكشاف.

(٢) مجمع البيان٥: ٨٦، عن الثعلبي في تفسيره، وعنه في البحار ٢٨: ٨

(٣) أنظر سنن النسائي-كتاب الامامة: ٤ ٣٣، مسند أحمد٥: ١٤٠، مستدرك الحاكم٢: ٢٢٦.

(٤) صحيح البخاري ١: ١٥٩باب فضل صلاة الفجر في جماعة، تاريخ دمشق ٤٧: ١٩١، مسند أحمد ٦: ٢٤٣، الصراط المستقيم للعاملي ٣: ٢٣١، الطُرَف لابن طاووس: ١١٣.

(٥) صحيح البخاري كتاب المواقيت١: ١٣٤ح٧،وعنه في الطرف: ١١٣، البداية والنهاية ٩: ١٠٦.

بدراً، كلهم يخاف النفاق على نفسه ولا يأمن المكر على دينه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبرئيل وميكائيل[١].

وقد اعترف عمر بمثل ذلك[٢]، واعترف بذلك أصحابه الذين شاهدوا تلك الأحداث، فسرعان ما تحقّقت نبوءات رسول الله ﷺ في أمر هذه الأمة!!! فنسأل الله حسن العاقبة والموت على الإيمان.

إفتراق الأمة وافتتانها

قد أخبر نبي الرحمة ﷺ عن افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما افترقت أمة موسى وعيسى، بيد أنّ أمته زادت على تلك الأمم بفرقة واحدة، وقد اشتركت الأمم مع أمة محمد في أنّ تلك الفِرَق كلّها في النار وواحدة منها على الحق وفي الجنة، وهي التي اتّبعت وصيّ النبي ﷺ.

فقد روى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تفرّقت أمة موسى على إحدى وسبعين ملة،سبعون منها في النار، وواحدة في الجنة، وتفرقت أمة عيسى عليه السلام على اثنين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، وتعلو أُمتي على الفريقين جميعاً بملة واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار**» قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**الجماعات الجماعات**»[٣].

وروى عوف بن مالك عنه ﷺ أنه قال: «**افترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة و سبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده لتفترقنّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار**» قيل يا رسول الله: من تراهم؟ قال: «**الجماعة**»[٤].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان١: ١٧، شرح مسلم للنووي١: ١٤٩، التاريخ الكبير للبخاري ٥: ١٣٧.

(٢) صحيح البخاري- باب مناقب الأنصار٤: ٢٢١-ح٤٥.

(٣) تفسير العياشي ١: ٣٣١،وعنه في البحار٢٨: ٣، تفسير نور الثقلين ١: ٦٥١، الدر المنثور ٢: ٢٩٨، تفسير ابن كثير ٢: ٧٩.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢٢،كنز العمال ١١: ١١٤،الدر المنثور ٢: ٦٢، تحفة الأحوذي ٧: ٣٣٣.

وفي قوله ﷺ الجماعة أو الجماعات، قال الصدوق: الجماعة أهل الحق وإن قلّوا، و استدل بقوله ﷺ: «المؤمن وحده حجة والمؤمن وحده جماعة»[١].

وفي حديث آخر نصّ النبي ﷺ على أهل الحق، رواه يحيى البكاء عن علي عليه السلام: قال: قال رسول الله ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقون هالكون، فالناجون الذين يتمسكون بولايتكم ويقتبسون من علمكم، ولا يعملون برأيهم فأولئك ما عليهم من سبيل» فسألت عن الأئمة؟ فقال: «عدد نقباء بني إسرائيل»[٢].

ويؤيده ما رواه سلمان الفارسي عنه ﷺ في تعيين الفرقة الناجية، قال: «تفترق أمتي على ثلاث فرق فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً يحبّوني ويحبّون أهل بيتي، مثلهم كمثل الذهب الجيّد كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلا جودة، وفرقة على الباطل لا ينقص الحق منه شيئاً يبغضوني ويبغضون أهل بيتي مثلهم كمثل الحديد كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزده إلا شرّاً، وفرقة مدهدهة على ملة السامري لا يقولون: لا مساس، لكنهم يقولون: لا قتال، إمامهم عبد الله بن قيس الأشعري»[٣].

وقال سليم بن قيس: سمعت أبا ذر وسلمان والمقداد يقولون: إنا لقعود عند رسول الله ﷺ ما معنا غيرنا، إذا رهط من المهاجرين كلّهم بدريون، فقال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتي بعدي ثلاث فرق، فرقة على الحق، مثلهم كمثل الذهب كلما سبكته على النار ازداد طيباً وجودة، إمامهم هذا أحد الثلاثة، وفرقة أهل باطل كمثل الحديد كلما أدخلته النار ازداد خُبثاً ونتناً إمامهم هذا أحد الثلاثة، وفرقة مذبذبين بين ضلالاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء إمامهم هذا أحد الثلاثة»، فسألتهم عن الثلاثة، فقالوا: إمام الحق والهدى علي بن أبي طالب، وسعد إمام المذبذبين، وحرصت أن يسمّوا لي الثالث، فأبوا عليّ وعرّضوا لي حتى عرفت من يعنون[٤].

---

(١) الخصال: ٥٨٤، وانظر الفقيه١: ٢٤٦ح ١٠٩٦ .

(٢) كفاية الأثر للخزاز: ١٥٥، وعنه في البحار ٣٦: ٣٣٦.

(٣) أمالي المفيد: ٣٠،وعنه في البحار ٢٨: ٩، وانظر مسند أحمد٢: ٣٢٥و٣٢٧و٣٣٦و٣٦٧وغيره.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ٣٥٣،وعنه في البحار ٢٨: ١٧، والمراد من سعد هو سعد بن أبي الوقاص،

وفي حديث آخر قال سليم: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام في مسجد الكوفة والناس حوله، إذ دخل عليه رأس اليهود ورأس النصارى، فسلّما وجلسا، فقال الجماعة: بالله عليك يا مولانا اسألهم حتى ننظر ما يعملون؟ قال عليه السلام لرأس اليهود: يا أخا اليهود، قال: لبيك، قال عليه السلام: كم انقسمت أمة نبيكم؟ قال: هو عندي في كتاب مكنون، قال عليه السلام قاتل الله قوماً أنت زعيمهم، نسأل عن أمر دينه فيقول هو عندي في كتاب مكنون.

ثم التفت إلى رأس النصارى وقال له: كم انقسمت أمة نبيكم؟ قال: على كذا وكذا، فأخطأ.

فقال علي عليه السلام: لو قلت مثل قول صاحبك لكان خيراً لك من أن تقول وتخطئ ولا تعلم.

ثم أقبل عند ذلك وقال: أيها الناس أنا أعلم من أهل التوراة لتوراتهم وأعلم من أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأعلم من أهل القرآن بقرآنهم، أنا أعرف كم انقسمت الأمم، أخبرني به أخي وحبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ حيث قال: **«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة،سبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة، وهي التي اتبعت وصيه، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصيه، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، إثنتان وسبعون فرقة في النار وفرقة واحدة في الجنة وهي التي اتبعت وصيي»**، وضرب ﷺ بيده على منكبي،ثم قال: **«إثنان وسبعون فرقة حلّت عقد الإله فيك وواحدة في الجنة، وهي التي اتخذت محبتك وهم شيعتك»**[1]، وبهذا النص لا يبقى أيّ تأمل في أنّ المراد من قوله الجماعات أو الجماعة، هم أهل الحق شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وهم الفرقة الناجية.

حيث تنحى واعتزل عن علي عليه السلام وعمن خالفه من أصحاب الجمل وصفين، ومن ذلك يظهر أنّ الرجل الثالث هو معاوية بن أبي سفيان.

(١) كتاب سليم بن قيس: ٤٣٣، البحار ٢٨: ١٣.

وفي صعيد افتتان الأمم قال أبو هارون العبدي: لقيت وهب بن منبّه أيام الموسم، فعرضت عليه حديث ما جرى بين النبي ﷺ وفاطمة عليها السلام من حوار، قالت فيه فاطمة: يا رسول الله أخشى الضيعة من بعدك، فقال رسول الله ﷺ: «**يا فاطمة أما علمت أنّ الله اطّلع إلى أهل الأرض اطلاعة فاختار منهم أباك فبعثه رسولاً، ثم اطّلع ثانية فاختار منهم بعلك...**»وساق الحديث ثم قال: «**أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد...**» إلى أن قال: «**ومنا مهدي هذه الأمة**».

فقال لي وهب: يا أبا هارون، إنّ موسى بن عمران لما فتن قومه واتخذوا العجل كبر على موسى عليه السلام فقال: يا ربّ فتنت قومي حيث غبت عنهم؟ قال الله: يا موسى إنّ كلّ من كان قبلك من الأنبياء افتتن قومهم وكذلك من هو كائن بعدك من الأنبياء تفتتن أمتهم إذا فقدوا نبيهم، قال موسى: وأمة أحمد أيضاً مفتونون وقد أعطيتهم من الفضل والخير ما لم تعطه من كان قبلهم في التوراة؟! فأوحى الله إلى موسى عليه السلام: إنّ أمة محمد ﷺ ستصيبهم فتنة عظيمة من بعد أحمد حتى يعبد بعضهم بعضاً ويبرأ بعضهم من بعض، حتى يصيبهم النكال وحتى يجحدوا ما أمرهم به نبيهم، ثم يصلح الله أمرهم برجل من ذرية أحمد، فقال موسى: يا رب اجعله من ذريتي، فقال: يا موسى إنه من ذرية أحمد وعترته، أُصلح به أمر الناس، وهو المهدي[1].

وجاء عن شدّاد بن أوس أنه قدم على أمّ سلمة بعد وقعة الجمل-وبعد حوار بينهما-قال: قلت: أفترين أنّ الحق مع عليّ؟ قالت: إي والله عليٌّ مع الحق والحق معه، والله ما أنصفت أمة محمد نبيهم إذ قدّموا من أخّره الله عز وجل ورسوله، وأخّروا من قدّمه الله تعالى ورسوله، وأنّهم صانوا حلائلهم في بيوتهم وأبرزوا حليلة رسول الله ﷺ إلى القتال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ لأمتي فرقة وخلعة، فجامعوها إذا اجتمعت، فإذا افترقت فكونوا من النمط الأوسط، ثم ارقبوا أهل بيتي، فإن حاربوا فحاربوا، وإن سالموا فسالموا، وإن زالوا فزولوا معهم(حيث زالوا)فإنّ الحق معهم حيث كانوا**».

---

(١) البحار٣٦: ٣٧٠، رواه عن ابن بطريق في المستدرك.

قلت: فمن أهل بيته الذين أُمرنا بالتمسك بهم؟ قالت: هم الأئمة بعده كما قالﷺ: «عدد نقباء بني إسرائيل، عليٌّ وسبطاي وتسعة من صلب الحسين» وأهل بيته هم المطهرون والأئمة المعصومون، قلت: إنّا لله هلك الناس إذاً، قالت: كل حزب بما لديهم فرحون[1].

وفي باب اتصال الوصية من لدن آدم إلى نبينا محمدﷺ روي بالإسناد عن الصادقؑ أنه قال: قال رسول اللهﷺ: «أنا سيّد الوصيين ووصيي سيّدُ الأوصياء، وأوصياؤه سادة الأوصياء، إنّ آدمؑ سأل الله تعالى أن يجعل له وصياً صالحاً، فأوحى الله عز وجل إليه: إني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقي وجعلت خيارهم الأوصياء، فقال آدمؑ: يا رب اجعل وصيي خير الأوصياء، فأوحى الله إليه: يا آدم أوص إلى شيث»، وساق الخبر ثم قال: قال رسول اللهﷺ: «ودفعها إليّ بردة، وأنا أدفعها إليك، يا علي، وأنت تدفعها إلى وصيك، ويدفعها وصيك إلى أوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد، حتى تُدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، ولتكفُرنّ بك الأمة، وليختلفُنّ عليك اختلافاً شديداً، الثابت عليك كالمقيم معي، والشاذّ عنك في النار، والنار مثوى الكافرين»[2].

تكرار التاريخ في الغدر بالوصي

روي بالإسناد عن ابن عباس، أنه قال: لما أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ قال رسول اللهﷺ: «والله لقد خرج آدم من الدنيا وقد عاهد قومه على الوفاء لولده شيث، فما وُفي له، ولقد خرج نوح من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه سام فما وفت أمته، ولقد خرج إبراهيم من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه إسماعيل فما وفت أمته، ولقد خرج موسى من الدنيا وعاهد قومه على الوفاء لوصيه يوشع بن نون فما وفت أمته،

---

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي: ١٨١، وعنه في البحار٣٦: ٣٤٦.

(٢) الإمامة والتبصرة عن الحيرة لابن بابويه القمي: ٢٣،أمالي الصدوق: ٤٨٨، من لا يحضره الفقيه٤: ١٧٧، أمالي الطوسي٢: ٤٤٣، بشارة المصطفى للطبرسي: ٩٩، كلاهما عن الصدوق،ويشهد له ما رواه الخزاز في كفاية الأثر: ١٤٧، والبرسي في مشارق الأنوار: ٥٨ عن عليؑ.

ولقد رفع عيسى بن مريم إلى السماء وقد عاهد قومه على الوفاء لوصيه شمعون بن حمون الصفا فما وفت أمته، وإني مفارقكم عن قريب، وخارج من بين أظهركم، وقد عهدت إلى أمتي في علي بن أبي طالب، وإنها لراكبة سنن من قبلها من الأمم في مخالفة وصيي وعصيانه، ألا وإني مجدّد عليكم عهدي في علـــي ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قلت للنبيﷺ: يا رسول الله من يغسّلك إذا متّ؟ فقال: «يغسّل كلّ نبي وصيه» قلت: فمن وصيك يا رسول الله؟ قال: «علي بن أبي طالب» فقلت: كم يعيش بعدك يا رسول الله؟ قال: «ثلاثين سنة، فإنّ يوشع بن نون وصي موسى عاش من بعده ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوج موسى فقالت: أنا أحق بالأمر منك، فقاتلها فقتل مقاتليها وأسرها فأحسن أسرها، وإنّ ابنة أبي بكر ستخرج على عليٍّ في كذا وكذا ألفاً من أمتي، فيقاتلها، فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ يعني صفراء بنت شعيب»[2].

وفي وجه الشبه بين وصي موسىعليه السلام ووصيّ النبي محمدﷺ ومن خرج عليهما، روي أنّ صفراء عند ما خرجت على يوشع بن نون ركبت زرافة فكان لها أول النهار وله آخر النهار، فظفر بها فأسرها وأحسن أسرها[3].

وهكذا حميراء عندما خرجت على إمام زمانها ركبت الجمل وكان لها أول النهار وله آخر النهار، فظفر بها وأحسن أسرها و... .

وإنّ الليلة التي قتل فيها أميرالمؤمنينعليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلاّ وجُد تحته دم عبيط حتى طلع الفجر، وكذلك الليلة التي قتل فيها يوشع بن نون[4].

---

(١) معاني الأخبار: ٣٧٢، وعنه في الطرائف لابن طاووس: ٢٤٦، والآية الأولى في سورة البقرة: ٤، والثانية في سورة الفتح: ١٠.

(٢) كمال الدين: ٢٧، البحار١٣: ٣٦٧، وللحديث ذيل طويل.

(٣) أنظر قصص الأنبياء للراوندي: ١٧٨، وعنه في البحار١٣: ٣٦٨ ح١٤.

(٤) قصص الانبياء للراوندي: ١٤٦، وعنه في البحار ١٣: ٣٦٨ ح١٢، في رواية عن الباقرعليه السلام.

وروي أنه لما استشهد أمير المؤمنين عليه السلام قام الحسن عليه السلام خطيباً، فقال: أيها الناس في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم، وفي هذه الليلة قتل يوشع بن نون، وفي هذه الليلة مات أبي أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام[1].

وعند النظر في تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام وما جرى عليه وعاناه نلمس تكرار تاريخ وصي موسى عليه السلام بمفاصلاته حذو النعل بالنعل.

على أنّ لأمير المؤمنين شبهاً بموسى أيضاً وهو إخبار أسماء بنت عميس علياً عليه السلام عن مؤامرة اغتياله على يد خالد بن الوليد، إذ قالت: ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ مثل ما قال مؤمن آل فرعون لموسى عند ما أراد فرعون قتله.

وحديث اغتيال علي عليه السلام على يد خالد وفشله عند ما قال أبوبكر في صلاته: يا خالد لا تفعل ما أُمرت، معروف لا يسع المجال ذكره[2].

تكرار التاريخ في ردّ الشمس للوصي

وفي صعيد آخر من تاريخ يوشع بن نون في حديث طويل عن الصادق عليه السلام قال:... ثم إنّ موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها، وقتل بها الجبارين، وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب، فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوه، فدعا الله تعالى أن يحبس عليه الشمس، ففعل وحبسها حتى استأصلهم، ودخلها موسى، وأقام بها ما شاء الله أن يقيم[3].

وقد تكرر التاريخ من هذا البعد في وصي الرسول المصطفى عليه السلام فقد رُدت عليه الشمس كراراً وصارت من أحد فضائله الباهرة التي سجّلها تاريخ الإسلام.

فمنها: ما في كتاب من لا يحضره الفقيه بعد ما روى حديث ردّ الشمس لسليمان عليه السلام ويوشع بن نون عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: يكون في هذه الأمة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وقال عز وجل: ﴿ سُنَّةَ

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٩٧، وعنه في البحار ١٣: ٢٧٦ ح٢١، وروى مثله في قصص الأنبياء للراوندي: ١٧٩، وعنه البحار ٣: ٣٦٦ و٤٥٥، وكمال الدين: ١٥٤.

(٢) راجع تفسير القمي٢: ١٥٨، الإحتجاج١: ١٢٦، الصراط المستقيم٢: ٣٢٣، المسترشد: ٤٥٦.

(٣) الكامل في التاريخ ١: ٦٨-٧٠، وعنه في البحار٣: ٣٧٤، وفيه: وأما من زعم أن موسى توفي قبل ذلك فقال: إنّ الله تعالى أمر يوشع بن نون بالمسير إلى مدينة الجبارين... وساق من حديثه نحو ما تقدم... .

ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾، فجرت هذه السنة في ردّ الشمس على علي بن أبي طالب عليه السلام مرتين، مرة في أيام رسول الله ﷺ ومرة بعد وفاته ﷺ.

أما في أيامه ﷺ، فروي عن أسماء بنت عميس أنها قالت: بينما رسول الله ﷺ نائم ذات يوم ورأسه في حجر علي عليه السلام، ففاتته العصر حتى غابت الشمس فقال: «اللهم إنّ علياً كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء: فرأيتها والله غربت ثم طلعت بعد ما غربت، ولم يبق جبل ولا أرض إلا طلعت عليه، حتى قام عليه السلام فتوضأ وصلّى ثم غربت.

وأما بعد وفاته ﷺ فإنه روي عن جويرية بن مسهّر أنه قال: أقبلنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنين عليه السلام ونزل الناس، فقال علي عليه السلام: أيها الناس إنّ هذه أرض ملعونة قد عُذّبت في الدهر ثلاث مرات - وفي خبر مرتين وهي تتوقع الثالثة - وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عُبد فيها وثن، وإنه لا يحلّ لنبي ولا لوصي نبي أن يصلّي فيه، فمن أراد منكم أن يصلّي فليصلّ، فمال الناس عن جنبي الطريق يصلون وركب هو عليه السلام بغلة رسول الله ﷺ ومضى، قال جويرية فقلت: والله لأتبعنّ أمير المؤمنين عليه السلام ولأقلّدنّه صلاتي اليوم، فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سوراء حتى غابت الشمس فشككت، فالتفت إليّ وقال: يا جويرية أشككت؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فنزل عليه السلام ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسنه إلا كأنه بالعبراني، ثم نادى الصلاة، فنظرت والله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير، فصلّى العصر وصلّيت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان، فالتفت إليّ وقال: يا جويرية بن مسهر إنّ الله عز وجل يقول: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ وإني سألت الله عز وجل باسمه العظيم فردّ عليّ الشمس، وروي أنّ جويرية لما رأى ذلك قال: أنت وصي نبي ورب الكعبة[1].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٣ ح ٦٠٩، وانظر المناقب لابن المغازلي: ٩٦، مناقب الخوارزمي: ٢١٧، ينابيع المودة ١: ٤١٧، تاريخ الخميس ٢: ٥٨، وغيرها من كتب القوم باختلاف في اللفظ.

إنباء الرسول ﷺ عن كلام الشمس مع زوج البتول عليها السلام

ويناسب هنا ذكر حديث له عليه السلام مع الشمس وتكلّمها معه، وإنباء الرسول ﷺ عن ذلك، وتفسير قولها: يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن... .

فقد روي بالإسناد عن جابر بن عبد الله قال: لقيت عماراً في بعض سكك المدينة فسألته عن النبي ﷺ، فأخبر أنه في مسجده في ملأ من قومه، وأنه لما صلّى الغداة أقبل علينا، فبينا نحن كذلك وقد بزغت الشمس إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقام إليه النبي ﷺ وقبّل ما بين عينيه وأجلسه إلى جنبه حتى مسّت ركبتاه ركبتيه، ثم قال: «يا عليّ قم للشمس فكلّمها فإنها تكلّمك»، فقام أهل المسجد وقالوا: أترى عين الشمس تكلّم علياً؟ وقال بعض: لازال يرفع خسيسة ابن عمه وينوّه باسمه!، إذخرج عليٌّ عليه السلام فقال للشمس: كيف أصبحت يا خلق الله؟ فقالت: بخير يا أخا رسول الله، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو بكل شيء عليم، فرجع عليٌّ عليه السلام إلى النبي ﷺ فتبسّم النبي ﷺ فقال: «يا عليّ تخبرني أو أخبرك؟» فقال: منك أحسن يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «أمّا قولها لك يا أول فأنت أول من آمن بالله، وقولها: يا آخر فأنت آخر من يعاينني على مغسلي، وقولها: يا ظاهر فأنت آخر من يظهر على مخزون سرّي، وقولها: يا باطن فأنت المستبطن لعلمي، وأما العليم بكل شيء فما أنزل الله تعالى علماً من الحلال والحرام والفرائض والأحكام والتنزيل والتأويل والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمشكل إلا وأنت به عليم، فلو لا أن تقول فيك طائفة من أمتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك مقالا لا تمرّ بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك يستشفون به» قال جابر: فلما فرغ عمار من حديثه أقبل سلمان، فقال عمار: وهذا سلمان كان معنا، فحدثني سلمان كما حدثني عمار[1].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٦٥٤، وعنه في البحار٤١: ١٨١، وقريب منه ما في كتاب سليم بن قيس: ٤٥٤، وعيون المعجزات: ٤، وعنه في البحار ٤١: ١٧٩، والفضائل لابن شاذان: ٦٩، والهداية الكبرى للخصيبي: ١١٦بما فيه من مفاصلات أخرى.

تكرار تاريخ هارون بن عمران في علي بن أبي طالب عليه السلام

وأجلى شاهد لتكرار تاريخ الأوصياء ووجود الشبه بينهم هو ما قاله رسول الله ﷺ في أمير المؤمنين عليه السلام: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»، وقد تواتر هذا الحديث في كتب الفريقين بحيث أصبح من أكبر الآيات على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي ﷺ.

ومن المعلوم أنّ أعظم منزلة حازها هارون من موسى هي منزلة الخلافة بعده، وقد تجسّدت حينما عزم موسى على الذهاب إلى ميقات ربه مع سبعين رجلاً من صفوة بني إسرائيل، فخلّف هارون في قومه ليقوم مقامه، ولكن بعد مدّة قليلة أضلّهم السامري وخدعهم بشبهته، وأوقعهم في عبادة العجل، فوقف هارون أمام هذا الإنحراف وحذّر السامري من مغبّة هذا الضلال، إلاّ أنه تمادى في غيّه حتى حاول مع الجهلة الذين كانوا معه في قتل هارون، غير أنّ هارون اتّخذ تدبيراً سياسياً للحفاظ على نفسه ومن معه من المؤمنين من الغوغاء حتى عاد موسى عليه السلام.

فلما رأى موسى ما رأى أخذه الغضب واعترض على هارون، فكان جواب هارون: ﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي...﴾.

وقد أنبأ رسول الله ﷺ عن تكرار هذا الحادث لعلي عليه السلام، فقال: «**إنك يا علي ستمرّ بعدي بما مرّ به هارون، فسوف تفترق الأمة عنك وتهدّد بالقتل كما حصل لهارون**».

وقد أشار ﷺ إلى هذا الحادث في رواية روتها أمّ سلمة تخاطب فيها عائشة تمنعها من الخروج على عليٍّ عليه السلام، قالت: وأذكّرك أيضاً، كنتُ أنا وأنتِ مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليٌّ يتعاهد نعلَيّ رسول الله فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها، فنقبت له نعل فأخذها يومئذ يخصفها وقعد في ظل سمرة، وجاء أبوك ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يحادثانه فيما أرادا، ثم قالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يُستخلَف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً؟ فقال ﷺ لهما: «**أمّا إني قد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرّقتم عنه كما تفرّقت**

بنو إسرائيل عن هارون بن عمران» فسكتا ثم خرجا، فلما خرجنا إلى رسول اللهﷺ قلتِ له وكنتِ أجرأ عليهﷺ منّا: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: «خاصف النعل» فنظرنا فلم نَرَ أحداً إلا علياً، فقلتِ: يا رسول الله ما أرى إلاّ علياً؟ فقالﷺ: «هو ذاك»، فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك...[1].

وكان تكرار التاريخ وتحقق النبوءة في عليٍّ عليه السلام عند ما تمّت البيعة لأبي بكر، فجاؤا بعليعليه السلام مكرهاً إلى المسجد، فقال له عمر: بايع، فقال: عليٌّعليه السلام: فإن لم أفعل؟ فقال عمر: نقتلك إذن، فقال عليٌّعليه السلام: أتقتلون عبد الله وأخا رسوله؟ فقال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا، وعند ذلك توجّه أميرالمؤمنين إلى قبر النبيﷺ وقال ما قاله هارون: ﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى...﴾[2].

تكرار التاريخ في إحياء الموتى

وقد تكرّر التاريخ أيضاً في قصة بقرة بني إسرائيل وإحياء الموتى لأميرالمؤمنينعليه السلام وهو في جامع الكوفة.

قال ميثم التمار: كنت بين يدي أميرالمؤمنين عليٍّعليه السلام في جامع الكوفة في جماعة من أصحابه وأصحاب رسول اللهﷺ وهو كأنه البدر بين الكواكب، إذ دخل علينا من باب المسجد رجل طويل عليه قباء خزّ أدكن، وقد اعتمّ بعمامة صفراء وهو متقلد بسيفين، فدخل وبرك من غير سلام ولم ينطق بكلام، فتطاولت إليه الأعناق ونظروا إليه بالآماق، وقد وقف عليه الناس من جميع الأفاق، ومولانا أميرالمؤمنينعليه السلام لا يرفع رأسه إليه،فلمّا هدأت من الناس الخواس أفصح عن لسانه كأنه حسام جُذِب عن غمده: أيكم المجتبى في الشجاعة والمعمّم بالبراعة؟ أيكم المولود في الحرم والعالي في الشيَم والموصوف بالكرم؟ أيكم الأصلع الرأس والبطل الدعاس والمضيّق للأنفاس والآخذ بالقصاص؟ أيكم غصن أبي طالب الرطيب وبطله المهيب والسهم المصيب والقسم النجيب؟

---

(١) أنظر المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي المعتزلي: ٢٩، شرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ٢١٧، أعلام النساء ٥: ٧٨٩، وعنه في الغدير ٢: ٣١٩، والآية في سورة الأعراف: ١٥٠.

(٢) أنظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة١: ٢٠.

أيكم خليفة محمد ﷺ الذي نصره في زمانه واعتزّ به سلطانه وعظم به شأنه؟

فعند ذلك رفع أمير المؤمنين عليه السلام رأسه إليه فقال: ما لك يا سعد بن الفضل ابن الربيع بن مدركة بن نجيبة بن الصلت بن الحارث بن وعران بن الأشعث بن أبي السمع الرومي؟ إسأل عما شئت، أنا عيبة علم النبوة.

قال: قد بلغنا عنك أنك وصي رسول الله ﷺ وخليفته على قومه بعده، وأنك محل المشكلات، وأنا رسول إليك من ستين ألف رجل يقال لهم العقيمة، وقد حمّلوني ميتاً قد مات من مدة، وقد اختلفوا في سبب موته وهو بباب المسجد، فإن أحييته علمنا أنك صادق نجيب الأصل، وتحقّقنا أنك حجة الله في أرضه وخليفة محمد ﷺ على قومه، وإن لم تقدر على ذلك رددناه إلى قومه وعلمنا أنك تدّعي غير الصواب وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا ميثم اركب بعيرك وناد في شوارع الكوفة ومحالّها: من أراد أن ينظر إلى ما أعطاه الله علياً أخا رسول الله وزوج ابنته من العلم الرباني فليخرج إلى النجف، فخرج الناس إلى النجف، فقال الإمام عليه السلام: يا ميثم هات الأعرابي وصاحبه، فخرجت ورأيته راكباً تحت القبّة التي فيها الميّت، فأتيت بهما إلى النجف، فعند ذلك قال علي عليه السلام: قولوا فينا ما ترون منا وارووا عنا ما تشاهدونه منا، ثم قال: يا أعرابي أبرِك الجمل وأخرِج صاحبك أنت وجماعة من المسلمين.

قال ميثم: فأخرج تابوتاً من الساج وفيه وطأ ديباج أخضر، وفيها غلام أوّل ما نَمّ عذاره على خدّه، وله ذوائب كذوائب المرأة الحسناء.

فقال علي عليه السلام: كم لميتكم هذا؟ قال: أحد وأربعون يوماً، قال: وما سبب موته؟ فقال الأعرابي: يا فتى إنّ أهله يريدون أن تحييه ليخبرهم من قتله، لأنه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من أُذنه إلى أُذنه، ويطالب بدمه خمسون رجلاً يقصد بعضهم بعضاً، فاكشف الشك والريب يا أخا محمد.

قال: الإمام عليه السلام: قتله عمه، لأنه زوّجه ابنته فخلاّها وتزوّج بغيرها فقتله حنقاً عليه، قال الأعرابي: لسنا نقنع بقولك فإنا نريد أن يشهد لنفسه عند أهله لترتفع الفتنة والسيف والقتل.

فعند ذلك قام عليٌّ عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي ﷺ فصلّى عليه، وقال: يا أهل الكوفة ما بقرة بني إسرائيل بأجلّ عند الله مني قدراً، وأنا أخو رسول الله، وإنها أحيَت ميّتاً بعد سبعة أيام، ثم دنا من الميّت وقال: إنّ بقرة بني إسرائيل ضُرِب ببعضها الميّت فعاش وأنا أضرب هذا الميت ببعضي لأنّ بعضي خير من البقرة كلّها، ثم هزّه برجله وقال: قم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة بن غسّان بن بحير بن فهر بن سلامة بن الطيب بن الأشعث، فها قد أحياك الله تعالى على يد علي بن أبي طالب.

قال ميثم التمّار: فنهض غلام أضوء من الشمس أضعافاً ومن القمر أوصافاً، فقال: لبّيك لبّيك يا حجة الله على الأنام المتفرّد بالفضائل والإنعام، قال: من قتلك؟ قال: قتلني عمّي الحارث بن غسّان.

قال: انطلق إلى قومك فاخبرهم بذلك، فقال: يا مولاي لا حاجة لي إليهم، أخاف أن يقتلوني مرّة أخرى ولا يكون عندي من يحييني، قال: فالتفت الإمام إلى صاحبه وقال له: امض إلى أهلك فاخبرهم، قال: يا مولاي والله لا أفارقك، حتى يأتي الله بالأجل من عنده، فلعن الله من اتّضح له الحق وجعل بينه وبين الحق ستراً، ولم يزل مع عليٍّ عليه السلام حتى قُتِل بصفين.

ثم إنّ أهل الكوفة رجعوا إلى الكوفة واختلفوا أقوالاً فيه عليه السلام[1].

تكرار التاريخ في مقتل قوم انكروا النبي

وقد تكرّر التاريخ أيضاً لعليٍّ عليه السلام في قتل قوم، إذ كانوا يأكلون بالنهار في شهر رمضان، وكانوا يشهدون بأن لا إله إلا الله ولم يشهدوا بأنّ محمداً رسول الله ﷺ، فنصحهم وأرفق بهم فلم يكترثوا بذلك.

فحكى قصتهم الإمام الصادق عليه السلام ثم قال: فبينما هو ذات يوم في المسجد

---

(١) أنظر الفضائل لابن شاذان٢-٥، الروضة في الفضائل والمعجزات: ١٤٣،وعنهما في البحار٤٠: ٢٧٤،نوادر المعجزات للطبري: ٣٦ح١٢، إحقاق الحق ٨: ٧٢٦عن دُرّ بحر المناقب للموصلي: ١٠١، باختلاف يسير، وفي مصادره بعض الإختلاف جمعنا بينها لفظاً.

إذ قدم عليه يهودي من أهل يثرب قد أقرّ له من في يثرب من اليهود أنه أعلمهم، وكذلك كانت آباؤه من قبل، قال: وقدم على أميرالمؤمنين في عدّة من أهل بيته، فلما انتهوا إلى المسجد الأعظم بالكوفة أناخوا رواحلهم ثم وقفوا على باب المسجد، وأرسلوا إلى أميرالمؤمنين عليه السلام: إنا قوم من اليهود قدمنا من الحجاز ولنا إليك حاجة فهل تخرج إلينا أم ندخل إليك؟ قال: فخرج إليهم، وهو يقول: سيدخلون ويستأنفون باليمين، فما حاجتكم؟ فقال له عظيمهم: يا ابن أبي طالب ما هذه البدعة التي أحدثت في دين محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له، وأيّة بدعة؟ فقال له اليهودي: زعم قوم من أهل الحجاز أنك عمدت إلى قوم شهدوا أن لا إله إلاّ الله ولم يقرّوا أنّ محمداً رسول الله فقتلتهم... .

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: فنشدتك بالتسع آيات التي أنزلت على موسى بطور سيناء وبحق الكنائس الخمس القدس وبحق الصمد الديان، هل تعلم أنّ يوشع بن نون أُتي بقوم بعد وفاة موسى عليه السلام شهدوا أن لا إله إلا الله ولم يقرّوا أنّ موسى رسول الله فقتلهم بمثل هذه القتلة؟ فقال له اليهودي: نعم أشهد أنك لناموس موسى، قال: ثم أخرج من تحت قبائه كتاباً فدفعه إلى أميرالمؤمنين عليه السلام ففضّه ونظر فيه وبكى، فقال له اليهودي: ما يبكيك يا ابن أبي طالب إذا نظرت في هذا الكتاب وهو كتاب سريانيّ وأنت رجل عربيّ؟ فهل تدري ما هو؟ فقال له أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: نعم هذا إسمي مثبت، فقال له اليهودي: فأرني اسمك في هذا الكتاب، وأخبرني ما اسمك بالسريانية، قال: فأراه أميرالمؤمنين عليه السلام اسمه في الصحيفة وقال: إسمي إليا، فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وأشهد أنك وصي محمد، وأشهد أنك أولى الناس بالناس من بعد محمد صلى الله عليه وآله، وبايعوا أميرالمؤمنين ودخلوا المسجد.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً، الحمد لله الذي أثبتني عنده في صحيفة الأبرار[1].

---

(١) الكافي٤: ١٨١-١٨٣، وعنه في البحار٣٨: ٦٠ ح٤٠: ٢٨٨.

مضاهاة يهود هذه الأمة بأسلافهم

عن الإمام العسكري عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: لما نزلت: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾[1]، في اليهود، أي الذين نقضوا عهد الله وكذّبوا رُسُل الله، وقتلوا أولياء الله: «ألا أنبّئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأمة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «قوم من أمتي ينتحلون أنهم من أهل ملتي، يقتلون أفاضل ذريتي وأطائب أرومتي، ويبدّلون شريعتي وسنتي، ويقتلون ولدي الحسن والحسين كما قتل أسلاف اليهود زكريا ويحيى.

ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم يحرقهم بسيوف أوليائه إلى نار جهنم، ألا ولعن الله قتلة الحسين عليه السلام ومحبيهم وناصريهم، والساكتين عن لعنهم من غير تقية يسكتهم.

ألا وصلّى الله على الباكين على الحسين رحمة وشفقة واللاعنين لأعدائهم والمتلئين عليهم غيظاً وحنقاً، ألا وإنّ الراضين بقتل الحسين شركاء قتلته، ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين الله.

إنّ الله ليأمر ملائكته المقربين أن يتلقّوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلى الخزّان في الجنان، فيمزجوها بماء الحيوان، فتزيد عذوبتها وطيبها ألف ضعفها، وإنّ الملائكة ليتلقّون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين ويلقونها في الهاوية ويمزجونها بحميمها وصديدها وغساقها وغسلينها فيزيد في شدة حرارتها وعظيم عذابها ألف ضعفها يُشدّد بها على المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم»[2].

---

(١) البقرة: ٨٤. وذيلها: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ... ﴾، وفي تفسير علي بن إبراهيم إنّ الآية نزلت في أبي ذر وعثمان في نفي عثمان له إلى الربذة، لاحظ تفسير البرهان١: ١٢٤، فإنه ذكر هذه الرواية بعد رواية المتن عن الإمام العسكري عليه السلام.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٣٦٨، وعنه في البحار٤٤: ٣٠٤.

ولتكرار التاريخ شواهد أخرى تجدها في مطاوي التاريخ والأحاديث.

منها: تكرار الرجعة -التي وقعت في الأمم السابقة- في هذه الأمة، فقد سُئِل الباقر عليه السلام: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون هاهنا مثله؟ فقال: لا، قال: فحدّثني عن قول الله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾ حتى نظر الناس إليهم، ثم أماتهم من يومهم أو ردّهم إلى الدنيا؟ فقال: بل ردّهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ولبثوا بذلك ما شاء الله حتى ماتوا بالآجال[1]، ونظير ذلك ماسيحدث في الرجعة، وقد استدل بهذه الآية ونظائرها في إثبات الرجعة، كما في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام مع ابن الكواء[2].

ومنها: إنّ أمير المومنين عليه السلام قال: أنا سيد الشيب، وفيّ سنّة من أيوب، وسيجمع الله لي أهلي كما جمع ليعقوب شمله، وذلك إذا استدار الفلك وقلتم مات أوهلك...[3].

وفي رواية قال عليه السلام: والله ليجمعنّ لي أهلي كما جُمعوا ليعقوب...[4].

فقد حلف عليه السلام أنّ الله سبحانه وتعالى سيجمع له ولده كما جمعهم ليعقوب، وقد كان اجتماعهم في الدنيا، فكذلك سيجتمع الأئمة من ولد أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة إلى الدنيا إن شاء الله تعالى.

ومنها: تكرار قصة ذي القرنين لمولانا صاحب الزمان عليه السلام، وسيأتي إن شاء الله.

ومنها: ما روي عن الصادق عليه السلام قال: إنّ أصحاب موسى ابتلوا بنهر وهو قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ ﴾ وإنّ أصحاب القائم يبتلون بمثل ذلك[5].

---

(١) مختصر البصائر: ٢٣، وعنه في البحار ٥٣: ٧٤، والآية في سورة البقرة: ٢٤٣.

(٢) مختصر البصائر: ٢٣، وعنه في البحار ٥٣: ٧٣-٧٤، تفسير العياشي١: ١٢٩.

(٣) الإرشاد للمفيد ١: ٢٩٠، وعنه في البحار ٥١: ١١١، شرح النهج ٦: ١٣٦، سيد الشيب: أي سيد من ابيضّ شعره.

(٤) مختصر البصائر: ٢٠٥، أمالي المفيد: ١٤٥، وعنه في البحار ٥٣: ٧١.

(٥) غيبة الطوسي: ٤٧٢، غيبة النعماني: ٢١٦، عنهما البحار٥٢: ٣٣٢، الآية في سورة البقرة: ٢٤.

حجة الوداع والإنباء عن قرب الوفاة

قد وقعت هذه الحجة في السنة العاشرة من الهجرة وبأمر من الإله جل جلاله إذ أنزل على نبينا ﷺ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]، فأمر ﷺ بإذاعة الخبر، وأطلع الناس على عزمه، وانتشر الخبر في البلدان في الحث على إتيان فريضة الحج بحضرة النبي ﷺ، فانضوى كثير من المسلمين تحت لوائه بحيث لم يشهد تاريخ العرب بمثل ذلك الاجتماع العظيم.

هناك أسفر النبي ﷺ عن قرب وفاته رسماً، ونعى نفسه للناس، ودعاهم أن يأخذوا منه مناسكهم وما يحتاجونه من أمر دينهم ودنياهم قبل أن يفقدوه، ووصّاهم بوصايا هامة ورغّبهم في العمل بها كي لا يضلّوا بعده، وحذّرهم عن التخلّف عنها والوقوع في المهالك والمتاهات، وذلك لعلمه بما سيقع بعده، وقد تكررت هذه النبوءة منه في مواقف عديدة أهمها في غدير خم.

فكان من نبوءته ﷺ حينما خطب الناس يوم النحر، أن قال بعد الحمد والثناء على الله سبحانه: «أمّا بعد أيها الناس اسمعوا مني ما أبيّن لكم فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا أبداً...».

وفي رواية «لتأخذوا مناسككم فإنّي لا أدري لعلّي لا أحجّ بعد حجتي هذه»، أو«لا أراكم بعد عامي هذا»، وهذه نبوءة تفصح عن قرب وفاته رسماً، وإن كان قد أنبأ بها بعض أصحابه قبل ذلك، وهو عند إرساله معاذ بن جبل إلى اليمن، وقد تقدم ذكره.

وقد أوصاهم في هذا الخطاب بوصايا هامة، من أهمها قوله ﷺ «أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحلّ لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه،فلا ترجعوا كفاراً بعدي يضرب بعضكم أعناق بعض، فإنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي»[2].

---

(١) الحج: ٢٧.

(٢) أنظر سيرة ابن كثير ٤: ٤٠٣-٤٠٤، السيرة الحلبية ٣: ٣٣٧.

فأخبرهم بخلافة الثقلين بعده، وأنبأهم بعدم الضلال بعده إن تمسّكوا بهما، وقد أكّد على خلافتهما والتمسّك بهما أيضاً في مناسبات عديدة لكثرة أهمية الخلافة وخطورتها في الإسلام.

نزول سورة النصر

منها:لما نزلت سورة النصر، وكان نزولها في آخر أيام التشريق-على نقل-، فقال رسول اللهﷺ: «نُعِيَت إليّ نفسي» ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف، فلما اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه،ثم قال: «نضّر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ دعوتهم محيطة من ورائهم، والمؤمنون إخوة تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين».

قالوا:يا رسول الله وما الثقلان؟ قال: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كإصبعتي هاتين-وجمع بين سبابتيه-ولا أقول كهاتين-وجمع بين سبابته والوسطى- فتفضل هذه على هذه».

فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا: يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة نفر منهم إلى مكة ودخلوا الكعبة وتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتاباً إن مات محمداً أو قتل أن لا يردّوا هذا الأمر في أهل بيته أبداً، فأنزل الله على نبيه في ذلك: ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[1].

وفي هذا الحديث مضافاً على النص بالخلافة، إخبار بعدم افتراق العترة من القرآن بعده إلى يوم القيامة، كما قالﷺ في حديث آخر: «...هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»[2].

---

(١) تفسير القمي١: ١٧٣و٢: ٤٤٦ من سورة الزخرف: ٧٩،وعنه في البحار ٣٧: ١١٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٤، مستدرك الحاكم٣: ١٠٩وصححه، المعجم الصغير للطبراني١: ١٥.

وهذا الحديث كما تراه على خطى حديث الثقلين في الدلالة على عصمة عليٍّ عليه السلام.

وقد كرّر الرسولﷺ الإنباء بالرحيل وذكر الثقلين وعدم افتراقهما في مواقف أخرى،مثل حصار الطائف وعرفة و...، و في جميعها حذّرهم عن المخالفة، وأراد بذلك إتمام الحجة على الجميع، كي لا يبقى مجال للإنكار.

منها: ما رواه حذيفة بن اليمان

قال صلّى بنا رسول اللهﷺ ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: «**معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته، فمن عمل بها فاز وغنم وأنجح، ومن تركها حلّت به الندامة، فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة، فكأني أُدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، ومن تمّسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين، ومن تخلّف عنهم كان من الهالكين**» فقلت: يا رسول الله على من تخلّفنا؟ قال: «**على من خلّف موسى بن عمران قومه**؟» قلت: على وصيّه يوشع بن نون؟ قال: «**فإنّ وصيي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب، قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره ومخذول من خذله**»، وساق الحديث في النص على الأئمة الإثني عشر[1].

ومنها: ما رواه عمران بن حصين

قال: خطبنا رسول اللهﷺ فقال: معاشر الناس إني راحل عن قريب ومنطلق إلى المغيب، أوصيكم في عترتي خيراً» فقام إليه سلمان فقال: يا رسول الله أليس الأئمة بعدك من عترتك؟ فقال: «**نعم الأئمة بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل،تسعة من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الأمة، فمن تمسّك بهم فقد تمسّك بحبل الله، لا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، واتبعوهم فإنهم مع الحق والحق معهم حتى يردوا عليّ الحوض**»[2].

---

(١) كفاية الأثر: ١٣٦-١٣٧،وعنه في البحار٣٦: ٣٣٢، حلية الأبرار ٣: ٨١، الإنصاف: ٩٧.

(٢) كفاية الأثر: ١٣٢، وعنه في البحار٣٦: ٣٣٠.

وفي يوم عرفة

قالﷺ في خطابه: «أيها الناس ؛ إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا:كتاب الله وعترتي أهل بيتي، كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا، والآخر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»[1].

وفي حديث عن الحسن بن عليعليه السلام قال: خطبنا رسول اللهﷺ يوماً فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه: «معاشر الناس كأني أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، لا تخلو الأرض منهم، ولو خلت إذاً لساخت بأهلها»ثم قال: «اللهم إني أعلم أنّ العلم لا يبيد ولا ينقطع، وإنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع، أو خائف مغمور، لكيلا تبطل حجتك ولا يضلّ أوليائك بعد إذ هديتهم، أولئك الأقلّون عدداً الأعظمون قدراً عند الله»، وساق الحديث بما فيه من النصّ على الأئمة الإثني عشر وغيبة آخرهم وما فيها،وسيأتي في مقامه[2].

وفي غدير خم

عند ما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ أمر الناس بالاجتماع وكان عددهم مائة ألف أو مائة وعشرون، فخطبهم وقال بعد الحمد والثناء على الله والموعظة للمسلمين: «أما بعد أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين،أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله

---

(١) المعجم الكبير للطبراني٥: ١٦٧، مسند أحمد٣: ١٤، صحيح الترمذي ٥: ٣٢٨، سنن النسائي٥: ١٣٠ح٨٤٦٤، الصواعق المحرقة: ٨٩وغيرها من مصادرهم باختلاف في الألفاظ فلاحظها إن شئت في خلاصة عبقات الأنوار٢: ١٠٩و١٢٧و١٧١و٢١٦و٢٥١وج٧: ٩٦و١٥٠،والغدير١: ٣٤.

(٢) كفاية الأثر: ١٦٣، وعنه في البحار٣٦: ٣٣٩، ولاحظ ينابيع المودة ١: ١٠٤.

واستمسكوا به، وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي»وهناك أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فقال: «فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله»[1].

وفي رواية المفيد: إنه نعى إلى الأمة نفسه وقال: «إني قد دُعيت ويُوشك أن أجيب وقدحان مني خفوق من بين أظهركم، وإني مخلّف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض...»[2].

وأعقب ذلك بيعة المسلمين الحاضرين لعلي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين، وقال له أبوبكر وعمر: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[3].

وهناك نزل الوحي مبشراً بكمال الدين وتمام النعمة بقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[4].

فقد روى صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سمعته يقول: لمّا نزلت الولاية لعلي عليه السلام قام رجل من جانب الناس فقال: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلّها بعده إلا كافر، فجاءه الثاني فقال له: يا عبد الله! من أنت؟ قال: فسكت، فرجع الثاني إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله إني رأيت رجلاً في جانب الناس وهو يقول: لقد عقد هذا الرسول لهذا الرجل عقدة لا يحلّها إلا كافر، فقال: «يا فلان! ذلك جبرئيل، فإياك أن تكون ممّن يحلّ العقدة فينكص»[5]، فأنبأه ﷺ عما كان يضمره من حلّ العقد، وعلى ضوء يثبت كفر الناصبين لعلي عليه السلام.

---

(١) أنظر صحيح مسلم٥: ٢٢ح ٨، مسند أحمد: ٣٤٧، كنز العمال١١: ٦٠٩، المستدرك للحاكم٣: ١٠٩، السنن الكبرى٥: ٤٥، تفسير الفخر الرازي٣: ٦٣٦، مصابيح السنة للبغوي ٢: ٢٧٢.

(٢) الإرشاد للمفيد١: ١٧٦، إعلام الورى ١: ٢٦٢.

(٣) تاريخ بغداد ٨: ٢٨٤، مسند أحمد٤: ٢٨١.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) قرب الإسناد: ٦١، وعنه في البحار٣٧: ١٢٠، مدينة المعاجز للبحراني١: ٣٠٢.

وأصبحت هذه الواقعة من أعظم وقائع التاريخ الإسلامي، وشاء الله تعالى أن تبقى في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والأفئدة، ويكتب عنه الكتّاب والمفكرون على مرّ الزمان، وقلّما تجد حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامة وفي التاريخ الإسلامي خاصة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير ومراسيم تعيين خليفة الرسول المصطفى ﷺ من الاهتمام والالتفات.

وعلى أية حال، فقد أنباء رسول الله ﷺ في هذا الخطاب الهام عن قرب وفاته، وأوصاهم بالتمسك بالثقلين وضمن لهم عدم الضلال بشرط عدم المخالفة، ونصّ على الخليفة بعده، وعلى أنه عليه السلام أولى الناس بأنفسهم كما أنّ النبي أولى منهم بأنفسهم، وقد ورد هذا الحديث في أغلب مصادر العامة بطرق عديدة وألفاظ مختلفة، واعتبروا هذه الفضيلة من أهمّ فضائل الإمام علي عليه السلام التي لا يتطرّق إليها أيّ ريب.

ثم إنّ الضلال والانحراف الذي كان النبي ﷺ يحذّر منه بان فيهم في أواخر عمره الشريف، وذلك لمّا حضر الناس عنده وأراد ﷺ أن يؤكد عليهم الوصية، فقال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ثم أخذ بيد علي عليه السلام فقال: «هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»[1]، ثم قال: «إيتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»[2]، وأراد بذلك الكتاب أن تبقى وثيقة رسمية في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام مضافاً إلى ما قد كرّره في مناسبات عديدة بهذا الشأن شفاهاً، فمن ثم ثارت عليه الجبهة المعارضة، وقال عمر كلامه المعروف: حسبنا كتاب الله إنّ الرجل ليهجر، ومنعوا من الإتيان بورقة ودواة، فلما اشتدّ اللغو والاختلاف غضب النبي ﷺ عليهم، وقال: «قوموا عني»[3].

وفي الصواعق المحرقة: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس؛ يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلّف كتاب الله

---

(١) الصواعق المحرقة: ٨٩، كشف الأستار٣: ٣٢١.

(٢) صحيح البخاري٤: ٣١ وج٧: ٩ باب قول المريض قوموا عني.

(٣) صحيح البخاري٧: ٩، فتح الباري ٨: ١٠٣، السنن الكبرى للنسائي: ٣٦٠.

عز وجل وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد عليٍّ فرفعها فقال: هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع عليٍّ لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»[1].

قال ابن حجر: ثم اعلم أنّ لحديث التمسّك بذلك(يعني حديث الثقلين)طُرقاً كثيرة وردت عن نيّف وعشرين صحابياً...[2].

والذي يلوح من هذه الأحاديث، ومن قولهﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**[3]كراراً ومن قولهﷺ: **«أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم»**[4]، إنّ النبيﷺ كان عالماً بارتداد أكثر الصحابة من بعده وانغماسهم في الدنيا وإعراضهم عن وصاياه، وقد أنبأه الله تعالى بذلك في قوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ ﴾[5].

وروى البخاري بسنده إلى سعيد بن جبير أنّ ابن عباس كان يقول: لقد اشتدّ الوجع لرسول الله يوم الخميس، فقال: **«ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده»** فتنازعوا عليه، وما ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر استفهموه، فذهبوا يردّون عليه، فقال:

«دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأوصاهم بثلاث: إخراج المشركين من جزيرة العرب، وأن يجيزوا الوفود التي كانت تأتيه بمثل ما كان يجيزهم، وسكت الراوي عن الثالثة عمداً، وقال: إني نسيتها.

وأضاف البخاري أنّ عبد الله بن عباس كان يقول: إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[6].

ثم إنّ الوصية التي سكت عنها الراوي-كما هو شأنهم في كثير من

---

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٤ط المحمدية، ينابيع المودة ٥: ٦٢٨ ط اسلامبول.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٤٨ ط المحمدية.

(٣) سنن ابن ماجة٢: ١٣٠٠.

(٤) تاريخ الطبري٢: ٤٣٢.

(٥) آل عمران: ١٤٤.

(٦) صحيح البخاري١: ٣٧ وج٤: ٣١، طبقات ابن سعد٢: ٢٤٢-٢٤٤.

المرويات التي لم تطابق أمياهم-هي الوصية بأهل بيتهﷺ، وهذه الوصية هي التي أراد كتابتها كي تبقى وثيقة خالدة لا يمكن لأحد إنكارها وتأويلها، ولو كانت غير ذلك لحدّثوا بها كما حدّثوا بغيرها ولم يسكتوا عنها.

ويؤيده ما روي من أنهﷺ قال: «**أبعد الذي قلتم، لا ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيراً**» وأعرض بوجهه عن القوم فانصرفوا، وبقي عنده العباس والفضل ابنه وعلي بن أبي طالبؑ وأهل بيته خاصة، فقال له العباس: يا رسول الله: إن يكن هذا الأمر فينا مستقراً بعدك فبشّرنا، وإن كنت تعلم أنّا نُغلَب عليه فأوصِ بنا، فقال: «**أنتم المستضعفون من بعدي**»[1]، وهذه الجملة نبوءة منه على ما سيقع على أهل بيته، وقد وردت عنه في مناسبات أخرى[2].

والذي يظهر بوضوح من هذه الوقفة المؤلمة والمخالفة الصريحة لأوامر النبيﷺ من بعض الصحابة الشاخصين، بضميمة تخلّفهم عن جيش أسامة وما صدرت منهم مسبقاً من المخالفات،هو وجود نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكد في الإستيلاء على زمام الأمور والقيادة السياسية في المجتمع الإسلامي بعد رحيل النبيﷺ، وإزواء الخليفة الذي نصبهﷺ عن الله في مؤتمر الغدير رسماً ولوّح به في مواطن عديدة أخرى.

ولأجل علمهﷺ بتلك النشاطات والنوايا تراه قد أصرّ وأكّد على خروج رؤوس المعارضة وأصحاب الصحيفة من المدينة لمقاتلة الروم كي تخلو المدينة عند وفاته منهم، وتفشل بذلك خططهم الظالمة.

الخروج إلى البقيع ونبوءته عن الداهية العظمى وإقبال الفتن

ولما أحسّ بالمرض الذي عراه أخذ بيد علي بن أبي طالبؑ وتبعه جماعة من الناس وتوجّه إلى البقيع، فقال لمن اتبعه: «**إني قد أمرت بالإستغفار لأهل**

---

(١) الإرشاد للمفيد ١: ١٨٤، البحار ٢٢: ٤٦٩، إعلام الورى ١: ٢٦٦.

(٢) كما قالها للحسن والحسين ؑ، وكقولهﷺ: «يا بني هاشم أنتم المستضعفون المقهورون المستذلون بعدي» رواه الحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٥٥٩، مجمع الزوائد للهيثمي ٩: ٣٤، مسند أحمد ٦: ٣٣٩، المعجم الكبير للطبراني ٢٥: ٢٣.

البقيع» فانطلقوا معه حتى وقف بين أظهرهم، فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور ليهنئكم ما أصبحتم فيه مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أوّلها آخرها» ثم استغفر لأهل البقيع طويلاً، وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «إنّ جبرئيل عليه السلام كان يعرض عليّ القرآن كل سنة مرة، وقد عرضه عليّ العام مرّتين، ولا أراه إلا لحضور أجلي، ثم قال: «يا علي إني خُيّرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنة، فاخترت لقاء ربّي والجنة، فإذا أنا متّ فاستر عورتي، فإنه لا يراها أحد إلا أكمه» ثم عاد إلى منزله، فمكث ثلاثة أيام موعوكاً، ثم خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام بيمنى يديه، وعلى الفضل بن عباس باليد الأخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه ثم قال: «معاشر الناس قد حان مني خفوق من بين أظهركم، فمن كان له عندي عدة فليأتني أعطه إياها،ومن كان له عليّ دين فليخبرني به.

معاشر الناس ليس بين الله وبين أحد شيء يعطيه به خيراً، أو يصرف عنه به شراً إلا العمل، أيها الناس لا يدّعي مدّع ولا يتمنّى متمنّ»[1].

---

(١) الإرشاد٢: ١٨١، وعنه في البحار٢٢: ٤٦٦، المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٠١-٢٠٢، ولحوه في سيرة ابن إسحاق ٤: ٢٩١-٢٩٢عن أبي مويهبة مولى رسول الله قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل، فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع...» وفيه فقلت: بأبي أنت وأمي خذ خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فقال: «لاوالله يابا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة». وعنه في البحار٢١: ٤٠٩،وسيرة ابن هشام ٤: ١٠٥٧، سيرة ابن كثير٤: ٤٤٣-٤٤٤، مسند أحمد ٣: ٤٨٩.

الإنباء عن الخلافة الإسلامية الحقة

إنّ احتياج الناس إلى الخليفة واضطرارهم إلى الحجة من الأمور الثابتة التي لا يشوبها شك ولا ظلام، فإنّ كل ما ذُكِر في إثبات احتياج الناس إلى الرسل، جارٍ في احتياج الناس إلى أوصياء الرسل وخلفائهم من بعدهم إلى ظهور نبي آخر، فإنّ الأرض لا يمكن أن تبقى بدون حجة وخليفة، ولو بقيت بغير إمام وخليفة لساخت بأهلها[1]، فإنّ الحجة-كما قال الصادق عليه السلام-قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق[2]، ولو خلق الله الخليقة خلواً من الخليفة لكان قد عرّضهم للتلف[3].

ومن ثم لما أراد الله عز وجل خلق الخلق قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[4]، فبدأ بالخليفة قبل الخليقة، ومن المعلوم أنّ الحكيم الخبير يبدأ بالأهم.

ويؤيده قوله عليه السلام: ولم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيه ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولو لا ذلك لم يُعبد الله.

قال الراوي: فقلت للصادق عليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ فقال عليه السلام: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب[5].

فبان أنّ الخليفة هو الذي يقوم بالأمر ويدوم به النوع، ويحفظ به البلاد ويهتدي به العباد، ويُمسك به السماوات والأرضون، ولولاه لانتقض الغرض من خلق الخلق وكان عبثاً، لأنه سبحانه قال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[6]، وإذا كانت الغاية من الخلق بلوغ الإنسان إلى أقصى درجات الكمال واتصاله بالملأ الأعلى ومعرفة المعبود والعبودية الكاملة له، فلا بدّ من وجود خليفة لله على

---

(١) لاحظ الإمامة والتبصرة لابن بابويه: ٣٤.

(٢) الكافي ١: ١٧٧ ح٤ كتاب الحجة.

(٣) لاحظ كمال الدين وتمام النعمة للصدوق: ٤.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) كمال الدين-باب العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام-١: ٢٠٧، ح٢٢.

(٦) الذاريات: ٥٦.

خلقه وحجة يعرّفهم بالله ويدعوهم إلى سبيله ويبين لهم الحق من الباطل، ولولاه لما قامت الحجة على الخلق، وما عُبد الله.

وهنا يظهر السرّ في اتصال الوصية من لدن آدم إلى نبينا ﷺ وعدم انقطاعها، ومن ثم لا مناص من أن يكون الخليفة معصوماً من الأخطاء عادلاً عالماً بجميع الأمور، ومنصوصاً عليه من قبل الله تعالى، حيث إنها مهمة إلهية استمراراً لمهمة الرسول، فإذا كان الرسول هو الماسك بزمامها وعلى وجوده تدور رحاها فلا بدّ من أن يكون وصيه والقائم بالأمر بعده واجداً لصفاته التي اشترطت فيه سوى النبوة، لأنّ دور الوصي من بعده هو نفس دوره، كما قال الصادق عليه السلام: كل ما كان لرسول الله ﷺ فلنا مثله إلا النبوة والأزواج[1].

وهذا الأمر جار في جميع أوصياء الأنبياء وخلفائهم، ولا يقدح في إمامتهم وحجّيتهم على الخلق، منعهم من الخلافة و إزوائهم عن المنصب الذي اختاره الله لهم فاستبدّ به دونهم، كما لا يقدح في نبوة الأنبياء تكذيب من كذّبهم وعداوة من ناواهم وحاربهم وصار سبباً لتشريدهم واختفائهم، فإنّ الأعداء قد فوّتوا الخير على أنفسهم، وإنّ الحجة قد تمّت عليهم فلا عذر لهم بعده أبداً، كما قال سبحانه: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[2].

والذي يتماشى مع بحثنا هو تكرّر ما جرى في السابق لأنّ التاريخ يعيد نفسه ومعه نستطيع أن نتنبأ بما يجري على أوصياء النبي وهكذا نلاحظ إنباءات النبي ﷺ حول ذلك، فإننا سنجد أنّ سائر ما جرى على أوصياء الأنبياء من السنن الإلهية التي منها كونهم اثني عشر نقيباً أو حوارياً -فهو جار في أوصياء الرسول المصطفى ﷺ وخلفائه أيضاً، فقد أنبأ ﷺ عنهم وعن عددهم وسماتهم وأنهم بعدد نقباء بني إسرائيل وحواريّ عيسى، وفي كثير من الأحاديث ذكر أسمائهم وما يجري عليهم، وبذلك يظهر المراد من قوله ﷺ «إثني عشر خليفة» غير أنّ العامة احتارت في تعيين المراد من قوله ﷺ وتضاربت أقوالهم، فوقعوا في المتاهات لمّا حاولوا في تفسيره على منحاهم وعدم الاعتراف بحقانية خلافة

---

(١) المختصر لابن سليمان الحلي: ٢٠، البحار ٢٦: ٢٦٧، عن تفضيل الأئمة.

(٢) النساء: ١٦٦.

الأئمة الإثني عشر من أهل بيت النبي ﷺ، وسنتدرّج في ذكر الأحاديث بما يبيّن بعضها بعضاً.

فقد روى أصحاب الصحاح والمسانيد عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنى عشر خليفة كلّهم من قريش»[1].

وفي رواية: «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنى عشر رجلاً»[2].

وفي رواية: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثنى عشر خليفة»[3].

والروايات بهذا المعنى كثيرة جداً ولسنا بصدد إثبات ذلك، ومن أراده يرجع إلى كتب الإعتقاد، ونشير هنا إلى مصادره الأخرى[4].

كلام القندوزي في حديث الأئمة الإثني عشر

ويناسب هنا أن ذكر كلام بعض من اعترف بالحق من العامة حول حديث الأئمة الإثني عشر وهو القندوزي الحنفي.

فإنه قال: إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ إثنى عشر، قد اشتهرت من طُرق كثيرة، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان، عُلِم أنّ مراد رسول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الإثنى عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر.

---

(١) صحيح مسلم ٦: ٤، مسند أحمد ٥: ٨٦ و٨٨، سنن أبي داود ٢: ٣٠٩ ح٤٢٧٩.

(٢) مسند أحمد٥: ٦٧-٩٨ و١٠١.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٤، المعجم الكبير ٢: ١٩٥، كنز العمال ١٢: ٣٢ ح ٣٣٨٥٠.

(٤) انظر المعجم الكبير ٢: ٢٥٤، ومسند أحمد١: ٣٩٨، وص٤٠٦، وج ٥: ٩٢، وسنن الترمذي ٣: ٣٤٠، وكنز العمال ١٢: ٣٣ ح ٣٣٨٥٨، وص ٣٤ ح٣٣٨٦١، وفتح الباري ١٦: ٣٣٩، ومجمع الزوائد ٥: ١٩٠، والصواعق المحرقة: ١٢، وتاريخ الخلفاء اللسيوطي: ١٠، وينابيع المودة ٣: ٢٩٠، كفاية الأثر: ٢٥ و٧٦، والبحار٣٦: ٣١١ و٣٢٠، والبداية والنهاية ٦: ٢٧٨، وتاريخ ابن كثير٦: ٢٤٨، وص٢٤٩-٢٥٠، وشواهد التنزيل ١: ٤٥٥ح٦٢٦، وإعلام الورى٢: ١٦٤-١٦٥، عن الدرويستي في كتابه(الردّ على الزيدية)، وكشف الغمة ٣: ٣٠٩، وينابيع المودة للقندوزي ١: ٩٦-فضل حديث الثقلين وحديث الغدير، ودلائل الصدق للمظفر: ٤٨٦.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأمويين لزيادتهم على اثني عشر ولظلمهم الفاحش إلا عمر بن عبد العزيز، ولكونهم من غير بني هاشم، لأنّ النبيﷺ قال: «كلّهم من بني هاشم» في رواية عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوتهﷺ في هذا القول يرجّح هذه الرواية، لأنهم لا يحسنون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك العباسيين، لزيادتهم على العدد المذكور ولقلّة رعايتهم الآية: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ وحديث الكساء.

فلابدّ من أن يُحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترتهﷺ، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، وكان علومهم عن آبائهم متصلاً بجدّهم وبالوراثة اللدنية،كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق.

ويؤيد هذا المعنى،-أي أنّ مراد النبيﷺ الأئمة الإثنى عشر من أهل بيته-ويشهد له ويرجّحه حديث الثقلين، والأحاديث المتكررة في هذا الكتاب(ينابيع المودة)وغيرها...[1].

وهناك أحاديث مصرحة بأسمائهم وخصوصياتهم بما لا يبقى أيّ شك في تعيينهم، نذكر بعضها بما فيها من النبوءات.

فمنها: إنبائهﷺ جندل عن أوصياءه وأنه لن تدرك منهم إلا ثلاثة...ويكون آخر زادك شربة من لبن

روى واثلة بن الأسقع، عن جابر بن عبد الله قدوم جندل بن جنادة اليهودي من خيبر على رسول اللهﷺ وسؤاله عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله، وجواب النبيﷺ عن ذلك، وإسلامه إلى أن قال:

يا رسول الله إنّي رأيت البارحة في النوم موسى بن عمرانؑ فقال لي: يا جندل أسلم على يد محمّد واستمسك بالأوصياء من بعده، فقد أسلمت ورزقني الله ذلك، فأخبرني بالأوصياء بعدك لأتمسّك بهم؟ فقال: «يا جندل أوصيائي من بعدي

---

(١) ينابيع المودة للقندوزي ١: ٩٦-فصل حديث الثقلين وحديث الغدير.

بعدد نقباء بني إسرائيل» فقال: يا رسول الله إنّهم كانوا اثني عشر، هكذا وجدنا في التوراة، قال: «نعم الأئمة بعدي إثنى عشر» فقال: يا رسول الله كلّهم في زمن واحد؟ قال: «لا ولكن خلف بعد خلف، فإنّك لن تدرك منهم إلا ثلاثة» قال: فسمّهم لي يا رسول الله، قال: «نعم إنّك تدرك سيّد الأوصياء ووارث الأنبياء وأبا الأئمة علي بن أبي طالب بعدي، ثمّ ابنه الحسن، ثمّ الحسين، فاستمسك بهم من بعدي ولا يغرّنك جهل الجاهلين، فإذا كانت ولادة ابنه عليّ بن الحسين سيّد العابدين يقضي الله عليك، ويكون آخر زادك من الدنيا شربة من لبن».

فقال: يا رسول الله هكذا وجدت في التوراة إليا بقطوا شبّراً وشبيراً، فلم أعرف أساميهم، فكم بعد الحسين من الأوصياء وما أساميهم؟ فقال: «تسعة من صلب الحسين والمهديّ منهم، فإذا انقضت مدّة الحسين قام بالأمر بعده عليّ ابنه ويلقّب بزين العابدين، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده ابنه يُدعى بالباقر، فإذا انقضت مدّة محمّد قام بالأمر بعده جعفر ويدعى بالصادق، فإذا انقضت مدّة جعفر قام بالأمر بعده موسى ويُدعى بالكاظم، ثمّ إذا انتهت مدّة موسى قام بالأمر بعده ابنه عليّ ويُدعى بالرضا، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده ابنه محمّد ويُدعى بالزكيّ، فإذا انقضت مدّة محمّد قام بالأمر بعده عليّ ابنه ويُدعى بالنقيّ، فإذا انقضت مدّة عليّ قام بالأمر بعده الحسن ابنه ويُدعى بالأمين، ثم يغيب عنهم إمامهم» قال: يا رسول الله هو الحسن يغيب عنهم؟ قال: «لا ولكن ابنه الحجّة» قال: يا رسول الله فما اسمه؟ قال: «لا يسمّى حتّى يظهره الله».

قال جندل: يا رسول الله قد وجدنا ذكركم في التوراة، وقد بشّرنا موسى بن عمران بك وبالأوصياء بعدك من ذريّتك، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾[1]، فقال جندل: يا رسول الله فما خوفهم؟ قال: «ياجندل في زمن كلّ واحد منهم جبّار يعتريه ويؤذيه، فإذا عجّل الله خروج قائمنا يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»، ثمّ قال ﷺ: «طوبى للصابرين في

(١) النور: ٥٥.

غيبته، طوبى للمقيمين على محجّتهم، أولئك وصفهم الله في كتابه وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[1] وقال: ﴿ أُولَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

وقد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ في جندل في أيام إمامة الحسين عليه السلام، قال ابن الأسقع: ثمّ عاش جندل بن جنادة إلى أيّام الحسين بن عليّ عليه السلام، ثمّ خرج إلى الطائف، فحدّثني نعيم بن أبي قيس قال: دخلت عليه بالطائف وهو عليل، ثمّ إنّه دعا بشربة من لبن فشربه وقال: هكذا عهد إليّ رسول الله ﷺ «أنّه يكون آخر زادي من الدنيا شربة من لبن» ثمّ مات ودفن بالطائف في الموضع المعروف بالكوراء[3].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن سلمان الفارسي ؛ قال: قلنا يوماً: يا رسول الله من الخليفة بعدك حتى نعلمه؟ قال لي: «يا سلمان أدخل عليّ أبا ذر والمقداد وأبا أيوب الأنصاري» -وأم سلمة من وراء الباب- ثم قال لنا: «اشهدوا وافهموا عني إنّ عليّ بن أبي طالب وصيّي ووارثي وقاضي ديني وعداتي، وهو الفاروق بين الحق والباطل وهو يعسوب المسلمين وإمام المتقين وقائد الغُرّ المحجّلين والحامل غداً لواء ربّ العالمين، وهو وولداه من بعده، ثم من ولد الحسين ابني أئمة تسعة هداة مهديون إلى يوم القيامة، أشكو إلى الله جحود أمتي لأخي، وتظاهرهم عليه وظلمهم له وأخذهم حقّه» قال: فقلنا يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: «نعم يُقتل مظلوماً من بعد أن يُملأ غيظاً، ويُوجد عند ذلك صابراً» قال: فلما سمعت ذلك فاطمة أقبلت حتى دخلت من وراء الحجاب وهي باكية، فقال لها رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا بنية؟» قالت: سمعتك تقول في ابن عمي وولدي ما تقول، قال: «وأنت تُظلمين، وعن حقك تُدفعين، وأنت أوّل أهل بيتي لحوقاً وبعد أربعين[4]، يا فاطمة أنا سلم لمن سالمك

---

(١) البقرة: ٣.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) كفاية الأثر: ٥٧، وعنه في البحار ٣٦: ٣٠٤، إحقاق الحق ١٣: ٥٣.

(٤) وفي البحار٤٣: ١٥٦ إنه ﷺ قال: «لا تمكثين من بعدي إلا اثنين وسبعين يوماً ونصف يوم حتى تلحقي بي، ولا تلحقي بي حتى تتحفي بثمار الجنة فضحكت فاطمة عليها السلام، أقول: قد اختلفت المرويات في مدة بقائها بعد أبيها، ولعله كان لمصلحة، وأما نبوءته ﷺ عن أكلها من ثمار الجنة، فقد تحققت في زمان مرضها، لما دخل عليها سلمان الفارسي وحدّثته بما عرض لها من دخول جوار لم ير

وحرب لمن حاربك، أستودعك الله وجبرئيل وصالح المؤمنين» قال: قلت يا رسول الله من صالح المؤمنين؟ قال: «علي بن أبي طالب»[1].

حديث جابر في الأئمة عليهم السلام

وقوله ﷺ في الباقر منهم: إنك ستدركه...

وعن جابر الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لما أنزل الله ﷻ على نبيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ قال: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن،ثم الحسين، ثم علي بن الحسين،ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فاقرءه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميّي وكنيّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال: فقال جابر: يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته؟ فقال ﷺ: «إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به و يستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب، يا جابر هذا مكنون سرّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلا عن أهله».

أقول:قد تحققت نبوءة رسول الله ﷺ لجابر في دركه الإمام الباقر عليه السلام وقد

الراؤن بحسنهنّ... ثم قالت: أخرجن لي رطباً أزرق كأمثال الخشكنانج الكبار، أبيض من الثلج وأزكى ريحاً من المسك الأزفر...ثم علّمته دعاء النور،(لاحظ البحار٤٣: ٦٦ عن مهج الدعوات لابن طاووس، ومثله في الثاقب في المناقب: ٣٦١، دلائل الإمامة: ٢٨، الخرائج والجرائح٢: ٥٣٣ ح ٢٩)وقد أتحفت الزهراء عليها السلام من طعام الجنة وثمارها عدة مرات في زمان أبيها أيضاً، فراجع ما ورد في تاريخها عليها السلام.

(١) اليقين: ١٨٨-٨٩-وعنه في البحار٣٦: ٢٦٤.

أبلغه عن رسول اللهﷺ السلام.

قال جابر: فدخلت على علي بن الحسينؑ فبينا أنا أحدّثه إذ خرج محمد بن علي الباقر من عند نسائه وعلى رأسه ذؤابة وهو غلام، فلمّا أبصرته ارتعدت فرائصي وقامت كل شعرة على بدني، ونظرت إليه وقلت: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قلت: أدبر، فأدبر، فقلت: شمائل رسول اللهﷺ وربّ الكعبة، ثم دنوت منه وقلت: ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد، قلت: ابن من؟ قال: علي بن الحسين، قلت: يا بُنيّ فداك نفسي، فأنت إذاً الباقر! فقال: نعم فأبلِغني ما حمّلك رسول اللهﷺ، فقلت: يا مولاي إنّ رسول اللهﷺ بشّرني بالبقاء إلى أن ألقاك، فقال لي إذا لقيته فاقرءه مني السلام، فرسول اللهﷺ يقرأ عليك السلام، قال أبو جعفرؑ: يا جابر وعلى رسول الله السلام ما قامت السماوات والأرض وعليك يا جابر كما بلّغت السلام.

وكان جابر بعد ذلك يختلف إليه ويتعلّم منه، فسأله محمد بن عليؑ عن شيء، فقال له جابر: والله لا دخلت في نهي رسول اللهﷺ، فقد أخبرني أنكم الأئمة الهداة من أهل بيته من بعده، وأحلم الناس صغاراً و أعلمهم كباراً، وقال: «لا تعلّموهم فهم أعلم منكم» فقال أبو جعفرؑ: صدق رسول اللهﷺ والله إني لأعلم منك بما سألتك عنه، ولقد أوتيت الحكم صبياً كل ذلك بفضل الله علينا ورحمته لنا أهل البيت[1].

عزيزي القارئ هذه نبذة مما ورد من الإنباء في الأئمة الإثني عشر وإن شئت المزيد فراجع مضانّها من الكتب المخصصة بذلك.

إتمام الحجة في خلافة عليٍّؑ ودفع الوصية له وما فيهما من النبوءات

إنّ الرسول المصطفىﷺ قد أكّد على خلافة عليٍّؑ ووصايته في مواطن عديدة وبألحاء شتّى إلى آخر أيام عمره الشريف، إعذاراً للناس وإتماماً للحجة عليهم، فكان من محاولاتهؑ في آخر عمره الشريف أن اجتمع

(١) كمال الدين: ٢٥٣ ح٣، وعنه في البحار٣٦: ٢٤٩، ونحوه في كفاية الأثر: ٥٣-٥٤.

بعمه العباس واقترح عليه بقبول الوصية في أموره الشخصية وأن يأخذ تراثه ويقضي دينه، فما كان جوابه إلا الإعتذار وإظهار العجز، فقال رسول الله ﷺ: «أما إني سأعطيها من يأخذ بحقها» ثم قال: «يا علي يا أخا محمد أتنجز عداة محمد وتقضي دينه وتأخذ تراثه؟» فقال عليٌّ عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فنزع النبي ﷺ خاتمه ووضعه في يد علي عليه السلام وأمر بالمغفر والدرع وسائر مختصاته فأعطاها عليا عليه السلام وقال: «يا عليّ إقبضها في حياتي حتى لا ينازعك فيها أحد بعدي»[1].

وفي اجتماع منه ﷺ بسلمان وأبي ذر والمقداد بعد ما عرّفهم بشرائع الإسلام وشروطه قال: «إعلموا أني لا أُقدم على عليٍّ أحداً، فمن تقدّمه فهو ظالم، ثم الثاني ثم الثالث، وويل للرابع ثم الويل له، وويل له ولأبيه مع ويل لمن قبله، ويل لهما ولصاحبهما لا غفر الله له ولهما زلّة، فهذه شروط الإسلام»[2]، وفي هذا الإجتماع أنبأ خواصّ أصحابه عما سيكون بعده من البيعة لغير علي عليه السلام ووقوع الناس في الظلالة، وقد حذّر النبي ﷺ عدد المؤتمرين رؤساء المعارضة.

وفي اجتماع منه ﷺ بالأنصار -في حديث عن الكاظم عليه السلام- بعد ما أنبأهم عن قرب أجله وأوصاهم بالتمسك بالثقلين...كتاب الله والعترة- وأنّ من أتى بواحدة وترك الأخرى كان جاحداً للأولى، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، قال: «أيها الناس ألا فهمتم، الله الله في أهل بيتي، مصابيح الهدى، ومعادن العلم وينابيع الحِكَم، ومستقرّ الملائكة، منهم وصيي وأميني ووارثي ومن هو مني بمنزلة هارون من موسى عليٌّ عليه السلام، ألا هل بلّغت؟!

والله يا معاشر الأنصار ألا إسمعوا ومن حضر، ألا إنّ باب فاطمة بابي وبيتها بيتي فمن هتكه فقد هتك حجاب الله».

قال الراوي: فبكى أبو الحسن عليه السلام طويلاً، وقطع عنه بقية الحديث وأكثر البكاء، وقال: هُتِك والله حجاب الله، هُتِك والله حجاب الله، هُتِك والله حجاب الله، وحجاب الله حجاب فاطمة، يا أُمّه يا أمّه صلوات الله عليها.

وفي لقاءٍ آخر مع المهاجرين قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إني قد دعيت

---

(١) أُنظر الطرف للسيد ابن طاووس -الطرفة السابعة: ١٣٥.

(٢) الطُرَف -الطرفة السادسة-: ١٢٩.

وإني مجيب دعوة الداعي، وقد اشتقت إلى لقاء ربي واللحوق بإخواني من الأنبياء، وإني أعلمكم أني قد أوصيت وصيّي ولم أهملكم إهمال البهائم ولم أترك من أموركم شيئاً سُدى».

فقام إليه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، أوصيت بما أوصيت به الأنبياء من قبلك؟ قالﷺ: «نعم» فقال له: فبأمر من الله أوصيت أم بأمرك؟.

قال له: «إجلس يا عمر، أوصيت بأمر الله وأمره طاعته، وأوصيت بأمري وأمري طاعة الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى وصيّي فقد عصاني، ومن أطاع وصيي فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ألا ما تريد يا عمر أنت وصاحبك؟!».

ثم التفت إلى الناس وهو مغضب، فقال«أيها الناس اسمعوا وصيّتي، من آمن بي وصدّقني بالنبوة، وأني رسول الله فأوصيه بولاية عليّ بن أبي طالبؑ وطاعته والتصديق له، فإنّ ولايته ولايتي وولاية ربيّ، قد أبلغتكم، فليبلّغ شاهدكم غائبكم، أنّ عليّ بن أبي طالب هو العلم، فمن قصّر دون العلم فقد ضلّ ومن تقدّمه تقدم إلى النار، ومن تأخر عن العلم يميناً هلك، ومن أخذ يساراً غوى، وما توفيقي إلا بالله فهل سمعتم؟» قالوا: نعم[1].

وفي هذا المقطع تعريض منهﷺعلى من يريد التقدم على عليؑ

مراسيم الوصاية وتبيين الموقف تجاه الأحداث المقبلة

وبعد ما أعذر وأكّد على الناس بالوصيّة في كل المواطن والمجالات السياسية، بحيث ما أبقى ثمة عذر لأحد، دعا عليّاؑ وأخرج من كان عنده في البيت من الناس، وفي البيت جبرئيلؑ يحمل الوصية من الله تعالى مع الأُمناء من الملائكة، وعليٌّؑ يسمع صوتهم، فأخذ رسول اللهﷺ كتاب الوصية من يد جبرئيل مختومة، فدفعها إلى أمير المؤمنينؑ وأمره أن يفضّها ففعل.

قال عليٌّؑ:وأمرني أن أقرأها، فقالﷺ: «إنّ جبرئيل عندي، أتاني بها

---

(١) الطُرَف-الطرفة الحادية عشر-: ١٤٧رواه عن الباقرؑ.

الساعة من عند ربي» فقرأتها فإذا فيها كل ما كان رسول الله ﷺ يوصي به شيئاً فشيئاً ما تغادر حرفاً[1].

و تمّت مراسيم الوصاية بأخذ العهد من أمير المؤمنين عليه السلام في العمل بجميع ما ورد فيها من البنود، والوفاء بها، وشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل وختمت الوصية بخواتيم من ذهب لم تمسّه النار، ودفعت إليه عليه السلام.

وكان فيما اشترط عليه النبي ﷺ بأمر من الله عز وجل، أن قال له: «يا عليّ تفي بما فيها من موالاة من والى الله ورسوله والبراءة والعداوة لمن عادى الله ورسوله، وعلى الصبر منك والكظم لغيظك، على ذهاب حقك، وغصب خمسك، وأكل فيئك» فقال عليه السلام: نعم يا رسول الله.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: فوَ الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لقد سمعت جبرئيل يقول للنبي ﷺ: يا محمد أعرفه أنّه منتهك الحرمة وهي حرمة الله وحرمة رسوله ﷺ، وعلى أن تُخضب لحيته من رأسه بدم عبيط.

قال عليٌّ عليه السلام: فصعقتُ حين فهمت الكلمة من الأمين جبرئيل فسقطت على وجهي، وقلت: نعم، قبلت ورضيت، وإن انتهكت الحرمة وعُطّلت السنن وفُرّق الكتاب، وهُدّمت الكعبة، وخُضبت لحيتي من رأسي بدم عبيط صابراً محتسباً أبداً، حتى أقدم عليك.

ثم دعا رسول الله ﷺ فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فأعلمهم بمثل ما أعلم به أمير المؤمنين عليه السلام، فقالوا مثل ذلك[2].

وقد سُئِل الكاظم عليه السلام عما ورد في الوصية، فقال عليه السلام: سنن الله وسنن رسوله ﷺ، قال الراوي قلت: أكان في الوصية ذكر القوم وخلافهم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم، والله شيء بشيء وحرف بحرف، أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ والله والله لقد قال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام: «قد

---

(١) الطرُف-الطرفة الثانية عشر: ١٤٩.

(٢) الطُرف-الطرفة الرابعة عشر: ١٥٣.

فهمتما ما كتب ربكما وما شرط؟» فقالا: بلى وقبلناه بقبوله، وصبرنا على ما ساءنا وأغاظنا حتى نقدم عليك[1].

قوله ﷺ: إنّ القوم سيشغلهم عني ما يشغلهم!!

وفي حديث آخر عنه عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام حين دفع إليه الوصية: **«إتّخذ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى ربّ العرش، فإني محاجّك يوم القيامة بكتاب الله حلاله وحرامه و... فما أنت قائل يا عليّ؟»** فقال علي عليه السلام: بأبي أنت وأمي أرجو بكرامة الله لك ومنزلتك عنده ونعمته عليك أن يعينني ربّي، ويثبّتني، فلا ألقاك بين يدي الله مقصراً ولا متوانياً ولا مفرطاً، ولا أمْعَرَ وجهك، وقاه وجهي ووجوه آبائي وأمهاتي، بل تجدني بأبي أنت وأميّ مشمّراً متبعاً لوصيتك ومنهاجك وطريقتك ما دمت حياً حتى أقدم بها عليك، ثم الأول فالأول من ولدي لا مقصرين ولا مفرّطين.

قال علي عليه السلام: ثم انكببت على وجهه وعلى صدره، وأنا أقول: واوحشتاه بعدك بأبي أنت وأمي، ووحشة ابنتك وبنيك، بل واطول غمي بعدك يا أخي، إنقطعت عن منزلي أخبار السماء، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل، فلا أحسّ أثراً ولا اسمع حساً، فأغمي عليه طويلاً، ثم أفاق ﷺ.

قال أبو الحسن عليه السلام: فقلت لأبي: فما كان بعد إفاقته؟ قال: دخل عليه النساء يبكين وارتفعت الأصوات وضجّ الناس بالباب من المهاجرين والأنصار، فبينا هم كذلك إذ نودي: أين عليٌّ؟ فأقبل حتى دخل عليه.

قال علي عليه السلام: فانكببت عليه، فقال: **«...يا أخي إفهم فهّمك الله وسدّدك وأرشدك ووفّقك و أعانك وغفر ذنبك ورفع ذكرك، إعلم يا أخي إنّ القوم سيشغلهم عنّي ما يشغلهم، فإنما مثلك في الأمة مثل الكعبة، نصبها الله للناس علماً، وإنما تؤتى من كل فج عميق، ونأي سحيق ولا تأتي، وإنما أنت علم الهدى، ونور الدين، وهو نور الله.**

---

(١) الطُرَف-الطرفة الثامنة عشر-: ١٦٥.

يا أخي والذي بعثني بالحق لقد قدّمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم رجلاً رجلاً ما افترض الله عليهم من حقك، وألزمهم من طاعتك وكل أجاب وسلّم إليك الأمر، وإني لأعلم خلاف قولهم، فإذا قُبضت وفرغتَ من جميع ما أوصيتك به وغيبتني في قبري فالزم بيتك واجمع القرآن على تأليفه، والفرائض والأحكام على تنزيله، ثم امض على غير لائمة على ما أمرتك به، وعليك بالصبر على ما ينزل بك وبها حتى تقدموا عليّ»[1].

وفي حديث عن أبي سعيد الخدري: أنه لما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله علياً بما سيلقى بعده، بكى وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أسألك بحقي عليك وحق قرابتي وحق صحبتي، لمّا دعوت الله عز وجل أن يقبضني إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تسألني أن أدعو ربي لأجل مؤجّل؟**» قال: فعلى ما أقاتلهم؟ قال: «**على الإحداث في الدين**»[2].

قوله صلى الله عليه وآله: إنّ أمتي ستفتن بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي...

وفي صعيد الإحداث والعمل بالرأي روى كثير من المحدثين عن علي عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: «**إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب عليّ جهاد المشركين**» قال: فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب عليّ فيها الجهاد؟ قال: «**قوم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وهم مخالفون للسنة**» فقلت: يا رسول الله فعلى ما أُقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد؟ قال: «**على الأحداث في الدين ومخالفة الأمر**» فقلت: يا رسول الله: إنك كنت وعدتني الشهادة، فاسأل الله أن يعجّلها لي بين يديك، قال: «**فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، أما إني وعدتك الشهادة وستستشهد، تضرب على هذه فتخضب هذه فكيف صبرك إذاً؟**» قلت: يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر، هذا موطن شكر، قال: «**أجل أصبت! فأعِدّ للخصومة فإنك مخاصم**».

فقلت: يا رسول الله لو بيّنت لي قليلاً، فقال: «**إنّ أمتي ستفتن من بعدي**

---

(١) الطُرف-الطرفة السادسة عشر: ١٦١.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٠١، وعنه في البحار٢٨: ٤٧، وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد١: ٣٧٣، ومناقب الخوارزمي: ١٧٥، وينابيع المودة١: ٤٠٣.

فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحلّ الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرّف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلّدها، فإذا قلّدتها، جاشت عليك الصدور وقُلّبت لك الأمور، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية بدون حالهم الأولى» فقلت: يا رسول الله فبأيّ المنازل أنزل هؤلاء المفتونين من بعدك، أبمنزلة فتنة أم بمنزلة ردّة؟ قال: **«بمنزلة فتنة يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل»** فقلت: يا رسول الله أيدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ قال: **«بل منا،بنا فتح الله وبنا يختم وبنا ألّف الله بين القلوب بعد الشرك وبنا يؤلف بين القلوب بعد الفتنة»** فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله[1].

قوله ﷺ في فاطمة عليها السلام : يا عليّ ويل لمن ظلمها وويل...

وقيل للكاظم عليه السلام: فما كان بعد خروج الملائكة عن رسول الله ﷺ؟ فقال: لما كان اليوم الذي ثقُل فيه وجع النبي وخيف عليه الموت، دعا علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال لمن في بيته: **«أخرجوا عني»** وقال لأم سلمة: **«كوني على الباب فلا يقربه أحد»** ففعلت، فقال: **«يا عليّ أدنُ مني»** فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً، وأخذ بيد عليّ بيده الأخرى، فلما أراد رسول الله ﷺ الكلام غلبته عبرته، فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة بكاءً شديداً وعليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام لبكاء رسول الله ﷺ، فقالت فاطمة عليها السلام: يا

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ٩: ٢٠٦-٢٠٧، وفي حديث آخر: عند ما نزلت﴿ إذا جاء نصرُ الله ﴾ قال النبي ﷺ: **«يا علي إن الله قضى الجهاد على المؤمنين في الفتنة من بعدي»** فقال علي عليه السلام: يا رسول الله وكيف نجاهد المؤمنين الذين يقولون في فتنتهم آمنا؟ قال: **«تجاهدون على الإحداث في الدين إذا عملوا بالرأي في الدين ولا رأي في الدين، إنما الدين من الرب أمره ونهيه»** قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا رسول الله إنك قد قلت لي حين خزلت عني الشهادة واستشهد من استشهد من المؤمنين يوم أحد«الشهادة من ورائك» قال: **«فكيف صبرك إذا خضبت هذه من هذا»** ووضع رسول الله ﷺ يده على رأسه ولحيته،ثم قال أمير المؤمنين: يا رسول الله ليس حينئذ هو موطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى يوم القيامة، قال: **«يا عليّ أعدّ خصومتك فإنك مخاصم قومك يوم القيامة»**، (تفسير فرات: ٦١٤-٦١٥،ومثله في كنز الفوائد للكراجكي: ٢٢٠، ومثله في أمالي المفيد: ٢٨٨ بزيادة ما ورد في الحديث السابق بعد قوله: **«قومك يوم القيامة»**).

رسول الله قد قطّعت قلبي، وأحرقت كبدي لبكائك يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، ويا أمين ربّه ورسوله ويا حبيبه ونبيّه، من لولدي بعدك؟ ولذلّ ينزل بي بعدك؟ من لعليّ أخيك وناصر الدين؟ من لوحي الله وأمره؟ ثم بكت وأكبّت على وجهه فقبّلته، وأكبّ عليه عليٌّ والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فرفع رأسه ﷺ إليهم ويدها في يده، فوضعها في يد عليٍّ عليه السلام، وقال: «يا أبا الحسن هذه وديعة الله ووديعة رسوله محمد عندك فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنك لفاعله، يا عليّ هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين، هذه والله مريم الكبرى، أمَ والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم فأعطاني ما سألته.

يا عليّ أنفذ لما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمرني بها جبرئيل عليه السلام، واعلم يا عليّ أني راضٍ عمّن رضيت عنه ابنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته، يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزّها حقها، وويل لمن انتهك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها، اللهم إني منهم بريء، وهم مني براء» ثم ضمّها رسول الله ﷺ، وضمّ فاطمة إليه وعليا والحسن والحسين عليهم السلام وقال: «اللهم إني لهم ولمن شايعهم سلم، وزعيم بأنهم يدخلون الجنة، وعدوٌّ وحرب لمن عاداهم وظلمهم وتقدّمهم أو تأخّر عنهم وعن شيعتهم، زعيم بأنهم يدخلون النار، ثم والله يا فاطمة لا أرض حتى ترضي، ثم لا والله لا أرضى حتى ترضي، ثم والله لا أرضى حتى ترضي»[1].

وقال عليٌّ عليه السلام: كنا جلوساً عند النبي ﷺ وهو نائم ورأسه في حجري، فتذاكرنا الدجال فاستيقظ النبي ﷺ محمرّاً وجهه، فقال: «لغير الدجال أخوف عليكم من الدجال، الأئمة المضلّون وسفك دمه عترتي من بعدي، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم»[2].

و كان قد أنبأ المسلمين عن خطر الأئمة المضلين، فقال ﷺ: «إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع عنهم إلى يوم

---

(١) الطُرَف-الطرفة التاسعة عشر: ١٦٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٥١٢ ح٢٧، وعنه في البحار٢٨: ٤٨.

القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين وحتى تعبد في أمتي الأوثان»[1].

وعن ابن مسعود قال:قال رسول اللهﷺ: «عُرضت عليّ النار فيما بينكم وبيني حتى رأيت ظلّي وظلّكم فيها، فأومأت إليكم أن استأخروا، فأوحي إليّ أن أقرّهم... فأوّلت ذلك ما يلقى أمتي بعدي من الفتن»[2].

وروى أيضاً عنهﷺ أنه قال: «أتاني جبرئيل آنفاً فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: فهِّم ذلك؟ قال: إنّ أمتك مفتتنة بعدك بقليل من الدهر غير كثير، قلت: فتنة كفر أو ضلال؟ قال: كل ذلك سيكون، فقلت: ومن أين ذلك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يُضلّون، وأول ذلك من قبل أمرائهم وقرّائهم، يمنع الأمراء الحقوق فيسأل الناس حقوقهم فلا يعطونها فيفتتنوا ويقتتلوا، ويتّبعوا القرّاء هوى الأمراء فيمدّونهم في الغي ثم لا يقصرون، فقلت: يا جبرئيل فبم يسلم من يسلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوه تركوه»[3].

وقد سأل عيسى بن المستفاد الضرير الكاظمؑ عن قصة صلاة أبي بكر بالناس في حياة النبيﷺ، فأجابهؑ عن ذلك، ثم أخبره عن خطاب النبي للناس بعد ما صلّى بهم جالساً، وما في ذلك الخطاب من الوصية في كتاب الله جل جلاله ووصيّه عليّ بن أبي طالبؑ، وذكر فضائلهؑ، إلى أن قالﷺ: «أيها الناس لا تأتوني غداً بالدنيا تزفّونها زفاً، ويأتي أهل بيتي شُعثاً غُبراً مقهورين مظلومين، تسيل دمائهم أمامكم وبيعات الضلالة والشورى للجهالة، ألا وإنّ هذا الأمر له أصحاب وآيات قد سمّاهم الله في كتابه وعرّفتكم وبلّغتكم ما أرسلت به إليكم ﴿ وَلَٰكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ لا

---

(١) الطُرَف: ١١٤، أخرجه عن جامع الأصول للترمذي: ٣٦، وعنه في البحار٢٨: ٣٢.

(٢) كنز العمال١١: ١٥٥ح٣١٠١١، عن مستدرك الصحيحين، ولاحظ هامش البحار٢٨: ٧٨.

(٣) أنظركنز الفوائد للكراجكي: ٦١وعنه في البحار ٣١: ١٦٤، رواه عن العامة بالإسناد إلى أبي عبيدة الجراح، عن عمر بن الخطاب قال: أخذ رسول اللهﷺ بلحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال: «يا عمر يا عمر إنا لله وإنا إليه راجعون، أتاني جبرئيل آنفا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقلت: أجل فإنا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذلك...».

ترجعنّ بعدي كفاراً مرتدين متأولين للكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السنة بالهوى[١]، لأنّ كل سنة وحدث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل، القرآن إمام هدى، وله قائد يهدي إليه ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وليّ الأمر بعدي عليٌّ وليّه ووارث علمي وحكمتي وسرّي وعلانيتي، وما ورّثه النبيون من قبلي، وأنا وارث ومورّث فلا تكذّبنّكم أنفسكم.

أيها الناس الله الله في أهل بيتي، فإنهم أركان الدين ومصابيح الظُلَم، ومعدن العلم، عليٌّ أخي ووارثي ووزيري وأميني والقائم بأمري والموفي بعهدي على سنتي، أول الناس إيماناً بي، وآخرهم عهداً عند الموت، وأولهم إليّ لقاءً يوم القيامة، فيبلّغ شاهدكم غائبكم، ألا ومن أمّ قوماً إمامة عمياء وفي الأمة من هو أعلم منه فقد كفر، أيها الناس ومن كانت له قبلي تباعة فها أنا، ومن كانت له عدة فليأت فيها عليٌّ بن أبي طالب فإنه ضامن لذلك كلّه حتى لا يبقى لأحد عليّ تباعة»[٢].

وبنفس الإسناد عنه عليه السلام عن أبيه، قال: قال النبي ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام والناس حضور حوله: «أما والله يا عليّ ليرجعنّ أكثر هؤلاء كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، وما بينك وبين أن ترى ذلك إلا أن يغيب عنك شخصي»[٣].

قوله ﷺ: يا عليّ إنّ القوم يأتمرون بعدي على قتلك

وفي موضع آخر قال ﷺ: «يا عليّ من شاقّك من نسائي وأصحابي فقد

---

(١) وقد أنذرهم حرمان شفاعته يوم القيامة، ففي حديث قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس أنا فرطكم على الحوض فإذا جئت قام رجال يقولون: يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر يا نبي الله أنا فلان بن فلان، وقال آخر يا نبي الله أنا فلان بن فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفت ولكنكم أحدثتم بعدي وارددتم القهقرى»، أمالي الطوسي: ٢٦٩ ح٣٨. وفي حديث آخر قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لأذودنّ رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض»، العمدة لابن بطريق: ٢٤٢، وعنه في البحار ٢٨: ٢٥، وترى مثله وبمضمونه في صحيح البخاري كتاب المساقاة ب ١٠، صحيح مسلم كتاب الطهارة ح٣٧ و٣٨، سنن ابن ماجة - كتاب الزهد ب ٣٦، مسند أحمد ٢: ٣٩٨ و٣٠٠ و ٥: ٧٢ و٨٠.

(٢) الطُرَف - الطرفة ٢٠ -: ١٧١.

(٣) الطرف - الطرفة ٢١ -: ١٧٧.

عصاني ومن عصاني فقد عصى الله، وأنا منهم بري، فابرأ منهم» فقال عليٌّ عليه السلام: نعم قد فعلت، فقالﷺ: «اللهم فاشهد، يا عليّ إنّ القوم يأتمرون بعدي على قتلك، يظلمون ويبيّتون على ذلك، ومن بيّت على ذلك فأنا منهم بري، وفيهم نزلت: ﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ ثم يميتك شقي هذه الأمة، هم شركاؤه فيما يفعل»[1].

وقد روى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه، قال: دفع النبيﷺ الراية يوم خيبر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ففتح الله عليه، وأوقفه يوم غدير خم فأعلم الناس: إنه مولى كل مؤمن ومؤمنة وقال له: «وأنت مني وأنا منك» وقال له: «تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل» وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» وقال له: «أنا سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت» وقال له: «أنت العروة الوثقى» وقال له: «أنت تبيّن لهم ما اشتبه عليهم بعدي» وقال له: «أنت إمام كل مؤمن ومؤمنة وولي كل مؤمن ومؤمنه بعدي» وقال له: «أنت الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ وقال له: «أنت الآخذ بسنتي والذاب عن ملتي» وقال له: «أنا أول من يدخل الجنة وأنت بعدي تدخلها والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام» وقال له: «إنّ الله أوحى إليّ بأن أقوم بفضلك، فقمت به في الناس، وبلّغتهم ما أمرني الله بتبليغه» وقال له: «إتقّ الضغائن التي لك في صدور من لا يظهرها إلا بعد موتي، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون».

ثم بكى النبيﷺ: فقيل ممّ بكاؤك يا رسول الله؟ قال: «أخبرني جبرئيل عليه السلام أنهم يظلمونه ويمنعونه حقه، ويقاتلونه ويقتلون وُلده، ويظلمونهم بعده، وأخبرني جبرئيل عليه السلام عن ربّه عزّ وجلّ أنّ ذلك يزول إذا قام قائمهم، وعلت كلمتهم، واجتمعت الأمة على محبتهم، وكان الشانيء لهم قليلاً، والكاره لهم ذليلاً، وكثر المادح لهم، وذلك حين تغيّر البلاد، وتضعف العباد، والأياس من الفرج، وعند ذلك يظهر القائم فيهم» قال النبيﷺ: «إسمه كاسمي واسم أبيه كاسم ابني وهو من ولد ابنتي، يظهر الله الحق بهم ويخمد الباطل بأسيافهم، ويتبعهم الناس بين راغب إليهم وخائف لهم».

---

(١) الطُرف-الطرفة٢٢-: ١٧٩

قال: وسكن البكاء عن رسول الله ﷺ فقال: «معاشر المؤمنين أبشروا بالفرج، فإنّ وعد الله لا يخلف وقضاؤه لا يُردّ، وهو الحكيم الخبير، فإنّ فتح الله قريب، اللهم إنهم أهلي فأذهِب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، اللهم اكلأهم واحفظهم وارعهم، وكن لهم وانصرهم وأعنهم، وأعزّهم ولا تذلّهم، واخلفني فيهم إنك على كل شيءٍ قدير»[1].

وفي حديث آخر قال ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «إنّ الأمة ستغدر بك بعدي، ويتّبع ذلك برّها وفاجرها»[2].

وفي الليلة التي قبض في صبيحتها، دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأغلق عليه وعليهم الباب، وقال لفاطمة وأدناها منه فناجاها من الليل طويلاً، فلمّا طال ذلك خرج عليٌّ عليه السلام ومعه الحسن والحسين عليهما السلام وأقاموا بالباب والناس خلف ذلك، ونساء النبي ﷺ ينظرون إلى عليٍّ عليه السلام ومعه ابناه.

فقالت عائشة لعليٍّ عليه السلام: لأمرٍ مّا أخرجك عنه رسول الله وخلا بابنته دونك في هذه الساعة؟!فقال لها عليٌّ عليه السلام: قد عرفت الذي خلا بها وأرادها له، وهو بعض ما كنتِ فيه وأبوك وصاحبه، ممّا قد أسمه، فوجمت أن تردّ عليه كلمة.

قال عليٌّ عليه السلام فما لبثت أن نادتني فاطمة عليها السلام فدخلت على النبي ﷺ وهو يجود بنفسه، فبكيت ولم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال يجود بنفسه، فقال لي: «ما يبكيك يا عليّ؟ ليس هذا أول البكاء، فقد حان الفراق بيني وبينك فأستودعك الله يا أخي، فقد اختار لي ربي ما عنده، وإنما بكائي وغمّي وحزني عليك وعلى هذه أن تضيع بعدي، فقد أجمع القوم على ظلمكم، وقد استودعتكم الله وقبلكم مني وديعة، يا عليّ إني قد أوصيت ابنتي فاطمة بأشياء وأمرتها أن تلقيها إليك، فأنفذها، فهي الصادقة الصدوقة» ثم ضمّها إليه وقبّل رأسها، وقال: «فداك أبوك يا فاطمة» فعلا صوتها بالبكاء، ثم ضمها إليه، وقال:

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٥١ ح٦٦، وعنه في البحار٢٨: ٤٥.

(٢) عيون الأخبار١: ٣٠٧، وعنه في البحار٢٨: ٥٠، وفي التاريخ الكبير للبخاري٢: ١٧٤ ح ٢١٠٣، عن ثعلبة بن يزيد الحماني أنه ﷺ قال لعلي: «إنّ الأمة ستغدر بك...»،وفي هامش الإحقاق٧: ٣٢٥-٣٣٠عن جمع كثيربأسانيد وألفاظ مختلفة، كالحاكم في المستدرك٣: ١٤٠، وتاريخ بغداد١١: ٢١٦، وميزان الإعتدال١: ١٧١ وغيرهم فراجع إن شئت.

«أمَ والله لينتقمنّ الله ربّي وليغضبنّ لغضبك، ثم الويل، ثم الويل، ثم الويل ثم الويل للظالمين، ثم بكى رسول الله ﷺ» قال عليٌّ عليه السلام: فوَ الله لقد حسبت بضعة مني قد ذهبت لبكائه وهملت عيناه كالمطر حتى بلّت دموعه لحيته ومُلاءة كانت عليه وهو ملتزم فاطمة عليها السلام ما يفارقها ورأسه على صدري، وأنا مسنِّده والحسن والحسين عليهما السلام يقبّلان قدميه وهما يبكيان بأعلى أصواتهما.

قال عليٌّ عليه السلام: فلو قلت أنّ جبرئيل في البيت لصدقت، لأني كنت أسمع بكاءً ونغمة لا أعرفها، وأعلم أنها كانت أصوات الملائكة لا أشك فيها، لأنّ جبرئيل لم يكن في مثل تلك الليلة يفارق النبي ﷺ... .

ثم حكى عليٌّ عليه السلام ما قال النبي ﷺ لابنته وولديه، وما أعدّ الله لهم من النعيم، إلى أن قال: «والذي بعثني بالحق، لأقومنّ بخصومة أعدائك ولينذمنّ قوم ابتزّوا حقّك، وقطعوا مودّتك، وكذّبوا عليّ، وليختلجنّ دوني، فأقول أمتي، فيقال إنهم بدّلوا بعدك وصاروا إلى السعير»[1].

وفي اجتماع آخر قال عليٌّ عليه السلام بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله ﷺ إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يُبكيك يا رسول الله؟ قال: «أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعنة الحسن في الفخذ، والسم الذي يسقى، وقتل الحسين» قال: فبكى أهل البيت جميعاً، فقلت: يا رسول الله ما خلقنا ربنا إلا للبلاء؟ قال: «أبشير يا عليّ فإنّ الله عز وجل قد عهد إليّ أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا كافر»[2].

وقد أوصى رسول الله ﷺ علياً أن يتكفّل غسله وحنوطه وتكفينه ودفنه وأن يضعه في قبره في بيته.

فكان من كلامه ﷺ: «يا عليّ تغسّلني ولا يغسّلني غيرك فيعمى بصره» قال عليٌّ عليه السلام: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «كذلك قال جبرئيل عليه السلام عن ربيّ، إنه لا يرى عورتي غيرك إلا عُمي بصره»[3].

---

(١) الطُرف-الطرفة ٢٦: ١٨٩ عن الكاظم، عن أبيه عليهما السلام.

(٢) أمالي الصدوق: ١٩٧، وعنه في البحار ٢٨: ٥١ وج ٤٤: ١٤٩.

(٣) وفي سيرة ابن كثير ٤: ٥٠٣ إنه ﷺ سُئل عمن يغسّله، فقال: «رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى

قال عليٌّ عليه السلام: فكيف أقوى عليك وحدي؟ قال: «يعينك جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وإسماعيل صاحب السماء الدنيا».

قال عليٌّ عليه السلام: فمن يناولني الماء؟ قال: الفضل بن عباس من غير أن ينظر إلى شيء مني، فإنه لا يحلّ له ولا لغيره من الرجال والنساء النظر إلى عورتي، وهي حرام عليهم، فإذا فرغت من غسلي فضعني على لوح، وأفرغ عليّ من بئري بئر غرس أربعين دلواً مفتحة الأفواه، ثم ضع يدك يا عليّ على صدري، وأحضر معك فاطمة والحسن الحسين عليهم السلام من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي، ثم تفهّم عند ذلك ما كان وما هو كائن[1] إن شاء الله تعالى، أقبلتَ يا عليّ؟» قال: نعم، فقال: «اللهم فاشهد».

ثم قال: «يا عليّ ما أنت صانع لو قد تأمّر القوم عليك بعدي، وتقدّموك، وبعث إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة، ثم لُبّبت بثوبك تُقاد كما يُقاد الشارد من الإبل مذموماً مخذولاً محزوناً مهموماً، وبعد ذلك ينزل بهذه(فاطمة) الذل».

قال: فلما سمعت فاطمة ما قال رسول الله ﷺ صرخت وبكت، فبكى رسول الله ﷺ لبكائها، وقال: «يا بنية لا تبكين ولا تؤذين جلسائك من الملائكة، هذا جبرئيل يبكي لبكائك، وميكائيل وصاحب سرّ الله إسرافيل، يا بنية لا تبكين فقد بكت السماوات والأرض لبكائك».

فقال عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله أنقاد للقوم، وأصبر على ما أصابني من غير بيعة لهم، ما لم أصب أعواناً عليهم لم أناظر القوم.

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اشهد» فقال: «يا علي ما أنت صانع بالقرآن والعزائم والفرائض؟» فقال: يا رسول الله أجمعه ثم آتيهم به، فإن قبلوه وإلا أشهدت الله عز وجل وأشهدتك عليه، قال: «أشهد»[2].

مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم»قلنا: من يدخلك قبرك يا رسول الله؟ قال: «رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم».

(١) في الخرائج والجرائح ٢: ٨٠١ عن عليعليه السلام بعد ذكر وصيته ﷺ في غسله، قال: «فضع فاك على فيّ ثم سلني عما هوكائن إلى أن تقوم الساعة من أمر الفتن» قال عليعليه السلام: ففعلت ذلك فانباني بما يكون إلى أن تقوم الساعة وما من فئة تكون إلا وأنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقها.

(٢) الطرف-الطرفة ٢٨-: ١٩٧.

وفي حديث عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال عليٌّ عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أمرتني أن أصيّرك في بيتك إن حدث بك حدث؟ قال: «نعم يا عليّ بيتي قبري» قال عليٌّ عليه السلام: فقلت بأبي وأمي حدّ لي أيّ النواحي أصيّرك فيه، قال: «إنّك مسخّر بالموضع وتراه».

قالت عائشة: يا رسول الله فأين أسكن؟ قال ﷺ: «أسكني أنت بيتاً من البيوت، إنما هي بيتي، ليس لك فيه من الحق إلا ما لغيرك، فقرّي في بيتك ولا تبرّجي تبرج الجاهلية الأولى، ولا تقاتلي مولاك ووليّك ظالمة شاقة، وإنك لفاعلته» فبلغ ذلك من قوله عمر، فقال لابنته حفصة: مري عائشة لا تفاتحه في ذكر عليٍّ ولا تراده، فإنه قد استهيم فيه في حياته وعند موته، إنما البيت بيتك لا ينازعك فيه أحد، فإذا قضت المرأة عدّتها من زوجها كانت أولى ببيتها تسلك إلى أيّ المسالك شاءت[1].

وقد أنبأ رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بذلك في وصيته له إذ قال: «يا عليّ إنّ فلانة وفلانة ستشاقّانك وتبغضانك بعدي وتخرج فلانة عليك في عساكر الحديد، وتخلّف الأخرى تجمع لها الجموع، هما في الأمر سواء، فما أنت صانع يا عليّ؟» قال: يا رسول الله إن فعلتا ذلك تلوت عليهما كتاب الله، وهو الحجة فيما بيني وبينهما، فإن قبلتا وإلا خبّرتهما بالسنة وما يجب عليهما من طاعتي وحقي المفروض عليهما، فإن قبلتاه وإلا أشهدت الله وأشهدتك عليهما، ورأيت قتالهما على ضلالتهما، قال ﷺ: «وتعقر الجمل وإن وقع في النار؟» قال عليٌّ عليه السلام: نعم، قال: «اللهم أشهد».

ثم قال: «يا عليّ إذا فعلتا ما شهد عليهما القرآن فأبنهما مني فإنهما بائنتان، وأبوهما شريكان لهما فيما عملتا وفعلتا»[2].

وفي خطبة أمير المؤمنين عليه السلام بعد فتح البصرة بأيام حكى ما أنبأه ﷺ عن الإبتلاء بعده وقتال القاسطين والمارقين و... قائلاً: «يا علي إنك باق بعدي ومبتلى بأمتي ومخاصم بين يدي الله، فأعدّ للخصومة جواباً» فقلت له:

---

(١) الطرف-الطرفة ٣٦-: ٢٠٥ وعنه في البحار ٢٢: ٤٩٤.

(٢) الطرف-الطرفة الثالثة والعشرون: ١٨١، وعنه في البحار ٢٢: ٤٨٨.

بأبي أنت وأمي بيّن لي ما هذه الفتنة التي أُبتلى بها؟ وعلى ما أجاهد بعدك؟ فقال لي: «إنك ستقاتل بعدي الناكثة والقاسطة والمارقة، حلاّهم وسماهم رجلاً رجلاً، وتجاهد من أمتي كل من خالف القرآن وسنتي ممن يعمل في الدين بالرأي، فلا رأي في الدين، إنما هو أمر الربّ ونهيه».

فقلت: يا رسول الله! فأرشدني إلى الفلج عند الخصومة يوم القيامة؟ فقال: «نعم، إذا كان ذلك فاقتصر على الهدى إذا قومك عطفوا الهدى على الهوى وعطفوا القرآن على الرأي فتأولوه برأيهم بتتبّع الحجج من القرآن لمشتهيات الأشياء الطارئة عند الطمأنينة إلى الدنيا، فاعطف أنت الرأي على القرآن إذا قومك حرّفوا الكلمة عن مواضعه عند الأهواء الساهية والأمراء الطاعنة والقادة الناكثة والفرقة القاسطة، والأخرى المارقة أهل الإفك المردي والهوى المطغي والشبهة الخالفة، فلا تنكلنّ عن فضل العاقبة، فإنّ العاقبة للمتقين»[1].

وكان في وصيته ﷺ: «يا عليّ إصبر على ظلم الظالمين، فإنّ الكفر يقبل والردة والنفاق مع الأول منهم، ثم الثاني وهو شرّ منه وأظلم، ثم الثالث، ثم يجتمع لك شيعة تقاتل بهم الناكثين والقاسطين والمارقين، إلعن المضلين واقنت عليهم، هم الأحزاب وشيعتهم»[2].

ثم إنّ حديث قتال القاسطين والمارقين قد استفاض ذكره في كتب الفريقين باختلاف ألفاظه[3]، وقد تكرّر ذكره من رسول الله ﷺ، بحيث قال علي عليه السلام: والله لقد عهد إليّ رسول الله ﷺ غير مرة ولا ثنتين ولا ثلاث ولا أربع، فقال: «يا عليّ إنك ستقاتل من بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»، أفأضيّع ما أمرني به رسول الله وأكفر بعد إسلامي؟![4].

وروي أنّ عمار بن ياسر سأل رسول الله عمن يغسّله، فقال ﷺ: «ذاك عليّ بن أبي طالب، لأنه لا يهمّ بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك» فقال

---

(١) الاحتجاج١: ٢٨٩، وعنه في البحار٢٩: ٤٢٢.

(٢) الطرف-الطرفة ٢٤-: ١٨٣، وعنه في البحار٢٢: ٤٨٨، الصراط المستقيم ٢: ٨٨.

(٣) تجده في تاريخ بغداد ٨: ٣٤٠وج١٣: ١٨٧، وسنوافيك نبذة منها في موضعه إن شاء الله.

(٤) تفسير القمي ١: ٢٨٣.

له: فداك أبي وأمي يا رسول الله فمن يصلّي عليك منا إذا كان ذلك منك؟ قال ﷺ: «مه رحمك الله» ثم قال لعلي: «يا ابن أبي طالب إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني، وأنق غسلي وكفنّي في طمريّ هاذين أو في بياض مصر، وبرد يمان، ولا تُغال في كفني، واحملوني حتى تضعوني على شفير قبري، فأوّل من يصلّي عليّ الجبار جلّ جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله جل وعزّ،ثم الحافّون بالعرش، ثم سكان أهل سمله فسمله، ثم جُلّ أهل بيتي ونسائي الأقربون فالأقربون...»[1].

مشاهدة عليٍّ عليه السلام صدق ما أنبأه النبي ﷺ في غسله

وقد تكفّل أمير المؤمنين عليه السلام أمر تجهيز نبي الرحمة ﷺ وشاهد تحقق نبوءته ﷺ في حضور الملائكة ومساعدتهم إياه، قال عليه السلام: غسّلت رسول الله ﷺ أنا وحدي، وهو في قميصه، فذهبت أنزع عنه القميص، فقال جبرئيل عليه السلام يا عليّ لا تجرّد أخاك من قميصه فإنّ الله لم يجرّده، وتأيّد في الغسل، فأنا أشاركك في ابن عمك بأمر الله، فغسّلته بالروح والريحان والرحمة، والملائكة الكرام الأبرار الأخيار تشير لي وتمسك، وأكلّم ساعة بعد ساعة ولا أقلّب منه عضواً إلا قُلِب لي، فلمّا فرغت من غسله وكفنه وضعته على سريره وخرجت كما أُمرت فاجتمع له من الملائكة ما سدّ الخافقين فصلّى عليه ربّه والملائكة الكرام المقرّبون وحملة عرشه الكريم، وما سبّح لله ربّ العالمين، أنفذتُ جميع ما أُمرت، ثم واريته في قبره فسمعت صارخاً يصرخ من خلفي: يا آل تيم ويا آل عدي ويا آل أمية ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴾ إصبروا آل محمد تؤجروا ولا تحزنوا فتوزروا ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[2].

ويقول الصادق عليه السلام: لما قبض رسول الله ﷺ هبط جبرئيل ومعه الملائكة والروح الذين كانوا يهبطون في ليلة القدر، قال: ففُتح لأمير المؤمنين بصره

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٣٢، وعنه في البحار٢٢: ٥٠٧، روضة الواعظين: ٧٢.

(٢) الطرف-الطرفة ٣٣-: ٢٠٩، الآية الاولى في سورة القصص: ٤١،والثانية في الشورى: ٢٠.

فرآهم في منتهى السماوات إلى الأرض، يغسّلون النبي معه، و يصلّون معه عليه، ويحفرون له، والله ما حفر له غيرهم حتى إذا وُضِع في قبره، نزلوا مع من نزل فوضعوه، فتكلم وفُتح لأمير المؤمنين سمعه فسمعه يوصيهم به فبكى، وسمعهم يقولون: لا تألوه جهداً، وإنما هو صاحبنا بعدك، إلا أنه ليس يعايننا ببصره بعد مرّتنا هذه.

حتى إذا مات أمير المؤمنين عليه السلام رأى الحسن والحسين مثل ذلك الذي رأى، ورأيا النبي أيضاً يُعين الملائكة مثل الذي صنعوا بالنبي... هكذا يجري إلى آخرنا[1].

وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما أوصى علياً عليه السلام بتغسيله وتكفينه أعطاه الصحيفة التي كتبها القوم في قطيعة علي عليه السلام، فقال: «**يا عليّ أمسك هذه الصحيفة التي كتبها القوم وشرطوا فيها الشروط على قطيعتك وذهاب حقّك وما قد أزمعوا عليه من الظلم، تكون عندك لتوافيني بها غداً وتحاجّهم بها**»[2].

وفي هذا الصعيد روي عن الباقر عليه السلام قال: كنت دخلت مع أبي الكعبة، فصلّى على الرخامة الحمراء بين العمودين، فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أو قتل ألاّ يردّوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً، قال الراوي: قلت: ومن كان؟ قال: الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم ابن الحبيبة (مولى أبي حذيفة)[3].

وسُئِل عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ قال: الثاني، قوله: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال: فلان وفلان وأبو فلان أمينهم، حين اجتمعوا ودخلوا الكعبة فكتبوا بينهم كتاباً إن مات محمد أن لا يرجع الأمر فيهم أبداً[4].

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٤٥، وعنه في البحار٢٢: ٥١٣.

(٢) الصراط المستقيم ٢: ٩٤-٩٥.

(٣) الكافي٤: ٥٤٥ ح ٢٨، وعنه في البحار٢٨: ٨٥.

(٤) تفسير القمي٢: ٣٥٦،وعنه في البحار٢٨: ٨٥، والآية في سورة المجادلة: ٧.

إنباء الرسولﷺ عما سيجري على أهل بيته بعده من الظلم والاضطهاد

وهناك أحاديث فيها تفاصيل ما سيجري على أهل بيت الرسولﷺ من الظلم وغصب الحقوق والقتل على يد المؤتمرين الحاقدين لهم، وقد أخبره الله تعالى بها وبيّنها النبي لأمته، ريثما يتذكر ويرتدع من كان في قلبه خوف من الله وأراد الله هدايته، وتتمّ الحجة على الآخرين، وبذلك يعرف المؤمن من المنافق، ويتمّ قضاء الله في إفتتان الأمة، ومن ثم أخبر النبيﷺ عليًاعليه السلام بذلك.

حديث الحدائق

فقد روى سليم بن قيس عن عليٍّعليه السلام قال: كنت أمشي مع رسول اللهﷺ في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها؟ قالﷺ: «ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها» ثم أتينا على حديقة أخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟ قال: «ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها» حتى أتينا على سبع حدائق أقول يا رسول اللهﷺ ما أحسنها؟ ويقول: «لك في الجنة أحسن منها» فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً وقال: «بأبي الوحيد الشهيد» فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «ضغائن في صدور القوم لا يبدونها لك إلا من بعدي، أحقاد بدر وترات أحد» قلت: في سلامة من ديني؟ قال: في سلامة من دينك، فأبشر يا عليّ، فإنّ حياتك وموتك معي، وأنت أخي وأنت وصيي وأنت صفيّي ووزيري ووارثي والمؤدّي عني وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي عني، وأنت تبرئ ذمتي وتؤدي أمانتي، وتقاتل على سنتي الناكثين من أمتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فاصبر لظلم قريش إياك وتظاهرهم عليك، فإنك بمنزلة هارون من موسى ومن تبعه، وهم بمنزلة العجل ومن تبعه، وإنّ موسى أمر هارون حين استخلفه عليهم إن ضلّوا فوجد أعواناً أن يجاهدهم بهم، وإن لم يجد أعواناً أن يكفّ يده ويحقن دمه، ولا يفرّق بينهم.

يا عليّ ما بعث الله رسولاً وأسلم معه قومه طوعاً وقوم آخرون كُرها فسلّط الله الذين أسلموا كُرهاً على الذين أسلموا طوعاً، فقتلوهم، ليكون أعظم لأجورهم، يا عليّ وإنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإنّ الله تبارك وتعالى قد قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة ولو شاء لجمعهم على الهدى حتى لا يختلف اثنان من هذه الأمة، ولا ينازع في شيء من أمره، ولا يجحد المفضول ذا الفضل فضله، ولو شاء لعجّل النقمة والتغيير حتى يكذّب الظالم ويعلم الحق أين مصيره، ولكنه جعل الدنيا دار الأعمال وجعل الآخرة دار القرار ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فقلت: الحمد لله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه وتسليماً ورضاً بقضائه[1].

وروي حديث الحدائق عن الإمام العسكري عليه السلام في ذيل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ باختلاف في اللفظ، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «لذلك جعلك الله لمحمد تالياً وإلى رضوانه وغفرانه داعياً وعن أولاد الرّشدة والبغي بحبّهم لك وبغضهم منبأً، وللواء محمد ﷺ يوم القيامة حاملاً، وللأنبياء والرسل الصائرين تحت لوائي إلى جنات النعيم قائداً، يا عليّ إنّ أصحاب موسى اتخذوا بعده عجلاً فخالفوا خليفته، وستتّخذ أمتي بعدي عجلاً ثم عجلاً ثم عجلاً ويخالفونك، وأنت خليفتي على هؤلاء، يضاهئون أولئك في اتخاذهم العجل، ألا فمن وافقك وأطاعك فهو معنا في الرفيق الأعلى، ومن اتخذ بعدي العجل وخالفك ولم

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٣٦، الجهش: فزع الإنسان إلى الإنسان كما يفزع الصبي إلى أمه، وقد روي حديث الحدائق عنه متواتراً في كتب القوم باختلاف في اللفظ، وأخرجه في شرح الإحقاق ١٣: ١٨١-١٨٦عن ١٦ كتاباً، منها: تاريخ بغداد١٢: ٣٩٤، ومجمع الزوائد ٩: ١١٨،كنز العمال١٣: ١٦٦، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج٤: ١٠٧عن يونس بن حباب، عن أنس، وجاء في ذيله: فقال: يا رسول الله أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟ قال: «بل تصبر» قال: فإن صبرت؟ قال: «تلاقي جهداً» قال: في سلامة من ديني؟ قال: «نعم» قال: فإذاً لا أبالي، وروى بعد ذلك عن جابر الجعفي، عن الباقر عليه السلام قال: قال علي عليه السلام: ما رأيت منذ بعث الله محمداً رخاءً، لقد أخافتني قريش صغيراً وأنصفتني كبيراً حتى قبض الله رسوله فكانت الطامة الكبرى والله المستعان على ما تصفون.

يتب فأولئك مع الذين اتخذوا العجل زمان موسى ولم يتوبوا في نار جهنم خالدين مخلّدين»[1].

حديث جابر بن عبد الله

وكان جبرئيل قد أخبره بابتلاء الأمة، ففي حديثٍ قال جابر بن عبد الله الأنصاري: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ أقبل عليٌّ عليه السلام فلمّا نظر إليه النبي ﷺ قال: «الحمد لله ربّ العالمين لا شريك له» قال: قلنا: صدقت يا رسول الله الحمد لله ربّ العالمين لا شريك له، قد ظننّا أنك لم تقلها إلا لعجب من شيء رأيته، قال: «نعم لما رأيت علياً مقبلاً ذكرت حديثاً حدّثني حبيبي جبرئيل عليه السلام قال: إني سألت الله أن يجتمع الأمة عليه، فأبى عليه إلا أن يبلو بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيّب، وأنزل عليّ بذلك كتاباً ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أما إنه قد عوّضه مكانه بسبع خصال: يلي ستر عورتك، ويقضي دينك وعداتك، وهو معك على عقر حوضك وهو مشكاة لك يوم القيامة، ولن يرجع كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان، فكم من ضرس قاطع له في الإسلام مع القدم في الإسلام، والعلم بكلام الله، والفقه في دين الله مع الصهر والقرابة والنجدة في الحرب وبذل الماعون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لوليي، والعداوة لعدوي، وبشّره يا محمد بذلك»[2].

حديث المعراج

ومنها ما رواه الصادق عليه السلام قال: لمّا أُسري بالنبي ﷺ قيل له: إنّ الله مختبرك في ثلاث لينظر صبرك؟ قال: «أسلّم لأمرك يا ربّ ولا قوة لي على الصبر إلا بك، فما هُنّ؟» قيل: أولهنّ الجوع والأثرة على نفسك وعلى أهلك لأهل الحاجة، قال: «قبلت يا ربّ ورضيت وسلّمت، ومنك التوفيق والصبر».

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ٤٠٨، وعنه في البحار٢٨: ١٧، والآية في سورة البقرة: ٩٢.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ٣١٧، وعنه في البحار٢٨: ٧١ وج ٣٦: ١٨٢.

وأما الثانية فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل: أما أخوك فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجهد والظلم وآخر ذلك القتل، فقل: «يا رب سلّمت وقبلت ومنك التوفيق والصبر».

وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها، وتُضرب وهي حامل، ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن، ثم يمسّها هوان وذلّ، ثم لا تجد مانعاً وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب، قل: «إنا لله وإنا إليه راجعون، قبلت يا ربّ وسلّمت ومنك التوفيق والصبر».

ويكون لها من أخيك ابنان يُقتل أحدهما غدراً ويُسلب ويُطعن، يفعل به ذلك أُمتك، قل: «قبلت يا رب وإنا لله وإنا إليه راجعون، وسلّمت ومنك التوفيق والصبر».

وأما ابنها الآخر: فتدعوه أُمتك إلى الجهاد، ثم يقتلونه صبراً ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته، ثم يسلبون حرمه فيستعين بي وقد مضى القضاء مني فيه بالشهادة له ولمن معه، ويكون قتله حجة على من بين قطريها فتبكيه أهل السماوات والأرضين جزعاً عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته، ثم أخرج من صلبه ذكراً به أنصرك، وإنّ شبحه عندي تحت العرش، يملأ الأرض بالعدل ويطفئها بالقسط، يسير معه الرعب، يقتل حتى يُسأل فيه، قلت: «إنا لله» فقيل: ارفع رأسك، فنظرت إلى رجل من أحسن الناس صورة وأطيبه ريحاً، والنور يسطع من فوقه ومن تحته، فدعوته فأقبل إليّ وعليه ثياب النور وسيماه كل خير، حتى قبّل بين عينيّ، ونظرت إلى ملائكة قد حفّوا به لا يحصيهم إلا الله جل وعزّ، فقلت يا ربّ لمن يغضب هذا ولمن أعددت هؤلاء وقد وعدتني النصر فيهم، فأنا أنتظر منك، فهولاء أهلي وأهل بيتي، وقد أخبرتني بما يلقون من بعدي ولو شئت لأعطيتني النصر فيهم على من بغى عليهم، وقد سلّمت وقبلت و رضيت، ومنك التوفيق والرضا والعون على الصبر.

فقيل لي: أما أخوك فجزاؤه عندي المأوى نزلاً بصبره، وأفلج حجته على الخلائق يوم البعث، وأوليّه حوضك يسقي منه أوليائكم، ويمنع منه أعدائكم، وأجعل جهنم عليه برداً وسلاماً يدخلها فيخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من المودة، وأجعل منزلتكم في درجة واحدة من الجنة.

وأما ابنك المقتول المخذول وابنك المغدور المقتول صبراً فإنهما مما أزيّن بهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك ما لا يخطر على قلب بشر، لما أصابهما من البلاء، ولكل من أتى قبره من الخلق، لأنّ زواره زوارك، وزوارك زواري، وعليّ كرامة زائري، وأنا أعطيه ما سأل وأجزيه جزاء يغبطه من نظر إلى تعظيمي له، وما أعدت له من كرامتي.

وأما ابنتك فإني أوقفها عند عرشي فيقال لها: إنّ الله قد حكّمك في خلقه، فمن ظلمك وظلم وُلدك فاحكمي فيه بما أحببت، فإني أجيزُ حكومتك فيهم، فتشهد العرصة، فإذا أُوقفَ من ظلمها أمرَت به إلى النار، فيقول الظالم: ﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ ويتمنى الكرّة ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانٗا خَلِيلٗا ﴾ وقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ فيقول الظالم: ﴿ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ أو الحكم لغيرك؟ فيقال لهما: ﴿ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾.

وأول من يحكم فيه محسن بن علي عليه السلام في قاتله، ثم في قنفذ فيؤتيان هو وصاحبه فيضربان بسياط من نار، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً، فيضربان بها.

ثم يجثو أمير المؤمنين صلوات الله عليه بين يدي الله للخصومة مع الرابع وتدخل الثلاثة في جبّ فيطبق عليهم لا يراهم أحد، ولا يرون أحداً، فيقول الذين كانوا في ولايتهم: ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾ قال الله عز وجل: ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴾ فعند ذلك، ينادون بالويل والثبور، ويأتيان الحوض يسئلان عن أمير المؤمنين عليه السلام ومعهم حفظة فيقولان أعف عنّا واسقنا وخلّصنا، فيقال لهم: ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ

تَدَّعُونَ﴾ بإمرة المؤمنين، ارجعوا ظمأ مظمئين إلى النار فما شرابكم إلا الحميم والغسلين،﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[1].

حديث زائدة عن علي بن الحسين عليهما السلام

ومنها ما رواه زائدة عن علي بن الحسين عليهما السلام في بيان ما جرى بينه وبين عمته زينب عليها السلام يوم الطفّ من حوار، عند ما رأته يجود بنفسه من عظم المصيبة، فقالت له: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟.

فقال لها: وكيف لا أجزع ولا أهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرّجين بدمائهم... .

فأخذت تسلّي إمام زمانها بأنّ ذلك عهد من رسول الله إليهم وقد أخذ الله ميثاق أناس من الأمة أن يجمعوا تلك الأعضاء ويوارونها و... .

وذكرت حديث أم أيمن بشأن اجتماع أهل البيت برسول الله صلى الله عليه وآله وأكلهم من الحريرة التي عملتها لهم، وأنه لما فرغ من أكل الحريرة وغسل يديه نظر إليهم وعُرف السرور في وجهه، ثم خرّ ساجداً فأطال سجوده وعلا نشيبه وجرت دموعه، فقال له عليّ عليه السلام: ما يبكيك فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟.

فقال صلى الله عليه وآله: «يا أخي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط، وإني لأنظر إليكم وأحمد الله على نعمته عليّ فيكم إذ هبط جبرئيل فقال: يا محمد إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة وهنّأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة لا يفرّق بينك وبينهم يُحبَون كما تُحبى، ويُعطون كما تُعطى، حتى ترضى وفوق الرضا، على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا، ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملّتك ويزعمون أنهم من أمتك براء من الله ومنك، خبطاً خبطاً، وقتلاً قتلاً، شتّى مصارعهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم، ولك فيهم، فاحمد الله جل وعزّ على خيرته وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

---

(١) كامل الزيارات: ٥٤٧، وعنه في البحار٢٨: ٦١-٦٤.

ثم قال جبرئيل: يا محمد إنّ أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أُمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك يقتله أشرّ الخلق والخليقة، وأشقى البرية، نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته، وهو معرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم».

ثم ذكر النبيﷺ ما سيجري على سبطه الشهيد بأرض الطف وكيفية شهادته وأسر أهل بيته و...[1] وسيأتي في تاريخ الحسينعليه السلام.

قولهﷺ: إنكم قتلى ومصارعكم شتّى

ومنها ما رواه جابر عن الباقرعليه السلام، عن أميرالمؤمنينعليه السلام قال: زارنا رسول اللهﷺ وقد أهدت لنا أُم أيمن لبناً وزبداً وتمراً فقدّمناه فأكل منه، ثم قام النبيﷺ زاوية البيت وصلّى ركعات، فلما أن كان في آخر سجوده بكى بكاءً شديداً، فلم يسأله أحد منا إجلالاً له، فقام الحسينعليه السلام فقعد في حجره وقال له: يا أبت لقد دخلت بيتنا فما سررنا بشيء كسرورنا بذلك، ثم بكيت بكاءً غمّنا فلِمَ بكيت؟ فقال: «يا بنيّ أتاني جبرئيل آنفاً فأخبرني أنكم قتلى، وأنّ مصارعكم شتّى» فقال: يا أبت فما لمن يزور قبورنا على تشتتها؟ فقال: «يا بنيّ أولئك طوائف من أُمتي يزورونكم يلتمسون بذلك البركة، وحقيق عليّ أن آتيهم يوم القيامة حتى أخلّصهم من أهوال الساعة من ذنوبهم، ويسكنهم الله الجنة»[2].

إنباء الرسولﷺ عما سيجري على كل واحد من أهل بيته

ومنها ما رواه حذيفة بن اليمان عن عليعليه السلام، عن رسول اللهﷺ إنه بعد ما ذكر فضائل لعليعليه السلام دعا له وقال: «اللهم إن بغت قريش عليه وقدّمت غيره عليه فاجعله بمنزلة هارون إذ غاب عنه موسى».

ثم قال: «يا عليّ كم من ولدك-من ولد-فاضل يُقتل، والناس قيام ينظرون لا يغيّرون، فقبّحت أمة ترى أولاد نبيّها يقتلون ظلماً ولا يغيّرون، إنّ القاتل والآمر والمساعد والذي لا يغيّر كلهم في الإثم واللعان مشتركون».

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤٥، وعنه في البحار٢٨: ٥٧.

(٢) أمالي الطوسي: ٦٦٩، وعنه في البحار ٢٨: ٨٠، ومثله في كامل الزيارات: ١٢٥-١٢٦.

ثم قال عليٌّ عليه السلام: يا بن اليمان إنّ قريشاً لا تشرح صدورها ولا ترضى قلوبها ولا تجري ألسنتها ببيعة عليٍّ عليه السلام ومولاته إلا على الكُره والعمى والطغيان، يا بن اليمان ستبايع قريش علياً ثم تنكث عليه وتحاربه وتناضله وترميه بالعظايم وبعد عليٍّ يلي الحسن وسيُنكث عليه، ثم يلي الحسين عليه السلام فيقتل، فلُعِنَت أمة تقتل ابن بنت نبيها، ولا تعزّ من أمة، ولعن القائد لها والمرتّب لفاسقها، فوَ الذي نفس عليٍّ بيده، لا تزال هذه الأمة بعد قتل الحسين ابني في ضلال وظلمة وعسفة وجور واختلاف في الدين، وتغيير وتبديل لما أنزل الله في كتابه وإظهار البدع وإبطال السنن واختلاف وقياس مشتبهات، وترك محكمات حتى تنسلخ من الإسلام وتدخل في العمى والتلدّد والتسكّع، ما لك يا بني أُمية، لا هُديت يا بني أُمية، وما لك يا بني العباس، لكِ الإتعاس، فما في بني أمية إلا ظالم، وما في بني العباس إلا معتد متمرّد على الله بالمعاصي، قتّال لولدي، هتّاك لستري وحرمتي، فلا تزال هذه الأمة جبارين يتكالبون على حرام الدنيا، منغمسين في بحار الهلكات وفي أودية الدماء، حتى إذا غاب المتغيّب من ولدي عن عيون الناس وماج الناس بفقده أو بقتله أو بموته، أطلعت الفتنة، ونزلت البليّة، وأُتيحت العصبية، وغلا الناس في دينهم واجتمعوا على أنّ الحجة ذاهبة، والإمامة باطلة ويحج حجيج الناس في تلك السنة من شيعة عليٍّ ونواصبهم للتحسس والتجسّس عن خلف الخلف، فلا يُرى له أثر ولا يعرف له خلف.

فعند ذلك سُبّت شيعة عليٍّ، سبّها أعداؤها وظهرت عليها الأشرار والفسّاق باحتجاجها، حتى إذا تحيّرت الأمة وتدلّهت، أكثرت في قولها إنّ الحجة هالكة، والإمامة باطلة، فوَ ربّ عليٍّ إنّ حجتها عليها قائمة ماشية في طرقاتها، داخلة في دورها وقصورها، جوّالة في شرق الأرض وغربها، تسمع الكلام، وتسلّم على الجماعة، ترى ولا تُرى إلى يوم الوقت والوعد ونداء المنادي من السماء، ألا ذلك يوم فيه سرور ولد عليٍّ وشيعة عليٍّ عليه السلام[1].

قال المجلسي رحمه الله: قوله: «ببيعة عليٍّ» هذا الفصل وما بعده إما من كلام أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً جرى على وجه الالتفات، أو من كلام الرسول صلى الله عليه وآله قاله لحذيفة في وقت آخر، فألحقه بهذا الخبر.

---

(١) غيبة النعماني: ١٤٣، وعنه في البحار٢٨: ٧١. التلدد: التحيّر، التكسّع: الضلال،تدلهت: دهشت.

ومنها: ما رواه الحاكم في المستدرك عن طريق أبي سعيد الخدري، إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أُمتي قتلاً وتشريداً، وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم»[1].

وروى الجعابي بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال خرج علينا رسول الله ﷺ آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: «إنّ ابنيّ هذين ربّيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين، وسألت الله لهما ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت الله لهما أن يجعلهما مطهّرين زكيّين فأجابني إلى ذلك، وسألت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطاني ذلك، وسألت الله أن يجمع الأمة على محبتهما فقال: يا محمد إني قضيت قضاءً وقدّرت قدراً وإنّ طائفة من أمتك ستفي لك بذمتك في اليهود والنصارى والمجوس وسيخفرون ذمتك في ولدك وإني أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك أن لا أحلّه محل كرامتي، ولا أسكنه جنتي ولا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة»[2].

صحيفة أملاها النبي ﷺ على علي عليه السلام بشأن الأحداث

ومنها ما رواه سليم بن قيس أنه: لمّا قتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بكى ابن عباس بكاءً شديداً ثم قال: ما لقيت هذه الأمة بعد نبيها، اللهم أني أشهدك أني لعلي بن أبي طالب ولولده وليٌّ، ولعدوه عدوٌّ، ومن عدو ولده بريء، وإني سلم لأمرهم.

ولقد دخلت على ابن عم رسول الله ﷺ بذي قار فأخرج لي صحيفة وقال لي: يا ابن عباس هذه صحيفة أملاها رسول الله ﷺ وخطّي بيدي، قال: فأخرج لي الصحيفة فقلت: يا أمير المؤمنين إقرأها عليّ، فقرأها، وإذا فيها كل شيء منذ قبض رسول الله ﷺ، وكيف يُقتل الحسين ومن يقتله ومن ينصره ومن يستشهد معه، وبكى بكاءً شديداً وأبكاني، وكان فيما قرأه كيف يُصنع به وكيف تستشهد فاطمة عليها السلام، وكيف يستشهد الحسن عليه السلام، وكيف تغدر به الأمة فلمّا قرأ

---

(١) المستدرك للحاكم ٤: ٤٨٧، كنز العمال ١٤: ٢٦٧-٢٦٨، عن ابن عساكر.

(٢) أمالي المفيد: ٧٩، وعنه في البحار٤٣: ٢٧٦.

مقتل الحسين عليه السلام ومن يقتله أكثر البكاء ثم أدرج الصحيفة، وفيها ما كان وما يكون إلى يوم القيامة.

وكان فيما قرأ أمر أبي بكر وعمر وعثمان، وكم يملك كل إنسان منهم وكيف يقع على عليّ بن أبي طالب عليه السلام ووقعة الجمل ومسير عائشة وطلحة والزبير ووقعة صفين ومن يقتل بها، ووقعة النهروان وأمر الحكمين، وملك معاوية ومن يقتل من الشيعة وما تصنع الناس بالحسن، وأمر يزيد بن معاوية حتى انتهى إلى قتل الحسين عليه السلام، فسمعت ذلك كلّه، فكان كما قرأ لم يزد ولم ينقص ورأيت خطّه أعرفه في الصحيفة لم يتغير ولم يعفر.

فلما أدرج الصحيفة قلت: يا أميرالمؤمنين، لو كنت قرأت عليّ بقية الصحيفة، قال: لا، يمنعني فيها ما ألقى من أهل بيتك وولدك أمراً فضيعاً من قتلهم لنا وعداوتهم لنا، وسوء ملكهم وشوم قدرتهم، فأكره أن تسمعه فتغتمّ، ولكني أحدّثك:بأنّ رسول الله ﷺ أخذ عند موته بيدي ففتح لي ألف باب من العلم تنفتح لي من كل باب ألف باب، وأبو بكر وعمر ينظران إليّ وهو يشير إليّ بذلك، فلما خرجتُ قالا لي: ما قال لك رسول الله؟ فحدّثتهما بما قال لي: فحرّكا أيديهما ثم حكيا قولي، ثم ولّيا، يردّدان قولي ويخطران بأيديهما.

يا ابن عباس، إنّ ملك بني أمية إذا زال فأوّل ما يملك من بني هاشم ولدك فيفعلون الأفاعيل، قال ابن عباس لئن نسخني ذلك الكتاب كان أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس[1].

قوله ﷺ: كأني بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه

ومنها ما عن أحمد بن همّام قال: أتيت عبادة بن الصامت في ولاية أبي بكر فقلت: يا أبا عمارة! أكان الناس على تفضيل أبي بكر قبل أن يُستخلف؟ فقال: يا أبا ثعلبة! إذا سكتنا عنكم فاسكتوا ولا تبحثوا، فوَ الله لعلي بن أبي طالب كان أحق بالخلافة من أبي بكر، كما كان رسول الله ﷺ أحق بالنبوة من أبي جهل، قال: وأزيدك إنا كنا ذات يوم عند رسول الله ﷺ، فدخل أبو بكر ثم

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ١٤١، وعنه في البحار ٢٨: ٧٣باختلاف يسير.

دخل عمر ثم دخل عليٌ عليه السلام على أثرهما، فكأنما سُفي على وجه رسول الله ﷺ الرماد، ثم قال: «يا عليّ! أيتقدّمانك هذان وقد أمّرك الله عليهما؟!» قال أبو بكر: نسيت يا رسول الله، وقال عمر: سهوت يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «ما نسيتما ولا سهوتما، وكأني بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار بعضهم يضرب وجوه بعض بالسيف على الدنيا، ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المتشتتون في أقطارها، وذلك لأمر قد قضي» ثم بكى رسول الله ﷺ حتى سالت دموعه، ثم قال: «يا علي! الصبر الصبر حتى ينزل الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنّ لك من الأجر في كل يوم ما لا يحصيه كاتباك، فإذا أمكنك الأمر فالسيف السيف... فالقتل القتل حتى يفيئوا إلى أمر الله وأمر رسوله، فإنك على الحق ومن ناواك على الباطل، وكذلك ذريتك من بعدك إلى يوم القيامة»[1].

وعن عمران بن حصين قال: إنّ النبي ﷺ عاد عليّاً عليه السلام فقال عمر: يا رسول الله! ما عليٌّ إلا لما به، فقال رسول الله ﷺ: «لا والذي نفسي بيده يا عمر لا يموت عليٌّ حتى يملأ غيظاً، ويوسع غدراً ويوجد من بعدي صابراً»[2].

قوله ﷺ لرجل: سيصيب ولد عبد المطلب بلاء شديد

ومنها ما رواه أنس بن مالك قال: أتى رسول الله ﷺ ذات يوم وبده في يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولقيه رجل فقال له: «يا فلان لا تسبّوا علياً، فإنّ من سبّه فقد سبّني، ومن سبّني سبّه الله، والله يا فلان إنه لا يؤمن بما يكون من عليٍّ وولد عليٍّ في آخر الزمان إلا ملك مقرّب أو عبد قد امتحن قلبه للإيمان، يا فلان إنه سيصيب ولد عبد المطلب بلاء شديد وأثرة وقتل

---

(١) الاحتجاج ١: ٢٩١، وعنه في البحار٢٩: ٤٢٥.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب٣: ١٧، وعنه في البحار٢٩: ٤٥٣، شرح النهج٤: ١٠٦ باختلاف يسير، وقريب منه ما رواه سدير عن الباقر عليه السلام، وفيه: فقال ﷺ: «كلا إنه لن يموت حتى يوسع غدراً وبغياً وليكونن في هذه الأمة عبرة يعتبر به الناس من بعده» أنظر البحار٢٨: ٦٥، ورواه الحاكم في المستدرك٣: ١٣٩ عن أنس، وفيه: فقال رسول الله ﷺ: «إنه لن يموت إلا مقتولا، ولن يموت حتى يُملأ غيظاً».

وتشريد، فالله الله يا فلان في أصحابي وذريتي وذمتي فإنّ لله يوماً ينتصف فيه للمظلوم من الظالم»[1].

ومنها: ما رواه ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي أنّ النبي ﷺ دخل على فاطمة فوجد علياً نائماً فذهبت تنبّهه، فقال ﷺ: «دعيه! فربّ سهرٍ له بعدي طويل، وربّ جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة» فبكت، فقال: «لا تبكي فإنكما معي وفي موقف الكرامة عندي»[2].

ومنها: ما رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ قال المسلمون: يا رسول الله ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال ﷺ: «أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس، فيُكذَّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، ألا ومن والاهم واتبعهم وصدّقهم فهو مني ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وأعان على ظلمهم، وكذّبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء»[3].

قوله ﷺ لعليٍّ عليه السلام عن قليل ينهدّ ركناك

ومنها ما جاء بالإسناد عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال جابر بن عبد الله الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام قبل موته بثلاث: «سلام عليك يا أبا الريحانتين أوصيك بريحانتيّ من الدنيا، فعن قليل ينهدّ ركناك والله خليفتي عليك».

---

(١) تفسير فرات: ٤٢٥ ح٥٦١، وفي سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٦ ح٤٠٨٢ قال: بينما نحن عند رسول الله إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه وتغيّر لونه، قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً...».

(٢) شرح النهج ٤: ١٠٧، وعنه في البحار ٢٨: ٧٨.

(٣) بصائر الدرجات: ٥٣، تفسير نور الثقلين ٣: ١٩١.

فلما قبض رسول الله ﷺ قال عليٌّ عليه السلام: هذا أحد ركنيّ الذي قال لي رسول الله ﷺ، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال عليٌّ عليه السلام: هذا الركن الثاني الذي قال رسول الله ﷺ[1].

(١) أمالي الصدوق: ١٩٨، وعنه في البحار٤٣: ١٧٣، معاني الأخبار: ٤٠٣، نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٩٨، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٣٦عن السمعاني في الرسالة، وأبي نعيم في حليته،وأحمد في فضائل الصحابة، والنطنزي في الخصائص والزمخشري في الفائق.

إنطباق ما أنباء به الرسول صلى الله عليه وآله
بشأن الأحداث بعد وفاته

إنّ ما وقعت من الأحداث بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، مما كان أخبر به وحذّر عنه، من افتتان الأمة وارتدادها وغصب الخلافة وصرفها عن أهلها وما جرى من الظلم على أهل البيت و...ليس بحادث طارء ولا من صِدَف الزمان، بيد أنه كان على أثر مؤامرة خُطّط لها من قبل، وقد اشترك فيها عدد من أركان المعارضة القرشية الحاقدة على النبي وأهل بيته عليهم السلام، في مؤتمر سرّي وكتابة صحيفة بشأن السيطرة على الحكم وإزواء علي عليه السلام.

أو قل: إنّ ما اتفق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله هو انقلاب أبيض بُني أساسه منذ مدة، وتمّ تحقّقه في مسرحية السقيفة.

فإنّ ملاحظة ما ورد في الصحيفة الملعونة من البنود ومن وقّع فيها من أصحاب المعارضة، ومن دخل في السقيفة ولعب دوره فيها، والتأمل في قصة التخلّف عن جيش أسامة، وقول النبي صلى الله عليه وآله بعد إفاقته: «**لقد طرق ليلتنا هذه المدينة شرٌّ عظيم**»[1]، ورزية يوم الخميس والتجاسر على النبي صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم ومنعه من كتابة الوصية، وإنكار وفاة النبي صلى الله عليه وآله من جانب عمر والإصرار عليه وتهديد من قال بوفاته إلى أن حضر أبو بكر، كلها شواهد-لا تنكر-على تلك الثورة العمياء.

---

(١) فقيل له: وما هو يا رسول الله؟ فقال: «إنّ الذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفر يخالفون عن أمري، ألا إني إلى الله منهم بري، ويحكم نفّذوا جيش أسامة، فلما أخبر بلال صباحاً أنّ أبا بكر قد دخل المسجد وقد تقدم حتى وقف مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وادّعى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بذلك، فقال ابن عباس: أو ليس أبو بكر مع جيش أسامة، هذا هو والله الشرّ العظيم الذي طرق البارحة المدينة، لقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: «أقيموني أخرجوا بي إلى المسجد، والذي نفسي بيده، قد نزلت بالإسلام نازلة وفتنة عظيمة من الفتن...»، إرشاد القلوب للديلمي ٢: ١١٢ من حديث حذيفة مع الفتى، وعنه في البحار٢٨: ١٠٩-١١٠.

المنع من إعلان وفاة النبيﷺ

لما ارتحل الرسول المصطفىﷺ وارتفعت الأصوات من بيته بالبكاء وانتشر خبر رحيله في المدينة كان أبو بكر في سنح-على أميال من المدينة-، ولعل تركه النبيﷺ وخروجه من المدينة كان على أثر اطمئنان حصل له من إفاقة النبيﷺ وخفة حرارة الحمّى فيه، وإلا لم يكن يتركه وهو على وشك الوفاة، ومن ثم خالف أمره في الخروج مع جيش أسامة حذراً من أن يحدث أمر على خلاف ميله، فدخل عمر ومعه المغيرة بن شعبة بيت رسول اللهﷺ وكشف عن وجهه الشريف، وقال: واغشياه ما أشدّ غشي رسول اللهﷺ.

فقال المغيرة: مات والله رسول اللهﷺ، فقال عمر: كذبت ما مات رسول اللهﷺ، ولكنك رجل تحوسك فتنة،ولن يموت رسول الله حتى يُفني المنافقين، وقال: إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله تُوفي، إنّ رسول الله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى عن قومه وغاب أربعين ليلة،والله ليرجعنّ رسول الله فليقطّعنّ أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنه مات، من قال إنه مات علوت رأسه بسيفي،وإنما ارتفع إلى السماء!!!

وجعل هو ورجّالته يهدّد كل من يقول بموت النبي بالسيف ويوعده بالنكال والعقاب، وأخذ يسيطر بهذا الحال مدّة على أفكار الناس، وجثمان النبيﷺ ملقىً على الفراش ممنوعاً من الغسل والتكفين، إلى أن رجع عضيده أبو بكر من السنح، فارتفع قلق عمر، ولما قال أبو بكر: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ تنازل عن عناده وقال: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم، فسكت عمر[1]!!، ومن المعلوم أنه خاف-في غياب أبي بكر-من اجتماع الناس على عليٍّ، لا سيما أنّ أكثرهم كان لا يحتملها لأحد غير عليٍّ، لما قد رأوا وسمعوا من تنصيبه يوم الغدير وسائر المواقف التي لا تخفى على أحد، فأراد أن يشغلهم بهذا الحديث فعلاً عن التفكير في البيعة لأحد حتى يرجع أبو بكر فينفّذوا مؤامرتهم، وقد أرسل إليه سالم بن عبيد ليخبره بموت النبي وأن يسرع في الرجوع إلى المدينة[2].

---

(١) أنظر مسند أحمد: ٢١٩،تاريخ الطبري٢: ٤٤٢-٤٤٦،تاريخ ابن كثير: ٢٤٣، السيرة الحلبية٣: ٣٩٢.

(٢) وقد اعترف ابن أبي الحديد بتلفيق عمر لهذه القصة قائلاً: إنّ عمر خاف من تغلّب أقوام

مؤتمر السقيفة

وخرج هو وأبوبكر والركن الآخر أبو عبيدة الجراح من بيت النبي وتركوا جثمانه إلى عليٍّ وأهله المفجوعين بلوعة المصاب المنشغلين بسببه عن كل شيء وعن التفكير بالخلافة و... .

وكان خروجهم على أثر ما أخبرهم عيونهم عن السقيفة،بأنّ فريقاً من الأنصار قد اجتمعوا لتعيين الخليفة وتدبير الأمر ووقع أمرهم على سعد بن عبادة، فكانت هذه المسألة بمكان من الأهمية لهم من الحضور في تغسيل النبي وتكفينه ودرك تلك الفضيلة !!!

والذي يشهد له التاريخ أنّ اجتماع الأنصار في السقيفة وبما فيهم الصحابي الجليل سعد بن عبادة ما كان عن تخطيط مسبق بشأن السيطرة على الحكم وسلبه عن عليٍّ عليه السلام، حيث إنّ الأنصار لم يضعوا في حسابهم غير علي عليه السلام للخلافة بعد النبي ﷺ.

لكن لما تبيّن للأنصار وغيرهم أنّ رؤساء المعارضة القرشية قد اتفقوا وتحالفوا لصرفها عن عليٍّ عليه السلام والاستيلاء عليها بأيّ أسلوب أمكن، وأنهم ضربوا نصوص النبي ﷺ عرض الجدار وتناسوها، ويريدون بفعلهم هذا أن يرجعوها جاهلية، على أنهم سمعوا من النبي ﷺ ما أخبر به عما هم عليه من

عليها(الخلافة)،(أنظر شرح النهج٢: ٤٢-٤٣).

ويقول عبد الفتاح عبد المقصود: كلّ أعمال عمر من بيعته لابن الجراح وذهابه لوحده مع أبي بكر إلى السقيفة... نعتذر عنها، لو لا تهديد عمر للقائلين بموت النبي؟، (أنظر السقيفة والخلافة: ١٠٩-١١١)، وبهذا التهديد يتهمه عبد الفتاح باصطناع الموقف، وأنّ هذا العمل لا يمكن توجيهه إلا أن يكون عن مؤامرة معدة من قبل.

وقد أدرك هذه الحقيقة بعض المستشرقين لوضوحها، كما ألمح إليها المستشرق لانس في كتابه حيث قال: إنّ الحزب القرشي الذي يرأسه أبوبكر وعمربن الخطاب وأبوعبيدة لم يكن وليد مفاجأة وارتجال وإنما كان وليد مؤامرة سرية مجرمة حيكت أصولها ورتبت أطرافها بكل إحكام وإتقان، وإنّ أبطال هذه المؤامرة أبوبكروعمربن الخطاب وأبوعبيدة الجراح، ومن أعضاء هذا الحزب عائشةوحفصة... (أنظرمؤتمر السقيفة للنيجاني: ٤١).

التدبير والتبديل بعده، فحاولوا أن يمنعوا من وقوع البلية وعلاجها قبل وقوعها، وأن يتخذوا موقفاً حاسماً أمام المهاجرين سيما رؤساء المعارضة القرشية، وهذا لا يتحقق إلا بانتخاب رئيس اجتماعي بعد رحيل النبيﷺ، وكان المرشّح المؤهل لهذا الأمر هو سعد بن عبادة.

والذي يشهد على فضيلة سعد وصدقه وولائه لعليؑ مضافاً لما ورد فيه عن النبيﷺ، هو ما رواه ابن جرير الطبري في المواهب عن أبي علقمة قال: قلت لابن عبادة-وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر-: ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون قال: إليك عني فوَ الله سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**إذا أنا متُ تضلّ الأهواء ويرجع الناس على أعقابهم، فالحق يومئذ مع عليٍّ وكتاب الله بيده، لا تبايع أحداً غيره**» فقلت له: هل سمع هذا الخبر أحد غيرك من رسول الله؟ فقال: أناس في قلوبهم أحقاد وضغائن، قلت: بل نازعتك نفسك أن يكون هذا الأمر لك دون الناس كلهم، فحلف أنه لم يهمّ بها ولم يردها، وأنهم لو بايعوا علّياً كان أول من بايع سعد[1].

ولعلم الحزب القرشي بعدم نجاح مؤامرتهم إن لم يلقوا الخلاف بين الأنصار، بادروا في بثّ النفاق والتنافس بينهم-حيث كان قديماً فيهم-ومن ثم بان الحسد وعدم التكاتف بين قبيلتي الأنصار، وكان قد تواطأ بشير بن سعد-الذي كان من أصحاب الصحيفة-مع رؤساء الثورة بما أدّى لنجاحهم وغلبتهم على ذلك الجمع من الأنصار برئاسة سعد بن عبادة.

وذلك بعد ما تنافس الطرفان ودار الكلام والنزاع بينهم، وقال أبو بكر-بعد ذكر سابقة المهاجرين في التصديق برسول الله...-: فهم أول من عبد الله في الأرض وآمن بالرسول وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر بعده ولا ينازعهم في ذلك إلا ظالم،ثم ذكر فضيلة الأنصار وقال: فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقام الحباب بن منذر وقال: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم فإنّ الناس في فيئكم، وفي ظلّكم،

---

(١) لاحظ شرح إحقاق الحق٢: ٣٤٨ عن كتاب المواهب لابن جرير الطبري.

ولن يجترئ مجترىء على خلافكم ولا تختلفوا، فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء إلا ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن... فاشتدّ النزاع بينهما وكادت الفتنة أن تقع، فقال أبوعبيدة: يا معشر الأنصار إنكم كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدّل وغيّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان حاسداً لابن عمه سعد بن عبادة، فقال: يا معشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين وسابقة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا الله وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عوضاً، فإنّ الله ولي النعمة علينا بذلك، ألا إنّ محمداً من قريش وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم، فقال أبو بكر: هذا عمر وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا: والله لا نتولى هذا الأمر عليك... .

وقام عبد الرحمن بن عوف فقال: يا معشر الأنصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليٍّ، وقام المنذر بن الأرقم، فقال: ما تدفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد- يعني عليّ بن أبي طالب-، فقالت الأنصار أو بعضهم: لا نبايع إلا علياً.

البيعة وتحقق ما أنبأ به الرسول ﷺ

يقول عمر: فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوّفت الاختلاف فقلت: أبسط يدك لأبايعك، فلما بسط يده وذهبا ليبايعانه سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير عققت عقاقاً والله ما اضطرّك إلى هذا إلا الحسد لابن عمك.

فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد، قال بعضهم لبعض وفيهم أسيد بن حُضير وكان نقيبهم: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك

الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبابكر، فسارعوا في مبايعته طمعاً في المقام وأن تكون لهم اليد الأولى عند الخليفة، وانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا عليه، وكادوا يطئون سعداً من شدة زحامهم وهو مريض على فراشه، فقال: قتلتموني، قال عمر: اقتلوا سعداً قتله الله، فوثب قيس بن سعد وأخذ بلحية عمر وقال: والله يابن صهاك الحبشية الجبان في الحروب الليث في الملأ والأمن، لو حرّكت منه شعرة ما رجعت وفي وجهك واضحة، فقال أبوبكر: مهلا يا عمر فإنّ الرفق أبلغ وأفضل، فقال سعد: يا بن صهاك أما والله لو أنّ لي قوة على النهوض لسمعتما مني في سككها زئيراً أزعجك وأصحابك منها، ولألحقتكما بقوم كنتما فيهم أذناباً أذلاء تابعين غير متبوعين، لقد اجترأتما.

ثم قال للخزرج:احملوني من مكان الفتنة فحملوه فادخلوه منزله، وبعد ذلك بعثوا إليه ليبايع فأبى وقال: لا والله حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي وأخضب منكم سنان رمحي وأضربكم بسيفي ما أقلّت يدي، فأقاتلكم بمن تبعني من أهل بيتي وعشيرتي، ثم وأيم الله لو اجتمع الجن والإنس عليّ لما بايعتكما أيها الغاصبان حتى أُعرض على ربي وأعلم ما حسابي، فما بايعهم ولا صلّى معهم إلى أن قتل في حكومة عمر غيلةً[1].

فتمّت أولى مراحل المؤامرة وأُخذت البيعة المزورة التي بُني أساسها على المكيدة والحسد والمغالبة واللجاج لا عن عقل وسداد، وعلى رغم مخالفة فرقة من الأنصار برآسة سعد بن عبادة، وغياب جمع كثير من الصحابة وبني هاشم وأهل بيت النبي ﷺ، وكأنّ النبي ﷺ تركهم رهواً ولم يوصهم بعلي عليه السلام وأهل بيته ولم يأخذ البيعة له منهم على مرئى المسلمين.

---

(١) بعد ما خرج إلى نواحي دمشق-وكان له قبيلة كبيرة فيها- ساخطاً على السلطة الحاكمة، قائلاً: حرام عليّ أن أكون في بلد أنت(عمر) أميره، وكان قد أشار عمر في بادي الأمر على قتله إن لم يبايع، فنصحه بشير بن سعد وحذّره من وقوع الفتنة من جانب قبيلة سعد لكثرتهم، فتركوه خوفاً من قبيلته، لاحظ ما يدل عليه في الاستيعاب١: ٣٣٣، والاصابة٢: ٢٧.

ومن الشواهد على أنّ الإنقلاب قد خُطّط له تخطيطاً دقيقاً من قبل، ورود بعض القبائل بسيوفها في سكك المدينة وبيعتها مع أبي بكر، فلما رآهم عمر اطمأنّ بالنصر وقوي بهم، فكان يقول: ما هي إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر[1]، واخذ يهدّد المخالفين ويُرعِبهم ويدعوهم إلى البيعة لأبي بكر، وبهذا النحو بايع كثير من الناس ومن كان حضر المسجد.

وبقي أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته وجمع من بني هاشم والمخلصين من أصحاب رسول الله ﷺ مهتمّين بتجهيز النبي ﷺ معتزلين عن الناس.

فسرعان ما تحقق إنباء رسول الله ﷺ في افتتان الأمة وارتدادها بعده، إذ لم يزل جثمانه الشريف على الأرض، وقد ظهرت ضغائن القوم لعلي عليه السلام واجتمعوا على سلب ملكه، وحاولوا في قتله، وارتدّوا عن دينهم ونسوا وصية نبيهم، واتخذوا العجل واستضعفوا علياً عليه السلام وأهل بيته، كما ارتدّت بنو إسرائيل واتخذوا العجل واستضعفوا هارون، وقد سبقت الأنباء بهذا الشأن مفصلاً.

وخرج المتآمرون ومن تبعهم من المتحالفين يزفّون أبابكر إلى المسجد كما تُزفّ العروس ليتمّوا المؤامرة، وعمر يهرول أمامهم ويهتف بهم ويجرّ كل من يراه أمامه ليأخذ منه البيعة لأبي بكر ولو بالمسح على يديه وإن أبى ضربه بدرّته.

وبهذا النحو دخلوا المسجد وطلب عمر من الفِرَق الحاضرة المتواطئة على هذا الأمر بالبيعة، فبايعت ومن لم يبايع أُكره عليها، ولم يبق من الحاضرين في المدينة إلا علي عليه السلام وبنو هاشم وجماعة من المهاجرين والأنصار الذين أبوا أن يبايعوا إلا لعلي، وقد تحصّن المخالفون في بيت فاطمة عليها السلام[2].

---

(١) أنظر تاريخ الطبري٢: ٤٥٨، الكامل في التاريخ٢: ٢٢٤، شرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ٢٨٧، اقول: إنّ ما ورد في بعض المرويات من امتناع قبيلة أسلم إلا أن يبايع رئيسهم بُريدة، وإنه ما بايع إلا بعد أن أكره أمير المؤمنين عليه السلام على البيعة، ينافي ما ادعاه عمر، والظاهر: أنّ الذين ملئوا سكك المدينة هم الحالفون لأركان الإنقلاب، وعليه فإما أن يكون كلمة(اسلم) من تحريفات المؤرخين، أو افتراء من عمر عليهم لمخالفتهم.

(٢) قد اقتبست مقاطع هذه القصة وخرّجتها من مصادر متعددة، منها: شرح النهج لابن أبي

وقد بان تحقق ما أنبأ به النبيﷺقبل وفاته، أنه رأى في المنام بني تيم وعدي وبني أمية ينزون على منبره، لَصعد أبو بكر منبر رسول اللهﷺ في اليوم الثاني من الانقلاب وخطب واعترف بعدم صلاحيته للخلافة، فقال: أيها الناس قد وُليت عليكم ولست بخيركم، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق، ألا وإنّ لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني.

وقد اعترف عمر بعدم صلاحية أبي بكر، فقال: كانت بيعة أبي بكر فلتة[1]، وقد تكرر منهما هذا الإقرار حين حكومتهما كراراً معترفين بأهلية أمير المؤمنينعليه السلام وصلاحيته وعدم صلاحيتهم، غير أنّ الملك كان ولا زال عقيماً.

وقد أخبر عن ذلك الرسول المصطفىﷺ إذ قال: «البيعة بعدي لغيره ضلالة وفلتة وزلّة، من تقدّمه(يعني علياً)فهو ظالم، بيعة الأول ضلالة، ثم الثاني ثم الثالث، وويل للرابع(معاوية)ثم الويل لأبيه(أبو سفيان)وقال: «ستتخذ أمتي بعدي عجلاً ثم عجلاً ثم عجلاً ويخالفونك...، يضاهئون أولئك في اتخاذهم العجل...، وقد حدث لأمته مثل ما حدث لبني إسرائيل حينما غاب موسى عنهم حذو القذة بالقذة.

ولما تمّت المرحلة الثانية من الثورة بأخذ البيعة من أكثر الناس في المسجد كرهاً وطوعاً وطمعاً، وأمير المؤمنين مشغولٌ بتجهيز رسول اللهﷺوقد صلّى

الحديد١: ١٣٣عن السقيفة لأبي بكر الجوهري، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٢١، الاحتجاج للطبرسي١: ١١٨-١١٩، تاريخ الطبري٢: ٤٥٥ حديث السقيفة، الكامل في التاريخ٢: ١٢٥، تاريخ اليعقوبي٢: ١١٤، سيرة ابن هشام٤: ١٠٧١، تاريخ الخميس١: ١٨٨.

(١) تاريخ الطبري٢: ٤٤٦، وقد علم الناس أنّ بيعته فلتة ووقعت هذه الجملة على ألسنتهم، فلذلك أراد عمر أن يتدارك الموقف، فقال: قد كانت إلا أنّ الله وقى شرّها، أنظر الملل النحل: ٣٠، وشرح النهج ٦: ٤٧، أقول: كيف وقى الله وشرّها باق حتى اليوم، ولا زال في ازدياد حتى يظهر الله الحق ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فقد قال خير بن نوف لأبي سعيد الخدري: والله ما يأتي علينا عام إلا وهو شرٌ من الماضي، ولا أمير إلا وهو شرٌ ممن كان قبله، فقال أبو سعيد: سمعته من رسول اللهﷺ يقول ما تقول، ولكن سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يزال بكم الأمر حتى يولد في الفتنة والجور من لا يعرف عددها حتى تملأ الأرض جوراً فلا يقدر أحد يقول: الله،ثم يبعث الله عزوجل رجلاً مني ومن عترتي فيملأ الأرض عدلاً كما ملأها من كان قبله جوراً...»، (أمالي الطوسي٢: ١٢٦ وعنه في البحار٢٨: ١٨).

عليه هو من حضر من أهل بيته وشيعته، فجاء الناس من بايع ومن لم يبايع لأبي بكر فصلّوا عليه، ودُفن في حجرته الشريفة.

هناك ذهب أمير المؤمنين عليه السلام هو والقليل من أصحابه فجلس في المسجد، وقد اجتمع بنو أمية إلى عثمان بن عفان وبنو زهرة إلى عبد الرحمن بن عوف، فما كان إذ جاء أبو بكر وعمر وأبو عبيدة - أركان الانقلاب - فقالوا: ما لنا نراكم حلقاً شتّى قوموا فبايعوا أبا بكر، فقد بايعه الناس، فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا، وانصرف عليٌّ عليه السلام ومن معه إلى منزله، وفيهم الزبير بن العوام.

فذهب إليهم عمر برجّالته فيهم أسيد بن حضير أحد أركان الإنقلاب وسلمة بن أسلم و... فقالوا لهم: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس.

فوثب الزبير إلى سيفه، فقال عمر: عليكم بالكلب فاكفونا شرّه، فبادر سلمة بن أسلم فانتزع السيف من يده فأخذه عمر فضرب به الأرض فكسره، وأحدقوا بمن كان هناك من بني هاشم ومضوا بهم إلى أبي بكر، فلما حضروا قالوا: بايعوا أبا بكر فقد بايعه الناس، وايم الله لئن أبيتم ذلك لنحاكمنكم بالسيف...فأكرهوا على البيعة إلاّ عليٌّ عليه السلام فأبى وقال: أنا أحق بهذا الأمر منه وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله وتأخذونه منا أهل البيت غصباً!، ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لكانكم من رسول الله ﷺ فأعطوكم المقادة وسلّموا لكم الأمارة وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، أنا أولى برسول الله حياً وميتاً وأنا وصيه ووزيره ومستودع سرّه وعلمه وأنا الصديق الأكبر، أول من آمن به وصدّقه، وأحسنكم بلاء في جهاد المشركين وأعرفكم بالكتاب والسنة وأفقهكم في الدين وأعلمكم بعواقب الأمور وأذربكم لساناً وأثبتكم جناناً، فعلامَ تنازعونا هذا الأمر، أنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفته الأنصار لكم، وإلا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال عمر: أما لك بأهل بيتك أسوة؟ فقال عليٌّ عليه السلام: سلوهم عن ذلك، فابتدر القوم الذين بايعوا من بني هاشم، فقالوا: ما بيعتنا لحجة على عليٍّ عليه السلام

ومعاذ الله أن نقول أنّا نوازن.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له عليٌّ عليه السلام: احلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً، ثم قال:والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه، فقال أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك، فقام الركن الثالث(أبو عبيدة)فاعترف بفضيلة أمير المؤمنين عليه السلام ومقامه من رسول الله ﷺ إلا أنه اعتذر في غصب الخلافة بقوله: إنك حدث السن وأبو بكر من مشايخ قومك وهو أحمل لثقل هذا الأمر وقد مضى الأمر بما فيه فسلّم له، فإن عمّرك الله يسلّموا هذا الأمر إليك ولا يختلف عليك اثنان بعد هذا إلا وأنت به خليق وله حقيق ولا تبعث الفتنة في غير أوانها، فقد عرفت ما في قلوب العرب وغيرهم عليك.

فقام عليٌّ عليه السلام ونصحهم مرّة أخرى وذكر نبذة من فضائله، فأجابه بشير بن سعد الأنصاري-الذي وطّأ الأمر لأبي بكر هو وجماعة من الأنصار-أن: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان.

فقال عليه السلام: يا هؤلاء! أكنت أدع رسول الله مسجّى لا أواريه وأخرج أنازع في سلطانه؟والله ما خفت أحداً يسموله وينازعنا أهل البيت فيه ويستحلّ ما استحللتموه، ولا علمت أنّ رسول الله ﷺ ترك يوم غدير خم لأحد حجة ولا لقائل مقالاً، فأنشد الله رجلاً سمع النبي ﷺ يوم غدير خم يقول: **«من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله»**أن يشهد الآن بما سمع!.

قال زيد بن أرقم: فشهد اثنا عشر رجلاً بدرياً بذلك وكنت ممّن سمع القول من رسول الله ﷺ، فكتمت الشهادة يومئذ، فدعا عليٌّ عليه السلام عليّ فذهب بصري.

وكثر الكلام في هذا المعنى وارتفعت الأصوات وخشي عمر أن يصغى الناس إلى قول علي عليه السلام، ففسخ المجلس، وقال: إنّ الله يقلّب القلوب ولا تزال يا أبا الحسن ترغب عن قول الجماعة، فانصرفوا يومهم ذلك[1].

---

(١) هذا الحديث رووه العامة والخاصة في كتب السيرة والتاريخ باختلاف يسير وتلاعب من

خروج عليٍّ عليه السلام إلى الأنصار لطلب النصرة

ويروي ابن قتيبة وغيره أنّ علياً عليه السلام خرج يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو أنّ زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول عليٌّ عليه السلام: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[1].

فقد روي أنه ما استجاب له منهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلّقين رؤوسهم، معهم سلاحهم، ليبايعوه على الموت، فأصبحوا فلم يواف منهم أحد إلا أربعة.

قال سليم: فقلت لسلمان: من الأربعة؟ فقال: أنا وأبوذر والمقداد والزبير بن العوام، ثم أتاهم علي عليه السلام من الليلة المقبلة، فناشدهم، فقالوا: نصبحك بكرة، فما منهم أحد أتاه غيرنا، ثم أتاهم الليلة الثالثة فما أتاه غيرنا[2].

وقد وقف إلى جانب علي عليه السلام جماعة من أعيان المهاجرين والأنصار وخيارهم ممن أشار النبي ﷺ بفضلهم وأنهم مع الحق لا ينحرفون عنه ويدورون في فلكه كيفما تحرّك لم تسيطر عليهم الغوغاء ولا يخذلهم الإرعاب، بل وقفوا أمام الغاصبين بحزم وصلابة وبكل ما يملكون، وقد أثبت التاريخ موقفهم الحاسم وإن كانوا قليلين لا يبلغ عددهم من اثني عشر رجلاً، منهم: سلمان الفارسي وأبوذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي وخالد بن سعيد بن العاص من المهاجرين.

ومن الأنصار: أبو الهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابن حنيف وخزيمة

البعض، فراجع الإمامة والسياسة ١: ٢١، أنساب الأشراف١: ٧٩، تاريخ الطبري٢: ٤٥٥، الاحتجاج للطبرسي١: ٨٩.

(١) الإمامة والسياسة١: ٢٩.

(٢) البحار٢٨: ٢٦٤ في حديث سليم بن قيس عن سلمان برواية ابن أبي عياش.

بن ثابت ذوالشهادتين وأبيّ بن كعب وأبو أيوب الأنصاري.

فقد اتفقوا في ما بينهم على أن يأتوا المسجد ويُنزلوا أبا بكر عن منبر رسول الله ﷺ، إلا أنهم استشاروا قبل ذلك مولاهم عليّاً عليه السلام، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: وأيم الله لو فعلتم ذلك لما كنتم لهم إلا حرباً، ولكنكم كالملح في الزاد وكالكحل في العين، وأيم الله لو فعلتم ذلك لأتيتموني شاهرين بأسيافكم مستعدين للحرب والقتل وإذاً لأتوني فقالوا لي: بايع وإلا قتلناك، فلا بدّ لي من أن أدفع القوم عن نفسي، وذلك أنّ رسول الله ﷺ أوعز إليّ قبل وفاته وقال لي: «يا أبا الحسن إنّ الأمة ستغدر بك من بعدي وتنقض فيك عهدي وإنك مني بمنزلة هارون من موسى، وإنّ الأمة الهادية من بعدي كهارون ومن اتّبعه والأمة الضالة من بعدي كالسامري ومن اتبعه» فقلت: يا رسول الله! فما تعهد إليّ إذا كان كذلك؟ فقال: «إذا وجدت أعواناً فبادر إليهم وجاهدهم، وإن لم تجد أعواناً كفّ يدك واحقن دمك حتى تلحق بي مظلوماً» فلما توفي رسول الله ﷺ اشتغلت بغسله وتكفينه والفراغ من شأنه ثمّ آليت على نفسي يميناً أن لا أرتدي برداء إلا للصلاة حتى أجمع القرآن ففعلت، ثم أخذت بيد فاطمة عليها السلام وابنيّ الحسن والحسين عليهما السلام فدرت على أهل بدر وأهل السابقة فناشدتهم حقي ودعوتهم إلى نصرتي فما أجابني منهم إلا أربعة، رهط سلمان وعمار وأبو ذر والمقداد، ولقد راودت في ذلك بقية أهل بيتي فأبوا عليّ إلا السكوت، لما علموا من وغارة صدور القوم وبغضهم لله ولرسوله ولأهل بيت نبيّه ﷺ، فانطلقوا بأجمعكم إلى الرجل فعرّفوه ما سمعتم من قول نبيكم محمد ﷺ ليكون ذلك أوكد للحجة وأبلغ في قطع العذر وأبعد لهم من رسول الله ﷺ إذا وردوا عليه.

نصيحة القوم وإتمام الحجة

فسار أصحاب علي عليه السلام حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ -وكان يوم الجمعة- فلما صعد أبو بكر المنبر، بادروا بالكلام وذكروا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وما ورد من رسول الله ﷺ في شأنه وإقامته مقامه وحثّ الناس على متابعته وإطاعته واجتناب معصيته ومخالفته، ونصحوا القوم فأبلغوا في النصيحة والإرشاد والتذكير، وكان أول من تكلم منهم خالد بن سعيد بن العاص.

وروي أنّ بعض هؤلاء الإثني عشر كانوا غُيّباً عند وفاة رسول ﷺ، فقدموا وقد تولّى أبو بكر وهم يومئذ أعلام مسجد رسول الله ﷺ، وكان موقف عمر من خالد أن قال له: اسكت فلست من أهل المشورة... فقال خالد بن سعيد: بل اسكت أنت يا بن الخطاب فإنك تنطق على لسان غيرك، وأيم الله لقد علمت قريش أنك من ألأمها حسباً وأدناها منصباً وأنك الجبان في الحروب وبخيل بالمال لئيم العنصر ما لك في قريش من فخر ولا في الحروب من ذكر، وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: ﴿ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]، فأبلس عمر وجلس خالد.

ثم تكلّموا واحداً بعد واحد فأبلغوا وأعذروا، وأخبرهم أبو ذر بمشابهة فعلهم هذا مع ما فعلت الأمم السابقة ومطابقته، فقال: لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الأمر من بعدي لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ثم من بعده لابنيّ منه الحسن والحسين، ثم للطاهرين من ذريتي**» فاطّرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به إليكم، فأطعتم الدنيا الفانية ونسيتم الآخرة الباقية التي لا يهرم شبابها، ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكانها بالحقير التافه الفاني الزائل، فكذلك الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها ونكصت على أعقابها وغيّرت وبدّلت واختلفت، فساويتموهم حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذة، وعما قليل تذوقون وبال أمركم وتُجزَون بما قدّمت أيديكم، وما الله بظلام للعبيد، وعند ما تمّ كلام القوم وأفحم أبو بكر على المنبر فلم يُحِر جواباً، فقال: ولّيتكم ولست بخيركم، أقيلوني أقيلوني.

فقال له عمر: إنزل عنها يا لكع، إذا كنت لا تقوم بحجج قريش لِمَ أقمت نفسك هذا المقام؟ والله لقد هممت أن أخلعك وأجعلها في سالم مولى أبي حذيفة.

فنزل ثم أخذ بيده وانطلق به إلى منزله وبقوا ثلاثة أيام لا يدخلون مسجد رسول الله ﷺ، فلما كان اليوم الرابع جاءهم خالد بن الوليد ومعه ألف رجل،

---

(١) الحشر: ١٦.

فقال لهم: ما جلوسكم؟ فقد طمع فيها والله بنو هاشم، وجاءهم سالم مولى حذيفة ومعه ألف رجل، وجاءهم معاذ بن جبل ومعه ألف رجل، فما زال يجتمع إليهم رجل رجل حتى اجتمع لهم أربعة آلاف، فخرجوا شاهرين سيوفهم يقدمهم عمر بن الخطاب حتى وقفوا بمسجد رسول الله ﷺ، فقال عمر: والله يا أصحاب عليّ لئن ذهب منكم رجل يتكلّم بالذي تكلّم بالأمس لنأخذنّ الذي فيه عينه.

فقام خالد بن سعيد وقال: يا بن صهاك الحبشية أبأسيافكم تهدّدوننا أم بجمعكم تفزعوننا؟ والله إنّ أسيافنا أحدّ من أسيافكم وإنا لأكثر منكم وإن كنا قليلين، لأنّ حجة الله فينا، والله لو لا أني أعلم أنّ طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى بي لشهرت سيفي ولجاهدتكم في الله إلى أن أبلي عذري.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إجلس يا خالد فقد عرف الله لك مقامك وشكر لك سعيك، فجلس.

سلمان يخبر القوم بنبوءة رسول الله ﷺ

وقام إليه سلمان الفارسي فقال: الله أكبر الله أكبر سمعت رسول الله ﷺ بهاتين الأذنين وإلا صُمّتا يقول: **«بينما أخي وابن عمي عليّ بن أبي طالب جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أهل النار يريدون قتله وقتل من معه»** فلست أشك أنكم لأنتم هم.

وهذه نبوءة منه ﷺ تحققت في هذا المقام، فهمّ به عمر بن الخطاب، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ بمجامع ثوبه، ثم جلد به الأرض وقال: يا بن صهاك الحبشيه لو لا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله ﷺ تقدّم لأريتك أيّنا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً.

ثم التفت إلى أصحابه فقال: انصرفوا رحمكم الله لا دخلت المسجد إلا كما دخل أخواي موسى وهارون إذ قال أصحابه ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ والله لا دخلته إلا لصلاة أو لزيارة رسول الله ﷺ أو لقضية أقضيها، فإنه لا يجوز لحجة أقامها رسول الله ﷺ أن يترك الناس في حيرة.

وقد اهتمّ بجمع القرآن عملاً بوصية النبي ﷺ فجمعه على التنزيل في

ثوب واحد وختمه، فخرج وعرضه عليهم، فقالوا: لا حاجة لنا به، فدخل وهو يتلو: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[1].

الهجوم على بيت فاطمة

إحراق بابها-لطم خدها-كسر ضلعها-إسقاط جنينها

قد أشار عمر على أبي بكر بأنّ الأمر لا يستقرّ لنا ما دام عليٌّ ومن معه متحصنين لم يبايعوا ولو بايع أمنّاه، فلابدّ من أن تبعث إليهم من يخرجهم ويأتي بهم للبيعة، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رسولا، فقالا له: انطلق إلى عليّ فقل له: أجب خليفة رسول الله، فانطلق فأبلغه، فقال عليٌّ عليه السلام: ما أسرع ما كذبتم على رسول الله ﷺ وارتددتم، والله ما استخلف رسول الله ﷺ غيري، فرجع وبلّغهم الخبر، فقال أبو بكر: صدق عليٌّ ما استخلفني رسول الله ﷺ، فغضب عمر ووثب وقام، فقال أبو بكر: إجلس، ثم قال: اذهب إليه فقل له أجب أمير المؤمنين أبا بكر، فأقبل وأبلغ الرسالة، فقال عليه السلام: كذب والله انطلق إليه فقل له: لقد تسمّيت باسم ليس لك، فقد علمت أنّ أمير المؤمنين غيرك[2]، فرجع فأخبرهما.

فوثب عمر غضبان، فقال: والله إني لعارف بسخفه وضعف رأيه، وإنه لا يستقيم لنا أمرٌ حتى نقتله فخلّني آتيك برأسه، فقال أبوبكر: إجلس، فأبى، فأقسم عليه فجلس.

ثم قال: يا قنفذ-وكان فظاً غليظاً جافاً من الطلقاء-انطلق فقل له: أجب أبا بكر، فإن أبى فادخلوا بغير إذن، فأقبل قنفذ ومعه أعوانه فقال: يا عليّ أجب

---

(١) الاحتجاج١: ٩٧، وعنه في البحار ٢٨: ١٨٩،والآية في سورة آل عمران: ١٨٧.

(٢) وفي حديث سلمان قال عليه السلام: سبحان الله! ما-والله-طال العهد فنُسي، والله إنه ليعلم أنّ هذا الاسم لا يصلح إلا لي، ولقد أمره رسول الله ﷺ وهو سابع سبعة فسلّموا عليّ بإمرة المؤمنين، فاستفهم هو وصاحبه من بين السبعة فقالا: أمر من الله ورسوله؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «نعم حقاً من الله إنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين وصاحب لواء الغرّ المحجلين، يقعده الله عزوجل يوم القيامة على الصراط فيدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار»،فسكتوا عنه يومهم ذلك، البحار٢٨: ٢٦٦، وحديث التسليم عليه بإمرة المؤمنين مشهور رووه العامة في كتبهم.

أبا بكر، فقال عليٌّ عليه السلام: إني لفي شغل عنه، وما كنت بالذي أترك وصية خليلي وأخي وأنطلق إلى أبي بكر وما اجتمعتم عليه من الجور.

وقالت فاطمة: إني أحرّج عليكم أن تدخلوا بيتي بغير إذن، فصمّما على أن يهجموا بيته، ولابدّ في ذلك من أن يحرقوا بابه، فانطلقوا وثبت قنفذ، فأخبروا أبا بكر، فوثب عمر غضبان وقال: ما لنا وللنساء، فنادى خالد بن الوليد وقنفذاً وأُناساً فأمرهم أن يحملوا حطباً وناراً وحمل هو معهم، فقيل له: أتحرق بيته وفاطمة والحسن والحسين أبناء رسول الله ﷺ فيها؟! قال: وإن!.

ثم أقبل حتى انتهى إلى باب عليٍّ، وفاطمة عليها السلام قاعدة خلف الباب قد عصّبت رأسها ونحل جسمها في وفاة رسول الله ﷺ، فأقبل عمر حتى ضرب الباب، ثم نادى: يا ابن أبي طالب والله لتخرجنّ ولتبايعنّ خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك الدار، فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه؟، قال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم.

فقالت: يا عمر أما تتقي الله عز وجل تدخل عليّ بيتي وتهجم داري؟!.

فأبى أن ينصرف،ثم دعا بالنار فأضرمها في الباب، فأحرق الباب، ثم دفعها، فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت يا أبتاه يا رسول الله، فرفع السيف وهو في غمده فوجيء به جنبها فصرخت، فرفع السوط فضرب به ذراعها، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله لبئس ما خلّفك أبو بكر وعمر.

فوثب أمير المؤمنين عليه السلام على عمر وأخذ بتلابيبه،ثم هزّه فصرعه ووجيء أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله ﷺ وما أوصى به من الصبر والطاعة، فقال: والذي كرّم محمداً ﷺ بالنبوة يا ابن صهّاك،لو لا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي، فأرسل عمر يستغيث، فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار عليٌّ عليه السلام إلى سيفه فسبقوه وكاثروه، فألقوا في عنقه حبلاً ولبّبوه به، وأقبل أصحاب عليٍّ المتحصنون معه لمقابلة القوم، لكنهم كانوا في قلة وموضع ضعف، فألقي القبض عليهم أيضاً، ولما أرادوا أن يخرجوا علياً عليه السلام حالت فاطمة عليها السلام بينه وبينهم عند الباب، فضربها قنفذ بالسوط-فماتت حين ماتت وإنّ في عضدها مثل الدملج من ضربات ذلك الملعون-، فألجأها إلى

عضادة بيتها ودفعها فكسر ضلعاً من جنبها، فألقت جنيناً من بطنها، وقد كان ذلك الضرب أقوى ضرراً في إسقاط جنينها، وقد سمّاه رسول الله ﷺ محسناً، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت عليها السلام من ذلك شهيدة.

لكن جاء في كتاب الملل والنحل: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين(المحسن)من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين[1].

ويؤيده قول الزهراء عليها السلام: فجمعوا الحطب الجزل على بابنا وأتوا بالنار، ليحرقوه ويحرقونا، فوقفت بعضادة الباب وناشدتهم بالله وبأبي أن يكفّوا عنا وينصرونا، فأخذ عمر السوط من يد قنفذ مولى أبي بكر فضرب به عضدي فالتوى السوط على عضدي حتى صار كالدملج وركل الباب برجله، فردّه عليّ وأنا حامل، فسقطت لوجهي والنار تسعر وتسفع وجهي، فضربني بيده حتى انتثر قرطي من أذني، وجاءني المخاض فأسقطت محسناً قتيلاً بغير جرم[2].

فقد أخرج عليٌّ عليه السلام بذلك الحال والناس خلفه والنفر من أصحاب عليٍّ يقولون: ما أسرع ما خنتم رسول الله ﷺ وأخرجتم الضغائن التي في صدوركم، وقال بريدة بن الحصيب الأسلمي: يا عمر أتيت على أخي رسول الله ﷺ ووصيه وعلى ابنته فتضربها، وأنت الذي تعرفك قريش بما تعرفك به، فرفع خالد بن الوليد السيف ليضرب بريدة، فتعلّق به عمر ومنعه من ذلك.

فانتهوا بعليٍّ عليه السلام إلى أبي بكر ملبّباً وهو جالس على المنبر وعمر قابض بسيفه على رأس عليٍّ عليه السلام، وخالد بن الوليد وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة وأُسيد بن حضير وبشير بن سعد وساير الناس حول أبي بكر.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٨٣، والمحسن كان سماه رسول الله ﷺ حينما سمّى حسناً فقال: «ومن بعد حسن حسين ومن بعده محسن كأسماء أولاد هارون» وصرّح بذلك في القاموس في مادة(شبّر)، (ولاحظ البحار٢٨: ٢٧٠)، وقد ذكرت حادث الهجوم بتلفيق من روايات متعددة بعضها تكمّل بعضاً من غير تناقض وتضادّ فلاحظ الاحتجاج١: ٩٨، البحار٢٨: ٢٩٧-٣٢٥، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ١١،عن كتاب السقيفة للجوهري، وذكر في البحار مصادر متعددة من العامة.

(٢) البحار ٣٠: ٣٤٨ ضمن حديث ١٦٤ عن إرشاد القلوب.

قال عليٌّ عليه السلام: ما أسرع ما توثّبتم على أهل بيت نبيكم، يا أبابكر، بأيّ حق، وبأيّ ميراث وبأيّ سابقة تحثّ الناس إلى بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس بأمر رسول الله؟ فقال عمر: دع هذا يا عليّ فوَ الله إن لم تبايع لنقتلنّك، فقال عليٌّ عليه السلام: إذاً والله أكون عبد الله وأخو رسوله المقتول.

فقال عمر: أما عبد الله المقتول فنعم، وأما أخو رسول الله فلا.

فقال عليه السلام: أتجحدون أنّ رسول الله ﷺ آخى بيني وبينه؟ قال: نعم.

ثم خاطب عليه السلام المهاجرين والأنصار و ذكّرهم بما سمعوه من النبي ﷺ في فضائله، فقالوا: اللهم نعم، فلما خاف أبوبكر من خلاف الناس عليه، قال: كل ما قلته سمعناه بآذاننا ووعته قلوبنا، لكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: بعد هذا: **«إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختارلنا الآخرة على الدنيا، وإنّ الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة»**.

فقال عليٌّ عليه السلام: أما أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ شهد هذا معك؟ فقال عمر: صدق خليفة رسول الله ﷺ قد سمعنا هذا منه كما قال: وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل مثل ذلك.

فقال عليٌّ عليه السلام قد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي تعاقدتم عليها في الكعبة! إن قتل الله محمداً أو أماته أن تزووا الأمر عنا أهل البيت، فقال أبو بكر: وما علمك بذلك؟ أطلعناك عليها؟ قال عليٌّ عليه السلام: يا زبير ويا سلمان ويا مقداد أذكّركم بالله وبالإسلام أسمعتم رسول الله يقول لي: إنّ فلاناً وفلاناً حتى عدّ هؤلاء الخمسة قد كتبوا وتعاقدوا وتعاهدوا على ما صنعوا؟ قالوا: اللهم نعم قد سمعناه يقول ذلك[1].

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أما والله لو لا قضاء من الله سبق وعهدٌ عهده إليّ خليلي لست أجوزه، لعلمت أينا أضعف ناصراً وأقلّ عدداً، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم.

ثم إنّ فاطمة عليها السلام لما أفاقت من غشيتها التي أصابتها جرّاء تلك الضربات، وعلمت بإخراج عليٍّ إلى المسجد، خرجت بذلك الحال تدافع عن إمام زمانها، فلما رأت علياً ملبّباً وعمر قائم بالسيف على رأسه قالت: يا أبا بكر أتريد أن

---

(١) الاحتجاج١: ١٠٩.

ترمّلني من زوجي، والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنّ شعري ولأشُقنّ جيبي ولآتينّ قبر أبي ولأصيحنّ إلى ربي، وفي رواية قالت: فما ناقة صالح بأكرم على الله مني ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي.

فأخذت بيد الحسن والحسين عليهما السلام تريد قبر النبي ﷺ، فقال عليٌّ عليه السلام لسلمان: أدرك ابنة محمد ﷺ فإني أرى جنبتي المدينة تُكفئان تخسفان، والله إن نشرت شعرها وشقّت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها، فأدركها سلمان رحمه الله.

فقال: يا بنت محمد إنّ الله بعث أباك رحمة فارجعي، فقالت: يا سلمان يريدون قتل عليٍّ وما على عليٍّ صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي فأنشر شعري وأشق جيبي وأصيح إلى ربي، فقال سلمان: إني أخاف أن يخسف بالمدينة وعليٌّ بعثني إليك يأمرك أن تنصرفي، فانصرفت، وبهذا النحو تمكّنت من أن تأخذ بيد عليٍّ عليه السلام، فانطلقت به إلى بيتها وهو لم يبايع القوم.

قال سلمان: كنت قريباً منها فرأيت والله أساس حيطان المسجد تقلّعت من أسفلها حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها نفذ... فرجعت ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا[1].

قال ابن قتيبة: فلم يبايع عليٌّ عليه السلام حتى ماتت فاطمة، ولم تمكث بعد أبيها إلا خمساً وسبعين ليلة، وقال في موضع آخر: قال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه[2].

---

(١) انظر كتاب سليم بن قيس: ٣٨٨، الاحتجاج١: ٢٢٢، وورد مضمونه في الاختصاص: ١٨٦، وقريب منه ما نقله اليعقوبي في تاريخه٢: ١٢٦، والبحار٢٨: ٢٠٦، قال الباقر عليه السلام: والله لو نشرت شعرها ماتوا طُرّاً.(الكافي ٨: ٣٣٨، وعنه في البحار ٢٨: ٢٥٢)، وعند رجوعها إلى بيتها عدلت إلى قبر أبيها تشكوه ما جرى عليها، فوضعت خدّها على القبر تبكي وتقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صُبّت عليّ مصائب لو أنها ... صُبّت على الأيام صرن لياليا

ولها أيضاً: قد كان بعدك أنباء وهنبثة ... لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
وكل أصل له قربى ومنزلة ... عند الإله على الأدنين مقترب إلخ...

(لاحظ الكافي ٨: ٣٣٨، والأبيات في كتاب السقيفة للجوهري: ٤٦).

(٢) أنظر الإمامة والسياسة ١: ٢٠.

إخراج عليٍّ عليه السلام وأصحابه للبيعة

فلما ماتت الزهراء عليها السلام شهيدة[1] ساخطة على الغاصبين سريعة اللحاق بأبيها، ودفنها عليٌّ عليه السلام وعفى أثر قبرها، وفرغت الساحة من وجود أكبر معين لأمير المؤمنين عليه السلام، إذ كان وجودها في جنبه مانعاً هاماً في استقرار سلطتهم، ومن ثم بادروا في قتلها وإزالتها من الساحة حتى يكمل ضعف عليٍّ عليه السلام ويتمكنوا من إكراهه للبيعة.

فأخرجوه مرة أخرى للبيعة، هناك قام بريدة فقال: يا عمر ألستما اللذين قال لكما رسول الله ﷺ انطلقا إلى عليٍّ عليه السلام فسلّما عليه بإمرة المؤمنين فقلتما أعن أمر الله ورسوله؟ فقال: «نعم» فقال أبو بكر: قد كان ذلك يا بريدة لكنك غبت وشهدنا والأمر يحدث بعده الأمر.

فقال عمر: وما أنت وهذا يا بريدة وما يدخلك في هذا؟ قال بريدة: والله لا سكنت في بلدة أنتم فيها أمراء، فأمر به عمر فضُرب وأُخرج.

وتكلّم سلمان ونصح القوم، ثم قال: وإن أبَيتم لتحلبنّ به دماً ولَيطمعنّ فيها الطلقاء والطرداء والمنافقون، والله إني لو أعلم أني أدفع ضيماً أو أعزّ لله ديناً لوضعت سيفي على عنقي ثم ضربت به قدماً، أتثبون على وصي رسول الله؟ فابشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء.

ثم قام أبو ذر والمقداد وعمار، فقالوا لعليٍّ عليه السلام ما تأمر؟ والله إن أمرتنا لنضربنّ بالسيف حتى نقتل، فقال عليٌّ عليه السلام: كفّوا رحمكم الله، واذكروا عهد رسول الله وما أصابكم به، فكفّوا.

---

(١) وقد تحقق ما أنبا به ﷺ فيها، فإنها ما زالت بعد أبيها محزونة مكروبة لا ترى كاشرة، وكانت معصبة الرأس ناحلة الجسم منهدّة الركن باكية العين...وما زالت تدعو على من آذاها وأغضبها إلى أن لحقت بأبيها، ولغضبها عليهم أوصت علياً بأن يدفنها ليلاً ولا يعلم أحداً، ومن غضبت عليه فاطمة فقد غضب عليه الله ورسوله، لقوله ﷺ: «يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك» وقال: «فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما أرابها» وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ وقد تواترت الأحاديث في هذا الصعيد عند الفريقين.

فقال عمر لأبي بكر وهو جالس فوق المنبر: ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك؟ أوَ تأمر به فنضرب عنقه؟ والحسن والحسين عليهما السلام قائمان على رأس عليٍّ عليه السلام فلمّا سمعا مقالة عمر بكيا ورفعا أصواتهما: يا جداه يا رسول الله، فضمّهما عليٌّ عليه السلام إلى صدره وقال: لا تبكيا، فوَ الله لا يقدران على قتل أبيكما، هما أذلّ وأدحر من ذلك.

وأقبلت أمّ أيمن النوبية حاضنة رسول الله ﷺ وأمّ سلمة فقالتا: يا عتيق ما أسرع ما أبديتم حسدكم لآل محمد!، فأمر بهما عمر أن تُخرجا من المسجد، وقال: ما لنا وللنساء[1].

هناك قالوا: مُدّ يدك فبايع فأبى عليه السلام فمدّوا يده كُرهاً فقبض عليه السلام على أنامله، فراموا بأجمعهم فتحها، فلم يقدروا، فمسح عليها أبو بكر وهي مضمومة، وبذلك ادعوا أنّ علياً عليه السلام قد بايع!!!

فنظر عليٌّ عليه السلام إلى قبر رسول الله ﷺ وتمثّل بكلام هارون لما استضعفه قومه، فقال: يابن عمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

وقد خاطب أبابكر بهذين البيتين:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيّب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي وأقرب[2]

وقيل للزبير: بايع، فأبى، فوثب عمر وخالد والمغيرة بن شعبة في أناس معهم فانتزعوا سيفه من يده فضربوا به الأرض حتى كسروه، ثم لبّبوه، فقال الزبير -وعمر على صدره-: يابن صهاك أما والله لو أنّ سيفي في يدي لحدت عني، فأكره على البيعة.

قال سلمان: ثم أخذوني فوجؤا عنقي حتى تركوها مثل السلعة، ثم يدي وفتلوها، فبايعت مكرهاً، ثم بايع أبوذر والمقداد مكرهين، وما من الأمة أحد بايع مكرهاً غير عليٍّ وأربعتنا.

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٣٨٨-٣٨٩، وعنه في البحار٢٨: ٣٠١.

(٢) علم اليقين للفيض ٢: ٦٨٦عن كتاب التهاب نيران الأحزان،ويؤيده ما في إثبات الوصية: ١٤٢...وبسطوا يده فقبضها وعسُر عليهم فتحها، فمسحوا عليه وهي مضمومة.

قال سليم: فقلت لسلمان: فبايعت أبا بكر يا سلمان ولم تقل شيئاً؟، قال: قد قلت بعد ما بايعت: تبّاً لكم ساير الدهور، أوَ تدرون ما صنعتم بأنفسكم؟ أصبتم وأخطأتم، أصبتم سنّةَ من كان قبلكم من الفُرقة والاختلاف وأخطأتم سنة نبيكم ﷺ حتى أخرجتموها من معدنها وأهلها.

فقال عمر: يا سلمان أما إذا بايع صاحبك وبايعت، فقل ما شئت، وافعل ما بدا لك، وليقل صاحبك ما بدا له.

قال سلمان: فقلت إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّ عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب أمته إلى يوم القيامة، ومثل عذابهم جميعاً»**[1].

فقال: قل ما شئت، أليس قد بايعت؟ ولم يقرّ الله عينك بأن يليها صاحبك، فقلت: أشهد أني قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة أنه باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم، فقال لي: قل ما شئت أليس قد أزالها الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم أرباباً من دون الله.

فقلت له: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول به وسألته عن هذه الآية: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ فأخبرني أنك أنت هو، فقال لي عمر: أسكت أسكت الله نأمتك، أيها العبد ابن اللخناء.

فقال لي عليٌّ عليه السلام: أقسمت عليك يا سلمان لما سكتّ.

فقال سلمان: والله لو لم يأمرني عليٌّ عليه السلام بالسكوت لخبّرته بكل شيء نزل فيه، وكل شيء سمعته من رسول الله ﷺ فيه، وفي صاحبه، فلما رآني عمر قد سكتّ، قال إنك له مطيع مسلّم.

فلما بايع أبو ذر والمقداد كرهاً ولم يقولا شيئاً قال عمر: يا سلمان ألا تكفّ

---

(١) ونحوه ما ورد عن عليٍّ عليه السلام عنه ﷺ: أنه رأى على منبره اثني عشر رجلاً أئمة ضلال من قريش، يصعدون على منبره وينزلون على صورة القرود يردّون أمته على أدبارهم عن الصراط المستقيم، قد خبّرني بأسمائهم رجلاً رجلاً، وكم يملك كل واحد منهم واحداً بعد واحد، عشرة منهم من بني أمية، ورجلين من حيين مختلفين من قريش، عليهما مثل أوزار الأمة جميعاً إلى يوم القيامة، ومثل جميع عذابهم، فليس من دم يهرق في غير حقه، ولا فرج يغشى، ولا حكم بغير حق إلا كان عليهما وزره. (سليم بن قيس: ٣٠٣، البحار ٣٣: ١٥٢).

كما كفّ صاحباك؟ والله ما أنت بأشدّ حباً لأهل البيت منهما، ولا أشدّ تعظيماً لحقهم منهما وقد كفّا كما ترى وبايعا.

قال أبو ذر: أفتعيّرنا يا عمر بحبّ آل محمد ﷺ وتعظيمهم؟ لعن الله - وقد فعل - من أبغضهم، وافترى عليهم وظلمهم حقهم، وحمل الناس على رقابهم، وردّ هذه الأمة القهقرى على أدبارها.

فقال عمر: آمين، لعن الله من ظلمهم حقوقهم، لا والله ما لهم فيها حق وما هم فيها وعرض الناس إلا سواء، قال أبوذر: فلِمَ خاصمتم الأنصار بحقهم وحجتهم؟.

فقال عليٌّ عليه السلام: لعمر: يا ابن صهّاك فليس لنا فيها حق وهي لك ولابن آكلة الذبّان؟، قال عمر: كفّ الآن يا أبا الحسن إذ بايعت، فإنّ العامة رضوا بصاحبي ولم يرضوا بك فما ذنبي.

قال عليٌّ عليه السلام: ولكنّ الله ورسوله لم يرضيا إلا بي، فأبشر أنت وصاحبك ومن اتبعكما ووازركما بسخط من الله وعذابه وخزيه، ويلك يا ابن الخطاب لو تدري مما خرجت وفيما دخلت وملاذا جنيت على نفسك وعلى صاحبك؟، فقال أبو بكر: يا عمر أمّا إذ قد بايعنا وأمنّا شرّه وفتكه وغائلته، فدعه يقول ما شاء.

فقال عليٌّ عليه السلام: لست بقائل غير شيء واحد، أذكّركم الله أيها الأربعة (سلمان وأبي ذر والزبير والمقداد): أسمعتم رسول الله ﷺ يقول: «إنّ في النار لتابوتاً من نار أرى فيه اثنا عشر رجلاً ستة من الأوّلين وستة من الآخرين في جبّ في قعر جهنم، في تابوت مقفّل، على ذلك الجبّ صخرة فإذا أراد الله أن يسعّر جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجبّ فأسعرت جهنم من وهج ذلك الجب ومن حرّه»، قال عليٌّ عليه السلام: فسألت رسول الله ﷺ عنهم وأنتم شهود فقال ﷺ: أمّا الأولون فابن آدم الذي قتل أخاه، وفرعون الفراعنة والذي حاجّ إبراهيم في ربّه، ورجلان من بني إسرائيل بدّلا كتابهم، وغيّرا سنّتهم، أمّا أحدهما فهوّد اليهود، والآخر نصّر النصارى، وإبليس سادسهم والدجال في الآخرين، وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداوتك يا أخي، وتظاهروا عليك بعدي، هذا وهذا حتى سمّاهم وعدّهم لنا.

قال سلمان: صدقت نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ، فقال عثمان: يا أبا الحسن أما عند أصحابك هؤلاء حديث فيّ؟ فقال له عليٌّ عليه السلام: بلى سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ثم لم يستغفر لك بعد ما لعنك، فغضب عثمان ثم قال: ما لي ومالك لا تدعني على حالي على عهد النبي ﷺ ولا بعده؟.

فقال الزبير: نعم فأرغم الله أنفك، فقال عثمان: فوَ الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الزبير يُقتل مرتدّاً عن الإسلام».

قال سلمان: فقال لي عليٌّ عليه السلام فيما بيني وبينه: صدق عثمان، وذلك أنّ الزبير يبايعني بعد قتل عثمان فينكث بيعتي، فيقتل مرتدّاً.

قال سليم: ثم أقبل عليّ سلمان فقال: إنّ الناس كلهم ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ غير أربعة إنّ الناس صاروا بعد رسول الله ﷺ بمنزلة هارون ومن تبعه، ومنزلة العجل ومن تبعه.

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتجيء قوم من أصحابي من أهل العلية والمكانة مني ليمرّوا على الصراط فإذا رأيتهم ورأوني، وعرفتهم وعرفوني، اختلجوا دوني، فأقول يا ربّ أصحابي أصحابي، فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم حيث فارقتهم، فأقول: بُعداً وسحقاً»[1].

وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لتركبنّ أمتي سُنّة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، وحذو القذّة بالقذّة شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، إنّ التوراة والقرآن كتبه ملك واحد في رقٍّ واحد بقلم واحد، وجرت الأمثال والسنن سواء»[2].

هذا حاصل ما ورد في كتب التاريخ والسيرة والحديث مما روته العامة والشيعة في قصة السقيفة والهجوم على بيت فاطمة عليها السلام وما جرى من العدوان

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ٩٣ برواية ابن أبي عياش،وعنه في البحار٢٨: ٢٨٢، الاحتجاج١: ٢١٥-٢٢٢ عن سليم بن قيس برواية سلمان، وتراه في صحيح البخاري كتاب الرقاق ب ٥٣، مسند أحمد١: ٤٣٩وج٥: ٣٨٨ و٣٩٣و٤٠٠، وقد تواترت الأحاديث عنه ﷺ في هذا الصعيد عند الفريقين، وقد روي عنه ﷺ انه لما نزلت ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال: «رد أمتي يوم القيامة على خمس رايات، فأولها مع عجل هذه الأمة فآخذ بيده فترجف قدماه ويسودّ وجهه ووجوه أصحابه فأقول...»، (اليقين لابن طاوس: ٣٢٩،الآية في آل عمران: ١٠٦).

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٦٣، وعنه في البحار٢٨: ٢٨٢، الاحتجاج١: ١١٣ باختلاف يسير.

وأخذ الثار من آل محمد في ذلك الوقت، والإكراه على البيعة من قبل الغاصبين، وكان قد أنبأ بها الصادق المصدّق ﷺ بجميع تفاصيلها-وقد تقدّمت منا-إذ قال: «كأني بكما (الرجلين) قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه، وأعانكما على ذلك أعداء الله وأعداء رسوله، وكأني بكما قد تركتما المهاجرين والأنصار يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف على الدنيا، ولكأني بأهل بيتي وهم المقهورون المتشتتون في اقطارها...وقل ﷺ: ضغائن في صدر أقوام لا يبدونها لك إلا من بعدي، وقل: إنك يا عليّ ستمرّ بما مرّ به هارون فسوف تفترق الأمة عنك وتهدّد بالقتل كما حصل لهارون.

وقل: إنّ أمتي ستفتتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ... وتغلب كلمة الضلال، فكن جليس بيتك حتى تقلّدها، فإذا قلّدتها جاشت عليك الصدور... وقل: إياكم وأتباع الضلالة والشورى للجهالة...وقل:يا عليّ ليرجعنّ أكثر هؤلاء كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض وما بينك وبين أن ترى ذلك إلاّ أن يغيب عنك شخصي.

وقل عن جبرئيل:...أما أخوك فيلقى من أمتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان...وأما ابنتك فتظلم وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها وتُضرب وهي حامل ويدخل على حريمها ومنزلها بغير إذن ثم يمسّها هوان وذلّ ولا تجد أعوانا وتطرح ما في بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب... .

وقل: يا عليّ ما أنت صانع لوتآمر القوم عليك بعدي وتقدّموك وبعثوا إليك طاغيتهم يدعوك إلى البيعة ثم لُبّبت بثوبك كما يُقاد الشارد من الإبل مرموماً مخذولاً... وقل: ينزل بهذه (فاطمة) الذل... أبكي لما يصنع بكم بعدي...أبكي من ضربتك على القرن ولطم فاطمة خدّها و...وقل:كأني بفاطمة وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه فلا يعينها أحد من أمتي...أبشري بسرعة اللحاق بي فإنك أول من يلحق بي من أهل بيتي، وقل: يا عليّ ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزّها حقها، وويل لمن انتهك حرمتها،وويل لمن أحرق بابها، وويل لمن آذى خليلها، وويل لمن شاقها وبارزها... .

شواهد من التاريخ في ما جرى على الزهراء عليها السلام

وإليك نبذة مما رواه القوم فيما جرى على فاطمة عليها السلام من المصاب، من إحراق دارها ولطم خدّها وكسر ضلعها وقتل جنينها وغصب حقها و... .

علماً بأنهم تلاعبوا وخانوا التاريخ في بيان الحقائق كما هي، وما جرى على ألسنتهم وأقلامهم هونبذة من تلك الحقائق التي خافوا على مصالحهم أو أنفسهم من ذكرها بتمامها، كما هو مشهود في كتبهم بأدنى تأمل من القارئ المنصف، على أنّ كثيراً من ذوي المصالح منهم رأوا أن لا يسلّطوا الضوء على مثل هذا الحدث المهم، فغضّوا أبصارهم عنه كأنه لم يحدث في الكون أبداً.

بيد أنّ الله سبحانه أبى إلا أن يظهر الحق ويفضح الباطل، لذلك تراه قد ألقى على ألسنتهم وأقلامهم، ما يؤيد به دينه.

يقول ابن قتيبة:...إنّ أبابكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليٍّ، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليٍّ فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب، وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص إن فيها فاطمة، فقال: وإن!!.

وساق الحديث إلى أن قال: ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب(ولم يقل فأحرقوها)، فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها:يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكائها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصرع وأكبادهم تنفطر، وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً...[1].

والقارئ الفطن يرى التلاعب والقصّ في الحديث بوضوح، إذ يتساءل أنّ دقّة الباب كيف كانت؟ بحيث رفعت فاطمة صوتها بالبكاء وخاطبت أباها تشكوه ملجرى عليها ! بنحو صدّع حنينها القلوب القاسية وأبكاها!، هل كان شدّة البكاء على أثر دقّ الباب؟!! أو على حرقها ودفعها وضغطها على ضلع البتول، ولو لم يكن كذلك فأين صار الحطب الذي اعترف به ابن قتيبة.

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣٠.

على أنّ ابن قتيبة قد اعترف في كتاب المعارف باستشهاد محسن بن عليٍّ، إذ عدّه من أولاد عليٍّ عليه السلام، فقال: وأمّا محسن بن عليٍّ فهلك وهو صغير[١].

وفي رواية ابن شهر آشوب عنه قال: إنّ محسناً فسد من زخم قنفذ العدوي[٢].

وفي مصنف ابن أبي شيبة: قال (عمر): يا بنت رسو ل الله ﷺ والله ما من أحد أحبّ إلينا من أبيك وما من أحد أحبّ إلينا بعد أبيك منك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن أمرتهم أن يُحرق عليه البيت؟ قال: فلما خرج عمر جاءوها، فقالت: تعلمون أنّ عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن قدم ليحرقنّ عليكم البيت، وأيم الله ليمضينّ لما حلف عليه...[٣].

وفي العقد الفريد: فأما عليٌّ والعباس والزبير فقعدوا في بيت فاطمة حتى بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب ليخرجوا من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم، فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمة، فقالت: يابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟!.

قال: نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة[٤].

ومثل هاتين الروايتين ذكرها الأندلسي في الاستيعاب، إلا أنه قال بدل(أن يحرق عليهم البيت): لأفعلنّ ولأفعلنّ[٥]، إحتراماً لشخصية الخليفة، أو لعله خاف على نفسه.

وفي أنساب الأشراف: إنّ أبا بكر أرسل إلى عليٍّ يريد البيعة فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب أتراك محرقاً عليّ بابي؟ قال: نعم ذلك أقوى فيما جاء به أبوك، وجاء عليٌّ فبايع...[٦]، ولم يذكر كيف جاء علي!!.

---

(١) المعارف لابن قتيبة الدينوري: ٢١١-أخبار علي بن أبي طالب.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب٣: ١٣٣، وقد وثّق هذا العالم الجليل نفر من علماء القوم مثل الصفدي في الوافي بالوفيات، و اثنى عليه ثناءً كثيراً.

(٣) المصنف ٨: ٥٧٢ح٤-باب ما جاء في خلافة ابي بكر-، كنز العمال ٥: ٦٥١ح ١٤١٣٨.

(٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي٥: ١٢باب الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر.

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر-المطبوع بهامش الإصابة ٢: ٢٥٤.

(٦) أنساب الاشراف للبلاذري ١: ٥٨٦-أمر السقيفة-، وعنه في البحار ٢٨: ٣٨٩.

وفي تاريخ الطبري: أتى عمر بن الخطاب منزل عليٍ عليه السلام وفيه طلحة والزبير ورجل من المهاجرين فقال: والله لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعة[1].

وذكر ابن أبي الحديد خبر هبار بن الأسود وقال: إنّ رسول الله ﷺ أباح دمه يوم فتح مكة، لأنه روّع زينب بنت رسول الله ﷺ بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملاً، فرأت دماً وطرحت ذا بطنها، فقال: قرأت هذا الخبر على النقيب أبي جعفر (الاسكافي) فقال: إذا كان رسول الله ﷺ أباح دم هبار، لأنه روّع زينب فألقت ذا بطنها، فظاهر الحال أنه لو كان حيّاً لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها، فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم: إنّ فاطمة رُوِّعت فألقت المحسن؟ فقال: لا تروه عني ولا ترو عني بطلانه، فإني متوقف في هذا الموضع لبعض الأخبار عندي فيه[2].

وكأنه اعتمد على تلميذه-ابن أبي الحديد-أولاً فتكلم بذاك الكلام، ولما أراد نقل الحديث عنه خاف على نفسه وغيّر كلامه.

وكيف لا يخاف وقد قتل أمثاله بسبب نقل بعض الحقائق، كالنسائي[3] وغيره.

وقد أوهن وطعن أبو بشر الدولابي على أبي بكر بن أبي دارم لذكر بعض الحقائق في حضوره مع اعترافه باستقامته ووثاقته طيلة عمره، وكان جرمه أنه كان في آخر عمره يُذكر عنده مطاعن الخلفاء، قال: كنت عنده يوماً فذُكِر عنده أنّ عمر رفس فاطمة حتى أسقطت المحسن[4].

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٣، وروى نحوه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢: ٥٦ عن سلمة بن عبد الرحمن قال: لما جلس أبوبكر على المنبر كان عليٌ والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمة، فجاء عمر إليهم فقال: والذي نفسي بيده لتخرجنّ إلى البيعة أو لأحرقنّ البيت...ومثله في ج ٦: ٤٨، وانظر العقد الفريد ٣: ٦٤، وكنز العمال٥: ٦٥١، والوافي بالوفيات للصفدي١٧: ٣١١، وتاريخ اليعقوبي٢: ١٣٣، والمختصر في أخبار البشر١: ٥٦ لعماد الدين، أعلام النساء-عمر رضا كحّالة حرف الفاء (فاطمة)، الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود ١: ١٩٠.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد١٤: ١٩٣.

(٣) لاحظ قصته في وفيات الأعيان لابن خلكان١: ٧٧ ترجمة النسائي، وتذكرة الحفاظ للذهبي٢: ٦٩٨، وكان جرمه أن قال في جواب من طلب منه ذكر فضائل معاوية: لا أعرف له فضلاً سوى: «لا أشبع الله بطنه»، وإذا كان نقل هذا الكلام النبوي في مثل معاوية جرم كبير فكيف بأسلافه الذين أشرب في قلوب الناس حبّهم.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي١: ١٣٩، ترجمة أحمد بن محمد بن السري، فإنه قدح به لهذا السبب.

وقد طعن الشهرستاني أيضاً على النظّام(إبراهيم بن سيار بن هاني النظام)لاعتقاده: أنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين، ولذكره بعض مثالب عمر[1].

وقال المسعودي بعد ذكر ما جرى من البيعة لأبي بكر...فوجّهوا إلى منزله(علي عليه السلام)فهجموا عليه وأحرقوا بابه، واستخرجوه منه كرهاً وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطت محسناً وأخذوه بالبيعة فامتنع...[2].

شاهد آخر

ويدل على وقوع هذا الحادث المشين مضافاً لما اعترف به عمر في كتابه لمعاوية،ندم أبو بكر في أخريات عمره، وذلك عند ما رأى ما رأى من آثار العذاب، فقال: إني لا آسى على شيء إلاّ على ثلاث فعلتهنّ، وددت أني لم أفعلهنّ، وثلاث لم أفعلهنّ وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهنّ.

فأمّا اللاتي فعلتهنّ وددت أني لم أفعلها، فوددت أني لم أكن أكشف بيت فاطمة وتركته وإن كانوا قد غلّقوه على حرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر، فكان أميراً وكنت وزيراً و...[3].

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ٥٧ ط بيروت، وكان النظام معتزلياً ومن كبار أهل النظر والكلام وكان شاعراً بليغاً، فلاحظ تاريخ بغداد ٦: ٩٦، ولسان الميزان١: ٩٦.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي: ١٤٢-حكاية السقيفة-، وعنه في البحار ٢٨: ٣٠٨ ح٥٠.

(٣) كنز العمال٥: ٦٣١ح١٤١١٣حرف الخاء-خلافة أبي بكر، تاريخ الطبري٢: ٦١٩ حوادث سنة ١٣، ميزان الاعتدال٣: ١٠٩،شرح النهج ٢: ٤٦ الخطبة ٢٦، المعجم الكبير للطبراني١: ٦٢، ومثله في الإمامة والسياسة: ٢١ وفيه: ليتني تركت بيت عليٍّ عليه السلام، تاريخ اليعقوبي٢: ١٣٧-أيام أبي بكر-،ولفظه: ليتني لم أفتّش بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأدخله الرجل، ولو كان أغلق على حرب و... وذكره المسعودي أيضاً في مروج الذهب٢: ٣٠١ ب ذكر خلافة أبي بكر، وقريباً منه في لسان الميزان لابن حجر العسقلاني٤: ٢١٩، وغيرهم.

علماً بأنّ الإمام عليّ عليه السلام قد ألقى الحجة عليه كراراً، فمنها ما قال له: هل لك أن أجمع بينك وبين رسول الله ﷺ حتى يأمرك وينهاك، فقال له: نعم، فخرجا إلى مسجد قبا، فأراه رسول الله ﷺ قاعداً فيه، فقال له: يا فلان، على هذا عاهدتموني! في تسليم الأمر إلى عليٍّ عليه السلام وهو أمير المؤمنين، فرجع وقد همّ بتسليم الأمر إليه، فمنعه صاحبه من ذلك، فقال هذا سحر مبين، معروف من سحر بني هاشم، أوَ ما تذكر يوم كنا مع ابن أبي كبشة، فأمر شجرتين فالتقتا فقضى حاجته خلفهما، ثم أمرهما فتفرقتا وعادتا إلى حالهما؟.

فقال له: أمّا إن ذكرتني هذا، فقد كنت معه في الكهف فمسح يده على وجهي، ثم أهوى برجله البحر، ثم أراني جعفراً وأصحابه في سفينة تعوم في البحر، فرجع عما كان عزم عليه[1].

مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين على يد خالد

ثم تواطئا على قتل أمير المؤمنين عليه السلام، على يد خالد بن الوليد، فبعثت أسماء بنت عميس إلى أمير المؤمنين عليه السلام بجارية لها، فأخذت بعضادتي الباب ونادت: إنّ الملاء يأتمرون بك ليقتلونك، فأخرج إني لك من الناصحين[2]، فخرج مشتملاً بسيفه، وكان الموعد في قتله حين يسلّم إمامهم، فيقوم خالد إليه بسيفه، فأحسّوا بأسه، فقال أبو بكر قبل أن يسلّم: لا تفعلنّ خالد ما أُمرت به، ثم كان من أقاصيصهم ما رواه الناس[3].

---

(١) أُنظر بصائر الدرجات: ٢٩٨ ح١٢، وعنه في البحار ٢٩: ٢٦وج٢٨: ٣٠٩.

(٢) وفي الاحتجاج١: ٢٣٦ ح ٤٥ قال: فسمعها عليٌّ فقال: رحمها الله، قولي لمولاتك: فمن يقتل الناكثين والمارقين والقاسطين؟.

(٣) إثبات الوصية للمسعودي: ١٤٢ حكاية السقيفة، وقد رواه بعد ذكر إحراق البيت وقتل الجنين، وفي رواية أخرى بعد ذكر القصة قال أبوذر: إنّ أمير المؤمنين أخذ خالداً بإصبعيه السبابة والوسطى في ذلك الوقت فعصره عصراً فصاح خالد صيحة منكرة، ففزع الناس وهمّتهم أنفسهم وأحدث خالد في ثيابه وجعل يضرب برجليه الأرض ولا يتكلم، فقال أبو بكر لعمر: هذه مشورتك المنكوسة، كأني كنت أنظر إلى هذا فاحمد الله على سلامتنا، قال: وكلما دنا منه أحد ليخلّصه من يده عليه السلام لحظة تنحّى عنه رعباً، فبعث أبوبكر إلى العباس، فجاء وتشفّع إليه، فقال: بحق هذا القبر

هذا وقد تحقق ما قال رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «يا عليّ إنّ القوم يأتمرون بعدي على قتلك يظلمون ويبيتّون»، وعلى أية حال، هذه كلها شواهد تاريخية من كتب العامة تثبت ما جرى على عليٍّ و فاطمة عليها السلام من المصاب والآلام، مضافاً للنبوءات الصريحة التي وردت عنه ﷺ في هذا المجال، بحيث لا يبقى أيّ خفاء في وقوع هذه الرزية العظمى التي لولاها لما شاهد التاريخ ظلماً ولا عدواناً ولا إراقة دم مظلوم ولا فساداً في الأرض.

وقفة أخرى لعليٍّ عليه السلام مع خالد وجماعة الحكم

وهناك وقفة أخرى لعليٍّ عليه السلام مع خالد، وهكذا بين جماعة الحكم وقيس بن سعد وبينهم وبين أمير المؤمنين عليه السلام نذكر مقاطع منها لما فيها من النبوءة عن رسول الله ﷺ وعلة قعود أمير المؤمنين عليه السلام من قتال القوم مع ماله من السابقة في الجهاد وعدم النظير في الشجاعة.

وحاصلها أنّ خالد بعد ما فشل في اغتيال عليٍّ عليه السلام ورأى منه ما أدى إلى فضيحته وخزيه أمام الناس، وصار ذاك البطل القاسي مضحكة للناس، أخذ يرصد الفرصة والفجأة لعلّه يقتل علياً عليه السلام غرّة، فبُعث بعد ذلك في عسكر إلى موضع، فلما خرجوا من المدينة وكان خالد مدجّجاً وحوله شجعان قد أُمروا بامتثال أوامره، فرأى علياً عليه السلام آتياً من ضيعة له منفرداً، فقال خالد في نفسه: ألان وقت ذلك- فلمّا دنى عليه السلام منه، وكان في يد خالد عمود من حديد رفعه ليضرب به رأس عليٍّ، فانتزعه عليه السلام من يده وجعله في عنقه وقتله كالقلادة، فرجع خالد إلى أبي بكر[1]، واحتال القوم في كسره فلم يتيسّر لهم، فلحضروا جماعة من

ومن فيه وبحق ولديه وأمهما إلا تركته، ففعل ذلك وقبّل العباس ما بين عينيه، الاحتجاج١: ٢٣٣، شرح النهج ١٧: ٢٢٢،البحار٢٨: ٣٠.

(١) وفي رواية الديلمي: إنه شكى علياً وتظلم منه عند أبي بكر، وقال: ... فالتفت إليّ الأصلع الرأس، وقد ازدحم الكلام في حلقه كهمهمة الأسد أو كقعقعة الرعد: فقال لي بغضب منه: أوَ كنت فاعلاً يا أبا سليمان؟ فقلت له: إي والله، لو أقام على رأيه(يعني أبوبكر)لضربت الذي فيه عيناك، فأغضبه قولي إذ صدقته، وأخرجه إلى طبعه الذي أعرفه به عند الغضب، فقال: يا بن اللخناء! مثلك من يقدر على مثلي أن يجسر؟ أو يدير إسمي في لهواته التي لا عهد لها بكلمة

الحدادين، فقالوا لا يمكن انتزاعه إلا بعد حلّه في النار، وفي ذلك هلاكه، ولمّا علموا بكيفية حاله، قالوا: إنّ علياً هو الذي يخلّصه من ذلك كما جعله في جيده، وقد ألان الله له الحديد كما ألانه لداود، فشفع أبوبكر إلى عليٍّ عليه السلام فأخذ العمود وفكّ بعضه من بعض بإصبعه[1].

وفي رواية الديلمي، قال له أبوبكر: سألتك بالله وبحق أخيك المصطفى رسول الله إلا ما رحمت خالداً وفككته من عنقه.

فلمّا سأله ذلك استحيى، وكان عليه السلام كثير الحياء، فجذب خالداً إليه، وجعل يحذف من الطوق قطعة قطعة ويفتلها في يده، فانفتل كالشمع، ثم ضرب بالأولى رأس خالد، ثم الثانية، فقال: آه يا أمير المؤمنين.

فقال عليه السلام: قلتها على كُره منك ولو لم تقلها لأخرجت الثالثة من أسفلك، ولم يزل يقطع الحديد جميعه إلى أن أزاله عن عنقه وجعل الجماعة يكبّرون ويهلّلون ويتعجبون من القوة التي أعطاها الله سبحانه أمير المؤمنين عليه السلام وانصرفوا شاكرين لذلك.

وكان من كلام خالد: والله يا عليّ لا نجوت مني إن ساعدني الأجل، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام بما يخزيه، وحجز الجميع بينهما وسألوه قطع الكلام، فقال أبو بكر:...أنت لم تزل يا أبا الحسن مقيماً على خلافي والاجتراء على أصحابي، وقد تركناك فاتركنا ولا تردنا فيردّ عليك منا ما يوحشك ويزيدك تنويماً إلى تنويمك.

حكمة؟ ويلك إني لست من قتلاك ولا من قتلى صاحبك، وإني لأعرف بمنيّتي منك بنفسك، ثم ضرب بيده إلى ترقوتي فنكّسني عن فرسي، وجعل يسوقني، فدعا إلى رحى للحارث بن كلدة، فعمد إلى القطب الغليظ فمدّ عنقي بكلتي يديه وأداره في عنقي ينفتل له كالعلك المستخن، وأصحابي هؤلاء وقوف، ما أغنوا عني سطوته، ولا كفّوا عني شرّته فلا جزاهم الله عني خيراً، فإنهم لما نظروا إليه كأنهم نظروا إلى ملك موتهم، فوَ الذي رفع السماء بلا أعماد، لقد اجتمع على فكّ هذا القطب مائة رجل أو يزيدون من أشدّ العرب فما قدروا على فكه، فدلّني عجز الناس عن فتحه أنه سحر منه أو قوة ملك قد ركبت فيه، ففُكّه الآن عني إن كنت فاكّه، وخذ لي بحقي إن كنت آخذاً، وإلا لحقت بدار عزّي ومستقر مكرمتي، قد البسني ابن أبي طالب من العار ما صرت به ضحكة لأهل الديار...إرشاد القلوب: ٣٧٨- ٣٨٤.

(١) الخرائج والجرائح٢: ٧٥٧ ح٧٥، وعنه في البحار ٢٩: ١٥٩،مناقب ابن شهر آشوب٢: ١٢٢.

فقال عليه السلام: لقد أوحشني الله منك ومن جمعك وآنس بي كل مستوحش، وأما ابن الوليد الخاسر فإني أقصّ عليك نبأه: إنه لما رأى تكاثف جنوده وكثرة جمعه زها في نفسه، فأراد الوضع مني في موضع رفع ومحل ذي جمع ليصول بذلك عند أهل الجمع، فوضعت عنه عند ما خطر بباله وهمّ بي وهو عارف بي حق معرفته وما كان الله ليرضى بفعله.

فقال أبوبكر: فنضيف هذا إلى تقاعدك عن نصرة الإسلام، وقلة رغبتك في الجهاد، فبهذا أمرك الله ورسوله أم عن نفسك تفعل هذا؟.

إخبار عليٍّ عليه السلام عن نبوءة النبي ﷺ

فقال عليٌّ عليه السلام: يا أبا بكر وعلى مثلي يتفقّه الجاهلون؟ إنّ رسول الله ﷺ أمركم ببيعتي، وفرض عليكم طاعتي، وجعلني فيكم كبيت الله الحرام يؤتى ولا يأتي، فقال: «**يا عليّ ستغدر بك أمتي من بعدي كما غدرت الأمم بعد مضي الأنبياء بأوصيائها إلا قليل، وسيكون لك ولهم بعدي هنات وهنات، فاصبر، أنت كبيت الله من دخله كان آمنا ومن رغب عنه كان كافراً**، قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ **وإني وأنت سواء إلا النبوة، فإني خاتم النبيين وأنت خاتم الوصيين**» وأعلمني عن ربي سبحانه بأني لست أسلّ سيفاً إلا في ثلاثة مواطن بعد وفاته، فقال: «**تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين**» ولم يقرب أوان ذلك بعد، فقلت: فما أفعل يا رسول الله بمن ينكث بيعتي منهم ويجحد حقي؟ قال: «**فاصبر حتى تلقاني، وتستسلم لمحنتك حتى تلقى ناصراً عليهم**»، فقلت: أفتخاف عليّ منهم أن يقتلونني؟! فقال: «**تا الله لا أخاف عليك منهم قتلاً ولا جراحاً، وإني عارف بمنيتك وسببها وقد أعلمني ربي، ولكني خشيت أن تفنيهم بسيفك فيبطل الدين، وهو حديث، فيرتدّ القوم عن التوحيد**»[1]، ولو لا أنّ

---

(١) وهذا أحد الأسباب في قعوده عليه السلام عن منابذة القوم، على أنّ هناك عوامل أخرى، منها: تربّص يهود المدينة والمنافقين وقوع الفتنة، فيشفوا غليل صدورهم ويردّوا الأمر جاهلية كما كان، ومنها: قلّة أنصار عليٍّ عليه السلام إذ لم يبلغوا الأربعين، فإنه قال: لو كان لي أربعون رجلاً لنابذت القوم، ومن ثم قال: فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً او هدماً تكون المصيبة به

ذلك كذلك، وقد سبق ما هو كائن، لكان لي فيما أنت فيه شأن من الشأن ولرويت أسيافاً، وقد ظمئت إلى شرب الدماء، وعند قراءتك صحيفتك تعرف بنا ما احتملت من وزري ونعم الخصم محمد والحكم الله.

ثم إنّ أبا بكر لما رأى الناس متعجبين من ذلك، قال: لا تعجبوا من أبي الحسن، والله لقد كنت بجنب رسول الله ﷺ يوم قلع عليٌّ باب خيبر فرأيت رسول الله ﷺ قد ضحك حتى بدت ثناياه، ثم بكى حتى اخضلّت لحيته، فقلت: يا رسول الله! أضحكٌ وبكاء في ساعة واحدة؟! قال: **«أمّا ضحكي ففرحت بقلع عليٍّ باب خيبر، وأما بكائي فلعليٍّ عليه السلام فإنه ما قلعه إلا وهو صائم مذ ثلاثة أيام على الماء القراح، ولو كان فاطراً على طعام لدحا به من وراء السور»**[1].

تحقق الأنباء في غصب حق الزهراء عليها السلام

وأمّا ما إنبأ به ﷺ في غصب حق الزهراء عليها السلام ومنع إرثها[2] بعد كسر

عليّ أعظم من فوت ولايتكم...(نهج البلاغة رقم ٦٢)،وقوله عليه السلام لبريدة-لما ركّز رايته في وسط اسلم وقال: لا أبايع حتى يبايع عليّ بن ابي طالب-: يا بريدة أدخل فيما دخل فيه الناس،فإنّ اجتماعهم أحبّ إليّ من اختلافهم اليوم، وقال عليه السلام: إنّ هؤلاء خيّروني أن يظلموني حقي وأبايعهم، وارتدّت الناس حتى بلغت الردّة أحداً، فاخترت أن أُظلم حقي وإن فعلوا ما فعلوا،(البحار٢٨: ٣٩٢ عن الغارات لإبراهيم الثقفي)، ثم إنّ ما ورد هنا في أسلم ورئيسهم بريدة وقولهم لا نبايع إلا أن يبايع عليٌّ عليه السلام، ينافي ما تقدم من عمر يوم البيعة المشؤمة بأنه أيقن بالنصر لما رآهم ملئوا سكك المدينة، إلا أن يكون تصحيف في النقل في كلمة (أسلم).

هذا وقد أفصح أمير المؤمنين عليه السلام عن بعض الأسرار وما جرى عليه بعد رسول الله ﷺ في الخطبة الشقشقية، فراجع، وفي جوابه للأشعث بن قيس الملعون وبعض من حضر مجلسه لما رجع من النهروان، إذ قيل له: لِمَ لا حاربت أبابكر وعمر كما حاربت طلحة والزبير ومعاوية؟ فكان من كلامه أن قال: إنّ لي أسوة بستة من الأنبياء صلوات الله عليهم اجمعين أولهم نوح قال: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾...إلى أن قال الناس: يا أمير المؤمنين قد علمنا أنّ القول قولك ونحن المذنبون التائبون،وقد عذرك الله ورسوله والمؤمنون،(الاحتجاج١: ٤٤٦، علل الشرائع للصدوق: ١٤٨، المناقب لابن شهر آشوب١: ٢٧٠).

(١) إرشاد القلوب للديلمي: ٣٧٨-٣٨٤، وعنه في البحار٢٩: ١٦١-١٧٤.

(٢) مثل قوله ﷺ: **«كأني بفاطمة وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت**

ضلعها وقتل جنينها وإحراق بابها، فقد شاهد التاريخ أيضاً تحققه بما لا خفاء فيه، فإنّ قصة غصب فدك التي كان في ملكها في حياة أبيها معروفة ذكرها كثير من الكتّاب والمؤرخين بما فيها من تفاصيل، وذكروا احتجاج الزهراء وأميرالمؤمنين عليهما السلام، وتكذيب الغاصبين إياهما، وافترائهم على النبي صلى الله عليه وآله بأنّ الأنبياء لا يورثون و...ونحن نعتذر من تسليط الضوء على هذه القصة.

لكن نقول: إنّ الهدف الأساسي الذي دعى القوم إلى حرمان السيدة فاطمة عليها السلام من حقوقها الشرعية التي لا يجوز حرمان كل إنسان منها فضلاً عن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، هي نقطة واحدة نذكرها، ولا يمكن توجيهٌ غيرها.

وهي أنّ قيادة الإنقلاب رأوا أنّ سيطرتهم على الحكم لا تتمّ، إن وقع في أيدي عليّ وفاطمة عليهما السلام أموال، إذ سوف يجتمع الناس حولهم ويترددون عندهم، لأنهم أهل الجود والكرم ومن نزلت فيهم: ﴿ هَلْ أَتَىٰ ﴾ وسوف يؤدّي هذا الاجتماع والتردّد إلى تأسيس جبهة معارضة للحكم بما يؤدي إلى سقوطها، فرأوا أن يغلقوا هذه الباب أيضاً كي لا يتعرض الحكم لخطورة أبداً، وفي الواقع أنّ غصب فدك كانت استمراراً لذلك الإنقلاب الأسود، ومن ثم حاولت الزهراء عليها السلام إحقاق حقها، وقد أعانها أميرالمؤمنين عليه السلام على ذلك وأقاما شهوداً عليه، كما ينبغي لكل مظلوم في إحقاق الحق وإتمام الحجة، وإن لم ينتج منه غير إعلان الحقائق وكشفها للناس وأن يُعرَف الحق من الباطل.

وختاماً لتطبيق هذا القسم من نبوءات الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله التي تحققت بعد وفاته، وقد حاولت في تطبيقها من درج ما روته العامة، أو على الأقل من إرائة المؤيدات والشواهد عنهم كي تتم الحجة عليهم أكثر فأكثر.

أقول: إنّ سائر نبوءات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الواردة في ظلم أهل البيت وقتلهم وتشريدهم كما قال صلى الله عليه وآله: «**سيصيب ولد عبد المطلب بلاء وتشريد وأثرة وقتل**» قد تحققت واحدة بعد واحدة وعلى أثر ما جرى على أميرالمؤمنين وفاطمة عليهما السلام، وكأنه كان الحجر الأساس لسائر المظالم والبدع والإحداث في

إرثها وكسرت جنبها وأسقطت جنينها وهي تنادي يا محمداه،فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث.» فرائد السمطين٢: ٣٥، أمالي الصدوق: ٦٨-٧١، ضمن حديث طويل عنه صلى الله عليه وآله.

الدين وتغيير السنة والعمل بالرأي وغيرها من المخازي التي حدثت في الإسلام بعد النبي ﷺ، وقد بلغ الأمر إلى اتخاذ تلك المحدثات سنّة لم يجترء في الاعتراض عليها، وطالما عوقب المؤمنون على مخالفتها، كما أنبأ عنها رسول الله ﷺ إذ قال: «**كيف أنتم إذا لبستم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويجري الناس عليها ويتّخذوها سُنّة، فإذا غُيّرشيء قيل قد غُيّرت السُنّة وقد أتى الناس منكراً، ثم تشتدّ البلية، وتُسبى الذرية، تدقّهم الفتنة كما تدقّ النار الحطب، وكما تدقّ الرحا بثفالها، يتفقّه الناس لغير الله، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة**»[1].

شكوى أمير المؤمنين عليه السلام من القوم وعلّة قعوده عن مبارزتهم

فترى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أفصح عن هذه الحقيقة بقلب متوجّع وفؤاد كئيب، وذلك عندما استلم الأمر ظاهراً وقد واجه تلك البدع والتجاوز على السنة الحقة، فما كان يرى في المخالفة من صلاح، لأنّ الأمة قد أشربت من حُبّ المتجاوزين ونشأت على طريقتهم، فلو خالفهم لرجعوا عنه وكفّروه، فقد قال عليه السلام: لقد عملت الولاة قبلي بأمور عظيمة، خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمّدين لذلك، ولو حملت الناس على تركها وحوّلتها إلى مواضعها التي كانت عليها على عهد رسول الله ﷺ لتفرّق عني جندي حتى أبقى وحدي إلا قليلاً من شيعتي الذين عرفوا فضلي وإمامتي من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

ثم أشار عليه السلام إلى بعض ما حدث في عهدهم وما قد ذكرها القوم في كتبهم وقد اشتهرت بما لا مجال لإنكارها، وهو قليل من كثير.

فقال: أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام فرددته إلى المكان الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة سلام الله عليها، ورددت صاع رسول الله ﷺ ومُدّه إلى ما كان، وأمضيت قطايع كان رسول الله ﷺ أقطعها للناس سنين، ورددت دار جعفر بن أبي طالب إلى ورثته وهدمتها وأخرجتها من المسجد، ورددت الخمس إلى أهله، ورددت قضاء كل من قضى بجور، ورددت

---

(١) الكافي ٨: ٥٩ح٢١، الاحتجاج١: ٣٩١ باختلاف يسير، ثفال: جلدة تبسط تحت رحا اليد.

سبي ذراري بني تغلب، ورددت ما قُسّم من أرض خيبر ومحوت ديوان العطاء، وأعطيت كما كان يُعطي رسول الله ﷺ ولم أجعلها دولة بين الأغنياء.

والله لقد أمرت الناس أن لا يجمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، فنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل بسيفه معي: أنعى الإسلام وأهله، غُيّرت سُنّة عمر! ونهى أن يُصلّى في شهر رمضان في جماعة،حتى خفت أن يثور في ناحية عسكري عليّ، أشكو إلى الله ما لقيتُ ولَقِيت هذه الأمة من أئمة الضلالة والدعاة إلى النار.

وأعظم من ذلك سهم ذوي القربى الذي قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وذلك لنا خاصة ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾[1] نحن والله عُني بذوي القربى الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه ﷺ، فقال: ولم يجعل لنا في الصدقة نصيباً أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه وأكرمنا أن يُطعِمنا أوساخ أيدي الناس.

وقد اعترضه رجل بوجود أحاديث من تفسير القرآن صدرت عن النبي ﷺ وقد رواها الأصحاب وهكذا في أيدي الناس وأنتم تخالفونها وتزعمون أنّ ذلك باطل أفترى الناس يكذبون متعمدين على النبي ﷺ ويفسّرون القرآن بآرائهم؟، فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك بما يُلجم الخصام.

وكان من كلامه عليه السلام: إنّ في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً،وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعاماً، ومحكماً ومتشابهاً،وحفظاً ووهماً، وقد كُذب على رسول الله ﷺ وهو حي، حتى قام خطيباً فقال: **«أيها الناس، قد كثرت عليّ الكذابة، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»**.

ثم أخبره بأنّ من أتى الحديث على أربعة رجل ليس لهم خامس، نذكر القسم الأول، وهو أتعسهم.

قال عليه السلام: رجل منافق، مظهر للإيمان، متصنّع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرّج يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا

---

(١) الأنفال: ٤١.

منه ولم يصدّقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله ﷺ وسمع منه، ولقف منه، فيأخذون بقوله، وقد أخبرك الله تعالى عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده ﷺ فتقرّبوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله تعالى، فهذا أحد الأربعة... إلى أن قال: فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم، وعللهم في رواياتهم وتفسيرهم[1].

هذه نماذج من المظالم والمخالفات والعمل بالرأي التي أنبأ بها النبي ﷺ وقد وقعت بعده، وأشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام، وقد سوّدت صفحة التاريخ وشوّهت سمعة الإسلام وكادت أن تمحق الدين لو لا نصرة الله له بأوليائه.

ولو أردنا أن نسلط الضوء عليها، لطال بنا الكلام، لكن اكتفينا في الإشارة إلى نبذة منها بكلام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد خصّص لدراستها بعض العلماء كتباً يجدر مطالعتها، منها: الاجتهاد في مقابل النص للسيد شرف الدين، فقد سلّط الضوء فيه على دراسة ما صدر من المخالفات والاجتهاد بالرأي في مقابل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، والإحداثات والبدع والجنايات التي وقعت في صدر الإسلام وعلى عهد الخلفاء، وجرى عليها من تبعهم.

مقتل مالك بن نويرة ظلماً على يد خالد وسبي النساء

وإليك نموذج من تلك الجرائم التي قد اعترف الحكام بها، لكنهم لم يعاقبوا مجرميها، بل خلقوا لها عذراً أتعس منها، وهي مقتل مالك بن نويرة الذي قال رسول الله ﷺ في حقه: «**من أحبّ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا الرجل**»[2]، وكان جرمه أنه لما علم بوقوع الإنقلاب أتى المدينة واعترض على الغاصبين ونصحهم في إرجاع الأمر إلى من نصبه الله ورسوله، ومن بايعوه وسلموا عليه بإمرة المومنين، فماكان جوابهم إلا أن قالوا: أخرجوا هذا الأعرابي

---

(١) لاحظ الكافي٨: ٨٥، وجاء في الاحتجاج١: ٦٢٦، والخصال: ٢٥٥ مسنداً باختلاف يسير.

(٢) الفضائل لشاذان بن جبريل القمي: ٧٥، الصراط المستقيم للعاملي ٢: ٢٨٠.

البوّال، ونتروه ولكزوا عنقه وأخرجوه، فرجع إلى قبيلته غضبان[1].

فأرسلوا إليهم جلاوزتهم بقيادة خالد بن الوليد، فهجموا عليهم بعد ما آمنوهم، فقتلوا رجالهم وسبوا نسائهم ونهبوا أموالهم، وقتل خالد مالك بن نويرة أمام عين زوجته،ثم نزا عليها وجثمان مالك مرمّل بالدماء وهي باكية، فحملوا النساء والأطفال إلى المدينة، وكان من إحدى السبايا خولة الحنفية، التي سجّل لها التاريخ قصة، نذكرها لما فيها من الإنباء والمنقبة لوصي الرسول صلى الله عليه وآله.

تزويج خولة الحنفية بأمير المؤمنين عليه السلام ونبوءة رسول الله صلى الله عليه وآله فيها

فقد روي مسنداً أنّ الباقر عليه السلام كان جالساً ذات يوم إذ جاءه رجلان فقالا: يا أبا جعفر! ألست القائل إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يرض بإمامة من تقدّمه؟ فقال: بلى، فقالا له: هذه خولة الحنفية نكحها من سبيهم ولم يخالفهم على أمرهم مذ حياتهم؟!، فقال الباقر عليه السلام: من فيكم يأتيني بجابر بن عبد الله؟ وكان محجوباً قد كفّ بصره، فأحضروه وسلّم على الباقر عليه السلام، فردّ عليه وأجلسه إلى جانبه، فقال له: يا جابر! عندي رجلان ذكرا أنّ أمير المؤمنين رضي بإمامة من تقدم عليه، فاسألهما ما الحجة في ذلك؟.

فسألهما فذكرا له حديث خولة، فبكى جابر حتى اخضلّت لحيته بالدموع.

ثم قال: والله يا مولاي لقد خشيت أن أخرج من الدنيا ولا أُسأل عن هذه المسألة، والله إني كنت جالساً إلى جنب أبي بكر، وقد سُبي بنو حنيفة بعد قتل مالك بن نويرة من قِبَل خالد بن الوليد، وبينهم جارية مراهقة، فلمّا دخلت المسجد قالت: أيها الناس! ما فعل محمد صلى الله عليه وآله؟ قالوا قُبض، قالت: هل له بنية تُقصد؟ قالوا: نعم هذه تربته وبنيته، فنادت وقالت: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وآله أشهد أنّك تسمع صوتي وتقدر على ردّ جوابي، وإننا سبينا من بعدك، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله،ثم جلست، فوثب إليها رجلان من المهاجرين أحدهما طلحة والآخر الزبير وطرحا عليها ثوبيهما.

فقالت: ما بالكم-يا معاشر الأعراب- تغيّبون حلائلكم وتهتكون حلائل

---

(١) أنظر الفضائل: ٧٦، الصوارم المهرقة للقاضي نور الله: ٨٣، البحار ٣٠: ٣٤٥.

غيركم؟ فقالا لها: لمخالفتكم الله ورسوله حتى قلتم إننا نزكي ولا نصلّي أونصلي فلا نزكّي؟...(فأجابتهما بما أخزى الغاصبين)، فضجّ الناس وقال لها الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما: إنا لغالون في ثمنك.

فقالت: أقسمت بالله وبمحمد رسول الله ﷺ إنه لا يملكني ويأخذ رقبتي إلا من يخبرني بما رأت أمي وهي حاملة بي؟ وأيّ شيء قالت لي عند ولادتي؟ وما العلامة التي بيني وبينها؟ وإلا فإن ملكني أحد ولم يخبرني بذلك بقرت بطني بيدي، فيذهب ثمني ويكون مطالباً بدمي، فقالوا لها: أبدي رؤياك التي رأت أمك وهي حامل بك حتى نبدي لك العبارة بالرؤيا.

فقالت: الذي يملكني هو أعلم بالرؤيا مني؟ فأخذ طلحة والزبير ثوبيهما وجلسا، فدخل أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: ما هذا الرجف في مسجد رسول الله؟! فقالوا: يا عليّ امرأة حنفية حرّمت نفسها على المؤمنين، وقالت: من أخبرني بالرؤيا التي رأت أمي وهي حامل بي وعبّرها لي فهو يملكني.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما ادّعت باطلاً، أخبروها تملكوها، فقالوا: يا أبا الحسن، ما فينا من يعلم الغيب، أما علمت أنّ ابن عمك رسول الله ﷺ قُبض وانّ أخبار السماء قد انقطعت من بعده.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أخبرُها بغير اعتراض منكم؟ قالوا: نعم.

فقال عليه السلام: يا حنفية! أخبرُكِ وأملكك؟ فقالت: من أنت أيها المجتري دون أصحابه؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب، فقالت: لعلّك الرجل الذي نصبه لنا رسول الله ﷺ في صبيحة يوم الجمعة بغدير خم علماً للناس؟ فقال: أنا ذلك الرجل، قالت: من أجلك أُصِبنا ومن نحوك أوتينا، لأنّ رجالنا قالوا: لا نسلّم صدقات أموالنا ولا طاعة نفوسنا إلا لمن نصبه محمد ﷺ فينا وفيكم علماً، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ أجركم غير ضائع، وإنّ الله يؤتي كل نفس ما عملت من خير.

ثم قال: يا حنفية! ألم تحمل بك أمك في زمان قحط قد منعت السماء قطرها، والأرضون نباتها، وغارت العيون والأنهار حتى أنّ البهائم كانت تريد المرعى فلا تجد شيئاً، وكانت أمك تقول لك: إنك حمل ميشوم وفي زمان غير مبارك، فلما كان بعد تسعة أشهر رأت في منامها كأن وضعتك وأنها تقول:

إنك حمل ميشوم في زمان غير مبارك، وكأنك تقولين: يا أمي لا تتطيّرين بي فإني حمل مبارك نشوت نشواً صالحاً، ويملكني سيد، وأُرزق منه ولداً يكون للحنفية عزاً، فقالت: صدقت.

فقال عليه السلام: إنّه كذلك، وبه أخبرني ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: ما العلامة التي بيني وبين أمي؟ فقال لها: لما وضعتك كتبت كلامك والرؤيا في لوح من نحاس وأودعته عتبة الباب، فلمّا كان بعد حولين عرضته عليك فأقررت به، فلما كان بعد ست سنين عرضته عليك فأقررت به، ثم جمعت بينك وبين اللوح وقالت لك: يا بنية إذانزل بساحتكم سافك لدمائكم، وناهب لأموالكم وساب لذراريكم وسُبيت فيمن سُبي، فخذي اللوح معك واجتهدي أن لا يملكك من الجماعة إلا من عبّرك بالرؤيا وبما في هذا اللوح.

فقالت: صدقت يا أميرالمؤمنين، ثم قالت: فأين هذا اللوح؟.

فقال: هو في عقيصتك، فعند ذلك دفعت اللوح إلى أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم قالت: يا معاشر الناس! اشهدوا أني قد جعلت نفسي له عبدة، فقال عليه السلام: بل قولي زوجة، فقالت: اشهدوا أن قد زوّجت نفسي-كما أمرني- بعليٍّ عليه السلام.

فقال عليه السلام: قد قبلتك زوجة، فماج الناس، فقال جابر: فملكها والله يا أبا جعفر بما ظهر من حجته وثبت من بيّنته، فلعن الله من اتّضح له الحق ثم جحد حقه وفضله، وجعل بينه وبين الحق ستراً[1].

(١) الفضائل لابن شاذان: ٩٩-١٠١ وعنه في البحار٢٩: ٤٥٧.

الفصل الرابع

في ما ورد من الإنباء في أميرالمؤمنين عليه السلام وتطبيقها عبر التاريخ و ماورد من الإنباء في الامام المجتبى عليه السلام ولمحات من تاريخه

ما ورد من الإنباء في أمير المؤمنين عليه السلام خاصة

فقد أنبأ الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله بكل ما جرى على أمير المؤمنين بعد وفاته صلى الله عليه وآله إلى شهادته، من تعاضد الناس عليه وغصب حقه والهجوم على بيته وإحراقه وضرب زوجته ومقتل ولدها و...وصبره عليه السلام إلى أن يبايع للخلافة، ثم نكث البيعة وخروج عائشة عليه وقتل الناكثين والقاسطين والمارقين وانتصاره عليهم، والإنباء عن شهادته على يد أشقى الأشقياء وموضع قبره.

وقدّمنا نبذة منها ضمن وصايا النبي صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين وإخباره بما سيجري عليه وعلى أهل بيته من المحن، وإليك نبذة أخرى منها فيها تفاصيل تخص تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام.

نبوءته صلى الله عليه وآله عن خروج الزبير على عليٍّ عليه السلام

منها: ما روي في كتاب الفضائل من ثمانية طُرق أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للزبير: أما تذكر يوماً كنت مقبلاً بالمدينة تحدثني إذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فرآك معي وأنت تتبسّم إليّ، فقال لك: «**يا زبير أتحبّ عليّاً؟**» فقلت:وكيف لا أحبه وبيني وبينه من النسب والمودة في الله ما ليس لغيره، فقال: «**إنك ستقاتله وأنت ظالم له**» فقلت أعوذ بالله من ذلك[1].

وعن الباقر عليه السلام قال: مرّ رسول الله يوماً على عليّ والزبير قائم معه يكلّمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما تقول له فوَ الله لتكوننّ أول العرب تنكث بيعته**»![2].

ورواه ابن أبي الحديد ضمن بيان وقعة صفين وحوار عليٍّ عليه السلام مع الزبير...ثم قال عليه السلام: نشدتك الله أتذكر يوم مررت بي ورسول الله متّكئ على يديك وهوجاءٍ من بني عمرو بن عوف فسلّم عليّ وضحك في وجهي فضحكت إليه، لم أزده على ذلك، فقلت: لا يترك ابن أبي طالب يا رسول الله زهوه، فقال لك: «**مه إنه ليس بذي زهو، أما إنك ستقاتله وأنت له ظالم**»! فاسترجع الزبير

---

(١) مناقب آل أبي طالب٢: ٣٤٠، البحار٣٢: ١٧٣ عن الفضائل لابن مردويه.

(٢) الخرائج والجرائح١: ٩٧،وعنه في البحار١٨: ١١٦، ونحوه في مناقب ابن شهر آشوب١: ٣١٥.

وقال: لقد كان ذلك، ولكنّ الدهر أنسانيه ولأنصرفنّ عنك، فرجع...[١].

وقد تظافرت الروايات عن عليٍ عليه السلام أنه قال للزبير: إنّ النبي ﷺ قال لك: «يا زبير تقاتله ظلماً وضرب كتفك؟! قال: اللهم نعم، قال: أفجئت تقاتلني؟ فقال: أعوذ بالله من ذلك[٢].

الإنباء عن خروج عائشة

ومنها: ما ورد عنه ﷺ في خروج إحدى نسائه على وصيه وتشبيهها بمن خرجت على وصي موسى عليه السلام، وقدسبق ذكرها في فصل تكرار التاريخ.

وقد نهاها النبي ﷺ عن ذلك، وأنبأها: «إنه ستنبح عليها كلاب الحوأب».

فعن ابن عباس،عن النبي ﷺ أنه قال لنسائه: «ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأذيب التي تنبحها كلاب الحوأب فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعد ما كادت...»، وفي لفظ: «الجمل الأدبب»[٣].

وفي حديث عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ذكر فيه خبر الطير المشوي وأنّ علياً عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ مرّتين فمنعته عائشة،فلمّا جاء في الثالثة قال عليه السلام: فدققت الباب دقاً عنيفاً، فقالت لي: من هذا؟ فقلت: أنا عليٌ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: يا عائشة افتحي له الباب، ففتحت ودخلت، فقال لي: اقعد يا أبا الحسن أُحدّثك بما أنا فيه أو تحدثني بإبطائك عني؟ فقلت: يا رسول الله حدثني فإنّ حديثك أحسن... .

---

(١) شرح النهج٢: ١٦٧، وانظر جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب لابن الدمشقي٢: ٣١، بشارة المصطفى: ٣٨٠، المسترشد لابن جرير الطبري: ٦٦١، أمالي الطوسي: ١٣٧، مستدرك الحاكم٣: ٣٦٦، تاريخ الطبري٥: ٢٠٠ و٢٠٤، العقد الفريد٢: ٣٧٩، وغيرها.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٤٠، وعنه في البحار ٣٢: ١٧٣، أنساب الأشراف: ٢٥٢ح٢١٤.

(٣) معاني الأخبار للصدوق-ب معنى الحواب والجمل الأذيب-: ٣٠٥، قال: الحواب ماء لبني عامر، والجمل الأذيب، يقال: إنّ المذنبة داء تأخذ الدواب يقال: برذون مذؤب، وأظن أنّ الجمل الأذيب مأخوذ من ذلك، وقوله: (الأدبب) قيل أراد الأدبّ فأظهر التضعيف، والأدبّ: الكثير الوبر، والدبب كثرة شعر الوجه ودبيه، مستدرك الحاكم٤: ٤٧١، أعلام النبوة للماوردي: ٨٢، كفاية الطالب للكنجي: ٧١،وفي بعض منها زيادة (تهلك)،وقال ابن الأثير في النهاية ٢: ١٠بعد إيراد الرواية في مادة دبب: وفك الادغام لأجل كلمة الحواب في الرواية، والحديث من أثبت الأقوال الصادرة عن النبي ﷺ وقلّما يوجد معجم لغوي أو موسوعة حديثية أو تاريخية يتعرض لوقفة الجمل لم يتعرض لذكر هذا الخبر الغيبي

فساق النبي ﷺ قصة نزول الطير المشوي وطلبه من الله أن يسّر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي... ثم أخبر أمير المؤمنين عليه السلام ما جرى بينه وبين عائشة... .

فقال النبي ﷺ: «أبى الله إلا أن يكون الأمر هكذا، يا حميراء ما حملك على هذا؟» قالت: يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي يأكل من هذا الطير، فقال لها: «ما هو أول ضغن بينك وبين عليّ، وقد وقفت على ما في قلبك لعليٍّ، إن شاء الله تعالى لتقاتليه» ! فقالت: يا رسول الله وتكون النساء يقاتلن الرجال؟.

فقال لها: «يا عائشة إنك لتقاتلين علياً ويصحبك ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي فيحملونك عليه، وليكوننّ في قتالك له أمر يتحدّث به الأولون والآخرون، وعلامة ذلك أنك تركبين شيطاناً تبتلين به قبل أن تبلغي إلى الموضع الذي يقصد بك إليه، فتنبح عليك كلاب الحوأب، فتسألين الرجوع، فتشهد عندك قسامة أربعين رجلاً: ماهي كلاب الحوأب، فتنصرفين إلى بلد أهله أنصارك، وهو أبعد بلاد على الأرض من السماء وأقربها إلى الماء، ولترجعنّ وأنت صاغرة غير بالغة ما تريدين، ويكون هذا الذي يردّك مع من يثق به من أصحابه، وإنه لك خير منك له، ولينذرنّك بما يكون الفراق بيني وبينك في الآخرة، وكل من فرّق عليٌّ بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز».

فقالت له: يا رسول الله ليتني متّ قبل أن يكون ما تعدني؟ فقال لها: «هيهات هيهات والذي نفسي بيده ليكوننّ ما قلت حتى كأني أراه»...[1].

وروي بالإسناد عن رافع مولى عائشة قال: كنت خادماً لعائشة وأنا غلام أعاطيهم، إذ كان رسول الله ﷺ عندها، فبينا رسول الله عند عائشة إذ جاء جاء فدقّ الباب فخرجت إليه،فإذا جارية معها إناء مغطّى، فرجعت إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: أدخلها فدخلت فوضعته بين يدي عائشة، فوضعته عائشة بين يدي رسول الله ﷺ، فمدّ يده يأكل، فقال: «ليت أمير المؤمنين وسيد المسلمين وخير أمتي يأكل معي»، فقالت عائشة: من أمير المؤمنين خير أمتك؟فسكت، ثم أعادها ﷺ، فسألته؟ فسكت، فجاء جاء فدقّ الباب فجئت إليه،فإذا علي بن أبي طالب، فرجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فقال: «أدخله»،ثم قال له: «مرحباً وأهلاً

---

(١) الاحتجاج١: ٢٩٣-٢٩٤، وعنه في البحار٣٢: ٢٧٧، مدينة المعاجز ١: ٣٩٠.

لقد تمنيّتك ولو أبطأت عليّ لسألت الله أن يجيئني بك، إجلس فكُل» فجلس فأكل، فقال رسول الله ﷺ: **«قاتل الله من يقاتلك وعادى الله من يعاديك»** فسكت ثم أعادها، فقالت: من يقاتله ومن يعاديه؟ فقال النبي ﷺ: **«أنت ومن معك أنت ومن معك»**[1].

وفي حديث عن حذيفة ضمن بيان الفتن و أسرار غصب الخلافة، ذكر ما أوصى رسول الله ﷺ أزواجه في متابعة علي عليه السلام وتفويض طلاقهنّ لعلي عليه السلام إن خالفن أمره، قال: فتكلّمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بشيء فنخالفه بما سواه، فقال لها: **«بلى يا حميراء قد خالفتِ أمري أشدّ خلاف، وأيم الله لتخالفنّ قولي هذا ولتعصنّه بعدي، ولتخرجنّ من البيت الذي أخلفك فيه متبرجة قد حفّ بك فئام من الناس، فتخالفينه ظالمة له عاصية لربك ولتنبحنّك في طريقك كلاب الحوأب، ألا إنّ ذلك كائن»**[2].

وفي المناقب بسنده عن حذيفة قال: لو أحدّثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ لرجمتموني، قالوا: سبحان الله نحن نفعل؟ قال: لو أحدّثكم أنّ بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها شديد بأسها تقاتلكم صدّقتم؟ قالوا: سبحان الله ومن يصدّق بهذا؟ قال: تأتيكم أمكم الحميراء في كتيبة يسوق بها أعلاجها من حيث تسوء وجوهكم[3].

وفيه بالاسناد عن ابن عباس وابن مسعود وحذيفة وقتادة وقيس بن أبي حازم وأم سلمة وميمونة وسالم بن أبي الجعد واللفظ له: أنه ذكر النبي ﷺ خروج بعض نسائه فضحكت عائشة، فقال: **«انظري يا حميراء لا تكونين هي»** ثم التفت إلى عليّ فقال: **«يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئاً فارفق بها»**[4].

---

(١) المسترشد لابن جرير الطبري: ٦٠٣ ح٣٧٣، كشف اليقين لابن طاووس: ١٩٩، وعنه في البحار٣٢: ٢٨١، وفيه (نافع) بدل (رافع)، الكافئة للمفيد: ٣٣ ح٣٤.

(٢) البحار٢٨: ١٠٧، كشف اليقين: ١٣٧عن حجة التفضيل لابن الأثير.وفي قوله: «قد خالفت..» أشاره إلى السرّ الذي اودعه أياها فافشته لحفصة وهما لابويهما.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب١: ١٢٢، وعنه في البحار٣٢: ٢٨٤، شرح الاخبار١: ٤٨٩، مستدرك الحاكم٤: ٤٧١، وصححه هو والذهبي،وفي ص٤٦٩ مختصراً مع خصوصيات أخر.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب٢: ٣٣٤، وعنه في البحار٣٢: ٢٨٤، وتراه في مستدرك الحاكم٣: ١١٩،

وقد أشار النبي ﷺ في خطبة إلى مسكن عائشة، فقال: «هاهنا الفتنة- ثلاثاً- من حيث يطلع قرن الشيطان»[1].

وقد نزل في شأنها قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ قال ابن عباس لما علم الله أنه سيجري حرب الجمل، قال لأزواج النبي ﷺ الآية... وقوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾، قال ابن عباس: في حربها مع علي عليه السلام[2]. وقال الصادق عليه السلام: الفاحشة الخروج بالسيف[3].

وعن أبي رافع قال: إنّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ: «سيكون بينك وبين عائشة أمر» قال: أنا يا رسول الله؟! قال: «نعم ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها»[4].

ونزل في شأنها أيضاً قوله تعالى: ﴿ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ قال الصادق عليه السلام: عائشة هي نكثت إيمانها[5].

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ قال الباقر عليه السلام: هي الحميراء[6].

قتال الناكثين والقاسطين والمارقين

ومما أنبأ عنه ﷺ من الأحداث، هو قتال الناكثين والقاسطين والمارقين والظفر بهم، وقد صدر منه هذا النبأ كراراً وفي مناسبات عديدة، روته العامة والخاصة متواتراً، وقد نزل في شأنهم قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم

ومناقب الخوارزمي: ١٧٦، والمواهب اللدنية للقسطلاني٢: ١٩٥، وغيرها من كتبهم.

(١) صحيح البخاري- ب فرض الجهاد من كتاب الوصايا -٤: ٤٦، مستدرك الحاكم٤: ٥٠٨، وصححه على شرط البخاري، العمدة لابن بطريق: ٤٥٦ح٩٥٣، وعنه في البحار٣٢: ٢٨٧.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب٢: ٣٢٤، وعنه في البحار٣٢: ٢٨٣.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٩٣ والآية في سورة الأحزاب٣٣، وعنه في البحار٣٢: ٢٧٧.

(٤) مسند أحمد ٦: ٣٩٣، مجمع الزوائد للهيثمي٧: ٢٣٤، كنز العمال ٦: ٣٧.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٦٩ ح٦٥، وعنه في البحار ٣٢: ٢٨٦، والآية في سورة النحل: ٩٢.

(٦) كنز الفوائد للكراجكي١: ٤٣، وعنه في البحار ٣٢: ٢٨٦، والآية في سورة العنكبوت: ٤١.

مُنتَقِمُونَ﴾ فقد روي عنه ﷺ: «نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام إنه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي»[1].

وعن الباقر عن أبيه عليهما السلام قال: انقطع شسع نعل النبي ﷺ فدفعها إلى عليٍّ عليه السلام يصلحها، ثم مشى في نعل واحدة غلوة أو نحوها، وأقبل على أصحابه وقال: «إنّ منكم من يقاتل على التأويل كما قاتل معي على التنزيل» فقال أبوبكر: أنا ذاك يا رسول الله؟، فقال: «لا»، فقال عمر: أنا ذاك يا رسول الله؟ قال «لا» فأمسك القوم ونظر بعضهم إلى بعض؛ فقال رسول الله ﷺ: «ولكنه خاصف النعل -وأومأ بيده إلى عليٍّ عليه السلام- وإنه يقاتل على التأويل إذا تُركت سنتي ونُبذت، وحُرِّف كتاب الله، وتكلّم في الدين من ليس له في ذلك، فيقاتلهم عليٌّ عليه السلام على إحياء دين الله عز وجل»[2].

وقد أخرج الحاكم عن أبي أيوب الأنصاري: أنّ رسول الله ﷺ أمر عليّ بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[3].

وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليٍّ: «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»[4].

وفي رواية أخرى قال أبو أيوب: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع عليّ بن أبي طالب[5].

وقال محنف بن سليم! أتينا أبا أيوب الأنصاري وهو يعلف خيلاً له بصنعاء، فقلت له: يا أبا أيوب قاتلت بسيفك المشركين مع رسول الله ﷺ، فلما أن أظهر الله الاسلام جئت إلى المسلمين تقاتلهم به؟!فقال: نعم أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقد قاتلنا الناكثين وهم أهل

---

(١) فردوس الأخبار للديلمي٣: ١٥٤ح٤٤١٧، وعنه في البحار٤٠: ٧٧، الدر المنثور للسيوطي٦: ١٨، وانظر العمدة لابن بطريق: ٣٥٤ ح ٦٨٢، والآية في سورة الزخرف: ٤١.

(٢) الإرشاد للمفيد١: ١٣٣، وعنه في البحار٣٢: ٣٠٠، وورد الخبر في كثير من مصادرهم إلى قوله «وخاصف النعل» باختلاف يسير، فلاحظ العمدة لابن بطريق: ٢٢٥.

(٣) المستدرك للحاكم٣: ١٣٩، وعنه في الغدير١: ٣٣٧، كفاية الطالب للكنجي: ٧٠.

(٤) مستدرك الحاكم٣: ١٤٠، مسند أبو يعلي١: ٣٩٧، المعجم الأوسط ٩: ١٦٥، الخصال: ٥٥٨.

(٥) أنظر علل الشرائع ١: ٦٦، المعجم الكبير١٠: ٩١، شرح النهج١٤: ١٥،كنز العمال١١: ٢٩٢.

الجمل، و القاسطين وهم أهل الشام، وأنا مقيم حتى أقاتل المارقين بالنهروان والطرقات، والله ما أدري أين هم[١].

وقال أيضاً: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى، يا عمار من تقلّد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلّده الله يوم القيامة وشاحين من دُرّ، ومن تقلّد سيفاً أعان به عدو علي قلّده الله يوم القيامة وشاحين من نار» قلنا يا هذا حسبك رحمك الله[٢].

وعن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ فأتى منزل أمّ سلمة فجاء عليٌّ عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ: «يا أمّ سلمة هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين»[٣].

وفي تاريخ بغداد بسنده عن خليد العصري قال سمعت أميرالمؤمنين علياً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين[٤].

وبالاسناد عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ: بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: «مع عليّ بن أبي طالب، معه يقتل عمار بن يا سر»[٥].

وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ «يا عليّ ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني»[٦].

وفي وقفة لعمار مع أبي موسى الأشعري قال له: أما إني أشهد أنّ رسول الله ﷺ أمر علياً بقتال الناكثين، وسمّى لي فيهم من سمّى، وأمره بقتال القاسطين وإن شئت لأقيمنّ لك شهوداً يشهدون أنّ رسول الله ﷺ إنما نهاك وحدك وحذّرك من الدخول في الفتنة[٧].

---

(١) تاريخ دمشق٤٢: ٤٧١، أسد الغابة ٤: ٣٣، البداية والنهاية ٧: ٣٣٩.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر٤٢: ٤٧٢، تاريخ بغداد١٣: ١٨٨، البداية والنهاية ٧: ٣٤٠.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢: ٤٧٠، البداية والنهاية ٧: ٣٣٩، كنز العمال١٣: ١١٠،الرياض النضرة٢: ٢٤٠.

(٤) تاريخ بغداد٨: ٣٣٦، وفي فرائد السمطين للحموييني ب٥٤ عن سعد بن عبادة بطريقين.

(٥) تاريخ دمشق ٤٢: ٤٧١، البداية والنهاية٧: ٣٣٩، أسد الغابة ٤: ٣٣.

(٦) تاريخ دمشق ٤٢: ٤٧٣، وعنه في كنز العمال ١١: ٦١٣، وشرح المواهب للزرقاني٣: ٣١٧.

(٧) شرح النهج لابن أبي الحديد١٤: ١٥-١٦.

عزيزي القارئ هذه نبذة من أحاديث قتال الناكثين و...وقد تقدم بعض منها في باب ما يجري على أهل البيت من المحن.

وفي خصوص الخوارج

روى الحاكم بسنده عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أقواماً من أمتي أشدة، ذلقة ألسنتهم بالقرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنّ المأجور من قتلهم»[1].

وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يحقّر أحدكم عمله مع عملهم، يقتلون أهل الإسلام، فإذا خرجوا فاقتلوهم، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم،ثم إذا خرجوا فاقتلوهم، فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه، كلّما طلع منهم قرن قطعه الله» فردّد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع[2].

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: بعث عليٌ بن أبي طالب وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهيبة في تربتها، فقسّمها ﷺ بين الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري وبين علقمة بن علاثة العامري،ثم أحد بني كلاب وبين زيد الخيل الطائي، ثم أحد بني نبهان فتغضّبت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدّعنا، قال: «إنما أتألّفهم» فأقبل رجل غائر العينين، ناتيء الجبين، كثّ اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس، فقال: يا محمد اتق الله، فقال النبي ﷺ: «فمن يطيع الله إذا عصيته»... فلما ولّى قال النبي ﷺ «إنّ من ضئضئ هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد»[3].

وتقدم عنه في يوم حنين أنه قال ﷺ في شأن ذي الخويصرة التميمي-لما قال

---

(١) المستدرك للحاكم٢: ١٤٦،كنز العمال ١١: ٢٠١ح٣١٢٢٦ بغية الباحث: ٢٢٠ح٧٠٢.

(٢) مسند أحمد٢: ٨٤، تاريخ دمشق ١: ١٦٢، كنز العمال ١١: ٦١٣ح٣٢٧٩٠.

(٣) صحيح البخاري٨: ١٧٨، صحيح مسلم٣: ١١٠، سنن النسائي ٥: ٨٧.

له: لم أرَكَ عدلت-: «ويحك إذا لم يكن العدل مني فعند من يكون» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا نقتله؟ قالﷺ: «لا، دعوه فإنه سيكون له شيعة يتعمّقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية»[1]، فصار من رؤوس الخوارج وقُتل معهم.

وكان كماقال ابن الجوزي:هو أول خارجي خرج في الإسلام[2].

وعنهﷺ: «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،ثم لا يرجعون إليه حتى يرتدّ على فوقه،هم شرار الخلق و الخليقة، طوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء،من قاتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله ما سيماهم؟ قال: التحليق»[3].

وفي رواية أخرى وصفهم بأنهم «حُدَثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية»[4].

نبوءتهﷺ بشأن الحكمين

فقد روي عن سويد بن غفلة، أنه قال: كنت مع أبي موسى الأشعري على شاطئ الفرات، فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنّ بني إسرائيل اختلفوا ولم يزل الاختلاف بينهم، حتى بعثوا حكمين ضالين، ضلّ من تبعهما، ولاتنفك أموركم تختلف حتى تبعثوا حكمين يضلاّن ويضلّ من تبعهما» فقلت: أعيذك بالله أن تكون أحدهما[5].

وقد حذّره عمار بن ياسر من الدخول في هذا الأمر، بقوله: يا أبا موسى! أنشدك الله، ألم تسمع رسول اللهﷺ يقول: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوء

---

(١) صحيح البخاري٧: ١١١،صحيح مسلم٣: ١١٢، هو حرقوص بن زهير السعدي.

(٢) تلبيس إبليس: ٩٠، وقد تقدمت بعض الأخبار فيه ضمن بيان موقفه في حنين.

(٣) سنن أبي داود٢: ٤٢٨، السنن الكبرى للبيهقي٨: ١٧١، مسند أبي يعلي ٥: ٤٢٦ ح٣١١٧.

(٤) صحيح البخاري ٤: ١٧٩، سنن أبي داود ٢: ٤٢٩ ح٤٧٦٧، السنن الكبرى ٨: ١٨٨.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣١٣،وانظر كنز العمال١: ٣٣٧ح١٦٤٢، شرح النهج لابن أبي الحديد١٣: ٣١٥، مجمع الزوائد للهيثمي٧: ٢٤٥، تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٦: ١٧١.

مقعده من النار» فأنا لسائلك عن حديث فإن صدقت وإلا بعثت عليك من أصحاب رسول الله ﷺ من يُقررك، ثم أنشدك الله أليس إنما عناك أنت رسول الله ﷺ بنفسك، فقال: «إنها ستكون فتنة في أمتي، أنت يا أبا موسى فيها نائم خير منك قاعداً، وقاعد خير منك قائماً، وقائم خير منك ماشياً فخصّك رسول الله ﷺ ولم يعمّ الناس، فخرج أبو موسى ولم يردّ عليه شيأ[1]، بل أصبح في الفتنة قائماً ثم ماشياً ثم ساعياً في تحريك الناس على أمير المؤمنين عليه السلام.

الإنباء عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام

روي بالإسناد عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ذكر خطبة النبي ﷺ في فضل شهر رمضان، فقال عليه السلام: فقمت فقلت: يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال: «يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عز وجل» ثم بكى فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: «يا عليّ أبكي لما يستحلّ منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلّي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك»، قال أمير المؤمنين عليه السلام: فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال ﷺ: «في سلامة من دينك».

ثم قال ﷺ: «يا عليّ من قتلك فقد قتلني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن سبّك فقد سبّني، لأنك مني كنفسي، روحك من روحي وطينتك من طينتي، إنّ الله تبارك وتعالى خلقني وإياك واختارني للنبوة واختارك للإمامة، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي، يا عليّ أنت وصيّي وأبو ولدي، وزوج ابنتي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي، أمرك أمري ونهيك نهيي، أقسم بالذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البريّة إنك لحجة الله على خلقه، وأمينه على سرّه، وخليفته على عباده»[2].

وروى الخوارزمي بسنده عن أبي سنان الدؤلي أنه عاد علياً في شكوى

---

(١) مسند أبي يعلى٣: ٢٠٣ح ١٦٣٦، وعنه في مجمع الزوائد٧: ٢٤٦، ونحوه في الغارات٢: ٦٥٨.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ٢: ٢٦٦ ح ٥٣، أمالي الصدوق: ١٥٥ح٤، وعنهما في البحار٤٢: ١٩٠.

اشتكاها، قال: فقلت له: تخوّفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه، فقال: لكنّي والله ما تخوّفت على نفسي منه، لأني سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدّق يقول: «إنّك ستُضرب ضربة ههنا-وأشار إلى صدغيه-فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»[1].

وذكر فضالة أنه خرج مع أبيه عائداً أمير المؤمنين عليه السلام من مرض أصابه بالكوفة، فقال له أبي: ما يقيمك هاهنا بين أعراب جهينة؟ تحمل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك وصلّوا عليك، فقال: إنّ رسول الله ﷺ عهد إليّ أن لا أموت حتى تخضب هذه من هذه-أي لحيته من هامته-[2].

ومن ثم كان عليه السلام يقول كراراً: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم؟، ويضع يده على لحيته[3].

ولما أتاه عبد الرحمن بن ملجم للبيعة ردّه مرتين أوثلاث، ثم بايعه، فقال عند بيعته له: ما يحبس أشقاها فوَ الذي نفسي بيده لتخضبنّ هذه من هذه-ووضع يده على لحيته ورأسه-فلما أدبر ابن ملجم منصرفاً عنه، قال عليه السلام متمثلاً:

أُشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لا قيك...[4].

وقد دخل عليه ابن ملجم في وفد من مصر فلعنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أما والله يا أمير المؤمنين إني لأحبك، فكذّبه ثلاثاً بعد ما حلف عبد الرحمن ثلاثاً على محبته، فقال له: ويلك إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام... .

ثم قال: إذا سرّكم أن تنظروا إلى قاتلي فانظروا إلى هذا.

قال بعض القوم: أوَلا نقتله؟-أو قال نقتله-فقال: ما أعجب من هذا، تأمروني أن أقتل قاتلي لعنه الله[5].

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٣٨٠ ح٤٠٠، كشف الغمة ٢: ٥٥، تاريخ دمشق ٤٢: ٥٤٣.

(٢) تذكرة الخواص لابن الجوزي: ١٠٠، وعنه في البحار٤٢: ١٩٥، وانظر تاريخ دمشق٤٢: ٥٤٨.

(٣) الإرشاد للمفيد١: ١٣، وعنه في البحار ٤٢: ١٩٣ ح ٨.

(٤) الإرشاد للمفيد١: ١١،وعنه في البحار ٤٢: ١٩٢ ح ٦.

(٥) لاحظ بصائر الدرجات: ١٠٨ح٧، وعنه في البحار٤٢: ١٩٦، والمراد من قوله عليه السلام: أقتل قاتلي: أي من لم يقتلني وسيقتلني، يعني أنّ القصاص قبل الجناية لا يجوز، أو المعنى أنه إذا كان في علم الله أنه

وكان من معجزاته ﷺ واطلاعه على الغيب حديثٌ ذُكِر فيه وفود جمع من مراد يمثّلون قومهم في البيعة لأمير المؤمنين ﷺ ونصرته، وكان فيهم عبد الرحمن بن ملجم، فتكلّم ومدح أمير المؤمنين وذكر فضائله وعاهده على الجهاد بين يديه، فأمر الإمام بإكرامهم.

غير أنّ الإمام ﷺ سأله عن اسمه، فلمّا أخبره استرجع وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وجعل يكرّر النظر إليه ويضرب إحدى يديه على الأخرى، وأنشد: أريد حياته ويريد قتلي...وقد أخذ الإمام منه المواثيق بعدم الغدر، فقال ابن ملجم: يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري.

فقال ﷺ: امض لشأنك فما أراك تفي بما بايعت عليه، فقال له: كأنك تكره وفودي عليك لما سمعته من اسمي، وإني والله لأحبّ الإقامة معك والجهاد بين يديك، وإنّ قلبي محبّ لك، وإني والله أوالي وليك وأعادي عدوك.

قال: فتبسم ﷺ وقال له: بالله يا أخا مراد إن سألتك عن شيء تصدّقني فيه؟ قال: إي وعيشك يا أمير المؤمنين، فقال له: هل كان لك داية يهودية فكانت إذا بكيت تضربك وتلطم جبينك وتقول لك: أسكت فإنك أشقى من عاقر ناقة صالح، وإنك ستجني في كبرك جناية عظيمة يغضب الله بها عليك ويكون مصيرك إلى النار؟ فقال: قد كان ذلك ولكنك والله يا أمير المؤمنين أحبّ إليّ من كل أحد.

فقال أمير المؤمنين ﷺ: والله ما كذبت ولا كُذّبت، ولقد نطقتُ حقاً وقلتُ صدقاً، وأنت والله قاتلي لا محالة وستخضب هذه من هذه-وأشار إلى لحيته ورأسه-ولقد قرب وقتك وحان زمانك...فأصرّ ابن ملجم على محبته، واقترح عليه أن إذا عرفت ذلك مني فسيّرني إلى ديار بعيدة...وساق الحديث فيه وكيفية لقائه مع قطام وتعلّقه بها بما أدّى إلى ارتكاب تلك الجريمة...[1].

وفي حديث رواه حنان بن شرير عن رجل من مزينة قال: كنت جالساً عند علي ﷺ فأقبل إليه قوم من مراد معهم ابن ملجم، فقالوا: يا أمير المؤمنين طرأ علينا، ولا والله ما جاءنا زائراً ولا منتجعاً، وإنا لنخافه عليك فاشدد يدك به، فقال

قاتلي فكيف أقدر على قتله!...(من المجلسي ﷺ في ذيل هذا الحديث).

(١) البحار٤٢: ٢٦١عن بعض الكتب القديمة.ثم إنّ مراد حصن قريب من قرطبة بالأندلس.

له عليٌّ عليه السلام: اجلس، فنظر في وجهه طويلاً ثم قال: أرأيتك إن سائلتك عن شيء وعندك منه علم هل أنت مخبري به؟ قال: نعم، وحلّفه عليه، فقال: أكنت تراضع الغلمان وتقوم عليهم،فكنت إذا جئت من بعيد قالوا: قد جاءنا ابن راعية الكلاب؟ قال: اللهم نعم، فقال له: فمررت برجل وقد أيفعت، فنظر إليك فأحدّ النظر، فقال لك:يا أشقى من عاقر ناقة ثمود؟ قال: نعم، قال: قد أخبرتك أمك أنها حملت بك في بعض حيضها؟، فتعتع هنيئة ثم قال: نعم قد حدّثتني بذلك، ولو كنت كاتماً شيئاً لكتمتك هذه المنزلة، فقال له عليٌّ عليه السلام:قم، فقام،ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ قاتلك شبه اليهودي بل هو يهودي**»[1].

وروي أنه عليه السلام دخل الحمام فسمع صوت الحسن والحسين عليهما السلام قد علا، فقال لهما: ما لكما فداكما أبي وأمي؟ فقالا: اتبعك هذا الفاجر فظنّنا أنه يريد أن يضرّك، قال: دعاه والله ما أُطلق إلا له[2].

وروي أنه لما أصيب رأس عليٍّ عليه السلام يوم الخندق جاء إلى رسول الله ﷺ فشدّه ونفث فيه فبرأ، وقال: «**أين أكون إذا خُضبت هذه من هذه؟**»[3].

الإنباء عن موضع قبر عليٍّ عليه السلام

وقد عيّن رسول الله ﷺ مدفنه عليه السلام وفضل الأرض التي يُدفن فيها، فقال: «**يا عليّ إنّ الله عز وجل عرض مودّتنا أهل البيت على السماوات والأرض، فأول من أجاب منها السماء السابعة، فزيّنها بالعرش والكرسي... ثم أرض الحجاز فشرّفها بالبيت الحرام،ثم أرض الشام فزيّنها ببيت المقدس، ثم أرض طيبة فشرّفها بقبري،ثم أرض كوفان فشرّفها بقبرك يا عليّ**».

فقال له: يا رسول الله أقبر بكوفان العراق؟ فقال: «**نعم يا عليّ تُقبَر بظاهرها قتلاً بين الغريّين والذكوات البيض، يقتلك شقيّ هذه الأمة عبد الرحمن بن ملجم، فوَ الذي بعثني بالحق نبيّاً ما عاقر ناقة صالح عند الله بأعظم**

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٨١ح ١٤، وعنه في البحار٤٢: ١٩٧ح١٧.

(٢) بصائر الدرجات: ٥٠٠ ح١ في أنّ الأئمة يعرفون متى يموتون، وعنه في البحار٤٢: ١٩٧.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٦١، وعنه في البحار ٤٢: ١٩٥.

عقاباً منه، يا عليّ ينصرك من العراق مائة ألف سيف»[١].

وقالﷺ: «إنّ السماء والأرض ليبكيان عليك يا عليّ إذا قتلت أربعين سنة»، فقال ابن عباس: لقد قتل أمير المؤمنينؑ على الأرض بالكوفة فأمطرت السماء ثلاثة أيام دماً[٢].

انطباق ما أنبأ بهﷺ من قتال الناكثين

فأنه لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير، فأتوا عليّاؑ فقالوا له: لابدّ من إمام، قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به، فقالوا: ما نختار غيرك وتردّدوا إليه مراراً، وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحداً أحق به منك، لا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله، فقال: لا تفعلوا، فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

وفي رواية قالؑ: دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان لا تثبت عليه العقول ولا تقوم له القلوب، قالوا: ننشدك الله ألا ترى الفتنة؟ ألا ترى إلى ما حدث في الإسلام؟ ألا تخاف الله؟ فقال: قد أجبتكم لما أرى منكم، واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، بل أنا أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم...[٣].

وبعد الإلحاح على البيعة قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفياً ولا تكون إلا في المسجد، ولا تكون إلاّ عن رضا الناس.

البيعة لعليٍّؑ والإنباء عن نكثها

وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله، فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنّا لله وإنا إليه راجعون أول من بدء بالبيعة من الناس يد شلاء، لا

---

(١) فرحة الغري لعبد الكريم بن طاووس: ٥٦ح ٤، وعنه في البحار٢٧: ٢٨١وج٤٢: ١٩٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب٢١: ١٧٠، في ما ظهر بعد وفاته ؑ، وعنه في البحار٤٢: ٣٠٨ح ٩.

(٣) أنظر تاريخ الطبري ٢: ٤٥٦ حوادث سنة ٣٥، شرح النهج لابن أبي الحديد ٧: ٣٣.

يتم هذا الأمر، ثم بايعه الزبير، وذلك بعد ما قال لهما: إن أحببتما أن تبايعا لي، وإن أحببتما بايعتكما؟، فقالا: بل نبايعك.

لكنهما قالا بعد ذلك: إنما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا وعرفنا أنه لا يبايعنا!، وهربا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر[1].

وقد أنبأ أمير المؤمنين عن أمرهما، فقال للزبير يوم بايعه: إني لخائف أن تغدر بي فتنكث بيعتي؟، قال: لا تخافنّ فإنّ ذلك لا يكون مني أبداً.

فقال عليٌّعليه السلام: فلِي الله عليك بذلك راع وكفيل؟ قال: نعم الله لك عليّ بذلك راع وكفيل[2].

وقالعليه السلام لطلحة: أبسط يدك للبيعة، فقال طلحة: أنت أحق بذلك مني، وقد استجمع لك الناس ولم يجتمعوا لي، فقال عليٌّعليه السلام لطلحة: والله ما أخشى غيرك!! فقال طلحة: لا تخفني فوَ الله لا تؤتى من قِبَلي أبداً، فبايعه وبايع الناس[3].

وكان من كلامهعليه السلام بعد البيعة أن قال: أما بعد فإنه لما قبض رسول اللهﷺ استخلف الناس أبابكر ثم استخلف أبوبكر عمر فعمل بطريقة، ثم جعلها شورى بين ستة فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثم حُصر وقُتل، ثم جئتموني فطلبتم إليّ، وإنما أنا رجل منكم لي ما لكم وعليّ ما عليكم، وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة، فأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، ولا يحتمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر، وإني حاملكم على منهج نبيكمﷺ ومنفّذ فيكم ما أمرت به إن استقمتم لي والله المستعان...[4].

---

(١) لاحظ الكامل في التاريخ لابن الأثير٣: ٩٨ – ذكر بيعة أمير المؤمنينعليه السلام، ونحوه ما في تاريخ الطبري٣: ٤٥٢ ذكره مع خصوصيات أخرى في حوادث سنة ٣٥.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد١: ٢٣٠.

(٣) الكافية للمفيد: ١٢ح ٨، وعنه في البحار٣٢: ٣٢.

(٤) وفي رواية أخرى عن الصادقعليه السلام أنه قال: لما بويع أمير المؤمنين قال: ألا إنّ بليّتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم، والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة ولتغربلنّ غربلة حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سبّاقون كانوا قصّروا وليقصرنّ سبّاقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة، ولقد نُبّئت بهذا المقام وهذا اليوم، (غيبة النعماني: ٢٠١، وذكره السيد في نهج البلاغة١: ٢٧٢الخطبة ١٦، إلا أنّ فيه بعد قوله (غربلة) ولتساطنّ سوط القدر حتى

وقال: ألا لا يقولنّ رجل منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عاراً و شناراً إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا.

ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته فإنّ له الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل أستجاب لله وللرسول فصدّق ملّتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسّم بينكم بالسّوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير للأبرار.

وإذا كان غداً إن شاء الله فاغدوا علينا فإنّ عندنا مالاً نقسّمه فيكم ولا يتخلفنّ أحد منكم عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر إذا كان مسلماً حراً، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

فلما كان من الغد غدا وغدا الناس لقبض المال، فقال لعبيد الله بن أبي رافع -كاتبه-: إبدأ بالمهاجرين فنادِهم، واعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير ثم ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن يحضر من الناس كلهم الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلك[1].

هناك بدأ النكث والخلاف على أمير المؤمنين عليه السلام

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم، فقال: نعطيه كما نعطيك، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير ولم يفضّل أحداً على أحد، وتخلّف عن هذا القسم يومئذ طلحة والزبير وعبد الله بن

يعود اسفلكم أعلاكم واعلاكم أسفلكم...).

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد٧: ٣٧، وعنه في البحار٣٢: ١٦.

عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قريش وغيرها، وقد سمع عبيد الله بن أبي رافع عبد الله بن الزبير يقول لأبيه وطلحة ومروان وسعيد: ما خفي علينا أمس من كلام عليّ ما يريد؟ فقال سعيد بن العاص -والتفت إلى زيد بن ثابت-: إياك أعني واسمعي يا جارة.

فقال ابن أبي رافع في جوابهم: إنّ الله يقول في كتابه: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[1].

ثم أخبر ابن أبي رافع علياً عليه السلام بذلك، فقال عليه السلام: والله إن بقيت وسلمت لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح، قاتل الله ابن العاص، لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أني أريده وأصحابه ممن هلك فيمن هلك.

فبينا الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة، فجلسا ناحية عن عليٍّ عليه السلام، ثم طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم فتحدّثوا نجيّاً ساعة، ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى عليٍّ عليه السلام فقال: يا أبا الحسن إنك قد وترتنا جميعاً، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش، وأما مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه، ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلته وإنا إن خفناك تركتنا والتحقنا بالشام.

فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتم من وتري إياكم فالحق وتركم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم، وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس، ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن أؤمنكم وإن خفتكم أن أسيّركم.

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف بين أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا رأى أصحاب عليٍّ عليه السلام منهم ما رأوا اعتزلوهم وأخبروا أمير المؤمنين عليه السلام بذلك.

---

(١) الزخرف: ٤٣.

فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وصعد المنبر ونصح الناس وحذّرهم الفتنة، وحثّهم على الطاعة وعدم الاغترار بهذه الدنيا، ونزل فصلّى ركعتين وأرسل إلى طلحة والزبير فجلس معهما، فقال: نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟، قالا: نعم، فقال: غير مجبرين ولا مقسورين، فأسلمتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟، قالا: نعم، قال فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسّم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال عليه السلام: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تخبراني أدفعتكما عن حق وجب لكما فظلمتكما إياه؟، قالا: معاذ الله.

قال: أفوقع حكم أو حق لأحد من المسلمين جهلته أو ضعفت عنه؟ قالا: معاذ الله، قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟، قالا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم، إنك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً وقهراً ممن لا يرى الإسلام إلا كرهاً[1].

فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوَ الله ما كانت لي في الولاية رغبة ولكنكم دعوتموني إليها وجعلتموني عليها فخفت أن أردكم فتختلف الأمة، فلما أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلاني عليه واتبعته، ولم احتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في

---

(١) قال ابن أبي الحديد بشأن القسم: فإن قلت: فإنّ أبابكر قسّم بالسواء ولم ينكروا عليه كما أنكروه أيام أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: إنّ أبابكر قسّم محتذياً لقسم رسول الله ﷺ فلمّا ولي عمر الخلافة ونفل قوماً على قوم ألفوا ذلك ونسوا تلك القسمة الأولى، وطالت أيام عمر وأشربت قلوبهم حبّ المال وكثرة العطاء، وأما الذين اهتضموا فقنعوا ومُرّنوا على القناعة، فلما وُليّ عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه فازداد وثوق العوام بذلك، ومن ألف أمراً شُق عليه فراقه، فلما وُليّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان في أيام رسول الله ﷺ وقد نُسي ذلك ورُفض وتخلل بين الزمانين إثنان وعشرون سنة فشُق ذلك عليهم وأنكروه وأكبروه حتى حدث ما حدث ولله أمر هو بالغه، شرح النهج٧: ٤٢.

كتاب الله بيانه، ولا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة فيه لشاورتكما فيه، وأما القسم والأسوة فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بلاي، بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله ﷺ يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وأما قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواءاً بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق الإسلام قوم ونصروه بسيوفهم ورماحهم فلم يفضّلهم رسول الله ﷺ في القسم ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موفّ السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلا هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق وألهمنا وإياكم الصبر،ثم قال: رحم الله امرءاً رأى حقاً فأعان عليه ورأى جوراً فردّه، وكان عوناً للحق على من خالفه[1].

وروي أنهما أرسلا إلى أمير المؤمنين عليه السلام قبل خروجهما إلى مكة كتاباً، فيه: يا أبا الحسن لقد قل فيك رأينا وخاب ظننا، أصلحنا لك الأمر ووطّدنا لك الإمرة وأجلبنا على عثمان حتى قُتل، فلمّا طلبك الناس لأمرهم جئناك وأسرعنا إليك وبايعناك وقُدنا إليك أعناق العرب ووطيء المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك، حتى إذا ملكت عنانك استبددت برأيك عنا ورفضتنا رفض التريكة، وملّكت أمرك الأشتر وحكيم بن جبّلة وغيرهما من الأعراب ونزاع الأمصار.

فأجابهما: ما الذي يرضيكما؟ فقالا: ولّ أحدنا البصرة والآخر الكوفة، فقال: والله إني لا آمنهما وهما عندي بالمدينة، فكيف آمنهما وقد ولّيتهما العراقين، فقال للرسول: اذهب إليهما فقل: أيها الشيخان احذرا من الله ونبيه على أمته ولا تبغيا المسلمين غائلة وكيداً، وقد سمعتما قول الله: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وكان هذا الموقف منهما على جراء كتاب كتبه إليهما معاوية يحثّهم على الخلاف على علي عليه السلام ويبشّرهم ببيعة أهل الشام، ويؤكد عليهم بالسيطرة على البصرة والكوفة، وأن لا يسبقهما لها أمير المؤمنين عليه السلام، إذ لا شيء بعد هذين

---

(١) شرح النهج ٧: ٣٨ عن الاسكافي، وقد أوردناه مختصراً، ونحوه في أمالي الطوسي: ٧٣٥.

(٢) شرح النهج١١: ١٦، وعنه في البحار٣٢: ٢٤، والآية في سورة القصص: ٨٣

المصرين، وأن يُظهرا الطلب بدم عثمان و...فاغترّا به، ولم يشكّا في نُصح معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف عليٍّ عليه السلام.

الإنباء عن طلحة والزبير ومآل أمرهما

فلما خاب ظنهما في عليٍّ عليه السلام -وبعد أيام- أتياه فاستأذناه في الخروج إلى مكة للعمرة، فقال: ما العمرة تريدان، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعته يريدان وما رأيهما غير العمرة، قال لهما: فأعيدا البيعة لي ثانياً فأعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق فأذن لهما.

فلمّا خرجا من عنده قال للحاضرين: والله لاترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها، قالوا: يا أميرالمؤمنين فمر بردّهما عليك، قال: ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وفي طريقهما إلى مكة لم يلقيا أحداً إلا وقالاله: ليس لعليٍّ في أعناقنا بيعة وإنما بايعناه مكرهين، فبلغ عليّاً عليه السلام قولهما، فقال: أبعدهما الله وأغرب دارهما، أما والله لقد علمت أنهما يقتلان أنفسهما أخبث مقتل ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، والله ما العمرة يريدان ولقد أتياني بوجهي فاجرين ورجعا بوجهي غادرين ناكثين، والله لا يلقياني بعد اليوم إلا في كتيبة خشناء يقتلان فيها أنفسهما فبعداً لهما وسحقاً[1].

وعند وصولهما إلى مكة اجتمعا بعائشة لتحريضها على الخروج على أميرالمؤمنين عليه السلام بداعي الإصلاح بين المسلمين وطلب دم عثمان الذي شهد التاريخ على أنهم قتلوه، وكانت عائشة تحرّض الناس على قتله وتقول: اقتلوا نعثلاً فإنه كفر، وتقول: هذا ثوب رسول الله ﷺ لم يبل وقد أبلى عثمان سنّته، وهي أول من سمّى عثمان نعثلاً (اسم رجل يهودي بالمدينة)، ولما أُخبرت بقتل عثمان -وهي راجعة من مكة إلى المدينة- قالت: بُعداً وسحقاً أبعده الله بما قدّمت يداه وما الله بظلام للعبيد.

لكنها لما سمعت بخلافة عليٍّ عليه السلام كرهته، وكأنها فوجئت بصاعقة نزلت عليها وظهر عليها عدم الارتياح، لأنها كانت واجدة على أميرالمؤمنين وتراه

---

(١) أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد١: ٢٣١-١٣٢، وعنه في البحار٣٢: ٥-٦.

خصماً لها ولأبيها، وكانت تأمل أن يكون طلحة هو الإمام، فقالت: ليت السماء أطبقت على الأرض ولم أسمع ذلك، أو قالت: إن تمّ الأمر لصاحبك لقد قُتِل عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولِمْ؟ فوَ الله إنّ أول من أمال حرفه لأنت، ولقد كنت تقولين اقتلوا نعثلاً فقد كفر، قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولي الأخير خير من قولي الأول...[1].

فأصبح من كان يندّد بعثمان ويصفه بكل قبيح، مدافعاً له ومطالباً بدمه، وذلك لشدة حقدها على عليٍّ عليه السلام، ومن ثم جعلت قتل عثمان جسراً لتغيير المعادلات وإرجاع الخلافة إلى أقربائها وحلفائها، فرجعت إلى مكة وقالت: ما لعليٍّ يستولي على رقابنا، لا أدخل المدينة ولعليٍّ فيها سلطان[2].

وحاصل القول: أنها اتفقت مع طلحة والزبير والذين ضُربت مصالحهم وخابت مطامعهم وأُبعدوا عن المسرح السياسي وخافوا أن يلاحقوا لو تمّ الأمر لعليٍّ، لأنهم نهبوا أموال المسلمين، وقد اتفق قولهم على الذهاب إلى البصرة، وأن يكون شعارهم الطلب بدم عثمان-وقد قتلوه بالمدينة ولم يكن أحد من قاتليه بالبصرة-، ومن اتخاذهم البصرة مقصداً يعرف ما هم عليه، وإلا فما هو الداعي لهذا الحشد من أجل القضاء على أهل البصرة؟ نعم طالما رفعت لافتات لأجل الوصول إلى الغايات-كما نراها في كل عصر وزمان-لأجل القضاء على الخصماء في الساحة السياسية، أو لأجل الوصول إلى أهداف شخصية أو مالية أو غير ذلك من الأمور التي تحاك وراء هذه اللافتات.

فطلبوا لها بعيراً أيّداً(شديداً)يحمل هودجها يسمّى عسكراً، وكان عظيم الخلق، فلما رأته أعجبها، وأنشأ الجمل يحدّثها عن قوّته وشدّته ويقول في أثناء كلامه: عسكر، فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت: ردّوه لا حاجة لي فيه، حيث ذكرت أنّ رسول الله ﷺ أخبرها بهذا الإسم ونهاها عن ركوبه، فغيّروا لها هيئته وجهازه، وقيل لها: قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً وأشدّ منه قوة، فرضيت به!!.

---

(١) وقعة الجمل لضامر بن شدقم: ٢٤، وعنه في البحار٣٢: ١٤٢، الكامل لابن الأثير٣: ١٠٥ حوادث سنة ٣٦، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٤٨، تاريخ الطبري ٣: ٤٧٧.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٦٦.

هذا وقد أعترض على خروجها بعض المسلمين وذكّروها بقول رسول الله ﷺ لها، منهم أبو الأسود الدُؤلي، إذ قال لها: إنما أنت حبيس رسول الله أمرك أن تقرّي[1] في بيتك وتتلي كتاب ربّك، ليس على النساء قتال ولا لهنّ الطلب بالدماء، وإنّ علياً لأولى بعثمان منك وأمسّ رحماً، فإنهما ابنا عبد مناف، فقالت: لست بمنصرفة حتى أمضي لما قدمت له، أفتظنّ يا أبا الأسود أنّ أحداً يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتقاتلنّ قتالاً أهونه الشديد، ثم نصح طلحة والزبير، فقال الزبير: نطلب بدم عثمان، فقال في جوابه: أنت وصاحبك وليتّما فيما بلغناه، فوجدهما مصرّين على الحرب والفتنة بين المسلمين[2].

أم سلمة تذكّر عائشة بنبوءة النبي ﷺ وما قال فيها

ووقع حوار بينها وبين أم سلمة بعد ما طلبت منها الخروج معها إلى البصرة بداعي الطلب بدم عثمان والإصلاح، غير أنّ أم سلمة امرأة مؤمنة فطنة لم تنس كلمات النبي ﷺ ووصاياه ولم تغترّ بأمثال عائشة، على أنها تعلم ما تضمره من الحقد على أمير المؤمنين عليه السلام فقالت لها: يا بنت أبي بكر أبدم عثمان تطالبين؟ فلقد كنت أشدّ الناس عليه وإن كنت لتدعينه بالتبريّ، أم أمر ابن أبي طالب تنقضين؟ فقد تابعه المهاجرون والأنصار، إنك سدّة بين رسول الله ﷺ وبين أمته وحجابة مضروبة على حرمه، وقد جمع القرآن ذيلك فلا تبذخيه،وسكّني عقيريك فلا تضحي بها، الله من وراء هذه الأمة، قد علم رسول الله ﷺ مكانك، ولو أراد أن يعهد إليك فعل، قد نهاك رسول الله ﷺ عن الفراطة في البلاد، إنّ عمود الإسلام لا ترابه النساء إن انثلم، ولا يشعب بهنّ إن انصدع...،ثم قالت: وأُقسم بالله لو سِرتُ مسيرك هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحيت أن ألقى محمداً ﷺ هاتكة حجاباً قد ضربه عليّ، اجعلي حصنك بيتك، وقاعة الستر قبرك حتى تلقيه وأنت على ذلك أطوع.

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ...﴾، ومن ثمّ قال الدكتور طه حسين: لو كنت أدركت عائشة لأوجعتها ضرباً حتى أقعدتها في بيتها لقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾.(أنظر كتاب عليّ وبنوه ١: ٤٥٥ له).

(٢) أنظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٦: ٢٢٤-٢٢٦، وعنه في البحار ٣٢: ١٣٨-١٣٩.

ثم ذكرتها بأمور فقالت: أتذكرين إذ كان رسول الله ﷺ يقرع بين نسائه إذا أراد سفراً فأقرع بينهنّ فخرج سهمي وسهمك، فبينا نحن معه وهو هابط من قديد ومعه عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام يحدّثه، فذهبت لتهجمي عليه، فقلت لك: رسول الله ﷺ معه ابن عمه عليه السلام ولعلّ له إليه حاجة، فعصيتني ورجعت باكية فسألتك، فقلت: بأنك هجمت عليهما فقلت له: يا عليّ إنما لي من رسول الله ﷺ يوم من تسعة أيام وقد شغلته عني، فأخبرتني أنه ﷺ قال لك: **«أتبغضيه فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أمتي إلاّ خرج من الإيمان»** أتذكرين ذلك يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم أراد رسول الله ﷺ سفراً وأنا أجشّ له جشيشاً[1]، فقال: **«ليت شعري أيتكنّ صاحبة الجمل الأدبّ تنبحها كلاب الحوأب»** فرفعت يدي من الجشيش وقلت: أعوذ بالله أن أكونه، فقال: **«والله لابدّ لأحداكما أن يكونه، إتقي الله يا حميراء أن تكونيه»** أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم... .

ويوم تبذّلنا[2] لرسول الله ﷺ فلبست ثيابي ولبست ثيابك، فجاء رسول الله ﷺ فجلس إلى جنبك فقال: **«أتظنين يا حميراء أني لا أعرفك، أما إنّ لأمتي منك يوماً مرّاً أو يوماً حمراً»** أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم.

ويوم كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فجاءك أبوك وصاحبه يستأذن فدخلت الخدر، فقالا: يا رسول الله ﷺ إنا لا ندري قدر مقامك فينا فلو جعلت لنا إنساناً نأتيه بعدك، قال: **«أما إني أعرف مكانه وأعلم موضعه، ولو أخبرتكم به لتفرّقتم عنه كما تفرّقت بنو إسرائيل عن عيسى بن مريم»**، فلما خرجا خرجت إليه أنا وأنت وكنت حزينة عليه، فقلت له: من كنت جاعلاً لهم؟ فقال: **«خاصف النعل»** وكان عليّ بن أبي طالب يصلح نعل رسول الله ﷺ... فقلت: ما أرى إلا علياً، فقال **«هو ذاك»** أتذكرين هذا يا عائشة؟ قالت: نعم، قالت: ويوم جمعنا رسول الله ﷺ في بيت ميمونة فقال: **«يا نسائي اتقين الله ولا يسفر بكنّ أحد»** أتذكرين هذا يا عائشة؟، قالت: نعم، ما أقبلني لوعظك وأسمعني لقولك،

---

(١) أجشّ له جشيشاً: الحنطة والدقيق يطحن طحناً جيداً ثم يوضع في قدر ويلقى فيه لحم فيطبخ.

(٢) التبذل: ترك الزينة وليس ثياب المهنة.

فإن أخرج ففي غير حرج، وإن أقعد ففي غير بأس.

وهل ارتدعت عائشة عن موقفها جرّاء هذه الموعظة البليغة؟ كلاّ، فإنها توقفت قليلاً، فخرج رسولها فنادى في الناس: من أراد أن يخرج فليخرج، فإنّ أم المؤمنين غير خارجة، فلما سمع عبد الله بن الزبير بذلك، دخل عليها، فنفث في أذنها، فخرج رسولها ثانياً، فنادى من أراد المسير فليسير فإنّ أم المؤمنين خارجة[1]، هناك خرجت عائشة على إمام زمانها ومن أوصى النبي ﷺ بطاعته وبيّن فضائله، فخالفت قول ربها: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ وكلام نبيها في عدم الخروج على وصيه.

وهناك أُتيحت الفتنة التي أنبأ بها رسول الله ﷺ لما قام خطيباً على منبره فأشار نحو مسكن عائشة وقال: «**هاهنا الفتنة هاهنا الفتنة هاهنا الفتنة، حيث يطلع قرن الشيطان**» وتحقق جميع ما أنبأ به رسول الله ﷺ في نكث الناكثين وقتالهم، مثل الزبير الذي قال ﷺ «**إنك ستقاتله وأنت ظالم له**» وخرجوا على أمير المؤمنين، وأخرجوا زوجة رسول الله وأركبوها على الجمل الأدبّ.

نباح كلاب الحوأب وتحقق نبوءة رسول الله ﷺ

ثم طلبوا من يعلي بن منبّه-الذي قدّم لعائشة بعيره المسمّى بعكسر وكان أدلّ الناس بالطريق-أن يسير معهم، قال: فسرتُ معهم فلا أمرّ على وادٍ إلا سألوني عنه حتى طرقنا الحوأب، وهو ماء فنبحتها كلابه، فقالوا: أيّ ماء هذا؟، فقلت: هذا ماء الحوأب، فصرخت عائشة بأعلى صوتها، وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: «**ليت شعري أيتكنّ تنبحها كلاب الحوأب؟**» ثم ضربت عضد بعيرها وأناخته وقالت: ردّوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، ونفثوا في أذنها مرّة أخرى، فقال عبد الله بن الزبير: إنه كذب، وهو الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام في شأنه: لا زال الزبير معنا حتى أدرك فرخه[2]، فطلبت منهم

---

(١) الاختصاص للمفيد: ١١٣، وعنه في البحار٣٢: ١٦٢، ونحوه في المعيار والموازنة للإسكافي: ٢٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٢: ٤١٠ خطبة ٧٩، والإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٥١.

(٢) أنظر الخصال: ١٥٧-١٩٩.

شهوداً، فجائوا بخمسين شاهداً من العرب فشهدوا لها كذباً وزوراً أنه ليس بماء الحوأب، وهي كما قال الصادق: أول شهادة زور في الإسلام[١].

مقتل شيعة علي على يد أصحاب الجمل في البصرة

ولما بلغوا البصرة خرج إليهم عثمان بن حنيف -والي أمير المؤمنين على البصرة- بأصحابه ومنعهم من الدخول فيها بعد ما أدّى النصيحة هو وأصحابه وأبلغ في العذر، إلاّ أنّ أصحاب الجمل كان لهم أتباع في البصرة، وكادت الفتنة أن تقع بهم لو لا اقتراح الهدنة وقبولها من الطرفين إلى أن يصل عليٌّ إلى البصرة، لكن في خلال الهدنة غدر أصحاب الجمل بعثمان بن حنيف بما أدّى إلى مقتل حرّاسه المؤمنين قتلاً عنيفاً، وأُسر عثمان وعُذّب أنكل تعذيب وضُرب إلى حدّ الموت، ولو لا خوفهم من أخيه سهل بن حنيف عامل عليٍّ على المدينة لقتلوه، ثم ذهبوا إلى بيت المال فسرقوه وقتلوا حرّاسه، ثم وقع القتال بينهم وبين حكيم بن جبلة وعشيرته بما أدّى إلى مقتله واستشهاد جمع كثير من شيعة عليٍّ بالبصرة، وكان هذا العداء وقتل الأبرياء إنتقاماً لدم عثمان الذي قتلته هذه الفئة الناكثة في المدينة، وأين هم من أهل البصرة؟!!.

وفي جانب آخر روي أنه لما بلغ أمير المؤمنين -وهو بالربذة- هذا الخبر الفضيع،قام على الغرائر فقال: إنه أتاني خبر متفظّع ونبأ جليل، أنّ طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضرباً مبرحاً وتُرك لا يُدرى أحيّ هو أم ميت، وقتلا العبد الصالح حكيم بن جبلة في عدة من رجال المسلمين الصالحين، لقوا الله موفون ببيعتهم ماضين على حقهم، وقتلا السبابجة خزّان بيت المال الذي للمسلمين، قتلوهم صبراً وقُتلوا غدراً، فبكى الناس بكاءً شديداً، ورفع أمير المؤمنين يديه يدعو ويقول: اللهم اجز طلحة والزبير جزاء الظالم الفاجر والخفور الغادر[٢].

---

(١) لاحظ الكامل في التاريخ-حوادث سنة ٣٦-وقعة الجمل، تاريخ الطبري ٣: ٤٧٥.

(٢) الكافئة في إبطال توبة الخاطئة للمفيد: ١٧ ح١٧، وعنه في البحار٣٢: ٩٢.

وفي خطبة له عليه السلام قال:... فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله ﷺ كما تُجَرّ الأمة عند شرائها متوجّهين بها إلى البصرة فحبسا نسائهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله ﷺ لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مُكره، فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً، فوَ الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً متعمدين لقتله بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروه ولم يدفعوا بلسان ولا بيد دعْ ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم[1].

فبعث أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب إلى الكوفة يحثهم على جهاد الناكثين، وبعث هاشم بن عتبة إلى أبي موسى الأشعري -وكان أميراً على الكوفة- لينفر إليه الناس، لكنه منع عن الشخوص للقتال، وهدّد رسول أمير المؤمنين بالسجن والقتل، فأرسل إلى علي عليه السلام يخبره، فقال عليه السلام: والله ما كان عندي مؤتمن ولا ناصح، ولقد كان الذين تقدّموني استولوا على مودته وولّوه وسلّطوه بالإمرة على الناس، ولقد أردت عزله فأتاني الأشتر فسألني أن أقرّه، وذكر أنّ أهل الكوفة به راضون فأقررته على كُرهٍ مني له، وعملت على صرفه من بعد[2].

وبعث إليه بعض أصحابه برسالة فيها حكم عزله وتأنيبه وتهديده بالقتل إن امتنع، فلما أبطاء عليه خبرهم رحل عن الربذة إلى ذي قار فنزلها وبعث ابنه الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر وبعض أصحابه، ومعهم كتاب إلى أهل الكوفة يدعوهم فيها إلى الجهاد ونصرة الحق، فاجتمع حولهم نفر كثير من المجاهدين ورؤساء القبائل، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام أخبر باجتماعهم وهو بذي قار.

إنباء علي عليه السلام عن مجيء عشرة آلاف فارس لنصرته

قال ابن عباس: قال أمير المؤمنين عليه السلام علّمني رسول الله ﷺ ألف باب من

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٨٥، وعنه في البحار٣٢: ٩٢ شرح النهج لابن أبي الحديد ٩: ٣٠٨-٣٠٩.

(٢) الأمالي للمفيد: ٢٩٥، وعنه في البحار٣٢: ١٠١، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤: ١٠.

العلم، ففتح لي كل باب ألف مسألة، قال: فبينما أنا معه بذي قار وقد أرسل ولده الحسن عليه السلام إلى الكوفة ليستنفر أهلها ويستعين بهم على حرب الناكثين من أهل البصرة، إذ قال لي: يا ابن عباس، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: فسوف يأتي ولدي الحسن من هذه الكور ومعه عشرة آلاف فارس وراجل لايزيد فارس ولا ينقص فارس، قال ابن عباس: فلما طلَعَنا الحسن عليه السلام بالجند لم يكن لي همة إلا مسائلة الكاتب! كم كمية الجند، قال لي: عشرة آلاف فارس، قال: فعلمت أنّ ذلك العلم من تلك الأبواب التي علّمه بها رسول الله ﷺ[1].

الإنباء عن مجيء أويس القرني

وفي حديث: أنه عليه السلام قال بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعوني على الموت، قال ابن عباس: فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم من العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الأمر علينا، ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم، حتى ورد أوائلهم، فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ملاذا حمله على ما قال؟ فبينما أنا مفكّر في ذلك إذا رأيت شخصاً قد أقبل حتى دنا، فإذا هو رجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وإداوة، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال: امدد يدك أبايعك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: وعلامَ تبايعني؟ قال: على السمع والطاعة والقتال بين يديك حتى أموت أو يفتح الله عليك، فقال له: ما اسمك؟ قال: أويس القرني، قال: أنت أويس؟ قال: نعم، قال: الله أكبر إنه أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ إني أدرك رجلاً من أمته يقال له أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

قال ابن عباس: فسري عني[2].

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ١٠٢، وعنه في البحار ٤١: ٣٢٨ ح٤٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ١: ٣١٥، الخرائج والجرائح ١: ٢٠٠، وعنه في البحار٤١: ٣٠٠.

الإنباء عن الظفر بأصحاب الجمل

هذا وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام وهو بذي قار عن ظفره بأصحاب الجمل وقتل طلحة والزبير، ففي الأمالي بسنده عن المنهال بن عمر قال: أخبرني رجل من بني تميم قال: كنا مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بذي قار ونحن نرى أنا سنختطف في يومنا فسمعته يقول: والله لنظهرنّ على هذه الفرقة ولنقتلنّ هذين الرجلين -يعني طلحة والزبير- ولنستبيحنّ عسكرهما، قال التميمي: فأتيت عبد الله بن العباس فقلت: أما ترى إلى ابن عمك وما يقول؟ فقال: لا تعجل حتى ننظر ما يكون، قال: فلما كان من أمر البصرة ما كان أتيته فقلت: لا أرى ابن عمك إلا قد صدق، فقال: ويحك إنا كنّا نتحدّث أصحاب محمد انّ النبي صلى الله عليه وآله عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره، فلعلّ هذا مما عهد إليه[1].

وبعد ما اجتمع حول الإمام عدد كثير من أهل الكوفة والقبائل وسائر الأمصار وقدبلغ جيشه عشرين ألفاً توجه إلى البصرة، فلما استقر جيش الإمام عليه السلام قريباً من البصرة والتقت الفئتان وأخذ كل فريق يعدّ العدة،بادر الإمام في إعذار أصحاب الجمل قبل القتال، وتابع خطّته السياسية في نصيحة المتمرّدين، والاجتناب من إراقة دماء المسلمين، وفي خلاله أعلمهم بأنّ الحق يُدرك بأسباب كثيرة آخرها امتشاق الحسام، وهذا لا يكون إلا باستفراغ الجهد في إحقاق الحق عن طريق الاقناع والسلام، ومن ثم أرسل رسله إلى عائشة وطلحة والزبير وكتب إليهم يدعوهم إلى الرشاد وعدم إثارة الفتنة.

وهل أثّرت النصائح؟ لا والله بل زادت الطين بلة والنار شعلة، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[2]، لا،بل سمعوها، لكن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.

---

(١) الأمالي للمفيد: ٣٣٤ح ٥، أمالي الطوسي: ١١٣ح ٢٧، وعنهما في البحار٣٢: ١٠٤، وتراه في حلية الأبرار لأبي نعيم ١: ٦٨، موضع الأوهام للخطيب٢: ١٣٩، ينابيع المودة: ٧٨، وغيرها.

(٢) القصص: ٨٣.

ولما رأى الإمام تعبئة القوم هيّأ جيشه للقتال، وأمر أن لا يرمينّ أحد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح، حتى يعذر إلى القوم ويتّخذ عليهم الحجة، فكلّم طلحة والزبير أمام الناس، فأجابه طلحة جواباً غليظاً، ورقّ له الزبير، ثم رجع عليٌّ عليه السلام إلى أصحابه فسألوه عنهما، فقال: إنّ شأنهما لمختلف، أما الزبير فقلبه اللجاج ولن يقاتلكم، وأمّا طلحة فسألته عن الحق فأجابني بالباطل، ولقيته باليقين، ولقيني بالشك، فوَ الله ما نفعه حقي ولا ضرّني باطله، وهو مقتول غداً في الرعيل الأول.

الإمام يذكّر الزبير بنبوءة رسول الله ﷺ فيه

وفي وقفة أخرى خرج عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء بين الصفين وهو حاسر، فقال: أين الزبير فليخرج إليّ؟ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أتخرج إلى الزبير وأنت حاسر وهو مدجّج في الحديد؟ فقال عليه السلام ليس عليّ منه بأس، فلما واقفه قال: يا أبا عبد الله ما حملك على ما صنعت؟ فقال: الطلب بدم عثمان!! فقال: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب عليك أن تقيد من نفسك!!، ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل الفرقان على نبيه ﷺ أما تذكر يوماً قال لك رسول الله ﷺ: «يا زبير أتحبّ عليّاً؟» فقلت: وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي؟! فقال لك: «أما أنك ستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم» فقال الزبير: اللهم بلى فقد كان ذلك، فذكّره بحديث آخر مثله، فقال: اللهم بلى ولكن أُنسيت، فأما إذا ذكّرتني ذلك لأنصرفنّ عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

فلما رجع وأخبر عائشة بانصرافه لقيه عبد الله ابنه فقال: جُبناً جُبناً؟! فقال: يا بُنيّ قد علم الناس أني لست بجبان، ولكن ذكّرني عليٌّ شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أقاتله، فقال: دونك غلامك فلان أعتقه كفارة ليمينك، وفي رواية قالت عائشة: لا والله بل خفت سيوف ابن أبي طالب، أما إنها طوال حداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتها فلقد خافها الرجل من قبلك، فرجع إلى القتال، فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: إنه رجع، فقال عليه السلام: دعوه فإنّ الشيخ محمول عليه، ثم قال: أيها الناس غضّوا أبصاركم وعضّوا على نواجذكم وأكثروا من ذكر ربكم وإياكم من كثرة الكلام فإنه فشل، ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصفين،

فقالت: انظروا إليه كأنّ فعله فعل رسول الله ﷺ يوم بدر، أما والله لا ينتظر بك إلا زوال الشمس، فقال عليٌّ عليه السلام: يا عائشة عما قليل لتصبحنّ نادمين.

وسرعان ما تحقق كلام أمير المؤمنين عليه السلام إذ جدّ الحرب وأخذ القوم يرمون أصحاب عليٍّ عليه السلام بالنبل وعليٌّ عليه السلام يأمر بالصبر، وأخذ المصحف وطلب من يقرأ عليهم: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا... ﴾[1] فقال مسلم المجاشعي: ها أنا ذا، فأخبره بقطع يمينه وشماله وقتله، فقال: لا عليك يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله!، فأخذه ودعاهم إلى الله، فقطعت يده اليمنى، فأخذه بيده اليسرى فقطعت، فأخذه بأسنانه فقتل، هناك قال عليه السلام: الآن طاب الضراب، اللهم إني أعذرت وأنذرت فكن لي عليهم من الشاهدين، فقال: احملوا على بركة الله[2].

انطباق ما ورد من الأنباء بشأن الناكثين

قال الراوي سمعت عليّاً عليه السلام يوم الجمل وهو يحرّض الناس على قتالهم ويقول: والله ما رمي أهل هذه الآية بكنانة قبل اليوم ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ... ﴾[3]، فشدّ أصحاب أمير المؤمنين على أهل الجمل واقتتلوا قتالاً شديداً، قال الراوي: فما رأينا يوماً كان أكثر قطع أقدام منه، قال: فذكرت حديث حذيفة: أنصارها بنو ضبة جدّ الله أقدامهم[4]، فأمّا طلحة فقد قتل في الرعيل الأول، ويقال أنه جاءه

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) أنظر المناقب لابن شهر آشوب٢: ٣٣٩، وعنه في البحار٣٢: ١٧٢، وأما حديث لقاء علي عليه السلام مع الزبير ورجوعه فقد تواترت المرويات فيه واختلفت الألفاظ فلاحظ تاريخ دمشق ٤: ١٢١٤-١٢١٥، أنساب الاشراف: ٣٤٠، كشف الغمة ١: ٢٤٠، وعنه في البحار٣٢: ١٨٨.

(٣) تفسير العياشي٢: ٧٨ح٢٤، وعنه في البحار٣٢: ١٨٦، وروى العياشي أيضاً أنه عليه السلام بعد ما فرغ من أمر طلحة و الزبير وعائشة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله ﷺ، ثم قال: أيها الناس والله ما قاتلت هؤلاء بالأمس إلا بآية تركتها في كتاب الله، إنّ الله يقول: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ... ﴾ أما والله لقد عهد إليّ رسول الله ﷺ وقال لي: «يا عليّ لتقاتلنّ الفئة الباغية والفئة الناكثة والفئة المارقة.

(٤) الأمالي للمفيد: ٥٩-مجلس ٧، وصدر الحديث-وقد قاله قبل مقتل عثمان بسنة-: كأني بأمكم

سهم وهو قائم فقتله، وقيل:قتله مروان، وأما الزبير فإنه حينما رجع واعتزل عن القتال متوجّهاً إلى المدينة تابعه ابن جرموز وقتله غيلة، وأمّا مروان ففرّ جريحاً، وهكذا عبد الله بن الزبير، وأمّا عائشة فقد عُقِر جملها واستأسرت[1].

ولما وضعت الحرب أوزارها رأى الناس انطباق ما أنبأ به الرسول المصطفى ﷺ في أصحاب الجمل ومآل أمرهم، وتحقق قول علي عليه السلام: أما والله لأقتلنّهم كافرين ولأقتلنّهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس وما لنا إليها من ذنب غير أنا خيّرنا عليها فأدخلناهم في خيرنا...[2]،وهكذا سائر نبوءاته فيهم.

لكنه لمّا ظفر بهم أظهر الرأفة والرحمة على الجرحى والفارّين منهم وأعطاهم الأمان، وقال لأصحابه: لا تجهزوا على جريح، ولا تبتغوا مدبراً، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن[3].

ومع كل ما لاقاه من عائشة، أحسن بها-كما قال رسول الله ﷺ وتقدم في أحاديث تكرار التاريخ-، فقد روي أنه لمّا انهزم الناس أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهما فانتهى إلى الهودج، وكأنه شوك القنفذ مما فيه من النبل فضربه بعصا، ثم قال: هيه يا حميراء أردت أن تقتليني[4]كما قتلت ابن عفان، أبهذا أمرك الله؟ أوعهد به إليك رسول

الحميراء قد سارت يُساق بها على جمل وأنتم آخذون بالشوى والذنب، معها الأزد أدخلهم الله النار، وأنصارها بنو ضبّة جدّ الله أقدامهم... .

(١) لاحظ الاحتجاج للطبرسي ١: ٣٨٠.

(٢) أنظر الكافئة للمفيد: ٢٠، وعنه في البحار٣٢: ١١٣، الارشاد ١: ٢٤٨، شرح النهج٢: ١٨٥.

(٣) الكافي٥: ١٢ب ٣ كتاب الجهاد، أمالي المفيد: ٥٩ المجلس٧، وعنه في البحار٣٢: ١٨٧.

(٤) وهذه ليست أول محاولة منها في قتل أمير المؤمنين ولا آخرها، بيد أنها كانت راصدة لقتله كي ما تمحو ذكره فيرتاح بالها، لكنها ما انتجت إلا الفضيحة لها، فمن محاولاتها أنها التمست رجلاً شديد العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام، فأتي به ومثّل بين يديها، فقالت له: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ قال: كثيراً ما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي فضربت ضربة بالسيف يسبق السيف الدم، قالت له: فاذهب بكتابي هذا، وأوصته ببعض الوصايا، فأتى أمير المؤمنين عليه السلام فاستقبله راكباً، قال: فناولته الكتاب ففضّ خاتمه ثم قرأه فقال: تبلغ إلى منزلنا فنصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك، فقال: هذا والله ما لا يكون، قال: فسار خلفه فأحدق به أصحابه.ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم، قال: وتجيبني؟ قال: نعم قال: فنشدتك الله هل قالت: التمسوا لي رجلاً شديداً عداوته لهذا

الله ﷺ؟ قالت: ملكت فاسجح، فقال عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: انظر هل نالها شيء من السلاح؟ فوجدها قد سلمت لم يصل إليها إلاّ سهم خرق في ثوبها خرقاً وخدشها خدشاً ليس بشيء، فقال ابن أبي بكر: يا أمير المؤمنين قد سلمت من السلاح إلاّ سهماً خلص إلى ثوبها فخدش منه شيئاً، فقال عليٌّ عليه السلام: احتملها فأنزلها دار ابني أبي خلف الخزاعي[1].

ثم جهّزها أمير المؤمنين وأمر بإرسالها إلى المدينة وبعث معها بالنساء من عبد القيس[2]، وذلك بعد ما طلّقها وأبانها عن زوجها.

فقد روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: لما كان يوم الجمل وقد رُشق هودج عائشة بالنبل قال عليٌّ عليه السلام: والله ما أراني إلا مطلّقها، فأُنشد الله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول: «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعدي» لمّا قام فشهد فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريان، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «يا عليّ أمر نسائي بيدك من بعدي» قال: فبكت عائشة عند ذلك حتى سمعوا بكاءها، فقال عليٌّ عليه السلام لقد أنبأني رسول الله ﷺ بنبأ وقال: «يا عليّ إنّ الله يمدّك بخمسة آلاف من الملائكة مسومين»[3].

الرجل، فأتوها بك، فقالت لك: ما بلغ من عداوتك هذا الرجل، فقلت: كثيراً ما أتمنى على ربي أنه وأصحابه في وسطي، وأني ضربت ضربة بالسيف يسبق السيف الدم؟، قال: اللهم نعم، قال: فنشدتك الله أقالت لك اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً، أما إنك إن رأيته ظاعناً رأيته راكباً على بغلة رسول الله ﷺ متنكباً قوسه معلقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طيرصواف؟، فقال: اللهم نعم، قال: نشدتك بالله هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تناولنّ منه شيئاً فإنّ فيه السحر؟ قال: اللهم نعم، قال: فمبلّغ أنت عني؟ قال: اللهم نعم، فإني قد أتيتك وما في الأرض خلق أبغض إليّ منك، وأنا الساعة ما في الأرض أحبّ إليّ منك، فمرني بما شئت، قال: ارجع اليها بكتابي هذا وقل لها: ما أطعت الله ولا رسوله، حيث أمرك الله بلزوم بيتك فخرجت ترددين في العساكر، وقل لهما: ما أنصفتما الله ولا رسوله حيث خلّفتم حلائلكم في بيوتكم وأخرجتم حليلة رسول الله ﷺ.قال الراوي: فجاء بكتابه حتى طرحه إليها وأبلغها مقالته، ثم رجع إليه، فأصيب بصفين، فقالت عائشة: ما نبعث إليه بأحد إلا أفسده علينا.(بصائر الدرجات: ٢٦٣، ومثله في الخرائج والجرائح٢: ٧٢٤،والمناقب لابن شهرآشوب ٢: ٩٦).

(١) أمالي المفيد: ٢٤ المجلس ٨،وعنه في البحار٣٢: ٢٦٨، وقريب منه في أنساب الأشراف للبلاذري٢: ٢٤٩، معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٤ في باب معني الإسجاح.

(٢) الكافئة: ٣٠، المسترشد لابن جرير الطبري: ٤٢٣، مناقب آل أبي طالب ١: ٣٨١.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ١: ٢٤٠، وعنه في البحار ٣٢: ٢٠٢.

بيد أنها ما تابت ولا آبت إلى حكم الله، بل لما رجعت إلى المدينة حرّضت الناس على أميرالمؤمنينعليه السلام،وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود بن البختري تستنفرهم على عليٍّعليه السلام، وليس هذا إلا لكثرة حسدها وعدائهالهعليه السلام، ولسخافة عقلها الذي صارت بسببه ملعبة للغائضين على عليٍّعليه السلام، فيوماً أخرجوها من بيتها وركّبوها على شيطان يسمّى عسكر[1]، ويوماً يأتيها عمرو بن العاص فيقول لها: لوددت أنك قُتلت يوم الجمل!، فقالت: ولِمَ لا أباً لك؟ قال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة، ونجعلك أكبر التشنيع على عليٍّ[2]!، وذلك كما جعلوا قتل عثمان قميصاً لتحقيق أهدافهم مع عدائهم له، وهذه هي خطة الانتهازيين لأجل السيطرة على الناس في جميع الأدوار.

وفي صعيد آخر لما أُتي برأس الزبير وسيفه إلى أميرالمؤمنينعليه السلام تناول سيفه وقال: طال ما جلى به الكرب عن وجه رسول اللهﷺ، ولكن الحين ومصارع السوء[3]، وكان قد نهى أن يُقتل، فقال: ابن صفية وقاتله في النار.

وروي أنهعليه السلام لما مرّ بطلحة بين القتلى قال: أقعدوه، فأُقعد فقال: إنه كانت لك سابقة، لكن الشيطان دخل منخريك فأوردك النار[4].

الإنباء عن غدر مروان وظلم ولده على شيعة عليعليه السلام

ثم إنّ رأفة الإمام وعفوه وحسن سيرته بلغت إلى حدّ أقرّت به الأعداء،

---

(١) لأنه ظهرت منه أمور شيطانية وكاد أن يُقتل بسببه نفر كثير، ولذلك صاح أميرالمؤمنينعليه السلام بأعلى صوته: ويلكم اعقروا الجمل فإنه الشيطان، اعقروه وإلا فنيت العرب، لايزال السيف قائماً راكعاً حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض، فضربه رجل فسقط، وعجّ عجيجاً لم يُسمع بأشدّ منه، حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب، وأمر عليٌّعليه السلام بالجمل أن يحرق ثم يُذرى في الريح، وقال: لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل، ثم قرأ: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾، (لاحظ الأمالي للمفيد: ٥٩ مجلس ٧، وعنه في البحار٣٢: ١٨٧، تاريخ الطبري ٣: ٥٢٨، شرح النهج ١: ٢٥٣).

(٢) الاحتجاج للطبرسي١: ٢٤١ باب احتجاج أميرالمؤمنين على طلحة والزبير.

(٣) الاحتجاج للطبرسي ١: ٢٣٩، وانظر شرح النهج ١٣: ١٤٧.

(٤) الاحتجاج: ١: ٢٣٩، وعنه في البحار ٣٢: ٢٠٠.

فمن أكثر عداء من مروان بن طريد رسول الله ﷺ؟ يقول الراوي إنّ الناس لما انهزموا اجتمع مروان مع نفر من قريش، فقال بعضهم لبعض: والله لقد ظلمنا هذا الرجل ونكثنا بيعته على غير حدث كان منه، ثم لقد ظهر علينا فما رأينا رجلاً قطّ كان أكرم سيرة ولا أحسن عفواً بعد رسول الله ﷺ منه،فتعالوا فلندخل عليه ولنعتذر مما صنعنا، قال: فدخلنا عليه فلما ذهب متكلّمنا يتكلم، قال: انصتوا أكفِكم، إنما أنا رجل منكم فإن قلت حقاً فصدقوني، وإن قلت غير ذلك فردوه عليّ، فذكّرهم بأمور لا مجال لهم في إنكارها، فقالوا: يا أمير المؤمنين كن كما قال العبد الصالح: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾، فقال عليٌّ عليه السلام: هو كذلك أقول: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، مع أنّ فيكم رجلاً لو بايعني بيده لنكث بأسته(يعني مروان)[1]،وهذا إنباء منه فيه.

وقد تكرر هذا الكلام من الإمام عليه السلام في شأن مروان، منها: عند ما أتى به ابن عباس بعد القتل، فقال: إنّ لي إليك حاجة، فقال عليه السلام: ما أعرفني بالحاجة التي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم، قال: نعم أريد أن تؤمنه، قال: آمنته ولكن اذهب إليه وجئني به ولا تجئني به إلاّ رديفاً فإنه أذلّ له، فجاء به ابن عباس ردفاً خلفه فكأنه قرد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتبايع؟ قال: نعم وفي النفس ما فيها، قال: الله أعلم بما في القلوب، فلمّا بسط يده ليبايعه أخذ كفّه عن كفّ مروان فنترها، فقال له: لا حاجة لي فيها إنها كفّ يهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكث بأسته،ثم قال: هيه يابن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة،كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبّرة[2]، وهذا مما أخبره النبي ﷺ.

ثم إنّ من عظم صبره وحلمه على أعدائه مع علمه بما تضمره أنفسهم، ما رواه أصبغ بن نباتة قال: لما هزمنا أهل البصرة جاء علي بن أبي طالب عليه السلام...حتى انتهى إلى دارٍ قوراء[3]، فدخلنا فإذا فيها نسوة يبكين، فلما رأينه

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٠٧،كتاب الجمل للمفيد: ٢٢٢ ط النجف.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٩٧،وعنه في البحار٣٢: ٢٢٩.كأساً مصبرة: أي فيها الصبر المرّ.

(٣) دار قوراء: أي دار وسيعة.

صحن صيحة واحدة وقلن: هذا قاتل الأحبة، فأمسك عنهنّ، ثم قال: أين منزل عائشة؟ فأومأن إلى حجرة في الدار، فحملنا علياً عن دابته فأنزلناه فدخل عليها، فلم أسمع من قول عليٍّ شيئاً إلا أنّ عائشة كانت امرأة عالية الصوت فسمعنا قولها كهيئة المعاذير: أني لم أفعل.

ثم خرج علينا أمير المؤمنين فحملناه على دابته فعارضته امرأة من قبل الدار، فقال: أين صفية؟ قالت: لبيك يا أمير المؤمنين،قال: ألا تكفّين عني هؤلاء الكلبات التي يزعمن أني قاتل الأحبة، لو قتلت الأحبة لقتلت من في تلك الدار-وأومئ بيده إلى ثلاث حجر في الدار-قال: فضربنا على قوائم السيوف وضربنا إلى الحجر التي أوحى إليها، فوَ الله ما بقيت في الدار باكية إلا سكنت ولا قائمة إلا جلست، فسُئل الأصبغ عمن كان في الحجر فقال: أمّا واحدة فكان فيها مروان بن الحكم جريحاً ومعه شباب قريش، وأما الثانية فكان فيها عبد الله بن الزبير ومعه آل الزبير جرحى، وأما الثالثة فكان فيها رئيس أهل البصرة يدور مع عائشة أين ما دارت، فقال السائل: هؤلاء أصحاب القرحة فهّلا ملتم عليهم بهذه السيوف؟ قال: يا ابن أخي، أمير المؤمنين كان أعلم منك وسعهم أمانه، إنا لما هزمنا القوم نادى مناديه: لا يدفّف على جريح ولا يُتّبع مدبر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، سُنّة يُستنّ بها بعد يومكم هذا...[1].

الإمام ينبئ عن عدم استقرار الأمر له

ولما استقرّ به الأمر اجتمع به أشراف الناس ليهنئونه بالإنتصار على الناكثين، وقالوا: إنا نرجوا أن يكون هذا الأمر فيكم ولا ينازعكم فيه أحد أبداً، فقال: هيهات أنّى ذلك ولمّا تُرمون بالصلعاء، قالوا: وما الصلعاء؟ قال: يؤخذ أموالكم قهراً فلا تمنعون[2].

وبهذا الكلام أنبأ عن عدم استقرار الأمر له، وتسلّط بني أمية وظلمهم، وبه نختم تطبيق ما ورد من النبوءات بشأن الناكثين وقتالهم ومآل آمرهم، وهو

---

(١) تفسير فرات الكوفي: ١١١ح١١، وعنه البحار٣٢: ٢٧٢،مناقب آل أبي طالب١: ٤٢١مختصراً.

(٢) أنظر معاني الأخبار: ١٦٨ح١،وعنه في البحار٣٢: ٢٢٩. الصلعاء: الأرض التي لا تنبت.

الاضمحلال وعدم تحقق مخططاتهم في السيطرة على البصرة والكوفة وما فيهما من مواقع استراتيجية،-كما كتب إليهم معاوية-وقد خابت جميع آمالهم.

بيد أنّ الذي استفاد من هذه الفتنة التي شغلت عليّاً عليه السلام، هو معاوية وأتباعه في الشام، إذ استغلّ الفرصة في تقوية مواقعه وتثبيت حكومته الظالمة وتحريض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام وزرع العداوة والبغضاء عليه في قلوبهم، وبذلك أعلن البغي على أمير المؤمنين وعدم الانصياع له والثورة عليه، بما أدّى إلى وقوع معركة أخرى وهي صفين، وانطباق ما أنبأ به الرسول الأمين ﷺ من قتال القاسطين، فلنبدء في بيانها من منطلق التاريخ.

قتال القاسطين(معركة صفين)

لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من قتال الناكثين ودخل الكوفة مظفّراً منصوراً، صمّم أن يجعل الكوفة مقراً لحكومته العادلة وعاصمة للدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وذلك بعد ما رأى من اجتماع أهل الكوفة وما والاها، عدا نُلّة من المنافقين وعملاء الأمويين، فأخذ يدبّر فيها أمور المسلمين وإحقاق حقوق المظلومين وعزل الظالمين ونصب المؤمنين في أطراف البلاد الإسلامية، عدا الديار الشامية التي تمرّد فيها ابن أكلة الأكباد وأعلن الاستقلال وعدم الانصياع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، بكل جرأة حصلت له جرّاء انشغال الإمام عليه السلام بحرب الناكثين، تلك المعركة التي دبّرها معاوية مع متآمرين حاسدين لعليّ عليه السلام في المدينة ومكة، كي يتمّ له أمر الشام، ويتمكن من مواجهة الإمام وخلعه عن الحكم في سائر البلدان.

فما كان لعليّ عليه السلام بُدّ من مواجهة هؤلاء المتمردين، لكنه-كما هي سيرته وسيرة الرسول المصطفى ﷺ-لم يبادر بالحرب ولم يستعجل بها حتى ينصح ويعذر ويتمّ الحُجة بإرسال السفراء والمفاوضات والمحاجات الكثيرة، ريثما يهتدي المهتدون وينتهي المنتهون ويرجعوا عن غيّهم، ويحقنوا دماء المسلمين.

وهل نفعت هذه المحاولات؟ لابل زادتهم غيّاً وطغياناً، ولعلهم ظنّوا بضعف الإمام وعدم قدرته لمواجهتهم، فصمّموا على الحرب والمواجهة المسلحة، وقد حصل هذا القرار على أثر مشورة واتفاق حدث بين معاوية وابن

العاص شريطة أن يكون أميراً نافذ القدرة والاختيار على مصر و...، واتفقا على أن يكون شعارهم في منابذة عليٍّعليه السلام ثأر عثمان والانتقام من قتلته، وهذه اللافتة هي التي حملها أهل الجمل، وهكذا يعمل السياسيون وأهل المصالح في جميع الادوار في سبيل إغواء الناس وتحريف أذهانهم من أجل الوصول إلى أهدافهم المشومة، ولو بثمن سفك دماء الألوف بل الملايين.

فخرج معاوية بجيشه الجرار تجاه صفين-وهي أرض واسعة قريبة من الشريط الحدودي بين العراق وسورية-، وفي الضفة المقابلة خرج أميرالمؤمنينعليه السلام مع مائة وتسعين ألف مقاتل[1]، متجهاً إلى صفين، وكان ذلك على جراء أخبار وصلته من استعداد معاوية وخروجه للحرب، فقدّم طلائعه ونصب الأشتر أميراً عليهم وقال له: إياك أن تبدأ بقتال إلا أن يبدؤوك حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع منهم، ولا يحملك بعضهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة، واجعل على ميمنتك زياداً وعلى ميسرتك شريحاً، ولا تدنُ منهم دنوّ من يريد أن ينشب الحرب، ولا تتباعد عنهم تباعد من يهاب البأس، حتى أقدم إليك حثيث السير في أثرك إن شاء الله تعالى.

وبعد مسيرة أيام وصلت طليعة جيش الإمامعليه السلام إلى صفين، وقد سيطر جيش معاوية على المواقع الاستراتيجية بالقرب من الفرات، واستولوا عليه بحراسة أربعين ألف رجل، فبات جيش الإمام في البرّ عطشاناً قد حيل بينه وبين الفرات، علماً بأنّ ابن العاص-كما يقال-منعه من هذا العمل الدنيئ قائلاً: إنّ علياً لا يموت عطشاً هو وتسعون ألفاً من أهل العراق وسيوفهم على عواتقهم، ولكن دعهم يشربون وتشرب، ولعل هدفه كان تأخير المناجزة، لكن لئامة معاوية غلبت على هذا الرأي، فقال: لا والله أو يموتوا عطشاً كما مات عثمان، وكان يقول: هذا أول الظفر، وقد ظنّ أنّ سلاح العطش سلاح قاتل لا

---

(١) وعلى بعض الأقوال: مائة وعشرون ألف، وعلى قول: مائة ألف، وعلى قول: تسعون ألف، والمتيقن منها أنّ جيش عليٍّعليه السلام كان يتجاوز عن مئة ألف مقاتل، ويمكن ان يكون المقدار الزائد على المئة من سائر البلدان، وبه تحققت نبوءة رسول اللهﷺ: «ينصرك من أهل العراق مائة ألف سيف» (أنظر الغارات لابن مقاتل ٢: ٨٤٤، مقاتل الطالبيين: ٩١).

يوازيه سلاح، وسيكون حليفه وسيؤدي إلى فوزه، لكن هيهات أن يغلب هذا السلاح على من اطمئن قلبه بذكر الله، وبهذه الفعل من معاوية وشجرته الخبيثة يظهر للمتأمل أنّ معاوية لا يرى إلا أنّ الغاية تبرّر الوسيلة ولو بثمن موت عشرات الألوف من المسلمين عطشاً، ولا يهمّه أن يصل إلى غايته ولو كان بالظلم والعدوان، كما هو شأن اللئام.

وبذلك تباشر أهل الشام بالغلبة على عدوهم من طريق حبس الماء! فقام رجل همداني من جيش معاوية وقال:يا معاوية، سبحان الله سبقتم القوم إلى الفرات وتمنعونهم الماء؟ أما والله لو سبقكم عليه عليٌّ لسقاكم منه، أليس أعظم ما تنالون من القوم أن تمنعوهم الفرات؟! أما تعلمون أنّ فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له؟!، هذا والله أول الجور، فأغلظ له معاوية في الكلام، فسار الهمداني ولحق بجيش الإمام عليه السلام، ومكث أصحاب الإمام يوماً وليلة بغير ماء، وبعث الإمام من ينصحهم ويحثّهم على المروءة، وقال البعض: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم ماء الفرات وأنت فينا والسيوف بأيدينا؟! خلّ عنا وعن القوم فوَ الله لا نرجع حتى نرده أو نموت.

فقال الإمام عليه السلام: ذلك إليكم، فهجم جيش الإمام عليهم وأخذت السيوف منهم مأخذاً عظيماً حتى غمست خيل الإمام سنابكها في الفرات، فقتل من العدو من قتل وغرق من غرق، وأصبحت الشريعة بأيدي جيش عليٍّ عليه السلام، فقال قائل: لا والله لا نسقيهم، غير أنّ الإمام لم يسمح لهم ذلك، وقال لهم: خذوا حاجتكم وخلّوا بينهم وبين الماء فإنّ الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم ولا نفعل كما فعله الجاهلون، هنا يبدو الفرق بين العدل والجور والحق والباطل، لأنّ الإمام كان همّه الدعوة إلى السلام والانصياع لما أمر به الإسلام وكان من عادته العفو والإحسان، لا الغدر وفعل اللئام، فكم مرّة قال عليه السلام: والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر... .

وهذا أول انتصار حقّقه جيش الإمام عليه السلام وبه دبّ الخوف والقلق في قلوب أهل الشام، لعلمهم أنّ ما من معركة حضر فيها الإمام عليٌّ عليه السلام إلا وقد سجّل النصر له.

بيد أنّ الإمام مع ما حصل له من النصر وخذلان العدو لم يأمر بمواصلة

الحرب ومتابعة المجرمين، بل تراه أمهلهم وتابع خطته السياسية في نصيحة القوم وإعذارهم مرة بعد مرة لعلهم يفيئوا إلى أمر الله، فأرسل ممثليه للتفاهم مع معاوية وحسم النزاع والاجتناب من إراقة الدماء، واستمرّت المحاولات إلا أنها بلا جدوى، حتى دخل محرم الحرام فوادعهم على السلام وأعطاهم الأمان.

وقد استغلّ معاوية هذه الفرصة في سبيل إيجاد الفرقة في جيش أمير المؤمنينعليه السلام، فأرسل خُفية إلى المتشخصين من جيش الإمامعليه السلام يعدهم بالمناصب العالية والأموال الكثيرة إن انضموا إليه وخذلوا إمامهم، وهدّدهم بالقتل والحرمان إن لم يخضعوا لقوله، غير أنّ المخلصين من أصحاب الإمام لا تنطلي عليهم حيل معاوية ومكره ولم يغفلوا عن خبث طينته ولا يأخذهم في الله لومة لائم، فكان جوابهم قاسياً، لأنهم لا يُقاسوا بالأشعث بن قيس وأمثاله المتسللين في جيش الامام، الذين إذا كان النصر للإمام فهم معه، وإن كان لعدوه فيرفعون النقاب عن وجوههم ويظهرون العداء لعلي.

ومهما يكن من أمر فقد انتهت الهدنة ولم تظهر أيّ علامة للسلام وترك القتال، بل ظهر الملل على صفوف المقاتلين جرّاء المطاولة والصبر، هناك قال الإمامعليه السلام: إني قد احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه، وإني قد نبذت إليكم على سواء إنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، فلم يردّوا إلا مثل قولهم: السيف بيننا وبينك أو يهلك الأعجز منا.

شروع القتال وانطباق قول النبيﷺ في استشهاد عمار

فلما دخل شهر صفر عبّأ الإمام جيشه وتعبّأ أهل الشام واصطدم العسكران، فزحف بعضهم على بعض، وهكذا استمرّت أياماً سجالاً، وقتل فيها نفر من الطرفين، بعضهم من كبار الصحابة، كعمار بن ياسر الذي أنبأ رسول اللهﷺ بمقتله في هذه الموقعة فقال: «عمار تقتله الفئة الباغية»، وتكرر منه هذا النبأ واشتهر،منها: في موقعة الخندق، لما شكا عمار أذى المنافقين وتحميلهم أكثر من طاقته، فقال لرسول اللهﷺ: قتلوني...فأجابهﷺ بأنهم ليسوا بقاتليك لكن «تقتلك الفئة الباغية...»، وقالﷺ: «عمار مع الحق والحق مع عمار حيث

كان، عمار جلدة بين عيني وأنفي...تقتله الفئة الباغية»[١]،وقل ﷺ: «من يعادي عماراً يعاديه الله...ومن يبغض عماراً يبغضه الله ومن سبّه سبّه الله»[٢]،وقال: «تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك..»[٣].

فقد تحقق ما أنبأ به ﷺ، فإنّ عماراً وقف في صفين، فقال: إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يقاتلون حتى يرتاب المبطلون، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحق وأنهم على الباطل،وتقدم فقاتل ثم رجع إلى موضعه، فاستسقى، فأتته امرأة من نساء بني شيبان من مصافهم، بعس فيه لبن، فدفعته إليه، فقال: الله أكبر...اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة صدق الصادق، وبذلك أخبرني الناطق وهو اليوم الذي وُعدت فيه[٤].

وبذلك أشار إلى نبوءة رسول الله ﷺ فيه: «آخر زاده شربة من لبن»[٥]،و قد تحققت،ثم قال: أيها الناس هل من رائح إلى الله تحت العوالي؟ والذي نفسي بيده، لنقاتلهم على تأويله، كما قاتلناهم على تنزيله...فتوسّط القوم واشتبكت عليه الأسنة فقتله أبو العادية وابن جون السكسكي، واختلفا في سلبه فاحتكما إلى عبد الله بن عمرو العاص، فقال: أخرجا عني، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ولعت قريش بعمار مالهم ولعمار؟ يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار»[٦]،وفي رواية قال لهما: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول له: «تقتلك الفئة الباغية»[٧].

وقد أثّر استشهاد عمار أثراً عجيباً على أهل الشام، واهتزّت أرض المعركة، لعهدهم بقول رسول الله ﷺ فيه: «تقتله الفئة الباغية..»، وإنه مع الحق والحق معه وسائر كلماته، وأخذوا يثقون بكونهم على الباطل وأنّ علياً على

---

(١) أنظر علل الشرائع للصدوق ١: ١٢٣، وعنه في البحار ٤٤: ٣٥.

(٢) إختيار معرفة الرجال للطوسي ١: ١٥٠، وانظر المعجم الكبير للطبراني ٤: ١١٢.

(٣) الطرائف لابن طاووس: ١٠٤، تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨، تاريخ دمشق ٤٢: ٤٧٢.

(٤) أنظر مستدرك الحاكم٣: ٣٨٦، تاريخ الطبري٤: ٢٦-٢٧،الاختصاص للمفيد: ١٤.

(٥) الاحتجاج للطبرسي١: ٢٦٧،وانظر مسند أحمد٤: ٣١٩، المصنف ١١: ٢٤٠.

(٦) إختيار معرفة الرجال١: ١٥٩، مروج الذهب٢: ٣٩١، وانظر البداية والنهاية ٧: ٢٦٧.

(٧) أنظر السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٥٦ ح٨٥٤٩ كنز العمال ١١: ٣٤٤ المصنف ٨: ٧٢٣ح٩.

الحق، فانسحب البعض منهم، وذهب بعضهم ذهب إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكاد الانشقاق يقع بينهم، فاحتال معاوية بحيلة تضحك منها الثكلى لسخافتها: فقال: قتله الذين أخرجوه[1]!،وبهذه المكيدة أخذ يضلّل على هذه المعمعة ويحرّف الأذهان،يا للعجب! فعلى كلام معاوية إنّ حمزة قتله النبي ﷺ، لأنه أخرجه.

يقول أحد الكُتّاب المصريين: الغريب من الأمر أن يعتري الناس الشك في أمرهم لمكان عمار، ولا يعتريهم الشك لمكان الإمام علي عليه السلام ويستدلّون على أنّ الحق مع أهل العراق بكون عمار بين أظهرهم، ولا يعبئون بمكان علي عليه السلام، ويحذرون من قول النبي ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» ويرتاعون لذلك، ولا يرتاعون لقول النبي ﷺ لعلي: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...»ولا لقوله ﷺ لعلي: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق» وهذا يدل بوضوح على أنّ علياً عليه السلام قد اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخمال ذكره، وستر فضائله، وتغطية خصائصه، حتى مُحي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة، إلا قليلاً منهم، ولكن ماذا نقول في أمر غاب فيه العقل، وغاب فيه اليقين، وصدق الإمام علي عليه السلام حيث يقول: ما قاتلت أمة قط أهل بيت نبيها وهي مقرّة بنبيها، غير هذه الأمة[2].

ثم اشتدّ القتال،فلم يسمع إلا وقع الحديد، ولم يشاهد إلا انكساف الشمس، وأنّ السماء مطرت دما، وقد تخاذل من في الميمنة من أهل العراق، فهتف بهم الأشتر ليرجعوا وشجّعهم على القتال، فاستمرّ مدة كانت نتيجته اقتراب جيش الإمام من مقر معاوية.

ففي الكامل لابن الأثير: تقدم علي عليه السلام على بغلة فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وقتلوا كل من انتهوا إليه حتى بلغوا معاوية وعلي يقول:

أقتلهم ولا أرى معاوية ... الجاحظ العين العظيم الحاوية

---

(١) أنظر المعجم الأوسط ٨: ٤٤، تاريخ دمشق ٤٣: ٤٨٠.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب للدكتور محمد بيّومي مهران: ٩٥ الجزء الثاني.

ثم نادى عليه السلام معاوية فقال: علامَ يقتل الناس بيننا؟ هلمّ أحاكمك إلى الله، فأينا قتل صاحبه استقامت له الأمور،فقال له عمرو: أنصفك عليٌّ...فقال له معاوية: ما أنصفت-يا عمرو-إنك لتعلم أنه لم يبرز لعلي بن أبي طالب أحد إلا قتله،فقال له عمرو: ما يحسن بك ترك مبارزته...فقال معاوية: طمعت فيها بعدي يا عمرو!؟، وفي رواية: أنه صاح بعمرو: ما أحمقك!...ليس مثلي يخدع عن نفسه إن تريد إلا قتلي[1].

لعلمه أنه ما وقف أحد من الأبطال في وجه عليٍّ إلا وسقى الأرض من دمه، فكيف لا يخشى من سيف عليٍّ البتار الذي أباد أشياخه يوم بدر و...؟!.

خدعة رفع المصاحف

وعلى أية حال ندع الكلام في شخصية معاوية وحليفه الغدار ونرجع إلى ساحة القتال وننظر ماذا فعلا عند ما بان عليهم الإنكسار وتشتّت الأفكار وخافا على أنفسهما الدمار، فإنه التفت عمرو إلى معاوية فقال: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا اجتماعاً، ولايزيدهم إلا فرقة؟ قال معاوية: نعم... .

قال عمرو:نرفع المصاحف ثم نقول: ما فيها حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها، وجدت فيهم من يقول بلى، ينبغي أن نقبل، فتكون فرقة تقع بينهم...! وإن قالوا: بلى...نقبل ما فيها، رفعنا هذا القتال عنا، وهذه الحرب إلى أجل أو إلى حين...[2].

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير٣: ١٥٨، العقد الفريد ٤: ٣٣٩ وزاد بعد قوله(أردتها يا عمرو) قال له: والله لا رضيت عنك يا عمرو حتى تبارز علياً، فبرز عمرو إلى عليٍّ متنكراً...فلما غشيه عليٌّ عليه السلام بالسيف رمى عمرو بنفسه إلى الأرض، وأبدى له سوأته، فضرب عليٌّ عليه السلام وجه فرسه وانصرف عنه، ورواها غيره بألفاظ مختلفة، فلاحظ الإمامة والسياسة ١: ١٠٧،وشرح النهج ٦: ٣٦٢. والذي يظهرمن البعض أنّ هذه الوقفة حدثت قبل ليلة الهرير، وقبل اشتداد الحرب. ولذلك قال معاوية يوماً لعمرو: لا أراك إلا وغلبني الضحك، قال عمرو: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبوتراب في صفين فأزريت نفسك فرقاً من شبا سنانه، وكشفت سوأتك له...فقال عمرو: أنا أشدّ منك ضحكاً...إني لأذكر يوم دعاك إلى البراز، فانتفخ سحرك وربا لسانك في فمك، وغصصت بريقك وارتعدت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك...فأنكر معاوية وجرى النزاع بينهما إلى أن قال معاوية: يا أبا عبد الله خفض عليك النزول إلى الجد...إنّ الجبن والفرار من عليٍّ لا عار عليّ فيهما. شرح النهج٦: ٣٦٧، وعنه في البحار٣٣: ٣٣١.

(٢) أنظر تاريخ الطبري ٤: ٣٤، الإمامة والسياسة١: ١١٥، الكامل في التاريخ لابن الأثير٣: ١٦٠.

وكان عمرو واثقاً بوقوع الخلاف في جيش عليٍّ عليه السلام لكان حلفائهم المتسللين في جيش عليٍّ عليه السلام، وكان الإمام يعرفهم وغير آمن من مكرهم.

فلما أصبح المقاتلون من ليلة الهرير، إذا هم بأهل الشام رافعين خمسمائة مصحف على رؤوس رماحهم،ينادون: الله الله يا أهل العراق من لذرارينا إن قتلتمونا و...هذا كتاب الله بيننا وبينكم...وقد علم الإمام بوقوع الفتنة، فقال: اللهم إنك تعلم إنهم ما الكتاب يريدون، فعرّف الناس بأنها خديعة وحذّرهم منها.

هناك وقع الخلاف في جيش الإمام عليه السلام وأخرج الشيطان قرنه وتدارك حزبه بعد ما أحسّ بفنائهم، فقام الأشعث بن قيس حليفهم المتخفي وقابل الأصحاب بالكلام الخشن وطلب كفّ القتال والاحتكام إلى كتاب الله، وتبعه على ذلك نفر من القرّاء فقال لهم الإمام: أنا أحق من يجيب إلى كتاب الله، ولكني أعرف بهم منكم، إنها كلمة حق يراد بها باطل، وإني ما قاتلتهم إلا ليدينوا بحكم القرآن، فكيف أرفض اليوم حكمه، إنّ القوم لم يرفعوا المصاحف لأنهم يريدون حكم القرآن، وإنما هي الخديعة والوهن والمكيدة، فأعيروني سواعدكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه.

بيد أنّ المعارضة بلغت مرتبتها في سرعة مريبة، وكأنها كانت منسّقة تولاها الأشعث، وألحّ المعارضون على الإمام في ترك القتال والأوبة إلى كتاب الله، وبلغ إصرارهم أن هدّدوا الإمام بتسليمه إلى معاوية، فاضطرّ عليه السلام إلى أن يرسل إلى الأشتر في الكف عن القتال، غير أنّ الأشتر كان على مقربة من إنهاء أمر معاوية، ولم يكن يفصل بينه وبينهم سوى عدوة فرس-على حدّ تعبيره-، فقال: إنها لحظات وينتهي كل شيء فكيف أعود؟!.

ولم يسمع أنصار التحكيم ردّ الأشتر حتى هدّدوا الإمام بالعمل المسلّح إذا لم يكف الأشتر قتاله بالفور، وهذا الإصرار والتهديد يكشف عن حقيقة موقف الأشعث وأصحابه الذي دفعتهم إلى إجهاض نصر مؤكد كان سيحققه جيش عليٍّ عليه السلام خاصة قوات الأشتر، ويقوّي الرأي بأنه كان يعمل لحساب معاوية.

فأرسل الإمام عليه السلام إلى الأشتر: أتحب أنك ظفرت ههنا، وإمامك بمكانه الذي هو فيه، يفرج عنه(في لفظ: يقتل)ويُسلّم إلى عدوّه؟ فقال الأشتر: سبحان الله لا والله لا

أحب ذلك، هنالك انسحب الأشتر عن أبواب الفتح مغضباً، وأقبل إلى المتمردين قائلاً: يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم القوم وظنّوا أنكم قاهروهم رفعوا المصاحف يدعوكم إلى ما فيها...! فلا تجيبوهم أمهلوني فإني قد أحسست بالفتح، وجرى بينهم الكلام إلى حدّ السب واللعان، فصاح بهم الإمام: كُفّوا، فصاح القوم: إنّ أمير المؤمنين قد رضي بالتحكيم، وكان الإمام ساكتاً لا يتكلّم طيلة هذه الفترة.

ولما سكتوا قال: أيها الناس إنّ أمري لم يزل معكم على ما أحب، إلى أن أخذت منكم الحرب...إلا أني أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، وقد أحببتم البقاء، وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون، فاضطربت الأقوال، وبثّ المهرّجون: أنّ أمير المؤمنين رضي بالتحكيم، فاستأذن الأشعث من الإمام أن يذهب إلى حليفه السري ويسأله عمّا يريد، فلمّا سأله، قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به ونبعث رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله، لا يعدوانه، ثم نتّبع ما اتفقا عليه، قال الأشعث: هو الحق، فعاد وأخبر الإمام.

وقال الناس: قد رضينا...وقبلنا...وقال أهل الشام: قد رضينا عمرو بن العاص.

وقال الأشعث ومن تبعه الذين انشقّوا بعد ذلك وصاروا خوارج...رضينا بأبي موسى الأشعري.

فتنة التحكيم

غير أنّ الإمام لم يرض به، لأنه كان عثمانياً وهو الذي خذّل أهل الكوفة عن الخروج لحرب أهل الجمل حين ولايته على الكوفة، فعزله الامام فاحتمى بمعاوية، فقال الإمام عليه السلام: قد عصيتموني في أول الأمر...فلا تعصوني الآن، لا أرى أن أولّي أبا موسى، لكن الأشعر وجماعته أصرّوا عليه وجادلوا الإمام بكل وقاحة وصلافة، وقالوا: لا نرضى إلا بأبي موسى فإنه قد حذّرنا ما وقعنا فيه، ورفضوا مقترحات الإمام من تعيين ابن عباس أو الأشتر وغيرهما.

فصفق الإمام بيديه وقال بكل عجب: يا عجباً أأُعصى ويطاع معاوية؟! فاصنعوا ماشئتم، فأرسلوا إلى أبي موسى، وقد كان بعض أصحاب الإمام عليه السلام

حذّر من انتخابه حكماً، لمعرفتهم بسوء سريرته وخذلانه وأنه إكليل الشفرة، ومن جهة أخرى أنّ عمرواً كان معروفاً بالمكر، وقد سُميّ بحجر الأرض(الداهية من الرجال)، وقد حارب الله ورسوله أول الإسلام، ولم يكن إسلامه عن رغبة وإيمان، لكن الإمام قد أُكره عليه، وقال: والله بالغ أمره.

نعم ما هي إلاّ مؤامرة بين المتعلقين بزخارف الدنيا من جيش الإمام، وأصحاب معاوية برئاسة عمرو بن العاص، وكان الإمام عليه السلام يعلم بوقوع الأمر الذي أخبر به حبيبه المصطفى ﷺ، وأنه لا محيص عنه، ومن ثم لما توجه أبو موسى للاجتماع مع ابن العاص وقد أدبر قال عليٌّ عليه السلام: كأني به وقد خُدِع، فقيل له: يا أميرالمؤمنين فلم توجهه وأنت تعلم أنه مخدوع؟ فقال: لو عمل الله في خلقه بعلمه ما احتج عليهم بالرسل[1].

فاجتمع الطرفان واتفقوا على الموادعة، وكتبوا في صورة الموادعة:هذا ما تقاضى عليه، عليٌّ أميرالمؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان...فلما قرأه معاوية قال: بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أميرالمؤمنين ثم قاتلته، فردّه فأُخبر الإمام بذلك فأمر بمحو كلمة أميرالمؤمنين، فكره ذلك الأحنف بن قيس، فقال الأشعث: إمح هذا الإسم.

الموادعة وإخبار الإمام عن انطباق نبوءة رسول الله ﷺ

هناك أخبر الإمام عليه السلام عن تكرار التاريخ وانطباق ما أنبأه رسول الله ﷺ فقال: إنّ هذا اليوم كيوم الحديبية حين كُتب الكتاب عن رسول الله ﷺ هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو...فقال سهيل:لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك، إني إذاً لظالم لك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا عليّ إني لرسول الله، وأنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبد الله، فاكتبها، وامح ما أراد محوه...أما إنّ لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد...**»، إنّ ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين، واليوم أكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله كتبه إلى آبائهم

---

(١) أنظر مناقب آل أبي طالب٢: ٩٨، وعنه في البحار٤١: ٣١٠.

شبهاً ومثلاً[1]، فقال عمرو: سبحان الله أتشبّهنا بالكفار، ونحن مسلمون...!؟فقال الإمام عليه السلام: يا بن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليّا...وللمسلمين عدوّاً...!؟.

وتحقق ما أنبأ به رسول الله ﷺ في أمر الحكمين من قوله: «إنّ بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالّين... ولا ينفكّ أمر أمتي حتى يبعثوا حكمين يضلان ويُضلاّن من تبعهما»...وصدقت نبوءته ﷺ في أبي موسى عند ما صار أحد الحكمين فضلّ وأضلّ من تبعه.

ولما تمت المعاهدة وختم عليها من الطرفين فرح بها الأشعث فرحاً شديداً لما يرى من نجاح مؤامرته الدنيئة التي عقد عليها العمل مع معاوية وعمرو سراً، وراح يتلوها على جيش الإمام، ففرح بها كثير من أهل اليمن، ودعاة الهدنة والمخدوعين والمنافقين والمغترّين بزخارف الدنيا، وكل من أنهكته الحرب و...فرجع معاوية ومن معه إلى دمشق آمناً بعد ما كاد أن يهلك.

تولّد الخوارج

ومن جانب آخر: قالت طائفة: لا حكم إلا الله، فأين قتلانا يا أشعث؟ وحمل بعضهم على الأشعث ليقتله، وأقبلوا على الإمام مستنكرين الحكم وطلبوا منه نقض العهد والرجوع إلى الحرب، فقال الإمام عليه السلام: ويحكم أبعد الرضى والميثاق والعهد نرجع؟! أليس الله تعالى قال: ﴿ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾،وقال: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾[2]، فامتنعت هذه الفئة-وهي الألوف من جيش الإمام-من قبول المعاهدة، وظهرت فتنة أخرى قبل أن تنتهي سابقتها، وبانت الفُرقة وانكشف الغطاء عن فرقة أخرى كانت مستترة تسمّى الخوارج، التي أنبأ رسول الله ﷺ عن ظهورها، وسمّى رؤسائها ووصفهم،بأنهم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية و...».

---

(١) وفي رواية: إنّ الأشعث جاء إلى عليٍّ فقال: امح هذا الإسم، فقال عليٌّ عليه السلام: لا إله إلا الله والله أكبر...سنّة بسنّة...أما والله لعلى يدي دار هذا الأمر يوم الحديبية حين كتبت عن رسول الله.(أنظر وقعة صفين لابن مزاحم: ٥٠٨، ونحوه في أمالي الطوسي: ١٨٧، وعنه في البحار٣٣: ٣٦٦).

(٢) الآية الاولى في سورة المائدة: ١، والثانية في سورة النحل: ٩١.

فلما رجعوا الكوفة اعتزلوا عن الإمامعليه السلام وانحازوا عنه إلى حروراء فنُسبوا إليها(الحرورية)وأذن مؤذن بينهم ألا إنّ على الحرب شبث بن ربعي التميمي، وعلى الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري، والبيعة لله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذاك اليوم نشأ في الإسلام حزب جديد وانعقدت نطفة معركة النهروان، وعلى أية حال، فلننظر ماذا فعل الحكمان.

تحقق نبوءة رسول اللهﷺ في أبي موسى الأشعري

نعم كان من أمر التحكيم أنه توجه الأشعري للاجتماع بابن العاص وكان قد حذّره الناس من مكيدة ابن العاص وسوء سابقته، ليتخذ التدابير اللازمة، ويكون على بصيرة من أمره ولاينغدر، وذلك لعدم ثقتهم بعقله وإيمانه، على أنّ عمار بن ياسر قد حذّره من قبول التحكيم وذكّره نبوءة رسول اللهﷺ فيه وتحذيره إياه، حيث قال: «**ستكون في أمتي فتنة أنت يا أبا موسى فيها نائم خير منك قاعداً، وقاعد خير منك قائماً، وقائم خير منك ماشياً**» لكن كان كل هذا بلا جدوى، بل كان عمله خلاف ما أُرشد، والنتيجة معكوسة.

فلما اجتمعا في المكان المعدّ لهما، وبعد سؤال وجواب، وخداع وتزوير قال الأشعري: قد علمت أنّ أهل العراق لا يحبون معاوية أبداً وأنّ أهل الشام لا يحبون علياً أبداً، فهلّم نخلعهما، ونستخلف عبد الله بن عمر بن الخطاب،- وعلى نقل كان الاقتراح من عمرو-، فقال عمرو: أيفعل ذلك ابن عمر؟ قال: نعم، إذا حمله الناس على فعل ذلك، فقال عمرو: فهل لك في سعد بن أبي وقاص؟ قال: لا، فذكر ابن العاص جماعة، والأشعري لا يرضى بهم، وكل هذا كان مراوغة من ابن العاص ليستغفله، فقال عمرو: قم واخطب، فقال الأشعري: قم أنت واخطب، فامتنع ابن العاص، فقام الأشعري- بعد ما انخدع من مراوغات ابن العاص وتحيّله- وخرج من الخيمة، وقد اجتمع جمع من أصحاب الإمامعليه السلام ومثلهم من أصحاب معاوية، فقال الأشعري:

أيها الناس، إنا نظرنا في أمرنا فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح ولمّ الشعث، وحقن الدماء وجمع الألفة خلعنا علياً ومعاوية، وقد خلعت علياً

كما خلعت عمامتي هذه، وخلع عمامته من رأسه الميشوم، واستخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله ﷺ بنفسه وصحب أبوه النبي ﷺ فبرز في سابقته وهو عبد الله بن عمر، وأطراه ورغّب الناس فيه، ثم نزل.

فقام عمرو وقال: أيها الناس إنّ أبا موسى عبد الله بن قيس قد خلع علياً وأخرجه من هذا الأمر الذي يطلب، وهو أعلم به، ألا وإني خلعت علياً وأثبتّ معاوية عليّ وعليكم.

فقال الأشعري: كذب عمرو لم نستخلف معاوية، ولكنا خلعنا معاوية وعلياً.

فقال عمرو: بل كذب عبد الله بن قيس، قد خلع علياً ولم أخلع معاوية.

فقال الأشعري: مالك لاوفقك الله؟! غدرت وفجرت؛ إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، فضرب عمرو أبا موسى فسقط، وضرب شريح عمراً بالسوط، فركب الأشعري راحلته وتوجّه إلى مكة وحلف أن لا ينظر في وجه عليٍّ.

وهناك اضطربت الناس وخرجت الخوارج معترضة على عليٍّ عليه السلام، مع أنه كان قد حذّرهم من هذه الفتنة وامتنع من تحكيم أبي موسى، لكنهم أصرّوا عليه، ولما بلغه ما آل إليه أمر التحكيم تكلّم في أصحابه فقال:

أما بعد، قد أخبرتكم أنّ هذا يكون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غير أبي موسى فأبيتم عليّ ولا سبيل إلى حرب القوم حتى تنقضي المدة، ثم تكلّم ابنه الحسن وابن عباس وعبد الله بن جعفر بشأن الرجلين، وأعلموا الناس بخطئهم في أمر التحكيم، وإنه بما كسبت أيديهم ولعدم امتثال أمر إمامهم.

والذي انتفع من هذا السيناريو هو معاوية وأصحابه، وتحققت أهدافه الظالمة في تحكيم قواعد حكومته، وأنتجت ضربة قاسية على المسلمين إذ جرت عليهم الويلات ومزّقت صفوفهم كما أخبرهم أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تحقق جميع ما أنبأ به النبي ﷺ من قتال القاسطين والأحداث التي وقعت ضمنها[1].

---

(١) تجد مصادر هذه الوقعة في كتاب صفين لابن مزاحم، العقد الفريد٤: ٣٤٧،تاريخ المسعودي سنة ٣٨، تاريخ الطبري سنة ٣٧، الكامل لابن الأثير٣: ١٤١سنة ٣٧، البداية والنهاية ٧: ٢٦٦.

قتال المارقين (الخوارج)

سبق أن قلنا إنّ حزب الخوارج ظهر في صفين على أثر مؤامرة التحكيم التي أثاروها بأيدهم وأكرهوا الإمام عليها، ولما انعقدت المعاهدة وخُتم عليها وأُخذ عليها الشهود اعترضوا عليها وأثاروا فتنة أخرى، وكلما نصحهم الإمام وحاججهم كان بلا جدوى، بل أخذهم العناد واللجاج وتسلّط عليهم الشيطان، وطلبوا من الإمام أن يقاتلهم مرة ثانية، فدخل على الإمام زرعة الطائي وحرقوص بن زهير-ذو الثدية-فقالا: لا حكم إلا الله.

فقال عليٌّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل، فقال ذو الثدية: تُب من خطيئتك، وراجع عن قصتك واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا.

فقال الإمام عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وشروطاً وأعطينا عليهم عهوداً ومواثيق وقد قال الله: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ فقال ذو الثدية ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه، فقال الإمام عليه السلام في جوابه: لوكنت إماماً لما رجعت، ويلكم قد رجع رسول الله عام الحديبية عن قتال أهل مكة، فقال زرعة: أما والله لئن لم تتب من تحكيمك الرجل لأقتلنّك أطلب بذلك وجه الله، فقال عليه السلام: بؤساً لك ما أشقاك، كأني بك قتيلاً تسفي عليه الرياح، قال زرعة: وددت أنه كان ذلك[1].

وهذه نبوءة منه عليه السلام، أخبره عنها وغيرها رسول الله ﷺ بمواصفاتها.

وقد أنبأ عن مثلها لرجل من خثعم بعد ما أبى أن يبايعه إلا أن يزيد سُنّة أبي بكر وعمر، فقال عليٌّ عليه السلام: أما والله لكأني بك قد نفرت في هذه الفتنة، وكأني بحوافر خيلي قد شدقت وجهك.

فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان، قال الراوي: فرأيته يوم النهروان قتيلاً، قد وطأت الخيل وجهه وشدخت رأسه، ومثّلت به، فذكرت قول علي عليه السلام وقلت: لله درّ أبي الحسن!! ما حرّك شفتيه قط بشيء إلا كان كذلك[2].

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٥٢،أنساب الأشراف: ٣٥٥،شرح النهج٢: ٢٦٨، البحار٤: ٣٣٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ١٦٥، تاريخ الطبري٣: ١١٦، وذكر أنّ الرجل هو ربيعة بن أبي شداد.

ولكن الإمام عليه السلام استمرّ في الوعظ والإرشاد والإعذار، فلم ير منهم إلا العناد والإصرار على المقاطعة وعدم الانصياع لولاية الأمر، ولم يكتفوا بالانعزال، بل بادروا بارتكاب أعمال غايتها إشعال نار الحرب ضد الإمام عليه السلام.

فمنها: إنهم رأوا عبد الله بن خباب راكباً على حمار ومعه زوجته وهي حامل، فسألوه أسئلة، منها: فما تقول في عليٍّ بعد التحكيم؟ قال: إنّ علياً أعلم بالله وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة، فأضجعوه على قرب النهر وذبحوه أمام عين امرأته، ثم عمدوا إلى زوجته فشقّوا بطنها وهي حامل، وقتلوا ثلاثة نسوة من طيء وقتلوا أم سنان الصيداوية[1]، وروي أنهم قالوا لخباب: ما سمعت من أبيك يحدث عن رسول الله ﷺ؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**ستكون فتنة بعدي، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً**»[2].

وفي رواية قال ﷺ: «**إنّ طائفة تمرق من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقرءون القرآن، صلاتهم أكثر من صلاتكم...**»[3].

وهكذا كان خروجهم ومروقهم عن الدين، فأخذوا يعملون برأيهم ويقتلون من عثروا عليه من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام لاعتقادهم بكفر عليٍّ ومن تبعه، وهم أهل الدين والقرآن، وليس هذا إلا لاجل اغترارهم بقراءة القرآن ونسكهم وجباههم السود التي اشتهروا بها، وهذه نتيجة النسك وتلاوة القرآن وكثرة السجود السطحية التي لم تبن على أساس قوي، فتراهم يخرجون على إمام زمانهم ويتركون أوامر نبيهم، ويعملون على سلائقهم التافهة[4].

---

(١) تاريخ الطبري٤: ٦٠-٦١.

(٢) الإمامة والسياسة١: ١٦٧، شرح النهج ٢: ٢٨١-٢٨٢، وعنه في البحار ٣٣: ٣٤٦.

(٣) شرح النهج ٢: ٣٦١، العمدة لابن بطريق: ٤٤٤.

(٤) أقول: وما حدث لهؤلاء من الانحراف، تراه يحدث لكل من كانت عبادته قشرية عارية عن المعرفة والبصيرة، وقد شاهد التاريخ أمثالهم، ومن ثم ورد في الأحاديث الحثّ على تحصيل المعرفة وكثرة التفكّر، فقد سُئل رسول الله ﷺ عن معرفة الله سبحانه؟ قال: «**معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته**».(علل الشرائع١: ٩، وعنه في البحار ٥: ٣٦٢). وروي: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة.وفي لفظ: سبع سنين وفي لفظ: عشر سنين. (أنظر عوالي اللئالي ٢: ٥٧، تفسير العياشي ٢: ٢٠٨). ولهذا ورد بأنّ أكثر عبادة أبي ذر التفكر، (أنظر الخصال للصدوق: ٤٢ح٣٣، وعنه في

ومن ثم أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن هذا الأمر وأعطى أوصافهم وبيّن فعالهم ليعتبر الآخرون عند ما رأو انطباق ما أخبر به في هؤلاء الخوارج، فمنها قوله ﷺ: «ذلقة ألسنتهم بالقرآن لايجاوز تراقيهم» وقوله: «يحقّر أحدكم عمله مع عملهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان» وقوله ﷺ: «سيماهم التحليق» وقوله ﷺ: «يحسنون القيل ويسيئون الفعل» ومن ثم أمر بقتلهم وكان يتمنى أن يكون ممن يقاتلهم، قائلاً: «إذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنّ المأجور من قتلهم» وقال: «إذا خرجوا فاقتلوهم، طوبى لمن قاتلهم وقتلوه» وقال: «لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد».

والمستفاد من كلامه ﷺ فيهم أنه لا اعتداد بنسكهم وكونهم من القرّاء، وإنهم بحكم الكفار، بل أشدّ وأعظم جرماً ممّن حارب رسول الله ﷺ، لأنّ الكفار كانوا أهل جاهلية وهؤلاء قرؤا القرآن وعرفوا أهل الفضل فأتوا ما أتوا، وإنّ المشركين لم يقرّوا بالإسلام، وهؤلاء أقروا بالإسلام ثم جحدوه.

وليت شعري أنهم نسوا أم تناسوا كلام رسول الله ﷺ الذي رواه عنه أبو سعيد الخدري في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ قال: «أصحاب الجنة من أطاعني وسلّم لعليٍّ الولاية، و أصحاب النار من نقض البيعة والعهد وقاتل علياً بعدي، ألا إنّ علياً بضعة مني فمن حاربه فقد حاربني» ثم دعا علياً فقال: «يا عليّ حربك حربي وسلمك سلمي وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي»[1].

وقوله ﷺ: «ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنه الفاروق بين الحق والباطل»[2]، وسائر كلماته في التسليم لعلي عليه السلام ونصرته، وأنه المعيار بين الحق والباطل والإيمان والكفر التي ملأت كتب الفريقين.

والحاصل أنه لما بلغ الناس صنيع الخوارج وفعالهم الشنيعة خافوا إن هم ذهبوا إلى الشام واشتغلوا بقتال أهلها أن يخلفهم هؤلاء في ذراريهم وديارهم

البحار٢٢: ٤٣٦). وفُضّل العالم النائم على الجاهل العابد (أنظر السرائر لابن إدريس: ٦٢٠).

(١) تفسير فرات الكوفي: ٤٧٧، والآية في سورة الحشر: ٢٠.

(٢) أنظر المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢٨٧، مناقب الخوارزمي: ١٠٥ح١٠٨،البحار٤٠: ٧٥.

بهذا الصنع، فطلبوا من الامام عليه السلام أن يبدأ بالخوارج، ثم إذا فرغ منهم ذهب إلى أهل الشام والناس آمنون من شرّهم، فاجتمع الرأي عليه.

لكنه عليه السلام لم يبادر على الحرب إلا بعد أن أرسل إليهم من ينذرهم، فقتلوه قبل أن يتكلم معهم، وبذلك خالفوا العرف السياسي والسنن الاجتماعية المتداولة من القديم، من أنّ الرسول لا يقتل[1].

فلم يرَ الإمام بُدّاً من قتالهم وإبادتهم قبل أهل الشام، فلما وصل إليهم خاطبهم أن ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم، أقتلهم بهم، ثم أنا تاركم وكاف عنكم حتى ألقى أهل الشام، فلعلّ الله يُقبل بقلوبكم ويردّكم إلى خير مما أنتم عليه من أمركم، فكان جوابهم: كلّنا قتلهم وكلّنا مستحلّ لدمائكم ودمائهم... .

ثم خرج إليهم أصحاب الإمام ودعوهم للرجوع عن غيّهم وحذّروهم من الفتنة التي شملتهم، فما كان حاصله إلا اللجاج والإصرار على رأيهم السخيف، فخرج إليهم أميرالمؤمنين مرة أخرى ونصحهم فقال:... إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غداً وأنتم صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم ولا برهان بيّن...[2]،وبه أنبأهم عن مصيرهم فلم يزدهم إلا لجاجاً، ثم خطب بهم بعد أيام وأنذرهم، فلم يرتدعوا، وتقدم ذو الثدية وعبد الله بن وهب وقالا: ما نريد بقتالنا إياك إلا وجه الله والدار الآخرة، فقال علي عليه السلام: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[3].

قول علي عليه السلام: والله لا يقتلوا منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة

وروي أنه لما انصرف عنهم أُخبر بأنّ الخوارج قصدوا جسر النهر وكانوا غربه، فقال بعض الأصحاب إنهم عبروا النهر، فقال عليه السلام: لن يعبروا، فأرسلوا طليعة، فعاد وأخبرهم أنهم عبروا النهر، وكان بينه وبينهم عطفة من النهر،

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير٧: ٢٨٦، الإمامة والسياسة: ١١٩.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٦٨، تاريخ الطبري٤: ٦٢.

(٣) الكهف: ١٠٣.

فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد، فقال: إنهم قد عبروا النهر.

فقال عليٌّعليه السلام: والله ما عبروه، وإنّ مصارعهم لدون الجسر، والله لا يُقتَل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة[1]، وهذا إنباء آخر منه بالغيب.

وتقدم الإمامعليه السلام إليهم فرآهم عند الجسر لم يعبروه، وكان الناس قد شكّوا في قوله وارتاب بعضهم، فلما رأوا الخوراج لم يعبروا كبّروا، وأخبروا علياً بحالهم...،فقالعليه السلام: والله ما كذبت ولا كُذِّبت[2].

وفي آخر محاولة في سبيل التجنّب من إراقة الدماء أعطى الامام أبا أيوب الأنصاري راية وأمره أن يرفعها ويقول: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن...إنه لا حاجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا، فانصرف منهم طوائف كثيرون وبقي منهم أربعة آلاف مصرّين على العناد، فقال الإمامعليه السلام:كفّوا عنهم حتى يبدؤكم، فأقبلت الخوارج برئاسة حرقوص بن زهير ذو الثدية وعبد الله بن وهب ذو الثفنات، وصلحوا صيحتهم المعروفة وهجموا هجمة رجل واحد، وتلقّاهم عليٌّعليه السلام وأصحابه لقاء من نفذ صبره ووغرصدره، فما هي إلاساعة حتى قُتِل معظم الخوراج وفيهم عبد الله بن وهب ذوالثفنات، ولم ينج منهم إلا تسعة، ولم يُقتل من أصحاب الإمام إلا تسعة بعدد من سلم من الخوارج، كما أنبأ به أميرالمؤمنينعليه السلام قبل بدء القتال.

تحقق نبوءة رسول اللهﷺ في ذي الثدية

ولما وضعت الحرب أوزارها، طلب الإمام ممن حوله أن يأتوه بذي الثدية من بين القتلى، فبحثوا عنه ولم يجدوه، فاستغرب الإمام وقال: والله ما كذبت ولا كُذِّبت، ويحكم التمسوا الرجل فإنه في القتلى، فبحثوا عنه مرة أخرى ولم يجدوه، فخرّ الإمام ساجداً وسجدوا معه فرفع رأسه وقال: والله ما كذبت ولا كُذِّبت

---

(١) الكامل في التاريخ٣: ١٧٤، شرح النهج٢: ٢٧٢، الخرائج والجرائح١: ٢٢٦ باختلاف في اللفظ.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ١٧٤، شرح النهج٢: ٢٤٥، والمناقب لابن شهر آشوب٢: ١٠٤، وفيه: لايبلغون إلى قصر بورى بنت كسرى فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقل كما هي، قال: فأخذ بقفاي ودفعني ثم قال: يا أخا الأزد ما تبين لك الأمر؟ فقلت: أجل... .

ولقد قتلتم شرّ الناس، فذهب بنفسه ومعه نفر من أصحابه فوجدوه في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً، فلما استخرجه نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود، فإذا مُدّت امتدت حتى تحاذي يده الطولى، ثم تُترك فتعود إلى منكبيه، فقال عليٌّ عليه السلام: الله أكبر ما كذبت ولا كذبت، لو لا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضىّ الله على لسان نبيه ﷺ لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه[1].

وبذلك صدق ما أنبأ به رسول الله ﷺ في مقتل ذي الثدية عند ما اعترض عليه ذو الخويصرة التميمي في تقسيم غنائم حنين وقال له: اعدل يا محمد- وكررها ثلاث مرات- فقال ﷺ: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل...**»فقال عمر: ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقه!! فقال ﷺ: «**دعه فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون، يخرجون على حين فرقة من الناس، تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم... آيتهم رجل أسود- أو قال- أدعج مخدج اليد، إحدى يديه كأنها ثدية امرأة أو بضعة تدردر**»[2].

ولما أُخبر سعد بن أبي وقاص بقتل ذي الثدية، قال: قتل عليُّ بن أبي طالب شيطان الردهة، لأنه سمع من رسول الله ﷺ أنه سمّاه «**شيطان الردهة**» حينما أنبأ عن مقتله[3].

وقد سألت عائشة بعد النهروان عن المخدج، فأُخبرت بقتله، وطلبت على ذلك شهوداً فأقيم لها، فقال الراوي: قلت لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي

---

(١) شرح النهج٢: ٢٦٦، الكامل لابن أثير٣: ١٧٤،الإرشاد للمفيد١: ٣٧٠،وعنه البحار٤١: ٢٨٣. وفي مروج الذهب٢: ٤٠٢-٤١١: ...قام عليٌّ-حين لم يعثروا على المخدج-وعليه أثر لفقده، فانتهى إلى قتلى بعضهم فوق بعض، فقال: أفرجوا، ففرّجوا يميناً وشمالاً....واستخرجوه، فقال عليٌّ عليه السلام: الله اكبر ما كذبت على محمد، وأنه لناقص اليد ليس فيها عظم، طرفها حلمة مثل ثدي المرأة عليها خمس شعرات أو سبع، رؤوسها معقفة... .

(٢) شرح النهج ٢: ٢٦٦، وعنه في البحار ٣٣: ٣٣٩، البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٢٩٧، الدعج: شدة سواد العين مع اتساعها، تدردر: أي ترجرج، تجيء وتذهب، المخدج: كل مشوّه الخلقة في أحد أعضائه، أو من أخرجه الله ناقص العضو. وفي شأن ذي الثدية تقدمت روايات أُخَر في غزوة حنين.

(٣) أنظر مسند أحمد ١: ١٧٩ح٧٤، المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٧٣٩، مجمع الزوائد ٦: ٢٣٤.

سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ فقالت: نعم، سمعته يقول: «إنهم شرّ الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة...»[1].

ثم إنّ هذا الانتصار وإن تمّ لعليٍّ عليه السلام، لكنه لم يغنه عن الأعداء إلا قليلاً، على ما كلّفه وأصحابه من مشقة وتعب، ولم تخمد الفتنة من أساسها، حيث إنّ من قابله من الخوارج في النهروان هم الأقلية، وقد انسحب كثير منهم عن القتال ورجعوا إلى مواطنهم يعايشونه ويعايشون عماله في أطراف البلاد موتورين، محتفظين بآرائهم الفاسدة ولم تغيّر الهزيمة منها شيئاً، بل زادتها بلّة وقوة وحرصاً على طلب الثار، فانتشروا في أطراف السواد ينفثون في آذان الناس ويخذّلونهم عن نصرة الإمام عليه السلام، وساعدهم على ذلك تعب الناس من القتال وظهور الفتن واحدة بعد أخرى، ومن ثم لما أراد الإمام عليه السلام أن يخرج إلى أهل الشام من فوره، وأخذ يعدّ العدّة للمسير إليهم، سرعان ما تصدّى له الأشعث بن قيس[2] مرة أخرى، كما تصدّى له في كل فرصة أحسّ فيها بالخطر على مخالفيه من أهل الشام، فقال على مسمع من الناس: يا أمير المؤمنين؛ نفذت نبالنا، وكلّت سيوفنا وفصلت أسنة رماحنا، فارجع بنا إلى عقرنا... .

هذا والإمام بالناس قد عسكر بالنخيلة، وأمرهم بالبقاء في معسكرهم وأن يوطّنوا أنفسهم على الجهاد وأن يقلّوا من زيارة أبنائهم ونسائهم حتى يسيروا إلى عدوهم، فما كان إذ رآهم تسلّلوا أفراداً وجماعات ودخلوا الكوفة وانشغلوا بلذائذهم وتركوه مع نفر يسير من وجوه الناس وهم لا يغنون عنه شيئاً، فأيقن الإمام أنّ الناس مارقون منه ولا طاعة له عليهم، إذا دعاهم بعدها

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد٢: ٢٦٦-٢٦٧، المسترشد للطبري: ٢٨٠ح٩٢ عن المسعودي.

(٢) ومن كثرة عداء الأشعث لأمير المؤمنين عليه السلام روي أنه بنى منذنة في داره فكان يرقى إليها إذا سمع الأذان في أوقات الصلاة في جامع الكوفة فيصيح من أعلى منذنته: يا رجل إنك لكذّاب ساحر. وكان أمير المؤمنين يسمّيه: «عنق النار»، وفي رواية: «عرف النار»، فسئل عليه السلام عن ذلك، فقال: إنّ الأشعث إذا حضرته الوفاة دخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء فتحرقه، فلا يدفن إلا وهو فحمة سوداء، فلما توفّي نظر من كان حضره إلى النار وقد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى أحرقته، وهو يصيح ويدعو بالويل والثبور، (مناقب آل أبي طالب٢: ٩٩، وعنه في البحار٤١: ٣٠٧)، وهذه نبوءة منه عليه السلام تحققت في الأشعث.

للقتال، بل لهفي عليه قد أصبح والقليل من أصحابه بين عدوّين، أهل الشام أمامهم، والخوارج خلفهم، وكلا الفريقين يحاربونهم حرب الكفار، يستحلون دماءهم وأموالهم وديارهم وأعراضهم ولا أمان من مكرهم وخديعتهم.

ومع ذلك كله، صعد عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وحرّضهم للقتال مرة أخرى، كي يعذر ويتم الحجة، فتركهم أياماً ثم دعا وجوههم، فسألهم عن رأيهم، فمنهم المعتلّ، ومنهم المتكرّه، وقليل من نشط وتهيأ للجهاد.

خذلان الناس علياً عليه السلام وإنذاره عما سيجري عليهم بعده

هناك خطب الامام عليه السلام خطبة يُعرف منها عظم ما قاساه من المحن والمصاب، وكثرة صبره ومداراته مع الناس، بما تتصدع منه الجبال الراسية والقلوب القاسية، وتذرف عليه العيون الجامدة، فعاتبهم على فعالهم وخذلانهم للحق، بلسان فصيح وكلام بليغ لا يسع المجال ذكره بتمامه، بل نذكرمنها ما يناسب هذه الدراسة من النبوءات التي أنبأ عنها الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله.

فمنها قوله: أصبحت لا أطمع في نصرتكم، ولا أصدّق قولكم، فرّق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي، وأعقبكم بعدي من هو شرٌّ لكم مني، أما إنكم ستلقون بعدي ذُلاً شاملاً، وسيفاً قاتلاً، وأثرة يتخذها الظالمون بعدي عليكم سُنّة، تُفرّق جماعتكم وتُبكي عيونكم، وتُدخل الفقر بيوتكم، تمنّون والله عندها أن لو رأيتموني ونصرتموني، وستعرفون ما أقول لكم عما قليل.

وهذه الكلمات ونظائرها تُعدّ من معاجز الإمام عليه السلام والنبي المختار صلى الله عليه وآله، وسرعان ما تحققت بعده على أيدي الشجرة الملعونة وجرى على الناس ما جرى من شنيع ظلمهم، وعرف الناس صدق ما قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام، وندموا ولن ينفعهم الندم.

ومنها: قوله عليه السلام: والله يا أهل العراق، ما أظنّ هؤلاء القوم من أهل الشام إلا ظاهرين عليكم، فقالوا: أبعلم تقول ذلك يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني أرى أمورهم قد علت، وأرى أموركم قد خبت، وأراهم جادّين في باطلهم، وأراكم وانين في حقكم، وأراهم

مجتمعين، وأراكم متفرقين، وأراهم لصاحبهم معاوية مطيعين، وأراكم لي عاصين.

أما والله لئن ظهروا عليكم بعدي لتجدنّهم أرباب سوء، كأنهم والله عن قريب شاركوكم في بلادكم، وحملوا إلى بلادهم منكم، وكأني أنظر إليكم تُكَشّون كشيش الضباب، لا تأخذون لله حقاً ولا تمنعون له حرمة، وكأني أنظر إليكم يحرمونكم ويحجبونكم، ويدينون الناس دونكم، فلو قد رأيتم الحرمان ولقيتم الذلّ والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسّرتم على تفريطكم في جهاد عدوكم، وتذكرتم ما أنتم فيه من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار.

فقال الناس: قد علمنا يا أمير المؤمنين أنّ قولك كلّه وجميع لفظك يكون حقاً، أترى معاوية يكون علينا أميراً؟ فقال: لا تكرهون إمرة معاوية، فإنّ إمرته سلم وعافية، فلو قد مات رأيتم الرؤوس تندر عن كهولها كأنها الحنظل، وعداً كان مفعولاً، فأما إمرة معاوية فلست أخاف عليكم شرّها، ما بعدها أدهى وأمرّ.

وقام أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه فنصح القوم وحثّهم على الجهاد مع أمير المؤمنين عليه السلام وحذّرهم عن مخالفته، فلم يستجيبوا، وقام رجل فاقترحوا عليه ما لا يلائم عدله، فأبى عنه، ثم قال في بني أمية:...وأيم الله لا يدعون بعدي محرّماً إلا استحلّوه ولا يبقى بيت وبر ولا مدر إلا أدخلوه ظلمهم حتى يقوم الباكيان منكم، بالٍ لدينه وبالٍ لدنياه، وحتى تكون نصرة أحدكم كنصرة العبد لسيده إذا شهد أطاعه، وإذا غاب سبّه، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أتظنّ ذلك كائناً؟ قال: ما هو بالظن ولكنه اليقين[1].

انتظار الشهادة ولقاء الأحبة، والإنباء عما سيقع بعده

وعلى جرّاء ما رأى من غدر الناس وخديعتهم أخذ يكثر من تمني الموت ولقاء الأحبة وينتظر ساعة استشهاده، فمن ذلك أنه لما أُخبر عما جرى في الأنبار، قال في خطبته: أما والله لوددت أنّ ربي قد أخرجني من بين أظهركم إلى رضوانه، وإنّ المنية لترصدني، فما يمنع أشقاها أن يخضبها؟ -وترك يده على رأسه ولحيته- عهداً عهده إليّ النبي الأمي، وقد خاب من افترى ونجا من اتقى وصدّق بالحسنى[2].

---

(١) لاحظ الإمامة والسياسة ١: ١٧٠-١٧٤. تندر: أي تسقط عن أجسامها فتصير كالحنظل.

(٢) الارشاد للمفيد ١: ٢٨٠، الاحتجاج ١: ٢٥٦، البحار٤٢: ١٩٠.

وظلّ عليٌّ عليه السلام يكرر من الإنباء عن سرعة الارتحال وارتياحه منهم، ويخبرهم عما سيقع بعده وقد تقدم نبذة منه، ومنه ما جاء في خطبة اللؤلؤة: ألا وإني ظاعن عن قريب ومنطلق إلى المغيب فارتقبوا الفتنة الأموية والمملكة الكسروية، وإماتة ما أحياه الله وإحياء ما أماته الله، واتخذوا صوامعكم بيوتكم، وعضوا على مثل جمر الغضا، واذكروا الله كثيراً فذكره أكبر لو كنتم تعلمون... .

وقال عليه السلام: وتُبنى مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات، فلو رأيتموها مشيّدة بالجص والآجر مزخرفة بالذهب والفضّة واللازورد المستسقى والمرمر والرخام وأبواب العاج والأبنوس والخيم والقباب والستارات، وقد عُلّيَت بالساج والعرعر والصنوبر والشبّ،وشُيّدت بالقصور وتوالت عليها ملك بني الشيصبان أربعة وعشرون ملكاً على عدد سنيّ الكديد، فيهم السفاح والمقلاص والجموع والخدوع والمظفّر والمؤنّث والنظار والكبش والمتهور والعشّار والمضطلم والمستصعب والعلاّم والرهباني والخليع والسيار والمترف والكديد والأكتب والمسرف والأكلب والوثيم، والظلاّم والعينوق، وتُعمل القبة الغبراء ذات الفلاة الحمراء، وفي عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه بين الأقاليم كالقمر المضيء بين الكواكب الدُرّية، ألا وإنّ لخروجه علامات عشر، أولها طلوع الكوكب ذي الذنب، ويقارب من الحلاي، ويقع فيه هرج ومرج وشغب وتلك علامات الخصب، ومن العلامة إلى العلامة عجب فإذا انقضت العلامات العشر إذ ذاك يظهر بنا القمر الأزهر وتمّت كلمة الإخلاص لله على التوحيد[1].

---

(١) كفاية النصوص: ٢٨و٢٩، وعنه في البحار٤١: ٣٢٩،كفاية الأثر للخزاز: ٢١٤.الشب: شيء من قبيل الزاج من الجواهر التي أنبتها الله في الأرض.قال المجلسي: الشيصبان إسم الشيطان، وبنو العباس هم أشراك الشيطان، وإنما عدّهم أربعة وعشرين مع كونهم سبعة وثلاثين لعدم الاعتناء بمن قلّ زمان ملكه وضعف سلطانه منهم، أو يكون المراد بيان عدد البطون التي استولوا على الخلافة لا عدد آحادهم، فإنّ آخرهم كان الخامس والعشرين أو الرابع والعشرين من أولاد العباس، والمراد بالكديد إما ثامن عشرهم وهو المقتدر، كما وقع فيما عدّه عليه السلام الثامن عشر، فإنه كان مدة خلافته أربعاً وعشرين سنة وأحد عشر شهراً، أو الحادي والثلاثون منهم بناء على سقوط من سقط منهم قبل ذلك، فإلى العينوق يتم سبعة وثلاثون تمام عددهم، والحادي والثلاثون هو المقتفي، وكان زمان خلافته أربعاً وعشرين، ويحتمل أن يكون المراد عدد لفظ الكديد فإنه ثمانية وثلاثون بانضمام

استشهاد الامام أمير المومنين عليه السلام

وعند حلول آخر رمضان من عمره الشريف خطب الناس وأنبأهم باستشهاده فيه، فقال عليه السلام: أتاكم شهر رمضان وهو سيّد الشهور وأول السنة، وفيه تدور رحى السلطان، ألا وإنكم حاجّوا العام صفاً واحداً، وآية ذلك أني لست فيكم، قال أصبغ بن نباتة: فهو ينعى نفسه ونحن لا ندري[1].

وفي خطبة له عليه السلام في مسجد الكوفة قال: معاشر الناس إنّ الحق قد غلبه الباطل، وليغلبنّ الباطل عما قليل، أين أشقاكم-أو قال أين شقيكم-هذا، فوَ الله ليضربنّ هذه فليخضبنّها من هذه، وأشار بيده إلى هامته ولحيته[2].

وفي رواية أنه قال:ما يحبس أشقاكم أن يجيء فيقتلني اللهم إني سئمتهم وسئموني، فأرِحهم مني وأرِحني منهم، قالوا: يا أميرالمؤمنين أخبرنا بالذي يخضب هذه من هذه نبيذ عشيرته، فقال: إذاً والله تقتلون بي غير قاتلي.

ويروي الأحلج عن أشياخ كندة، قال: سمعتهم أكثر من عشرين مرة يقولون: سمعنا علياً عليه السلام على المنبر يقول: ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم؟ ويضع يده على لحيته[3].

وفي رواية: أنه عليه السلام كان ساجداً يبكي حتى علا نحيبه وارتفع صوته بالبكاء، فقلنا: يا أميرالمؤمنين، لقد أمرضنا بكاؤك وأمضّنا وشجانا، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل، فقال: كنت ساجداً أدعو ربي بدعاء الخيرات في سجدتي، فغلبتني عيني، فرأيت رؤيا هالتني وفظعتني(أقلقتني)، رأيت رسول الله ﷺ قائماً وهو يقول: **«يا أبا الحسن طالت غيبتك عني، فقد اشتقت إلى رؤياك، وقد أنجز لي ربي ما وعدني فيك»**، فقلت: يا رسول الله، وما الذي أنجز لك فيّ؟ قال: **«أنجز لي فيك وفي زوجتك وابنيك و ذريتك في الدرجات العلى في علّيين»**، قلت:

بعض من خرج قبل السفاح إليهم ولا يخفى بعده. ثم إنّ الجموع(أو الجموح)هو المهدي العباسي، والخدوع(أو الخذوع)هو الهادي. وهذه الألقاب كناية عن صفاتهم.

(١) الإرشاد للمفيد: ٧،وعنه في البحار٤٢: ١٩٣، إعلام الورى ١: ٣١٠باختلاف يسير.

(٢) أمالي الطوسي: ٣٦٤،وعنه في البحار٤٢: ١٩١.

(٣) الحديث وما قبله في تذكرة الخواص لابن الجوزي: ١٠٠، وعنه في البحار٤٢: ١٩٦.

بأبي وأمي يا رسول الله فشيعتنا؟ قال: «**شيعتنا معنا وقصورهم بحذاء قصورنا، ومنازلهم مقابل منازلنا...**»[1].

هذا الإمام عليّ عليه السلام وهو بالكوفة ينبئ الناس عن استشهاده وهو سائم الحياة، ينتظر الروح والراحة ولقاء الأحباب، ولكن في الجبهة المعارضة لعليٍّ عليه السلام نرى أنّ الناس قد حجّوا سنة تسع وثلاثين، فكانوا ثلاث فرق، أصحاب الإمام عليه السلام، وأصحاب معاوية؛ والخوارج، كلٌّ يأبى أن يصلي بصلاة أمير خصمه، وكلٌّ يؤدي شعائر الحج لنفسه، وكادت تكون فتنة ويكون قتال في البيت الحرام والشهر الحرام، إذ تريد كل طائفة أن تقود أهل الموسم جميعاً، حتى اختار الناس رجلاً ليس بالأمير لهذا أو ذاك ليقيم للناس صلاتهم، فضاق بنفر من الخوارج ما رأوا، وذكروا مصارع أصحابهم في النهروان، وما كان بينهم وبين الإمام من مواقف، وقالوا: لو أنّ قوماً شروا أنفسهم وقتلوا هذين الرجلين(الإمام عليّ ومعاوية)لاستراحت الأمة، فقال رجل منهم: والله ما عمرو بن العاص دونهما، فانتهى رأي المؤتمرين على أن ينتدب منهم ثلاثة، لقتلهم.

فانتدب عبد الرحمن بن ملجم الحميري حليف مراد لقتل الإمام، وثانياً لقتل معاوية، وثالثاً لقتل عمرو بن العاص، واتفقوا على يوم واحد وساعة خاصة ينفذون فيها مؤامرتهم، وأقاموا بمكة مدة ثم تفرقوا متجهين إلى مواضع مؤامرتهم، أمّا ابن ملجم لما دخل الكوفة التقى بجماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك، فلما رأى قطام بنت الأخضر التميمي لعنها الله-وكانت واجدة جداً على عليٍّ عليه السلام لقتل إخوتها وأقربائها على يديه- أعجب بها، فخطبها على مهر غال، وأضافت شرطاً ثانياً أهمّ من ذلك، وهو قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقال: والله ما جاءني إلى هذا المصر إلا قتله، فساعدته على ذلك وشدّت ظهره برجل من أهلها، وقرّرا أن يكمنوا في المسجد فإذا خرج لصلوة الغداة شدّوا عليه ونفّذوا مؤامرتهم، فلمّا كانت التاسعة عشر من رمضان، كمنوا في المسجد بسيفهم المطليّ بالسم القاتل، و كان الإمام

---

(١) تأويل الآيات ٢: ٧٧٦، البحار٦: ١٦٢و٤٢: ١٩٢، عن كنز جامع الفوائد.

في ذلك الشهر يفطر كل ليلة عند أحد من أولاده ولا يزيد على ثلاث لقم، وهو يقول: يأتيني أمر الله وأنا خميص، إنما هي ليلة أو ليلتان.

وقد ورد الحسن عليه السلام على أبيه في تلك الليلة -أو بعد الضربة وقبل الوفاة-، فقال له عليه السلام: أرقت الليلة، ثم ملكتني عيني فسنح لي رسول اللهﷺ، فقلت له: يا رسول الله، ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال: «أدع عليهم» فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم، وأبدلهم بي شرّاً لهم مني، فقال لي: «قد استجاب الله دعاءك سينقلك إلينا بعد ثلاث» وقد مضت الثلاث...ثم قال: أحسن الله لكم العزاء، ألا وإني منصرف عنكم وراحل في ليلتي هذه ولاحق بحبيبي محمدﷺ كما وعدني[1].

ويروى أيضاً أنه عليه السلام سُمع يقول لابنته أم كلثوم: يا بنيّة إني أراني قلّ ما أصحبكم، قالت: وكيف ذلك يا أبتاه؟ قال: إني رأيت رسول اللهﷺ في منامي وهو يمسح الغبار عن وجهي ويقول: «يا عليّ لا عليك قضيت ما عليك» قال: فما مكثنا إلا ثلاثاً حتى ضُرب تلك الضربة، فصاحت أم كلثوم، فقال: يا بُنيّة لا تفعلي فإني أرى رسول اللهﷺ يشير إليّ بكفه ويقول: «يا عليّ هلمّ إلينا فإنّ ما عندنا هو خير لك»[2]، وكان في تلك الليلة في بيت أم كلثوم، وقد أفطر بقرص من خبز الشعير وملح، وأبى أن يفطر بإدامين، وقال لابنته: ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عزّ وجلّ، يا بنيّة إنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، ثم قام إلى عبادته، ولم يزل عليها مبتهلاً متضرعاً إلى الله، وفي أثنائها كان يكثر الخروج والدخول وينظر إلى السماء ويكثر من قول: اللهم بارك لنا في الموت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ويقول: والله ما كذِبت وما كُذِبت وإنها الليلة التي وُعدت، وهذا الحال منه ينبئ عن قرب وقوع الرزية العظمى.

وروي أنه لما علمت أم كلثوم بذلك قالت: مُر جعدة فليصلّ بالناس، فقال:

---

(١) الإمامة والسياسة١: ١٨٠، الكامل لابن الأثير٣: ١٩٥. الأود: العِوَج والكدّ، واللدد: الخصومات.

(٢) الإرشاد للمفيد١: ١٥،وعنه في مناقب الخوارزمي: ٢٨٧، كشف الغمة: ١٣٠.

لا مفرّ من الأجل،وعزم على الخروج إلى المسجد بنفسه، وكان قد تأخر في الخروج عن وقته المتعارف، فلمّا قام استقبله الإوزّ فصحن في وجهه فطردوهن، فقال: دعوهن فإنهنّ صوائح تتبعها نوائح، فقالت أُمّ كلثوم: يا أبه هكذا تتطيّر؟ فقال: يا بُنيّة، ما منا أهل البيت من يتطيّر ولا يُتطيّر به، ولكن قول جرى على لساني، وقد أوصى ابنته بالإوز، فلما وصل إلى الباب تعلّقت قلادة الباب بمئزره فانحلّ حتى سقط، فشدّه و قال: أشدد حيازيمك للموت... .

وكرّر من قوله: اللهم بارك لنا في الموت، فلمّا سمعت أُمّ كلثوم ذلك منه قالت: واغوثاه يا أبتاه، فخرج الحسن عليه السلام ولحقه، فقال عليه السلام: أقسمت بحقي عليك إلا ما رجعت، فرجع الحسن يحدّث أُخته وهما محزونان مما شهدا من حال أبيهما وسمعاه منه.

فإنه عليه السلام كان يخرج في كل ليلة قبل الفجر يوقظ الناس للصلاة، بلا حرس ولا حماية، ولهذا كان اغتيال الإمام من أيسر الأعمال، ولم تكن الجريمة تتطلب أيّ جلد أو قوة أو بطولة، وإنما كانت تتطلّب ضميراً ميتاً، وتفكيراً ضالاً، وقلباً أعمى، فلما وجدت هذه في صورة آدمي، وسُلّحت بسيف مسموم، وقيل لها: اطعَني هذا الجلال وهذا الزهد والورع و...تمّ كل شيء في لحظات.

وذاك عند ما دخل المسجد وأخذ يوقظ الناس للصلاة، وقدصادف عبوره على ابن ملجم اللعين الذي لم ينَم تلك الليلة لكثرة تفكّره في ما سيقدم عليه من أمر عظيم، فقال عليه السلام له -وهو نائم على وجهه والسيف المسموم تحت ثوبه- :يا هذا قم من نومك هذا، فإنها نومة يمقتها الله...ثم قال: لقد هممت بشيء تكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال، ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك، وهذه من أحد معاجز الإمام عليه السلام وإنباءه بالغيب الذي ألقاه النبي ﷺ في صدره، ومع علمه عليه السلام بهذه المكيدة وإخباره عنها لم يتعرض لقاتله و لم يخضع لاقتراح الآخرين بقتله مادام لم يصدر منه شيء، وكان يقول: ما قتلني بعد، أوأقتل قاتلي؟ وكان عند ما يرى ابن ملجم يتمثل بهذا الشعر: أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليك من مراد، فهذا هو عدل الإمام وسيرته مع الناس.

فلمّا استقرّ الإمام في محرابه واشتغل بمناجاة ربه، وقعت الرزية العظمى

بضربة ابن ملجم على رأسه وهو ساجد، فقال الإمام: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله،فزت ورب الكعبة،ثم صاح: قتلني ابن ملجم، قتلني ابن اليهودية، وجرى الدم على وجهه فخضب شيبه بدمه، وتحققت جميع نبوءات رسول الله صلى الله عليه وآله في شهادته، فصاح جبرئيل بين الأرض والسماء: تهدّمت والله أركان الهدى،وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتِل ابن عم المصطفى، قُتِل الوصي المجتبى، قُتِل عليٌّ المرتضى، قُتِل والله سيد الأوصياء،قتله أشقى الأشقياء، وارتجّت الأرض وماجت البحار، وتزلزلت السماوات، واصطفقت أبواب الجامع، وضجّت الملائكة في السماء، وهبّت ريح عاصف سوداء مظلمة، واضطرب الناس وضجّوا بالعويل والبكاء، وهم يقولون: وا أميرالمؤمنيناه، قُتِل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم، كان أشبه الناس برسول الله، وأمطرت السماء أياماً دماً، وروي أنّ في ذلك اليوم ما رُفِع من وجه الأرض حجرٌ إلا وُجِد تحته دمٌ عبيط[1].

وخرج الحسن والحسين عليهما السلام باكيين إلى المسجد، فإذا أبوهما في المحراب متخضّبٌ بدمه، والناس حوله، جاهدين لأن يُجلِسوه لإتمام الصلاة، فقال الحسن عليه السلام:يعزّ والله عليّ أن أراك هكذا، ففتح عليه السلام عينيه وقال: يا بنيّ لا تجزع على أبيك بعد اليوم، هذا جدك محمد المصطفى وجدّتك خديجة الكبرى وأُمك الزهراء والحور العين محدقون منتظرون قدوم أبيك، فطب نفساً وقرّ عيناً وكفّ عن البكاء، فإنّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم لبكائك إلى السماء.

وهكذا كان شأن أميرالمؤمنين عليه السلام وقد ظهر أثر السم عليه وهو يرمق إلى السماء بطرفه ولسانه يسبّح الله ويقول: إلهي أسألك مرافقة الأنبياء والأوصياء وأعلى درجات جنة المأوى، وتارة يغشى عليه، ولما أحسّ بدموع الحسن تتساقط على وجهه فتح عينيه وقال: يابُنيّ يا حسن ما هذا البكاء؟ يا بُنيّ أتجزع على أبيك وغداً تُقتل بعدي بالسم مظلوماً؟ ويُقتل أخوك بالسيف هكذا، وتلحقان

---

(١) لاحظ مناقب آل أبي طالب٢: ١٧٠، وعنه في البحار٤٢: ٣٠٩، المناقب للخوارزمي: ٣٨٨.

بجدكما وأبيكما وأمكما، ثم قال: قتلني ابن اليهودية عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وسيطلع عليكم من هذا الباب وأشار إلى باب كندة، فأخذ الناس ينظرون إلى با ب كندة، وإذا بالأصوات ارتفعت وجاءوا بعدو الله ابن ملجم مكتوفاً، هذا يلعنه وهذا يضربه، يقولون له:يا عدو الله أهلكت أمة محمد وقتلت خير الناس وهو صامت، وبعد قليل فتح الإمام عينيه فنظر إليه وقال بصوت ضعيف:يا بن ملجم، لقد جئت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنت لك حتى جازيتني بهذا الجزاء، ألم أكن شفيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في عطائك؟ وقد كنت أعلم أنك قاتلي لا محالة، ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك، وعلّ أن ترجع عن غيّك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء، فدمعت عينا ابن ملجم وقال: يا أميرالمؤمنين، أأنت تنقذ من في النار؟

فالتفت الإمام إلى ابنه الحسنؑ وأوصاه بأسيره والإرفاق به والرحمة عليه، وقال: أما ترى إلى عينيه قد طارتا في أُمّ رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً؟ فقال الحسنؑ: يا أبه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به؟! فقالؑ:نعم يا بُنيّ، نحن أهل بيت لا نزداد على الذنب إلينا إلا كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا...فإن أنا متّ فاقتصّ منه، بأن تقتله وتضربه ضربة واحدة، ولا تحرقه بالنار ولا تُمثّل بالرجل، فإني سمعت جدك رسول اللهﷺ يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»، وإن أنا عشت فأنا أولى بالعفو عنه وأعلم بما أفعل به... .

الوصية والإنباء عن أمور غيبية وما سيجري على ولده

ومازالؑ يغمى عليه ساعة ويفيق ساعة، ويوصي أولاده وأهل بيته بوصايا كثيرة نافعة لأهل التقوى والعمل، وكان من وصاياه التي فيها إنباء عن الغيب أن قا ل:فإذا أنا متُّ يا أبا محمد فغسّلني وكفّني وحنّطني ببقية حنوط جدك رسول اللهﷺ فإنه من كافور الجنة جاء به جبرئيلؑ إليه،ثم ضعني على

سريري ولا يتقدم أحد منكم مقدّم السرير، واحملوا مؤخّره واتبعوا مقدّمه، فأيّ موضع وُضع المقدّم فضعوا المؤخّر، فحيث قام سريري فهو موضع قبري، ثم تقدم يا أبا محمد وصلّ عليّ يا بُنيّ يا حسن وكبّر عليّ سبعاً، واعلم أنه لا يحلّ ذلك على أحد غيري إلاّ على رجل يخرج في آخر الزمان اسمه القائم، من ولد أخيك الحسين يقوّم اعوجاج الحق، فإذا أنت صلّيت عليّ يا حسن فنحّ السرير عن موضعه، ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً ولحداً مثقوباً وساجة منقوبة، فاضجعني فيها، فإذا أردت الخروج من قبري فافتقدتني فإنك لا تجدني، وإني لاحق بجدك رسول الله ﷺ، واعلم يا بُنيّ ما من نبي يموت وإن كان مدفوناً بالمشرق ويموت وصيّه بالمغرب، إلاّ ويجمع الله ﷻ بين روحيهما وجسديهما، ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره، وإلى موضعه الذي حُطّ فيه، ثم أهيل التراب عليّ، ثم غيّب قبري، ثم يا بُنيّ بعد ذلك إذا أصبح الصباح أخرجوا تابوتاً إلى ظاهر الكوفة على ناقة، وأمُر بمن يسيّرها بما عليها كأنها تريد المدينة، بحيث يخفى على العامة موضع قبري الذي تضعني فيه.

يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما وقد خرجت عليكما من بعدي الفتن من هاهنا وهاهنا، فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، ثم قال: يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة، فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه.

ثم أُغمي عليه ساعة، وأفاق وقال: هذا رسول الله ﷺ وعمي حمزة وأخي جعفر وأصحاب رسول الله ﷺ، وكلهم يقولون: عجّل قدومك علينا فإنا إليك مشتاقون، ثم أدار عينيه في أهل بيته كلّهم وقال: أستودعكم الله جميعاً سدّدكم الله جميعاً حفظكم الله جميعاً، خليفتي عليكم الله وكفى بالله خليفة.

ثم قال وعليكم السلام يا رُسل ربي، وقال: لمثل هذا فليعمل العاملون، إنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، وعرق جبينه وما زال يذكر الله كثيراً، ويتشهد الشهادتين حتى قضى نحبه، وكان استشهاده ﷺ في سنة أربعين من الهجرة، عن عمر ناهز الثلاث والستين عاماً، مكث بعد رسول الله ﷺ ثلاثين سنة إماماً ممتحناً صابراً، أربعة وعشرون عاماً وستة أشهر جليساً في داره

مغصوباً حقه، والباقي منها حاكماً مبتلى بجهاد الناكثين والقاسطين والمارقين حتى يوم استشهاده، وقد تحقق فيه جميع ما أنبأ ه رسول الله ﷺ، فسلامٌ عليه يوم ولد في الكعبة ويوم جاهد ويوم استشهد في محرابه ويوم يُبعث حياً.

وتولّى غسله وتكفينه ودفنه ابناه الحسن والحسين عليهما السلام بأمره وحملاه ليلاً إلى الغري، فقد حملوا مؤخّر السرير وجبرئيل وميكائيل مقدّمه، وظهرت لهم كل المواصفات التي أنبأهم بها أمير المؤمنين عليه السلام حين تشييعه وعلائم قبره وما شاهدوه حين دفنه عليه السلام، وتحقق ما أنبأ رسول الله ﷺ في موضع قبره ومدة عمره عليه السلام من قوله ﷺ: «تُقبَر بظاهرها قتلاً بين الغريين والذكوات البيض يقتلك شقيّ هذه الأمة عبد الرحمن بن ملجم...»[1].

(١) قد استقيت قصة استشهاد الإمام عليّ عليه السلام من البحار٤٢: ١٩٩-٣٠١، وغيره، مثل إعلام الورى للطبرسي١: ٣٠٩، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ١٣٦-١٣٤.

نبوءات الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله في الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ولمحات من تاريخه

قد اختص الإمام المجتبى عليه السلام بفضيلة أفشل بها مخططات الأعداء في إبادة شيعة أهل البيت عليهم السلام و إمحاء أمرهم، فحقن الإمام عليه السلام بها دماءهم وحافظ على دين جدّه صلى الله عليه وآله، وهي الصلح مع العدو، وقد أنبأ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته في حديث ذكر فيه فضائل سبطه، فقال: «إنّ هذا ريحانتي، وإنّ إبني هذا سيّدٌ وعسى أن يصلح الله به فئتين من المسلمين» وقد صدر هذا الكلام منه بعد ما جاء الحسن عليه السلام وهو صغير فصار على ظهره وهو ساجد، فرفعه رفعاً رقيقاً، ولما أتمّ صلاته قيل له: إنك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا تصنعه بأحد؟!! فقال: «إنّ هذا ريحانتي و...»[1].

وفي رواية عن ابن عباس قال: انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وآله فنادى على باب فاطمة ثلاثاً فلم يجبه أحد، فمال إلى الحائط فقعد فيه وقعدت إلى جانبه فبينا هو كذلك إذ خرج الحسن بن عليّ عليهما السلام، وقد غسل وجهه وعُلّقت عليه سبحة، قال: فبسط النبي صلى الله عليه وآله يديه ومدّهما ثم ضمّ الحسن إلى صدره، وقبّله وقال: «إنّ ابني هذا سيّدٌ، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[2].

وقال المسهّر مولى الزبير: تذاكرنا من أشبه النبي صلى الله عليه وآله من أهله، فدخل علينا عبد الله بن الزبير، فقال: أنا أحدّثكم بأشبه أهله إليه، الحسن بن عليّ عليهما السلام، رأيته يجيء وهو ساجد، فيركب ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ورأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «هو ريحانتي من الدنيا، وإنّ ابني هذا سيّدٌ يصلح الله به بين فئتين من المسلمين»وقال: «اللهم إني أحبّه وأحبّ من يحبّه»[3].

---

(١) حلية الأبرارلأبي نعيم ٢: ٣٥، وعنه في كشف الغمة في معرفة الأئمة٢: ١٤٣.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٨٥، وعنه في البحار٤٣: ٢٩٨، إعلام الورى١: ٤١٢، صحيح البخاري ٤: ١٨٤وص٢١٦، مستدرك الحاكم٣: ١٧٤-١٧٥ وزاد في ذيله: «عظيمتين»، وقد تواتر الحديث عن العامة باختلاف في اللفظ، فانظر كنز العمال ١٢: ١٢٣، أُسد الغابة ٢: ١٣وغيرها.

(٣) العُدد القوية لعلي بن يوسف الحلي: ٤٢،وعنه في البحار٤٣: ٣١٧.

وفي خصوص استشهاده بالسم وما يجري عليه من المحن

جاء في الأمالي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: بينا أنا وفاطمة والحسن والحسين عند رسول الله ﷺ إذا التفت إلينا فبكى، فقلت: ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أبكي مما يُصنع بكم بعدي» فقلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «أبكي من ضربتك على القرن، ولطم فاطمة خدّها، وطعنة الحسن في الفخذ والسم الذي يُسقى، وقتل الحسين...»[1].

وفيه عن ابن عباس قال: إنّ رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى، ثم قال: «إليّ إليّ يا بُنيّ» فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى، وساق الحديث إلى أن قال: قال النبي ﷺ: «وأما الحسن فإنه ابني وولدي ومنّي وقرّة عيني وضيء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني ومن عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه تذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يُقتل بالسم ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كلّ شيء حتى الطير في جوّ السماء والحيتان في جوف الماء، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب، ومن زاره في بقيعه ثبتت قدمه على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام»[2].

وقد أنبأ أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، عن مظلومية الحسن عليه السلام ففي حديث عن الأصبغ ابن نباتة: أنه عليه السلام خرج ويده في يد الحسن عليه السلام فيقول: ألا وإنه سيُظلَم بعدي كما ظُلِمت بعد رسول الله ﷺ[3].

وفي حديث آخر قال عليه السلام: يا أبا محمد ويا أبا عبد الله كأني بكما خرجت عليكما من بعدي الفتن من ههنا فاصبرا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين[4].

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٧، وعنه في البحار، ٢٨: ٥١، ٤٤: ١٤٩.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٦، وعنه في البحار٤٤: ١٤٨، الفضائل لابن شاذان: ١٠.

(٣) كمال الدين: ٢٥٩ح٥، والبحار٣٦: ٢٥٣ح ٦٩.

(٤) البحار٤٢: ٢٩٢.

و قد أخبر الحسن عليه السلام عن نفسه- بعد ما سُقي بالسم وتغيّر لونه- لمّا سأله الحسين عليه السلام عن ذلك؟ فحدّثه عما رآه جده صلى الله عليه وآله في المعراج، منها: ما قاله جبرئيل عليه السلام: **«أما خضرة قصر الحسن فإنه يموت بالسم ويخضرّ لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسين فإنه يقتل ويحمرّ وجهه بالدّم»**[1].

ومن حديث المعراج أيضاً قوله: **«ويكون لها من أخيك ابنان يُقتل أحدهما غدراً و يُسلب ويُطعن، تفعل به ذلك أمتك...»**[2].

نظرة في ما ورد في صلح الحسن عليه السلام

وجدير بالذكر أنّ الروايات التي تُنبئ عن صلح الحسن عليه السلام هي كما ترى لا يستفاد منها أيّ تأييد ومدح للفئة الباغية، وهكذا قوله صلى الله عليه وآله في بعضها **«عظيمتين»** لا دلالة فيه على عظمة تلك الفئة، بل المراد فيه هو الكثرة، كما هو متداول في المحاورات.

ثم إنّ الصلح الذي حصل بين الطرفين قد اضطرّ الإمام عليه السلام إليه بعد ما رأى الخيانة والنفاق قد ظهرعلى كثير من أصحابه، فإنه بادر إلى الصلح كي يحقن دماء المسلمين، خاصة القليل من شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام، ولولاه لما بقي من شيعة أهل البيت حتى رجل واحد، ولتمّ الانتصار والغلبة لبني أمية في جميع الثغور الإسلامية واندرست آثار النبوة وتحققت جميع أهدافهم ضدّ الإسلام، ومن ثم كان صلح الإمام الحسن عليه السلام أكبر انتصار سياسي حققه في التاريخ، وإن قصرت بعض العقول بادئ بدء عن دركه.

وعلى هذا الضوء يتّضح بأنّ الإمام: هو من كان خبيراً بجميع الأمور ومقتضيات زمانه، محيطاً بالمغيبات معصوماً عن الزلّات، ولا يشترط فيه القيام بالسيف أو القعود عن الجهاد، ولعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بما سيقع في المستقبل تراه قد أيّد عمله و صرّح بأنّ: **«الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»**[3].

---

(١) البحار٤٤: ١٤٥ رواه عن بعض تاليفات الأصحاب.

(٢) كامل الزيارات: ٥٤٩،وعنه في البحار٢٨: ٦١-٦٤، الجواهر السنية للعاملي: ٢٨٨-٢٨٩.

(٣) روضة الواعظين: ١٥٦، الإرشاد ٢: ٣٠، وفيه: (إنّ هذان...) بدل: (الحسن والحسين).

حيث اقتضت المصلحة للحسن عليه السلام أن يقعد عن الحرب، وللحسين عليه السلام أن يقوم للدفاع عن دين جدّه ويضحّي بنفسه وأهله في سبيل إحياء الدين و إنقاذه من الإندراس، والخبير النبيل المطلع على تاريخ الحسنين عليهما السلام يعلم أن كلا الأمرين كان ناشئاً عن درايتهما التامة وإحاطتهما على المغيّبات، ويثبت أنهما كانا من ساسة العباد وأركان البلاد.

ويؤيّد ما ذكرناه من أنّ هذا الصلح ليس فيه أي تأييد لمعاوية، كلام ابن عقيل في الرد على ابن حجر الهيثمي الذي استدل بالصلح على صلاحية معاوية للحكم وإمامته للمسلمين، فإنه قال: والحق إنّ معاوية متغلّب بالسيف على الشوكة والحكم، فاسق بوثوبه على ما لا حقّ له فيه، جائر في أحكامه، مستحق بصنيعه المقت والعقاب الشديد كما وعد الله تعالى، وهو أول الملوك المتغلبين في الإسلام، وإنّ تسليم الحسن عليه السلام الأمر إليه غير مبرّر له، لأنه لم يسلّمه إلا مضطراً، صوناً لدماء المسلمين وأخذاً بأخفّ الضررّين وأهون الشرّين، علماً منه أنّ معاوية مصرٌّ على القتل وسفك الدماء، فكان من رأيه تسليم الأمر وحقن دماء المسلمين، وتحقق بذلك قول جده ﷺ: «إنّ ابني هذا سيّدٌ ولعل الله أن يصلح به...»، فالحسن مثاب بهذا الصلح مصيب فيه، ومعاوية مخطئ معاقب عليه ممقوت به ولا كرامة[1].

ويؤيده أيضاً ما قاله الإمام عليه السلام - بعد ما اضطر إلى الصلح - في جواب بعض شيعته: أنتم شيعتنا وأهل مودتنا، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل، ولسلطانها أربض وأنصب، ما كان معاوية بأشدّ مني بأساً، ولا أشدّ شكيمة، ولا أمضى عزيمة، ولكني أرى غير ما رأيتم، وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله، وسلّموا لأمره، والزموا بيوتكم وامسكوا، أو قال: كُفّوا أيديكم حتى يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر[2].

وروي أنه عليه السلام لما طلب منه معاوية أن يتكلم بالناس، ويُعلمهم ما عنده في هذا الباب، قام فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: إنّ أكيس الكيس التُقى،

---

(١) النصائح الكافية لمن يتولّ معاوية لمحمد بن عقيل: ١٩٠.

(٢) تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى: ٢٢٣، وعنه في البحار ٤٤: ٢٩.

وأحمق الحمق الفجور، أيها الناس إنكم لو طلبتم بين جابلق وجابرس رجلاً جدّه رسول اللهﷺما وجدتموه غيري وغير أخي الحسين، وإنّ الله قد هداكم بأولنا محمدﷺ، وإنّ معاوية نازعني حقاً هو لي، فتركته لصلاح الأمة وحقن دمائها، وقد بايعتموني على أن تسالموا من سالمت، فقد رأيت أن أسالمه ورأيت أنّ ما حقن الدماء خيرٌ مما سفكها، وأردت صلاحكم، وأن يكون ما صنعت حجة على من كان يتمنّى هذا الأمر، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين[1]، وفي هذا الكلام تلويح بأنه مغلوب مقهور ملجوٌ إلى التسليم ودافع بالمسالمة الضرر العظيم عن الدين والمسلمين.

وقل في جواب من قل:سوّدت وجوه المؤمنين: ما كل أحد يحبّ ما تحب،ولا رأيه كرأيك، وإنما فعلت ما فعلت إبقاءً عليكم[2].

وفي رواية عن جابر بن عبد الله بعد ذكر حديث عن بني إسرائيل، قال جابر: ولقد رأيت وحق الله وحق رسوله من الحسن بن عليعليه السلام أفضل وأعجب منها، ومن الحسين بن عليعليه السلام أفضل وأعجب منها، أما الذي رأيته من الحسنعليه السلام، فهو أنه لما وقع عليه من أصحابه ما وقع، وألجاءه ذلك إلى مصالحة معاوية، فصالحه، واشتدّ ذلك على خواص أصحابه فكنت أحدهم فجئته وعذلته، فقال: يا جابر لا تعذلني وصدّق رسول الله في قوله: «إنّ ابني هذا سيّدٌ، وإنّ الله تعالى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» فكأنه لم يشف صدري، فقلت: لعلّ هذا شيء يكون بعد وليس هذا هو الصلح مع معاوية، فإنّ هذا هلاك المؤمنين وإذلالهم، فوضع يده على صدري، وقال: شككت وقلت كذا، قال: أتحب أن استشهد رسول اللهﷺ الآن حتى تسمع منه، فعجبت من قوله، إذ سمعت هدّة وإذا الأرض من تحت أرجلنا قد انشقّت، وإذا رسول اللهﷺ وعليٌّ وجعفر وحمزةعليهم السلام قد خرجوا منها، فوثبت فزعاً مذعوراً، فقال الحسن: يا رسول الله هذا جابر وقد عذلني بما قد علمت، فقالﷺ لي: «يا جابر إنك لا تكون مؤمناً حتى تكون لأئمتك مسلّماً، ولا تكن عليهم برأيك

---

(١) تنزيه الأنبياء: ٢٢٤.

(٢) تنزيه الأنبياء: ٢٢٣.

معترضاً، سلّم لابني الحسن ما فعل، فإنّ الحق فيه، إنه دفع عن خيار المسلمين الاصطلام بما فعل، وما كان ما فعله إلاّ عن أمر الله وأمري، فقلت: قد سلّمت يا رسول الله، ثم ارتفع في الهواء هو وعليٌّ وحمزة وجعفر، فما زلت أنظر إليهم حتى انفتح لهم باب من السماء ودخلوها،ثم باب السماء الثانية إلى سبع سماوات يقدمهم سيدنا ومولانا محمد ﷺ...[1].

وفي سبب مسالة الحسن عليه السلام يقول السيد المرتضى: وبعد فإنّ الذي جرى منه عليه السلام كان السبب فيه ظاهراً، والحامل عليه بيّناً جلياً، لأنّ المجتمعين له من الأصحاب وإن كانوا كثيري العدد، فقد كانت قلوب أكثرهم دغلة غير صافية، وقد كانوا صبوا إلى دنيا معاوية، من غير مراقبة ولا مسائرة، فأظهروا له عليه السلام النصرة، وحملوه على المحاربة والاستعداد لها طمعاً في أن يورّطوه ويسلّموه، فلحسّ بهذا منهم قبل التولّج والتلبّس، فتخلّى من الأمر، وتحرّز من المكيدة التي كادت تتمّ عليه في سعة من الوقت[2].

إختبار الناس والإنباء عن غدرهم

وقد صرّح الإمام بذلك وأعرب عن مقاصدهم لما طُعن في المدائن، فأتاه زيد بن وهب الجهني وهو متوجّع، فقال: ما ترى يا ابن رسول الله ﷺ فإنّ الناس متحيرون؟ فقال: أرى والله معاوية خيراً لي من هؤلاء، يزعمون أنهم لي شيعة ابتغوا قتلي وانتهبوا ثقلي، وأخذوا مالي، والله لإن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً، فوَ الله لإن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير أو يمنّ عليّ فتكون سبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ومعاوية لا يزال يمنّ بها و عقبه على الحي منا والميت...[3]، وبهذا

---

(١) الثاقب في المناقب لابن حمزة: ٣٠٦-٣٠٧ح ١، وعنه في مدينه المعاجز للبحراني ٣: ٢٥٧.

(٢) تنزيه الأنبياء: ٢٢١، وعنه في البحار٤٤: ٢٧.

(٣) الاحتجاج للطبرسي٢: ١٠، وعنه في البحار٤٤: ٢٠، وذيل الرواية: قال قلت: تترك يا ابن رسول الله شيعتك كالغنم ليس لهم راع؟ قال: وما أصنع يا أخا جهنية إني والله أعلم بأمر قد أتى به إليّ عن ثقاته: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رآني فرحاً: يا حسن أتفرح؟ كيف بك إذا رأيت

الكلام منه ﷺ كشف اللثام عن المؤامرات التي كادت تتحقق لو لا درايته وتدبيره النابع عن علم الإمامة في إخمادها.

علماً بأنّ الإمام ﷺ مع علمه الواسع بحقائق الأمور لم يقعد عن الحرب إلا بعد ما اختبر الناس وألقى الحجة عليهم، ففي الخرائج: أنه لما مات عليٌّ ﷺ جاء الناس إلى الحسن، وقالوا: أنت خليفة أبيك ووصيه ونحن السامعون المطيعون لك فمرنا بأمرك، فقال الحسن ﷺ: كذبتم، والله ما وفيتم لمن كان خيراً مني، فكيف تفُون لي؟ وكيف أطمئنّ إليكم ولا أثق بكم، إن كنتم صادقين فموعد ما بيني وبينكم معسكر المدائن، فوافوني هناك.

فركب وركب معه من أراد الخروج، وتخلّف عنه خلق كثير، لم يفوا بما قالوه وبما وعدوه، وغرّوه كما غرّوا أمير المؤمنين ﷺ من قبله، فقام خطيباً وقال: غررتموني كما غررتم من كان قبلي، مع أيّ إمام تقاتلون بعدي؟، مع الكافر الظالم الذي لم يؤمن بالله ولا برسوله قطّ، ولا أظهر الإسلام هو ولابنو أمية إلا فرقاً من السيف، ولو لم يبق لبني أمية إلا عجوز درداء، لبغت دين الله عوجاً، وهكذا قال رسول الله ﷺ.

ثم وجّه إلى معاوية قائداً في أربعة آلاف، وكان من كندة وأمره أن يعسكر بالأنبار ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه أمره، فلما توجّه إلى الأنبار ونزل بها وعلم معاوية بذلك بعث إليه رُسلاً، وكتب إليه معهم إنك إن أقبلت إليّ ولّيتك بعض كور الشام أوالجزيرة، غير مُنفّس عليك، وأرسل إليه بخمسمائة ألف

أباك قتيلاً؟ أم كيف بك إذا ولي هذا الأمر بنو أمية وأميرها الرحب البلعوم الواسع الاعفاج (أي واسع الكرش والأمعاء)، يأكل ولا يشبع،يموت وليس له في السماء ناصر ولا في الأرض عاذر، ثم يستولي على غربها وشرقها، تدين له العباد ويطول ملكه، يستنّ بسنن أهل البدع والضلال، ويميت الحق وسنة رسول الله ﷺ، يقسّم المال في أهل ولايته ويمنعه من هو أحق به، ويذلّ في ملكه المؤمن ويقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دُولاً ويتّخذ عباد الله خولا، ويُدرَس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل، ويُلعَن الصالحون، ويقتل من ناواه على الحق، ويدين من والاه على الباطل، فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدهر... وساق الحديث في ظهور المهدي ﷺ. (ورواه أبو الفرج في مقاتل الطالبيين: ٧٥-٧٦ عنه، عن رسول الله ﷺ).

درهم، فقبض الكندي عدو الله المال، وانقلب على الحسن عليه السلام وصار إلى معاوية في مئتي رجل من خاصته وأهل بيته.

وبلغ ذلك الحسن عليه السلام فقام خطيباً وقال: هذا الكندي توجّه إلى معاوية وغدربي وبكم، وقد أخبرتكم مرّة بعد مرة أنه لا وفاء لكم، أنتم عبيد الدنيا، وأنا موجّه رجلاً آخر مكانه، وأنا أعلم أنه سيفعل بي وبكم ما فعل صاحبه، ولايراقب الله فيّ ولا فيكم، فبعث إليه رجلاً من مراد في أربعة آلاف، وتقدم إليه بمشهد من الناس، وتوكّد عليه وأخبره أنه سيغدر كما غدر الكندي، فحلف له بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال، أنه لا يفعل، فقال الحسن عليه السلام: إنه سيغدر.

فلمّا توجّه إلى الأنبار، أرسل معاوية إليه رسلاً وكتب إليه بمثل ما كتب إلى صاحبه وبعث إليه بخمسة آلاف درهم، ومنّاه أيّ ولاية أحبّ من كور الشام أو الجزيرة، فقلب على الحسن عليه السلام، وأخذ طريقة إلى معاوية ولم يحفظ ما أُخذ عليه من العهود، وبلغ الحسن ما فعل المرادي، فقام خطيباً فقال: قد أخبرتكم مرّة بعد أخرى أنكم لا تفون لله بعهود، وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم وصار إلى معاوية.

ثم كتب معاوية إلى الحسن يا ابن عمّ لا تقطع الرحم الذي بينك وبيني، فإنّ الناس قد غدروا بك وبأبيك من قبلك.

فقالوا: إن خانك الرجلان وغدرابك فإنا مناصحون لك، فقال لهم الحسن عليه السلام: لأعودنّ هذه المرّة فيما بيني وبينكم، وإني لأعلم أنكم غادرون ما بيني وبينكم، إنّ معسكري بالنخيلة فوافوني هناك، والله لاتفون لي بعهدي، ولتنقضنّ الميثاق بيني وبينكم.

ثم إنّ الحسن عليه السلام أخذ طريق النخيلة فعسكر عشرة أيام، فلم يحضره إلا أربعة آلاف، فانصرف إلى الكوفة فصعد على المنبر وقال: يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين!، ولو سلّمت له الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية، والله ليسومونكم سوء العذاب حتى تتمنوا أنّ عليكم حبشياً، ولو وجدت أعواناً ما سلّمت له الأمر، لأنه محرّم على بني أمية، فأُفٍّ وترحاً يا عبيد الدنيا.

وكتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية: فإنا معك، وإن شئت أخذنا الحسن وبعثناه إليك، ثم أغاروا على فسطاطه، وضربوه بحربة، وأخذ مجروحاً.

ثم كتب جواباً لمعاوية: إنما هذا الأمر لي والخلافة لي ولأهل بيتي، وإنها لمحرمة عليك وعلى أهل بيتك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لو وجدت صابرين عارفين بحقي غير منكرين، ما سلّمت لك ولا أعطيتك ما تريد وانصرف إلى الكوفة[1].

ورويت هذه القصة بمفاصلات أخرى، حاصلها: إنه عليه السلام بعد ما غدر به الكندي والمرادي، عزم على الخروج لقتال معاوية واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل، وأمره بحثّ الناس على اللحاق به، وعسكر في دير عبد الرحمن، وبعد ثلاثة أيام عرض جيشه فرآهم أربعين ألفاً، فدعا عبيد الله بن العباس وأمّره على اثني عشر ألف فارس ليستقبل معاوية، وأمّر معه قيس بن سعد وسعيد بن قيس، فإن أصيب فالإمارة لهم، وسار الإمام على أثرهم حتى نزل بساباط، وأراد أن يستبرئ أحوال الناس في الطاعة له ويميّز لهم أولياءه من أعدائه والمؤمن من المنافق فخطبهم وقال: أما بعد، فإني والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظركم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضى.

وفي هذا الخطاب لوّح لهم ما هو عليه من الإضطرار إلى الصلح، وفي ضمنه اختبرهم في التسليم، وأراد أن يكشف اللثام عمن كان يُسرّ النفاق والعداء، فنظر الناس بعضهم إلى بعض وكان بينهم كثير من المنافقين والخوارج، فقالوا: نظنّه والله يريد الصلح مع معاوية وتسليم الأمر إليه، كفر والله الرجل!! فشدّوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شدّ عليه آخر فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي عليه السلام متقلّداً بالسيف بغير رداء، فركب فرسه وأحدق به خواص شيعته ومنعوا منه من أراده، فلما مرّ في مظلم ساباط بدر إليه رجل وأخذ بلجام بغلته وبيده مغول، وقال: الله أكبر، أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل؟! ثم طعنه في فخذه فشقّه حتى بلغ العظم، ثم اعتنقه الحسن عليه السلام وخرّا جميعاً إلى الأرض، فوثب إليه أصحاب الامام فقتلوه،

---

(١) الخرائج والجرائح للراوندي٢: ٥٧٤-٥٧٦ عن الحارث الهمداني، وعنه في البحار٤٤: ٤٣.

وحُمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأُنزل على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها.

وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة في السّر، واستحثوه على المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام عند دنوّهم من عسكره، أو الفتك به، وبلغ الإمام ذلك، وورد عليه كتاب قيس بن سعد يخبره عن خيانة عبيد الله بن العباس والتحاقه ليلاً بمعسكر معاوية.

إخبار الحسن عليه السلام عن مظالم بني أمية

ولما رأى ذلك منهم قال عليه السلام: ويلكم والله إنّ معاوية لايفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي، وإني أظنّ إن وضعت يدي في يده فأساله يتركني أدين لدين جدي ﷺ، وإني أقدر أن أعبد الله وحدي، ولكني كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم، يستسقونهم ويستطعمونهم بما جعله الله لهم فلا يُسقَون ولا يُطعمون، فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

فقد تمّ الإعذار من جانب الإمام عليه السلام وإلقاء الحجة على الناس، وعرّفهم بما هم عليه من الخذلان والنفاق، وبما أنّ معاوية قد كتب إليه يدعوه إلى الهدنة والصلح، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه، والغدر به، وعرض عليه الصلح بشروط أخذها معاوية على نفسه، فرأى الامام أن لامناص له غير الصلح والمحافظة على القليل من شيعته المخلصين، فشرط على معاوية شروطاً، عالماً بعدم وفائه بكثير منها[1].

بيد أنّ فائدة تلك الشروط أن تكون سنداً تاريخ في مثالب معاوية بما سيؤدي إلى فضيحته وإثبات كفره للناس، مضافاً لما يرون منه ومن شجرته الخبيثة من المخازي وسفك الدماء و... فيندم الناس على ما فعلوا مع إمامهم وغدرهم به وبأبيه ويأسفون على أئمة العدل والهدى، كما أنبأ به الإمام وأبوه أمير المؤمنين عليه السلام كراراً.

---

(١) أنظر علل الشرائع للصدوق ١: ٢٢٠، وعنه في البحار٤٤: ٣٣، الإرشاد للمفيد: ١٧٠، مقاتل الطالبيين: ٧٧، البحار٤٤: ٤٨-٧٠، وترى مقتطفات هذه القصة في تاريخ الطبري٦: ٩٢، والكامل لابن الأثير٣: ٤٤٠، ومروج الذهب٣: ٩، وشرح النهج ١٦: ٤٠، وتاريخ اليعقوبي٢: ٢١٤، تاريخ الخميس٢: ٢٩١، والاستيعاب١: ٣٧٣، والاصابة١: ٤٠٩.

اعتراف معاوية بتحقق نبوءة رسول الله ﷺ فيه

وقد اعترف معاوية بتحقق نبوءة رسول الله ﷺ فيه وفي حزبه، وأقرّ بأنه من أهل الباطل، فقال بعدما عقد الصلح: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، لكنه انتبه فندم، فقال: إلا هذه الأمة، فإنها وإنها...[1]، وهذه نبوءة من رسول الله ﷺ قد انطبقت على بني أمية، فإنه قال لعلي عليه السلام في حديث: «**يا عليّ إنه ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، وإنّ الله قضى الفرقة والاختلاف على هذه الأمة...**»[2].

وسرعان ما نكث عهده، وتظاهر بالكفر والباطل، إذ قال: ألا إنّ كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميّ هاتين لا أفي به.

وفي خطابه للناس قال: إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولالتصوموا، ولالتحجوا، ولا لتزكوّا، إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، قال شريك: هذا هو التهتّك[3].

وكان الحسن قد حذّره بعاقبة أمره في كلام له عليه السلام بعد ما كتب الشروط لمعاوية فقال: وستندم يا معاوية كما ندم الغاصبون وكما ندم غيرك ممن نهض في الباطل، أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم[4]، وفيه إشارة إلى ندم الغاصبين والمساعدين لهم حين احتضارهم لما رأوا آثار العذاب.

وهذه النبوءات التي أنبأ بها الحسن عليه السلام ومن قبله أمير المؤمنين عليه السلام هي نبذة من العلوم التي ألقاها إليهم الرسول المصطفى ﷺ بما فيها من الأحداث والوقائع وتفاصيلها التي وقعت بعد ارتحاله إلى العالم الأعلى، التي منها ماتقدم عنه ﷺ في صلح الحسن عليه السلام، والطعنة التي أصابت فخذه الشريف، والسم الذي يُسقى، وما يجري عليه من المحن و...وقد تحققت جميع نبوءاته ﷺ واحدة بعد واحدة في تاريخ الحسن عليه السلام.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٧، شرح النهج لابن أبي الحديد٤: ١٦.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٣٧، وعنه في البحار ٢٨: ٥٥.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٧٧، شرح ابن أبي الحديد٤: ١٦، الإرشاد: ١٧١.

(٤) علل الشرائع ١: ٢٢١،وعنه في البحار ٤٤: ٣٤.

وبعد ما استقر الأمر لمعاوية واطمئنّ به ألقى ما شرط للحسن عليه السلام على نفسه تحت أقدامه وبذل جهده في نصب العداوة على أمير المؤمنين عليه السلام والتنقيص به وبأهل بيته عليهم السلام ونشر الأكاذيب فيه في جميع المجتمعات والنوادي وقد ادّت إلى الفشل، وما زادته إلا فضيحة وخسراناً، ولأهل البيت إلاّ شرفاً وافتخاراً.

وقفة للحسن عليه السلام مع معاوية وأصحابه وإنبائه عن أمور

ففي وقفة لمعاوية مع الحسن عليه السلام أراد أن ينقّص منه، فأخزاه الامام عليه السلام ثم أنبأه بما ورثه من جده ﷺ من علم، فقال: والله لتدّعينّ زياداً، ولتقتلنّ حُجراً، ولتحملنّ إليك الرؤوس من بلد إلى بلد.

فادّعى زياداً وقتل حُجراً، وحمل إليه رأس عمرو بن الحمق الخزاعي[1].

وقد اجتمع أعداء الله والرسول عند معاوية وتآمروا أن يرسلوا إلى الحسن عليه السلام فينالوا منه ومن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ليشفوا منه غليل صدورهم فتكلموا واحد بعد واحد بما اشتهت أنفسهم، فأجابهم الإمام عليه السلام بما أخزاهم وفضحهم فندموا على ذلك، بحيث قال لهم معاوية: فذوقوا وبال ما جنيتم، فقال له الوليد بن عقبة، والله ما ذقنا إلا كما ذقت، ولا اجترأ إلا عليك، فقال معاوية: ألم أقل لكم إنكم لن تنتصفوا من الرجل؟ فهل أطعتموني أول مرة أو انتصرتم من الرجل إذ فضحكم؟ والله ما قام حتى أظلم عليّ البيت و... .

وكان من كلامه عليه السلام في جواب عتبة بن أبي سفيان: وأمّا وعيدك إياي بقتلي، فهلاّ قتلت الذي وجدته على فراشك مع حليلتك وقد غلبك على فرجها، وشركك في ولدها حتى ألصق بك ولداً ليس لك، ويلاً لك لو شغلت نفسك بطلب ثارك منه كنت جديراً... وقال للمغيرة:... وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله ﷺ حتى أدميتها وألقت ما في بطنها استذلالاً منك لرسول الله ﷺ ومخالفة منك لأمره وانتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول الله ﷺ: «أنت سيدة نساء أهل الجنة» والله مصيرك إلى النار...[2].

---

(١) البحار٤٣: ٣٢٩.

(٢) أنظر الاحتجاج٢: ١٧-٤٤، ونحوه في تذكرة ابن الجوزي: ١١٤-١١٦، وروى فيه كثيراً من مثالبهم

إنباء رسول الله ﷺ عن أئمة الضلالة

وكان من كيد معاوية ودهائه التخطيط في إبعاد أصحاب الإمام من حوله بأيّ نحو أمكن، ففي يوم قال لعبد الله بن جعفر -وفي حضرة الحسن والحسين عليهما السلام وابن عباس وأخيه الفضل-: ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين، ما هما بخير منك ولا أبوهما بخير من أبيك، لو لا أنّ فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ لقلت: ما أمك أسماء بنت عميس بدونها، فغضب عبد الله من مقالته فقال: إنك لقليل المعرفة بهما وبأبيهما وأمهما، بلى والله هما خير مني، وأبوهما خير من أبي، وأمهما خير من أمي، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام فحفظته منه ووعيته، فقال معاوية: هات ما سمعت، فوَ الله ما أنت بكذاب، فقال: إنه أعظم مما في نفسك، قال: وإن كان أعظم من أحد وحرى، فإنه ما لم يكن أحد من أهل الشام لا أبالي، أما إذا قتل الله طاغيتكم وفرّق جمعكم وصار الأمر في أهله ومعدنه فلا نبالي ما قلتم ولا يضرّنا ما ادعيتم.

قال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه**-وعليٌّ بين يديه- وفي البيت فاطمة عليها السلام وأم أيمن وأبوذر والمقداد والزبير بن العوام(وفي نسخة: الحسن والحسين وعمرو بن أم سلمة وأسامة بن زيد)وضرب رسول الله ﷺ على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً، ثم نصّ بالإمامة على الأئمة الإثني عشر عليهم السلام ،ثم قال صلوات الله عليه: «**ولأمتي إثنا عشر إمام ضلالة، كلّهم ضالٌّ مضلّ، عشرة من بني أمية ورجلان من قريش، وزر جميع الإثني عشر وما أضلّوا في أعناقهما**»ثم سماهم رسول الله ﷺ وسمّى العشرة معهما.

قال معاوية: فسمّهم لنا: قال: فلان وفلان وصاحب السلسلة وابنه من آل أبي سفيان وسبعة من ولد الحكم بن أبي العاص أولهم مروان.

قال معاوية: لإن كان ما قلت حقاً هلكت وهلكت الثلاثة قبلي وجميع من تولاهم من هذه الأمة، ولقد هلك أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين

عن كتاب المثالب لهشام بن محمد الكلبي، شرح النهج٦: ٢٨٥، مقتل الخوارزمي: ١١٤.

والأنصار والتابعين من غيركم أهل البيت وشيعتكم، قال ابن جعفر: فإنّ الذي قلت والله حق سمعته من رسول الله ﷺ، فطلب معاوية من الحسن والحسين و ابن عباس ومن كان حاضراً ذاك اليوم أن يشهدوا بصدق عبد الله، فشهدوا كلهم إنّ الذي قال ابن جعفر حق قد سمعوه من رسول الله ﷺ كما سمعه، وجرى الحوار بينه وبينهم بما ظهر كثير من الحقائق بشأن الأمور التي حدثت بعد رسول الله ﷺ، فألجمت معاوية وفضحت جماعة الحكم ومن تبعهم[1].

إنباء الحسن عليه السلام عمن يسمّه

وقد أنبأ الحسن عليه السلام عما يصيبه أيضاً، كما يروى عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: إنّ الحسن عليه السلام قال: إني أموت بالسم، كما مات رسول الله ﷺ، وقالوا: ومن يفعل ذلك؟ قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث، فإنّ معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك، قالوا: أخرجها من منزلك، وباعدها عن نفسك، قال: كيف أخرجها ولم تفعل شيئاً؟ ولو أخرجتها ما قتلني غيرها، وكان لها عذر عند الناس[2]، وفي رواية قال: هيهات من إخراجها ومنيتي على يدها، مالي منها محيص، ولو أخرجتها ما يقتلني غيرها، كان قضاءً مقضياً وأمراً واجباً[3].

وقد دخل عليه الحسين عليه السلام يوماً فلما نظر إليه بكى، فقال له عليه السلام: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يُصنع بك، فقال له الحسن: إنّ الذي يوئى إليّ سمٌّ يُدسّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل...[4].

---

(١) أنظر الاحتجاج للطبرسي٢: ٥٦-٦٥، وصدره في الكافي١: ٥٢٩ح٤ كتاب الحجة باب ما جاء في الأئمة الإثني عشر، إكمال الدين١: ٢٧، الغيبة للطوسي: ٩١،البحار٤٤: ٩٧.

(٢) الخرائج والجرائح١: ٢٤١ ح٧، وعنه في البحار٤٤: ١٥٣ح٢٣، ومثله في مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٧٥. ومن خُبث الأشعث اشتراكه في دم أمير المؤمنين عليه السلام،وابنته سمّت الحسن عليه السلام، وابنه محمد شرك في دم الحسين عليه السلام.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣: ١٧٥، وعنه في البحار٤٣: ٣٢٧.

(٤) أمالي الصدوق: ١٧٧ح ٣،وعنه في البحار٤٥: ١٢٨ح ٤٤، مناقب الخوارزمي ٣: ٢٣٨.

استشهاد الامام الحسنع بالسم

وقد تحققت تلك النبوءات، بعد ذهاب ليالي وأيام وسنين عسيرة على الإمامع رجع فيها إلى المدينة كاظماً غيظه لازماً بيته منتظراً لأمر ربهﷻ، إذ بعث معاوية سمّاً إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس مع مائة ألف درهم، وضمن لها تزويجها بيزيد إن قتلت ابن رسول اللهﷺ، فسقته إياه في يوم حارّ كان فيه صائماً وقد جعلته في شربة لبن، فلما شربه أحسّ بالسم استرجع وحمد الله تعالى على التحوّل من هذه الدنيا الفانية إلى الجنان الباقية، ولقاء جده وأمه وأبيه وسائر أحبته، ثم التفت إلى جعدة وقال لها: أي عدوة الله قتلتني قتلك الله، ثم أنبأها بعدم الوصول إلى ما تريد، فقال: والله لاتصيبنّ مني خلفاً، ولقد غرّك وسخر منك، والله يخزيك ويخزيه[1].

وكان كما قال الإمامع: إنّ معاوية ما وفى بما وعدها ولم يزوّجها بيزيد، وقال: من لم تف مع الحسن فلا وفاء لها مع يزيد، فمكث الإمام أياماً مريضاً مخضرّاً لونه حتى مضى صلوات الله عليه في سنة خمسين من الهجرة وله من العمر ثمانية وأربعون عاما، وقد اختلف في اليوم الذي تُوفي فيه من صفر.

وكان يقول للحسينع: لقد سُقيت السم عدة مرات، فما سُقيت مثل هذه المرة، لقد لفظت قطعة من كبدي فجعلت أقلّبها بعود معي، فقال له الحسينع: من سقاكه؟ فقال: وما تريد منه؟ أتريد أن تقتله؟ إن يكن هوهو فالله أشد نقمة منك، وإن لم يكن هو فما أحبّ أن يؤخذ بي بريء[2].

وهكذا انطبق ما ورد في شأنه من السقاء بالسم وتغيير لونه.

ويقول جنادة بن أبي أمية: دخلت على الحسن بن علي أبن أبي طالبع في مرضه الذي توفّي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية لعنه الله، فقلت: يا مولاي ما لك لا تعالج

---

(١) أنظر الخرائج والجرائح١: ٢٤٢ذيل ح٧، وعنه في البحار ٤٤: ١٥٤ ذيل ح ٣٣.

(٢) الإرشاد للمفيد٢: ١٦، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٠٢، وانظر الاستيعاب١: ٣٧٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ١٦: ٤٩، تاريخ اليعقوبي٢: ٢٠٠، صفة الصفوة١: ٣٢.

نفسك؟فقال: يا عبد الله بماذا أعالج الموت؟ قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم التفت إليّ فقال: والله إنه لعهد عهد إلينا رسول الله ﷺ أنّ هذا الأمر يملكه إثنا عشر إماماً من ولد عليٍّ وفاطمة عليهما السلام، ما منا إلا مسموم أو مقتول، ثم رفعت الطشت واتّكى صلوات الله عليه: قال: فقلت له: عظني يا ابن رسول الله قال: نعم، إستعدّ لسفرك وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك و... وساق الكلام في المواعظ البليغة.

قال: ثم انقطع نفسه واصفرّ لونه، حتى خشيت عليه، ودخل الحسين عليه السلام والأسود بن أبي الأسود فانكبّ عليه حتى قبّل رأسه وبين عينيه، ثم قعد عنده فتسارا جميعاً، فقال أبو الأسود: إنا لله إنّ الحسن قد نعيت إليه نفسه[1].

إنباء الحسن عليه السلام عما سيحدث عند دفنه

وقد أوصى الحسين عليه السلام بوصايا وأودعه مواريث الأنبياء وودائع الإمامة،ثم قال: يا أخي إني أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا متُّ فهيئني ثم وجهني إلى رسول الله ﷺ لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام ثم ردّني فادفنّي بالبقيع، واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الله والناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله ﷺ وعداوتها لنا أهل البيت[2].

وفي رواية قال:...وأن تدفنّي مع رسول الله ﷺ فإني أحق به وبيته ممن أُدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده، قال الله فيما أنزله على نبيه ﷺ في كتابه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف فيما ورثناه من بعده،فإن أبت عليك الإمرأة فأنشدك الله بالقرابة التي قرّب الله منك والرّحم الماسة من رسول الله ﷺ أن لاتهريق فيّ محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله ﷺ فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا بعده[3].

---

(١) كفاية الأثر للخزاز: ٢٢٧، البحار٤٤: ١٣٨.

(٢) الكافي١: ٣٠٢، وعنه في البحار٤٤: ١٤٢.

(٣) أمالي الطوسي: ١٦٠، البحار٤٤: ١٥١،والآية في سورة الاحزاب: ٥٣.

وفي رواية قال: احملني على سريري إلى قبر جدي رسول اللهﷺ لأجدّد به عهدي،ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فأدفني، فستعلم يا ابن أمّ أنّ القوم يظنون أنكم تريدون دفني عند رسول الله، فيجلبون في منعكم ذلك، وبالله أقسم عليك أن لاتهرق في أمري محجمة دم[1].

وهذه النبوءات من الحسنعليه السلام كما ترى مما أنبأ بها رسول اللهﷺ إلى أهل بيتهعليهم السلام والحسنعليه السلام حيث إنه ممن زُقّ العلم زقاً.

وقد عمل الحسينعليه السلام بوصية أخيه فغسّله وكفّنه وحمله على سريره متجهاً به إلى قبر رسول اللهﷺ، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول اللهﷺ، فاجتمعوا ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين إلى قبر جدّه رسول اللهﷺ ليجدّد به عهداً أقبلوا إليه في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل بسرج(فكانت أول امرأة ركبت في الاسلام سرجاً)وهي تقول: ما لي ولكم؟ تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحبّ، وقال مروان: أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبيﷺ، لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف، وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبين بني أمية.

فقال ابن العباس لمروان: ارجع يا مروان من حيث جئت فإنا مانريد دفن صاحبنا عند رسول اللهﷺ،لكنا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته ثم نرده إلى جدته فاطمة، فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبيﷺ لعلمت أنك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، لكنه كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره، ودخل بيته بغير إذنه.

ثم أقبل على عائشة وقال لها: واسوأتاه يوماً على بغل ويوماً على جمل؟ تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله، ارجعي فقد كفيت الذي تخافين وبلغت ما تحبّين، والله منتصر لأهل هذا البيت ولو بعد حين.

---

(١) الخرائج والجرائح ١: ٢٤٢،وعنه في البحار٤٤: ١٥٤، وقريباً منه ما في الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي: ٦٥.المحجمة: القارورة.

وقال الحسين عليه السلام: والله لو لا عهد الحسن عليه السلام إليّ بحقن الدماء وأن لا أهريق في أمره محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا، ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد[1]، فسلام عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه،عاش مظلوماً ومات مسموماً.

(١) الإرشاد للمفيد٢: ١٨،كشف الغمة ٢: ٢٠٩، وقريبا منه في الكافي٨: ١٦٧، والخرائج ١: ٢٤٣ ح٨،وعنه في البحار ٤٤: ١٥٤،ومقاتل الطالبين: ٤٨،وتاريخ اليعقوبي٢: ٢٠٠، وشرح النهج لابن أبي الحديد١٦: ٤٩، وإعلام الورى ١: ٤١٥.

الفصل الخامس

في الإنباء عن الشجرة الملعونة
وتطبيقها عبر التاريخ والإنباء عن مولد
الحسين وشهادته وتطبيقها عبر التاريخ

ما ورد من الإنباء في ملك بني أمية أو الشجرة الخبيثة الملعونة

قد تعرض القرآن الكريم عن خبث طينة بني أمية وعدائهم الشديد لأهل بيت النبوة عليهم السلام وعدم إيمانهم بالله جل جلاله، ففي آية ضرب الله لهم مثلاً، فقال: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾[1]، فأنبأ عن زوال ملكهم، وأنّ الظالم ما له من قرار في الأرض.

وفي آية أسفر تعالى عن كفرهم، ومكانهم في الآخرة، فقال: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾[2].

وفي آية أخرى سمّاهم بالشجرة الملعونة، وأنبأ عن افتتان الناس بهم فقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾[3].

وأمّا الرؤيا التي أشار إليها القرآن، فهي كما قال الصادق عليه السلام: إنّ النبي صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني أمية يصعدون على منبره من بعده، ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فأصبح كئيباً حزيناً، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً؟قال: «**يا جبرئيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلّون الناس عن الصراط القهقرى**» فقال: والذي بعثك بالحق نبياً إنّ هذا شيء ما اطلعت عليه، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن سلاّه بها، قال: ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾[4]، وانزل عليه ايضاً سورة القدر، وجعل الله ليلة القدر لنبيّه خيراً من ألف شهر ملك بني أمية[5].

---

(١) إبراهيم: ٢٦.

(٢) إبراهيم: ٢٨.

(٣) إبراهيم: ٢٦.

(٤) الشعراء: ٢٠٦.

(٥) الكافي٤: ١٥٩، وعنه في البحار ٢٨: ٧٧، أمالي الطوسي: ٦٨٩.

قال القاسم بن الفضل: فحسبنا مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص[١].

وروى زرارة مثله عن الصادقين عليهما السلام، وفيه قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: **«وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أنّ بني تيم وبني عدي وبني أمية يصعدون منبري هذا، يردّون الناس عن الإسلام القهقرى، فقلت يا ربّ في حياتي أو بعد موتي؟ قال: بعد موتك»**[٢].

وأخرج ابن أبي حاتم عن يعلي بن مرّة قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء»** واهتمّ لذلك رسول الله فأنزل الله ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ..﴾[٣].

وأخرج ابن مردويه عن الحسين بن علي عليهما السلام: أنّ رسول الله ﷺ أصبح وهو مهموم، فقيل: ما لك يا رسول الله؟ فقال: **«إني رأيت في المنام كأنّ بني أمية يتعاورون منبري هذا»** فقيل: يا رسول الله لا تهتمّ فإنها دنيا تنالهم، فأنزل الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا..﴾[٤].

وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما من طريق سهل بن سعد، عن أبيه قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتى مات، وأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا..﴾[٥].

وقال ابن عباس: إنّ الشجرة الملعونة هم بنو أمية[٦].

---

(١) الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي: ٦٤.

(٢) الكافي ٨: ٣٤٥ح٥٤٣، وفي تفسير العياشي٢: ٢٩٨...قيل له: مالك يا رسول الله؟ قال: «رأيت الليلة صبيان بني أمية يرقون على منبري هذا...».

(٣) فتح القدير للشوكاني٣: ٢٤٠، الدر المنثور ٤: ١٩١، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٣: ٣٩٧ وفيه بعد قوله: «أرباب سوء»: «فانتظروا خلاف سفهائهم، إذا اختلف سفهائهم ارتدوا على أعقابهم لايرتقون فتقاً إلا فتق الله عليهم أعظم منه، حتى يخرج مهديناً».

(٤) فتح الباري لابن حجر ٨: ٣٠٢، الدر المنثور ٤: ١٩١، العمدة لابن بطريق: ٤٥٢ عن الثعلبي في تفسيره، ولاحظ الغدير٨: ٢٤٨ ومصادره.

(٥) تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٣، تفسير الطبري ١٥: ٧٣،تفسير الفخر الرازي ٢٠: ٢٣٦.

(٦) تفسير الفخر الرازي ٢٠: ٢٣٧، وانظر الغدير ٨: ٢٤٨.

كما قالت عائشة لمروان: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدّك أبي العاص بن أمية: «إنكم الشجرة الملعونة في القرآن»، وقالت أيضاً: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت بعض من لعنه الله، ثم قالت: والشجرة الملعونة في القرآن[1].

وفي حديث صرّح النبي ﷺ باسمهم فقال: «رأيت ولد الحكم بن أبي العاص على المنابر كأنهم القردة» فأنزل الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا...﴾ يعني الحكم وولده[2].

وروى الثعلبي بإسناده عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمُتّعوا إلى حين[3].

وروي مثله عن الإمام الصادق عليه السلام وزاد: ونحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز[4].

وقال الثعلبي أيضاً في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ نزلت في بني أمية وبني هاشم[5]، وذلك لأنّ بني هاشم كانوا أرحاماً لبني أمية.

ولهذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: لكل أمة آفة وآفة هذه الأمة بنو أمية[6]، وفي لفظ: بنو أمية وثقيف وبنو حنيف.

وفي خصوص معاوية

فقد وردت عنه ﷺ روايات تكشف اللثام عن لؤمه وكفره.

منها: قوله: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»، وفي لفظ: «يخطب على

---

(١) الدر المنثور ٥: ٣٦٠، وانظر الغدير ٨: ٢٤٦.

(٢) الدر المنثور ٤: ١٩١،فتح القدير ٣: ٢٤٠.

(٣) تفسير الثعلبي٢: ٢٨١،وعنه في العمدة: ٤٥٣ باختلاف يسير، الدر المنثور٤: ٨٤.

(٤) تفسير القمي١: ٣٧١،وعنه في البحار ٩: ٢١٨، وفي الكافي١: ٢١٧عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) تفسير الثعلبي٤: ١٦٧، وعنه في العمدة: ٤٥٤ ح ٩٤٦.

(٦) كنز العمال ٦: ٩١، ١١/ ٣٦١، العمدة لابن بطريق: ٤٧٢ ح ٩٩٤،الإشاعة: ٦١.

منبري...» قال الراوي: فتركوا أمره، فلم يفلحوا ولم ينجحوا[١].

وعن أبي سعيد الخدري: إنّ رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا له: لاتسلّ السيف في عهد عمر حتى نكتب إليه، قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه»، قالوا: ونحن سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر، فكتبوا إليه، فلم يأتهم جواب حتى مات[٢].

وقد رآه النبي ﷺ مع ابن العاص جالسين فقال: «إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرّقوا بينهما، فإنهما لا يجتمعان على خير»[٣].

وعنه ﷺ: «إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على المنبر فاضربوه بالسيف، وإذا رأيتم الحكم بن أبي العاص ولو تحت أستار الكعبة فاقتلوه...»[٤].

وقال ﷺ: «لا يذهب أمر هذه إلا على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم»[٥]، قال أبوذر: أخبرني رسول الله ﷺ بأنه معاوية، ومن ثم قال أبو ذر في حوارله مع معاوية:ما أنا بعدو الله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ﷺ ودعا عليك مرّات أن لا تشبع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه»، فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل، قال أبوذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله ﷺ، وسمعته يقول وقد مررتَ به: «اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب» وسمعته يقول: «أست معاوية في النار»،فضحك معاوية وأمر بحبسه...[٦].

---

(١) انظر شرح النهج ١٥: ١٧٦، الكامل لابن عدي٢: ٦٢٦، البحار٣٣: ١٨٦،تاريخ دمشق ٥٩: ١٥٥، سير أعلام النبلاء ٣: ١٤٩، وقعة صفين: ٢١٦، الغدير١٠: ١٤٣عن مصادر العامة.

(٢) المناقب لابن سليمان ٢: ٣٠٣،الكامل لابن عدي ٥: ٢٠٠،الغدير١٠: ١٤٣،عن البلاذري.

(٣) وقعة صفين: ٢١٨، وعنه في البحار ٣٣: ١٨٨،شرح الاخبار٢: ٥٣٧، الغدير١٠: ٣٧٢.

(٤) الأصول الستة عشر: ١٩٠ عن عباد العصفري، وعنه في البحار٣٣: ١٩٦.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٢: ١٢٨، وعنه في البحار ٤٤: ٦٠، ونحوه في شرح النهج ١٦: ٤٤-٤٥، كنز العمال ١١: ٣٤٩، وانظر الغدير ١٠: ١٤٢.

(٦) شرح النهج ٨: ٢٥٧، البحار٢٢: ٤١٦،الأربعين لمحمد بن طاهر القمي: ٦٠٦، الغدير٨: ٣٠٥.

وكان عدم شبعه بسبب دعاء الرسولﷺ عليه لما طلبه، فقال: إنه يأكل، فقال في الثالثة: «لا أشبع الله بطنه أبداً»[١].

وقد قال رسول اللهﷺ لمعاوية: «لتتخذنّ يا معاوية البدعة سُنّة والقبيح حسناً، أكلك كثير وظلمك عظيم»[٢].

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «سيظهر على الناس رجل من أمتي عظيم السّرة واسع البلعوم يأكل ولا يشبع، يحمل وزر الثقلين، يطلب الأمارة يوماً، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه».

قال:وكان في يد رسول اللهﷺ قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية[٣].

وروي أنه قدم راكب من الشام وعليٌّؑ بالكوفة فنعى معاوية، فأُدخل على عليؑ، فقال له عليؑ: أنت شهدت موته؟ قال: نعم وحثوت عليه، قال: إنه كاذب، قيل: وما يدريك يا أميرالمؤمنين إنه كاذب؟ قال: إنه لا يموت حتى يعمل كذا وكذا(ذكرأعمالاً عملها معاوية في سلطانه)فقيل له: فلِمَ تقاتله وأنت تعلم هذا؟ قال: للحجة[٤].

وقال رسول اللهﷺ: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي» فطلع معاوية، وفي رواية ابن مزاحم: «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت على غير سُنّتي»[٥].

وروي بالاسناد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت جالساً عند

---

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٠١كتاب البرّ والصلة ب ٢٥باب من لعنه النبيﷺ،شرح النهج ١٥: ١٧٦وفيه: فبقي لا يشبع ويقول: والله ما أترك الطعام شبعاً ولكن إعياء، مسند الطيالسي: ٣٥٩، أنساب الأشراف ١: ٥٣٢ وقال: فكان معاوية يقول: لحقني دعوة رسول الله،وكان يأكل في كل يوم مرات.

(٢) شرح النهج ٤: ٧٩،مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٩٥، البحار ٣٣: ٢١٧.

(٣) شرح النهج ٤: ١٠٨، وعنه في البحار٣٣: ٢١٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب٢: ٩٥، وعنه في البحار٤١: ٣٠٤.وقريب منه في الخرائج والجرائح ١: ١٩٨، وعنه في البحار٤١: ٢٩٨، إلا أنّ فيه فقال: كلا والذي نفسي بيده لن يهلك حتى تجتمع عليه هذه الأمة. وفي رواية قالؑ: لا يموت ابن هند حتى يعلّق الصليب في عنقه.(المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٩٥ عن المحاضرات للراغب، وعنه في البحار ٣٣: ١٦١). فكان كما قالؑ.

(٥) تاريخ الطبري٨: ١٨٦، شرح النهج ١٥: ١٧٦، وقعة صفين: ٣٢٠، الغدير١٠: ١٤١.

النبي ﷺ فقال: «يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي» قال: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع، فطلع معاوية، فقال رسول الله ﷺ: «هو هذا»[1].

وقال الحسن بن علي عليه السلام لمن اعترض عليه في صلحه مع معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذهب الليالي والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع لا ينظر الله إليه ولا يموت حتى لا يكون له عاذر في السماء ولا في الأرض ناصر»، إنه معاوية، وإني عرفت أنّ الله بالغ أمره[2].

ومن ثم قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة مذ قال لي رسول الله ﷺ: «يا معاوية إذا ملكت فأحسن»[3].

وفي لفظ: «إن وليت أمراً فاتّق الله وأعدل»[4]،وهذا الكلام من النبي ﷺ إنما جاء تشديداً للحجة على معاوية وتحذيراً له.

على أنه ﷺ قد دعا رسول الله ﷺ عليه وعلى أبيه وابنه، ولعنهم كراراً.

ففي تاريخ الطبري: أنه ﷺ لما رأى أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به ويزيد ابنه يسوق به، قال: «لعن الله القائد والراكب والسائق»[5].

وروي أنه لما أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، قال ﷺ: «اللهم العن التابع والمتبوع، اللهم عليك بالأُقيعس» فقال ابن البراء لأبيه: من الأُقيعس؟ قال: معاوية[6]، وفي رواية قال ﷺ: «لعن الله التابع والمتبوع، ربّ يوم لأمتي من معاوية ذي الأستاه»، قالوا: يعني كبير العجز[7].

---

(١) شرح النهج١٥: ١٧٦، وانظر الغدير١٠: ١٤١ ومصادره.

(٢) الإشاعة في أشراط الساعة: ٨٥، مقاتل الطالبيين: ٤٤، شرح النهج ١٦: ٤٤، السرم: الدُبر.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة ٧: ٢٨٠ ح١٨٢، المعجم الكبير ١٩: ٣٦٢، كنز العمال ١١: ٧٤٨.

(٤) مسند أبي يعلي١٣: ٢٧٠ح٧٣٨٠،كنز العمال١١: ٧٤٨ ح٣٣٦٥٣، البداية والنهاية٦: ٢٤٦.

(٥) تاريخ الطبري ٨: ١٨٥، الاحتجاج ١: ٤٠٨ ضمن حديث طويل.

(٦) وقعة صفين لابن مزاحم: ٢١٨، معاني الأخبار ٣٤٥ ح١، وعنهما في البحار ٣٣: ١٦٤، وورد مضمونه في شرح النهج ٤: ٧٩، الأقيعس: ملتوي العنق.

(٧) شرح النهج ٤: ٧٩، وعنه في البحار٣٣: ٢١٥، مناقب أهل البيت للشيرواني: ٤٦٧.

وعنه ﷺ وقد سمع غناءً فأخبر أنه لمعاوية وعمرو بن العاص فقال: «**اللهم أركسهم في الفتنة ركساً، اللهم دُعّهم إلى النار دعاً**»[١].

وفي خصوص الحكم بن أبي العاص بن أُمية وأبنائه

ورد أنّ النبي ﷺ لعنه ومن في صلبه وأنبأ عن إمارتهم الغاشمة.

منها: ما رواه جُبير بن مطعم قال: كنا عند رسول الله ﷺ فمرّ الحكم بن أبي العاص، فقال النبي ﷺ: «**ويل لأمتي مما في صُلب هذا**»[٢].

وفي حديث لما استأذن الحكم بن أبي العاص على رسول الله ﷺ فعرف صوته، فقال: «**ائذنوا له حيّة أو ولد حية، عليه لعنة الله وعلى كل من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة، يعظمون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق**»[٣].

وكان من مثالب الحكم وابنه أنّ الصادق عليه السلام قال: خرج رسول الله ﷺ من حجرته ومروان وأبوه يستمعان إلى حديثه، فقال له: «**الوزغ ابن الوزغ**» قال الصادق عليه السلام: فمن يومئذ يرون أنّ الوزغ يسمع الحديث[٤].

وروي أنه: كان لا يولد مولود إلا أُتي به النبي ﷺ، فأُدخل عليه مروان بن الحكم، فقال: «**هو الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون**»[٥].

وقد طرده رسول الله ﷺ ونفاه من المدينة لأمور، منها: اطلاعه على بيته

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٧، ولاحظ الغدير ١٠: ٣٧٢ ومصادره.

(٢) الإشاعة في أشراط الساعة: ٦٤، أنساب الأشراف ٥: ١٢٦، المستدرك للحاكم ٤: ٤٨١.

(٣) المستدرك للحاكم ٤: ٤٨١ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، تاريخ دمشق ٥٧: ٢٦٨.

(٤) الكافي ٨: ٢٣٨ح٣٣٣، البحار ٣١: ٥٣٢، وقد استمعا لما يقوله النبي ﷺ لأزواجه وأهل بيته وأخبرا به المنافقين فيذيعونه، وسُمّيا بالوزغ لما ورد عن الباقر عليه السلام: ليس يموت من بني أمية ميت إلا مسخ وزغاً، إنّ عبد الملك بن مروان لما نزل به الموت مُسخ وزغاً، فذهب من بين يدي من كان عنده وكان عنده ولده، فلما أن فقدوه عظم ذلك عليهم فلم يدروا كيف يصنعون، ثم اجتمع أمرهم على أن يأخذوا جذعاً فيصنعوه كهيئة الرّجل، ففعلوا ذلك وألبسوا الجذع درع حديد ثم لفّوه الأكفان فلم يطّلع عليه أحد من الناس إلا أنا وولده.(شرح أصول الكافي للمازندراني ١٢: ٣١٤).

(٥) المستدرك ٤: ٤٧٩، جواهر المطالب لابن الدمشقي ٢: ١٩١، الفتن لابن حماد المروزي: ٧٣.

وإفشاء أسراره إلى المنافقين وغيرهما، وروي أنه لما قلّد مشية رسول الله ﷺ إلتفت إليه وقال: «فكذلك فلتكن»، فصار الحكم مختلجاً يرتعش من ذاك اليوم، فعيّره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت في ذلك[1].

وروي أنه قال رسول الله ﷺ: «يدخل عليكم رجل لعين»، فدخل الحكم بن أبي العاص[2].

وما زال الحكم طريداً في الطائف، حتى ردّه عثمان، فكان ذلك مما نُقم منه.

وروي عن عبد الله بن عمر، أنه قال: هجرت الرواح إلى النبي ﷺ فجاء أبو الحسن، فقال له النبي ﷺ: «ادن»فلم يزل يدنيه حتى التقم أُذنه، فبينما النبي ﷺ يسارّه إذ رفع رأسه كالفزع، فقال: «قرع الخبيث بسيفه الباب» فقال لعلي: «اذهب فقُده كما تُقاد الشاة إلى حالبها»، فإذا أنا بعلي قد جاء بالحكم آخذاً بأُذنه ولها زمة حتى أوقفه بين يدي رسول الله ﷺ، فلعنه نبي الله ﷺ ثلاثاً، ثم قال: «أجلسه ناحية» حتى راح إليه قوم من المهاجرين والأنصار، ثم دعا به فلعنه ثم قال: «إنّ هذا سيخالف كتاب الله وسُنّة نبيه، وسيخرج من صلبه مَن فتنته يبلغ دخانها السماء» فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه، قال: «بلى وبعضكم يومئذ شيعته»[3].

ومنها: ما رواه أبو هريرة عنه ﷺ قال: «ليرعفنّ جبار من جبابرة بني أمية على منبري هذا فيسيل رعافه»قال: فرعف عمرو بن سعيد بن العاص على منبر رسول الله ﷺ، فسال رعافه على درج المنبر[4].

وفي بني مروان

عن ابن الموهب أنه كان عند معاوية، فدخل عليه مروان، فقال له: اقض

---

(١) المستدرك للحاكم ٢: ٦٢١، الاستيعاب ١: ١١٨، أسد الغابة ٢: ٣٤، الغدير ٨: ٢٤٤.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر١: ١١٩، وعنه في شرح النهج ٦: ١٥٠، أسد الغابة٢: ٣٤.

(٣) المعجم الكبير للطبراني١٢: ٣٣٦،كنز العمال١١: ٣٦٠، الإشاعة: ٦٤، النصائح الكافية: ١٤٣، باختلافات لفظية نشأت من النساخ أخذت بالأصح منها. الزمة: شيء يقطع من الأذن.

(٤) الإشاعة: ٦٤عن الفاكهي، مناقب آل أبي طالب ١: ٩٦، وعنه في البحار ١٨: ١٣٣، وانظر البداية والنهاية لابن كثير ٦: ٢٦٣، بغية الباحث للحارث بن أبي اسامة: ١٩٤.

حاجتي يا أمير المؤمنين، فوالله إنّ مؤونتي لعظيمة، وإني أبو عشرة وعمّ عشرة وأخو عشرة، فلما أدبر مروان -وابن عباس جالس مع معاوية على السرير-، قال معاوية: يا ابن عباس! أما تعلم أنّ رسول الله ﷺ قال: **«إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباد الله خولاً، وكتاب الله دغلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربع مئة رجل كان هلاكهم أسرع من أكل تمرة»**؟ فقال ابن عباس: اللهم نعم[1].

وفي رواية عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً صيّروا مال الله دولاً وكتاب الله دغلاً وعباده خولاً، والفاسقين حزباً والصالحين حرباً»**[2].

وذكر مروان حاجة له، فأرسل عبد الملك إلى معاوية فكلّمه فيها، فلما أدبر عبد الملك قال معاوية: يا ابن عباس أما تعلم أنّ رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: **«أبو الجبابرة الأربعة»**؟ فقال ابن عباس: اللهم نعم[3].

ومنها: قوله ﷺ: **«إنّ هلاك أمتي على يد أمراء أغيلمة سفهاء من قريش»** وفي لفظ: **«إنّ فساد أمتي على يدي غلمة سفهاء من قريش»**[4].

وروى عمر بن يحيى بن سعيد عن جده قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدّق يقول: **«هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش»** فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة؟! قال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان وبني فلان لفعلت، وكنت أخرج مع جدّي إلى بني مروان حين ملكوا الشام فإذا، رآهم غلمان أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم! قلنا: أنت أعلم[5]، وكان أبو هريرة يقول:

---

(١) الإشاعة: ٦٢، وانظر البداية والنهاية٦: ٢٧٢، المعجم الكبير١٢: ١٨٢، كنز العمال١١: ١٦٥.

(٢) البحار٢٢: ٤٢٧، ومثله ما أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٤٨٠ من عدة طرق، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٧: ٣٥٣،وصححه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ٣: ٤٧٨، وغيرهم.

(٣) المعجم الكبير ١٢: ١٨٣، البداية والنهاية ٦: ٢٧٢، العمدة لابن بطريق: ٤٧٢ح٩٩٤.

(٤) مسند أحمد ٢: ٢٩٩و٣٠٤، مسند ابن راهويه ١: ٣٥٨، وانظر المستدرك للحاكم ٤: ٤٧٠ و٤٧٩ و٥٢٧وقد صححه، مسند أبي داود: ٣٢٧، وغيرها بزيادة ونقصان في بعض الألفاظ

(٥) صحيح البخاري ٨: ٨٨، ونحوه في ج٤: ١٧٨، العمدة لابن بطريق: ٤٥٢ ح٩٤٠.

اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمارة الصبيان، يشير إلى قوله ﷺ: «هلاك أمتي..»، فإنّ يزيد فيها تولّ[1].

وروي أن مروان لما أُخِذ أسيراً يوم الجمل استشفع له الحسن والحسين، فخلّى عليٌّ عليه السلام سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين، فقال: أوَلم يبايعني بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته، إنها كفّ يهودية، لو بايعني بيده لغدر بأسته، أما إنّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمراً[2]، وتشبيه حكومته بلعقة الكلب لقصر مدتها.

ومنها: قوله ﷺ لكعب بن عجرة: «أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء»، قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟ قال: «أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنّون بسنتي، فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولستُ منهم ولا يردّون عليّ حوضي، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يُعِنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ويردّون على حوضي»[3].

وفي حديث قال ﷺ: «سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون»[4].

وفي حديث آخر قال ﷺ: «ستكون عليكم أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة حتى يؤخروها عن وقتها، فصلّوها لوقتها»[5].

وابن سمية من الذين أخّروا الصلاة، وأنكره عليه حجر بن عدي[6].

وقد أنبأ أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له، عما أخبره رسول الله ﷺ في بني أمية، فقال:...يظهر أهل باطلها على أهل حقها حتى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً، إلى أن يضع الله سبحانه جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها، ألا وإنكم

---

(١) المستدك للحاكم ٤: ٤٨٣، كنز العمال ١١: ١٨٨، الإشاعة في أشراط الساعة: ٧٠.

(٢) نهج البلاغة١: ١٣٤، وعنه في شرح النهج ٦: ١٤٦، وعنه في البحار٣٢: ٣٢٤و ٤١: ٣٥٥.

(٣) المستدرك ٤: ٤٢٢، ومثله في مسند أحمد ٣: ٣٢١، صحيح ابن حبان ١٠: ٢٧٢بتفاوت.

(٤) مسند أحمد١: ٤٥٦، وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٨: ١٥٧،مسند ابي يعلي ١٠: ٣٠٨.

(٥) مسند أحمد٥: ٣٦٤، تاريخ بغداد للخطيب ١٣: ١٨٥.

(٦) لاحظ الغدير١١: ٥٧ ومصادره.

مدركوها فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات بدر وحنين تـؤجروا، ولا تمـالئوا عليهم عدوّهم فتصرعكم البليّة وتحلّ بكم النقمة[١].

وفي خطبة أخرى بعد ما أنّب أهل الكوفة على عجزهم قال عليه السلام:...أما إنكم ستلقون بعدي ذُلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وأثرة قبيحة، يتّخذها الظالمون عليكم سنة، فتبكي عيونكم ويدخل الفقر بيوتكم وقلوبكم، وتتمنون في بعض حالاتكم أنكم رأيتموني فنصرتموني وأرقتم دماءكم دوني...[٢].

وقال أيضاً: أما إنه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم مندحق البطن،يأكل ما يجد ويطلب ما لايجد، فاقتلوه ولن تقتلوه ألا وإنه سيأمركم بسبّي والبراءة مني، فأمّا السبّ فسبّوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأمّا البراءة مني فلا تتبرءوا مني، فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة[٣].

وفي يزيد بن معاوية

وما يجري من الظلم والفساد في عهده وردت عنه ﷺ نبوءات.

منها: قوله ﷺ: «لايزال هذا الدين قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية، يقال له يزيد»، وفي لفظ: «لا يزال أمر أمتي قائماً...»[٤].

وقال أبوذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول رجل يغيّر سنتي رجل من بني فلان»–يعني بني أُمية–فقال يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية:أنا هو؟ قال: «لا»[٥]، وفي رواية: «أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد»[٦].

ثم إنّ المراد من قوله ﷺ: «أول من يثلم، أو يغيّر أو يبدل» هو المخالفة العلنية، والتجاسر على سُنّة رسول الله ﷺ، والتجاهر بالفسق والفجور إلى حدّ الكفر وإنكار الوحي، كما صدر منه عند ما وُضع رأس سبط النبي ﷺ بين يديه

---

(١) شرح النهج ٧: ٥٨، وعنه في البحار٤١: ٣٥٤،وانظر المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٦٩٩.

(٢) البحار ٧٤: ٣٣٨، وانظر كنز العمال ١١: ٣٥٥، تاريخ دمشق ١: ٣٢١.

(٣) مناقب آل أبي طالب٢: ١٠٧، وعنه في البحار٤١: ٣١٧، شرح النهج٤: ٥٤، مندحق: واسع.

(٤) كنز العمال ١١: ١٦٨،الإشاعة في أشراط الساعة: ٧١، مسند أبي يعلي ٢: ١٧١.

(٥) كنز العمال ١١: ٣٣٨، تاريخ دمشق ١٨: ١٦٠، الإشاعة: ٧١.

(٦) تاريخ دمشق ٦٥: ٢٥٠، سير أعلام النبلاء للذهبي ١: ٣٣٠، الإشاعة: ٧١.

فأخذ يستهزئ به وهو يشرب الخمر، ويقول: لعبث هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل، وإلا فمن تقدم عليه من الخلفاء لم يقصّروا في إظهار البدع وتبديل السنن والظلم عن يزيد.

ومن ثم تراهﷺ قال: «يزيد لا بارك الله في يزيد» في حديث أنبأ فيه معاذ بن جبل عن مصاب الحسينؑ وقاتله يزيد، وما يحدث بعده،ثم قالﷺ: «أمسك يا معاذ واحص، فلما بلغت خمساً»-يعني من الخلفاء-قال: «يزيد لا بارك الله في يزيد» ثم ذرفت عيناه،ثم قال: «نُعي إليّ حسين، وأُتيت بتربته وأُخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يُقتل بين ظهرانيّ قوم لا يمنعونه إلاّ خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلّط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً، ثم قالﷺ: «واهاً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف، يقتل خلفي وخلف الخلف...»[1].

إنباءهﷺ عن وقعة الحرة

منها: ما ورد عن رسول اللهﷺ من الإنباء عن وقوع الكوارث المؤلمة على خيار الأمة-التي منها كارثة الحرّة التي وقعت في عهد يزيد-فقد قالﷺ: «والذي نفسي بيده ليكوننّ بالمدينة ملحمة يقال لها: الحالقة، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، فاخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد»[2].

وروي عنهﷺ: «ويل للعرب من شرّ قد اقترب، على رأس الستّين تصير الأمانة غنيمة والصدقة غرامة، والشهادة بالمعرفة، والحكم بالهوى»[3].

وسنة الستين هي التي وقعت فيها كارثة الحرة التي أخبر عنها رسول اللهﷺ، كما قال أيوب بن بشير: إنّ رسول اللهﷺخرج في سفر من أسفاره، فلما مرّ بحرّة زهرة وقف فاسترجع، فساء ذلك من معه، وظنّوا أنّ ذلك من أمر سفرهم، فقال عمر: يا رسول الله ما الذي رأيت؟ فقال رسول اللهﷺ: «أما إنّ ذلك ليس من سفركم»، فقالوا: فما هو يا رسول الله؟قال: «يُقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي»[4].

---

(١) كنز العمال١١: ١١٦، الإشاعة: ٦٦، المعجم الكبير٢٠: ٣٩، مقتل الحسين للخوارزمي: ١٦٠.

(٢) الإشاعة: ٧٠، تاريخ المدينة لابن شبة النميري ١: ٢٨٠، وفاء الوفا للسمهودي ١: ٨٧.

(٣) المستدرك ٤: ٤٨٣،المصنف للصنعاني ١١: ٣٧٣،كنز العمال ١١: ١٨٨، الإشاعة: ٧٠.

(٤) تاريخ دمشق٥٤: ١٨٣، البداية والنهاية٦: ٢١٦، دلائل النبوة ٦: ٤٧٣، إعلام الورى ١: ٩٦.

قال أنس بن مالك: قُتِل يوم الحرة سبع مأة رجل من حملة القرآن، فيهم ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، وكان الحسن يقول: لما كان يوم الحرة قُتِل أهل المدينة حتى كاد لا ينفلت أحد، وكان فيمن قُتِل إبنا زينب ربيبة رسول الله ﷺ وهما إبنان من زمعة بن عبد الله بن الأسود، وكان وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين[1].

وفي خصوص المدينة وما يجري على أهلها في عهد بني أمية

روي: أنّ النبي ﷺ صعد أُحداً فأقبل على المدينة، فقال: «**ويل أمها، قرية يدعها أهلها كأينع ما تكون**»[2].

وعن أبي هريرة، عنه ﷺ: «**ليخرجنّ أهل المدينة من المدينة خير ما كانت، نصفاً زهواً ونصفاً رطباً**» قيل: من يخرجهم منها؟ قال: «**أمراء السوء**»[3].

وعن شريح بن عبيد أنه قرأ كتاباً لكعب: «**ليغشينّ أهل المدينة أمرٌ يُفزعهم حتى يتركوها وهي مذلّلة، حتى يبول السنابير على قطائف الخزّ ما يروّعها شيء، وحتى يخرق الثعالب في أسواقها ما يروّعها شيء**»[4].

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «**لتتركنّ المدينة على ما كانت، حتى يدخل الكلب أو الذئب فيقذي على بعض سواري المسجد**»[5].

قال القاضي عياض: إنّ هذا جرى في العصر الأول، وإنها تُركت أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا، أمّا الدين فلكثرة العلماء بها، وأمّا الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها، وذكر عن البعض أنه رحل عنها أكثر أهلها وبقيت ثمارها للعوافي، وخلت مدة ثم تراجعوا، ثم قال: وقد حكى قوم كثيرون أنهم رأوا ما أنذر به ﷺ من تقذية الكلاب على سواري مسجدها[6].

---

(١) دلائل النبوة ٦: ٤٤٧، البداية والنهاية ٦: ٢٣٣، إعلام الورى ١: ٩٦، البحار ٨١: ١٢٥.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٠: ٢٩٨، كنز العمال ١٢: ٢٤٨

(٣) تاريخ المدينة لابن شبة١: ٢٧٧، وعنه في وفاء الوفا١: ٨٤ الزهو: بُسر النخل إذا صار أصفراً.

(٤) تاريخ المدينة لابن شبة ١: ٢٨٢.

(٥) الموطأ لمالك ٢: ٨٨٨ صحيح ابن حبان ١٥: ١٧٦،وانظر تاريخ المدينة ١: ٢٧٦.

(٦) الإشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي: ٧٩-٨٠

وفي الوليد بن يزيد بن عبد الملك

فقد تقدم ما أنبأ ﷺ معاذ بن جبل بشأن يزيد وقتله الحسين عليه السلام، ثم قال: «أمسك يا معاذ فلما بلغت عشرة» وقال: «الوليد اسم فرعون، هادم شرائع الإسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته، سلّ الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس فكانوا هكذا- وشبّك بين أصابعه- وقال: «بعد العشرين ومائة موت ذريع وقتل سريع، ففيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس»[1].

والظاهر من قوله ﷺ: «فلما بلغت عشرة» أنّ المراد منه عشرة من الذين يتولون الحكم من بعده، فينطبق على الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الفاجر، بقرينة قوله ﷺ: «يبوء بدمه رجل من أهل بيته» حيث إنّ قاتله كان ابن عمه، وقد اختلفوا فقتل بعضهم بعضاً، فغلب عليهم بنو العباس.

وفي ذمّه، روي أنه لما وُلِد لأخي أم سلمة من أمّها غلام فسمّوه الوليد، فقال النبي ﷺ: «تُسمّون بأسماء فراعنتكم؟ غيّروا اسمه، فسمّوه عبد الله، فإنه سيكون في هذه الأمة رجل يقال له: الوليد، لهو شرٌّ لأمتي من فرعون لقومه» قال الراوي: فكان الناس يرون أنّه الوليد بن عبد الملك، ثم رأينا أنه الوليد بن يزيد[2].

الإنباء عن الحجاج

فقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن سفّاك ثقيف الكذاب الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث قال ﷺ: «إنّ في ثقيف كذاب ومبير»، وفي لفظ: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير»، وفي لفظ: «يخرج من ثقيف كذاب ومبير»[3].

وقد اشتهر الحجاج بالفرعنة والظلم وسفك دماء الأبرياء وإنكار المقدسات والتجرّي عليها، بحيث جاء عن السلف والخلف القول بكفره.

فقد رُوي أنه خطب بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ

---

(١) كنز العمال١١: ١١٦، المعجم الكبير٢٠: ٣٩، مجمع الزوائد٩: ١٩٠، مقتل الخوارزمي: ١٦٠.

(٢) إعلام الورى١: ٩٦، وعنه في البحار١٨: ١٢٦، فتح الباري ١٠: ٤٧٨، كنز العمال ١١: ١٦٦.

(٣) سنن الترمزي ٣: ٣٣٨ح٢٣١٧، مسند الحميدي١: ١٥٧ح٣٢٦،وانظر المعجم الكبير٢٤: ٨١.

بالمدينة، فقال: تبّاً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمّة بالية،هلا طافوا بقصر أميرالمؤمنين عبد الملك؟ ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله؟![1].

فتراه فضّل عبد الملك الظالم على النبي صلى الله عليه وآله، وأنكر على من زار قبره.

وروي أنه اختلف رجلان، فقال أحدهما: إنّ الحجاج كافر، وقال الآخر: إنه مؤمن ضل، فسألا الشعبي فقال لهما: إنه مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله العظيم[2].

ومن دلائل كفره أنه كان يقول: يا عجباً من عبد هذيل(يعني عبد الله بن مسعود)، يزعم أنه يقرأ قرآناً من عند الله، والله ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، والله لو أدركت عبد هذيل لضربت عنقه[3].

ومنها: إنه قال في خطبة: إتقوا الله ما استطعتم فليس فيها مثوبة، واسمعوا وأطيعوا لأميرالمؤمنين عبد الملك فإنها المثوبة، والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من أبواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلّت لي دماؤهم وأموالهم[4]، هذا من جهة الكفر والتكذيب على الله.

وأما من جهة الظلم وإراقة دماء الأبرياء، فقد كرّر تاريخ الفراعنة وسوّد صفحة التاريخ الإسلامي، بحيث ضربت له الأمثال ولا يخفى على أحد أمره، فقد روي عن هشام بن حسّان أنه قال: أُحصي ما قتل الحجاج صبراً فبلغ مائة وعشرون ألف قتيل[5]، ووجد في سجنه ثمانون ألف محبوس، منهم ثلاثون ألف امرأة[6]، وكانت هذه المجازر والسجون في منظر ومرأى كبار المسلمين المعتدّ بهم وبقوله، ومع ذلك كله، عجباً من تدليس المدلّسين وتحريف المنحرفين، إذ نراهم يطبّقون جملة من هذه الرواية على المختار بن عبيدة الثقفي، ويرمونه بادعاء النبوة والكفر والتهم السخيفة التي لا تلصق به الناشئة عن حقدهم عليه من

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ٢٤٢.

(٢) أُنظر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٢: ١٨٧، البداية والنهاية لابن كثير ٩: ١٥١.

(٣) مستدرك الحاكم٣: ٥٥٦، تاريخ دمشق ٤: ٦٩،وزاد: ولاخلينّ منها المصحف ولو بضلع خنزير.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر٤: ٦٩، وعنه في الغدير ١٠: ٥١.

(٥) سنن الترمذي ٣: ٣٣٩، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٢: ١٨٤، تيسير الوصول٤: ٣٦.

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر٤: ٨٠، المستطرف١: ٦٦.

أجل انتقامه من قتلة سبط الرسول المصطفى ﷺ الحسين المظلوم عليه السلام، وقد أفرح به قلوب أهل البيت وسائر المؤمنين، وقد ترحم عليه بعض الأئمة الأطهار عليهم السلام لهذا العمل العظيم.

وأسخف من ذلك أنهم فضّلوا الحجاج الكافر السفاك للدماء المنتهك للحرمات الذي شهد بكفره السلف والخلف على المختار، وبهذا التفضيل تناسوا ما ورد في الحجاج من الذم والطعن.

ومن ثم كان أمير المؤمنين يشير إلى ما أنبأ رسول الله ﷺ فيه، وكان يحذّر الناس منه، ومما سيجري على المسلمين من الفتن في زمانه.

فقد قال عليه السلام لأهل البصرة: إن كنت قد أدّيت لكم الامانة ونصحت لكم بالغيب واتهمتموني فكذبتموني فسلّط الله عليكم فتى ثقيف، قالوا: وما فتى ثقيف؟ قال: رجل لا يدع لله حرمة إلا انتهكها -يعني الحجاج-[1].

وقال عليه السلام لرجل: لا مِتَّ حتى تدرك فتى ثقيف، قيل: ما فتى ثقيف؟ قال: ليُقالنّ له يوم القيامة: اكفنا زاوية من زوايا جهنم، رجل يملك عشرين أو بضعاً وعشرين سنة لا يدع لله معصية إلا ارتكبها، حتى لو لم تبق إلا معصية واحدة وكان بينه وبينها باب مغلق لكسره حتى يرتكبها، يقتل بمن أطاعه من عصاه[2].

وروي عن إسماعيل بن رجاء أنه قال: قام أعشى باهلة -وهو يومئذ غلام حدث- إلى حديث علي عليه السلام، وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!، فقال علي عليه السلام: إن كنت آثماً فيما قلت: يا غلام فرملك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجل فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه، لايترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها، قالوا: فيُقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يُثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه!.

---

(١) أنظر مناقب آل أبي طالب ٢: ١٠٧، وعنه في البحار ٤١: ٣١٧.

(٢) الإشاعة في أشراط الساعة: ٨١ عن الدلائل للبيهقي، تاريخ دمشق ١٢: ١٦٨-١٦٩.

قال إسماعيل بن رجاء: فوَ الله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة وقد أُحضر في جملة الأسرى الذين أُسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج، فقرعه وبكّته واستنشده شعره الذي يحرّض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس[1].

وفي حديث آخر قال: أما والله ليسلطنّ عليكم غلام ثقيف، الذيّال الميّال يأكل خضرتكم ويُذيب شحمتكم، إيه أبا وذحة[2].

وروي أنه استأذن الأشعث بن قيس على عليٍّ فردّه فنبر فأدمى أنفه، فخرج علي فقال: ما لي ولك يا أشعث، أما والله لوبعبد ثقيف تمرّست لا قشعرّت شعيرات أستك، قيل: ومن غلام ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يُبقي من العرب بيتاً إلا أدخلهم الذلّ، قيل: كم يلي؟ قال: عشرين إن بلغها، قال الراوي: فوُليّ الحجاج سنة خمس وسبعين ومات سنة تسعين[3].

ومن الدماء التي سفكها الحجاج باطلاً، إراقة دم كميل بن زياد النخعي، فقد روي أنه لما وُليّ الحجاج طلب كميل بن زياد، فهرب منه، فحرم قومه عطاهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير وقد نفد عمري، لا ينبغي أن أُحرم قومي عطاهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلاً، فقال له كميل: لا تصرف عليّ أنبائك ولا تهدّم عليّ، فوَالله ما بقي من عمري إلا مثل كواهل الغبار، فاقض ما أنت قاض، فإنّ

---

(١) شرح النهج٢: ٢٨٩، وعنه في البحار٤١: ٣٤١، وقريب منه في الاحتجاج١: ١٦٨ ط بيروت.

(٢) نهج البلاغة ١: ٣٣٠، وعنه في البحار٤١: ٣٣٢،شرح النهج ٧: ٢٧. الذيل الميال: المتبختر في مشيه والمنهمك في المعاصي والظلم. الوذحة: الخنفساء، وذكر ابن أبي الحديد في قصة الخنفساء وجوهاً منها: إنه رأى خنفسات مجتمعات فقال: واعجباً لمن يقول: إنّ الله خلقها؟قيل: فمن خلقها أيها الأمير؟قال: الشيطان، إنّ ربكم أعظم شأناً من أن يخلق هذه الوذح ! فنقل قوله إلى الفقهاء فأكفروه.ومنها: إنّ الحجاج كان مثفاراً -أي ذا أُبنة-،وكان يمسك الخنفساء حية ليشفي بحركتها الموضع... .

(٣) الخرائج والجرائح١: ١٩٩ح ٣٨، وعنه في البحار٤١: ٢٩٩، تاريخ دمشق ١٢: ١٦٩.قال المجلسي: في سنة خمس وسبعين ولّى عبد الملك الحجاج على العراق، لكن في سنة ثلاث وسبعين ولاّه الجيش لقتال عبد الله بن الزبير، وكان والياً على العراق إلى سنة خمس وتسعين، فكانت ولايته تمام العشرين كما ذكره، فلعلّ الخمس سقط من النساخ، ولعل قوله: إن بلغها للتبهيم لئلا يغترّ الملعون بذلك، أو لنقص أشهر عن العشرين.

الموعد الله، وبعد القتل الحساب، ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلي، فقال له الحجاج: الحجة عليك إذاً، فقال له كميل: ذاك إذا كان القضاء إليك، قال: بلى قد كنت فيمن قتل عثمان بن عفان، اضربوا عنقه، فضربت عنقه[1]، وفي هذا الحديث ذكر كميل نبوءة عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد تحققت على يد هذا الكافر.

تحقق الإنباء في الشجرة الملعونة

لما استتبّ الأمر للحزب الأموي في الثغور الإسلامية وصار معاوية ملكاً على المسلمين-وكان ذلك بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام-فأخذ في تنفيذ سائر مخططاته المرسومة له على يد المتحالفين ضدّ النبي ﷺ وأهل بيته.

منها: نشر الأكاذيب والافتراءات ضد الإمام علي عليه السلام ولعنه وسبّه على المنابر، وتربية الناس على العداء والنصب لآل محمد ﷺ، وجعل الأحاديث الكثيرة في مناقب الخلفاء ومن تبعهم، والتنقيص من أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام، **ومنها:** إبادة شيعة علي المخلصين، خاصة الصحابة منهم في جميع الأنحاء الإسلامية وتشريدهم، وإخماد كل داعية إلى الحق وكل نائرة تستهدف ملكه وبأيّ نحو أمكن.

ومنها: تبديل السنن ونشر البدع والتجاهر بالفسوق والعصيان، ونهاية الأمر إطفاء نور الإسلام إن أمكنه وإن أمهله الله سبحانه.

وقد حقق نبذة منها في حياته، وأوصى ابنه بتنفيذ سائر الخطط، فكان من مراسيمه الملكية التي أصدرها وأمر عمّاله الفجرة بتنفيذها كالتالي:

١ـ برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب أو أهل بيت النبوة.

٢ـ لا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

٣ـ من قامت عليه البينة إنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه.

٤ـ من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم(يعني علياً وأهل بيته)فنكّلوا به واهدموا داره.

---

(١) الإرشاد ١: ٣٢٧، وعنه في البحار٤٢: ١٤٩.

٥ـ لا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة.

٦ـ أُدعوا الناس إلى الرواية بفضائل الصحابة والخلفاء الراشدين[١].

وبذلك تحققت كل نبوءات الرسول المصطفى ﷺ بشأن الشجرة الملعونة على يديه ويدي عمّاله وابنه يزيد ومن لحق بهم من الملوك الأمويين، ففعلوا أفعالاً تذكّر الإنسان بتكرارتاريخ فراعنة بني إسرائيل، فمن تلك الكوارث التي سجّلها التاريخ هي أن أرسل جلاوزته الأشقياء بالجيوش إلى الثغور الإسلامية، فعثوا في الأرض الفساد وقتلوا كل من وجدوه على حب علي عليه السلام، وارتكبوا ما لم يرتكبه الغزاة في تاريخ الأمم.

فمنها: أنه وجّه بُسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن، فدخل المدينة وقتل فيها خلقاً كثيراً من أصحاب النبي ﷺ وشيعة علي عليه السلام، وهتك المحارم واستذلّ أهلها وهدّم دورها، وبه تحقق ما أنبأ رسول الله ﷺ بشأن المدينة، وقد سبق ذكره، واغتمّ علي عليه السلام على هذه الأفعال الشنيعة، وهو في الكوفة، ودعا عليه فقال: اللهم إنّ بُسراً باع دينه بدنياه وانتهك محارمك...اللهم لا تُمته حتى تسلبه عقله، فما لبث بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله[٢]، وكان هذا الحادث في سنة الأربعين.

النبوءة بمقتل حجر بن عدي وأصحابه

ومنها: أنه قتل الصحابي الجليل حجر بن عدي بعذراء، وقد أنبأ رسول الله ﷺ في حياته عن ذلك، حيث روت عنه ﷺ عائشة عند ما اعترضت على معاوية حينما دخل عليها، فقال: إني رأيت قتلهم إصلاحاً للأمة، وأنّ بقاءهم فساداً، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم وأهل السماء**»[٣].

وقد أنبأ أيضاً أمير المؤمنين عليه السلام أهل العراق بذلك فقال: يا أهل العراق

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد٣: ٥٩٥-٥٩٦.

(٢) أنظر الغارات للثقفي ٢: ٥٥٤ و٦٤٠، تاريخ الطبري ٦: ٧٧، الكامل لابن الأثير ٣: ١٦٢.

(٣) كنز العمال ١١: ١٢٦و١٣: ٥٨٨، تاريخ دمشق ١٢: ٢٢٦، إعلام الورى ١: ٩٣.

سيُقتل منكم سبعة نفر بعذراء، مثلهم كمثل أصحاب الأخدود[١].

وما كان ذنب حجر بن عدي إلا أنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأبى السكوت عن الحق، فقد روي أنّ زياداً خطب يوماً على منبر الكوفة فأطال الخطبة وأخّر الصلاة، فقام حجر وقال له: الصلاة، فمضى زياد في خطبته، ثم قال: الصلاة، فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كفّ من الحصى وثار إلى الصلاة وثار الناس معه، فلما رأى زياد ذلك نزل من المنبر فصلّى بالناس، فلما فرغ من صلاته دخل القصر وكتب إلى معاوية في أمره، وكان يقول: لست بشيء إن لم أمنع الكوفة من حجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده[٢].

ولعلّ حجر ذكر نبوءة رسول الله ﷺ حينما تأخرت الصلاة ورأى صدق ما كان يقول: «**ستكون عليكم أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة حتى يؤخروها عن وقتها، فصلّوها لوقتها**»[٣]، فكان جرمه أن أنكر على زياد تأخير الصلاة.

وإنّه كان شديد العداء لمعاوية وعماله وكان يهجوهم وينال منهم ولايأبى من سطوتهم، وقد اجتمع خلق من الناس على بابه، فبلغ ذلك معاوية، فأصدر أمراً في القبض عليه وإرساله مكتفاً بالحبال إلى الشام، فأرسل بطلبه زياد بن أبيه الذي ادعاه معاوية، فأبى الحضور وحمله أصحابه، واختفى مدة حتى أُخذ له الأمان من زياد، فلما حضر عنده أمر بسجنه مع عدد من أصحابه، ثم أرسلهم إلى معاوية، فساروا بهم حتى انتهوا إلى مرج عذراء دمشق، وقد أشهد عليهم زياد شهادة زور، وسعى في قتلهم إلى معاوية، فقتلوهم بعد ما أبوا البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام، وحُفِرت قبورهم أمام أعينهم، وقد صلّى حجر قبل أن يقتل ركعتين فرفع يده إلى السماء وقال: اللهم إنا نستعديك على أمتنا، فإنّ أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وإنّ أهل الشام يقتلوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين سلك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها[٤]،ثم قال لمن حوله: لا تطلقوا عني

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير٦: ٢٥٢، كنز العمال ١٢: ٤٠٥، مناقب آل أبي طالب ٢: ١٠٧.

(٢) أنظر تاريخ دمشق ١٢: ٢٢٧، تاريخ الطبري ٥: ٨.

(٣) مسند أحمد٥: ٣٦٥، تاريخ الخطيب١٣: ١٨٥، تاريخ الطبري٥: ٢٥٣ ذكر سنة إحدى وخمسين.

(٤) أنظر تاريخ الطبري ٤: ٢٠٥، وتاريخ دمشق ٨: ٢٥، الطبقات الكبرى ٦: ٢١٩.

حديداً ولا تغسلوا عني دماً وادفنوني في ثيابي فإني مخاصم[1].

استشهاد عمرو بن الحمق وإخبار النبي ﷺ عن مصيره

ومنها: مقتل الصحابي الجليل عمرو بن الحمق، فإنه كان من أصحاب حجر بن عدي الذين حالوا بينه وبين رسل زياد بن أبيه، فتضاربوا بالأعمدة، فجُرح عمرو بن الحمق وحمل إلى أهله، وقد طلبه زياد فهرب من الكوفة مختفياً، فلحقوا به وقد كمن في جبل في جانب الموصل، وكان قد أصابته علّة اختلف في سببها، فحزّوا رأسه وبعثوا به إلى معاوية[2]، وقد أنبأ رسول الله ﷺ عن مقتله، وله قصة يناسب هنا ذكرها لما فيها من الإنباء عن المغيبات،فقد روي أنّ رسول الله ﷺ أرسل سرية فقال لهم: «**إنكم تضلّون ساعة كذا من الليل فخذوا ذات اليسار فإنكم تمرّون برجل في شاته، فتسترشدونه فيأبى أن يرشدكم حتى تصيبوا من طعامه، فيذبح لكم كبشاً فيطعمكم، ثم يقوم فيرشدكم، فاقرؤه مني السلام وأعلموه أني قد ظهرت بالمدينة**» فمضوا، فضلّوا الطريق، فقال قائل منهم: ألم يقل لكم رسول الله ﷺ تياسروا فافعلوا، فمرّوا بالرجل الذي قال لهم رسول ﷺ فاسترشدوه، فقال لهم الرجل: لا أفعل حتى تصيبوا من طعامي، ففعلوا فأرشدهم الطريق، ونسوا أن يقرؤه السلام من رسول الله ﷺ فقال لهم الرجل(عمرو بن الحمق): أظهر النبي ﷺ بالمدينة؟ فقالوا: نعم، فلحق به ولبث معه ما شاء الله، ثم قال له رسول الله ﷺ: «**إرجع إلى الموضع الذي منه هاجرت، فإذا تولّى أمير المؤمنين فأته**»، فانصرف الرجل حتى إذا نزل أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أتاه فأقام معه بالكوفة.

ثم إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال له: لك دار؟ قال: نعم، قال بعها واجعلها في الأزد، فإني غداً لو غبتُ لطُلبتَ، فتمنعك الأزد حتى تخرج من الكوفة متوجهاً إلى حصن الموصل، فتمرّ برجل مُقعَد فتقعد عنده، ثم تستسقيه فيسقيك، ويسألك عن شأنك فأخبره وادعُهُ إلى الإسلام فإنه يسلم، وامسح بيدك على وركيه فإنّ الله يمسح ما به وينهض قائماً، فيتّبعك، وتمرّ برجل أعمى على ظهر الطريق فتستسقيه فيسقيك،

---

(١) سير أعلام النبلاء٣: ١٣٨، وانظر تاريخ دمشق ١٢: ٢٢٨، كنز العمال ١١: ٣٥٣.

(٢) أنظر تاريخ أبي مخنف١: ٣٨١، تاريخ الطبري٥: ٢٦٥ حوادث سنة ٥١، الأغاني١٦: ٥.

ويسألك عن شأنك فأخبره وادعُهُ إلى الإسلام فإنه يسلم، وامسح يدك على عينيه فإنّ الله ﷻ يعيده بصيراً، فيتبعك وهما يواريان بدنك في التراب.

ثم تتّبعك الخيل فإذا صرت قريباً من الحصن في موضع كذا وكذا رهقتك الخيل، فانزل عن فرسك ومرّ إلى الغار، فإنه يشترك في دمك فسقة من الجن والإنس[1].

ففعل ما قال أمير المؤمنين فلما انتهى إلى الحصن قال للرجلين: اصعدوا فانظروا هل تريان شيئاً، قالا: نرى خيلاً مقبلة، فنزل عن فرسه ودخل الغار وعار فرسه، فلما دخل الغار ضربه أسود سالخ فيه، وجاءت الخيل فلما رأوا فرسه عائراً، قالوا: هذا فرسه، وهو قريب وطلبه الرجل فأصابوه في الغار فكلّما ضربوا أيديهم إلى شيء من جسمه تبعهم اللحم، فأخذوا رأسه، فأتوا به معاوية، فنصبه على رمح، وهو أول رأس نصب في الإسلام[2].

ومنها: مقتل قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام

قال المفيد رحمه الله: روى عامة أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب

---

(١) وفي رواية: إنّ عليّاً عليه السلام نهاه أن ينزل في قومه، فقال: أفأنزل في بني كنانة جيراننا؟ قال: لا، قال: أفأنزل في ثقيف؟ قال: فما تصنع بالمعرّة والجرّة؟ قال: وما هما؟ قال: عنقان من نار يخرجان من ظهر الكوفة، يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل، فقلّما يفلت منه أحد ويأتي العنق الأخرى فتأخذ على الجانب الآخر من الكوفة فقلّ من يصيب منهم، إنما هو يدخل النار فتحرق البيت والبيتين، قال: فأين أنزل؟ قال: إنزل في بني عمرو بن عامر من الأزد، قال: فقام قوم حضروا هذا الكلام وقالوا: ما نراه إلا كاهناً يتحدّث بحديث الكهنة؟ فقال: يا عمرو إنك لمقتول بعدي، وإنّ رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك، أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمّتك، إلا هذا الحي من بني عمرو بن عامر من الأزد فإنهم لن يسلموك ولن يخذلوك.قال الراوي: فوَ الله ما مضت الأيام حتى تنقّل عمرو بن الحمق في خلافة معاوية في أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه فقُتِل وحُمِل رأسه من العراق إلى معاوية وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد.(شرح النهج١: ٣٥١، وعنه في البحار٤١: ٣٤٢).

(٢) إختيار معرفة الرجال١: ٢٤٩، البحار٤٤: ١٣٠، وانظر أسد الغابة٤: ١٠٠، عار: فلت. أسود سالخ: الأسود من الحيات، وإنه يسلخ جلده كل عام. وإن شئت عزيزي القارئ تفصيل ما ورد في جنايات معاوية وعمّاله فراجع الغدير للأميني ج١١.

فأتقرّب إلى الله بدمه!، فقيل له: ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه، فبعث في طلبه فأُتي به، فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: أبو همدان؟ قال: نعم، قال: مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأميرالمؤمنين عليٌّ وليّ نعمتي، قال: إبرأ من دينه، قال: فإذا برئت من دينه تدلّني على دين غيره أفضل منه؟ قال: إني قاتلك فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك، قال: قد صيّرت ذلك إليك، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، وقد أخبرني أميرالمؤمنينؑ أنّ ميتتي يكون ذبحاً ظلماً بغير حق، قال: فأمر به فذبح[1]، وانطبقت بذلك نبوءة أميرالمؤمنينؑ.

جويرية بن مسهّر العبدي يقتله العُتُلّ الزنيم

ومن جنايات بني أمية:ما رُوي عن حبة العرني أنه قال:سرنا مع عليؑ يوماً فالتفت فإذا بجويرية خلفه بعيداً، فناداه: يا جويرية إلحق بي لا أبا لك، الا تعلم أني أهواك وأُحبك؟ قال: فركض نحوه، فقال له: إني محدّثك بأمور فاحفظها، ثم اشتركا في الحديث سرّاً، فقال له جويرية: يا أميرالمؤمنين إني رجل نسيٌ، فقال: أنا أُعيد عليك الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر ما حدّثه إياه: يا جويرية أحبب حبيبنا ما أحبّنا فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض بغيضنا ما أبغضنا فإذا أحبنا فأحبه، قال: فكان ناس ممن يشك في أمر عليؑ يقولون: أنراه جعل جويرية وصيه كما يدّعي هو من وصيته رسول اللهﷺ؟ قال: يقولون ذلك لشدة اختصاصه له، حتى دخل على عليؑ يوماً وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه، فناداه جويرية: أيها النائم استيقظ فلتضربنّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسم أميرالمؤمنينؑ ثم قال: وأُحدّثك يا جويرية بأمرك أما والذي نفسي بيده لتعتلّنّ إلى العُتُلّ الزنيم، فليقطعنّ يدك ورجلك، وليصلبنّك تحت جذع كافر، قال: فوَ الله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده وصلبه إلى جانب جذع ابن معكبر وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه[2].

---

(١) الإرشاد للمفيد١: ٣٢٨، وعنه في البحار٤٢: ١٢٦، كشف الغمة للأربلي ١: ٢٨٢.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد٢: ٢٩١، وعنه في البحار٤١: ٣٤٢، ومثله في الإرشاد١: ٣٢٣.

وقد أنبأ أمير المؤمنين عليه السلام جويرية بن مسهر -وقد عزم على الخروج- عن تعرّض الأسد له فقال: أما إنّه سيعرض لك الأسد في طريقك، قال: فما الحيلة؟ قال: تقرأه مني السلام وتخبره إني أعطيتك منه الأمان، فبينما هو يسير إذ أقبل نحوه أسد، فقال: يا أبا الحارث إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يُقرئك السلام وإنه قد آمنني منك، قال: فولّى وهمهم خمساً، فلما رجع حكى ذلكَ لأمير المؤمنين عليه السلام فقال: فإنه قال لك: فاقرأ وصي محمد مني السلام، وعقد بيده خمساً[1].

الإنباء عن مقتل رُشيد الهجري

كان رُشيد الهَجَري من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عنده علم البلايا والمنايا، وكان بين الناس مستضعفاً، ففي البصائر عن الحسن بن علي بن معاوية، عن إسحاق قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام ودخل عليه رجل فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا فلان إنك تموت إلى شهر، قال: فأضمرت في نفسي كأنه يعلم آجال شيعته، قال: يا إسحاق وما تنكرون من ذلك، وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والبلايا، فالإمام أولى بذلك، ثم قال: يا إسحاق تموت إلى سنتين ويتشتّت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك، ويفلسون إفلاساً شديداً[2].

وروي عن بنت رشيد أنها قالت: سمعته يقول: قال لي حبيبي أمير المؤمنين عليه السلام: يا راشد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أمية فقطع يديك و رجليك ولسانك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين أيكون آخر ذلك إلى الجنة؟ قال: نعم يا راشد، وأنت معي في الدنيا والآخرة؛ قالت: فوَ الله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه الدعي عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة منه، فأبى أن يتبرأ، فقال له ابن زياد: فبأي ميتة قال لك صاحبك تموت؟ قال: خبّرني خليلي صلوات الله عليه أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرأ، فتقلّمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبنّ صاحبك، قلّموه واقطعوا يده ورجله واتركوا لسانه، فقطّعوه ثم حملوه إلى منزلنا، فقلت له: يا أبت جعلت فداك هل تجد لما أصابك ألماً؟ قال: لا والله يا بنية إلا

---

(١) الثاقب في المناقب: ٢٥٠ح ٢، المناقب لابن شهر آشوب٢: ١٣٣، وعنه في البحار٤١: ٢٤٥.

(٢) بصائر الدرجات للصفار: ٢٨٥، وعنه في البحار٤٢: ١٣٣، الخرائج والجرائح ٢: ٧١٢.

كالزحام بين الناس، ثم دخل عليه جيرانه ومعارفه يتوجعون له فقال: آتوني بصحيفة ودواة أذكر لكم ما يكون مما أعلمنيه مولاي أمير المؤمنينعليه السلام، فأتوه بصحيفة ودواة، فجعل يذكر ويُملي عليهم أخبار الملاحم و الكائنات ويسندها إلى أمير المؤمنينعليه السلام، فبلغ ذلك ابن زياد فأرسل إليه الحجّام حتى قطع لسانه فمات من ليلته تلك، وكان أمير المؤمنينعليه السلام يسمّيه راشد المبتلى، وقد ألقى إليه علم البلايا والمنايا، فكان يلقى الرجل ويقول له: يا فلان بن فلان تموت ميتة كذا، وأنت يا فلان تقتل قتلة كذا، فيكون الأمر كما قاله راشد رحمه الله[1].

ونحوه ما رواه زياد بن النصر الحارثي، وفيه: قال زياد: أما والله لأكذبنّ حديثه، خلّوا سبيله، فلما أراد أن يخرج قال: ردّوه لا نجد شيأ أصلح مما قال لك صاحبك، إنك لا تزال تبغي لنا سوءً إن بقيت، إقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، فقال رشيد: قد بقي لي عندكم شيء ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلما أخرجوا لسانه ليقطع، قال رشيد: نفّسوا عني أتكلم كلمة واحدة، فنفّسوا عنه، فقال هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنينعليه السلام، أخبرني بقطع لساني، فقطعوا لسانه وصلبوه[2].

النبوءة بمقتل ميثم التمار

روي أنّ ميثم التمار كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه أمير المؤمنينعليه السلام منها فأعتقه، فقال: ما اسمك؟ فقال: سالم، فقال: أخبرني رسول اللهﷺ أنّ اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم ميثم، قال: صدق الله ورسولهﷺ وصدق أمير المؤمنين، والله إنه لاسمي، قال: فارجع إلى اسمك الذي سمّاك به رسول اللهﷺ ودع سالماً، فرجع ميثم واكتنى بأبي سالم، فقال له عليٌّعليه السلام ذات يوم: إنك تؤخذ بعدي فتصلب وتطعن بحربة، فإذا جاء اليوم الثالث ابتدر منخراك وفوك دماً

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١: ١٦٧، وعنه في البحار٤٢: ١٢٢، بشارة المصطفى للطبري: ١٥٢.

(٢) شرح النهج ٢: ٢٩٤، الغارات للثقفي ٢: ٧٩٩، وعنه في البحار ٤١: ٣٤٦، ونحوه في الإرشاد ١: ٣٢٦، وقال المفيد: وهذا الخبر قد نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم عمن سمّيناه واشتهر أمره عند علماء الجميع وهو من جملة ما تقدم ذكره من المعجزات والإخبار عن الغيوب.

فتخضب لحيتك، وتُصلب على باب دار عمروبن حريث عاشر عشرة، وأنت أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، وامضِ حتى أُريك النخلة التي تُصلب على جذعها، فأراه إياها، وكان ميثم يأتيها فيصلّي عندها ويقول: بوركت من نخلة لكِ خُلقتُ ولي غُذّيتِ، فلم يزل يتعاهدها حتى قُطعت.

ثم كان يلقى عمرو بن حريث فيقول له: إني مجاورك فأحسن جواري فيقول له عمرو: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود أو دار ابن حكيم؟ وهو لا يعلم ما يريد، ثم حج في السنة التي قُتل فيها فدخل على أم سلمة أم المؤمنين، فقالت له: من أنت؟ قال: أنا ميثم، فقالت: والله لربّما سمعت رسول الله ﷺ يذكرك ويوصي بك علياً، فسألها عن الحسين عليه السلام، فقالت: هو في حائط له، فقال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه فلم أجده، ونحن ملتقون عند رب العرش إن شاء الله، فدعت بطيب فطيّبت لحيته، وقالت له: أما إنها ستخضب بدم، فقدم الكوفة فأخذه عبيد الله ابن زياد فأُدخل عليه، فقيل له: هذا كان من آثر الناس عند علي عليه السلام قال: ويحكم هذا الأعجمي؟ فقيل له: نعم، قال له: أين ربك؟ قال: بالمرصاد للظلمة وأنت منهم، قال: إنك على أعجميتك لتبلغ الذي تريد؟! أخبرني ما أخبرك صاحبك أني فاعل بك، قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة، قال: لنخالفنّه، قال: كيف تخالفه؟و الله ما أخبر إلا عن النبي ﷺ، عن جبرئيل عن الله تعالى، ولقد عرفت الموضع الذي أُصلب فيه، وأنا أول خلق الله أُلجم في الإسلام.

فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد، فقال ميثم للمختار: إنك لتفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الذي يريد أن يقتلك، فلما أراد عبيد الله أن يقتل المختار وصل بريد من يزيد يأمره بتخلية سبيله، فخلاّه، وأمر بميثم أن يُصلب، فلما رُفع على الخشبة عند باب عمرو بن حريث، قال عمرو: قد كان والله يقول لي: إني مجاورك فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم، فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه، فكان أول خلق الله أُلجم في الإسلام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه طُعن ميثم بالحربة فكبّر، ثم انبعث في آخر النهار فمه

وأنفه دماً، وكان ذلك قبل مقدم الحسين بن علي العراق بعشرة أيام[1].

وقريب منه ما جاء عن الرضا، عن آبائه عن جويرية حينما رأى علياً نائماً قال: أتى ميثم التمار دار أمير المؤمنين فقيل له: إنه نائم، فنادى بأعلى صوته: إنتبه أيها النائم، فوَ الله لتخضبنّ لحيتك من رأسك، فانتبه أمير المؤمنين فقال: أدخلوا ميثماً، فقال: أيها النائم والله لتخضبنّ من رأسك، فقال: صدقت وأنت والله ليقطعنّ يداك ورجلاك ولسانك، ولتقطعنّ النخلة التي في الكناسة فتُشَنّ أربع قطع فتُصلب أنت على ربعها، وحجر بن عدي على ربعها، ومحمد بن أكتم على ربعها، وخالد بن مسعود على ربعها، قال: ميثم فشككت في نفسي وقلت: إنّ علياً يخبرنا بالغيب! فقلت له: أو كائن ذاك يا أمير المؤمنين؟ فقال إي ورب الكعبة كذا عهد إليّ النبي قال: فقلت: ومن يفعل ذلك بي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليأخذنّك العتل الزنيم ابن الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد، قال: وكان يخرج إلى الجبانة وأنا معه فيمرّ بالنخلة فيقول لي: إنّ لك ولها شأن من الشأن...[2]، وساق الحديث في كيفية انطباق نبوءة أمير المؤمنين، وهذه نبذة مما ورد بشأن رشيد وميثم من أنباء.

ميثم يخبر عن هلاك معاوية

وقد روي عن أبي خالد التمار قال: كنت مع ميثم التمار بالفرات يوم الجمعة، فهبّت ريح وهو في سفينة من سفن الرّمان، قال: فخرج فنظر إلى الريح فقال: شدّوا برأس سفينتكم إنّ هذا ريح عاصف مات معاوية الساعة، قال:فلما

---

(١) الإصابة لابن حجر٣: ٥٠٤، وعنه في الغارات للثقفي ٢: ٧٩٧، ونحوه في الإرشاد ١: ٣٢٤باختلاف يسير، وقريب منه في شرح النهج٢: ٢٩١، قال ابن أبي الحديد قبل نقل الحديث: وقد كان أطلعه علي على علم كثير وأسرار خفية من أسرار الوصية، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة، وينسبون علياً في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضر من خلق كثير من أصحابه وفيهم الشاك والمخلص: يا ميثم إنك تؤخذ بعدي... .

(٢) معرفة أخبار الرجال: ٥٦-٥٨، وعنه في البحار٤٢: ١٣٣، وانظرالاختصاص للمفيد: ٧٥. أقول: ذكر حجر بن عدي هنا يخالف ما ورد في مقتله هو وأصحابه في مرج عذراء على يد معاوية. وعليه فإما أن يكون حجراً آخراً أو من سهو الراوي أو النساخ.

كانت الجمعة المقبلة قدم بريد من الشام فلقيته فاستخبرته، فقلت له: يا عبد الله ما الخبر؟ قال: الناس على أحسن حال، تُوفّي أميرالمؤمنين وبايع الناس يزيد! قال: قلت أيّ يوم تُوفّي؟ قال: يوم الجمعة[1].

ميثم يخبر عن استشهاد حبيب بن مظاهر

وروي أنّ ميثم التمار مرّ على فرس له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحادثا حتى اختلف أعناق فرسيهما، ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن، يبيع البطّيخ عند دار الرزق، قد صُلب في حب أهل بيت نبيه ﷺ ويبقر بطنه على الخشبة.

فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه ويُقتل ويجال برأسه بالكوفة، ثم افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أحداً أكذب من هذين.

قال الراوي: فلم يفترق أهل المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما فسأل أهل المجلس عنهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد: رحم الله ميثماً نسي: «ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم» ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم، فقال القوم: والله ما ذهبت الأيام والليالي حتى رأيناه مصلوباً على دار عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب بن مظاهر وقد قُتل مع الحسين ورأينا كل ما قالوا.

وكان حبيب من السبعين الذين نصروا الحسين عليه السلام، واستقبلوا الرماح بصدورهم والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال، فيأبون فيقولون: لا عذر لنا عند رسول الله إن قتل الحسين ومنّا عين تطرف، حتى قُتلوا حوله[2].

الحسن البصري سامري هذه الأمة

فقد أنبأ عنه أميرالمؤمنين عليه السلام، بما أخبره رسول الله ﷺ، كما في الاحتجاج عن

---

(١) معرفة أخبار الرجال: ٥٣، وعنه في البحار٤٢: ١٢٨، إختيار معرفة الرجال للطوسي١: ٢٩٣.

(٢) أُنظر معرفة أخبار الرجال: ٧٣، وعنه في البحار٤٥: ٩٣، مقتل أبي مخنف: ١٤٣.

أبي يحيى الواسطي قال: لما افتتح أمير المؤمنين البصرة اجتمع الناس عليه وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح، فكان كلّما لفظ أمير المؤمنين بكلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين بأعلى صوته: ما تصنع؟ قال: نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم، فقال أمير المؤمنين: أما إنّ لكل قوم سامرياً وهذا سامري هذه الأمة، أما إنه لا يقول: «لا مساس»، ولكنه يقول: لا قتال[1]، وبهذا الحديث كشف أمير المؤمنين عمّا يؤول إليه أمر هذا الرجل من سوء العاقبة والكذب على الله ورسوله وإضلال الناس، وإنه سيخالف إمام زمانه في قتال المنحرفين، وهكذا كان.

فقد روي أنّ علياً أتى الحسن البصري يتوضأ في ساقية، فقال: أسبغ طهورك يا لَفتى، قال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء، قال: وإنك لحزين عليهم؟ قال: نعم، قال: فأطال الله حزنك.

قال أيوب السختياني: فما رأينا الحسن قطّ إلا حزيناً كأنه يرجع عن دفن حميم أو خربندج ضلّ حماره، فقلت له في ذلك؟ فقال: عمل فيّ دعوة الرجل الصالح، ولَفتى بالنبطيّة: الشيطان، وقد سمّته أمه بذلك ودعته في صغره، فلم يعرف ذلك أحد حتى دعاه به عليٌّ[2].

---

(١) الاحتجاج ١: ٢٥١، وعنه في البحار٤٢: ١٤١.

(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٥٤٦، وعنه في البحار٤٢: ١٤٣. خربندج: لعله معرّب عن خر بنده أي مكاري الحمار، هذا مع أنه كان يقول: إنّ علياً مولاي ومولى المؤمنين، فقد روي عن أبي مسلم أنه قال: خرجت مع الحسن البصري وأنس بن مالك حتى أتينا باب أم سلمة، فقعد أنس على الباب ودخلت مع الحسن البصري، فسمعت الحسن البصري وهو يقول: السلام عليك يا أماه ورحمة الله وبركاته، فقالت له: وعليك السلام، من أنت يا بنيّ؟ فقال: أنا الحسن البصري، فقالت: فيما جئت يا حسن؟ فقال لها: جئت لتحدثيني بحديث سمعتيه من رسول الله في عليّ بن أبي طالب، فقالت أمّ سلمة: والله لأحدثنّك بحديث سمعته أُذناي من رسول الله وإلا فصمّتا، ورأته عيناي وإلا فعميتا، ووعاه قلبي وإلا فطبع الله عليه، وأخرس لساني إن لم أكن سمعت رسول الله يقول لعلي ابن أبي طالب: «يا عليّ ما من عبد لقي الله يوم يلقاه جاحداً لولايتك إلا لقى الله بعبادة صنم أو وثن» قال: فسمعت الحسن البصري وهو يقول: الله أكبر أشهد أنّ علياً مولاي ومولى المؤمنين، فلمّا خرج قال له أنس بن مالك: مالي أراك تكبّر؟ قال: سألت أمّنا أمّ سلمة أن تحدثني بحديث سمعته من رسول الله في عليٍّ، فقالت لي كذا وكذا، فقلت: الله أكبر أشهد أنّ علياً مولاي ومولى كل مؤمن، قال: فسمعت عند ذلك أنس بن مالك وهو يقول: أشهد على رسول

وعن عبد الله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة -يقال له عثمان الأعمى-: إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم من يدخل النار، فقال: أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذن مؤمن آل فرعون والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله ﷺ رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً، فوالله ما يوجد العلم إلا ههنا[1].

الإنباء عن شرطة الخميس

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: أبشر ابن يحيى فإنك وأبوك من شرطة الخميس، والله سماكم شرطة الخميس على لسان نبيّه ﷺ، وذكر أنّ شرطة الخميس كانوا ستة آلاف رجل أو خمسة آلاف[2].

وعن أبي الجارود قال: قلت للأصبغ بن نباتة: ما كان منزلة هذا الرجل فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول، إلاّ أنّ سيوفنا كانت على عواتقنا، فمن أومأ إلينا ضربناه بها، وكان يقول لنا: تشرّطوا فوَ الله ما اشتراطكم لذهب ولا فضة، وما اشتراطكم إلا للموت، إنّ قوماً من قبلكم من بني إسرائيل تشارطوا بينهم فما مات أحد منهم حتى كان نبي قومه أو نبي قريته أو نبي نفسه، وإنكم لبمنزلتهم غير أنكم لستم بأنبياء[3].

وعن بشر بن عمرو الهمداني قال: مرّ بنا أمير المؤمنين عليه السلام فقال: البشوا في هذه الشرطة، فوَ الله لاتلي بعدهم إلا شرطة النار، إلا من عمل بمثل أعمالهم[4].

ﷺ أنه قال هذه المقالة ثلاث مرّات او اربع مرّات. (أمالي الصدوق: ١٩٠، وعنه في البحار ٤٢: ١٤٣). أقول: وهذه قطرة من بحار فضائل علي عليه السلام التي شهدت به الأعداء وجرت على لسانهم.

(١) الكافي ١: ٥١، الاحتجاج: ١٨٠، وعنه في البحار ٤٢: ١٤٢.

(٢) معرفة أخبار الرجال: ٤٣، وعنه في البحار ٤٢: ١٥١.

(٣) معرفة أخبار الرجال: ٤٣، وعنه في البحار ٤٢: ١٥١.

(٤) المصدر السابق. الشرطة: نخبة الأصحاب الذين يقدّمون على غيرهم من الجيش، وهم أول كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت. والخميس: الجيش، سمّي به لأنه مقسوم إلى المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب. وجُعل اسم الشرطة لأعوان الولاة لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها. لاحظ النهاية ٢: ٤٦، القاموس المحيط ٢: ٣٦٨.

الإنباء عن فتنة سعد بن أبي الوقاص

عن سليم بن قيس قال: لقيت سعد بن أبي وقاص فقلت: إني سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إتقوا فتنة سعد، فإنه يدعو إلى خذلان الحق وأهله**» فقال سعد: اللهم إني أعوذبك أن أبغض علياً أو يبغضني، أو أقاتل علياً أو يقاتلني أو أعادي علياً أو يعاديني، إنّ علياً كان له خصال لم يكن لأحد من الناس مثلها، إنه صاحب براءة، حتى قال رسول الله ﷺ: «**لا يبلّغ عني إلا رجل مني**» وقال له يوم تبوك: «**أنت وصيي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة**» ويوم أمر بسدّ الأبواب إلى المسجد ولم يبق غير بابه فسأل عمر أن يجعل له روزنة صغيرة قدر عينيه، فأبى رسول الله قال: فعند ذلك قال: سددت أبوابنا وتركت باب عليٍّ؟ فقال: «**ما سددتها لكم أنا وفتحت بابه، ولكنّ الله سدّها وفتح بابه**» ويوم آخى رسول الله بين الصحابة كل رجل مع صاحبه وبقي هو فلّحاه من نفسه وقال له: «**أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة**» ويوم خيبر حين انهزم أبو بكر وعمر فغضب رسول الله ﷺ وقال: «**ما بال قوم يلقون المشركين ثم يفرّون؟ لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، يفتح الله على يديه**» فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ «**عليّ بعليٍّ**» فجاء أرمد العين، فوضع كريمه في حجره وتفل في عينيه، وعقد له راية ودعا له، فما انثنى حتى فتح خيبراً، وأتاه بصفية بنت يحيى بن أخطب، فأعتقها رسول الله ﷺ ثم تزوّجها وجعل عتقها صداقها، وأعظم من ذلك يوم غدير خم أخذ رسول الله ﷺ بيده وقال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ألا فليبلّغ الشاهد منكم الغائب والحرّ العبد**»[1].

وقد ظهر على سعد ما أنبأ به رسول الله ﷺ عند ما كان أميرالمؤمنين يخطب الناس ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوَ الله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا أنبأتكم به، فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة، فقال له: أما والله لقد

---

(١) الروضة في المعجزات والفضائل: ٢٣، البحار ٤٢: ١٥٥عن الفضائل لابن شاذان.

سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول الله ﷺ أنك ستسألني عنها، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلا وفي أصلها شيطان جالس، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه[1].

ولعمر بن سعد وقفة مع بعض أقربائه ومن يثق به -قبل الطف- لما استشارهم في حرب الحسين عليه السلام ولم يُشر عليه أحد بذلك، وقد كان عنده رجل من أهل الخير يقال له: كامل، وكان صديقاً لأبيه من قبله، فقال له: يا عمر مالي أراك بهيئة وحركة، فما الذي أنت عازم عليه؟ وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل، فقال له ابن سعد لعنه الله: إني قد وُليّت أمر هذا الجيش في حرب الحسين، وإنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل أو كشربة ماء، وإذا قتلته خرجت إلى ملك الريّ، فقال له كامل: أُفٌ لك يا عمر بن سعد تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول الله؟ أُفٌ لك ولدينك يا عمر أسفهت الحق وضللت الهدى، أما تعلم إلى حرب من تخرج؟ ولمن تقاتل؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

والله لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحد من أمة محمد لما فعلت فكيف تريد تقتل الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ؟ وما الذي تقول غداً لرسول الله إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرّة عينه وثمرة فؤاده وابن سيدة نساء العالمين وابن سيد الوصيين وهو سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين وإنه في زماننا هذا بمنزلة جده في زمانه، وطاعته فرض علينا كطاعته، وإنه باب الجنة والنار، فاختر لنفسك ما أنت مختار، وإني أشهد بالله إن حاربته أو قتلته أو أعنت عليه أو على قتله لا تلبث في الدنيا بعده إلا قليلاً.

فقال له عمر بن سعد: أفبالموت تخوفني وإني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس، وأتولّى ملك الري، فقال له كامل: إني أحدثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وُفّقت لقبوله.

إعلم أني سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي وتهت وعطشت، فلاح لي دير راهب فملت إليه ونزلت عن فرسي، وأتيت إلى باب الدير لأشرب ماءً فأشرف عليّ راهب من ذلك الدير، وقال: ما

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٦، وعنه في البحار٤٢: ١٤٧، وانظر الإرشاد١: ٣٣٠، شرح النهج١٠: ١٤.

تريد؟ فقلت له إنيّ عطشان، فقال لي: أنت من أُمّة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضاً على حبّ الدنيا مكالبة؟ ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: أنا من الأمة المرحومة، أُمة محمد صلى الله عليه وآله.

فقال: إنّكم أشرّ أُمة، فالويل لكم يوم القيامة وقد عدوتم إلى عترة نبيّكم وتسبون نسائه وتنهبون أمواله، فقلت له: يا راهب نحن نفعل ذلك؟ قال: نعم وإنّكم إذا فعلتم ذلك عجّت السماوات والأرضون، والبحار، والجبال والبراري والقفار، والوحوش، والأطيار باللعنة على قاتله، ثمّ لا يلبث قاتله في الدنيا إلا قليلاً، ثم يظهر رجل يطلب بثأره، فلا يدع أحداً شرك في أمره بسوء إلا قتله وعجل الله بروحه إلى النار.

ثم قال الراهب: إنّي لأرى لك قرابة من قاتل هذا الإبن الطيّب، والله إني لو أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف، فقلت: يا راهب إني أُعيذ نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إن لم تكن أنت فرجل قريب منك، وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل النار، وإنّ عذابه أشدُّ من عذاب فرعون وهامان، ثم ردّ الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى، وأبى أن يسقيني الماء.

قال كامل: فركبت فرسي ولحقت أصحابي، فقال لي أبوك سعد: ما بطأك عنّا يا كامل؟ فحدّثته بما سمعته من الراهب، فقال لي: صدقت.

ثم إنّ سعداً أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي فأخبره أنه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله، فخاف أبوك سعد من ذلك وخشي أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه، يكون عليك نصف عذاب أهل النار، قال: فبلغ الخبر ابن زياد لعنه الله، فاستدعى بكامل وقطع لسانه فعاش يوماً أو بعض يوم ومات رحمه الله[1].

ومن ذلك أنّ تميم بن أُسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترض علياً وهو يخطب على المنبر ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فوَ الله لا تسألوني عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه، فقال له: فكم في رأسي طاقة شعر؟

---

(١) منتخب الطريحي: ٢٨٠، وعنه في مدينة المعاجز ٤: ٦٢، البحار٤٤: ٣٠٦.

فقال له: أما والله إني لأعلم ذلك ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟ ولقد أُخبرت بقيامك ومقالك، وقيل لي: إنّ على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستنصرك، وآية ذلك أنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ أو يحضّ على قتله.

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام، وكان ابنه حصين يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن،ثم عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ويتوعّده على لسانه إن أرجى ذلك، فقتل الحسين عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته[1].

خالد بن عرفطة لا يموت حتى يقود جيش ضلالة

عن سويد بن غفلة قال: إنّ علياً عليه السلام خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت المنبر، فقال: يا أميرالمؤمنين جئتك من وادي القرى فوجدت خالد بن عرفطة قد مات فاستغفر له، فقال عليه السلام: والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار، فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال: يا أميرالمؤمنين عليه السلام أنا حبيب بن حمار وإني لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال:نعم، فقال له ثانية: والله أنك حبيب بن حمار؟ فقال: أي والله، قال: أما والله إنك لحاملها ولتحملنّها ولتدخلنّ من هذا الباب- وأشار بيده إلى باب الفيل بمسجد الكوفة-، قال الراوي: فوَالله ما متّ حتى رأيت ابن زياد وقد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته وحبيب بن حمار صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل[2].

وبعد قتل الحسين عليه السلام اعترف خالد بن عرفطة بتحقق نبوءة النبي ﷺ وابتلاء الأمة في أهل البيت،ففي خبر عن عمارة بن يحيى بن خالد بن عرفطة قال: كنا عند خالد بن عرفطة يوم قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام، فقال لنا خالد: هذا

---

(١) شرح النهج ١٠: ١٤ -١٥، وعنه في البحار ٤٠: ١٩٢.

(٢) شرح النهج ٢: ٢٨٧، إعلام الورى ١: ٣٤٥ وفيه: جاز بدل(حمار) كما في بعض المصادر، الاصابة لابن حجر٢: ٢١٠، البحار ٤١: ٣٦٤، الارشاد ١: ٣٢٩، مقاتل الطالبيين: ٧١.

ما سمعت من رسول الله: «إنكم ستبتلون في أهل بيتي من بعدي»[١].

الإنباء بولادة الحسين وشهادته

فقد أنبأ رسول الله عن ولادة الحسين وشهادته في مناسبات عديدة، وشرح كيفية قتله وموضعه و... فقد ذكر الصادق رؤيا رأته أم أيمن... فقال لها رسول الله: «قُصّيها على رسول الله فإنّ الله ورسوله أعلم» فقالت: تعظم عليّ أن أتكلم بها، فقال لها: «إنّ الرؤيا ليست على ما تري فقصّيها على رسول الله» قالت: رأيت في ليلتي هذه كأنّ بعض أعضائك ملقى في بيتي، فقال لها رسول الله: «نامت عينك يا أمّ أيمن! تلد فاطمة الحسين فتربّينه وتلبّينه فيكون بعض أعضائي في بيتك»، فلما ولدت فاطمة الحسين وكان يوم السابع أمر رسول الله فحلق رأسه وتصدّق بوزن شعره فضة، وعقّ عنه، ثم هيأته أم أيمن ولفّته في برد رسول الله، ثم أقبلت به إلى رسول الله، فقال: «مرحباً بالحامل والمحمول، يا أم أيمن هذا تأويل رؤياك»[٢].

وفي حديث آخر عن ابن عباس قال: سألت هند عائشة أن تسأل النبي تعبير رؤيا، فقال: «قولي لها: فلتقصص رؤياها» فقالت: رأيت كأنّ الشمس قد طلعت من فوقي، والقمر قد خرج من مخرجي، وكأنّ كوكباً خرج من القمر أسود فشدّ على شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودّ الأفق لابتلاعها، ثم رأيت كواكب بدت من السماء وكواكب مسودّة في الأرض إلا أنّ المسودّة أحاطت بأفق الأرض من كل مكان، فاكتحلت عين رسول الله بدموعه ثم قال: «هي هند أخرجي يا عدوّة الله-مرتين-فقد جدّدت عليّ أحزاني ونعيت إليّ أحبابي» فلما خرجت قال: «اللهم العنها والعن نسلها» فسُئِل عن تعبيرها؟فقال: «أما الشمس التي طلعت عليها فعليّ بن أبي طالب، والكوكب الذي خرج كالقمر أسود فهو معاوية مفتون فاسق جاحد لله، وتلك الظلمة التي زعمت ورأت كوكباً يخرج من القمر أسود فشدّ على

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي٩: ١٩٤، رواه عن الطبراني والبزار، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٢) أمالي الصدوق: ١٤٣،روضة الواعظين: ١٥٤، مناقب آل أبي طالب٣: ٢٢٦، البحار٤٣: ٢٤٣.

شمس خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودّت فذلك ابني الحسين عليه السلام يقتله ابن معاوية فتسودّ الشمس ويظلمّ الأفق، وأما الكواكب السود في الأرض أحاطت الأرض من كل مكان فتلك بنو أميته[1].

إنباء الله عن مولد الحسين عليه السلام ومقتله

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله، فقال: يا محمد إنّ الله يقرء عليك السلام ويبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتك من بعدك، فقال: «يا جبرئيل وعلى ربّي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي» قال: فعرج جبرئيل إلى السماء، ثم هبط، فقال له: مثل ذلك، فقال له: «يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود تقتله أمتي من بعدي» وعرج جبرئيل إلى السماء ثم هبط، فقال له: يا محمد إنّ ربك يقرؤك السلام، ويبشرك أنه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية، فقال: «قد رضيت»، ثم أرسل إلى فاطمة: «إنّ الله يبشّرني بمولود يولد لك تقتله أمتي من بعدي» فأرسلت إليه أن لا حاجة لي في مولود تقتله أمتك من بعدك، فأرسل إليها: «إنّ الله جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية» فأرسلت إليه: إني قد رضيت، ف ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾، فلولا أنه قال: أصلح لي في ذريتي لكانت ذريته كلهم أئمة.

ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة ولا من أنثى، ولكنه كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمصّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه، ولم يولد مولود لستة أشهر إلاّ يحيى بن زكريا والحسين بن علي عليهما السلام[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب٣: ٢٢٧، وعنه في البحار٤٤: ٢٦٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٨٠، والآية في سورة الأحقاف: ١٥.

وفي حديث آخر قال أبو عبد الله عليه السلام:...فهل رأيتم أحداً يبشّر بولد ذكر فتحمله كرهاً؟ أي إنها اغتمت وكرهت لما أُخبرت بقتله، ووضعته كُرهاً لما علمت من ذلك، وكان بين الحسن والحسين صلوات الله عليهما طهر واحد، وكان الحسين عليه السلام في بطن أمه ستة أشهر وفصاله أربعة وعشرون شهراً، وهو قول الله عز وجل: ﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾[1].

قوله ﷺ لفاطمة:...إنك ستلدين حجة لهذا الخلق

في حديث عن المقداد ذكر فيه خروج الحسنين عليهما السلام من البيت ونومهما تحت الشجرة، وقول الحيّة للنبي ﷺ: الحمد لله الذي لم يمتني حتى جعلني حارساً لابني رسول الله ﷺ...فقال النبي ﷺ لمقداد: «**إنّ للحسين في بواطن المؤمنين معرفة مكنونة سل عنه أُمّه**» قال مقداد: ثم أتيت فاطمة بالباب فأتت حاملة وقالت: يا أخا كندة، قلت:من أعلمك أني بالباب؟ فقالت: أخبرتني سيدتي أنّ بالباب رجلاً من كندة من أطيبها أخباراً، يسألني عن موضع قرة عيني، فكبر ذلك عندي...فقلت لفاطمة ما منزلة الحسين؟ قالت: إنه لما ولدت الحسن أمرني أبي أن لا ألبس ثوباً أجد فيه اللذة حتى أفطمه، فأتاني أبي زائراً فنظر إلى الحسن وهو يمصّ النوى، فقال: «**فطمتيه**»؟ قلت: نعم، قال: «**إذا أحبّ عليٌّ الاشتمال فلا تمنعيه، فإني أرى في مقدّم وجهك ضوءً ونوراً، وذلك أنك ستلدين حجة لهذا الخلق**».

فذكرت كيفية حمله وما شاهدت من آثار حين الحمل... ثم قالت: فلما صارت الستة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسي في مصلاي التسبيح والتقديس في بطني، فلما مضى فوق ذلك تسع ازددت قوة وكنت ضعيفة اللذات، فذكرت ذلك لأم سلمة فشدّ الله بها أزري، فلما زادت العشرة من الستة غلبتني عيني وأتاني آتٍ في منامي فمسح جناحه على ظهري،

---

(١) تفسير القمي ٢: ٢٩٧، وعنه في البحار٤٣: ٢٤٦. والمراد من قوله عليه السلام: (وكان بين الحسن والحسين طهر واحد): أي مقدار أقلّ طهر واحد، وهي عشرة أيام، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً. ثم إنّ الظاهر من الإرسال والتبشير من الله إلى رسوله ﷺ وفاطمة عليها السلام إنه كان على وجه التخيير لا الحتم، فلم يكن ردّهما رداً على الله.

ففزعت وقمت وأسبغت الوضوء وصليت ركعتين،ثم غلبتني عيني فأتاني آتٍ في منامي وعليه ثياب بيض فجلس عند رأسي ونفخ في وجهي وفي قفاي، فقمت وأنا خائفة فأسبغت الوضوء وأدّيت أربعاً، ثم غلبتني عيني فأتاني آتٍ في منامي فأقعدني ورقّاني وعوّذني فأصبحت، وكان يوم أمّ سلمة المباركة، فدخلت في ثوب سلمة، ثم أتيت أمّ سلمة، فنظر النبي ﷺ إلى وجهي، فرأيت أثر السرور في وجهه فذهب عني ما كنت أجد، وحكيت ذلك للنبي فقال: «أبشري، أمّا الأول فخليلي عزرائيل الموكل بأرحام النساء، وأمّا الثاني فخليلي ميكائيل الموكل بأرحام أهل بيتي، نفخ فيك؟» قلت: نعم، فبكى ثم ضمّني إلى نفسه، فقال: «وأمّا الثالث فذاك حبيبي جبرئيل يخدمه الله ولدك» فرجعت فأنزلته في تمام الستة[1].

الإنباء بشهادته عليه السلام يوم ولادته

قالت صفية بنت عبد المطلب: لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه فدفعته إلى النبي ﷺ، فوضع النبي ﷺ لسانه في فيه وأقبل الحسين على لسان رسول الله ﷺ يمصّه، قالت: فما كنت أحسب رسول الله ﷺ يغذوه إلا لبناً أو عسلاً، قالت: فبال الحسين عليه، فقبّل النبي ﷺ بين عينيه، ثم دفعه إليّ وهو يبكي ويقول: «لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بُنيّ» -يقولها ثلاثاً-، فقلت: فداك أبي وأمي ومن يقتله؟ قال: «بقية الفئة الباغية من بني أُمية لعنهم الله».

ثم إنها قالت: لما سقط الحسين بن فاطمة عليها السلام كنت بين يديها، فقال لي النبي ﷺ: «هلمّي إليّ بابني» فقلت: يا رسول الله إنّا لم ننظّفه بعد، فقال النبي ﷺ: «أنت تنظفينه؟ إنّ الله تعالى قد نظّفه وطهّره»[2].

وروي: أنّ النبي ﷺ رأى كأنّ كلباً أبقع ولغ في دمه، فأوّله أنّ رجلاً يقتل الحسين بن بنته، فكان الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام أبرص،

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٨٤٣، وعنه في البحار ٤٣: ٢٧١.

(٢) أمالي الصدوق: ١٩٩، وعنه في البحار٤٣: ٢٤٣،وورد المقطع الثاني في عيون المعجزات: ٥٥ أيضاً، وروى أنّ رسول الله ﷺ قام إليه وأخذه، فكان يسبّح ويهلّل ويمجّد، صلوات الله عليه.

فتأخرت الرؤيا بعده ﷺ خمسين سنة[1].

وأخرج ابن عساكر، عن محمد بن عمر بن حسن قال: كنا مع الحسين عليه السلام بنهر كربلا فنظر إلى شمر بن ذي الجوشن فقال: الله أكبر صدق الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: «كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دم أهل بيتي» وكان شمر أبرص[2].

وفي حديث روت فيه أسماء كيفية ولادة الحسن عليه السلام... فقالت: فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام وجاء النبي ﷺ فقال: «يا أسمه هلمّي ابني» فدفعته إليه في خرقة بيضاء،فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره فبكى، فقالت: قلت: فداك أبي وأمي ممّ بكاؤك؟ قال: «على ابني هذا» قلت: إنه ولد الساعة يا رسول الله ﷺ فقال: «تقتله الفئة الباغية بعدي لا أنالهم الله شفاعتي»ثم قال: «يا أسمه لا تخبري فاطمة بهذا فإنها قريبة عهد بولادته»ثم قال لعلي عليه السلام: «أيّ شيء سمّيت ابني؟»قال: ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله، وقد كنت أحبّ أن أسمّيه حرباً[3]، فقال النبي ﷺ: «ولا أسبق باسمه ربي ﷻ»ثم هبط جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد العليّ الأعلى يقرئك السلام، ويقول لك: عليٌّ منك كهارون من موسى، سمّ ابنك هذا باسم ابن هارون، قال النبي ﷺ: «وما اسم ابن هارون؟» قال: شبير، قال النبي ﷺ: «لساني عربي» قال جبرئيل: سمّه الحسين، فسمّاه الحسين، فلما كان يوم سابعه عقّ عنه النبي ﷺ بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً ودينار، ثم حلق رأسه وتصدّق بوزن شعره وطلى رأسه بالخلوق، فقال: «يا أسمه الدم فعل الجاهلية»[4].

وفي حديث آخر نحوه، إلاّ أنّ فيه: قالت: ثم وضعه في حجره ثم قال: «يا أبا

---

(١) انظر البحار ٦٢: ٦٠ عن ابن عبد البر في بهجة المجالس وأنس الجالس.

(٢) تاريخ دمشق ٢٣: ١٩٠، و٥٥: ١٦،كنز العمال١٢: ١٢٧، و١٣: ٦٧٢، البداية والنهاية ٨: ٢٠٥.

(٣) الظاهر أنّ هذه الجملة موضوعة وليست من الحديث، كما يشهد له سائر أحاديث التسمية، وأنّ عليا عليه السلام اعظم شأناً وأدباً من أن يتقدم على الله ورسوله في شيء أو أن يحب شيأً لا يحبه الله ورسوله.

(٤) عيون أخبار الرضا٢: ١٦، وعنه في البحار٤٣: ٢٣٩-٢٤٠، إعلام الورى١: ٤٢٧، ذخائر العقبى: ١٢٠ولم يرد فيه: (كنت أحب أن أسميه حرباً)، مقتل الحسين للخوارزمي١: ٨٧، وغيرها.لكن الرواية لا تلائم الواقع التاريخي، لأنّ أسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر في الحبشة، ورجعت معه بعد فتح خيبر وقد ولد الحسنان عليهما السلام، ولعل الصحيح هو سلمى بنت عميس زوجة حمزة، وقد ورد ذكرها في أسد الغابة ٥: ٤٧٩، أو اسماء بنت يزيد بن السكن القابلة الخطابة، وإنما وقع الخلط من الرواة.

عبد الله عزيز عليّ» ثم بكى، فقلت: بأبي أنت وأمي فعلت في هذا وفي اليوم الأول فما هو؟ قال: «أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لعنهم الله، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم»،ثم قال: «اللهم إني أسئلك فيهما ما سألك إبراهيم في ذريته، اللهم أحبهما وأحبّ من يحبهما، والعن من يبغضهما ملأ السمله والأرض»[1].

وعن برة ابنة أمية الخزاعي قالت: لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسن خرج النبي ﷺ في بعض وجوهه فقال لها: «إنك ستلدين غلاماً قد هنّاني به جبرئيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك»،قالت: فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن عليه السلام وله ثلاث ما أرضعته، فقلت لها: أعطينيه حتى أرضعه، فقالت: كلاّ،ثم أدركتها رقة الأمهات فأرضعته، فلما جاء النبي ﷺ قال لها: «ماذا صنعت؟» قالت: أدركني عليه رقة الأمهات فأرضعته فقال: «أبى الله إلا ما أراده»، فلما حملت بالحسين عليه السلام قال لها: «يا فاطمة إنك ستلدين غلاماً قد هنأني به جبرئيل، فلا ترضيعه حتى أجيء إليك ولو أقمت شهراً» قالت: أفعل ذلك، وخرج رسول الله ﷺ في بعض وجوهه، فولدت فاطمة الحسين عليه السلام، فما أرضعته حتى جاء رسول الله ﷺ فقال لها: «ماذا صنعت؟»قالت:ما أرضعته، فأخذه فجعل لسانه في فمه، فجعل الحسين يمص حتى قال النبي ﷺ: «إيهاً حسين إيهاً حسين»،ثم قال: «أبى الله إلا ما يريد هي فيك وفي ولدك»(يعني الإمامة)[2].

فطرس يخبر الرسول ﷺ عن شهادة الحسين عليه السلام

في الأمالي بسنده عن إبراهيم بن شعيب قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إنّ الحسين بن علي لما ولد أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط في ألف من الملائكة فيهنيء رسول الله ﷺ من الله عز وجل ومن جبرئيل، قال: فهبط جبرئيل فمرّ على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له فطرس، كان من الحملة، بعثه الله عز وجل في شيء فأبطأ عليه فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة، فعبد الله تبارك وتعالى فيها سبعمائة

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٦٧، وعنه في البحار٤٤: ٢٥٠.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب٣: ٥٠، وعنه في البحار٤٣: ٢٥٤. إيهاً: تقولها العرب تريد الزيادة.

عام حتى ولد الحسين بن علي عليه السلام، فقال الملك لجبرئيل: أين تريد؟ قال: إنّ الله تعالى أنعم على محمد فبُعثت أهنّئه من الله ومنّي، فقال: يا جبرئيل احملني معك لعل محمداً ﷺ يدعو لي، فحمله.

قال:فلما دخل جبرئيل على النبي ﷺ هنّأه من الله تعالى ومنه وأخبره بحال فطرس، فقال النبي ﷺ: قل له: تمسّح بهذا المولود وعُد إلى مكانك، قال: فتمسّح فطرس بالحسين بن علي عليه السلام وارتفع، فقال: يا رسول الله؛ أما إنّ أمتك ستقتله، وله عليّ مكافأة الايزوره زائر إلا أبلغته عنه، ولا يسلّم عليه مسلّم إلا أبلغته سلامه، ولا يصلّي عليه مصلّ إلاّ أبلغته عنه صلاته، ثم ارتفع[1].

وروي الحديث بنحو آخر، فيه:.. فلما أحسّ الملائكة نازلين سأل من مرّ به منهم عما أوجب لهم ذلك، فقال: وُلد للحاشر النبي الأمي أحمد من ابنته ووصيه ولد يكون منه أئمة الهدى إلى يوم القيامة، فسأل من أخبره أنه يهنيء رسول الله ﷺ بتلك عنه، ويعلمه بحاله، فلما علم النبي ﷺ بذلك سأل الله تعالى أن يعتقه للحسين ففعل سبحانه، فحضر فطرس وهنّأ النبي ﷺ وعرج إلى موضعه، وهو يقول: من مثلي وأنا عتاقة الحسين ابن علي وفاطمة، وجده أحمد الحاشر[2].

وقد تكررّت هذه الكرامة لملك آخر عظيم الشأن، كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء والهواء كما بين السماء والأرض، فجعل يوماً يقول في نفسه: أفوق ربّنا جل جلاله شيء؟ فعلم الله تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح،ثم أوحى الله تعالى إليه أن: طِر، فطار مقدار خمسمائة عام، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلما علم الله تعالى إتعابه أوحى إليه: أيها الملك عُد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقي شيء، ولا أوصف بمكان، فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة، فلما ولد الحسين بن علي صلوات الله عليهما، وكان مولده عشية الخميس ليلة الجمعة أوحى الله إلى مالك خازن النيران: أن أخمد النيران على

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٠٠، وعنه في البحار٤٣: ٢٤٣، ونحوه في كامل الزيارات: ١٤١.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٢٩، وعنه في البحار٤٣: ٢٤٤، ورويت مثل هذه القصة لصلصائيل أيضاً، فراجع البحار٤٣: ٢٥٨ عن كتاب الغيبة.

أهلها لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ، وأوحى إلى رضوان خازن الجنان: أن زخرف الجنان وطيّبها لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ في دار الدنيا.

وأوحى الله إلى الملائكة: أن قوموا صفوفاً بالتسبيح والتمجيد والتكبير لكرامة مولود ولد لمحمد ﷺ في دار الدنيا، وأوحى الله ﷻ إلى جبرئيل عليه السلام: أن اهبط إلى نبيي محمد في ألف قبيل، في القبيل ألف ألف ملك على خيول بُلق مسرّجة ملجمة، عليها قباب الدّر والياقوت، معهم ملائكة يقال لهم: الروحانيون بأيديهم حراب من نور أن هنئوا محمداً بمولوده.

وأخبره يا جبرئيل: أني قد سميته الحسين وعزّه وقل له: «يا محمد يقتله شرار أمتك على شرار الدواب، فويل للقاتل، وويل للسائق، وويل للقائد، قاتل الحسين أنا منه بريء وهو مني بريء، لأنه لا يأتي أحد يوم القيامة إلا وقاتل الحسين أعظم جرماً منه، يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أنّ مع الله إلهاً آخر، والنار أشوق إلى قاتل الحسين ممن أطاع الله إلى الجنة.

قال: فبينا جبرئيل يهبط من السماء إلى الأرض إذ مرّ بدردائيل فقال له دردائيل: يا جبرائيل ما هذه الليلة في السماء، هل قامت القيامة على أهل الدنيا؟ قال: لا، ولكن ولد لمحمد مولود في دار الدنيا وقد بعثني الله ﷻ إليه لأهنّئه بمولوده، فقال الملك: يا جبرئيل بالذي خلقك وخلقني إذا هبطت إلى محمد فاقرئه مني السلام وقل له: بحق هذا المولود عليك إلا ما سألت الله ربك أن يرضى عني ويردّ عليّ أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة، فهبط جبرئيل على النبي ﷺ وهنأه كما أمره الله ﷻ وعزّاه، فقال النبي ﷺ: «تقتله أمتي؟» قال: نعم، فقال النبي ﷺ: «ما هؤلاء بأمتي أنا بريء منهم، والله عز وجل بريء منهم» قال جبرئيل: وأنا بريء منهم يا محمد.

فدخل النبي ﷺ على فاطمة وهنأها وعزّاها، فبكت فاطمة عليها السلام، وقالت: يا ليتني لم ألده، قاتل الحسين في النار، وقال النبي ﷺ: «أنا أشهد بذلك يا فاطمة، ولكنه لا يقتل حتى يكون منه إمام تكون منه الأئمة الهادية بعده» ثم قال ﷺ: «الأئمة بعدي: الهادي علي، والمهتدي الحسن، والناصر الحسين، والمنصور علي بن الحسين، والشافع محمد بن علي، والنفاع جعفر بن محمد، والأمين موسى

بن جعفر، والرضا علي بن موسى، والفعال محمد بن علي، والمؤتمن علي بن محمد، والعلاّم الحسن بن علي، ومن يصلي خلفه عيسى بن مريم القائم عليه السلام» فسكنت فاطمة من البكاء،ثم أخبر جبرئيل النبي ﷺ بقضية الملك وما أصيب به، قال ابن عباس: فأخذ النبي ﷺ الحسين وهو ملفوف في خرق من صوف فأشار به إلى السماء،ثم قال: «اللهم بحق هذا المولود عليك، لابل بحقك عليه، وعلى جدّه محمد وإبراهيم وإسماعيل و إسحاق ويعقوب إن كان للحسين بن علي بن فاطمة عندك قدر فارض عن دردائيل ورُدّ عليه أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة» فاستجاب الله دعاءه، وغفر للملك، فالملك لا يُعرف في الجنة إلابأن يقال: هذا مولى الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1].

الظاهر من الحديثين هوترك الأولى من فطرس، ومن دردائيل بسبب الخطور بالبال من غير اعتقاد بكون الباري تعالى ذا مكان، أو المراد بقوله: فوق ربنا شيء أي فوق عرش ربّنا، إما مكاناً أو رتبة، فيكون ذلك منه تقصيراً في معرفة عظمته وجلاله،وعلىأية حال فصدور أمثال ذلك منهم لا ينافي عصمتهم.

وروي أنّ ملكاً من ملائكة الصفيح الأعلى اشتاق لرؤية النبي ﷺ واستأذن ربّه بالنزول إلى الأرض لزيارته، وكان ذلك الملك لم ينزل إلى الأرض أبداً منذ خلق...فدخل الملك إلى رسول الله ونشر أجنحته بين يديه...فأخبره عن الله تعالى: إعلم يا محمد أنّ رجلاً من أُمتك اسمه يزيد زاده الله لعناً في الدنيا والآخرة يقتل فرخك الطاهر ابن الطاهرة، ولم يتمتّع قاتله في الدنيا من بعده إلا قليلاً ويأخذه الله مقاصّاً له على سوء عمله، ويكون مخلّدا في النار.

فبكى النبي ﷺ بكاءً شديداً، وقال: «أيها الملك هل تفلح أمة بقتل ولدي وفرخ ابنتي؟» فقال: لا يا محمد، بل يرميهم الله باختلاف قلوبهم وألسنتهم في دار الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم[2].

---

(١) كمال الدين١: ٣٩٨، وعنه في البحار٤٣: ٢٤٩.

(٢) منتخب الطريحي: ٥٥،وعنه في البحار٤٥: ٣٦٤.

حديث عائشة في شهادة الحسين عليه السلام

وفي كامل الزيارات بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الحسين بن عليّ ذات يوم في حجر النبي ﷺ يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشدّ إعجابك بهذا الصبي؟ فقال لها: «ويلك وكيف لا أحبّه ولا أعجب به وهو ثمرة فؤادي، وقرة عيني؟ أما إنّ أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي» قالت: يا رسول الله حجة من حججك؟ قال: «نعم وحجتين من حججي» قالت: يا رسول الله حجتين من حججك؟ قال: «نعم وأربعة» قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعّف حتى بلغ ستين حجة من حجج رسول الله ﷺ بأعمارها[1].

قوله ﷺ: أقبّل مواضع السيوف

وفيه أيضاً عن الصادق عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه، ثم يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: «أمسكه» ثم يقع عليه فيقبّله ويبكي، فيقول: «يا أبه لِمَ تبكي؟» فيقول: «يا بُنيّ أقبّل مواضع السيوف منك وأبكي» قال: أبه وأُقتل؟ قال: «إي والله وأبوك وأخوك وأنت» قال: يا أبه فمصارعنا شتّى؟ قال: «نعم يا بني» قال: فمن يزورنا من أمتك؟ قال: «لايزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلاّ الصديقون من أمتي»[2].

قوله ﷺ لفاطمة: ...وكأني أنظر إلى معسكرهم و...

وفي حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: كان الحسين مع أمه تحمله فأخذه النبي ﷺ وقال: «لعن الله سالبك وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك» قالت فاطمة الزهراء: يا أبه أيّ شيء تقول؟ قال: «يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء، يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى

---

(١) كامل الزيارات: ١٤٤، وعنه في البحار٤٤: ٢٦٠، ومثله في أمالي الطوسي: ٦٦٨.

(٢) كامل الزيارات: ١٤٧، وعنه في البحار٤٤: ٢٦١، ٩٧: ١١٩.

معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم».

قالت: يا أبه أين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: «موضع يقال له كربلا وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمّة، يخرج عليهم شرار أمتي، لو أنّ أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شُفّعوا فيه، وهم المخلدون في النار».

قالت: يا أبه فيقتل؟ قال: «نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله ويبكيه السماوات والأرضون، والملائكة، والوحش، والنباتات والبحار والجبال ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا منهم، وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم، أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء، وهم واردون حوضي غداً أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم، وكل أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوّام الأرض، وبهم ينزل الغيث» فقالت فاطمة الزهراءعليها السلام: يا أبه إنا لله، وبكت، فقال لها: «يا بنتاه إنّ أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا بذلوا أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتته، ومن كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت».

«يا فاطمة بنت محمد أما تحبّين أن تأمرين غداً بأمر فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش عن الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم الجنة والنار، يأمر النار فتطيعه، يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء، أما ترضين أن تنظرين إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به وينظرون إلى بعلك قد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله، فما ترين الله صانع بقاتل ولدك وقاتليك وقاتل بعلك إذا أُفلجت حجته على الخلائق، وأمرت النار أن تطيعه.

أما ترضين أن يكون الملائكة تبكي لابنك وتأسف عليه كل شيء؟ أما ترضين أن يكون من أتاه زائراً في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى

بيت الله واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيداً، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا.

قالت فاطمة: يا أبه سلّمت ورضيت وتوكلت على الله، فمسح على قلبها ومسح على عينيها، وقال: «إني وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقرّ عيناك ويفرح قلبك»[1].

الإنباء بقتل الحسينؑ وبكاء نساء ورجال الأُمة عليه

وفي رواية أخرى أنه لما أخبر النبيﷺ ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت بكاءً شديداً، وقالت: يا أبه متى يكون ذلك؟ قال: «في زمان خال مني ومنك ومن عليٍّ» فاشتدّ بكاؤها وقالت: يا أبه فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟

فقال النبيﷺ: «يا فاطمة إنّ نسله أمتي يبكون على نسله أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل، في كل سنة،فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنسله وأنا أشفع للرجال وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة، يا فاطمة كل عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة»[2].

قولهﷺ ولدي هذا مقتول مخذول

وفي خبر قال الراوي: فلما أتت على الحسين سنة كاملة، هبط على النبي إثنا عشر ملكاً أحدهم على صورة الأسد والثاني على صورة الثور والثالث على صورة التنين والرابع على صورة ولد آدم والثمانية الآخرون على صور شتى محمرة وجوههم باكية عيونهم قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون: يا محمد سينزل بولدك الحسين ابن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل، وسيُعطى مثل أجر هابيل، ويُحمل على قاتله مثل وزر قابيل، ولم يبق في السماوات ملك مقرب إلاّ ونزل إلى

---

(١) تفسير فرات: ١٧١، وعنه في البحار٤٤: ٢٦٤، كامل الزيارات: ٦٩ إلى: بهم ينزل الغيث.

(٢) البحار٤٤: ٢٩٢، عن تأليفات بعض الثقات.

النبي ﷺ كل يقرئه السلام ويعزّيه في الحسين عليه السلام ويخبره بثواب ما يُعطى، ويعرض عليه تربته، والنبي يقول: «**اللهم اخذل خاذله، واقتل قاتله ولا تمتّعه بما طلبه**».

فلما أتى على الحسين عليه السلام من مولده سنتان خرج النبي ﷺ في سفر له فوقف في بعض الطريق واسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: «**هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء، يقتل عليها ولدي الحسين ابن فاطمة**» فقيل ومن يقتله يا رسول الله؟ قال: «**رجل يقال له يزيد لعنه الله، وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه**»ثم رجع من سفره ذلك مهموماً مغموماً، فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين عليه السلام ورفع رأسه إلى السماء، وقال: «**اللهم إنّ محمداً عبدك ونبيك وهذان أطائب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن أخلّفهما في أمتي، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولاتبارك في قاتله وخاذله**» فضج الناس بالبكاء والنحيب، فقال النبي: «**أتبكون ولا تنصرونه؟**»، ثم رجع وهو متغير اللون محمر الوجه فخطب خطبة أخرى...أوصاهم فيها بالثقلين وحذّرهم أن يلقوه يوم القيامة وهم ظالمين لعترته[1].

وفي خبر آخر عن أنس بن أبي سحيم بن الحارث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ ابني هذا يقتل بأرض العراق، فمن أدركه منكم فلينصره**»، فحضر أنس مع الحسين كربلا وقُتل معه[2].

وروي بالاسناد عن عائشة أنها قالت: دخل الحسين على النبي وهو غلام يدرج فقال: «**أي عائشة ألا أعجبك! لقد دخل عليّ آنفاً ملك ما دخل عليّ قطّ، فقال: إنّ ابنك هذا مقتول، وإن شئت أريتك من تربته التي يُقتل بها**»فتناول تراباً أحمراً، فأخذته أمّ سلمة فخزنته في قارورة، فأخرجته يوم قُتل وهو دم، و

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ١٣،ونحوه في مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٣٧،وزاد بعد قوله(مدفنه): «وقد أهدي رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه». وانظر منتخب الطريحي: ٦٢، مثير الأحزان لابن نما: ٨، البحار٤٤: ٢٤٧.

(٢) مثير الأحزان: ٨، وانظر دلائل النبوة ٣: ٢٠٢، ذخائر العقبى: ١٤٦، كنز العمال ٦: ١٤١.

مثله عن زينب بنت جحش باختلاف في اللفظ[١].

أحاديث أم سلمة في شهادة الحسن والحسين عليهما السلام

قالت أم سلمة: دخل رسول الله ذات يوم ودخل في أثره الحسن والحسين عليهما السلام وجلسا إلى جانبيه فأخذ الحسن على ركبته اليمنى والحسين على ركبته اليسرى، وجعل يقبّل هذا تارة وهذا تارة أخرى، وإذا بجبرئيل قد نزل وقال: يا رسول الله إنك لتحب الحسن والحسين؟ فقال: «**وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا وقرّتا عيني**».

فقال جبرئيل: يا نبي الله إنّ الله قد حكم عليهما بأمر فاصبر له، فقال: «**وما هو يا أخي**»؟ فقال: قد حكم على هذا الحسن أن يموت مسموماً، وعلى هذا الحسين أن يموت مذبوحاً، وإنّ لكل نبي دعوة مستجابة، فإن شئت كان دعوتك لولديك الحسن والحسين فادع الله أن يسلّمهما من السم والقتل، وإن شئت كانت مصيبتهما ذخيرة في شفاعتك للعصاة من أُمتك يوم القيامة.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: «**يا جبرئيل أنا راضٍ بحكم ربّي لا أُريد إلا ما يريده، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمتي ويقضي الله في ولدي ما يشاء**»[٢].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان النبي في بيت أم سلمة فقال لها: «**لا يدخل عليّ أحد**» فجاء الحسين عليه السلام وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله، فدخلت أم سلمة على أثره فإذا الحسين على صدره و إذا النبي يبكي وإذا في يده شيء يقلبّه.

فقال النبي: «**يا أم سلمة إنّ هذا جبرئيل يخبرني أنّ هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها فضعيه عندك فإذا صارت دماً فقد قُتل حبيبي**» فقالت أم سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه،قال: «**قد فعلت فأوحى الله إليّ أنّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأنّ له شيعة يشفعون فيُشفّعون، وأنّ المهدي من ولده،**

---

(١) أنظر مثير الاحزان: ٨، وعنه البحار٤٤: ٢٤٧، مسند أحمد ٦: ٢٩٤، البداية والنهاية ٨: ٢١٧.

(٢) البحار٤٤: ٢٤١-٢٤٢، عن بعض مؤلفات الاصحاب.

فطوبى لمن كان من أوليائك الحسين، وشيعته هم الفائزون يوم القيامة[1].

وروي عن أبي أمامة أنه قال: قال رسول اللهﷺ لنسائه: «**لا تُبكوا هذا الصبي**» -يعني حسيناً-، قال: وكان يوم أمّ سلمة، فنزل جبرئيل فدخل رسول اللهﷺ الداخل، فقال لأم سلمة: «**لا تدعي أحداً أن يدخل عليّ**» فجاء الحسينعليه السلام فلما نظر إلى النبيﷺ في البيت أراد أن يدخل فأخذته أمّ سلمة فاحتضنته وجعلت تناغيه وتسكته، فلمّا اشتدّ في البكاء خلّت عنه فدخل حتى جلس في حجر النبيﷺ، فقال جبرئيل للنبيﷺ: إنّ أُمتك ستقتل ابنك هذا، فقال النبيﷺ: «**يقتلونه وهم مؤمنون بي؟!**» قال: نعم يقتلونه، فتناول جبرئيل تربة فقال: بمكان كذا وكذا، فخرج رسول اللهﷺ وقد احتضن حسيناً كاسف البال مغموماً، فظنّت أم سلمة أنه غضب من دخول الصبي عليه، فقالت: يا نبي الله جعلت لك الفداء إنك قلت لنا: «**لا تُبكوا هذا الصبي**»وأمرتني أن لا أدع أحداً يدخل عليك فجاء فخلّيت عنه، فلم يردّ عليها فخرج إلى أصحابه وهم جلوس، فقال: «**إنّ أمتي يقتلون هذا**» وفي القوم أبو بكر وعمر، وكانا أجرأ القوم عليه فقالا: يا نبي الله وهم مؤمنون؟ قال: «**نعم وهذه تربته**»وأراهم إياها[2]وروي بالاسناد عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة أنّ رسول اللهﷺ اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو خائر النفس، ثم اضطجع فرقد، ثم استيقظ وهو خائر دون ما رأيت به المرة الأولى، ثم اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبّلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: «**أخبرني جبرئيلعليه السلام إنّ هذا**-يعني الحسين-**يُقتل بأرض العراق، فقلت لجبرئيل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها، قال فهذه تربتها**»[3].

وفي الإرشاد بسنده عن أم سلمة أنها قالت: خرج رسول اللهﷺ من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلاً،ثم جاءنا وهو أشعث أغبر، ويده مضمومة فقلت له: يا رسول الله ما لي أراك شعثاً مغبراً؟ فقال: «**أُسري بي في هذا الوقت إلى**

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٠٣، وعنه في البحار٤٤: ٢٢٥.

(٢) مجمع الزوائد ٩: ١٨٩، تاريخ الإسلام للذهبي٣: ١٠، تاريخ دمشق ١٤: ٢٨٥.

(٣) مستدرك الصحيحين٤: ٣٩٨، ذخائر العقبى: ١٤٧، المعجم الكبير٣: ١١٠، ٢٣: ٣٠٨.

موضع من العراق يقال له كربلا، فأُريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم، فها هي في يدي»وبسطها إليّ، فقال: «خذيها واحتفظي بها» فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها.

فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجهاً نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة وأشمها وأنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلما كان اليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام أخرجتها في أول النهار وهي بحالها ثم عُدتُ اليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحتُ في بيتي وبكيت وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعي ينعاه، فحقّق ما رأيت[1].

وفي رواية أنها قالت: يوم قتل الحسين عليه السلام سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل

قد لعنتم على لسان داود ... وموسى وصاحب الإنجيل

فبكت ففتحت القارورة فإذا قد حدث فيها دم[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ جبرئيل أتى رسول الله ﷺ والحسين يلعب بين يدي رسول الله ﷺ، فأخبره أنّ أمته ستقتله، قال: فجزع رسول الله ﷺ فقال: ألا أريك التربة التي يُقتل فيها؟ قال: فخسف ما بين مجلس رسول الله إلى المكان الذي قتل فيه حتى التقت القطعتان فأخذ منها ودحيت في أسرع من طرفة العين،فخرج وهو يقول: «طوبى لك من تربة وطوبى لمن يقتل حولك»، قال: وكذلك صنع سليمان، تكلّم باسم الله الأعظم فخسف ما بين سرير سليمان وبين العرش من سهولة الأرض وحزونتها حتى التقت القطعتان فاجتزّ العرش، قال: سليمان: خيّل إليّ أنه خرج من تحت سريري، قال: ودحيت في أسرع من طرفة العين[3].

---

(١) الارشاد للمفيد٢: ١٣٠، إعلام الورى ١: ٤٢٨،وانظر تهذيب التهذيب لابن حجر٢: ٣٤٧.

(٢) البحار٤٤: ٢٤١، وانظر الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٩٣، البداية والنهاية ٨: ٢١٩.

(٣) كامل الزيارات: ١٢٧، وعنه في البحار٤٤: ٢٣٥، وانظر أمالي الطوسي: ٣٦٤، والبحار٤٤: ٢٢٨. قال المجلسي في معنى التقاء القطعتين في قصة بلقيس: ظاهر أكثر تلك الأخبار أنّ الأرض التي كانت

حديث ابن عباس في شهادة الحسين عليه السلام

وعن ابن عباس قال: لما اشتدّ برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره، يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: «مالي وليزيد، لابارك الله فيه، اللهم العن يزيد» ثم غُشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبّل الحسين وعيناه تذرفان، ويقول: «أما إنّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله عزّ وجلّ»[1].

وفي أمالي الصدوق بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن منزلي، ويمسك قضيباً غرسه ربي عزّ وجلّ ثم قال له: كن فكان، فليتولّ عليّ بن أبي طالب وليأتمّ بالأوصياء من ولده، فإنهم عترتي خُلقوا من طينتي؛ إلى الله أشكو أعداءهم من أمتي المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلنّ ابني بعدي الحسين، لا أنالهم الله شفاعتي»[2].

قوله ﷺ: الحسن عليه السلام يسقوه السم ويخضرّ لون بدنه والحسين يقتلوه و يذبحوه ويخضب بدنه من دمه

روي أنّ الحسن والحسين عليهما السلام دخلا يوم عيد إلى حجرة جدهما رسول الله ﷺ فقالا: يا جداه اليوم يوم عيد، وقد تزيّن أولاد العرب بألوان اللباس، ولبسوا جديد الثياب، وليس لنا ثوب جديد وقد توجّهنا لذلك إليك، فتأمل النبي إلى حالهما وبكى ولم يكن عنده في البيت ثياب يليق بهما، ولا رأى أن يمنعهما فيكسر خاطرهما، فدعا ربه وقال: «إلهي اجبر قلبهما وقلب أمهما» فنزل

بينه وبين السرير انخسفت وتحرّكت الأرض التي كان السرير عليها حتى أُحضرت عنده، فإن قيل: كيف انخسفت الأبنية التي كانت عليها؟ قلنا: يحتمل أن تكون تلك الأبنية تحرّك بأمره تعالى يميناً وشمالاً، وكذا ما عليها من الحيوانات والأشجار وغيرها، ويمكن أن يكون حركة السرير من تحت الأرض بأن غار في الأرض وطويت وتكاشفت الطبقة التحتانية حتى خرج من تحت سريره، ثم دحيت تلك الطبقة من تحت الأرض.

(١) مثير الأحزان: ١٢، وعنه في البحار٤٤: ٢٦٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٣٠، وعنه البحار٤٤: ٢٥٧، الامامة والتبصرة لابن بابويه: ٤٣.

جبرئيل ومعه حلتان بيضاوان من حلل الجنة، فسرّ النبي ﷺ وقال لهما: «يا سيدي شباب أهل الجنة خذا أثواباً خاطها خياط القدرة على قدر طولكما» فلما رأيا الخلع بيضاً، قالا: يا جداه كيف هذا وجميع صبيان العرب لابسون ألوان الثياب، فأطرق النبي ساعة متفكراً في أمرهما.

فقال جبرئيل: يا محمد طب نفساً وقرّ عيناً إنّ صابغ صبغة الله يقضي لهما هذا الأمر ويفرّح قلوبهما بأيّ لون شاءا، فأمُر يا محمد بإحضار الطست والإبريق، فأُحضرا، فقال جبرئيل: يا رسول الله أنا أصبّ الماء على هذه الخلع وأنت تفركهما بيدك فتصبغ لهما بأيّ لون شاءا.

فوضع النبي حُلّة الحسن في الطست فأخذ جبرئيل يصبّ الماء،ثم أقبل النبي على الحسن وقال له: «يا قرة عيني بأيّ لون تريد حلّتك؟» فقال: أريدها خضراء، ففركها النبي بيده في ذلك الماء، فأخذت بقدرة الله أخضر فائقاً كالزبرجد الأخضر، فأخرجها النبي وأعطاها الحسن فلبسها.

ثم وضع حُلّة الحسين في الطست وأخذ جبرئيل يصبّ الماء فالتفت النبي إلى نحو الحسين، وكان له من العمر خمس سنين وقال له: «يا قرة عيني أيّ لون تريد حُلّتك؟» فقال الحسين: يا جدّ أريدها حمراء ففركها النبي بيده في ذلك الماء فصارت حمراء كالياقوت الأحمر، فلبسها الحسين فسرّ النبي بذلك وتوجّه الحسن والحسين إلى أمهما فرحين مسرورين.

فبكى جبرئيل عليه السلام لمّا شاهد تلك الحال، فقال النبي: «يا أخي جبرئيل في مثل هذا اليوم الذي فرح فيه ولدي تبكي وتحزن؟ فبالله عليك إلا ما أخبرتني» فقال جبرئيل: إعلم يا رسول الله أنّ اختيار ابنيك على اختلاف اللون، فلابدّ للحسن أن يسقوه السم ويخضرّ لون جسده من عظم السم،ولابدّ للحسين أن يقتلوه ويذبحوه ويخضب بدنه من دمه، فبكى النبي وزاد في حزنه لذلك[1].

حديث علي عليه السلام عن النبي ﷺ في مقتل الحسين عليه السلام

في مثير الأحزان عن عبد الله بن يحيى قال: دخلنا مع عليٍّ إلى صفين فلّما

---

(١) البحار٤٤: ٢٤٥، عن بعض الثقات الأخيار، منتخب الطريحي: ١٢٥.

حلاي نينوى نادى صبراً يا أبا عبد الله، فقال: دخلت على رسول الله وعيناه تفيضان فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لعينك تفيضان؟ أغضبك أحد؟ قال: «لا بل كان عندي جبرئيل فأخبرني أنّ الحسين يُقتل بشاطئ الفرات وقال: هل لك أن أشمك؟ من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فأخذ قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا، واسم الأرض كربلا»[1].

خبر هامٌّ عن عليٍّ عليه السلام في تربة الحسين عليه السلام وتحقق نبوءة النبي صلى الله عليه وآله

وفي حديث آخر مسنداً عن ابن عباس، أنه قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام في خرجته إلى صفّين فلّما نزل بنينوى وهو بشطّ الفرات قال بأعلا صوته: يا ابن عبّاس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتّى اخضلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره وبكينا معاً وهو يقول: أوّه أوّه مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب حزب الشيطان؟ وأولياء الكفر؟ صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقى منهم، ثمّ دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة فصلّى ما شاء الله أن يصلّي، ثمّ ذكر نحو كلامه الأول، إلا أنه نعّس عند انقضاء صلاته وكلامه ساعة ثم انتبه فقال: يا ابن عباس، فقلت: ها أنا ذا، فقال: ألا أحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟ فقلت: نامت عيناك ورأيت خيراً يا أمير المؤمنين.

قال: رأيت كأنّي برجل قد نزلوا من السماء معهم أعلام بيض قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة، ثم رأيت كأن هذه النخيل قد ضربت بأغصانها الأرض تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين سخلي وفرخي ومضغتي ومخّي قد غرق فيه يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجل البيض قد نزلوا من السماء ينادونه ويقولون: صبراً آل الرسول، فإنّكم تقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة يا أبا عبد الله إليك مشتاقة، ثم يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن أبشر، فقد أقرّ الله به عينك يوم يقوم الناس لرب العالمين، ثم انتبهت

---

(١) مثير الاحزان: ٨، وعنه في البحار٤٤: ٢٤٧، تاريخ دمشق١٤: ١٨٩، كشف الغمة٢: ٢٧٠.

هكذا، والذي نفس عليٍّ بيده لقد حدّثني الصادق المصدق أبو القاسم ﷺ أنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا، وهذه أرض كرب وبلاء، يدفن فيها الحسين عليه السلام وسبعة عشر رجلاً من ولدي وولد فاطمة، وإنّها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس.

ثم قال لي: يا ابن عباس أطلب لي حولها بعر الظباء فوَالله ما كذبت ولا كُذّبت وهي مصفرة لونها لون الزعفران، قال ابن عباس:فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته يا أميرالمؤمنين قد أصبتها على الصفة التي وصفتها لي، فقال عليٌّ عليه السلام: صدق الله ورسوله.

ثم قام عليه السلام يهرول إليها فحملها وشمّها، وقال: هي هي بعينها، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأبعار؟ هذه قد شمّها عيسى بن مريم، وذلك أنّه مرّ بها ومعه الحواريّون فرأى ههنا الظبّاء مجتمعة وهي تبكي فجلس عيسى، وجلس الحواريّون معه، فبكى وبكى الحواريّون، وهم لا يدرون لِمَ جلس ولِمَ بكى.

فقالوا: يا روح الله وكلمته ما يبكيك؟ قال: أتعلمون أيّ أرض هذه؟ قالوا: لا، قال: هذه أرض يقتل فيها فرخ الرسول أحمد ﷺ وفرخ الحرّة الطاهرة البتول، شبيهة أمّي، ويُلحَد فيها، طينة أطيب من المسك، لأنّها طينة الفرخ المستشهد، وهكذا يكون طينة الأنبياء وأولاد الأنبياء، فهذه الظباء تكلّمني و تقول: إنّها ترعى في هذه الأرض شوقاً إلى تربة الفرخ المبارك وزعمت أنّها آمنة في هذه الأرض، ثمّ ضرب بيده إلى هذه الصيران[1] فشمّها وقال: هذه بعر الظباء على هذا الطيب لمكان حشيشها، اللهم فأبقها أبداً حتى يشمّها أبوه فيكون له عزاء وسلوة، قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا، وقد اصفرّت لطول زمنها، وهذه أرض كرب وبلاء، ثم قال بأعلى صوته: يا رب عيسى بن مريم! لاتبارك في قتلته، والمعين عليه والخاذل له.

ثم بكى بكاء طويلاً وبكينا معه حتى سقط لوجهه وغشي عليه طويلاً ثم أفاق فأخذ البعر فصرّه في ردائه وأمرني أن أصرّها كذلك.

---

(١) الصيران: جمع صوار،كغراب، ومن معانيها وعاء المسك، كأنه أراد تشبيه البعر بنافجة المسك لطيبها، ويحتمل أن يكون جمع صور(بالفتح): الحشيش الملتف النابت في الأرض.

ثم قال: يا ابن عباس إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً، ويسيل منها دم عبيط، فاعلم أنّ أبا عبد الله قد قتل بها ودفن.

قال ابن عباس: فوالله لقد كنت أحفظها أشدّ من حفظي لبعض ما افترض الله عليّ وأنا لا أحلّها من طرف كمي، فبينما أنا نائم في البيت إذا انتبهت فإذا هي تسيل دماً عبيطاً، وكان كمي قد امتلأ دماً عبيطاً، فجلست وأنا باكٍ وقلت قد قُتل والله الحسين والله ما كذبني عليٌّ قطّ في حديث حدثني ولا أخبرني بشيء قط أنه يكون إلا كان كذلك، لأنّ رسول الله كان يخبره بأشياء لا يخبر بها غيره.

ففزعت وخرجت وذلك عند الفجر، فرأيت والله المدينة كأنها ضباب لا يستبين منها أثر عين، ثم طلعت الشمس ورأيت كأنها منكسفة، ورأيت كأنّ حيطان المدينة عليها دم عبيط فجلست وأناباك، فقلت: قد قتل والله الحسين، وسمعت صوتاً من ناحية البيت وهو يقول:

إصبروا آل الرسول ... قُتِل الفرخ النحول

نزل الروح الأمين ... ببكاء و عويل

ثم بكى بأعلى صوته وبكيت فأثبتّ عندي تلك الساعة، وكان شهر المحرم يوم عاشوراء لعشر مضين منه، فوجدته قتل يوم ورد علينا خبره وتاريخه كذلك، فحدثت هذا الحديث أولئك الذين كانوا معه، فقالوا: والله لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ولا ندري ما هو، فكنّا نرى أنه الخضر[1].

وروي أيضاً بالاسناد عن جرداء بنت سمين، عن زوجها هرثمة بن أبي مسلم قال: غزونا مع عليّ بن أبي طالب صفين فلما انصرفنا نزل بكربلا فصلّى بها الغداة،ثم رفع من تربتها فشمّها ثم قال: واهاً لك أيتها التربة، ليحشرنّ منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب.

فرجع هرثمة إلى زوجته وكانت شيعة لعلي فقال: ألا أحدّثكِ عن وليّك أبي الحسن، نزل بكربلا فصلّى ثم رفع إليه من تربتها فقال: واهاً لك... قالت: أيها الرجل فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

---

(١) أمالي الصدوق: ٦٩٤، كمال الدين: ٥٣٢، وعنهما في البحار٤٤: ٢٥٢.

فلما قدم الحسين عليه السلام قال هرثمة: كنت في البعث الذين بعثهم عبيد الله بن زياد، فلما رأيت المنزل والشجر ذكرت الحديث فجلست على بعيري ثم صرتُ إلى الحسين عليه السلام فسلّمت عليه وأخبرته بما سمعت من أبيه في ذلك المنزل الذي نزل به الحسين، فقال: معنا أنت أم علينا؟ فقلت: لا معك ولا عليك، خلّفت صبية أخاف عليهم عبيد الله بن زياد، قال: فامض حيث لا ترى لنا مقتلاً ولا تسمع لنا صوتاً، فوَالذي نفس الحسين بيده لا يسمع اليوم واعيتنا أحد فلا يعيننا إلا أكبّه الله لوجهه في جهنم[1].

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم للبراء بن عازب: يا براء يُقتل إبني الحسين وأنت حيٌّ لا تنصره، فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول: صدق والله عليُّ بن أبي طالب، قتل الحسين ولم أنصره، ثم يظهر على ذلك الحسرة والندم[2].

وأيضاً في صفين، قال عبد الله بن قيس: كنت مع من غزى مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين وقد أخذ أبو أيوب الأعور السلميّ الماء وحرزه من الناس، فشكى المسلمون العطش، فأرسل فوارس على كشفه فانحرفوا خائبين، فضاق صدره، فقال له ولده الحسين عليه السلام أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امض يا ولدي، فمضى مع فوارس فهزم أبا أيوب عن الماء وبنى خيمته وحطّ فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره، فبكى عليٌّ عليه السلام، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام؟فقال: ذكرت أنه سيُقتل عطشاناً بطف كربلا، حتى ينفر فرسه ويحمحم ويقول: الظليمة لأمة قتلت ابن بنت نبيها[3].

---

(١) أمالي الصدوق: ١٩٩، وعنه في البحار٤٤: ٢٥٦، وفي٤١: ٣٣٧ عنه أيضاً باختلاف يسير، وفي آخره قال: فأقبلت في الأرض أشتدُّ هرباً حتى خفي عليّ مقتلهم. وفيه أيضاً عنه عليه السلام أنه لما نزل بكربلا أشار بيده يقول: هاهنا هاهنا، فقيل له: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ثقل لآل محمد ﷺ ينزل هاهنا، فويل لهم منكم وويل لكم منهم، فسُئِل عن معنى كلامه؟ فقال: ويل لهم منكم، تقتلونهم، وويل لكم منهم، يدخلكم الله بقتلهم النار، ونحوه في وقعة صفين لابن مزاحم: ١٤٠، وعنه في شرح النهج ٣: ١٦٩،وانظر تاريخ دمشق ١٣: ٦٣.

(٢) إرشاد المفيد١: ٣٣١، وعنه في البحار٤٤: ٢٦٢، شرح النهج١٠: ١٥، إعلام الورى ١: ٣٤٥.

(٣) البحار٤٤: ٢٦٦، رواه عن بعض الكتب المعتبرة، عن لوط بن يحيى.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: مرّ علي بكربلا في اثنين من أصحابه، قال: فلما مرّ بها ترقرقت عيناه للبكاء، ثم قال: هذا مناخ ركابهم، وهذا ملقى رحالهم، وهاهنا تهراق دماؤهم، طوبى لك من تربة عليك تهراق دماء الأحبة[1].

وقال: خرج عليٌّ يسير بالناس حتى إذا كان من كربلاء على ميلين أو ميل تقدم بين أيديهم حتى طاف بمكان يقال لها المقذفان، فقال: قُتِل فيها مائتا نبي ومائتا سبط كلهم شهداء، مناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم ولا يلحقهم من بعدهم[2].

وروي بالاسناد عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين أنه قال: كأني بالقصور قد شُيّدت حول قبر الحسين، وكأني بالمحامل تخرج من الكوفة إلى قبر الحسين ولا تذهب الليالي والأيام حتى يُسار إليه من الآفاق، وذلك عند انقطاع ملك بني مروان[3].

وعن الحارث الأعور قال: قال عليٌّ: بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة، والله كأني أنظر إلى الوحوش مادّة أعناقها على قبره من أنواع الوحش، يبكونه ويرثونه ليلاً حتى الصباح، فإذا كان كذلك فإياكم والجفاء[4].

وروي أنه: مرّ عليه رجل عدوٌّ لله ولرسوله، فقال: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾.

ثم مرّ عليه الحسين بن علي فقال: لكن هذا لتبكينّ عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلاّ على يحيى بن زكريا والحسين بن عليّ صلوات عليهما[5].

---

(١) قرب الاسناد للحميري: ٢٦، وعنه في البحار٤٤: ٢٥٨، الخرائج والجرائح١: ١٨٣، ونحوه في أسد الغابة٤: ١٦٩، الصواعق المحرقة: ١١٥، ذخائر العقبى: ٩٧، ينابيع المودة ٣: ١٣ إلا أنّ فيه بدل(قوله طوبى..)فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ١٨٣، وعنه في البحار٤١: ٢٩٥.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢: ٨٢، وعنه في في البحار٤١: ٢٨٧.

(٤) كامل الزيارات: ٢٩١، وعنه في البحار٤٥: ٢٠٥.

(٥) تفسير القمي ٢: ٢٩١، وعنه في البحار٤٥: ٢٠١، والآية في سورة الدخان: ٢٩.

وعن أبي خيرة قال: صحبت عليًا عليه السلام حتى أتى الكوفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: كيف أنتم إذا نزل ذرية نبيكم بين ظهرانيكم؟ قالوا: إذن نُبلى في الله فيهم بلاءً حسناً، فقال: والذي نفسي بيده لينزلنّ بين ظهرانيكم ولتخرجنّ إليهم فلتقتلنّهم، ثم أقبل يقول:

هم أوردوه بالغرور وغرّروا أرادوا نجاة لا نجاة ولا عذراً[1]

الإنباء في طفل كان يلعب مع الحسين عليه السلام أنه من أنصاره

ورد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يوماً مع جماعة من أصحابه ماراً في بعض الطريق، وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق، فجلس النبي صلى الله عليه وآله عند صبي منهم وجعل يقبّل ما بين عينيه ويلاطفه، ثم أقعده على حجره وكان يكثر تقبيله، فسُئل عن علّة ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: «إني رأيت هذا الصبي يوماً يلعب مع الحسين ورأيته يرفع التراب من تحت قدميه، ويمسح به وجهه وعينيه، فأنا أحبّه لحبه لولدي الحسين، ولقد أخبرني جبرئيل أنه يكون من أنصاره في وقعة كربلاء»[2].

إخبار الله تعالى الأنبياء والأمم السالفة بشهادة الحسين عليه السلام

جاء في الدرّ الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ..﴾ أنه رأى ساق العرش وأسماء النبي والأئمة عليهم السلام فلقّنه جبرئيل، قل: يا حميد بحق محمد، يا عالي بحق عليٍّ، يا فاطر بحق فاطمة، يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان، فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يُقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلّة ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلا بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه،

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٩١، المعجم الكبير للطبراني ٣: ١١٠، مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٧٠.

(٢) البحار ٤٤: ٢٤١-٢٤٢، عن مؤلفات بعض الاصحاب.

وتشهر رؤسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى[١].

وفي رواية: إنّ آدم لما هبط إلى الأرض لم يرَ حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكربلاء فاغتمّ وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين، حتى سال الدم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث مني ذنب آخر فعاقبتني به؟ فإني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض.

فأوحى الله إليه يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه، فقال آدم: يا ربّ أيكون الحسين نبياً؟ قال: لا، ولكنه سبط النبي محمد، فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض، فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك[٢].

وروي أنّ نوحاً لما ركب في السفينة طافت به جميع الدنيا، فلما مرّت بكربلاء أخذته الأرض، وخاف نوح الغرق فدعا ربه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل وقال: يا نوح في هذا الموضع يقتل الحسين سبط محمد خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء فقال: ومن القاتل له يا جبرئيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرّات فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرّت عليه[٣].

وروي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الإستغفار وقال: إلهي أيّ شيء حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء، وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه.

---

(١) البحار٤٤: ٢٤٥ عن تفسير الدر الثمين، والآية في سورة البقرة: ٣٧.

(٢) البحار٤٤: ٢٤٢.

(٣) البحار٤٤: ٢٤٣.

قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه، فأوحى الله تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن.

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمّن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتى تؤمّن على دعائي؟ فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك عليّ، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي، وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى[1].

وروي عن الرضا عليه السلام قال: لمّا أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه، تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده، فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمد، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

قال: يا إبراهيم فإنّ طائفة تزعم أنها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله تعالى: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل - لو ذبحته - بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله تعالى ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

وروي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشط الفرات، فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل

---

(١) البحار٤٤: ٢٤٣.

(٢) عيون الأخبار الرضا١: ٢٠٩، وعنه في البحار٤٤: ٢٢٥، والآية في سورة الصافات: ١٠٧، وللمجلسي في مسألة فداء الحسين بيان ودفع شبهة، للطالب المراجعة إليه.

جبرئيل وقال: يا إسماعيل سل غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك؟ فقال لها: لِمَ لا تشربين من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسينع سبط محمد يقتل هنا عطشاناً فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله؟ فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين، فقال إسماعيل: اللهم العن قاتل الحسينع[1].

وروي عن الصادقع أنه قال: إنّ إسماعيل الذي قال اللهﷻ في كتابه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم،بل كان نبياً من الأنبياء بعثه اللهﷻ إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جل جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت، فقال: لي أُسوة بما يُصنع بالحسينع[2].

وروي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء الخرق نعله وانقطع شراكه، ودخل الحسك في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث مني؟ فأوحى إليه أنّ هنا يقتل الحسينع وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه، فقال: ربّ ومن يكون قاتل الحسين؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه[3].

وروي أنّ سليمان كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء فأدارت الريح ثلاث دورات حتى خاف السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء.

فقال سليمان للريح: لِمَ سكنتي؟ فقالت: إنّ هنا يُقتل الحسينع فقال: ومن يكون الحسين؟ فقالت:هو سبط محمد المختار، وابن عليٍّ الكرار، فقال: ومن قاتله؟ قالت: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه

---

(١) البحار٤٤: ٢٤٣.

(٢) علل الشرايع١: ٧٣، ومثله في كامل الزيارات: ٦٠، وفي ص٦٤ عنه ع: سمّاه إسماعيل بن حزقيل، والملك الذي أتاه هو سطاطائيل ملك العذاب، وعنه في البحار٤٤: ٢٣٧.

(٣) البحار٤٤: ٢٤٤.

ولعنه ودعا عليه وأمّن على دعائه الإنس والجن، فهبّت الريح وسار البساط[١].

وروي أنّ عيسى كان سائحاً في البراري ومعه الحواريون، فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق، فتقدّم عيسى إلى الأسد فقال له: لِمَ جلست في هذا الطريق؟ وقال: لا تدعنا نمرّ فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إني لم أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين عليه السلام، فقال عيسى عليه السلام: ومن يكون الحسين؟ قال: هو سبط محمد النبي الأمي وابن عليٍّ الولي قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع، خصوصاً أيام عاشورا، فرفع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن الحواريون على دعائه، فتنحّى الأسد عن طريقهم ومضوا لشأنهم[٢].

وقد سُئِل القائم عليه السلام عن تأويل ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فقال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب إطّلع الله عليها عبده زكريا، ثم قصّها على محمد عليه وآله السلام، وذلك أنّ زكريا سأل الله ربه أن يعلّمه أسماء الخمسة، فأهبط عليه جبرئيل عليه السلام فعلّمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن عليهم السلام سرّي عنه همّه، وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة، فقال عليه السلام ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة الطاهرة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره.

فلما سمع ذلك زكريا لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيهنّ الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه: إلهي أتُفجع خير جميع خلقك بولده؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟ إلهي أتُلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما.

ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرّ به عيني على الكبر، واجعله وارثاً

---

(١) البحار ٤٤: ٢٤٤.

(٢) البحار ٤٤: ٢٤٤.

وصياً، واجعل محله مني محل الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثم افجعني به كما تُفجع محمداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حمل يحيى ستة أشهر، وحمل الحسين كذلك[1].

وفي وجه شبه الحسين بيحيى قال الصادق: كان قاتل يحيى بن زكريا ولد زنا، وكان قاتل الحسين ولد زنا، ولم تبك السماء إلا عليهما[2].

وقال الباقر في قوله تعالى: ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ قال يحيى بن زكريا لم يكن له سميّ قبله، والحسين بن عليّ لم يكن له سميّ قبله، وبكت السماء عليهما أربعين صباحاً وكذلك بكت الشمس عليهما، وبكاؤها أن تطلع حمراء وتغيب حمراء، وقيل: أي بكى أهل السماء وهم الملائكة[3].

وروى زرارة عنه نحوه، وزاد: وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ الجبال تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين، وما اختضبت منا امرأة ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد لعنه الله، وما زلنا بعبرة بعد ذلك...[4].

وروى الحاكم عن ابن عباس، عن النبي قال: «قال لي جبرئيل: قال الله قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وإني أقتل بدم ابنك الحسين بن عليّ سبعين ألفاً وسبعين ألفاً»[5].

وفي حديث عن الإمام زين العابدين، عن أبيه الحسين بعد بيان ما جرى على يحيى قال: يا ولدي يا عليّ والله لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً[6].

---

(١) الاحتجاج٢: ٢٧٢، وعنه في البحار ١٤: ١٧٩، كمال الدين للصدوق: ٤٦١.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ٧٧، وعنه في البحار٤٤: ٣٠٢.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي: ٢٢٢، وعنه في البحار٤٥: ٢١٨.

(٤) كامل الزيارات: ٧٩، وعنه في البحار ٤٥: ٢٠٦.

(٥) المستدرك للحاكم٢: ٢٩٠ و٣: ١٧٨، مقتل الحسين للخوارزمي٢: ٩٥، كفاية الطالب: ٢٨٨، وغيرها.

(٦) المناقب لابن شهر آشوب، وعنه في البحار٤٥: ٢٩٩. ولهذا قال الصادق في قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾: ذلك قائم آل محمد يخرج فيقتل بدم الحسين

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ الحسين بن عليّ عليه السلام دخل يوماً على الحسن عليه السلام فلما نظر إليه بكى فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يؤتى إليّ سمّ يُدَسّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل يدّعون أنهم من أمة جدنا محمد ﷺ وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار[1].

وقد أقرّ معاوية بما ورد عن رسول الله ﷺ في ولده الحسين عليه السلام وفي لعن قاتله، في وصيته لابنه يزيد إذ قال: فقد حدثني ابن عباس، فقال حضرت رسول الله ﷺ عند وفاته وهو يجود بنفسه، وقد ضمّ الحسين على صدره وهو يقول: **«هذا من أطائب أرومتي وأبرار عترتي وخيار ذريتي، لا بارك الله فيمن لم يحفظه من بعدي»** قال ابن عباس: ثم أُغمي على رسول الله ساعة ثم أفاق، فقال: **«يا حسين إنّ لي ولقاتلك يوم القيامة بين يدي ربي خصومة، وقد طابت نفسي إذ جعلني الله خصماً لمن قاتلك يوم القيامة»**.

يا بنيّ فهذا حديث ابن عباس، وأنا أُحدّثك عن رسول الله ﷺ إنه قال: **«أتاني يوماً حبيبي جبرئيل فقال: يا محمد إنّ أُمتك تقتل ابنك حسيناً، وقاتله لعين هذه الأمة»** ولقد لعن النبي ﷺ قاتل الحسين مراراً...[2].

الحسين عليه السلام ينبئ عن مصرعه حين الخروج من المدينة

على أنّ الحسين عليه السلام قد أنبأ عن كل ما أصابه وأهل بيته قبل الخروج إلى العراق، وكان خروجه من المدينة على جراء محاولات جرت من جانب ممثلي

بن عليّ، فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً...ثم قال عليه السلام: يقتل والله ذراري قتلة الحسين بفعال آبائها.(كامل الزيارات: ٦٣، والآية في سورة الإسراء: ٣٣).

(١) أمالي الصدوق: ١٧٧، وعنه في البحار٤٥: ٢١٨، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٨.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي١: ١٧٣، ذخائر العقبى: ١٤٨، كفاية الطالب: ٢١٠، وغيرها.

الحكم الأموي في المدينة، في أخذ البيعة منه عليه السلام ليزيد وإلا فالقتل، وقد أبى الإمام عليه السلام البيعة لمثل يزيد شارب الخمر الفاسق، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان».

فلما كان من الليل خرج إلى قبر جدّه ﷺ فسلّم وشكى جدّه ما ورد عليه من الأمر وصلّى ركعات، فلما فرغ من صلاته جعل يقول: اللهم هذا قبر نبيك محمد وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت، اللهم إني أحب المعروف، وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى، ولرسولك رضى، ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأُغفي، فإذا هو برسول الله قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضمّ الحسين إلى صدره وقبّل بين عينيه، وقال: «حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحاً بأرض كرب وبلاء من عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تُسقى، وظمآن لا تُروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إنّ أباك وأمك و أخاك قدموا عليّ وهم مشتاقون إليك، وإنّ لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلا بالشهادة...».

فبكى الحسين عليه السلام وسأل جدّه أن يأخذه معه في قبره، لكنّه ﷺ قد اختار لولده حالاً أربى في نيل الجزاء وآثر عند الجليل يوم الخصام، فقال ﷺ: «لابدّ أن ترزق الشهادة ليكون لك ما كتب الله فيها من الثواب العظيم فإنك وأباك وعمك وعم أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة».

فقصّ الإمام عليه السلام رؤياه على أهل بيته وبني عبد المطلب، ولم يكن في ذلك اليوم أكثر باكياً وأشدّ غماً من أهل بيت رسول الله ﷺ، وتهيأ عليه السلام في الخروج من المدينة، وذهب إلى قبر أُمه وأخيه فودّعهما، والتقى بأخيه محمد بن الحنفية ليودّعه ويوصيه، فأظهر ابن الحنفية القلق عليه، وطلب منه أن ينصرف من الذهاب إلى العراق، وأن يذهب إلى مكة، فإذا ما أمكنه البقاء فيها فإلى اليمن، فشكره الإمام على نصيحته، وقال: لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما

بايعت يزيد بن معاوية، وإني عازم إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي وأمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأمّا أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً، ثم كتب وصيته وأودعها أخاه، وكان من كلامه فيها: إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وانما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق...[1].

ويروى: أنّ ابن الحنفية لما علم بخروج أخيه ليلاً، لحق به وأخذ بزمام ناقته، وقال: يا أخي ألم تعدني في النظر فيما سألتك؟ قال بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: أتاني رسول الله ﷺ بعد ما فارقتك فقال: «يا حسين أخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً» فقال محمد بن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حمل هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ قال: فقال لي ﷺ: «إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»[2].

ويروى أنه عليه السلام لما أراد العراق أتته أم سلمة فقالت: يا بُنيّ لا تحزنّي بخروجك إلى العراق، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها كربلاء» فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس من هذا بدٌّ، وإني لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وإني أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أريك حفرتي ومضجعي، ثم أشار إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره، وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً وسلّمت أمره إلى الله، فقال لها: يا أُمّاه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشرّدين، وأطفالي مذبوحين مظلومين، مأسورين

---

(١) اللهوف للسيد بن طاووس: ١٣، مثير الأحزان: ١٠، البحار٤٤: ٣٢٦-٣٣٠.

(٢) اللهوف: ٥٣، البحار٤٤: ٣٦٤، ونحوه في الأمالي للصدوق: ٢١٣ باختلاف يسير.

مقيّدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً[١].

وفي رواية زاد: وأخذ تربة فأعطاها من تلك التربة أيضاً في قارورة أخرى، وقال: فإذا فاضتا دماً فاعلمي أني قد قتلت، فقالت أم سلمة: فلما كان يوم عاشوراء نظرت إلى القارورتين بعد الظهر فإذا هما قد فاضتا دماً...[٢].

لقاء الملائكة والجن مع الحسين للنصرة

وروي مسنداً عن الصادق أنه قال: لما سار أبو عبد الله من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسوّمة في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة، فسلّموا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه إنّ الله سبحانه أمدّ جدك بنا في موطن كثيرة، وإنّ الله أمدّك بنا، فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني، فقالوا: يا حجة الله! مُرنا نسمع ونطع فهل تخشى من عدوٍ يلقاك فنكون معك؟ فقال: لا سبيل لهم عليّ ولا يلقوني بكريهة أو أصل بقعتي.

وأتته أفواج مسلمي الجنّ فقالوا: يا سيدنا، نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك وما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كل عدوٍ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم الحسين خيراً، وقال لهم: أوَما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ﴾، وإذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلي هذا الخلق المتعوس؟ وبما ذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله يوم دحا الأرض وجعلها معقلاً لشيعتنا، ويكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة، ولكن تحضرون يوم السبت وهو يوم عاشورا الذي في آخره أُقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي، ويسار برأسي إلى يزيد لعنه الله.

فقالت الجنّ: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه لو لا أنّ أمرك طاعة وأنّه

---

(١) ينابيع المودة ٣: ٦١، البحار٤٤: ٣٣١، وانظر الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ٣٣١.

(٢) الخرائج والجرائح ١: ٢٥٤، وعنه في البحار٤٤: ٣٣٢ و٤٥: ٨٩.

لايجوز لنا مخالفتك، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال صلوات الله عليه لهم: نحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾[1].

وفي رواية: إنّ الحسين عليه السلام لما أخبر عن هوى أهل الكوفة و أنّ قلوبهم معه وسيوفهم عليه، أومأ بيده نحو السماء ففُتحت أبواب السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلا الله تعالى، فقال عليه السلام: لو لا تقارب الأشياء وحبوط الأمر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم يقيناً أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي، ولا ينجو منهم إلا ولدي عليّ[2].

وكان خروجه عليه السلام نحو مكة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب، وهو يقرء: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان وهو يقرأ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3] فنزل دار العباس بن عبد المطلب واختلف الناس إليه.

تكاثر الكتب عليه عليه السلام في مكة

وفي مكة وافته كتب أهل الكوفة واحداً بعد واحد يسألونه القدوم عليهم، لأنهم بغير إمام، وتكاثرت عليه الكتب حتى بلغت اثني عشر ألف كتاب، وفي كل ذلك يشدّدون عليه الطلب وهو لا يجيبهم، وفي آخر كتاب كتبوه قالوا: أما بعد فقد اخضرّت الجنان وأينعت الثمار واعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فإذا شئت فأقبل على جندٍ لك مجنّدة والسلام... .

فكتب الإمام عليه السلام إليهم: علمت بمقالتكم، وهي أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم

---

(١) البحار ٤٤: ٣٣٠ عن المفيد رحمه الله، والآيات في سورة النساء: ٧٨، وآل عمران: ١٥٤.

(٢) اللهوف: ٥٣-٥٦، عن دلائل الإمامة للطبري: ٧٤، وهو عن الواقدي وزرارة بن صالح.

(٣) القصص: ٢١ -٢٢.

وقرأت في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب والآخذ بالقسط والدائن بالحق والحابس نفسه على ذلك لله، والسلام[1].

نبوءة الرسول ﷺ بشهادة مسلم بن عقيل عليه السلام

وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ بشهادة مسلم بن عقيل حينما قال عليٌّ عليه السلام لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنك لتحبّ عقيلاً؟ قال: «إي والله إني لأحبّه حبيّن حبّاً له وحبّاً لحبّ أبي طالب له، وإنّ ولده لمقتول في محبة ولدك فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلّي عليه الملائكة المقربّون» ثم بكى رسول الله حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: «إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي»[2].

فتحقق ما أنبأ به رسول الله ﷺ عند ما دخل مسلم الكوفة واجتمعت إليه أهل الكوفة فبايعوه على السمع والطاعة، وبلغ عددهم أربعين ألف رجل- على قول- وكان كلما قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام أخذوا بالبكاء شوقاً له، وكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يخبره باجتماع الناس حوله وطلب منه القدوم.

فيا ليت شعري ما حدث في القوم الذين بايعوه وتكاثروا عليه، وأين ذهبوا في تلك الليلة الأخيرة التي صلّى مسلم في المسجد ولم يبق من المبايعين إلا نفر قليل، وأين كان ذلك النفر حينما مشى مسلم في أزقة الكوفة مترّدداً لا يدري إلى أين يتوجه، فيرشدونه على الطريق، بيد أنه لم يجد من يأويه، غير امرأة يقال لها طوعة، فطلب منها شربة ماء، فسقته واستضافها فأضافته بعد ما عرّفها نفسه، وأحسنت ضيافته، لو لم يأت ولدها الميشوم ابن الأشعث الملعون فيفسد الأمر عليه، فما أصبح إلا ورأى الغدرة قد حاصرت البيت فبارزهم، وقتل منهم عدداً كثير، وما زال يصرع الرجل ويرمي بهم فوق البيت، فرأوا أن يكيدوه ويأسروه، فأعطوه الأمان، فسلّم بعد ما أثخنته الجراح وأعياه نزف الدم واشتدّ به العطش، فأخذوه أسيراً، وقد يئس من الحياة، وهو يقول: هذا أول الغدر، فأوصى أحد القوم أن يرسل إلى الحسين عليه السلام ويخبره الحال ويبلّغه عنه: أن ارجع فداك أبي وأمي بأهل بيتك ولا يغرّك أهل الكوفة فإنهم

---

(١) أنظر إعلام الورى١: ٤٣٦، روضة الواعظين: ١٧٣، البحار٤٤: ٣٣٤، تاريخ الطبري٦: ١٩.

(٢) أمالي الصدوق: ١٩١، وعنه في البحار٤٤: ٢٨٧.

أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفة قد كذّبوك، وقل: إنا لله وإنا إليه راجعون وبكى، فقيل له في ذلك، فقال: والله إني ما لنفسي بكيت، ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكنّي أبكي لأهلي المقبلين، إني أبكي للحسين وآل الحسين عليهم السلام.

فضربوا عنقه ورموا جثته من أعلى القصر إلى الأرض، وهو حين ذاك يسبح الله ويهلله ويقول: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وخذلونا وكذّبونا، وتوجه نحو المدينة وسلّم على الحسين عليه السلام، وأمر ابن زياد بسحب جثة مسلم وهاني بن عروة- وقد قتلوه بعد مسلم- بالحبال من أرجلهما في الأسواق وصلبهما بالكناسة منكوسين، وأنفذ الرأسين إلى يزيد، فنصبهما في درب من دمشق[1]، فسلام عليه وهنيئاً له هذه المرتبة العلية والدرجات الرفيعة.

الخروج من مكة والإنباء عن المصير

ولما علم يزيد بخروج الحسين عليه السلام إلى مكة واجتماع الناس حوله أنفذ عمر بن سعيد بن العاص في عسكر وأمّره على الحاج وولاّه أمر الموسم وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وُجد، ولو كان معلّقاً بأستار الكعبة!!

فما رأى الحسين مناصاً إلا أن يخرج من مكة قبل إتمام الحج وأن يقتصر على العمرة كراهية أن تستباح به حرمة البيت، فخرج منها بأهل بيته وجمع من شيعته وأصحابه ومن التحق به في مكة، وكان خروجه منها نفس اليوم الذي قتل فيه مسلم بن عقيل وهو التاسع من ذي الحجة، وقد خطب- قبل خروجه- فقال بعد الحمد والثناء والصلوة على رسول الله: خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّر لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأنّ مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبرٌ على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن

---

(١) أنظر الإرشاد ٢: ٦٠-٦٣، البحار٤٤: ٣٥٥، إعلام الورى ١: ١٤٤- ٤٤٥،مناقب ابن شهر آشوب٣: ٢٤٥، مقتل الحسين للخوارزمي١: ٢١٥، البداية والنهاية لابن كثير٨: ١٥٧.

نشذّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس تقرّ بهم عينه وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا بلالاً مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى[1].

وبهذا الخطاب أنبأ الحسينعليه السلام عن مصيره ومن تبعه من أهل بيته وشيعته.

وقد سأله جماعة التريُّث عن هذا السفر خوفاً من غدر الكوفيين وانقلاب الأمر عليه، لكنّ الإمامعليه السلام لم يسعه المصارحة بما عنده من العلم بمصيره لكل أحدٍ، لاختلاف الأوعية سعة وضيقاً، فأجاب كل واحد بما يسعه ظرفه، فقال لابن الزبير: إنّ أبي حدثني إنّ بمكة كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أحبّ أن أكون ذلك الكبش، ولئن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل فيها، وأيم الله لو كنت في ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود في السبت.

ولما خرج ابن الزبير من عنده قالعليه السلام لمن حضر عنده: إنّ هذا ليس شيء من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أنّ الناس لا يعدلونه بي، فودّ أني خرجت حتى يخلو له[2].

فسار الحسينعليه السلام بأصحابه وهو يجدّ السير حتى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهيرة، ثم انتبه من نومه باكياً فقال ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: يا بُنيّ إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها، وإنه عرض لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنة.

فلمّا نزل الرُهيمة، ورد عليه رجل من أهل الكوفة يُكنّى أبا هرم فقال: يا ابن النبي ما الذي أخرجك من المدينة؟ فقال: ويحك يا أبا هرم شتموا عرضي فصبرت، وطلبوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله ليقتلُنّي ثم ليلبسنّهم الله ذُلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطنّ عليهم من يُذِلّهم[3].

---

(١) اللهوف: ٣٨، البحار٤٤: ٣٦٦،كشف الغمة للأربلي٢: ٣٣٩، نزهة الناظر للحلواني: ٨٦.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٦٦، وانظر الكامل لابن الأثير٤: ١٦، البداية والنهاية ٨: ١٦٩.

(٣) أمالي الصدوق: ٢١٨، وعنه في البحار٤٤: ٣٦٤،وانظر مقتل الحسين للخوارزمي١: ٢٢٦.

وفي خلال مسيره عليه السلام أُخبر باستشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وبعض شيعته، فبكى وقال: رحم الله مسلماً، فلقد صار إلى روح الله وريحانه وتحيته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا.

وأمر فتيانه وغلمانه أن يكثروا من استقاء الماء فاستقوا ثم ارتحلوا، وقد تفرّق كثير من الذين انضموا إليه بهدف الوصول إلى الدنيا بعد ما أخبرهم بشهادة بعض أصحابه، وخيّرهم في الانصراف.

وفي أحد المنازل لقيه شيخ من بني عكرمة فسأله الانصراف عمّا هو عليه، وأخبره بما عليه الناس، فقال الحسين عليه السلام: يا عبد الله ليس يخفى عليّ الرأي ولكن الله تعالى لا يُغلب على أمره، ثم قال: والله لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يُذِلّهم حتى يكونوا أذلّ فرق الأمم[1].

وحين نزوله في عظبة البطن قال لأصحابه: ما أراني إلا مقتولاً، قالوا وماذاك؟ قال: رأيت في المنام كلاباً تنهشني وأشدّها عليّ كلب أبقع[2].

فما كان إذ طلع عليهم الحرّ الرياحي مع ألف فارس -ليمنع الحسين عن الرجوع إلى المدينة أو يقدم به الكوفة-، فلما رأى الامام عليه السلام ما بهم من عطش أمر أصحابه أن يسقوهم ويرشفوا الخيل، فسقوهم وخيولهم عن آخرهم، وقد تأخّر أحد أصحاب الحرّ و أضرّ به العطش، فسقاه الحسين عليه السلام بيده حتى ارتوى وسقى فرسه، فظهرت الحكمة في أمر الحسين عليه السلام غلمانه وولده في سقاء الماء كثيراً، فقد كان الامام عالماً بقرب مواجهة الأعداء وحاجتهم إلى الماء.

وهذا اللطف والحنان من أبي الضيم على هؤلاء القوم في تلك البيداء المقفرة التي تعزّ فيها الجرعة الواحدة، مع علمه بحراجة الموقف وأنه سينفد الماء غداً وتسيل النفوس، يذكّر الإنسان بموقف أبيه أمير المؤمنين عليه السلام حينما كشف جيش معاوية عن الماء ورفع الحصار فنهى أصحابه من المقابلة بالمثل، وهذا هو العنصر النبوي والكرم العلوي الذي لم يترك صاحبه إلا أن يجوز الفضل حتى مع أعدائه ومن سيقاتله ويمنعه من الماء.

---

(١) الإرشاد للمفيد٢: ٧٦، وعنه في البحار٤٤: ٣٧٥.

(٢) كامل الزيارات: ٧٥، وعنه في البحار٤٥: ٨٧، ونحوه في مثير الأحزان: ٤٨.

ولكن لهفي عليه وعلى أهل بيته وأطفاله عند ما مُنعوا من الماء المعين الذي شربت منه وحوش الأرض وطير السماء، ولم يعرفوا له حرمة، ولا من رسول الله ﷺ رحماً.

وكان من أمر الحرّ أن منع الحسين عليه السلام من المسير، فنتره الإمام وقال: ثكلتك أمك ما تريد منا؟ بيد أنّ الحرّ قابله بالتواضع والأدب لمكان أمّه فاطمة سيدة نساء العالمين، فصار هذا الأدب منه سبباً لحسن عاقبته وسعادته، فتنحّى الحرّ عنه، فكان الحسين يسير بأصحابه في ناحية والحرّ ومن معه في ناحية، واتخذ الإمام طريقاً لا يردّه إلى المدينة ولا يدخله الكوفة، فانتهى به الطريق إلى كربلاء، هناك جاء رسول عبيد الله إلى الحرّ بمنع الحسين عليه السلام من المسير، وقد عيّنه عيناً عليه كي لا يتخلّف عن أمره ولا يماشي الحسين.

الورود في كربلاء والإنباء عن نزول البلية

فبينما هو كذلك إذ وقف جواد الحسين عن المسير، فسأل الحسين عن اسم الأرض[1]، فأُخبر بأسمائها، فلما قيل كربلاء دمعت عيناه، وقال: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء، وقال: هاهنا محطّ ركابنا وسفك دمائنا ومحل قبورنا، بهذا حدّثني جدّي رسول الله ﷺ، وكان نزوله فيها في الثاني من المحرّم سنة إحدى وستين، فجمع ولده وإخوته وأهل بيته ونظر إليهم وبكى وقال: اللهم إنّا عترة نبيك محمد قد أُخرجنا وطُردنا وأُزعجنا عن حرم جدنا وتعدّت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على القوم الظالمين، وأقبل على أصحابه، فقال: الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا مُحضّوا بالبلاء قلّ الديانون، أمّا بعد فقد نزل بنا من الأمر ما ترون، وإنّ الدنيا قد تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألاترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا

---

(١) ولا يخفى على القارئ اللبيب إنّ سؤال الإمام عليه السلام عن اسمها كان لأجل أن يُعرّف أصحابه على الأرض التي هي محل تضحيتهم وميعادهم، وقد أخبر النبي ﷺ عنها، وأراها الحسين عليه السلام لأم سلمة، وبذلك تطمئنّ قلوبهم وتثبت عزائمهم.

يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً، وهذه نبوءة أخرى منه عليه السلام عن مصرعه وقرب شهادته[1].

وقد اقترح البعض على الإمام عليه السلام بقتل القوم قبل أن تلتحق بهم جيوش الكوفة، فقال عليه السلام: ما كنت لأبدءهم بالقتال.

هناك دخلت جيوش الكوفة كربلاء يقودهم عمر بن سعد، وقد أمره عبيد الله بقتل الحسين عليه السلام بعد ما أغراه بولاية الريّ،بيد أنه اعتذر أولاً من قبول هذا الأمر، لمكان علمه بما ورد من النبوءات فيه، وقد نصحه البعض في عدم ارتكاب هذه الجناية وقد سبق ذكره في النبوءة بسعد، فبات متفكراً في أمره وسُمع يقول: أأترك ملك الريّ والريّ رغبتي... .

إنباء الحسين عليه السلام عن مصير عمر بن سعد

فاستولى عليه الشيطان، وغلبت عليه شقوته وصار سبباً لوقوع أعظم مصيبة حدثت في السماوات والأرض، وقد خسر الدنيا والآخرة، وكان قد نصحه الحسين عليه السلام في الطف، وأنبأه بعدم الوصول إلى أمنيته، مضافاً لما أنبأه قبل الطف بمدة، وذلك لما أتاه عمر بن سعد وقال: يا أبا عبد الله إنّ قِبَلنا ناساً سفهاء يزعمون أني أقتلك، فقال له عليه السلام: إنهم ليسوا سفهاء، ولكنهم حلماء، أما إنه يقرّ عيني أن لا تأكل بُرّ العراق بعدي إلا قليلاً[2]، وهكذا كان.

وقال له في الطف عند ما دعاه ليتم الحجة عليه: يا عمر أنت تقتلني وتزعم أن يولّيك الدعي ابن الدعي بلاد الريّ وجرجان، والله لا تهنأ بذلك أبداً، عهداً معهود، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة يترامه الصبيان ويتخذونه غرضاً بينهم، فغضب عمر بن سعد من كلامه، ثم صرف وجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنظرون به احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة[3].

---

(١) أنظر اللهوف: ٦٩، البحار٤٤: ٣٨١.

(٢) كشف الغمة٢: ١٧٨، البحار٤٤: ٢٦٣،تاريخ دمشق ٤٥: ٤٨، تهذيب التهذيب ٧: ٣٩٦،٣٨٩.

(٣) منتخب تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٣٣، البحار ٤٥: ١٠.

وما زالت العساكر تزداد يوماً فيوم، وتنزل كربلاء لقتال الحسين عليه السلام، وفي اليوم السابع من محرم ورد كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد يؤكّد عليه في الحيلولة بين الحسين وأصحابه وبين ماء الفرات فلا يذوقوا منه قطرة، فحالوا بين الماء، حتى أضرّ العطش بالحسين وأهل بيته وأصحابه، وهو بالقرب من الفرات، وقد مُنعوا قبل ذلك أيضاً، إلا أنهم قد استقوا من الماء على رغم الحصار، وفي الحصار الأخير لم يسقوا من الماء أبداً حتى لاقوا ربهم وهم عطاشا، كما أشارت إليه النبوءات سابقاً.

ليلة عاشوراء والإنباء عن قرب الموعد

وفي ليلة عاشوراء زحف الأعداء على خيام الحسين عليه السلام فأرسل إليهم أخاه العباس عليه السلام، وطلب منهم تأخير الصراع إلى الغد، ليكثر من الصلاة والدعاء في تلك الليلة، فجمع أصحابه وألقى الحجة عليهم وأنبأهم عن مصيرهم، فقال:... أمّا بعد فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً، وقد أخبرني جدي رسول الله ﷺ بأني سأساق إلى العراق فأنزل أرضاً يقال لها عمورا وكربلاء، وفيها أستشهد وقد قرب الموعد ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعاً خيراً، وتفرّقوا في سوادكم ومدائنكم، فإنّ القوم إنما يطلبوني ولو أصابوني لَهَوا عن طلب غيري[1]، فقام إخوته وأهل بيته والشاخصون من أصحابه، فأفصحوا له عن صدق نياتهم والثبات والإخلاص في المفاداة دونه، وانسحب عنه بعض من تبعه من ذوي الأهداف والمصالح وبقي المخلصون منهم، ولمّا عرف الإمام عليه السلام منهم ذلك كشف

---

(١) أنظر تاريخ الطبري ٦: ٢٣٨و٢٣٩،تاريخ الكامل٤: ٢٤، الخرائج والجرائح٢: ٨٤٨،وفيه بعد الإخبار عن نبوءة النبي باستشهاده زاد قوله ﷺ: «ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد» وتلا: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم» ثم قال: فأبشروا فوالله لئن قتلونا فإنا نردّ على نبينا وساق الحديث في الرجعة... وعنه في البحار٤٤: ١٩٨، والآية في سورة الانبياء: ٦٩.

لهم عن بعض الأسرار وأوقفهم على غامض القضاء فقال: إني غداً أُقتل وكلكم تقتلون معي ولايبقى منكم أحد حتى القاسم وعبد الله الرضيع، إلا ولدي عليّ زين العابدين، لأنّ الله لم يقطع نسلي منه وهو أبو أئمة ثمانية.

فقالوا بأجمعهم: الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرّفنا بالقتل معك.

أوَلا ترضى أن نكون معك في درجتك يا ابن رسول الله، فدعا لهم بالخير، وكشف عن أبصارهم، فرأوا ما حباهم الله من النعيم وعرّفهم منازلهم في الجنة[1]، وليس ذلك في قدرة الله بعزيز ولا في تصرفات الإمام بغريب،فإنّ سحرة فرعون لمّا آمنوا بموسىعليه السلام وأراد فرعون قتلهم أراهم موسى منازلهم في الجنة.

الإنباء عن الرجعة والإنتقام من الظالمين

وفي حديث عن الباقرعليه السلام إنه قال لأصحابه: أبشروا بالجنة فوَالله إنا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثم يخرجنا الله وإياكم حتى يظهر قائمنا فينتقم من الظالمين، وأنا وأنتم نشاهدهم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب، فقيل له: من قائمكم يا ابن رسول الله؟ قال: السابع من ولد ابني محمد بن عليّ الباقر وهو الحجة بن الحسن بن عليّ بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابني وهو الذي يغيب مدّة طويلة، ثم يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[2].

فبات الحسين وأهل بيته وأصحابه تلك الليلة، وكانت أقسى ليلة مرّت على أهل بيت الرسالة، إذ حفّت بالمكاره والمحن وآذنت بالخطر المقبل، فما كان حال أبي الضيمعليه السلام ورجال المجد من الأصحاب وبني هاشم حينما سمعوا ولولة النساء وصراخ الأطفال من العطش المبرح، وهل أبقت لهم مهجة ينهضون بها وهم يقسون تلك الكوارث، على أنّ الحسين يعلم بما سيجري على أهل بيته من المصائب والمحن بعده، لكنك تراه وإياهم على أبهج حال وأثبت جأش، فرحين متباشرين بما ذُخر لهم من النعيم، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، وقد

---

(١) أنظر الخرائج والجرائح٢: ٨٤٧

(٢) الخرائج والجرائح٣: ١٣٨،أخبار الزمان للمسعودي: ٢٤٧،البحار٤٥: ٨٩،نفس المهموم: ١٢٢.

اشتغلوا بعبادة ربهم فكان لهم دويٌّ كدوي النحل.

ويروى عن الإمام زين العابدين أنه قال: سمعت أبي في الليلة التي قُتل في صبيحتها يقول وهو يصلح سيفه: يا دهر أفٍّ لك من خليلي... .

قال: فأعادها مرتين أو ثلاث مرات،حتى فهمتها فعرفت ما أراد فخنقتني عبرتي فرددت دمعتي ولزمت السكون وعلمت أنّ البلاء قد نزل، وأمّا عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي وعليٌّ أبي وحسن أخي، يا خليفة الماضين وثمال الباقي... فعزّاها الحسين وصبّرها وكذا سائر الحرائر.

وقد خفق الحسين في تلك الليلة خفقة ثم استيقظ فقال: أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة؟ فقالوا ما رأيت يابن رسول الله؟ فقال: رأيت كأن كلاباً قد شدّت عليّ لتنهشني، فيها كلب أبقع رأيته أشدّها عليّ، وأظنّ أنّ الذي يتولّى قتلي رجل أبرص من بين هؤلاء القوم، ثم إني رأيت بعد ذلك جدي رسول الله ﷺ ومعه جماعة من أصحابه وهو يقول لي: **«يا بُنيّ أنت شهيد آل محمد، وقد استبشر بك أهل السموات وأهل الصفيح وليكن إفطارك عندي الليلة، عجّل ولا تؤخّر، فهذا ملك قد نزل من السمك ليأخذ دمك في قارورة خضراء»** فهذا ما رأيت وقد أزف الأمر واقترب الرحيل من هذه الدنيا لا شك في ذلك[1].

صبيحة عاشوراء والإنذار والإنباء عن مصير القوم

وفي صبيحة عاشورا قام الحسين خطيباً بأصحابه:ثم قال: إنّ الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال،ثم صفّهم ونظّمهم للحرب، وهكذا فعل عمر بن سعد، ولما رأى الحسين إلى جمع العدو كأنه السيل رفع يديه بالدعاء واستعان بالله عليهم، وأخذ بنصيحة القوم وإنذارهم وذكّرهم برسائلهم التي راسلوه بها، وبمكانه من رسول الله ﷺ وفاطمة الزهراء، فما زادهم إلا طغياناً وعناداً، لكنه لم ينصرف عن النصيحة

(١) البحار ٤٥: ٣ عن المناقب،وانظر مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٥١.

والإعذار،كي ينجو من نجى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ولا يبقى عذر لأحد منهم، فتكررت منه الموعظة، واستمرّ منهم العمى والعناد، وهكذا استلذن أصحابه في نصيحة القوم فنصحوهم وما زادهم إلا عمى[١].

ولما يئس الإمام عليه السلام من القوم أنّبهم على غدرهم ودعا عليهم وقال: اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلّط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبّرة،فإنهم كذّبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير، والله لا يدَع أحداً منهم إلا انتقم لي منه قتلة بقتلة وضربة بضربة، وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي وأشياعي.

ثم قال: ألا وإنّ الدعيّ بن الدعيّ قد ركّز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة...وقال: أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله ﷺ، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن عليكم غمة ثم اقضوا لي ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم[٢].

وبدأ القتل صبيحة عاشورا بين الفئة القليلة من أصحاب الحسين عليه السلام، وأهل الغدر والنفاق الذين دعوا ابن بنت نبيهم لينصروه، فصاروا عليه، فقتل جمع كثير من أهل الكفر وعدد من أصحاب الحسين عليه السلام، ولما نظر الامام إلى قتلى أصحابه قال: إشتدّ غضب الله على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتدّ غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه واشتدّ غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم، أما والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله وأنا مخضّب بدمي، ثم صاح: أما من

---

(١) بيد أنها أثّرت على الحرّ بن يزيد الرياحي، فنالته السعادة والفوز بالجنة بعد ما كاد أن يصيبه الشقاء والخسران، فالتحق بمعسكر الحسين عليه السلام تائباً نادماً على ما كان منه، فأخبر الإمام عن قول الهاتف عند خروجه من الكوفة: أبشر يا حرّ بالجنة، قال: فقلت ويل للحر يُبشّر بالجنة وهو يسير إلى حرب ابن بنت رسول الله، فقال عليه السلام: لقد أصبت خيراً وأجراً. وكان أول شهيد من أصحاب الحسين عليه السلام.

(٢) منتخب تاريخ دمشق٤: ٣٣٣، مقتل الحسين للخوارزمي٢: ٧، اللهوف لابن طاووس: ٥٤.

مغيث يغيثنا، أما من ذاب يذبّ عن حرم رسول الله، ولمّا زالت الشمس قام الحسين إلى الصلاة، وصلّى بمن بقي من أصحابه صلاة الخوف، وتقدم بعضهم أمام الحسين يحمونه بمهجتهم من نبل القوم، فأُثخن أحدهم بالجراح من كثرة النبل والتفت إلى الحسين عند ما سقط على الأرض فقال: أوفيت يا ابن رسول الله؟ قال: نعم أنت أمامي في الجنة، فقضى نحبه، وبعد الفراغ من الصلاة بادر الأصحاب في قتل القوم قتالاً شديداً ودافعوا عن آل بيت الرسول حتى استشهدوا جميعاً ورأوا ما كانوا يوعدون، وكان من أكبرهم سناً وأفقههم واشدّهم جأشاً حبيب بن مظاهر الأسدي، وقد تحقق ما تقدم في شأنه من نبوءة في حواره له مع ميثم التمار بعد ما أخبره عما سيرد عليه، فقال ميثم: إني لأعرف رجلاً أحمراً له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه ويُقتل ويجال برأسه بالكوفة، فقال رشيد الهجري: ويزداد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم[1]، فهنيئاً له ولهم ذلك النعيم وتلك الدرجات، وياليتنا كنا معهم فنفوز فوزاً عظيماً.

فلم يبق للحسين إلا أهل بيته، وأول من تقدم إلى البراز منهم ولده وفلذة كبده عليٌّ الأكبر فقتل عدداً كثيراً من الأشقياء حتى سقط على الصعيد وهو يقول أبتاه عليك مني السلام هذا جدي رسول الله قد سقاني بكاسه الأوفى لا أظمأ بعدها أبداً،وهو يقول: «إنّ لك كأسا مذخورة» فأسرع الحسين إليه وانكبّ عليه ووضع خده على خده وقال:بنيّ على الدنيا بعدك العفى...ثم خرج سائر فتيان بني هاشم، وفدوا أنفسهم لمهجة قلب المصطفى بعد ما قتلوا كثيراً من الأعداء، وكان من أهم المصائب على الحسين هو استشهاد أخيه وصاحب لوائه أبي الفضل العباس بحيث بان الانكسار في وجه الحسين، وأخذ الخوف يدبّ على حرائر بيت الوحي وأطفال الحسين، وكثرت شماتة الأعداء، وأخذوا يزحفون على الخيام، فاستعدّ الإمام لقتال الكفار، إلا أنه لما سمع صراخ الأطفال ونظر إلى طفله الرضيع يتلظّى عطشاً وكاد يموت من العطش، أخذه ليتم الحجة على القوم، فطلب منهم أن يسقوه الماء، فسقوه بسهم مسموم فذبحه من الأذن إلى الأذن، فرمى بدمه إلى السماء.

---

(١) مقتل أبي مخنف: ١٤٣، معرفة أخبار الرجال: ٧٣-٧٤ البحار٤٥: ٩٢.

هنالك ودّع الحسين أهل بيته، وخرج لقتال الأعداء وأكثر فيهم القتل،بنحو قال الراوي: ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جاشاً منه ولا أمض جناناً ولا أجرا مقدماً، ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شدّ فيها ولم يثبت له أحد، فصاح ابن سعد: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، احملوا عليه من كل جانب.

فتكاثروا عليه ورموه بالنبل والأحجار والسيوف من كل جانب، وهو يدافع ولم يكترث، حتى حالوا بينه وبين رحله، فصاح الحسين:يا شيعته آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرباً كما تزعمون، أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً، فقصدوه حتى أثخن بالجراح، لكنه ما زال يقتل منهم، فسمع منادياً يقول: يا حسين، أبشر العهد، وإذا به قد سلّم نفسه للموت وغلب عليه الضعف وأثر به الجراح وشدة العطش، فسقط على الأرض طريحاً وتكالبت عليه الأعداء من كل الجهات، وهو في ذلك الحال يناجي ربّه، ويقول: صبراً على قضائك... .

فأقبل جواد الحسين عليه السلام يلطّخ ناصيته بدمه ويدور حوله حتى قتل جمعاً من الأعداء، فلما أمن الطلب أقبل نحو الحسين يمرّغ ناصيته بدمه ويشمه ويصهل صهيلاً عالياً: الظليمة الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيها، وقد توجه نحو الخيام مسرعاً، فلهفي على أهل بيت الحسين لما نظرن إلى الجواد وهو بذلك الحال، فخرجن من الخدور ناشرات الشعور على الوجوه لاطمات وبالعويل داعيات وبعد العز مذللات، وبادرت العقيلة زينب إلى مصرع أخيها الحسين، فرأته يجود بنفسه وقد بدر إليه الشمر وهو في آخر رمق يلوك لسانه من العطش ويطلب الماء، فرفسه برجله وجلس على صدره وقبض على شيبته.

ولما جلس الشمر على صدره أحسّ الحسين بالثقل ففتح عينه، وقال له: اكشف عن صدرك، فلما كشف عن صدره، قال: صدق رسول الله ﷺ حيث قال: «إنّ قاتلك له ثديتان مثل ثديتي الكلب» فغضب الشمر وألقاه على القفا، وضربه بالسيف حتى احتزّ رأسه الشريف، وصدّق ما رآه الحسين في منامه إذ

قال: رأيت كلاباً تنهشني وأشدّهم عليّ كلب أبقع، لأنّ الشمر كان أبقع.

وفي رواية: إنه لما نظر إلى الشمر وكان أبرص قال: الله أكبر صدق الله ورسوله، قال رسول الله: «**كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دم أهل بيتي**».

ثم تسارع القوم على رضّ بدنه الشريف وسلبه ونهب خيام آل الرسول وقرّة عين البتول حتى نزعوا ملحفة المرأة عن ظهرها، وخرجن بنات الرسول وحرمه باكيات، يندبن فقد الحماة حاسرات مسلّبات حافيات، وما بقي لهنّ محرماً ومدافعاً إلا عليّ بن الحسين، وكان مريضاً محموماً وقد حفظه الله بذلك من شرّ الأعداء كي لا تخلو الأرض من حجة يستضاء به ويهتدى، وبقيت تلك الجثث الزاكية على الصعيد مرملة بالدماء[1]، وكما أُنبأ عنه قد زلزلت الأرض واغبرّت السماء وتغيّر الكون، وما زالت الدنيا مظلمة إلى أيام حتى ظنّ الناس أنّ القيامة قامت، وبدت الكواكب نصف النهار، وأخذ بعضها يضرب بعضاً ولم يُرَ نور الشمس، وكادت السماء أن تقع على الأرض، وبكى من في الأرض والسماء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار والطير في السماء، وسمع منادياً ينادي في السماء: أيتها الأمة الظالمة القاتلة عترة نبيها لاوفّقكم الله لصوم ولا فطر، وفي حديث: لفطر ولا أضحى[2].

وسُرّح برؤوس الشهداء فطافوا بها سكك الكوفة وأطراف البلاد وحُمل نساء الحسين على أحلاس أقتاب بغير وطاء، مكشّفات الوجوه بين الأعداء وهنّ ودائع خير الأنبياء، وساقوهنّ كما يساق سبي الترك والروم في أسر المصاب والهموم.

ومن ثم تحقق ما سبق من النبوءات في استشهاد سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه وعطشه وعطش أطفاله وأسر أهل بيته، ورفع رأسه على القنا وإرساله إلى بغي بن البغاة، وما حدث في الكون بعد استشهاده، وهنا نختم ما ورد من تطبيق تلك النبوءات في تاريخ الحسين عليه السلام، وهي خلاصة ما ورد في

---

(١) عزيزي القاري قد استخرجت ملخّص ما ورد في وقعة الطفّ من كتب التاريخ و المقاتل المعتبرة، مثل مقتل الحسين للخوارزمي ج٢، اللهوف لابن طاووس: ٦١،تاريخ الطبري ٤: ٢٨٦، مثير الأحزان لابن نما: ٢٧، الكامل لابن الأثير٤: ٢٤، البحار٤٥: ٢-١٠٧ومصادره.

(٢) علل الشرائع للصدوق: ٣٨٩ب ١٢٥، وعنه في البحار ٤٥: ٢١٨.

استشهاده عليه السلام وما قع عليه وأهل بيته من المصائب والأحزان، وإن شئت الاطلاع على ما نال أهل بيته بعده من المأساة والكوارث فلاحظ كتب التاريخ والمقاتل، ولاحظ انطباق وصدق ما ورد من النبوءات فيها.

خلفيات شهادة الحسين عليه السلام

ولاحظ كيف تمكّن الإمام الشهيد بسبب تضحيته وتحمل الاضطهاد، من اجتثاث جذور الشجرة الملعونة واضمحلالها وانهيارها ساعة بعد ساعة، بعد ما كادت تصل إلى قُلل الطغيان والفرعنة، وبعد ما أخذت وسائل الإعلام للدولة الأموية في تكريس جهودها وطاقاتها الهائلة بجعل الأحاديث ونشر الأكاذيب لإقناع المسلمين بأنّ الخليفة رجل مقدّس ووليّ الأمر، لأنه خليفة رسول الله ﷺ، ولأنه صفوة المسلمين، وإنه فعّال لما يشاء كيف يشاء، عصا الله أم أطاعه، عمل بالعدل أو مارس الظلم والجور، هو حرّ يعصي الله لحكمه ويعطّل حدود الله لحكمه ويقتل النفس التي حرّم الله بحكمه ويشرب الخمر لحكمه، ويغيّر أوقات الصلاة لحكمه و....فعلى المسلمين إطاعته واجتناب مخالفته، فمن خالفه فهو كافر مهدور دمه وتسبى حرمه، وهكذا شأن كل خليفة يأتي بعده وإن كان بالقهر والغلبة، وبلغ الأمر بأن أصبح الخليفة أعظم من الرسول وأمره مقدّم على أمر الرسول، وعلى جراء ذلك عُطّلت الأحكام والسنن وظهرت البدع وغُلب الحق وظهر الباطل وكاد الدين أن يندرس.

لكن لما استشهد الإمام عليه السلام وسفك دمه ودم أهل بيته وأصحابه وجرى عليه وعلى أهل بيته من الظلم والعدوان ما لم يجر على غير مسلم فضلاً عن ابن بنت رسول الله ﷺ، ولو لم يفعل قادة التاريخ من المخازي غير ذلك لكفاهم خجلاً ومبرّراً لتبقى رؤوسهم منكّسة دائماً.

أخذ الاعتراض يدبّ في قلوب الناس ويجري على أفواههم، وقد اعترض على يزيد وعمّاله المسلم والكافر، وحتى المؤيّدين لحكومته، فاستشهد عدد من المعترضين، وانتشر خبر هذه الكارثة العظيمة في جميع الأقطار، وتناهت أنباء مذبحة كربلاء ووقائعها الدامية إلى الأسماع، بما صدم ضمير الأمة وهزّ كيانها

فاستفاقت من رقدتها، ونهضت لتجالد عدوّها الخليفة السفاك ونظامه وبطانته الفاسدة، وبدت الإنتفاضات في أطراف البلاد، واستمرّت إلى أن أدّت إلى اضمحلال الحكم الأموي وزواله على مرّ الزمان.

فمنها: وقعة الحرّة

فقد ثار أهل المدينة في أُخريات ذي الحجة من سنة ثلاث وستين بقيادة عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وخلعوا يزيد عن الخلافة وحاصروا من كان من بني أمية في المدينة، وكان وقوع هذه الثورة كأثر مباشر لاستشهاد الحسين عليه السلام، وفي نفس الوقت بايع أهل مكة وكثير من أهل الحجاز عبد الله بن الزبير في مكة، وكان قد تحصّن فيها بعد ما امتنع لبيعة يزيد، فأرسل يزيد إلى أهل المدينة مسلم بن عقبة بآلاف مقاتل من أهل الشام، وأمره بالفتك بهم فقال: ادع القوم ثلاثاً، فإن هم أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما فيها من مال أو رقٍّ أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس، وانظر عليّ بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً.

وبذلك عمل بوصية أبيه معاوية، حيث أوصاه: إذا ثار أهل المدينة فأرسل إليهم مسلم بن عقبة، وأوصاه بإبادة أصحاب رسول الله ﷺ واحداً بعد واحد، فحقّق مسلم بن عقبة ذلك بعد قتل عنيف وقع في الحرّة، إذ هتك حرمة مدينة الرسول ﷺ، وقتل كثيراً من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار وقتل الأطفال وسبى النساء، واستباح المدينة ثلاثة أيام، وفي خلالها فعلوا ما فعلوا من الإجرام وقتل الأبرياء، وقد بلغ عدد القتلى نحواً من عشرة آلاف إنسان سوى النساء والصبيان، وافتُضّ فيها نحواً من ألف بكر، وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، وسُمّي أولادهن أولاد الحرّة، وأُخذت البيعة من باقي الناس على أنهم عبيد ليزيد ومن أبى قتل، وربطوا الخيل بسواري المسجد الشريف، وجالت الخيل فيه وراثت بين القبر الشريف والمنبر، وتعطّل المسجد ثلاثة أيام لم يُصَلَّ فيه.

ثم توجهوا إلى مكة لمقابلة عبد الله بن الزبير، فاستباحوا حرمة البيت وسفكوا فيها الدماء ورُميت الكعبة بالمنجنيق وحُرِقت أستارها، وبذلك تحقق

ما أنبأبه النبي ﷺ إذ قال «إنّ بمكة كبشاً به تستحلّ حرمتها».

وهناك جاء الناس خبر هلاك يزيد[1].

وتحقّق أيضاً ما أنبأ رسول الله ﷺ من استباحة حرمة المدينة وقتل أهلها وانتهاك حرمة البيت ما تقدّم ذكره في قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليكوننّ بالمدينة ملحمة يقال لها: الحالقة...»وقوله ﷺ: «يُقتل في هذه الحرّة خيار أُمتي بعد أصحابي» وقوله ﷺ: «لتتركنّ المدينة على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلب أو الذئب فيقذي على سواري المسجد والمنبر» وغيره[2].

ومنها: حكومة الصبيان أو(بني مروان)

وتتابعت الأحداث والفتن بعد يزيد وتمزّق ملك بني أمية وغلب الذل والهوان عليهم وقويت شوكة عبد الله بن الزبير في الحجاز وغلب على العراق بعد ما قتل المختار، وكاد الملك أن ينتظم له في سائر الأقطار وحتّى الشام، وذلك بعد ما خلع معاوية بن يزيد نفسه من الملك، وقد عاب جدّه وأبيه على ما قدّماه من العداء لأهل البيت وغصب حقوقهم وإراقة دمائهم و... ونطق في فضل علي وأهل بيته، فبايع كثير من أهل الشام لابن الزبير، وكاد أن يبايعه مروان، فمنعه بنو أمية وبايعوه بالخلافة وخرج بمن أطاعه وقاتل عامل ابن الزبير وغلب عليه، فتسلّط على الشام وبعد ذلك على مصر، ثم عهد إلى ابنه عبد الملك، فقام مقامه وكمّل له الإستيلاء على الشام ومصر والمغرب، وبعد ذلك جهّز الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير، فحاصره وقتله، وذلك في سنة ثلاث وسبعين فاجتمع الملك لبني مروان اللعين بن اللعين على لسان رسول الله ﷺ، وأخذوا يتداولوه كتداول الصبيان للكرة، ولعبوا بالملك وسفكوا دماء المؤمنين وهتكوا الأعراض وشرّدوا أبناء رسول الله وشيعة عليٍّ من أوطانهم، واتخذوا مال الله دولاً وكتابه دغلاً وعباده خولاً، وتحقّق ما أنبأ به رسول الله ﷺ عن ملكهم وخبثهم وظلمهم، وما كان رآه في المنام من نزو القردة على منبره، وما زال كئيباً إلى أن

---

(١) تاريخ الطبري٥: ٤٨٢سنة ٦٣، تاريخ أبي مخنف٢: ٥، الإشاعة في أشراط الساعة: ٧٢.

(٢) أشراط الساعة: ٧٠-٧٢، الروض الأنف ٥: ١٨٥.

التحق بالرفيق الأعلى، وقد تقدّمت الأحاديث في هذا الصعيد منا مفصّلاً.

شرح ما جرى على أهل البيت وشيعتهم بعد النبي صلى الله عليه وآله

فترى الإمام الباقر عليه السلام -الذي شهد وقعة الطفّ وما جرى فيها من المأساة، وسائر المجازر والكوارث التي وقعت بعد استشهاد جدّه الحسين عليه السلام فتحمّل غضاضتها، قدبيّن -بكلّ كآبة- تلك الأحداث لأحد أصحابه، فقال: يا فلان، ما لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي شيعتنا ومحبّونا من الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وقد أخبرنا أنا أولى الناس بالناس، فتمالئت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر عن معدنه، واحتجّت على الأنصار بحقنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد، حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبويع الحسن ابنه، وعُوهِد ثم غُدر به وأُسلم، ووُثِب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده، فوادع معاوية، وحُقِن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً، ثم غدروا به، وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم، وقتلوه،ثم لم نزل -أهل البيت- نُستذلّ ونستضام ونُقصى ونُحرم ونُقتل ونخاف ولانأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كلّ بلدة، فحدّثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغّضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتلت شيعتنا بكل بلدة، وقُطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكل من يُذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سُجن، أو نُهبت ماله أو هُدمت داره،ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكلّ ظنّة وتهمة، حتى أنّ الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يُقال شيعة عليٍّ...[1].

---

(١) شرح النهج ١١: ٤٣ -٤٤، وعنه في البحار ٤٤: ٦٨، كتاب سليم بن قيس: ١٨٦.

فلاحظ نبذة مما جرى على أيدي أولئك الظلمة الفسقه مما كان أنباً بوقوعها الرسول المصطفى ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، مثل مقتل حجر بن عدي وميثم التمار، ورشيد الهجري وقنبر وسعيد بن جبير وكميل وعمرو بن الحمق، وقس عليها سائر جناياتهم.

ومنها: مقتل زيد بن علي عليه السلام

فإنّ من الأحداث التي جرت على أيدي بني أمية وقد أدّت إلى زوالهم هي: استشهاد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام، الذي أخبر النبي ﷺ عن ذلك وهو حيّ، فقال: «**يخرج رجل من صلبك يقال له: زيد يتخطّى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجّلين، يدخلون الجنة بغير حساب**»[1].

وفي رواية عنه ﷺ: «**إنه يخرج من ولده رجل يقال له: زيد، يقتل بالكوفة ويصلب بالكناسة، يُخرَج من قبره نبشاً، وتُفتح لروحه أبواب السماء وتبتهج به أهل السماوات**»[2]، وقال ﷺ: «**يُقتل رجل من أهل بيتي فيصلب، لا ترى الجنة عين رأت عورته**»[3].

وقد نظر رسول الله ﷺ يوماً إلى زيد بن حارثة فقال: «**المقتول في الله، والمصلوب في أمتي والمظلوم من أهل بيتي سميّ هذا**» وأشار بيده إلى زيد بن حارثة، فقال: «**أدن مني يا زيد، زادك اسمك عندي حباً فأنت سميّ الحبيب من أهل بيتي**»[4].

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وقف على موضع صلبه بالكوفة فبكى وبكى أصحابه، فقالوا له: ما الذي أبكاك؟! قال: إنّ رجلاً من ولدي يُصلب في هذا الموضع، من رضي أن ينظر إلى عورته أكبّه الله على وجهه في النار[5].

وقال الراوي: كنّا عند علي بن الحسين عليه السلام فدعا ابناً له يقال له: زيد، فكبا لوجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: أعيذك بالله أن تكون زيداً

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٨٨، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٢٦، أمالي الصدوق: ٤٠٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٩٤، وانظر تاريخ الطبري٥: ٥٠٤، تاريخ ابن خلدون ٣: ١٠٠.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٨٨ عن عبد الملك بن سليمان، وعنه في البحار ٤٦: ٢٠٩.

(٤) السرائر لابن إدريس الحلي ٣: ٦٣٨ عن حذيفة بن اليمان، وعنه في البحار٤٦: ١٩٢.

(٥) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٢٠ ب ٣١.

المصلوب بالكناسة، من نظر إلى عورته متعمداً أصلى الله وجهه النار[١].

ومثله روي عن الباقر، فإنه دعا زيداً فاعتنقه، وألزق بطنه ببطنه وقال: أعيذك بالله أن تكون صليب الكناسة[٢].

وهو من أبلة الضيم ومن كبار علماء أهل البيت بعد إمام زمانه، وكان عابداً سخياً شجاعاً ظهر بالسيف ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات الحسين ويدعو للرضا من آل محمد، وهوكما قال الإمام:لو ظفر لوفى.

وكان من علل خروجه أنه دخل على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام أهل الشام، وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يتمكن من الوصول إلى قربه، فقال له زيد: إنه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصي بتقوى الله، ولا من عباده أحد دون أن يوصي بتقوى الله، وأنا أوصيك بتقوى الله.

فتجاسر عليه هشام، وأجابه زيد بصلابة وشهامة، فوثب هشام من مجلسه ودعا قهرمانه وقال: لا يتبيّن هذا في عسكري.

فخرج زيد وهو يقول: إنّه لم يكره قوم قطّ حرّ السيف إلا ذلّوا، فلما وصل إلى الكوفة اجتمع إليه أهلها، فلم يزالوا به حتّى بايعوه على الحرب،ثم نقضوا بيعته وأسلموه، فقتل وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم، ولا يغيّر ذلك بيد ولا بلسان.

ولما قُتل بلغ ذلك من أبي عبد الله الصادق كلّ مبلغ، وحزن له حزناً عظيماً، حتى بان عليه، وفرّق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة مائة وعشرين، وكان عمره الشريف يوم استشهد اثنين وأربعين سنة[٣].

وكان قد أخبره الباقر بذلك لما أراد الخروج وحاول في انصرافه، ففي رواية عن الحسن به راشد قال: ذكرت زيد بن عليٍ فتنقصته عند أبي عبد الله فقال: لا تفعل! رحم الله عميّ زيد، أتى أبي فقال: إني أريد الخروج على هذا الطاغية،

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٩٨، وعنه في ذوب النضار لابن نما الحلي: ٦٦، البحار ٤٦: ٢٠٩.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٩٨.

(٣) الإرشاد للمفيد١: ٢٨٦ وعنه في البحار٤٦: ١٨٩، الاحتجاج ٢: ١٣٥.

فقل: لا تفعل، فإني أخاف أن تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنّه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلا قُتل، ثم قال عليه السلام: ألا يا حسن إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريّتها على النار، وفيهم نزلت: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ فإنّ الظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام والمقتصد العارف بحق الإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام، ثم قال: يا حسن إنّا أهل بيت لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقرّ لكل ذي فضل بفضله[1].

وقد ذكّره بعض أصحابه بقول الإمام الباقر عليه السلام: لا يخرج على هشام أحد إلا قتله، فكان جوابه: إني شهدت هشاماً ورسول الله ﷺ يسبّ عنده، فلم ينكر ذلك ولم يغيّره، فوالله لو لم يكن إلا أنا وابني لخرجت عليه[2].

وقال الرضا عليه السلام للمأمون في شأن زيد: إنه كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنّه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمّي زيداً إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، وقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلمّا ولّى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه، فقال المأمون: يا أبا الحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟! فقال الرضا عليه السلام: إنّ زيد بن علي عليه السلام لم يدّع ما ليس له بحق، وإنّه كان أتقى لله من ذاك، قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإنما جاء ما جاء فيمن يدّعي أنّ الله نصّ عليه، ثم يدعو إلى غير دين الله، ويضلّ عن سبيله بغير علم، وكان زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾[3].

---

(١) الخرائج والجرائح١: ٢٨٠،وعنه في كشف الغمة ٢: ١٤٤،والبحار٤٦: ١٨٩، الفصول المهمة: ٢٠٠ مرسلاً، ينابيع المودة: ٤٢٠، ولاحظ إحقاق الحق ١٢: ١٨٢ ومصادره.

(٢) الكافي ٨: ٣٩٥، وعنه في البحار ٤٦: ٢٨٢، كشف الغمة ٢: ٣٥٣وفيه بدل: ابني (آخر).

(٣) عيون الأخبار ١: ٢٤٨،وعنه في البحار٤٦: ١٧٤، الاحتجاج ٢: ١٣٥،والآية في سورة الحج: ٧٨.

وكان الصادق عليه السلام يبكي ويلعن قاتل زيد كلّما ذكر مقتله، فقيل له مالك أكثرت البكاء؟ فقال: ذكرت مقتله وقد أصاب جبينه سهم فجاءه ابنه يحيى فانكبّ عليه، وقال له: أبشر يا أبتاه فإنّك ترد على رسول الله وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، قال: أجل يا بُنيّ ثم دعا بحدّاد فنزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه، فجيء به إلى ساقية تجري عند بستان زائدة، فحفر له فيها ودفن وأُجري عليه الماء، وكان معهم غلام سنديّ لبعضهم، فذهب إلى يوسف بن عمر من الغد فأخبره بدفنهم إياه، فأخرجه يوسف بن عمر فصلبه في الكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأُحرق بالنار وذرّي في الريح، فلعن الله قاتله وخاذله، وإلى الله جلّ اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيّه بعد موته، وبه نستعين على عدوّنا وهو خير مستعان[1].

ويؤيد ما ذكرنا في وصف زيد وصلاحه زائداً على ما تقدّم من المرويات كلام ابنه يحيى فيه، قال الراوي: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان، فما رأيت مثله رجلاً في عقله وفضله، فسألته عن أبيه، فقال: إنّه قتل وصلب بالكناسة، ثم بكى وبكيت حتى غُشي عليه، فلمّا سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغي وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك، فقال: سمعت أبي عليه السلام يحدّث عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صلبي فقال: «**يا حسين يخرج من صلبك رجل يُقال له: زيد يُقتل شهيداً، فإذا كان يوم القيامة يتخطّى هو وأصحابه رقاب الناس، ويدخل الجنة**» فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله ﷺ، ثم قال: رحم الله أبي زيداً، كان والله أحد المتعبدين، قائم ليله صائم نهاره، يجاهد في سبيل الله عزّ وجلّ حق جهاده.

فقلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصفة؟ فقال: يا عبد الله إنّ أبي لم يكن بإمام، ولكن من سادات الكرام، وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، قلت: يا بن رسول الله، أما إنّ أباك قد ادّعى الإمامة، وخرج مجاهداً في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله ﷺ فيمن ادّعى الإمامة كاذباً؟ فقال: مه يا عبد الله إنّ أبي عليه السلام كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحق، وإنما قال: أدعوكم

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٧٧،وعنه في البحار٤٦: ١٧٢، أمالي الطوسي: ٤٣٤،وانظر سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٥٨ عن أبي مخنف.

إلى الرضا من آل محمد عنى بذلك ابن عميّ جعفراً، قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال:نعم هو أفقه بني هاشم...ثم أخبره عن زهد أبيه وعبادته وكثرة صومه وصلاته، ما يثبت براءته عن ادعاء ما ليس له بحق[١].

وقد تبرء هو أيضاً عن ادعاء الأمر، كما في حديث عن محمد بن مسلم قال: دخلت على زيد بن عليؑ: فقلت: إنّ قوماً يزعمون أنك صاحب هذا الأمر، قال: لا، ولكنّي من العترة، قلت: فمن يلي هذا الأمر بعدكم؟ قال: سبعة من الخلفاء والمهدي منهم، قال ابن مسلم: ثم دخلت على الباقرؑ فأخبرته بذلك فقال: صدق أخي زيد صدق أخي زيد سيلي هذا الأمر بعدي سبعة من الأوصياء والمهدي منهم، ثم بكىؑ وقال: كأني به وقد صُلب في الكناسة يا ابن مسلم، حدثني أبي عن أبيه الحسين، قال: وضع رسول اللهﷺ...وساق الحديث المتقدم عنهﷺ[٢].

وفي رواية أخرى بعد ما نفى كونه صاحب الأمر، سُئل إلى من تأونا؟ قال: عليك بصاحب الشعر، وأشار إلى الصادقؑ[٣].

ومن هذه الأحاديث يظهر أنه لم يكن بين الإمام الصادقؑ وزيد خلاف ونزاع في الامامة، ولم يكن الخروج وعدم الخروج سبباً لانتقاض أحدهما، و إنّ خروج بعضهم كان ناشئاً عن عدم تحمّلهم الضيم والأذى من جانب الأعداء، وإن وظيفتهم تختلف عن وظيفة الإمام المعصوم.

هذا وقد أذن الله عزّ ذكره في هلاك بني مروان بعد إحراقهم جثمان زيد بسبعة أيام، ونزع الملك من هشام، والوليد بن عبد الملك لما قتل يحيى بن زيد- كما قال الصادقؑ[٤].

---

(١) كفاية الأثر للخزّاز القمي: ٣٢٧، وعنه في البحار٤٦: ٢٠٠.

(٢) كفاية الأثر: ٣٢٧، وعنه في البحار ٤٦: ٢٠٠.

(٣) كفاية الأثر: ٣٢٧، وعنه في البحار ٤٦: ٢٠٠.

(٤) الكافي ٨: ١٦١، وعنه في البحار٤٦: ٢٠٥، ثواب الأعمال: ١٩٨، وعنه في البحار٤٦: ١٨٢.

الفصل السادس

في ما ورد من الإنباء في ملك بني العباس و تطبيق ذلك عبر التاريخ

ما ورد من الإنباء في بني العباس

روى الصدوق بالإسناد: أنّ جبرئيل هبط على رسول الله ﷺ وعليه قباء أسود، ومنطقة فيها خنجر، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا جبرئيل ما هذا الزيّ**» قال: زيّ ولد عمّك العباس، يا محمد ويل لولدك من ولد العباس، فخرج النبي ﷺ إلى العباس، فقال: «**يا عم ويلٌ لولدي من ولدك**» فقال: يا رسول الله أفأجبّ نفسي؟ قال: «**جفّ القلم بما فيه**»[1].

وفي غيبة النعماني بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: «**يا عباس ويلٌ لذريتي من ولدك، وويلٌ لولدك من ولدي**»! فقال: يا رسول الله! أفلا أجتنب النساء؟ أو قال: أفلا أجبّ نفسي؟ قال: «**إنّ علم الله عز وجل قد مضى، والأمور بيده، وإنّ الأمر سيكون في ولدي**»[2].

وروي أنّ النبي ﷺ رأى العباس في ثوبين أبيضين، فقال: «**إنه لأبيض الثوبين، وهذا جبرئيل يخبرني أنّ ولده يلبسون السواد**».

وفي رواية: إنه ﷺ قال لثوبان: «**يكون لبني العباس رايتان مركزهما كفر وأعلاهما ضلالة، إن أدركتهما يا ثوبان فلا تستظلّ بظلهما**».

وعن أُبيّ بن كعب قال: أوّل الرايات السود نصر، وأوسطها غدر، وآخرها كفر، فمن أعانهم كان كمن أعان فرعون على موسى[3].

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أقبلت الرايات السود من قبل المشرق فإنّ أوّلها فتنة، وأوسطها هرج، وآخرها ضلالة**»[4].

وفي لفظ: «... **أوّلها منشور وآخرها مثبور**»[5].

وروي أنّ إبراهيم الإمام أنفذ إلى أبي مسلم لواء النصرة، وظلّ السحاب،

---

(١) علل الشرائع٢: ٣٤٨، وعنه في البحار٢٨: ٤٨، الفقيه١: ٦٨، وعنه في البحار٢٢: ٢٩١.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٤٨ ح٢، وعنه في البحار٣٦: ٥٣٠، باختلاف يسير.

(٣) الأحاديث الثلاثة في المناقب لابن شهر آشوب٣: ٨٥وعنه في البحار٣٦: ٥٢٩.

(٤) تاريخ بغداد٣: ٣٣٦، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٨٦، وعنه في البحار ٣٦: ٥٣٠.

(٥) مناقب آل أبي طالب٣: ٨٦، وعنه في البحار٣٦: ٢٩٥، وانظر المعجم الكبير ٨: ١٠١.

وكان أبيض طوله أربعة عشر ذراعاً، مكتوب عليها بالحِبر: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾، فأمر أبو مسلم غلامه أرقم أن يتحوّل بكل لون من الثياب، فلمّا لبس السواد قال: معه هيبة، فاختاره خلافاً لبني أمية وهيبة للناظر، وكانوا يقولون: هذا السواد حداد آل محمد وشهداء كربلاء وزيد ويحيى[1].

وقد أنبأ الإمام عليّ عليه السلام عن أبي مسلم الخراساني وهو في صفين عند ما قال لأهل الشام: يا أبا مسلم خذهم- ثلاث مرات-، فقال: الأشتر أوَ ليس أبو مسلم معهم؟ قال: لست أريد الخولاني، وإنما أريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق، ويهلك به أهل الشام، ويسلب عن بني أمية ملكهم[2].

وكان الباقر عليه السلام في مسجد الحرام فذكر بني أمية ودولتهم، فقال له بعض أصحابه: إنما نرجوا أن تكون صاحبهم، وأن يظهر الله عز وجل هذا الأمر على يديك، فقال: ما أنا بصاحبهم ولا يسرّني أن أكون صاحبهم، إنّ أصحابهم أولاد الزنا، إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق منذ خلق السماوات والأرض سنين ولا أياماً أقصر من سنينهم وأيامهم، إنّ الله عز وجل يأمر الملك الذي في يده الفلك فيطويه طيّاً[3].

وفي وصف حكومتهم قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ملك بني العباس يسرٌ لا عسرَ فيه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والسند والهند والبربروالطيلسان لم يزيلوه، ولايزالون في غضارة من ملكهم حتّى يشذّ عنهم مواليهم وأصحاب دولتهم، ويسلّط الله عليهم علجاً يخرج من حيث بدأ ملكهم، لا يمرّ بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا هدّها، ولا نعمة إلا أزالها، الويل لمن ناواه، فلا يزال كذلك حتى يظفر، ويدفع إلى رجل من عترتي يقول الحق ويعمل به[4].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٨٦، وعنه في البحار٣١: ٥٣٠، والآية في سورة الحج: ٣٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٩٨، وعنه في البحار ٤١: ٣١٠ -٣١١.

(٣) الكافي ٨: ٣٤١ ح ٥٣٨، وعنه في البحار٣١: ٥٣٣.

(٤) الغيبة للنعماني: ٢٤٩-٢٥٠، وعنه في البحار٣١: ٥٣٠ باختلاف يسير، وفيه بدل: يسرٌ لا...(عسرٌ ليس فيه يسر)، والعلج: القوي الضخم الشديد الأمر ويقال: العلج: الرجل من كفار العجم وغيرهم، وظهر انطباق كلامه عليه السلام على هلاكو، وكان كافراً فاستأصلهم.

وهذا من أنباء الغيب التي أودعها رسول الله ﷺ في صدره الشريف.

وقد أخبر عليٌّ عليه السلام عبد الله ابن عباس عن انتقال الملك إلى ولده، وذلك لما ولد عليُّ بن عبد الله، فأخرجه أبوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأخذه وتفل في فيه وحنّكه بتمرة قد لاكها ودفعه إليه، وقال: خذ إليك أبا الأملاك...[1].

وقد أنبأ رسول الله ﷺ عن ذهاب بصر عبد الله بن العباس في قوله: «لن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علماً»[2].

وأشار ابن العباس إلى هذا الحديث في مرضه الذي مات فيه، قال لمن حضر عنده ليعوده: إنّ خليلي رسول الله ﷺ قال: إني سأهجر هجرتين وإني سأخرج من هجرتي، فهاجرت هجرة مع رسول الله ﷺ، وهجرة مع علي عليه السلام وإني سأعمى، فعميت، وإني سأغرق فأصابني حكّة فطرحني أهلي في البحر، فغفلوا عني فغرقت، ثم استخرجوني بعد...[3].

نظرة في حقيقة بني العباس

ولابن عباس مواقف تعرب عن حقيقة إسلامه وضعف إيمانه وسوء عاقبته، لأنّ حقيقة الرجال تظهر عند الاختبار، كما قال الحسين عليه السلام: الدين لعق على السنتهم وإذا محّصوا بالبلاء قلّ الدّيانون.

قد استعمله أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة، فلمّا رأى الزمان قد استكلب على ابن عمه، والعدوّ قد حرب، وأمانة الناس قد خزيت، قلّب لابن عمه ظهر المجن، وفارقه مع المفارقين، وخذله مع الخاذلين، وخانه مع الخائنين...فحمل كل ما كان في بيت المال، ولحق بمكة وترك، وكان مبلغه ألفي ألف درهم[4].

ورُوي عن الباقر عليه السلام أنه قال: أتى رجل إلى أبي عليه السلام، فقال: إنّ فلان -يعني عبد

---

(١) تمامه في شرح النهج٧: ١٤٨، ومضمونه في٢٠: ٣٣٤، والبحار٤٢: ١٠١،غيبة النعماني: ٣٥٩.

(٢) أنظر المعجم الأوسط للطبراني٤: ١٤٢، البداية والنهاية ٦: ٢٦٤، إعلام الورى١: ٩٦.

(٣) معرفة أخبار الرجال: ٣٨،وعنه في البحار٤٢: ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة٣: ٦٥ مضمون كلماته عليه السلام في كتابه لابن عباس يعاتبه فيه. وكان جوابه: إنّ لي في بيت المال أكثر مما أخذت. أنظر معرفة أخبار الرجال: ٤٠-٤٢، وعنه البحار٤٢: ١٥٣.

الله ابن عباس -يزعم أنّه يعلم كل آية نزلت في القرآن، في أيّ يوم نزلت وفيمن نزلت، فقال عليه السلام: فسله فيمن نزلت: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ وفيمن نزلت: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ وفيمن نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ فأتاه الرجل، فقال: وددت أنّ الذي أمرك بهذا واجهني فأسأله، ولكن سله: ما العرش؟ ومتى خلق وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال له ما قال.

فقال: وهل أجابك عن الآيات؟ قال: لا، قال: لكني أجيبك فيها بنور وعلم غير المدّعي ولا المنتحل، أمّا الأوليان فنزلتا فيه وفي أبيه، وأما الأخرى فنزلت في أبي وفينا، ولم يكن الربط الذي أمرنا به بعد، وسيكون من نسلنا المرابط ومن نسله المرابَط، وأما ما سألت عنه فما العرش...وساق الجواب في العرش إلى أن قال: أما إنّ في صلبه وديعة لقد ذُرئت لنار جهنم، سيخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه، وستُصبغ الأرض من دماء الفراخ من فراخ آل محمد ﷺ تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير ما تدرك، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون لما يرون حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين[1].

وللصادق عليه السلام وقفة أخرى مع ابن عباس سأله فيها عن أمور عجز أن يصيب في جوابها، فبيّن عليه السلام الصواب فيها، ثم قال: هكذا حكم الله ليلة تنزل فيها أمره، إن جحدتها بعد ما سمعت من رسول الله ﷺ فأدخلك الله النار، كما أعمى بصرك يوم جحدتها عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: فلذلك عمي بصري؟ قال: وما علمك بذلك، فوالله إن عمي بصري إلا من صفقة جناح الملك، قال عليه السلام: فاستضحكت ثم تركته يومه ذلك لسخافة عقله، ثم لقيته فقلت: يا بن عباس ما تكلّمت بصدق مثل أمس، قال لك عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ ليلة القدر في كلّ سنة، وإنه ينزل في تلك الليلة أمر تلك السنة،

---

(١) معرفة أخبار الرجال١: ٢٧٣-٢٧٥، وانظر تفسير العياشي٢: ٣٠٥، وعنه في البحار٤٢: ١٤٩، تفسير القمي: ٣٨٥، وعنه في البحار٢٢: ٢٨٩ باختلاف يسير، والآية الأولى في سورة بني إسرائيل: ٧٢، والثانية في هود: ٣٤، والثالثة في آل عمران: ٢٠٠.

وإنّ لذلك الأمر ولاة بعد رسول اللهﷺ فقلت: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدَّثون، فقلت: لا أراها كانت إلا مع رسول الله، فتبدّا لك الملك الذي يحدّثه فقال: كذبت يا عبد الله، رأت عيناي الذي حدّثك به عليٌّ ولم تره عيناه، ولكن وعا قلبه ووقر في سمعه، ثم صفقك بجناحيه فعميت!.

قال: فقال ابن عباس: ما اختلفنا في شيء فحكمه إلى الله، فقلت له: فهل حكم الله في حكم من حكمه بأمرين؟ قال: لا، فقلت: هاهنا هلكت وأهلكت[1].

ثم إنّ ابن عباس هو الذي روى حديث الصحيفة التي أملاها رسول اللهﷺ على عليٍّعليه السلام وقد قرأها عليٌّعليه السلام وإذا فيها كل شيء منذ قبض رسول اللهﷺ إلى قيام القائمعليه السلام، وقدقال: فسمعت ذلك فكان كما قرأ لم يزد ولم ينقص، ورأيت خطه في الصحيفة لم يتغير ولم يعفر، فلمّا أدرج الصحيفة قلت: يا أميرالمؤمنين لو كنت قرأت عليّ بقية الصحيفة.

قال: لا،يمنعني فيها ما ألقى من أهل بيتك وولدك أمراً فضيعاً من قتلهم لنا وعداوتهم لنا، وسوء ملكهم وشوم قدرتهم، فأكره أن تسمعه فتغتمّ ويحزنك...ثم قال: يا ابن عباس إنّ ملك بني أمية إذا زال، فأوّل من يملك ولدك من بني هاشم، فيفعلون الأفاعيل، قال ابن عباس: لئن يكون نسخني ذلك الكتاب كان أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس[2].

لكن مع كلّ ما سمعه من النبيﷺوأميرالمؤمنينعليه السلام، وما رأى منه من العجائب وتأسّفه على ما جرى بعد النبيﷺ لم يرسخ الإيمان في قلبه، وقد غلب عليه حبّ الدنيا وكان ينتظر الفرصة لانتهازها.

وإنّ الغائر في تاريخ ابن عباس وأبيه يراهما من المتلاعبين والمحايدين بين الحق والباطل، فأمّا الابن فقد تقدم بعض ما ورد فيه، وأمّا الأب، فلم يسلم في بادي الأمر، ولم يهاجر ولم يجاهد مع رسول اللهﷺ،بل كان من الذين أُسروا

---

(١) الكافي١: ٢٤٧-٢٤٨، وعنه في البحار٤٢: ١٥٨، تفسير نور الثقلين ٥: ٦١٩.

(٢) الفضائل لابن شاذان: ١٤١، وعنه في البحار٢٨: ٧٣، وقد تقدم تمامه، وحديث الصحيفة مشهور ورد قريب منه في بعض كتب القوم، فلاحظ حلية الأبرار لأبي نعيم١: ٦٨، مجمع الزوائد ٩: ١١٣، الجامع الصغير: ٢٤٨، ينابيع المودة: ٧٨، وانظر إحقاق الحق٦: ٤٧-٤٩.

فأجير من القتل وأسلم عند ذاك،ولم يُرَ له موقف يمدح عليه-كما كان لحمزة وأبي طالب وجعفر عليهم السلام لا في حياة النبي ﷺ ولا بعده.

ومن ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام -في خطبة يبيّن فيها سبب قعوده عن قتال القوم-: وذهب من كنت أعتضد بهم على دين الله من أهل بيتي، وبقيت بين خفيرتين قريبي عهد لجاهلية: عقيل وعباس[1].

وطالما نصحه النبي ﷺ وحاول في إصلاح سريرته لعلمه بما هو عليها من التعلّق بظاهر الحياة، فمن ذلك: عند موته لمّا خلا به-وكان ذلك بعد ما ألقى عليه الحجة في قبول الوصية فاعتذر منه بأني شيخ كبير كثير العيال-فقال ﷺ: «يا أبا الفضل، إعلم أنّ من احتجاج ربي عليّ تبليغي الناس عامّة وأهل بيتي خاصة ولاية عليّ عليه السلام، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، يا أبا الفضل جدّد عهداً وميثاقاً، وسلّم لوليّ الأمر إمرته، ولا تكن كمن يعطي بلسانه ويكفر بقلبه، يشاقّني في أهل بيتي، ويتقدمهم، ويستأمر عليهم ويتسلّط عليهم، ليذلّ قوماً أعزّهم الله وليعزّ قوماً لم يبلغوا ولا يبلغون ما مدّوا إليه أعينهم، يا أبا الفضل إنّ ربّي عهد إليّ عهداً أمرني أن أبلّغه الشاهد من الإنس والجن، وأن آمر شاهدهم أن يبلّغوا غائبهم، فمن صدّق عليّاً ووازره ونصره وقبله، وأدّى ما عليه من فرائض الله فقد بلغ حقيقة الإيمان ومن أبى الفرائض فقد أحبط الله عمله حتى يلقى الله ولا حجة له عنده، يا أبا الفضل فما أنت قائل؟» قال: قبلت منك يا رسول الله وآمنت بما جئت به وصدّقت وسلّمت، فاشهد عليّ»[2].

ومع هذه الخصائص التي كانا عليها، ومع ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: إنما ولّيت ولد عمي العباس لأني سمعت العباس يطلب من رسول الله ﷺ الإمارة مراراً، فقال له رسول الله ﷺ: «يا عمّ إنّ الإمارة إن طلبتها وُكلت إليها، وإن طلبتك أعنت عليها» ورأيت بنيه في أيام عمر وعثمان يجدون في أنفسهم أن وُليّ غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يولّ أحد منهم، فأحببت أن أصل رحمهم وأزيل ما كان في أنفسهم، ثم قال للأشتر: وبعد فإن علمت أحداً من أبناء

---

(١) الاحتجاج١: ١٠١ وعنه في البحار٢٢: ٢٨٤، والخفيرتين: الذين أُسرا فأجيرا من القتل، فصارا من الطلقاء.

(٢) الطرف لابن طاووس: ١٤١ الطرفة التاسعة ط مؤسسة عاشورا.

الطلقاء هو خير منهم فأتني به، فخرج الأشتر وقد زال ما في نفسه[1].

فما بالك بذريتهما لما وصلوا إليها وقبضوها بأيديهم، حين رأيتهم يسفكون دماء العترة الطاهرة بني عمومتهم ويملئون السجون والطوامير منهم ومن شيعتهم ويعذّبونهم أشدّ تعذيب خوفاً على سلطنتهم، فتراهم تناسوا كلّ ما كان بينهم وبين آل بيت رسول الله ﷺ من الرحم وسائر الحقوق، وتعاملوا معهم معاملة عدو خارج عن الملة والدين، بل أشدّ وأتعس مما كان عليه الفراعنة من تعذيب بني إسرائيل وما اجتنته بنو أمية أيضاً، وليس هذا إلا لأنّ الملك-كما قال هارون-عقيم، وإنّ من طلب الملك فلا يبالي من قتل أبيه وأخيه أو ابن عمه، وأن يرتكب كلّ قبيح يوجب-بزعمه-تحكيم مواقعه وحكومته، فمن أمعن النظر في تاريخ بني العباس يرى هذه السمات بارزة فيهم، وآيته وقوع المعارك الدامية بينهم، وسفك دماء الأبرياء و...،وإليك نبذة من الجرائم التي وقعت على أيديهم مما أنبأ بها رسول الله ﷺ.

منها: مقتل محمد بن عبد الله المحض

وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ،عن مقتله، فقال: «تُقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية»[2].

وكان من أمره أن اجتمع عدد من آل أبي طالب و بني العباس بالأبواء وتذاكروا في أمر البيعة، فاقترح عليهم عبد الله المحض بن الحسن المثنى بالبيعة لابنه محمد، فبايعوه ومسحوا على يده، فبلغ الخبر جعفر بن محمد عليه السلام، فجاء ونهاهم عن الوقوع في الفتنة، وقال: لا تفعلوا فإنّ هذا الأمر لم يأت بعد، وبعد كلام بينه وبين عبد الله أومأ إلى أبي العباس وقال: هذا وإخوته وأبناؤهم، دونكم-فأنبأ بذلك عن دولة بني العباس-ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن وقال: إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنيك، ولكنّها لهم، وإنّ ابنيك لمقتولان.

---

(١) شرح النهج١٥: ٩٨، وعنه في البحار٤٢: ١٧١. أقول: ومن هذا الحديث يعرف قلّة أنصار أمير المؤمنين وأعوانه على الحق وما كان يعانيه.

(٢) عمدة الطالب لابن عنبة: ٩١.

ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري، فقال: أرأيت صاحب الرداء الأصفر-يعني أبا جعفر-؟ فقال: نعم، قال: فإنا والله نجده يقتل محمداً، قال عبد العزيز: أيقتل محمداً؟ قال: نعم، قال الراوي: فقلت في نفسي: حسده وربّ الكعبة،ثم قال: والله ما خرجت من الدّنيا حتى رأيته قتلهما.

قال: فلما قال جعفر ذلك ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر، فقالا: يا أبا عبد الله، أتقول هذا؟ قال: نعم أقوله والله وأعلمه.

وكان جعفر بن محمد إذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه ثم يقول: بنفسي هو إنّ الناس ليقولون فيه، وإنه لمقتول، ليس هو في كتاب عليّ من خلفاء هذه الأمة.

وفي رواية أخرى:قال الإمام الصادق لعبد الله المحض: إنّ هذا الأمر، والله ليس إليك ولا إلى ابنيك، وإنما هو لهذا-يعنى السفّاح-ثم لهذا-يعني المنصور-ثم لولده من بعده، لايزال فيهم حتى يؤمّروا الصبيان، ويشاوروا النساء.

وأضاف: إنّ هذا-يعني المنصور-يقتله على أحجار الزيت، ثم يقتل أخاه بعده بالطفوف وقوائم فرسه في الماء،ثم قام مغضباً يجرّ رداءه، فتبعه أبو جعفر المنصور فقال: أتدري ما قلت يا أبا عبد الله؟ قال: إي والله أدريه، وإنه لكائن، ولهذا لمّا وُليّ أبو جعفر الخلافة سمّيّ جعفراً الصادق[1].

فكان كل ما أخبر به رسول الله ﷺ وهكذا ما أخبر به وصيّه ووارث علمه الصادق، فلمّا ولي الأمر أبو العباس السفاح كان يذكر محمداً عند أبيه عبد الله ويحذّره من الخروج، وما زال محمد في صدد الخروج حتى ولي الأمر أبو جعفر المنصور، فجدّ في طلبه لما سبقه من أمر البيعة له، ولكنه لم يظفر به فأخذ عبد الله بن الحسن وجماعة من أهل بيته فأوثقهم في الحديد وحملهم على الإبل بغير وطاء، وقال لعبد الله: دلّني على ابنك وإلا والله قتلتك فأبى عبد الله عن ذلك فحبسه وأهل بيته في الحيرة،فلم يزالوا في الحبس حتى ماتوا وقيل: إنهم وُجدوا مسمّرين في الحيطان[2].

---

(١) أنظرمقاتل الطالبين: ١٧٢-١٧٣، والبحار٤٧: ١٦٠، مناقب آل أبي طالب٣: ٣٥٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي٢: ٣٠٧.

وظلّ محمد مختفياً مترصّداً للخروج، والمنصور مجدّ في طلبه ومتابعته، حتى خرج - وكان ذلك في سنة مائة وخمس وأربعين - فقاتل حتى قتل، وقد أخبرت أخته عن مقتله يوماً قبل استشهاده، فدخل جيش المنصور المدينة وتابع أصحاب محمد فقتلهم، وكان مقتل محمد على أحجار الزيت، وقد قال محمد لأحد أصحابه وهو يقاتل: تغشانا سحابة فإن أمطرتنا ظهرنا، وإن جاوزتنا إليهم فانظر دمي على أحجار الزيت، قال الراوي: فوَالله ما لبثنا أن أظلّتنا سحابة فجالت وقعقعت حتى قلتُ تفعل، ثم جاوزتنا فأصابت عيسى وأصحابه، فما كان إلا كلاً ولا، حتى رأيته قتيلاً بين أحجار الزيت[1].

وصدق ما أنبأ به رسول الله ﷺ «تقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية» ولذلك سُميّ بالنفس الزكية.

وأمّا إبراهيم بن عبد الله، فقصد الكوفة، وكان يحسب أنّ أهل الكوفة ينصرونه، ويثبون على المنصور، فلما صار إلى الكوفة لم يجد فيها ناصراً، وبلغ أمره المنصور فوضع الأرصاد والحرس عليه بكلّ موضع، فاحتال إبراهيم وخرج من الكوفة إلى البصرة، وخرج فيها واستولى عليها بعد ما أسر عامل المنصور، فخرج منها متوجهاً لمحاربة المنصور بعد ما استقرّ له الأمر في الأهواز وفارس، وواسط، فقابله المنصور، وزحف إبراهيم حتى صار إلى قرية يقال لها باخمرا، فاشتبك هناك قتال شديد وكاد النصر أن يكون لإبراهيم لولا مكيدة العدوّ التي سببّت انهزام جيش إبراهيم، فبقي في قليل من أصحابه يحارب أشدّ محاربة، فقتل وأخذ رأسه إلى المنصور بالكوفة فوضع بين يديه، وأذن للناس فجعلوا يدخلون عليه وينالون من إبراهيم وأخيه وأهله[2]، ثم نصب في السوق مدة ومن بعدها حمل إلى أبيه عبد الله في السجن.

وظلّ المنصور يتابع العلويين وأبناء رسول الله ﷺ وشيعتهم، ويملأ السجون والطوامير منهم ويعذّبهم أشدّ تعذيب ويسمّرهم في الحيطان ويهدم عليهم السجون وهم أحياء، وطال ما صمّم في قتل الإمام الصادق عليه السلام، وطلبه

---

(١) أنظر مقاتل الطالبين: ١٨٣-١٨٤، تاريخ الطبري٦: ٢١٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي٢: ٣١٨، مقاتل الطالبين: ٢٢٧-٢٣٣.

بحضرته في الليالي المظلمة وهو يتجاسر عليه ويرميه بالتهم والإمام عليه السلام صابر محتسب متحصّن من شرّه بذكر الله تعالى وأسمائه الحسنى، ولولا حفظ الله وصيانته لحجته، وما رأى المنصور من الكرامات والغرائب وآيات الله الباهرة وآثار غضب الله، لقتل الإمام الصادق عليه السلام.

بيد أنه لا زال متفكراً في أمر الصادق محاولاً في قتله غائضاً عليه خائفاً من سطوته، حتى دسّ إليه السم وقتله مسموماً.

ومنها: مقتل صاحب فخ

ومن الأحداث التي أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عنها هي ملحمة فخّ واستشهاد الحسين بن علي بن الحسن وعصابة من المؤمنين على يد العباسيين فيها، فقد روي أنّ رسول الله ﷺ انتهى إلى موضع فخّ فصلّى بأصحابه صلاة الجنازة، ثم قال: «**يُقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسادهم إلى الجنة**»(١).

وفي حديث عن أبي جعفر عليه السلام قال مرّ النبي ﷺ بفخّ فنزل فصلّى ركعة، فلما صلّى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي ﷺ يبكي بكوا، فلما انصرف قال: «**ما يبكيكم**»؟ قالوا: لما رأيناك تبكي بكينا يا رسول الله، قال: «**نزل عليّ جبرئيل لمّا صلّيت الركعة الأولى فقال: يا محمد إنّ رجلاً من ولدك يُقتل في هذا المكان، وأجر الشهيد معه أجر شهيدين**»(٢).

وكان صدق ما أنبأ به الصادق المصدق في عهد موسى العباسي، وذلك أنه لما اشتدّ الظلم والأذى على أبناء رسول الله ﷺ ثار جمع من بني الحسن عليه السلام وعلى رأسهم الحسين بن علي بن الحسن، فهرب والي المدينة منها، ولما كانت بيعة الحسين قال: أبايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله وعلى أن يطاع الله ولا يُعصى، وأدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ والعدل في الرعية، والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا، وتجاهدوا

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٨٩ - ٢٩٠ وروى نحوه عن الباقر والصادق عليهما السلام، شرح الأخبار ٣: ٣٢٨.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٨٩.

عدونا، فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا، وإن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم.

وقد أخبره الامام الكاظم عليه السلام عن خروجه، فقال له: إنك مقتول فاجِدّ الضراب، فإنّ القوم فُسّاق يظهرون إيمانا، ويضمرون نفاقاً وشركاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله أحتسبكم من عصبة.

وبعد ما قبض زمام الأمور بالمدينة خرج بأصحابه نحو مكة، فلما بلغوا موضع فخّ تلقّتهم جيوش بني العباس، فاقتتلوا قتالاً شديداً قُتِل فيه أكثر أصحاب الحسين، فألقوا إليه الأمان، فرفضه وقاتل حتى قُتل في نفس الموضع، ولهذا سمّي صاحب فخّ، وكان مقتله في سنة مائة وتسع وستّين[1].

ومنها: مقتل الإمام الكاظم عليه السلام في السجن

ولا زال الظلم والاضطهاد على أهل البيت في عهد بني العباس في ازدياد، وأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله متابعون مشرّدون من الأوطان، خاصة في عهد هارون الرشيد، حيث حبس الإمام الكاظم عليه السلام لمدة سبع سنين-أو أربعة عشر-يحمل من سجن إلى سجن مكبّل بالحديد ملقى في الطوامير المظلمة المرطوبة، معذّب بأشدّ العذاب، وكان يوصل عبادته من السحر إلى السحر وهو صائم إلى أن مات مسموماً، وقد أوصى شيعته أن يدفنوه بأكباله، وقد ألقي جسده على الجسر ثلاثة أيام بلا غسل ولا كفن، وأراد هارون أن يغطّي على جريمته، فأظهر للشيعة أن الإمام مات بأجله،غير أن الإمام تكلّم بإذن الله، فقال: قتلاً قتلاً، فهاج الحزن بشيعته، وأبوا التوقيع لهارون في براءته من قتل الإمام عليه السلام[2].

عهد المأمون العباسي واستشهاد الامام الرضا عليه السلام

وفي عهد المأمون تغيّرت المعادلات السياسية، وحلّ دور الحيلة والتزوير والشيطنة مكان الحديد والنار والفرعنة، لما اقتضته المصلحة السياسية الحاكمة.

وذلك لأنّ ترقّي الوضع السياسي والاقتصادي والأخلاقي لبني العباس في

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٨، وانظر تاريخ الطبري٨: ١٩٩ أحداث سنة ١٦٩،وشرح الأخبار٣: ٣٢٨.

(٢) أنظر قصة استشهاده في الارشاد للمفيد٢: ٢٣٦، إعلام الورى ٢: ٣٣، كشف الغمة ٣: ٢٣.

تلك الفترة قد انعكس على كافة طبقات الأمة فلم يسلم منه أحد، وما كان يخفى على أحد من الناس ذلك، لأنّ الفترة التي ظهر فيها المأمون خاصة، كانت خاضعة للهزّات والصراعات السياسية الدموية العنيفة بينه وبين الأمين، وقد استمرّت أربع سنوات، وأدّت إلى انهيار عجيب وتزلزل في الحكم العباسي عسكرياً واقتصادياً، ولذلك لمّا رأى العلويّون هذا الواقع استغلّوا تلك الظروف، بعد أن ضاق عليهم العيش أثر الخناق طوال الفترة العباسية المنصرمة، وقد عانوا فيها المطاردة والاضطهاد، فقاموا بثورات وانتفاضات عديدة، ساعدهم على ذلك ما كان عليه الرأي العام من الإنزجار من الحكام المنشغلين بالعيش والطرب والفساد، والتوجه إلى أهل البيت بشكل قوي، والالتجاء بهم، لما يرون منهم من الورع والزهد والعلم الوافر وسائر المؤهّلات التي لا توجد في غيرهم، فقد أيّد الناس تلك الانتفاضات وساهموا فيها، فكثرت ثورات العلويين وامتدّت في الأوساط الإسلامية، وسقطت بعض البلدان بأيديهم، وفي الواقع كانت الانتفاضات استمراراً لما تقدّمها من ثورات العلويين التي أخمدها حكام الجور وأعوانهم، ومن أهم الثورات هي ثورة ابن طباطبا(محمد بن إبراهيم بن إسماعيل)التي كان منطلقها من الكوفة، وعلى أثرها اشتعلت الثورات في أكثر أنحاء الدولة العباسية، ومع كل ثائر كثير من الأنصار والأعوان الذين سيطروا على تلك البلدان، وإن كان مآلها الانكسار والهوان ومقتل الثوار.

وكان الحاصل منها أن حسّ المأمون بالتذمّر والتدهور في حكمه، ونكير الرأي العام على الدولة العباسية وفسادها وظلمها، وتوجه الناس إلى أهل البيت وحبهم لهم، ولذلك أدرك حراجة الموقف وخطورته إن لم ينظر في استدراكه وتغيير المعادلات السياسية في سبيل حفظ حكومته، فإنه كان عالماً محنكاً وذا دراية في الأمور السياسية خلافاً لسائر بني العباس، فرأى أن يتظاهر دجلاً ونفاقاً بالولاء لأهل البيت والبراءة من أعدائهم، وبأنّ الحق لهم ومعهم وهم أولى بالخلافة من غيرهم، ويظهر الرغبة في التنازل عنها وتفويضها إلى الإمام علي بن موسى-مع علمه بأنّ الإمام سيرفضها-، لأنه كان أعلم أهل زمانه وأشرفهم وأوجه بني هاشم، والناس يثقون به ويلجأون إليه، وقد أكثروا مراودته وأخذوا من علومه.

وكان هدفه من ذلك جذب القلوب الموالية لأهل البيت، وإخماد الثورات المتتابعة التي لا سبيل لإخمادها إلا بهذا النحو، حتى يمكنه السيطرة على الحكم وتثبيت قواعد سلطنته وإنهاء جميع المشاكل التي كان يعاني منها.

وفي نفس الوقت أراد أن ينقص من شأن الإمامﷺ أمام الرأي العام الذي اعتقد بزهده عن الدنيا وعدم رغبته في الخلافة، حتى يقول الناس: إنّ عليّ بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، فلما عُرضت عليه طمع فيها، وأراد أن يجعل الإمام شريكاً في ما يصدر من السلطة الحاكمة من الجرائم والانحرافات و...وفي ذلك سبب لابتعاد الناس عن أهل البيت وتغيير رأيهم فيهم.

وكان هذا المخطط منه خطراً جداً، والإمامﷺ يعلم ما يضمره المأمون من الشيطنة، ويعلم بخطورة الموقف وآثاره إن لم يرفضه، فرفضه رفضاً قاطعاً، بيد أنّ المأمون أصرّ على ذلك، فأكرهه على قبول ولاية عهده، ولما امتنع الإمام هدّده بالقتل وطلب منه أن يلحق به إلى مقرّ حكومته بمرو، فأرسل إليه من يثق به في مراقبة الإمام و محاصرته، وبهذا النحو خرج الإمامﷺ من مدينة جدّه مكرهاً باكياً حزيناً، وقد أنبأ عند مسيره عن مقتله وعما سيجري عليه من قبل المأمون، وكان يرى هذه الفترة من حياته أسوأ ما مرّ عليه منذ وفاة أبيهﷺ.

إنباء الإمام الرضاﷺ عن شهادته في الغربة

فقد روى الصدوق عن السجستاني أنه قال: لمّا ورد البريد بإشخاص الرضاﷺ إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودّع رسول اللهﷺ، فودعه مراراً، وكل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدّمت إليه وسلّمت عليه وهنأته، فردّ عليّ السلام، وقال: ذرني فإني أخرج من جوار جدّيﷺ وأموت غربة[1].

ثم إنّ الإمامﷺ قد أوقف المأمون عن علمه بما يضمره وأخبره عن نبوءة جدّه رسول اللهﷺ عن مقتله بالسم ودفنه إلى جنب هارون في أرض الغربة.

يقول أبو الصلت الهروي: إنّ المأمون قال للرضاﷺ يا ابن رسول الله قد

---

(١) عيون الأخبار للصدوق١: ٢٣٤، وعنه في البحار٤٩: ١١٧.

عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحقّ بالخلافة مني، فقال الرضا عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل أفتخر وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل، فقال له المأمون: فإني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك، فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.

فقال المأمون: يا بن رسول الله لابدّ لك من قبول هذا الأمر، فقال: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً، فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك فكن وليّ عهدي،لتكون لك الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي عن آبائه عن أميرالمؤمنين عن رسول الله ﷺ: أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً،تبكي عليّ ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد، فبكى المأمون ثم قال له: يا ابن رسول الله ومن الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟ فقال الرضا عليه السلام: أما إني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت، فقال المأمون: يابن رسول الله إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا.

الإمام عليه السلام ينبئ المأمون عن مكيدته

فقال الرضا عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عز وجل وما زهدت في الدنيا للدنيا،وإني لأعلم ما تريد فقال المأمون: وما أريد؟ قال: الأمان على الصدق؟ قال: لك الأمان، قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه،ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة، فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك.

فقال الرضا عليه السلام: قد نهاني الله عز وجل أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر

على هذا، فافعل ما بدا لك،وأنا أقبل ذلك على أني لا أوليّ أحداً ولا أعزل أحداً ولا أنقض رسماً ولا سنّة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً، فرضي منه بذلك، وجعله وليّ عهده على كراهة منهعليه السلام لذلك[1].

وبهذا التدبير وإن أُكره الإمام في قبول ولاية العهد، لكنّه تجنّب عن ممارسة الحكم وقبول المسؤلية وما فيه من الخلفيات التي تلوّث شخصيته، وأفسد أكثر مخططّات المأمون وما كان يعقّبه، وطالما أنتجت العكس في مرّ الزمان.

ومن ثم أحسّ بالقلق من ازدياد عظمة الإمام وتوجّه الناس إليه، لما رأوا منه من الكرامات والبركات والعلم الوافر والخلق الحسن منذ خروجه من المدينة وفي طريقه، وخلال استقراره في خراسان، وبه صدق قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ وقوله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2].

فصمّم-بمشورة مستشاريه-في إنهاء قضيّة الإمامعليه السلام، فغدر به وقتله بالسم حتى مضى إلى رضوان ربّه وكرامته، وقد استراح من المحن والأذى الذي أصابه من المأمون خلال تلك الفترة، التي كان يدعو فيها ويطلب من الله الفرج، ويتلوّى من الألم ويتمنى لنفسه الموت ليتخلّص من حيلة تحيط بها المكاره ويُستغلّ فيها وجوده لأغراض الحاكمين ومصالحهم.

يقول ياسر الخادم: إنّ الإمامعليه السلام كان إذا رجع يوم الجمعة من الجامع وقد أصابه العرق والغبار قال: اللهم إن كان فرجي مما أنا فيه بالموت فعجّله لي الساعة، ولم يزل مغموماً مكروباً إلى أن قبض[3].

وكانت وفاتهعليه السلام في آخر صفر سنة ٢٠٣ هجرية، وله من العمر ٥٥سنة، ودفن في دار حميد بن قحطبة بالقرب من مدفن الرشيد، وبذلك تحقق ما أنبأ الرسول المصطفىﷺ في استشاده بالسم والدفن في الغربة، وهي كالتالي.

---

(١) علل الشرائع١: ٢٣٧، عيون الأخبار١: ١٥١، أمالي الصدوق: ١٢٦، البحار٤٩: ١٢٩.

(٢) الآية الأولى في سورة آل عمران: ٥٤، والثانية في سورة التوبة: ٣٢.

(٣) عيون الأخبار٢: ٥، وعنه في البحار٤٩: ١٤٠، وسائل الشيعة للحر العاملي٢: ٤٥.

نبوءات رسول الله ﷺ في شهادة الرضا عليه السلام

فمنها: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «ستدفن بضعة مني بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة وحرّم جسده على النار»[1].

وفي رواية أخرى عنه ﷺ قال: «ستدفن بضعة مني بأرض خراسان ما زارها مكروب إلا نفّس الله كربته، ولا مذنب إلا غفر الله ذنوبه»[2].

وروي أنه قال رجل من أهل خراسان للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، رأيت رسول الله ﷺ في المنام، كأنه يقول لي: «كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغيّب في ثراكم نجمي؟» فقال له الرضا عليه السلام: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة والنجم، ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تعالى من حقي، فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنّا شفعاؤه نجى، ولو كان عليه مثل وزر الثقلين -الجنّ والإنس-.

ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبي عليه السلام، أنّ رسول الله ﷺ قال: «من رآني في منامه فقد رآني، فإنّ الشيطان لا يتمثل في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإنّ الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزء من النبوة»[3].

وقال أمير المؤمنين ووارث علم النبيين عليه وعليهم السلام: سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم ظلماً، إسمه إسمي، واسم أبيه إسم موسى بن عمران، ألا فمن زاره في غربته، غفر الله له ذنوبه ما تقدّم منها وما تأخر، ولو كانت مثل عدد النجوم وقطر الأمطار وورق الأشجار[4].

وقال الصادق عليه السلام: يُقتل أحد حفدتي بأرض خراسان في مدينة يقال لها طوس، من زاره عارفاً بحقّه أخذته بيدي يوم القيامة، فأدخلته الجنّة، وإن كان من أهل الكبائر، قال الراوي: جعلت فداك، وما عرفان حقّه؟ قال: يعلم أنّه إمام

---

(١) أمالي الصدوق: ١١٩، وعنه في البحار٤٩: ٢٨٤ ح ٣، روضة الواعظين: ٢٣٣.

(٢) عيون الأخبار١: ٢٨٨، أمالي الصدوق: ١٨١، روضة الواعظين: ٢٣٣، البحار٩٩: ٣٤.

(٣) أمالي الصدوق: ١٢١، البحار ٤٩: ٢٨٣، روضة الواعظين: ٢٣٤.

(٤) عيون الأخبار١: ٢٩٨، البحار٤٩: ٢٨٦ روضة الواعظين: ٢٣٤.

مفترض الطاعة شهيد، من زاره عارفاً بحقه أعطاه الله تعالى أجر سبعين ألف شهيد ممّن استشهد بين يدي رسول اللهﷺ على حقيقة[١].

وكان الرضاعليه السلام يقول: والله ما منّا إلا مقتول شهيد، فقيل له: فمن يقتلك يا ابن رسول الله؟ قال: شرّ خلق الله في زمانه، يقتلني بالسم، ويدفنني في دار مضيعة، وبلاد غربة، ألا فمن زارني في غربتي، كتب اللهعزوجل له أجر مائة شهيد، ومائة ألف صدّيق ومائة حاج ومعتمر، ومائة ألف مجاهد وحشر في زمرتنا، وجعل في الدرجات العلى من الجنة رفيقنا[٢].

وفي رواية أخرى قالعليه السلام: إني سأقتل بالسم مظلوماً وأقبر إلى جنب هارون ويجعل الله تربتي مختلف شيعتي وأهل محبتي، فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة، والذي أكرم محمداًﷺ بالنبوة، واصطفاه على جميع الخليقة لا يصلي أحد منكم عند قبري ركعتين إلا استحق المغفرة من اللهعزوجل يوم يلقاه، والذي أكرمنا بعد محمدﷺ بالإمامة وخصنا بالوصية إنّ زوار قبري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة، وما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من الماء الا حرّم الله تعالى جسده على النار[٣].

ومن مروياته أيضاً أنه قال: إني مقتول ومسموم ومدفون بأرض غربة، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ أبي عن أبيه عن آبائه عن رسول اللهﷺ، ألا فمن زارني في غربتي كنت أنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنّا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين[٤].

ويقول الحسن بن الجهم: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضاعليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام...فذكر أسألة القوم وأجوبة الإمامعليه السلام إلى أن قال: فلما قام الرضاعليه السلام تبعته فانصرف إلى منزله فدخلت عليه وقلت له:

---

(١) عيون الأخبار١: ٣٩٠، وعنه في البحار٩٩: ٣٥، الأمالي: ١٨٣، والمراد من قولهعليه السلام حقيقة: إما كونه على حقيقة الإيمان، أو شهادة حقيقية.

(٢) أمالي الصدوق: ١٢٠، وعنه في البحار٤٩: ٢٨٣، روضة الواعظين: ٢٣٣.

(٣) عيون الأخبار١: ٢٤٩، وعنه في البحار٩٩: ٣٦.

(٤) عيون الأخبار١: ٢٩٤،وعنه في البحار٩٩: ٣٤.

يا ابن رسول الله الحمد لله الذي وهب لك من جميل رأي أمير المؤمنين ما حمله على ما رأى من إكرامه لك وقبوله لقولك، فقال عليه السلام: يا ابن الجهم لا يغرّنك ما ألفيته عليه من إكرامي والاستماع مني، فإنه سيقتلني بالسم وهو ظالم لي، أعرف بعهد معهود إليّ من آبائي عن رسول الله ﷺ فاكتم هذا عليّ مادمت حيّاً، فقال ابن الجهم: فما حدّثت بهذا الحديث إلى أن مضى الرضا عليه السلام بطوس مقتولاً بالسم، ودفن في دار حميد بن قحطبة الطائي في القبة التي قبر هارون إلى جانبه[1].

الرضا عليه السلام ينبئ عن كيفية شهادته وعجائب تحدث بعدها

وإليك عزيزي القارئ حديث هرثمة بن أعين وما فيه من النبوءات و الأسرار والعجائب التي ظهرت من الإمام عليه السلام قبل وفاته وبعدها.

يقول هرثمة: كنت ليلة بين يدي المأمون حتى مضى من الليل أربع ساعات، ثم أذن لي في الانصراف فانصرفت، فلمّا مضى من الليل نصفه قرع قارع الباب، فأجابه بعض غلماني، فقال له: قل لهرثمة: أجب سيدك.

فقمت مسرعاً وأخذت عليّ أثوابي، وأسرعت إلى سيدي الرضا عليه السلام فدخل الغلام بين يديّ ودخلت وراءه، فإذا أنا بسيدي عليه السلام في صحن داره جالس، فقال: يا هرثمة، فقلت لبيك يا مولاي، فقال لي: اجلس فجلست، فقال لي: إسمع وعِ يا هرثمة، هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدي وآبائي عليهم السلام وقد بلغ الكتاب أجله، وقد عزم هذا الطاغي على سمّي في عنب ورمّان مفروك، فأما العنب يغمس السلك في السم ويجذبه بالخيط في العنب، وأما الرمّان فإنه يطرح السم في كف بعض غلمانه ويفرك الرمان بيده ليلطخ حبّه في ذلك السم، وإنه سيدعوني في ذلك اليوم المقبل، ويقرّب إليّ الرمان والعنب، ويسألني أكلهما فآكلهما، ثم ينفذ الحكم ويحضر القضاء، فإذا أنا متّ فسيقول أنا أغسله بيدي، فإذا قال ذلك، فقل له عني بينك وبينه: إنه قال لي لاتتعرض لغسلي ولا لتكفيني ولا لدفني، فإنك إن فعلت ذلك عاجلك من العذاب ما أُخّر عنك، وحلّ بك أليم ما تحذر، فإنه ينتهي.

---

(١) عيون أخبار الرضا١: ١١٨، البحار٤٩: ٢٨٤.

قال: فقلت: نعم يا سيدي، قال: فإذا خلّى بينك وبين غسلي فسيجلس في علوّ من أبنيته، مشرفاً على موضع غسلي لينظر، فلا تعرض يا هرثمة لشيء من غسلي حتى ترى فسطاطاً أبيض قد ضربت في جانب الدار، فإذا رأيت ذلك، فاحملني في أثوابي التي أنا فيها فضعني من وراء الفسطاط وقف من ورائه، ويكون من معك دونك ولا تكشف عني الفسطاط حتى تراني فتهلك، فإنه سيشرف عليك ويقول لك:يا هرثمة أليس زعمتم أنّ الإمام لا يغسّله إلا إمام مثله فمن يغسّل أبا الحسن علي بن موسى وابنه محمد بالمدينة من بلاد الحجاز ونحن بطوس؟.

فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنا نقول: إنّ الإمام لا يجب أن يغسّله إلا إمام، فإن تعدّى متعدّ وغسّل الإمام لم تبطل إمامة الإمام لتعدّي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده بأن غلب على غسل أبيه، ولو ترك أبو الحسن علي بن موسى بالمدينة لغسّله ابنه محمد ظاهراً مكشوفاً، ولا يغسّله الآن أيضاً إلا هو من حيث يخفى، فإذا ارتفع الفسطاط فسوف تراني مدرّجاً في أكفاني، فضعني على نعشي واحملني.

فإذا أراد أن يحفر قبري فإنه سيجعل قبر أبيه هارون الرشيد قبلة لقبري ولا يكون ذلك أبداً، فإذا ضربت المعاول ينبّ عن الأرض ولم يحفر لهم منها شيء، ولا مثل قلامة ظفر، فإذا اجتهدوا في ذلك وصعب عليهم، فقل له عني: إني أمرتك أن تضرب معولاً واحداً في قبلة قبر أبيه هارون الرشيد، فإذا ضربت نفذ في الأرض إلى قبر محفور وضريح قائم، فإذا انفرج ذلك القبر فلا تنزلني إليه حتى يفور من ضريحه الماء الأبيض فيمتلي منه ذلك القبر، حتى يصير الماء مع وجه الأرض، ثم يضطرب فيه حوت بطوله فإذا اضطرب فلا تنزلني إلى القبر إلا إذا غاب الحوت وغار الماء، فأنزلني في ذلك القبر وألحدني في ذلك الضريح، ولا تتركهم يأتوا بتراب يلقونه عليّ، فإنّ القبر ينطبق بنفسه ويمتلئ.

قال: قلت نعم يا سيدي، ثم قال لي: إحفظ ما عهدت إليك واعمل به ولا تخالف، قلت: أعوذ بالله أن أخالف لك أمراً يا سيدي، قال هرثمة: ثم خرجت باكياً حزيناً، فلم أزل كالحبّة على المقلاة لا يعلم ما في نفسي إلا الله تعالى، ثم دعاني المأمون فدخلت إليه، فلم أزل قائماً إلى ضحى النهار، ثم قال المأمون إمض يا هرثمة إلى أبي الحسن فاقرأه مني السلام وقل له تصير إلينا أو نصير إليك؟ فإن قال لك بل نصير إليه فتسأله عني أن يقدّم ذلك.

قال: فجئته فإذا اطلعت عليه قال لي: يا هرثمة أليس قد حفظت ما أوصيتك به؟ قلت: بلى، قال: قدّموا نعلي فقد علمت ما أرسلك به، قال: فقدّمت نعله ومشى إليه، فلما دخل المجلس قام إليه المأمون قائماً فعانقه، وقبّل بين عينيه، وأجلسه إلى جانبه على سريره وأقبل عليه يحادثه ساعة من النهار طويلة، ثم قال لبعض غلمانه: يؤتى بعنب ورمّان، قال هرثمة: فلما سمعت ذلك لم استطع الصبر، ورأيت النفضة قد عرضت في بدني فكرهت أن يتبيّن ذلك فيّ فتراجعت القهقرى حتى خرجت فرميت نفسي في موضع من الدار، فلما قرب زوال الشمس أحسست بسيدي قد خرج من عنده ورجع إلى داره،ثم رأيت الأمر قد خرج من عند المأمون باحضار الأطباء والمترفقين، قلت ما هذا؟ فقيل لي: علة عرضت لأبي الحسن علي بن موسى ﷺ، فكان الناس في شك وكنت على يقين، لما أعرف منه، قال: فلما كان من الثلث الثاني من الليل علا الصياح، وسمعت الصيحة من الدار فأسرعت فيمن أسرع، فإذا نحن بالمأمون مكشوف الرأس محلّ الأزرار قائماً على قدميه ينتحب ويبكي، قال: فوقفت فيمن وقفوا وأنا أتنفس الصعداء، ثم أصبحنا فجلس المأمون للتعزية، ثم قام فمشى إلى الموضع الذي فيه سيدنا ﷺ فقال: أصلحوا لنا موضعاً فإني أريد أن أغسّله، فدنوت منه فقلت له ما قاله سيدي بسبب الغسل والتكفين والدفن، فقال لي: لست أعرض لذلك، ثم قال: شأنك يا هرثمة...ثم ساق الحديث في بيان تحقق جميع ما أنبأ به الإمام ﷺ حرفاً بحرف ولم يتخلّف منه شيء، وقد ظهرت من الكرامات والعجائب والمأمون ينظر إليها ويعجب منها.

قال هرثمة: فانصرف المأمون وانصرفت ودعاني المأمون وخلا بي ثم قال: أسألك بالله يا هرثمة لمّا أصدقتني عن أبي الحسن ﷺ قدس الله روحه بما سمعته منك، فقلت: قد أخبرت أمير المؤمنين بما قال لي، فقال: بالله إلا ما قد صدّقتني عمّا أخبرك به غير الذي قلت لي، قلت: يا أمير المؤمنين؛ فعمّا تسألني؟ فقال: يا هرثمة، هل أسرّ إليك شيئاً غير هذا؟ قلت: نعم، قال: ما هو؟ قلت: خبر العنب والرمان، قال: فأقبل المأمون يتلوّن ألواناً يصفرّ مرّة ويحمرّ أخرى ويسودّ أخرى ثم تمدّد مغشياً عليه، فسمعته في غشيته وهو يهجر ويقول: ويل للمأمون من الله،ويل له من رسوله، ويل له من عليٍّ، ويل للمأمون من فاطمة، ويل للمأمون

من الحسن والحسين، ويل للمأمون من علي بن الحسين، ويل له من محمد بن علي، ويل للمأمون من جعفر بن محمد، ويل له من موسى بن جعفر، ويل له من علي بن موسى الرضا، هذا والله هو الخسران المبين-يقول هذا القول ويكرّره-، فلمّا رأيته قد أطال ذلك ولّيت عنه وجلست في بعض نواحي الدار.

قال: فجلس ودعاني فدخلت إليه وهو جالس كالسكران فقال: والله ما أنت أعزّ عليّ منه ولا جميع من في الأرض والسماء، لئن بلغني أنّك أعدت بعد ما سمعت ورأيت شيئاً ليكوننّ هلاكك فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين إن ظهرت على شيء من ذلك مني فأنت في حلّ من دمي، قال: لا والله أو تعطيني عهداً وميثاقاً على كتمان هذا، وترك إعلانه، فأخذ عليّ العهد والميثاق وأكّده عليّ، قال: فلمّا وليّت عنه صفق بيده وقال: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾[1].

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٧٥، والآية في سورة النساء: ١٠٨، وفي الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٤٩-٢٥١ باختلاف في اللفظ والحكاية، وفيه أنهعليه السلام قال: قل له (أي للمأمون) إن أنا وُضعت في نعشي وأرادوا الصلاة عليّ فلا يصلّي عليّ وليتانّ قليلاً، فإنه يأتيكم رجل عربي ملثّم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء عليه وعثاء السفر، فينيخ راحلته، وينزل عنها، فيصلّي عليّ وصلّوا معه عليّ، فإذا فرغتم من الصلاة عليّ وحملتموني إلى مدفني الذي عيّنته... .

وروي أيضاً عن أبي الصلت الهروي بيان كيفية شهادتهعليه السلام وحضور الجوادعليه السلام عنده، وما أوصاه الرضاعليه السلام في مكان دفنه وما سيراه من العجائب نظير ما تقدم، فراجع عيون الأخبار ١: ٢٧٣، البحار٤٩: ٣٠٠، وفيه: إنّ المأمون لما رأى ما ظهر من النداوة والحيتان وغير ذلك قال: لم يزل الرضاعليه السلام يرينا عجائبه في حياته حتى أراناها بعد وفاته أيضاً، فقال له وزير كان معه: أتدري ما أخبرك به الرضاعليه السلام؟ قال: لا، قال: إنه أخبرك أنّ ملككم يا بني العباس مع كثرتكم وطول مدّتكم مثل هذه الحيتان حتى إذا فنيت آجالكم وانقطعت آثاركم، وذهبت دولتكم، سلّط الله تعالى عليكم رجلاً منا فأفناكم عن آخركم، قال له: صدقت.

قال أبو الصلت ثم قال لي: علّمني الكلام الذي تكلّمت به، قلت: والله لقد نسيت الكلام من ساعتي، وقد كنت صدقت، فأمر بحبسي، ودفن الرضاعليه السلام فحُبست سنة، فضاق عليّ الحبس وسهرت الليلة ودعوت الله تعالى بدعاء ذكرت فيه محمداً وآله صلوات الله عليهم، وسألت الله تعالى بحقهم أن يفرّج عني فلم أستتمّ الدعاء حتى دخل عليّ أبو جعفر محمد بن عليّعليه السلام فقال: يا أبا الصلت ضاق صدرك فقلت إي والله، قال: قم، فأخرجني ثم ضرب بيده إلى القيود التي كانت ففكّها، وأخذ

مقتل الإمام الجواد عليه السلام

ومهما يكن من أمر فإنّ من شيطنة المأمون أنه اغتال الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام بالسم وحزن عليه وبكى وجلس عليه للعزاء، كي يحرّف أذهان الناس ويدفع عن نفسه الإتهام، ولم يكن هذا أول اغتيال من المأمون، بل كان يغتال كل من يخاف سطوته ومخالفته بالسّم، وتبعته بذلك ابنته أمّ الفضل.

فلشدة عدائها لابن الرضا عليه السلام وغيرتها عليه بادرت في دسّ السم له، وكان ذلك بإشارة من المعتصم العباسي، لأنه وقف على انحرافها عن زوجها لتفضيله أمّ أبي الحسن الهادي عليها، ولأنه لم يرزق منها ولد، فلجأت المعتصم إلى ذلك وجعلت سمّاً في عنب رزاقي ووضعته بين يديه، فلمّا أكل منه جعلت تبكي، فقال: ما بكاؤك؟ والله ليضربنّك الله بعقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر، فماتت بعلّة في أغمض المواضع من جوارحها، صارت ناصوراً فأنفقت مالها وجميع ما ملكته على تلك العلّة، حتى احتاجت إلى الاسترفاد، وكان وفاة الإمام الجواد عليه السلام في سنة ٢٢٠ هـ وله من العمر خمس وعشرون سنة وقد أشخصه المعتصم إلى بغداد مركز حكومته، ودفن بجنب جدّه الإمام الكاظم عليه السلام[1].

إنباء الرضا عليه السلام عن ولادة الجواد عليه السلام ثم استشهاده

وقد أنبأ الإمام الرضا عليه السلام بما سيجري عليه في أوائل ولادته، ففي رواية: قيل للرضا عليه السلام: أدع الله أن يرزقك ولداً، فقال: إنما أُرزق ولداً واحداً يرثني، فلمّا ولد أبو جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران، فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم قدّست أمّ ولدته، قد خلقت طاهرة مطهرة، ثم قال الرضا عليه السلام: يقتل غضباً فيبكي له وعليه أهل السماء، ويغضب الله تعالى

بيدي وأخرجني من الدار والحرسة والغلمة يرونني فلم يستطيعوا أن يكلّموني، وخرجت من باب الدار، ثم قال لي: امض في ودائع الله فإنك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً، فقال أبو الصلت: فلم ألتقِ مع المأمون إلى هذا الوقت.

(١) البحار٥٠: ١٧ عن عيون المعجزات.

على عدوه وظالمه، فلا يلبث إلاّ يسيراً حتى يعجّل الله به إلى عذابه الأليم، وعقابه الشديد، وكان طول ليلته يناغيه في مهده[1].

عهد أكفر بني العباس (المتوكل)

قد اشتدّ الظلم والأذى بآل محمدﷺ وشيعتهم في عهد المتوكل العباسي الذي وصفه أمير المؤمنينؑ في إخباره عن المغيبات التي اكتسبها من النبيﷺ بقوله: وعاشر أكفرهم، يقتله أخصّهم به، وأنبأ عنهؑ بأنه رجل خبيث السريرة، دنيء الفطرة، وكان ليثماً شديد العداء لأهل البيت ﷺ وشيعتهم، يأخذهم بالظنّ والتهمة، ويدأب على أذيتهم وتعذيبهم وحرمانهم، ومن أشنع فعاله أنه أمر بهدم قبر الحسينؑ ومحو آثاره وهدم البيوت أطرافه، وأمر بزراعة الأرض هناك، ومنع الناس من زيارته، وقتل من وجد عند قبره ومشى إلى زيارته، ومن ثم كان أهل بغداد يشتمونه ويكتبون على الحيطان في خبثه وينشد الشعراء في هجائه.

وقد عيّن على مكة والمدينة والياً يمنع الناس من البرّ بآل محمد، وتشدّد في ذلك فكفّ الناس أيديهم عن رعاية العلويين فضاق الأمر على بني فاطمةﷺ، ولا زالوا يقاسون الظلم والأذى حتى هلك المتوكّل، وكان هلاكه بدعاء الهاديؑ، وذلك لما بلغ طغيانه الحدّ، فإنه قد أمر بإجلاء علي بن محمد الهاديؑ عن مدينة جدّه وإشخاصه إلى سرّ من رأى، على جرّاء سعاية بعض الحسّاد المتملّقين، وحبسه في سرّ من رأى ومنع الناس من مراودته، وبالغ في أذى الإمام والتجاسر عليه، وقد تكرّر منه الأمر في الهجوم على بيت الإمامؑ غفلة وليلاً وتفتيش بيته وإرهاب من في بيته وإحضاره إليه وهو في حالة السكر، وقد عزم على قتل الإمام وأمر جلاوزته بذلك لولا ما رأى من البرهان، وفي يوم من الأيام عزم على أن يحطّ من شأن الإمام وينقّص من منزلته، فخرج من منزله هو وابن خاقان وزيره راكب وأمر بالأشراف والأعيان وبني هاشم، ومن جملتهم الإمام الهادي أن يخرجوا مشاة، وكان يوماً شديد الحرّ فشقّ ذلك على الإمام وظهر التعب

---

(١) عيون المعجزات: ١٠٧، وعنه في البحار٥٠: ١٥.

والإرهاق عليه، فقال حاجب المتوكل: يا سيدي يعزّ عليّ ما تلقى من هؤلاء الطغاة وما قد تكلّفته من المشقة، وأخذ بيده فتوكأ عليه.

فقال عليه السلام: يا زرافة، ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني، وفي رواية قال: إنّ قلامة ظفري أكرم عند الله من ناقة صالح وفصيلها، وقد أنبأ بهذا الكلام وأخبر عن قرب هلاك المتوكل، لأنّ الله أهلك قوم صالح بعد عقر الناقة بثلاثة أيام كما في قوله تعالى: ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ وهكذا كان، فإنه لما كان اليوم الثالث هجم المنتصر بن المتوكل -ومعه بغايا ووصيف و الأتراك- عليه فقتلوه وقطّعوه مع الفتح بن خاقان قطعاً لا يعرف أحدهما من الآخر.

قال زرافة: لقيت الإمام بعد ذلك فقال: إنه لما بلغني الجهد في ذلك اليوم دعوت عليه، فاستجاب الله عليه السلام دعائي[1]، ومن ثم تحقق كلام أمير المؤمنين عليه السلام: (يقتله أخصهم به).

وأما الإمام الهادي عليه السلام فقد اغتيل بالسم ومضى شهيداً مسموماً في أيام المعتزّ العباسي، ولم يكن عنده أحد غير الإمام العسكري عليه السلام، فتولى غسله وتكفينه ثم دفنه في حجرته التي كانت محل عبادته، وكانت وفاته سنة ٢٥٤هـ وكان له من العمر أربعين سنة.

جعفر الكذّاب وما ورد فيه من الأنباء

كان أحد أولاد الإمام أبو الحسن الهادي عليه السلام جعفر الملقب بالكذّاب على لسان رسول الله ﷺ، والذي ادّعى ما ادّعى حسداً وطمعاً في الدنيا،فضلّ وأضلّ خلقاً من الناس، فصار مثله مثل ابن نوح، وقد أخبر عنه النبي ﷺ وهو ذاك.

فقد رُوي عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي قال: سألت علي بن الحسين صلوات الله عليه: من الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد، واسمه في التوراة الباقر يبقر العلم بقراً وهو الحجة والإمام بعدي، ومن بعد محمد ابنه جعفر واسمه عند أهل السماء الصادق، فقلت له: يا سيدي كيف صار اسمه الصادق

---

(١) أنظرمهج الدعوات: ٣٣٠، وعنه في البحار٥٠: ١٩٢، الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٢١، والآية في سورة هود: ٦٥.

وكلّكم صادقون؟ فقال: حدثني أبي، عن أبيه عليهما السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسمّوه الصادق، فإنّ الخامس من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الإمامة اجتراءً على الله وكذباً عليه، فهو عند الله جعفر الكذّاب المفتري على الله، المدّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه، والحاسد لأخيه ذلك الذي يكشف سرّ الله، عند غيبة ولي الله».**

ثم بكى علي بن الحسين عليه السلام بكاءً شديداً، ثم قال: كأني بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر وليّ الله، والمغيّب في حفظ الله والتوكيل بحرم أبيه جهلاً منه بولادته، وحرصاً على قتله إن ظفر به، طمعاً في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقّه.

قال: فقلت له: يا بن رسول الله وإنّ ذلك لكائن؟ فقال: إي وربي إنّ ذلك لمكتوب عندنا في الصحيفة التي فيها ذكر المحن التي تجري علينا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فقلت: يا ابن رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثم تمتدّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله...وساق الحديث في غيبته عليه السلام[1].

وقد أخبر الإمام الهادي عليه السلام بشأن جعفر حين ولادته، قال الراوي: كنت في دار أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في الوقت الذي وُلد فيه جعفر فرأيت أهل الدار قد سُرّوا به، فصرت إلى أبي الحسن عليه السلام فلم أره مسروراً بذلك، فقلت له: يا سيّدي ما لي أراك غير مسرور بهذا المولود؟ فقال عليه السلام: يهون عليك أمره، فإنه سيضلّ خلقاً كثيراً[2].

وورد بعض الشيعة على الإمام الهادي عليه السلام يسئلونه عن الحق بعده لما ذاع عند بعض أنه جعفر، قال الراوي: دخلنا على أبي الحسن عليه السلام فأمهلنا قليلاً ثم رمى الينا تفاحة وقال: خذوها بأيديكم فأخذناها، فقال: قولي لهم يا تفاحة بما دخلوا يسألونني عنه، فنطقت التفاحة وقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله وأنّ علياً أميرالمؤمنين وصيه وأنّ الأئمة منه إلى سيدنا أبي الحسن عليّ تسعة، وأنّ الإمام بعده سيدنا أبو محمد الحسن، وأنّ المهدي سميّ

---

(١) الخرائج والجرائح١: ٢٩٦،الاحتجاج٢: ٤٩، وعنه في البحار٥٠: ٢٢٨، إعلام الورى٢: ٣٨٤.

(٢) كمال الدين: ٣٢١،وعنه في البحار٥٠: ٢٣١، كشف الغمة٣: ١٧٨.

جدّه رسول اللهﷺ، وكنّاه وصاح بنا: فأكثِروا من ذكر الله وحمده على ما هداكم إليه، وإياكم وجعفر فإنه عدّو لي ولو كان ابني، وهو عدو لأخيه الحسن وهو إمامه، وإنّ جعفراً يدلّ من بعده على أمهات الأولاد فيسلّمهم إلى الطاغية ويدّعي أنه الحق، وهو المعتدي جهلاً، ويله من جرأته على الله فلا ينفعه نسبه مني، قال: فخرجنا جميعاً وما عندنا شك بعد الذي سمعناه...[1].

والذي يظهر من المرويات أنّ جعفر لمّا شبّ وترعرع انحرف عن أخلاق الإسلام وتعاليمه، وعن الخطّ الرسالي الذي كان آباؤهعليهم السلام قد وضعوه بين أيدي المسلمين لإتمام الحجة عليهم وإنقاذهم مما كانوا يعانوه من شدة وبلاء، وقد اختار لنفسه منادمة الحكام والتقرب إليهم والاشتغال بظاهر الحياة ولذاتها الفانية، ومن ثم قال أبوهعليه السلام: تجنّبوا ابني جعفراً، أما إنه مني مثل حام من نوح الذي قال الله فيه...: ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ...﴾[2]، نعم هناك أقوال أنه تاب في أُخريات حياته.

وستوافيك طرفة من تاريخه وكيفية تحقق نبوءة رسول اللهﷺ فيه.

إنباء الإمام العسكريعليه السلام عن مقتله وعلامات الإمام بعده وتحقق ما ورد في جعفر الكذاب

فقد ورد بسند معتبر عن أبي الأديان خادم العسكريعليه السلام إنه قال: كنت أخدم الحسن بن عليعليهما السلام وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت إليه في علّته التي توفّي بها صلوات الله عليه، فكتب معي كتباً وقال: تمضي بها إلى المدائن، إنك ستغيب خمسة عشر يوماً، فتدخل إلى سرّ من رأى يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل.

قال: فقلت: يا سيدي، فإذا كان ذلك فمن؟ قال: من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم بعدي، فقلت: زدني، فقال: من يصلي عليّ فهو القائم بعدي، فقلت: زدني، فقال: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

---

(١) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٢٠.

(٢) الهداية الكبرى للخصيبي: ٣٨١، والآية في سورة هود: ٤٥-٤٦.

قال أبو الأديان: فمنعتني هيبته أن أسأله: أيّ هميان؟ وخرجت بالكتب إلى المدائن وأخذت جواباتها، ودخلت سرّ من رأى يوم الخامس عشر كما قال لي عليه السلام، فإذا أنا بالواعية في داره، وإذا أنا بجعفر أخيه بباب الدار والشيعة حوله يعزّونه، ويهنئونها! فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد حالت الإمامة! لأني كنت أعرفه بشرب النبيذ، ويقامر في الجوسق، ويلعب بالطنبور، فتقدمت فعزّيت وهنيّت، فلم يسألني عن شيء.

ثم خرج عقيد (الخادم) فقال لجعفر: سيّدي قد كفّن أخوك فقم للصلاة عليه فدخل جعفر والشيعة من حوله، فلمّا صرنا بالدار إذا نحن بالحسن بن علي عليهما السلام على نعشه مكفّناً، فتقدم جعفر ليصلّي على أخيه، فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهه سمرة بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبّذ رداء جعفر وقال: تأخّر يا عمّ، فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر وقد اربدّ وجهه، فتقدم الصبي فصلّى عليه، ودفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام.

ثم قال لي: يا بصري هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت في نفسي: هذه اثنتان، وبقي الهميان، ثم خرجت إلى جعفر وهو يزفر، فقال له حاجز الوشّاء-ليقيم عليه الحجة-: يا سيدي، من الصبي؟ فقال: والله ما رأيته قطّ ولا عرفته، فنحن جلوس إذ قدم نفر من قم، فسألوا عن الحسن بن علي عليهما السلام فعرفوا موته، فقالوا: فمن؟

فأشار الناس إلى جعفر فسلّموا عليه وعزّوه وهنّؤه، وقالوا: معنا كتب ومال، فقل ممّن الكتب، وكم المال؟ فقام ينفض أثوابه ويقول: يريدون منّا أن نعلم الغيب !.

قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار، عشرة منها مطليّة، فدفعوا الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأجل ذلك هو الإمام، (والهميان هو ما أشار إليه الإمام العسكري عليه السلام).

ثم دخل جعفر على المعتمد وكشف له ذلك، فوجّه المعتمد خدمه، فقبضوا على صيقل الجارية، وطالبوها بالصبي فأنكرته، وادّعت حملاً بها لتغطّي على حال الصبي، فسلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي(كي يقتل الوليد إذا ولدته).

وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت عن أيديهم[1].

وكان الإمام قد أنبأ وعرّف أمّه بوفاته وما سيقع بعد وفاته.

ففي رواية عن أحمد بن اسحاق أنه قال: دخلت يوماً على أبي محمد عليه السلام فقال لي: يا أحمد، ما كان حالكم في ما كان الناس فيه من الشك والإرتياب؟ (يريد بصدد القائم بعده) قلت: لمّا ورد الكتاب بخبر مولد سيدنا عليه السلام لم يبق منا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم إلا قال بالحق، فقال عليه السلام: أما علمتم أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله تعالى.

ثم أمر أبو محمد عليه السلام والدته بالحج في سنة تسع وخمسين ومئتين، وعرّفها ما يناله في سنة ستين، وما يقع بعد وفاته من فتن،ثم سلّم الإسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم الصاحب عليه السلام، وخرجت أم أبي محمد إلى مكة، وقبض الإمام عليه السلام...[2].

وأنبأ أيضاً عن سنة وفاته وتفرّق شيعته، فقال عليه السلام: في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي، وفيها قبض أبو محمد عليه السلام، وتفرّقت شيعته وأنصاره، فمنهم من انتهى إلى جعفر، ومنهم من أتاه وشك، ومنهم من وقف على الحيرة، ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل[3].

هذا وقد توفّي الإمام العسكري عليه السلام شهيداً على أثر سمّ دسّه إليه المعتمد، وذلك في سنة ٢٦٠هـ في أوائل شهر ربيع الأول،وله من العمر ثمان وعشرون سنة، وقيل تسع وعشرون.

وكان من أثر السم على وجود الإمام عليه السلام أن ألقى الرعشة عليه بحيث لم يتماسك على قبض الشيء بيده.

قال الراوي دخلت على أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام في المرضة التي مات فيها، وأنا عنده إذ قال لخادمه عقيد، وكان الخادم أسوداً نوبياً قد خدم من قبله علي

---

(١) أنظر كمال الدين للصدوق: ٤٧٤-٤٧٦، وعنه في البحار٥٠: ٣٣٦، الثاقب في المناقب: ٦٠٨.

(٢) عيون المعجزات: ١٢٦، وعنه في البحار٥٠: ٣٣٥.

(٣) كفاية الأثر: ٣٣٦، وعنه في البحار٥٠: ٣٣٤،كمال الدين: ٤٠٨.

بن محمد عليه السلام وهو ربيّ الحسن عليه السلام، قال له: يا عقيد، أغل لي الماء بمصطكي فأُغلي له، ثم جاءت به صيقل الجارية أمّ الخلف عليه السلام، فلمّا صار القدح في يديه وهمّ بشربه جعلت يده ترتعد حتى ضرب القدح ثنايا الحسن عليه السلام فتركه من يده، وقال لعقيد: أدخل البيت فإنك ترى صبياً ساجداً فائتني به، قال أبو سهل -راوي الحديث-: قال عقيد: فدخلت أتحرّى فإذا أنا بصبي ساجد سبّابته نحو السماء، فسلّمت عليه، فأوجز في صلاته، فقلت: إنّ سيدي يأمرك بالخروج إليه، إذ جاءت أمّه صيقل، فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام قال: فلمّا مثُل الصبي بين يديه سلّم وإذا هو دُرّيّ اللون، وفي شعر رأسه قطط، مفلّج الأسنان.

فلّما رآه الحسن عليه السلام بكى وقال: يا سيّد أهل بيته، إسقني الماء فإني ذاهب إلى ربي، وأخذ الصبي القدح المغليّ بالمصطكي بيده، ثم حرّك شفتيه، ثم سقاه، فلمّا شربه قال: هيّئوني للصلاة، فطرح في حجره منديل فوضّأه الصبي واحدة واحدة ومسح على رأسه وقدميه، فقال له أبو محمد عليه السلام: أبشر يا بُنيّ، فأنت صاحب الزمان، وأنت المهدي، وأنت حجة الله على أرضه وأنت ولدي ووصيي، وأنا ولّدتك، وأنت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ولّدك رسول الله صلى الله عليه وآله وأنت خاتم الأئمة الطاهرين، وبشّر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسمّاك وكنّاك عهد عهده إليّ أبي عن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل بيت ربنا إنه حميد مجيد، ومات الحسن بن علي عليه السلام من وقته[1].

ولما دفن الإمام عليه السلام وتفرّق الناس، اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وذلك أنّ السلطان كان قد بلغه أن ابناً للإمام الحسن عليه السلام سيولد وسيستولي على العالم، يكون على يديه انقراض دولة الباطل، ولم يزل الذين وُكلّوا بحفظ الجارية التي توهّموا عليها الحمل ملازمين لها سنتين وأكثر حتى تبيّن لهم بطلان الحبل، ثم أقبلوا على قسمة ميراثه عليه السلام بين أمه وأخيه جعفر الكذاب، وادّعت أمّه وصيّته وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده...[2].

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٧٢، وعنه في البحار٥٢: ١٦.

(٢) كمال الدين: ٤٢ قطعة من رواية سعد بن عبد الله، وعنه في البحار٥٠: ٣٢٩.

الإنباء عن صاحب الزنج وخراب البصرة

تقدم ذكر صاحب الزنج في الحديث السابق، وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عنه- بعد ما رجع من الإسراء- في حديث طويل أخبر فيه عن أوصيائه وخلفائه الإثني عشر والملاحم وما سيكون بعده من الفتن وعلائم الظهور، وفيه: «... وآخر رجل منهم يصلّي خلفه عيسى ابن مريم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، أُنجي به من الهلكة، وأهدي به من الضلالة، وأبرئ به من العمى، وأشفي به المريض، فقلت: إلهي وسيدي متى يكون ذلك؟ فأوحى الله جلّ وعزّ: يكون ذلك إذا رفع العلم وظهر الجهل، وكثر القراء وقلّ العمل وكثر القتل، وقلّ الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة والخونة وكثر الشعراء، واتّخذ أمتك قبورهم مساجد وحُلّيت المصاحف وزخرفت المساجد، وكثر الجور والفساد وظهر المنكر وأمر أمتك به ونهوا عن المعروف، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، وصارت الأمراء كفرة وأولياؤهم فجرة وأعوانهم ظلمة وذوو الرأي منهم فسقة.

وعند ذلك ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخراب بالبصرة على يد رجل من ذريتك يتبعه الزنوج، وخروج رجل من ولد الحسين بن عليّ، وظهور الدجال، يخرج بالمشرق من سجستان، وظهور السفياني.

فقلت إلهي ومتى يكون بعدي من الفتن؟ فأوحى الله إليّ وأخبرني ببلاء بني أمية وفتنة ولد عمّي وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، فأوصيت بذلك ابن عمّي حين هبطت إلى الأرض وأدّيت الرسالة، ولله الحمد على ذلك كما حمده النبيون وكما حمده كل شيء قبلي وما هو خالقه إلى يوم القيامة»[1].

وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له يُخبر عن الملاحم بالبصرة، فقال:... فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله لا رهج له ولا حَسّ...[2].

---

(١) كمال الدين: ٢٥١، وعنه في البحار ٥١: ٧٠و٥٢: ٢٧٨.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٩٦. الرهج: الغبار الحَس: الصوت.

وفي كلام لهعليه السلام قال: يا أحنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل، يثيرون الارض بأقدامهم كأنها أقدام النعام، ثم قال: ويل لسككم العامرة... من أولئك الذين لا يندب قتيلهم ولا يفقد غائبهم...[1].

وكان من أمر صاحب الزنج أن ادّعى كونه علوياً من أبناء محمد بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن عليّ بن الحسين وجمع الزنوج الذين كانوا يكبسون السباخ (أي يعملون في الملح الذي في الأراضي الملحة) في نواحي البصرة وخرج بهم على المهتدي العباسي في سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦، فاستولى على البصرة وقتل فيها كل من عثر عليه وقليل من فلت منهم، وخرّب ديارها وأسواقها ومساجدها، واستفحل أمره وانتشر أصحابه في البلاد للسلب والنهب وسفك الدماء واستولى على عبادان، ثم كانت بينه وبين الموفق في زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز بعد محاصرة شديدة لها، وقتله الموفق العباسي وفرح الناس بقتله، وذلك في سنة ٢٧٠.

هذا وقد تبرء أبو محمد الحسن العسكريعليه السلام منه في جواب من كاتبه فيه، فقال: صاحب الزنج ليس منا[2]، وقال ابن أبي الحديد: إنّ أكثر الناس يقدحون في نسبه، وذكر أكثر النسابين أنه من عبد القيس، وأنه عليّ بن محمد بن عبد الرحيم، وأمه أسدية من خزيمة[3].

بيد أني أقول: إذا ثبت انطباق نبوءة رسول اللهصلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنينعليه السلام عليه فلا داعي للاستبعاد في نسبه والقدح فيه لشدّة قساوته، حيث إنّ الامام العسكريعليه السلام قد تبرء منه ونفاه كما نفى القرآن ابن نوح عن أبيه.

وحيث بلغ الكلام عن الحجة المنتظر وإمامته وتبشير النبيصلى الله عليه وآله به-كما

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٢٥ البحار ٣٢: ٢٤٨و ٤١: ٣٣٣.اللجب: الصياح، قعقعة لجم: صوت لجام الخيل عندما يضطرب بين أسنانها. الحمحمة: صوت أقل من الصهيل.

(٢) كشف الغمة ٣: ٣٠٥، مناقب آل أبي طالب ٣: ٥٢٩، البحار ٥٠: ٢٩٣.

(٣) أنظر شرح النهج ٨: ١٢٦، البحار ٥١: ٧٠

تقدم عن الإمام العسكري وحديث المعراج آنفاً-فلنغلق هذا الملفّ، ونستعرض لملفّ مهم بالذات، وهو موضوع الإمام المهدي-عجل الله تعالى فرجه الشريف-الذي قد بشّر الله به أوليائه ووعدهم أن يظهره، وينتقم به لهم من الظالمين ويطهّر الأرض منهم ويملأها عدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وقد بشّرت به الأنبياء والمرسلون وكثير من المتنبئين الإلهيين، ومن أشرفهم سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ وأوصياؤه المعصومون واحد بعد واحد، ومن حيث إنّ المجال لا يسعنا أن نستعرض لهذا المهم من جميع أبعاده ومفاصلاته، فنكتفي بتسليط الضوء على ما ورد في هذا الصعيد من النبوءات النبوية، ونعتذر من درج سائر ما ورد فيه إلا ما ألجئتنا إليه الضرورة والمناسبة.

علماً بأنا قدّمنا نبذة منها في باب النص على الأئمة الإثني عشر والخلافة الإسلامية وبعض المناسبات الأخرى، فلا نكررها هنا.

الفصل السابع

في ما ورد من الإنباءفي الحجة الثاني عشر عليه السلام وعلائم ظهوره وما يحدث في عصر الظهور والرجعة

ما ورد من الإنباء في الحجة المنتظر عليه السلام

هذه الأخبار تنقسم بحسب مداليلها وحين تحققها على أقسام.

فقسم منها يستعرض لمسألة غيبة الإمام عليه السلام وأنه سرّ إلهي نابع عن حكم ومصالح ربانية قد أشارت الأحاديث إلى بعض تلك المصالح والأسرار وليست بعلة تامة، وقد تناولت الإلماح عن طول غيبته عليه السلام، وشدّة الأسى والظمى والتمحيص والغربلة التي لا ينجو منها إلاّ من شملته العناية الإلهية.

وقسم يستعرض الحثّ على انتظاره وفضيلته، ومقام المنتظر لظهوره عليه السلام.

وقسم يستعرض علائم ظهوره، والأحداث الواقعة قبله،وفساد أهل الزمان وانحراف الاتجاهات الخارجة عن الإسلام، وما يتبعه من الخلفيات.

وقسم يستعرض الأمور التي تقع في ظهور دولة الحق من إقامة العدل واجتثاث الباطل وظهور البركات وانتشارها، وتحقق السلام الحقيقي الشامل في جميع العالم.

وقسم يستعرض لمسألة الرجعة وما فيها من المفاصلات.

ونحن الآن نستعرض لهذه الأمور على حسب التقسيمات المذكورة.

وحيث إنّ بعض الأخبار مفصّلة جامعة لما تقدم من الأمور، فنذكر نبذة منها أولاً، ثم نشرع في التقسيمات.

فمنها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن حديث عن النبي صلى الله عليه وآله نص فيه على إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام ونجاة من اتبعهم وهلاك من خالفهم، وفضلهم على من سواهم، فقال صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ أنت مني وأنا منك وأنت أخي ووزيري، فإذا متُّ ظهرت لك ضغائن في صدور قوم، وستكون بعدي فتنة صمّاء صيلم**[1]**، يسقط فيها كل وليجة وبطانة، وذلك عند فقدان شيعتك الخامس من ولد السابع من ولدك، تحزن لفقده أهل الأرض والسماء، فكم من مؤمن ومؤمنة متأسف متلهّف حيران عند فقده**» ثم أطرق مليا ثم رفع رأسه وقال:

---

(١) صماء صيلم: داهية شديدة مستأصلة،وليجة: الخاصة، بطانة: صاحب السر، أي يزلّ فيها حتى الخواص من الشيعة.

«بأبي وأمي سميّ وشبيهي وشبيه موسى بن عمران[1]، عليه جيوب النور-أو قال: جلابيب النور- يتوقد من شعاع القدس، كأني بهم آيس ما كانوا، نودي بنداء يسمعه من البعد كما يسمعه من القرب، يكون رحمة على المؤمنين وعذاباً على المنافقين»،قال عليه السلام: قلت وما ذاك النداء؟ قال: «ثلاثة أصوات في رجب، أولها، ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني: أزفت الآزفة والثالث: يرون بدناً بارزاً مع قرن الشمس، ينادي: ألا إنّ الله قد بعث فلان بن فلان حتى ينسبه إلى علي عليه السلام فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج، ويشفي الله صدورهم، ويذهب غيظ قلوبهم» قلت: يا رسول الله، فكم يكون بعدي من الأئمة؟ قال: «بعد الحسين تسعة التاسع قائمهم»[2].

وفي حديث روي عن علي عليه السلام بطريقين أنه قال: كنت عند النبي ﷺ في بيت أم سلمة إذ دخل عليه جماعة من أصحابه منهم سلمان وأبوذر والمقداد وعبد الرحمان بن عوف فقال له سلمان: يا رسول الله؛ إنّ لكل نبيٍّ وصيّاً وسبطين، فمن وصيك وسبطاك؟ فأطرق ساعة ثم قال: «يا سلمان إنّ الله بعث أربعة آلاف نبي وكان لهم أربعة آلاف وصي وثمانية آلاف سبط، فوَالذي نفسي بيده لأنا خير الأنبياء ووصيي خير الأوصياء وسبطاي خير الأسباط...».

ثم ذكر ﷺ أسماء أوصياء الأنبياء...فقال عليٌّ عليه السلام: فقلت يا رسول الله، فهل بينهم أنبياء وأوصياء أُخَر؟ قال: «نعم أكثر من أن تحصى» ثم قال: «وأنا أدفعها إليك يا عليّ، وأنت تدفعها إلى ابنك الحسن، والحسن يدفعها إلى أخيه الحسين، والحسين يدفعها إلى ابنه عليّ، وعليٌّ يدفعها إلى ابنه محمد، ومحمد يدفعها إلى ابنه جعفر وجعفر يدفعها إلى ابنه موسى وموسى يدفعها إلى ابنه عليّ وعليٌّ يدفعها إلى ابنه محمد ومحمد يدفعها إلى ابنه عليّ، وعليٌّ يدفعها إلى ابنه الحسن، والحسن يدفعها إلى ابنه القائم، ثم يغيب عنهم إمامهم ما شاء الله،وتكون له غيبتان إحداهما أطول من الأخرى» ثم التفت إلينا رسول

---

(١) لأنه عليه السلام فيه شبه من الأنبياء، أمّا موسى فخفاء المولد والخوف من القتل، والغيبة عن شيعته- كما ورد في المرويات عن أهل البيت عليهم السلام، وتقدم منا منها في باب تكرار التاريخ.

(٢) كفاية الأثر: ٢١، البحار٣٦: ٣٣٨.

الله صلى الله عليه وآله فقال رافعاً صوته: «الحذر الحذر إذا فقد الخامس من ولد السابع من ولدي»، قال عليٌّ عليه السلام: فقلت يا رسول الله، فما يكون في هذه الغيبة حاله؟ قال: «يصبر حتى يأذن الله له بالخروج، فيخرج من اليمن من قرية يقال لها كرعة، على رأسه عمامة، متدرّع بدرعَي متقلّد بسيفي ذي الفقار، ومناد ينادي:هذا المهدي خليفة الله فاتّبعوه، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وذلك عند ما تصير الدنيا هرجاً ومرجاً، ويغار بعضهم على بعض، فلا الكبير يرحم الصغير، ولا القوي يرحم الضعيف، فحينئذ يأذن الله له بالخروج»[1].

وفي حديث طويل بالاسناد عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن الحسين بن عليّ عليهم السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبَيّ بن كعب، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين» فقال له أُبيّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟ فقال: «يا أُبيّ والذي بعثني بالحق نبيّاً إنّ الحسين بن عليّ في السماء أكبر منه في الأرض، فإنه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح هدىً وسفينة نجاة وإمام غير وهن وعزٌّ وفخرٌ وبحرٌ وعلمٌ وذخرٌ، وإنّ الله عز وجل ركّب في صلبه نطفة طيبة مباركة زكية...»وذكر النبي صلى الله عليه وآله دعوة الحسين عليه السلام الخاصة به، ثم سأل أُبيّ عن النطفة التي في صلب الحسين عليه السلام، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله في بيان وصف تلك النطفة وهي نطفة عليّ بن الحسين عليه السلام، ثم انعقاد نطفة واحد واحد من الأئمة ومواصفاتها وما يخصهم من الدعاء...إلى أن قال: «وإنّ الله تبارك وتعالى ركّبَ في صلب الحسين نطفة مباركة زكية طيبة طاهرة مطهّرة، يرضى بها كل مؤمن ممّن قد أخذ الله عليه ميثاقه في الولاية، ويكفر بها كل جاحد، فهو إمامٌ تقيٌ نقيٌ سارٌ مرضيٌ هاد مهدي يحكم بالعدل ويأمر به يصدّق الله عز وجل ويصدّقه الله في قوله يخرج من تهامة حين تظهر الدلائل والعلامات، وله كنوز لا ذهب ولا فضة إلا خيول مطهّمة ورجال مسوّمة، يجمع الله له من أقاصي البلاد على عدد أهل بدر، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، معه صحيفة مختومة فيها عدد أصحابه بأسمائهم، وأنسابهم وبلدانهم وطبائعهم، وحلاهم وكناهم، كدّادون مجدّون في طاعته».

---

(١) كفاية الأثر: ١٩-٢٠، البحار ٣٦: ٣٣٣-٣٣٥.

فقال أُبيّ: وما دلائله وعلاماته يا رسول الله؟ قال: «له علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه، وأنطقه الله ﷻ فناداه العلم: أخرج يا ولي الله فاقتل أعداء الله، وله رايتان وعلامتان، وله سيف مغمدٌ فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله ﷻ فناداه السيف: أُخرج يا ولي الله فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله، يخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يسرته وسوف تذكرون ما أقول لكم ولو بعد حين، وأفوض أمري إلى الله ﷻ».

يا أُبيّ طوبى لمن أحبه وطوبى لمن لقيه وطوبى لمن قال به، به ينجّيهم الله من الهلكة، وبالإقرار بالله وبرسول الله وبجميع الأئمة، يفتح الله لهم الجنة، مثلهم في الأرض كمثل المسك الذي يسطع ريحه فلا يتغير أبداً، ومثلهم في السماء كمثل القمر المنير الذي لا يُطفأ نوره أبداً» قال أُبيّ: يا رسول الله كيف بيان حال هؤلاء الأئمة عن الله ﷻ؟ قال: «إنّ الله ﷻ أنزل عليّ اثنتي عشر صحيفة اسم كل إمام على خاتمه، وصفته في صحيفته»[1].

وفي خطبته ﷺ في غدير خم بعد ما أمر الناس على مبايعة عليٍّ ﷺ بإمرة المؤمنين وبلّغهم ما ورد من الله في فضله وخلافته ونهاهم عن مخالفته، عرّفهم بأوصيائه من بعد عليٍّ ﷺ فذكر صفات آخر أوصيائه، المهدي من الأئمة ﷺ فقال: «معاشر الناس إني نبي وعليٌّ وصيي ألا إنّ خاتم الأئمة منا القائم المهدي ألا إنه الظاهر على الدين، ألا إنه المنتقم من الظالمين، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها، ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك ألا إنه المدرك بكل ثار لأولياء الله ﷻ ألا إنه الناصر لدين الله ألا إنه الغرّاف من بحر عميق، ألا إنّه قسيم كل ذي فضل بفضله وكل ذي جهل بجهله، ألا إنه خيرة الله ومختاره، ألا إنه وارث كل علم والمحيط به، ألا إنه المخبر عن ربّه ﷻ والمنبّه بأمر إيمانه، ألا إنه الرشيد السديد، ألا إنه المفوض إليه، ألا إنه قد بشّر به من سلف بين يديه، ألا إنه الباقي حجة ولا حجة بعده، ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده، ألا إنه لا غالب له ولا منصور

---

(١) كمال الدين: ١٥٤-١٥٧، عيون الأخبار: ٣٥-٣٨، البحار٣٦: ٢٠.

عليه، ألا وإنه ولي الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته...»[١].

ما ورد في غيبته عليه السلام

جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي إسمه إسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[٢].وقريب منه ما رواه أبو بصير عن الصادق عليه السلام[٣].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام إمام أمتي وخليفتي عليها من بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر» فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: «إي وربي وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، يا جابر إنّ هذا الأمر [أمرٌ] من أمر الله وسرٌّ من سرّ الله، مطويٌّ عن عباد الله فإياك والشك فيه، فإنّ الشك في أمر الله كفر»[٤].

وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لابدّ للغلام من غيبة» فقيل له: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «يخاف القتل»[٥].

وفي علة غيبة المهدي عليه السلام جاء عن الصادق عليه السلام أنه قال: إنّ لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها يرتاب فيها كل مبطل، قال الراوي: فقلت له: ولِمَ جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لا ينكشف

---

(١) الاحتجاج١: ٨٠، وعنه في البحار٣٧: ٢١٣.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٦.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٦.

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٨٨.

(٥) علل الشرائع١: ٢٣٤، البحار٥٢: ٩٠.

وجه الحكمة لما أتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار؛ لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما، يا ابن الفضل إنّ هذا الأمر أمرٌ من أمر الله، وسرٌ من سرّ الله، وغيبٌ من غيب الله، ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم، صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف[1].

وفي هذا البيان أراد الإمام عليه السلام أن يربّي شيعته ويُرَيّضهم للتسليم لأوامر الله وأفعاله، فإنهم متى ما أقرّوا بأنه تعالى حكيم عليم اجتنبوا عن البحث في أمور لم تبْدَ لهم، وإن كان وجهه غير منكشف، وهذه الصفة إن حصلت عند الإنسان سهل عليه امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأمن من بروز الشك والارتياب ورسخ الإيمان في قلبه.

ومن ثمّ قال الإمام الحجة عليه السلام في توقيع صدر منه على يد محمد بن عثمان لإسحاق بن يعقوب: وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإنّ الله عز وجل يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأمّا وجه الإنتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأبصار السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عمّا لا يعنيكم، ولا تتكلّفوا على ما قد كفيتم، وأكثروا الدّعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى[2].

فترى الإمام عليه السلام ضمن الإلماح عن أحد الأسرار في غيبته حثّ الشيعة على ترك السؤال عمّا لا يُعنيهم، وأمرهم بمداومة الدعاء لتعجيل الفرج لما فيه من الفوائد والآثار الفردية والاجتماعية، وبيّن بأنّ غيبته عنهم لا تعني انقطاع الفيوضات الإلهية التي لا ينالوها إلا بسبب الحجة، لأنّ الحجج هم العلل الغائية لإيجاد الخلق، فلولاهم لما اتصل نور الوجود إلى غيرهم، ولولاهم لما رُزق الورى وما ثبتت الأرض والسماء، ولنزل العذاب بأهل الأرض لكثرة المعاصي،

---

(١) علل الشرائع١: ٢٤٦، كمال الدين: ٤٨٢، وعنهما في البحار٥٢: ٩١.

(٢) كمال الدين: ٤٨٥، غيبة الطوسي: ٢٩٢، البحار٥٢: ٩٢، والآية في سورة المائدة ١٠١.

فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[1]، فبركتهم وبسبب الاستشفاع والتوسل بهم رُفع العذاب وانكشف البلاء واستضاء العباد بنور العلم والمعرفة وبانت لهم الأمور الصعبة.

على أنّ في تشبيه انتفاع الناس من الإمام بانتفاعهم من الشمس خلف السحاب، إشارات وطُرَف ظريفة، وردت في كتب الأعلام، منها ما ذكره المجلسي رحمه الله في البحار٥١: ٩٣، إن أحببت الإطلاع عليها فراجع.

وقد سُئل النبي صلى الله عليه وآله عن كيفية انتفاع الناس بالإمام في غيبته كما سُئل أوصيائه من بعده، فكان جوابه نفس الجواب، كما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله: هل ينتفع الشيعة بالقائم عليه السلام في غيبته؟ فقال صلى الله عليه وآله: **«إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جلّلها السحاب»**[2]،ثم إنّ معنى الغيبة، هو صرف عدم المشاهدة، واختفاء شخصه عن الأنظار، لا غير، فإنه عليه السلام -كما روي- يحضر في الحج وسائر المشاهد، يرانا ويسمع كلامنا ويردّ سلامنا، ونحن محجوبون عن رؤيته وسماع كلامه[3]، نعم قد تقتضي المصلحة الإلهية والحكمة الربانية،بأن يؤذن للبعض في رؤيته، وطالما رآه الكثير وهم لا يعرفونه، وهذا كله يؤل أمره إلى قدرة الله والإعجاز.

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) كمال الدين: ٢٥٣، وعنه في البحار٥٢: ٩٢.

(٣) فقد قال الصادق عليه السلام: الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته. وعنه عليه السلام قال: يفقد الناس إمامهم فيشهد الموسم فيراهم ولا يرونه. وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ للقائم غيبتين يرجع في إحداهما والأخرى لا يُدرى أين هو؟ يشهد المواسم، يرى الناس ولا يرونه،(غيبة النعماني: ٩٠، البحار٥٢: ١٥٦).

ولعل المراد برجوعه، رجوعه إلى خواص مواليه وسفرائه أو وصول خبره إلى الناس.

ولدفع الشبهة في رؤية الإمام للناس وعدم رؤيتهم إيّاه ورد عن الصادق عليه السلام تشبيه الإمام والناس بيوسف وإخوته لما وردوا مصر فعرفهم ولم يعرفوه حتى عرّف نفسه... فقال: فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، أن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حتى قال له إخوته: ﴿ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ ﴾، (الكافي١: ٣٣٧، غيبة النعماني: ٨٤، البحار٥٢: ١٥٤).

وقد وقعت غيبته عليه السلام في مرحلتين، ففي المرحلة الأولى -وهي الغيبة الصغرى-،كان اختفائه عليه السلام عن عامة الناس سيما الأعداء، وكان ارتباط الناس بالإمام ومراسلاتهم له عن طريق الوكلاء الأربعة الخواص، وبعد انتهاء أمدهم ووفاتهم،بدأت الغيبة الكبرى وانقطع طريق الارتباط به عليه السلام، وسُمّيت بالكبرى لطول أمدها وعدم تعيين وقتٍ لها، وفي الحقيقة أنّ احتجاب الأئمة عن الشيعة قدبدء في عهد العسكريين عليهما السلام، فكان الهادي عليه السلام قد احتجب عن شيعته بسرّ من رأى وابتعد عنهم، وكان اتصال الشيعة به نادراً مع المجازفة، وازداد الأمر في الحسن بن علي عليه السلام إلى أن اتصل الأمر بالحجة بن الحسن فكانت الغيبة الصغرى ثم الكبرى، ولعل هذا التدرّج في الاحتجاب لأجل أن ترتاض الشيعة على غيبة الامام المهدي عليه السلام ولا تنصدم به دفعة.

علماً بأنّ أحد الحكم في غيبته عليه السلام هو الامتحان والتمحيص وتربية العباد على التمسك بالدين مع فقد الإمام عليه السلام الذي اقتضت حكمة الله أن يكون الأجر والثواب بحسب الامتحان والابتلاء والصبر على اللأواء، كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾، ففي ذيلها قال الإمام عليه السلام: يفتنون كما يُفتن الذهب،ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب[1]، وقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[2]، وعلى هذا الضوء يمتاز المؤمن من المنافق والصابر من غيره.

وقد وردت في هذا المجال أحاديث كثيرة، منها ما تعبّر عن عظم البلاء وشدة الامتحان وقلة من ينجو، كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:...فوالذي نفسي بيده ما ترون ما تحبّون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض وحتى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتى لا يبقى منكم -أو قال: من شيعتي- إلا كالكحل في العين والملح في الطعام، وسأضرب لكم مثلاً وهو مثل رجل كان له طعام،

---

(١) الكافي١: ٣٧٠، وعنه البحار٥٢: ١١٥، غيبة النعماني: ٢٠٢، والآية في سورة العنكبوت: ٢.

(٢) البقرة: ١٥٥ – ١٥٧.

فنقّاه وطيّبه، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس فأخرجه ونقّاه وطيّبه، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصاب طائفة منه السوس، فأخرجه ونقّاه وطيّبه وأعاده، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر لا يضرّه السوس شيئاً، وكذلك أنتم تميّزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا تضرّها الفتنة شيئاً[1].

وقال الباقر عليه السلام: لتمحصنّ ياشيعة آل محمد كتمحيص الكحل في العين، وإنّ صاحب العين يدري متى يقع الكحل في عينه ولا يعلم متى يخرج منها، وكذلك يصبح الرجل على شريعة من أمرنا، ويمسي وقد خرج منها[2].

وقال عليه السلام: لاتزالون تنتظرون حتى تكونوا كالعز المهولة التي لا يبالي الجازر أين يضع يده منها، ليس لكم شرف تشرفونه ولاسند تسندون إليه أموركم[3].

وجاء عن الصادق عليه السلام أنه قال: والله لتكسّرنّ تكسّر الزجاج، وإنّ الزجاج ليعاد فيعود كما كان، والله لتكسرنّ تكسّر الفخار فإنّ الفخار ليتكسّر فلا يعود كما كان، والله لتغربلنّ، والله لتميزنّ، والله لتمحصنّ حتى لا يبقى إلا الأقل، وصغّر كفّه[4].

وفي حديث سأل مهزم الصادق عليه السلام: متى هذا الأمر الذي تنتظرونه؟ فقد طال علينا، فقال: يا مهزم كذب الوقّاتون، وهلك المستعجلون ونجا المسلّمون وإلينا يصيرون[5].

وقال الصادق عليه السلام لبعض شيعته: يا منصور إنّ هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس، لا والله حتى تميّزوا، لا والله حتى تمحّصوا، لا والله حتى يشقى من يشقى، ويسعد من يسعد[6].

---

(١) غيبة النعماني: ٢١٠، البحار٥١: ١١٦.

(٢) غيبة الطوسي: ٣٣٩، غيبة النعماني: ٢٠٧، البحار٥٢: ١٠١.

(٣) غيبة النعماني: ١٩٣، ومثله في روضة الكافي: ٢٦٣، البحار٥٢: ١١٠.

(٤) غيبة الطوسي: ٣٣٩، غيبة النعماني: ٢٠٧ ح١٣، البحار٥٢: ١٠١.

(٥) الكافي ١: ٣٦٨، غيبة الطوسي: ٣٣٩، البحار٥٢: ١٠٣، غيبة النعماني: ١٩٨.

(٦) كمال الدين: ٣٤٦، وعنه في البحار ٥٢: ١١١، ونحوه في الكافي١: ٣٧٠،غيبة النعماني: ٢٠٩.

وفي رواية عن الكاظم عليه السلام: إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمة فالله في أديانكم لا يزيلنّكم عنها أحدٌ يا بَنيّ إنه لابدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنة من الله امتحن الله بها خلقه...[1].

وفي رواية عن الرضا عليه السلام: والله ما يكون ما تمدّون أعينكم إليه حتى تمحصّوا وتميّزوا وحتى لا يبقى منكم إلا الأندر فالأندر، وفي لفظ عن الباقر: حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو[2].

الإنباء عن المنتظرين وفضلهم

ولأجل شدّة الامتحان وصعوبة حفظ الدين والأخطار التي يعانيها المؤمنون في زمن الغيبة نجد أنّ الله سبحانه جعل لهم أجراً وثواباً ومقاماً عظيماً، وفضّلهم على غيرهم من المؤمنين المهاجرين والأنصار والتابعين المجاهدين في سبيل الله الذين شاهدوا رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام، وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ بمجيئهم ومدحهم مدحاً تعجّب منه الحاضرون، فقال ذات يوم وعنده جمع من أصحابه: «اللهم لقّني إخواني» -مرّتين- فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال: «لا، إنكم أصحابي وإخواني قوم في آخر الزمان آمنوا ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم، من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ تقيّة على دينه من خرط القتاد في الليلة المظلمة، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدّجى، ينجّيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة»[3].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، عن النبي ﷺ قال: «يغيب عنهم الحجة لا يسمّى حتى يظهره الله، فإذا عجّل الله خروجه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» ثم قال: «طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على حجتهم أولئك وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾

---

(١) الكافي ١: ٣٣٦، غيبة الطوسي: ٢١٨، البحار٥٢: ١١٣.

(٢) غيبة النعماني: ٢٠٨، البحار٥٢: ١١٤.

(٣) بصائر الدرجات: ١٠٤، وعنه في البحار٥٢: ١٢٤،الغضى: شجر عظيم جمره يبقى زماناً.

وقال: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

وفي رواية عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «**يا عليّ! واعلم أنّ أعظم الناس يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي وحُجب عنهم الحجة، فآمنوا بسواد في بياض**»[٢].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم**» قالوا: يا رسول الله نحن كنّا معك ببدر وأحد وحنين، ونزل فينا القرآن، فقال: «**إنكم لو تُحمّلوا لما حُمّلوا لم تصبروا صبرهم**»[٣].

وبهذه الأحاديث أسفر النبي عن بعض ما يعانيه الشيعة في زمن الغيبة وبيّن سبب أفضليتهم، ومن ضوئها ينكشف بعض السرّ في أفضلية انتظار الفرج، الذي ورد في كلمات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين كراراً، حيث قال صلى الله عليه وآله: «**أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عز وجل**»[٤].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل انتظار الفرج[٥].

وفي حديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام ينبئ عن امتداد الغيبة وعن سمات المنتظرين وأجرهم، قال لأبي خالد الكابلي: تمتدّ الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة بعده، يا أبا خالد إنّ أهل زمان غيبته، القائلين بإمامته، المنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأنّ الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله بالسيف أولئك المخلصون حقّاً، وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سرّاً

---

(١) البحار٥٢: ١٤٣ عن كفاية الأثر، والآيتين في سورة البقرة: ٣، والمجادلة: ٢٢.

(٢) كمال الدين: ٤٠٥، البحار٥٢: ١٢٥.

(٣) الخرائج والجرائح٣: ١٤٩، غيبة الطوسي: ٤٥٦، البحار ٥: ١٣٠.

(٤) كمال الدين: ٤٠٥، البحار٥٢: ١٢٨.

(٥) الخصال للصدوق: ٦١٦، وعنه في البحار٥٢: ١٢٣.

وجهراً، وقال عليه السلام: إنتظار الفرج من أعظم الفرج[1].

ولعلّ ما تقدم عن الإمام الحجة عليه السلام من قوله: أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإنّ ذلك فرجكم ناظر إلى قوله عليه السلام: (من أعظم الفرج).

لأنّ الدعاء للفرج من أجلى مصاديق الانتظار وفيه من الآثار والفوائد ما يبلغ بها المنتظر أعلى درجات الكمال، ومن فوائده إصلاح كثير من الأمور الفردية والاجتماعية، ولسنا الآن بصدد بيانها، لما فيها من الخروج عن الموضوع، فإنْ شئت التعرّف عليها فراجع كتاب مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله تعالى فرجه، فإنه من أكمل ما أُعدّ في هذا الصعيد من حيث الاستقصاء والاستدلال.

ثم إنّ ما ورد في أفضلية بعض الأعمال العبادية -مثل الصلاة- على غيرها لا تنافي أفضلية الانتظار على سائر العبادات، لأنّ العبادة قد تكون جوارحية مثل الصلاة والصوم والحج والجهاد و...وقد تكون جوانحية، والمتكفل بإتيانها هو القلب، مثل الانتظار والتفكّر والذكر القلبي، والانتظار من قبيل الأعمال الجوانحية، وكما أنّ الروح أهم وأعظم من الجسد فالعبادة التي تصدر من الروح والجوانح أهمّ وأفضل من غيرها، كما تؤيده المرويات في هذا المجال.

علماً بأنّ الأئمة عليهم السلام قد عيّنوا تكاليف شيعتهم وكيفية تعايشهم مع الناس في دولة الظالمين وغيبة الإمام.

فمنها: ما تقدم في مروياتهم في أمر الغيبة والانتظار، من التسليم والصبر وعدم الاستعجال، وانتظار الفرج والدعاء له وعدم التوقيت، وكتمان السرّ.

وفي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: كونوا كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة، لم يفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألسنتكم وأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم[2].

وقد أمروا عليهم السلام شيعتهم بعدم إظهار ما في أجوافهم من دين الحق، وأن

---

(١) الاحتجاج١: ١٧٣، وعنه في البحار٥٢: ١٢٢، كمال الدين: ٣٢٠، إعلام الورى٢: ١٩٦.

(٢) غيبة النعماني: ٢١٠،وعنه في البحار٥٢: ١١٦.قوله: لم تفعل..: أي لم تفعل بها ما تفعل من عدم التعرض.

يستروا ذهبهم وذهابهم ومذهبهم،وأن يكونوا في الناس ولا يكونوا معهم.

وفي حديث طلب أبو الجارود من الباقر عليه السلام أن يوصيه، فقال: أوصيك بتقوى الله وأن تلزم بيتك، وتقعد في دهماء هؤلاء الناس، وإياك والخوارج منا، فإنهم ليسوا على شيء ولا إلى شيء، واعلم أنّ لبني أمية ملكاً لا يستطيع الناس أن تردعه، وأنّ لأهل الحق دولة إذا جاءت ولاّها الله لمن شاء منّا أهل البيت، من أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له، واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً أو تُعزّ ديناً إلا صرعتهم البلية، حتى تقوم عصابة شهدوا بدراً مع رسول الله، لايوارى قتيلهم، ولا يرفع صريعهم، ولا يداوى جريحهم، قلت: من هم؟ قال: الملائكة[1].

ومنها: تحصيل المعرفة، حيث جاء عنهم عليهم السلام الحثّ على تحصيل معرفة الإمام عليه السلام، لما فيها من الثبات والسكينة، فقد سأل فُضَيل بن يسار الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ فقال: يا فضيل، اعرف إمامك، فإنك إذا عرفت إمامك لم يضرّك تقدّم هذا الأمر أو تأخّر، ومن عرف إمامه ثم مات قبل أن يقوم صاحب هذا الأمر كان بمنزلة من كان قاعداً في عسكره، لابل بمنزلة من قعد تحت لوائه[2].

وقد اشتهر عنه صلى الله عليه وآله: من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية[3]، لأنّ عدم عرفان الإمام يؤدي إلى الابتعاد عن الدين ولو تدريجاً، والوقوع في المتاهات، والموت على غير دين، وهو ميتة الجاهلية.

ومنها: توقع الفرج في كل صباح ومساء[4]، لأنّ ظهوره عليه السلام بغتة، وأنه يأتي على حين غفلة من الناس، ويصلح الله أمره في ليلة[5]، فقد قال الله عز وجل: ﴿ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴾، ولهذا الأصل لا يصح

---

(١) غيبة النعماني: ١٩٤، البحار٥٢: ١٣٦، وتجد هذه المضامين في أحاديث أخرى أيضاً.

(٢) الكافي١: ٣٧١، غيبة النعماني: ٣٢٩، البحار٥٢: ١٤١، والآية في سورة الأسراء: ٧١.

(٣) كمال الدين: ٤٠٩، وعنه في البحار٥١: ١٦٠، الكافي١: ٣٧٧، وفيه...لا يعرف إمامه... .

(٤) كما قال الصادق عليه السلام: ...فعندها فتوقعوا الفرج كلّ صباح ومساء،(كمال الدين: ٣٣٩).

(٥) كما قال صلى الله عليه وآله: «المهدي منا أهل البيت يصلح الله له أمره في ليلة» (كمال الدين: ١٥٢).

تعيين وقت لظهوره بعيداً كان أو قريباً، بل لابدّ أن يأمل فضل الله بأن يجعله قريباً، إذ ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ونظراً لما نأمل منه تعالى وقدرته الواسعة نقول: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾[1]، -كما ورد في دعاء العهد-.

علائم الظهور والأحداث الممهّدة

نعم هناك علامات وأشراط وأحداث يمهّد تحققها ظهور المصلح عليه السلام، بعضها حتمية وبعضها غير محتومة، والمحتومة بعضها متاخمة للظهور وبعضها متقدمة عليه، وأمّا الأحداث فبعضها تسفر عن بروز تغييرات كونية وبيئويّة، وبعضها تسفر عن اتجاه المجتمع نحو الانحراف عن الدين الحقيقي، بحيث لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه، والفساد والانحطاط الشامل والظلم الوافر وسفك الدماء و...وفي النهاية الهرج والمرج وتدهور الزمان وخروج الايمان من قلوب أكثر الناس.

وكان من معاجز الرسول المصطفى ﷺ أن أنبأ بوقوعها وبيّن جميع خصوصياتها، بحيث لم يحدث شيء في العالم إلا وقد أنبأ الصادق المصدّق عن وقوعه، ومن بعده باب علمه ووارثه أمير المؤمنين عليه السلام، وأبناؤه المعصومون عليهم السلام، فنرى قاطبتها قد تحققت إلا ما شذّ وندر مما أخبروا عنه من العلائم الحتمية المتاخمة لزمن الظهور، وحيث إنّ هذا الموضوع كان من عناوين موسوعة الرسول المصطفى ﷺ، ولأهميته الوافرة، خُصصت له دراسة مستقلة تحت عنوان: العدّ التنازلي في علائم ظهور المهدي آخر أوصياء الرسول المصطفى ﷺ، وقد أنتجت الجهود طبعه وكفاية القارئين الكرام عن تسليط الضوء عليه مرة أخرى، إلا ما ألجئتنا إليه المناسبة والمقام، إذ لاطائل حينئذ في الخوض فيها، فنحيل الباحثين إلى مراجعة ذلك الكتاب.

وقائع الظهور

إنّ من أمعن النظر في أخبار ظهور المصلح وما يحدث بعده يراها متفقة في

---

(١) الآية الأولى في سورة الأعراف :٧١، والثانية هود :٩٣، والثالثة في يس :٨٢، والرابعة في المعارج :٧.

الكليات بنحو يستيقن في تحققها، ومختلفة في بيان الجزئيات والمفاصلات بنحو يصعب تنظيم برنامج ومسيرة زمنية ومكانية وعددية لوقوعها، إذن لا مجال للبتّ فيها بنحو يعلم القارئ-خلال مطالعتها-المبدء والمنتهى وزمان وقوع كل منها وغيرها من الأمور.

ولعل السبب في ذلك أنها من الأمور الغيبية التي اقتضت الحكمة أن لا يبلغ معرفتها إلا من قلّ وندر.

أو لوجود أخبار ضعيفة فيها قد تظافرت بعضها مع بعض في الكليّات والأصول الثابتة وأصبحت مؤيدة للصحاح في تلك الأصول.

أو كليهما، وغيرهما من الاحتمالات، فمن المثل أنه اختلفت الأخبار في مكان ظهور الإمام عليه السلام، هل هو من الكرعة-مدينة باليمن-؟أو من مكة؟ أو من الكوفة؟، واختلفت في من يخرج معه من المدينة إلى مكة حينما يقصده جيش السفياني، ومن هو المنصور الذي يصحبه في ذلك الوقت؟

وفي عدد جيش السفياني الذي تخسف بهم البيداء، ومن ينجو منهم، هل هما واحد أو اثنان أو ثلاث؟، وهل الجيش الذي يدخل المدينة هو نفس الجيش الذي يدخل الكوفة، فيتوجّه إلى المدينة ويفعل بأهلها كما فعل بأهل الكوفة بل أشدّ وأقسى؟ أو هو جيش آخر يتوجّه إليها من الشام؟

وكم عدد أصحاب المهدي عليه السلام الذين يجتمعون عنده في النداء الأول؟ ومن هم؟ وماذا يقول المنادي؟ وهل يتكرر النداء؟ وقس على هذه الأمثلة غيرها.

نعم هناك طريقة استخدمها الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي من الأخبار، وهي عملية الجمع بين الأحاديث وتقريب بعضها مع بعض، بطرح الضعاف وجعل بعضها مبيّنة ومكمّلة لبعضها الآخر بمساعدة الشواهد والقرائن، وبها يبتّ الفقيه في الحكم الشرعي ويفتي به.

غير أنّ أخبار الظهور تختلف عن أدلّة الأحكام، بعدم تحقق مصاديقها، وغموض بعضها، ووجود بعض الرموز والأسرار التي لا يطلع عليها إلا أهلها، فلا يتسنّى البتّ فيها بنحو يساعدنا في تنظيم برنامج زماني ومكاني لتلك الأحداث والعلائم، ورسم صورة ذهنية لها إلا في الجملة.

فقد رأينا بعض من غار فيها وبتّ في تطبيقها وتعيين وقت لتحققها قد آل أمره إلى الفشل، لعدم تحقق ما ادعاه في الوقت الموعود، وطالما طبّق البعض نبذة من الأخبار على أحداث وقعت في فترة وانكشف خلافه بعد فترة أخرى، وهكذا غيرهم من المتنبئين، مثل دامس وأضرابه الذين تنبؤا بأمور صادف تحقق بعضها وكذّب التاريخ كثيراً منها، فمن المثال أنه تنبأ بعضهم عن وقوع تغييرات أساسية في العالم وسقوط الحكومات الظالمة وو.. من الأمور التي ظنّ كثير من الناس انطباقها على علائم ظهور المصلح، وذلك على رأس سنة الألفين، فمدّوا أعناقهم إلى حين تحققها حتى جاءت سنة الألفين ومضى عليها سنوات ولم يتحقق منها شيء.

والأنكى منه هو بروز حالة اليأس والإنكار على كثير من السذّج المستعجلين الذين اعتمدوا على تلك التنبوءات الصادرة من غير أهل بيت الوحي، وهذا اليأس والإنكار هو الذي أنبأ عنه المعصومون، وحذّروا الناس عن الوقوع فيه، بترك الاستعجال والصبر والانتظار، والاجتناب من تعيين الوقت وتكذيب الوقاتين.

وهكذا الأمر في تطبيق وتفسير الأحاديث الواردة بشأن الأحداث والرايات ومن يقوم بها ويقودها وأسمائهم وصفاتهم، أوتطبيق وتفسير بعض أمور وردت في الأحاديث تضعف العقول عن دركها لقلّة إيمانها بقدرة الله تعالى، فأراد البعض تقريبها إلى الأذهان وتطبيقها على ما عليه أهل الزمان من العلم والتقنية العصرية، غافلاً عن تطوّر العلم وازدهاره وتكامل العقول على مرّ الزمان، فيصبح ما قطع به وأوّله خاطئاً فاشلاً، فمن المثال ترى من حاول في تفسير كيفية حضور أصحاب المهدي عليه السلام في مكة بتلك السرعة، بركوبهم الطيارات السريعة، إذ ورد فيهم عنه ﷺ: «**يجمعهم الله تعالى من مشرقها إلى مغربها في أقل مما يتم الرجل عينه عند بيت الله الحرام**»[1]، وورد إنهم المفقودون عن فرشهم، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾ وقد قرّب الامام هذا المعنى

(١) الملاحم لابن طاوس: ١٤٥ ب ٧٩ عن فتن السليلي.

إلى ذهن السامع بقوله: إذا أُذِن الامام دعا الله باسمه، فأُتيحت له أصحابه وهم أصحاب الألوية، فمنهم من يفتقد عن فراشه فيصبح في مكة، ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهاراً[1]، فتراه قد صرف النصّ عن ظاهره وهو السير في السحاب، لعدم تحمّل بعض العقول ذلك، وكان منشأه ضعف الاعتقاد بقدرة الله المطلقة في تدبير الكون، مع أنه تعالى شاء أن يملأ الارض عدلاً وقسطاً ويبدّل الأرض غير الأرض بخرق العادات، على أنّ مسألة السير على السحاب قد حدثت سابقاً لبعض الأولياء في الأمم السالفة وأئمة الحق من هذه الأمة[2]، كما سُخّر لأميرالمؤمنين عليه السلام وبعض الأصحاب، وسيُسخّر أيضاً في عهد الظهور فيطير المؤمنون عليه، وستُسخّر الملائكة أيضاً لهم فيطيرون معهم وعلى أجنحتهم في السماء، كما دلّت عليه الأخبار[3]، وليس بعسير على الله أن يهيّئ لهذا الأمر بعض الاسباب أويخفّف تلك الأبدان ويلطفها بحيث يمكن لها-كغيرها-الطيران في السماء، وقس عليه غيرها من الأمور التي ستحدث في عصر الظهور بما تضعف عن دركها العقول، وقد أدركت فعلاً أموراً لم تكن تدركها سابقاً، وليس هذا إلا لتطوّر العلم وكثرة الاكتشافات والاختراعات، وستدرك أموراً أخرى أيضاً بحيث تنحلّ لها جميع الاشكاليات المبتنية على الأنظار المادية.

علماً بأني لا أقول بعدم إمكان البتّ أبداً، بل أقول: بأنّ الصواب-مع وجود تلك المحاذير-هو الاجتناب من البتّ فيها والتنبؤ على طبقها، وتفويض علمها إلى أولي العلم وخزّانه، وانتظار حين وقوعها وكيفية تحققها، وأن نطلب من القادر المتعال أن يقرّب هذا الأمر ويجعلنا من الذين يدركون ظهور دولة الحق، فنرى تحقق ما وعد الله من النصر.

لأنّ المهم هو الاعتقاد بظهور المهدي عليه السلام وتحقق هذا الأمر بأيّ نحو كان، فالعلم وعدمه بتلك المفاصلات وترتيبها وتطبيقها لا يؤثّر كثرة وقلّة في إيمان من كان مؤمناً به.

---

(١) كمال الدين: ٦٥٤، غيبة النعماني: ٢٦٣، الخرائج والجرائح٣: ١١٢٦.

(٢) سيوافيك ما جاء عن الباقر عليه السلام في هذا الصعيد في ص: ٨٠٠.

(٣) سيوافيك ما جاء عنهم عليهم السلام في هذا الصعيد في ص: ٨١١(تسخير القوى الطبيعية).

ولهذا الأصل رأيت أن أحتذر من الغور في دراستها وصرف الوقت في مناقشتها، بل حاولت تنظيمها على حسب الترتيب الوارد في الأخبار، مقدّماً نبوءات الرسول المصطفىﷺ في كل حادث وردت فيها نبوءة منهﷺ، ثم ما ورد عن الأئمة المعصومين والمبيّنين لما ورد عنه عن الله تعالى، وجعلتها بياناً وتكملة لنبوءاتهﷺ، كي تبلور صورة ذهنية كاملة للقارئين الكرام، ومع ذلك حاولت الاجتناب من سرد جميع ما ورد في هذا الباب مهما أمكن، فما سيوافيك هو نموذج لما سيحدث إن شاء عند ظهور المهديعليه السلام وبعده.

وينبغي التنبيه على أنّا ذكرنا الصيحة السماوية والبيعة مع الإمامعليه السلام والخسف في البيداء، وهكذا مصير السفياني وجيشه من جملة وقائع الظهور، لأنّ تحققها يبدأ على جرّاء حضور الإمام عند الكعبة وصدور الأمر له بالخروج، وأنّ إرسال السفياني جيشه إلى المدينة يكون على أثر اطلاعه عن حركة المهديعليه السلام، ومن ثم لمّا يجدونه قد خرج منها وذهب إلى مكة يقصدونه إلى مكة فيأمر الله البيداء أن تبيد بهم... فيقول الإمامعليه السلام: هي والله العلامة، هنالك يأمر بالزحف وتبدأ مهمته الرّسمية.

وإذا رأيتها قد عُدّت من علامات الظهور فلا منافاة بين كونها علامة وهي مع ذلك من أحداث الظهور.

إنّ الله يصلح أمره في ليلة

وقبل الخوض في ذكر الأحداث يجدر بنا ذكر بعض ما يحدث للإمام ليلة ظهوره، وقد أنبأ الرسول المصطفىﷺ عن ذلك فقال: «**المهدي منا أهل البيت يصلح الله أمره في ليلة**» وفي رواية: «**يصلحه الله في ليلة**»[1].

وفي بيان هذا الخبر ورفع الاستبعاد عنه، قال الصادقعليه السلام لبعض أصحابه: كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإنّ موسى بن عمرانعليه السلام خرج ليقتبس لأهله ناراً فرجع إليهم وهو رسول نبي، فأصلح الله تبارك وتعالى أمر عبده ونبيّه

---

(١) كمال الدين: ١٥٢، الملاحم والفتن لابن طاووس: ٧١ ب ١٥٥.

موسى عليه السلام في ليلة، وهكذا يفعل الله تبارك وتعالى بالقائم الثاني عشر من الأئمة عليهم السلام يصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر نبيه موسى، ويخرجه من الحيرة والغيبة إلى نور الفرج والظهور[1].

وذلك عند ما يلتجئ المهدي عليه السلام إلى البيت، فيصلّي ركعتين في المقام ويدعو الله فيستجيب له دعائه ويصلح له أمره، كما ورد عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾، قال: نزلت في القائم من آل محمد عليهم السلام، هو والله المضطر إذا صلّى في المقام ركعتين ودعا الله فأجابه ويكشف عنه السوء ويجعله خليفة في الأرض[2].

وفي رواية عن الباقر عليه السلام: قال: هو والله المضطر في كتاب الله، وهو قول الله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ... ﴾ وجبرئيل على الميزاب في صورة طائر أبيض، فيكون أول خلق الله مبايعة له، ويبايعه الثلاث مائة وثلاثة عشر، ثم قال: فمن ابتلى في المسير وافاه في تلك الساعة، ومن لم يبتل بالمسير فُقِد من فراشه، ثم قال: هو والله قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: المفقودون عن فُرشهم...[3].

الصيحة السماوية

فينزل عليه جبرئيل وميكائيل ومن معهما من الملائكة فيبشرونه بالفرج، فقد جاء في خبر عن الصادق عليه السلام عن تلك الليلة أنه قال: يظهر وحده ويأتي البيت وحده ويلج الكعبة وحده ويجنّ عليه الليل وحده، فإذا نامت العيون وغسق الليل نزل إليه جبرئيل وميكائيل عليهما السلام والملائكة صفوفاً، فيقول له جبرئيل: يا سيدي قولك مقبول وأمرك جائز، فيمسح عليه السلام يده على وجهه ويقول: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾، ويقف بين الركن والمقام فيصرخ صرخة، فيقول: يا معشر نقبائي وأهل خاصتي

---

(١) كمال الدين: ١٥٢.

(٢) تفسير القمي٢: ١٢٩، والآية في سورة النمل: ٦٢.

(٣) تفسير العياشي٢: ٥٦، وعنه في البحار٥٢: ٣٤١، غيبة النعماني: ٣١٤، وفيه- بدل قول عليٍّ - وهو قول الله عز وجل: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ﴾... .

ومن ذخرهم الله لنصرتي قبل ظهوري على وجه الأرض ائتوني طائعين! فترد صيحته عليهم وهم على محاريبهم وفي فرشهم في شرق الأرض وغربها فيسمعونه في صيحة واحدة في أُذُن كل رجل فيجيئون نحوها ولا يمضي لهم إلا كلمحة بصر حتى يكون كلّهم بين يديه... وذكر شرح مبايعتهم إيّاه[1].

وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن ذلك، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان عند خروج القائم ينادي منادٍ من السماء: أيها الناس قُطِع عنكم مدّة الجبارين وولي الأمر خير أمة محمد فالحقوا بمكة، فيخرج النجباء من مصر والأبدال من الشام وعصائب العراق، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، كأنّ قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام»[2].

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، عنه ﷺ في بيان غيبته عليه السلام وحال الشيعة عند فقده واليأس من ظهوره، قال: «ثم نودي بنداء يُسمع من البُعد كما يسمع من القرب، يكون رحمة على المؤمنين عذاباً على المنافقين»، قلت: وما ذلك النداء؟ قال: «ثلاثة أصوات في رجب، أوّلها ألا لعنة الله على الظالمين، والثاني أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين، والثالث يرون بدناً بارزاً مع قرن الشمس ينادي: ألا إنّ الله قد بعث فلان بن فلان، حتى ينسبه إلى عليٍّ، فيه هلاك الظالمين، فعند ذلك يأتي الفرج ويشفي الله صدورهم ويذهب غيظ قلوبهم...»[3].

وروى الحاكم بسنده عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب مثل التُرس، فما تزال ترتفع في السماء حتى تملأ السماء، ثم ينادي منادٍ يا أيها الناس، فيقبل الناس بعضهم على بعض هل سمعتم؟ فمنهم من يقول: نعم، ومنهم من يشك، ثم ينادي الثانية: يا أيها الناس، فيقول الناس هل سمعتم؟ فيقولون: نعم، ثم ينادي الثالثة: أتى أمر الله فلا

---

(١) مختصر البصائر: ١٨٣، البحار٥٣: ٧، الهداية الكبرى: ٣٩٦، الآية في سورة الزمر: ٧٤، الظاهر من الأخبار هو تعدّد الصيحة والنداء زماناً ومضموناً، وانّ هذه الصحيحة خاصة بأصحابه.

(٢) الاختصاص للمفيد: ٢٠٨، وعنه في البحار٥٢: ٣٠٤، وقريب منه في عقد الدرر: ٨٣

(٣) كفاية الأثر: ١٥٦، مختصر البصائر: ٢١٤، الصراط المستقيم٢: ١٢٧، البحار٣٦: ٣٣٧. ونحوه في غيبة الطوسي: ٤٤٠ عن الرضا عليه السلام إلا أنه في الصوت الثالث قال: يرون بدناً بارزاً نحو عين الشمس يقول: هذا أمير المؤمنين قد كرّ في هلاك الظالمين، قرن الشمس: أول ما يبدو من الشيء.

تستعجلوه»، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فوَ الذي نفسي بيده إنّ الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أو يتبايعانه أبداً، وإنّ الرجل ليمدر حوضه فما يسقي فيه شيئاً، وإنّ الرجل ليحلب ناقته فما يشربه، ويشتغل الناس»[1]، وعن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «في المحرم ينادي منادٍ من السماء: ألا إن صفوة الله من خلقه فلاناً فاسمعوا له وأطيعوا، في سنة الصوت والمعمعة»[2]، والذي يبدو من سائر ما ورد عنه صلى الله عليه وآله، أنّ هذا الصوت يقع في رمضان والمعمعة في شوال.

وفي رواية عن الصادق عليه السلام قال: إنّ القائم لا يقوم حتى ينادي منادٍ في السماء تسمع الفتاة في خدرها ويسمع أهل المشرق والمغرب، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾[3].

وفي حديث عن الرضا عليه السلام ذكر فيه صفة القائم عليه السلام ثم قال: وهو الذي تُطوى له الأرض، ولا يكون له ظلٌّ، وهو الذي ينادي منادٍ من السماء باسمه، يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه، يقول: ألا إنّ حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه، فإنّ الحقّ معه وفيه، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾[4].

وقد عدّ النبي صلى الله عليه وآله في زمرة من يبايع المهدي عليه السلام بين الركن والمقام شعيب بن صالح التميمي الممهّد لظهور المهدي في راية المشرق.

ففي حديث عنه صلى الله عليه وآله ذكر فيه ما يجري من الملاحم في مدينة الزوراء وهتك الحرمات فيها،ثم استنقاذها على يد شعيب،ثم انتقال الفتنة إلى المدينة ووقوع المأسأة فيها، فقال صلى الله عليه وآله: «فإذا أحضر ذلك فعليكم بالشواهق وخلف الدروب وإنما ذلك حمل امرأة، ثم يقبل الرجل التميمي شعيب بن صالح سقى الله بلاد شعيب بالراية السوداء المهدية بنصر الله وكلمته، حتى يبايع المهدي بين الركن والمقام»[5].

---

(١) مستدرك الحاكم٣: ٥٣٩، المعجم الكبير١٧: ٣٢٥، عقد الدرر: ٣٣٩. والتعبير بالساعة يطلق على قيام القائم وقيام القيامة، لأنه من مقدمات القيامة وستّصل دولته عليه السلام بها.

(٢) عقد الدرر: ١٠٢عن ابن حماد الملاحم لابن طاووس: ٦١، الصراط المستقيم٢: ٥٩.

(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ١٧٧، البحار٥٢: ٢٨٥.

(٤) الكافي٢: ٤٢، وعنه في البحار٥٢: ٣٢٢، ينابيع المودة٣: ٣٨٧،والآية في سورة الشعراء: ٤.

(٥) الملاحم والفتن لابن طاووس: ١٣٧ عن فتن السليلي.

وعند ما يجتمع الثلاث مائة وثلاثة عشر رجل فأول ما ينطق به وهو مسند ظهره إلى الكعبة: ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ثم يقول: أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم، فلا يسلّم عليه أحد إلا قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه، فإذا اجتمع العقد وهو عشرة آلاف رجل، خرج فلا يبقى في الأرض معبود دون الله ﷻ من صنم ووثن غيره إلا وقعت فيه نار فاحترق...[1].

نداء السيف المغمود: قم يا ولي الله، فاقتل أعداء الله

فقد أنبأ عنه الرسول المصطفى ﷺ في حديث عن الصادق ؑ، عن آبائه، عن علي ؑ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، إنّ قائمنا إذا خرج يجتمع إليه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً عدد رجال بدر، فإذا حان وقت خروجه، يكون له سيف مغمود ناداه السيف: قم يا وليّ، فاقتل أعداء الله»[2].

وقال النبي ﷺ لأبيّ: «وله علم إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه، وأنطقه الله ﷻ، فناداه العلم: أُخرج يا وليّ الله فاقتل أعداء الله، وهما آيتان وعلامتان، وله سيف مغمّدٌ، فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله ﷻ فناداه السيف: أُخرج يا ولي الله فلا يحلّ لك أن تقعد عن أعداء الله، فيخرج ويقتل أعداء الله حيث ثقفهم ويقيم حدود الله ويحكم بحكم الله، ويخرج وجبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يسرته، وسوف تذكرون ما أقول لكم ولو بعد حين وأفوض أمري إلى الله ﷻ»[3].

وفي شأن البيعة

روى حذيفة عن النبي ﷺ أنه قال: «يبايع له بين الركن والمقام، يردّ الله به الدين ويفتح له فتوحٌ، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله»[4]، وفي رواية أخرى رواها عنه ﷺ: «يبايع بين الركن والمقام، إسمه أحمد

---

(١) أنظر إعلام الورى٢: ٢٩٢، ونور الأبصار: ١٥٥ ب ٢، الآية في سورة هود: ٨٦.

(٢) كفاية الأثر للخزاز: ٢٦٧، وعنه في البحار٥٢: ٣٠٤.

(٣) عيون الأخبار٢: ٦٥،وعنه البحار٥٢: ٣٦١، الخرائج والجرائح٢: ٨٥١، إعلام الورى٢: ١٩٠.

(٤) مختصر إثبات الرجعة: ٢١٦، عقد الدرر: ٢٢٢.

وعبد الله والمهدي، فهذه ثلاثة أسماء»[١]، وفي رواية: «يبايع بين الركن والمقام، لا يوقظ نائماً ولا يهرق دماً»[٢].

أوصافه وشمائله حين الخروج

قال عمران الحصين: يا رسول الله صف لنا هذا الرجل، قال صلى الله عليه وآله: «هو رجل من ولد الحسين، كأنه من رجال شنوءة، عليه عباءتان قطوانيتان، إسمه إسمي، فعند ذلك تفرح الطيور في أوكارها والحيتان في بحارها...»[٣].

و رواها في عقد الدرر باختلاف، وفيه قال صلى الله عليه وآله: «وهو رجل من ولدي، كأنه من رجال بني إسرائيل، عليه عباءتان قطوانيتان،كأنّ وجهه الكوكب الدري في اللون، في خده الأيمن خال أسود، ابن أربعين سنة»[٤].

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي وجهه كالقمر الدري، اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يفرح بخلافته أهل السماوات والأرض والطير في السماء، يملك عشرين سنة»[٥].

وفي حديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كرعة، على رأسه غمامة، فيها منادٍ ينادي؛ هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه»[٦].

وفي رواية: «...على رأسه ملك...»[٧]، وفي حديث اللوح عنه صلى الله عليه وآله: «يخرج في آخر الزمان على رأسه غمامة تظلّه من الشمس،ينادي بصوت فصيح يسمعه الثقلان والخافقان، وهو المهدي من آل محمد...»[٨].

---

(١) غيبة الطوسي: ٢٧٤، وعنه في البحار٥٢: ٢٩٠، الخرائج والجرائح٣: ١١٤٩.

(٢) كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ٢١٢، وعنه في عقد الدرر: ١٥٦.

(٣) الاختصاص: ٢٠٨، وعنه في البحار٥٢: ٣٠٤. شنوءة: هم حي في اليمن، ينسبون بذلك لطهارة نسبهم وحسن سيرتهم. القطوانية: العباء البيضاء القصيرة الخمل.

(٤) عقد الدرر: ٨٣.

(٥) كشف الغمة٣: ٢٨٢، الصراط المستقيم٢: ٢٤١وفيه يحبه أهل السماء، البحار٥٢: ٣٠٣.

(٦) الصراط المستقيم٢: ٢٦١، البحار ٥١: ٢٤، عقد الدرر: ١٣٥، كشف الغمة ٣: ٢٧٥.

(٧) ينابيع الموده ٣: ٣٨٥.

(٨) أمالي الطوسي: ٢٩٢، البحار ٥٢: ٣٧٨.

وفي حديث سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الفرج، فذكر عليه السلام له علائم، وقال:... وخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة بتراث رسول الله ﷺ، قال الراوي فقلت: وما تراث رسول الله ﷺ؟ قال: سيف رسول الله ﷺ ودرعه وعمامته وبرده وقضيبه ورايته ولأمته وسرجه، حتى ينزل مكة، فيخرج السيف من غمده ويلبس الدرع وينشر الراية والبردة والعمامة ويتناول القضيب بيده ويستأذن الله في ظهوره...[1].

وفي حديث عن الرضا عليه السلام قال:...وإنّ القائم هو الذي إذا خرج كان في سنّ الشيوخ، ومنظر الشبّان، قوياً في بدنه حتى لو مدّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى، وخاتم سليمان...[2].

وفي وصف أنصاره وعددهم

إنه عليه السلام يؤيد بثلاثة أجناد، كما عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ ﴾ قال: هو أمرنا، أمر الله عز وجل: أن لا تستعجل به حتى يؤيده الله بثلاثة أجناد: الملائكة والمؤمنين والرعب...[3].

وفي وصف المؤمنين منهم تقدم عن حذيفة، أنه ﷺ قال: «...**رهبان بالليل، وليوث في النهار كأنّ قلوبهم زبر الحديد، فيبايعونه بين الركن والمقام**».

وعن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام قوله عز وجل: ﴿ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ ﴾ إنهم لمفتقدون عن فرشهم ليلاً، فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب نهاراً يُعرف إسمه واسم أبيه وحليته ونسبه، قال: فقلت: جعلت فداك أيهم

---

(١) الكافي ٨: ٢٢٥، وعنه في البحار٥٢: ٣٠١، غيبة النعماني: ٢٧٠.

(٢) كمال الدين: ٣٧٦، إعلام الورى٢: ٢٤٠، البحار٥٢: ٣٢٢.وفي حديث آخر عنه عليه السلام: شيخ السنّ شاب المنظر، حتى إنّ الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإنّ من علامته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي عليه حتى يأتي أجله.(أنظر الكافي٢: ٣٦٦، والبحار٥٢: ٢٨).

(٣) غيبة النعماني: ١٩٨، والآية في سورة النحل: ١.

أعظم إيماناً؟ قال: الذي يسير في السحاب نهاراً[١].

وفي شأن هذه الآية قال الباقر عليه السلام: هم أصحاب القائم الثلاث مائة والبضعة عشر رجلاً، قال: وهم والله: ﴿ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ ﴾ يجتمعون في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف[٢].

ثم إنّ من أعظم أصحابه وأنصاره هو الخضر عليه السلام الذي قد آنس الله به وحشة القائم عليه السلام ووصل به وحدته، وهو ملازم له إلى أن يأذن الله في خروجه. ففي حديث ورد أحمد بن إسحاق على الإمام العسكري عليه السلام ليسأله عن الخلف بعده، فلمّا رآه قال مبتدئاً: مثله مثل الخضر، ومثله مثل ذي القرنين، إنّ الخضر شرب من ماء الحياة فهو حيٌّ لا يموت حتى يُنفخ في الصور، وإنه ليأتينا فيسلّم علينا فنسمع صوته ولا يُرى شخصه، وإنه ليحضر ما ذُكر، فمن ذكره منكم فليسلّم عليه، وإنه ليحضر الموسم كل سنة فيقضي جميع المناسك، ويقف عرفة فيؤمّن على دعاء المؤمن، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته، فله البقاء في الدنيا مع الغيبة عن الأبصار[٣].

علماً بأنّ بقاء الخضر وطول عمره مضافاً لما فيه من استيناس القائم عليه السلام ومصاحبته هو أكبر آية وردّ على المنكرين والمشككين في طول عمر المهدي المنتظر عليه السلام وحياته.

وقال الباقر عليه السلام: لو قد خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة المسومين والمنزلين والكروبيين، يكون جبرئيل عن يمينيه واسرافيل عن يساره والرعب يسير مسيرة شهر أمامه وعن شماله، والملائكة المقربون خدامه[٤].

وفي حديث رواه أبان بن تغلب عن الصادق عليه السلام ذكر فيه خروج القائم

---

(١) الكافي٢: ٣٨٩ وعنه في البحار٥٢: ٢٨٦، والآية في سورة البقرة: ١٤٨.

(٢) الكافي٨: ٣١٣، وعنه في البحار٥٢: ٢٨٨، ينابيع المودة٣: ٤٢١. الآية في سورة هود: ٨، وصدرها: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾، وفي رواية قال عليه السلام: العذاب خروج القائم،والأمة المعدودة عدّة أهل بدر وأصحابه،(الكافي ٨: ٣١٣).

(٣) الخرائج والجرائح٣: ١١٧٤، كمال الدين: ٣٩٠ عن الرضا عليه السلام إلى قوله: ويصل به... .

(٤) غيبة النعماني: ٢٣٤.

وبعض سماته وحالة المؤمنين عند ظهوره إلى أن قال: فيحط عليه ثلاثة عشر آلاف ملك وثلاث مائة وثلاثة عشر ملكاً، قلت: كل هؤلاء الملائكة؟ قال: نعم الذين كانوا مع نوح في السفينة والذين كانوا مع إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبني إسرائيل، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه، وأربعة آلاف ملك مع النبي ﷺ مسوّمين وألف مردفين وثلاث مائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين، وأربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين عليه السلام فلم يؤذن لهم في القتال، فهم عند قبره شُعث غُبر يبكونه إلى يوم القيامة، ورئيسهم ملك يقال له: منصور فلا يزوره زائر إلا استقبلوه ولا يودّعه مودّع إلا شيّعوه، ولا يمرض مريض إلا عادوه ولا يموت ميّتٌ إلا صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته، وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم إلى وقت خروجه عليه السلام[1].

وفي سمات أصحابه روي: أنّ أصحاب القائم شباب لا كهول فيهم إلا مثل الكحل في العين والملح في الزاد

وفي حديث: أنه لو كان ذلك أعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، وجعلت قلوبكم كزبر الحديد لو قذف به الجبل لقلعها[2].

إكمال العدّة والبيعة

يروى عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا أذن تعالى للقائم في الخروج صعد المنبر فدعى الناس إلى نفسه وناشدهم بالله ودعاهم إلى حقه وأن يسير فيهم بسنة رسول الله ﷺ ويعمل فيهم بعمله، فيبعث الله جل جلاله جبرئيل عليه السلام حتى يأتيه فينزل على الحطيم يقول: إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم، فيقول جبرئيل: أنا أول من يبايعك أبسط يدك فيمسح على يده، وقد وافاه ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً فيبايعونه، ويقيم بمكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف أنفس، ثم يسير منها إلى المدينة[3].

---

(١) كامل الزيارات: ٣٣٤، وعنه في البحار٥٢: ٣٢٨، ونحوه في غيبة النعماني: ٣١١.

(٢) الكافي٨: ٢٩٤.

(٣) الإرشاد٢: ٣٨٣، البحار٥٢: ٣٣٧، إعلام الورى٢: ٢٨٨.

أخذ العهد على العمل بالمنشور الحكومي

وعند ما تتم العدّة للإمام عليه السلام ويتهيئ للخروج يُلقي على أصحابه منشوراً ويأخذ منهم العهد على العمل به في دولته، وقد أخبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بأنه يقول لأصحابه: إني لست قاطعاً أمراً حتى تبايعوني على ثلاثين خصلة تلزمكم، ولا تغيّرون منها شيئاً، ولكم عليّ ثمان خصال.

قالوا: قد فعلنا ذلك، فلاذكر ما أنت ذاكر يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيخرجون معه إلى الصفا.

فيقول: أنا معكم على أن لا تولّوا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا مُحرماً، ولا تأتوا فاحشة، ولا تضربوا أحداً إلا بحقه، ولا تكنزوا ذهباً ولا فضة، ولا تبراً ولا شعيراً، ولا تأكلوا مال اليتيم، ولا تشهدوا بغير ما تعلمون، ولا تخربوا مسجداً ولا تقبّحوا مسلماً، ولا تلعنوا مؤاجراً إلا بحقه، ولا تشربوا مسكراً، ولا تلبسوا الذهب ولا الحرير ولا الديباج، ولا تبيعوها رباً، ولا تسفكوا دماً حراماً، ولا تغدروا بمستأمن، ولا تُبقّوا على كافر ولا منافق، وتلبسون الخشين من الثياب، وتتوسدون التراب على الخدود، وتجاهدون في الله حق جهاده، ولا تشتمون، وتكرهون النجاسة، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، فإذا فعلتم ذلك فعليّ أن لا أتخذ حاجباً، ولا ألبس إلا كما تلبسون، ولا أركب إلا كما تركبون، وأرضى بالقليل، وأملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، وأعبد الله تعالى حق عبادته، وأفي لكم وتفوا لي.

قالوا: رضينا واتبعناك على هذا، فيصافحهم رجلاً رجلاً[1].

خسف البيداء وقصة السفياني

لما يبلغ خبر تواجد المهدي في المدينة إلى السفياني، فلشدّة عدائه لبني هاشم يرسل جيشاً إلى المدينة، فيدخلها فينهبونها ويسفكون دماء الأبرياء ويهتكون حرمة الرسول صلى الله عليه وآله ومسجده ثلاثة أيام، لكنهم لم يدركوا الإمام، وقد أُخبروا

---

(١) عقد الدرر: ٩٥ ضمن حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام.

بخروجه منها إلى مكة، فيقصدونه، وهو عائذ بها وقد أحاط به أصحابه، فلما يصلوا إلى البيداء تخسف بهم فيهلكوا إلا نفرين أو ثلاثة.

وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن هذا الحادث فقال: «**ويخرج جيش آخر من جيوش السفياني إلى المدينة، فينهبونها ثلاثة أيام**[1]، **ثم يسيرون إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله تعالى جبرائيل عليه السلام، فيقول: يا جبرئيل عذّبهم، فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم، فلا يبقى منهم إلا رجلان، فيقدمان على السفياني فيخبرانه بخسف الجيش، فلا يهوله**»[2].

وعن عبد الله بن عباس قال: يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين جيشاً فيهزمونهم، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيبعث إليهم جيشاً فيه ستمائة عريف، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مقمرة، أقبل راع ينظر إليهم ويعجب، ويقول: يا ويح أهل مكة مما جاءهم، فينصرف إلى غنمه ثم يرجع فلا يرى أحداً، فإذا هم قد خسف بهم، فيقول: سبحان الله ارتحلوا في ساعة واحدة فيأتي منزلهم فيجد قطيفة قد خسف ببعضها، وبعضها على ظهر الأرض، فيعالجها، فلا يُطيقها، فيعرف أنه قد خسف بهم، فينطلق إلى صاحب مكة فيبشّره، فيقول صاحب مكة: الحمد لله هذه العلامة التي كنتم تُخبرون، فيسيرون إلى الشام...[3].

وعن أم سلمه قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام، كعدة أهل بدر، فتأتيه عُصَب العراق وأبدال الشام، فيأتيهم جيش من الشام حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم، ثم يسير إليه رجل من قريش أخواله كلب، فيهزمهم الله تعالى**»، قال: «**وكان يقال إنّ الخائب يومئذ**

---

(١) وفي الفتن لابن حماد: ٨٨ تستباح المدينة وتقتل النفس الزكية. وفي حديث آخر عنه ﷺ: «**فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السمله ومن في الأرض، فأتى الناس المهدي فزفّوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها، وهو يملأ الأرض...**»،(الفتن لابن حماد: ٩٣).

(٢) عقد الدرر: ٨٢ عن حذيفة. وعدّ الباقر عليه السلام القائلين ثلاثة، وقال: يحوّل الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب، وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ ﴾،(غيبة النعماني: ٢٨٠، الإختصاص: ٢٥٦، تفسير العياشي١: ٢٤٥، والآية في سورة النساء: ٤٧).

(٣) كتاب الفتن لابن حماد المروزي: ٢٠٢، وعنه في عقد الدرر: ٧١.

من خاب من غنيمة كلب»[1].

وروى الثعلبي في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا ...﴾ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه ذكر فتنه تكون بين أهل المشرق والمغرب، فقال: **«فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وجيشاً إلى المدينة، حتى إذا نزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها**[2]، **ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية**

---

(١) مستدرك الحاكم٤: ٤٣٦، وعنه في عقد الدرر: ٧٠، وروي هذا الحادث عن أم سلمة بطُرق أخرى أيضاً باختلاف في اللفظ، فراجع عقد الدرر.

(٢) وفي رواية ذكر فيها أمر السفياني فقال صلى الله عليه وآله: **«ثم يغلب على أهل الكوفة فيقتضّ أصحابه ثلاثين ألف عذراء فإذا أصبحوا كشفوا شعورهنّ، وأقاموهن في السوق يبيعوهنّ، فعند ذلك كم من لاطمة خدّها، كاشفة شعرها، بدجلة أو على شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصرة، فيركبون إليهم في البرّ والبحر فيستنقذون أولئك النسله من أيديهم»**،(عقد الدرر: ٧٧ عن تفسير شفاء الصدور للمقرى).

وفي شأن السفياني وجيشه وما يصدر منهم من الإجرام وردت روايات كثيرة، منها: ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: ...ثم يهرب قوم من ولد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بلد الروم، فيبعث السفياني إلى ملك الروم أن: ردّ إليّ عبيدي، فيردّهم إليه فيضرب أعناقهم على الدَرَج شرقي مسجد دمشق فلا يُنكر ذلك عليه، ثم يسير في سبعين ألفاً نحو العراق والكوفة والبصرة. ثم يدور الأمصار والأقطار، ويُحلّ عُرَى الإسلام عُروة بعد عروة، ويقتل أهل العلم، ويحرق المصاحف ويخرّب المساجد، ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي والمزامر في الأسواق، والشرب على قوارع الطرق، ويحلّل لهم الفواحش ويحرّم عليهم كل ما افترضه الله عزوجل عليهم من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والفجور، بل يزداد تمرّداً وعُتوّاً وطغياناً، ويقتل من كان اسمه محمداً واحمداً وعلياً وجعفراً، وحمزة وحسناً وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم، وخديجة وعاتكة حُنقاً وبُغضاً لبيت آل رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان آباؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسناً وحسيناً، فيصلبهما.

ثم يسير إلى الكوفة، فيفعل بهم كما فعله بالأطفال ويصلب على باب مسجدها طفلين اسماهما حسن وحسين فتغلي دماؤهما كما غلى دم يحيى بن زكريا عليه السلام، فإذا رأى ذلك أيقن بالهلاك والبلاء، فيخرج هارباً منها، متوجّهاً إلى الشام فلا يرى في طريقه أحداً يخالفه، فإذا دخل دمشق اعتكف على

هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش، منها على مسيرة ليلتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحلّ جيشه بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرئيل فيقول: يا جبرئيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله، ضربة يخسف الله بهم، وذلك قوله في سورة سبأ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة، أحدهما بشير والآخر نذير، فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين»[1].

وفي رواية أخرى عنه قال: «...ثم تسير خيل السفياني تريد مكة، تنتهي إلى موضع يقال له البيداء فينادي مناد من السماء: يا بيداء بيدي بهم فيخسف

شرب الخمر والمعاصي، ويأمر أصحابه بذلك.

ويخرج السفياني، وبيده حربة فيأخذ امرأة حاملاً، فيدفعها إلى بعض أصحابه ويقول: افجر بها في وسط الطريق، فيفعل ذلك، ويبقر بطنها، فيسقط الجنين من بطن أمه، فلا يقدر أحد أن يغيّر ذلك، فتضطرب الملائكة في السماء، فيأمر الله عزوجل جبرئيل، فيصيح على سور مسجد دمشق: ألا قد جاءكم الغوث يا أمة محمد قد جاءكم الغوث يا أمة محمد قد جاءكم الفرج وهو المهدي خارج من مكة فأجيبوه» (عقد الدرر: ٩٣).

أقول: ومثل هذه الفعل تصدر من جيشه في المدينة، فتتناهى حلق البلاء على شيعة آل محمد وعند ذلك يغضب الرب الجليل وتضطرب الملائكة فيكون الفرج، وذلك حينما يبلغ الضرّ على المهدي فيلقي الله في قلبه أن يقرء: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ ويطلب من الله الفرج وهو في الحجر، فينزل عليه جبرئيل ويبشره به،وتقع الصيحة فتجتمع عنده أصحابه. وعند ما يتم العقد ويخبر بالخسف في البيداء تبدء مسيرته المقامة التي بها يفرح أهل السموات والأرض وجميع المخلوقات، فيزحف بجيشه المؤيّد بالنصر إلى المدينة فيطهّرها من لوث الجبارين وينتقم فيها من أعداء الدين، ومن جملته الانتقام لأمه الزهراء، وبعد ذلك يتوجّه بجيشه إلى جانب أهل الشام والناس يلتحقون به من جميع الآفاق، لا يمرّ ببلد إلا وأحدث فيه الأمن والأمان والبشرى، فيلحقوا بالسفياني وجيشه على بحيرة طبرية، فيكون فيها هلاك السفياني وجيشه كما تقدم في الأخبار.

(١) عقد الدرر: ٧٤ عن الثعلبي، جامع البيان للطبري٢٢: ١٢٩عن حذيفة، تفسير الكشاف٣: ٤٦٧ عن ابن عباس باختلاف يسير، فإنه قال: نزلت في خسف البيداء، وذلك أنّ ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم، مجمع البيان للطبرسي ٨: ٢٢٨ ولم يذكر اسم الرجلين، البحار٥٢: ١٨٧وغيرهم. ولهذا اشتهر جيش السفياني بجيش الخسف.

بهم فلا ينجو إلا رجلان من كلب يُقلب وجوههما في أقفيتهما، يمشيان القهقرى على أعقابهما، حتى يأتيا السفياني فيخبرانه ويأتي البشير المهدي وهو بمكة، فيخرج ومعه اثنا عشرة ألفاً فيهم الأبدال والأعلام حتى يأتي المياه (المياه) ويأسر السفياني، ويغير على كلب لأنهم أتباعه ويسبي نساءهم، قالوا: فالخائب يومئذ من خاب عن غنائم كلب»[1].

وفي رواية ابن عباس المتقدمة -بعد ذكر الخسف وقول الإمام هذه العلامة- قال: فيسيرون إلى الشام فيبلغ صاحب دمشق فيرسل إليه ببيعته ويبايعه، ثم تأتيه كلب بعد ذلك، فيقولون: ما صنعت؟ انطلقت إلى بيعتنا فخلعتها وجعلتها له؟ فيقول: ما أصنع؟ أسلمني الناس، فيقولون: فإنا معك واستقل ببعتك، فيرسل إلى الهاشمي فيستقيله البيعة ثم يقاتلونه، فيهزمهم الهاشمي، فيكون يومئذ من ركّز رمحه على حيّ من كلب كانوا له، فالخائب من خاب من غنيمة كلب[2].

وفي حديث آخر: إنّ المهدي والسفياني وكلباً يقتتلون في بيت المقدس حتى يستقيله البيعة، فيؤتى بالسفياني أسيراً، فيأمر به فيذبح على باب الرحبة، ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق[3].

وفي حديث: يأتي به صباح إلى المهدي -وقد جعلت عمامته في عنقه وسُحِب- فيوقفه بين يديه، فيقول السفياني: يا بن عمي مُنّ عليّ بالحياة أكون سيفاً بين يديك، وأجاهد أعداءك، والمهدي جالس بين أصحابه، وهو أحيى من عذراء، فيقول: خلّوه فيقول أصحاب المهدي: يا بن رسول الله، تمنّ عليه بالحياة وقد قتل أولاد رسول الله ﷺ: ما نصبر على ذلك، فيقول: شأنكم وإياه اصنعوا به ما شئتم، وقد كان خلاّه وأفلته، فيلحقه صباح في جماعة إلى عند السدرة، فيُضجعه وينحره ويأخذ رأسه ويأتي به المهدي، فينظر شيعته إلى الرأس فيكبرون ويهلّلون ويحمدون الله تعالى على ذلك...ويبلغ غضب الله على كلب

---

(١) البدء والتاريخ٢: ١٧٨.

(٢) الفتن لابن حماد ٩٦،وعنه في عقد الدرر في أخبار المنتظر ليوسف بن يحيى السلمي: ٨٦

(٣) الفتن لابن حماد ٩٦، وعنه في عقد الدرر: ٨٦

ومن تبعهم أن يغضب سائر خلقه عليهم حتى الطير في السماء فترميهم بأجنحتها، وإنّ الجبال لترميهم بصخورها...[١].

وإنّ الله تعالى يمنح القائم وأصحابه أكتافهم فيقتلونهم حتى يفنوهم، حتى أنّ الرجل يختفي في الشجرة والحجرة، فتقول الشجرة والحجرة: يا مؤمن هذا رجل كافر فاقتله، فيقتله، ومن ثم قال الباقر عليه السلام: فتشبع السباع والطيور من لحومهم، فيقيم بها(أي بالشام)القائم عليه السلام ما شاء الله[٢].

وبعد ختام قصة البيداء والسفياني ينبغي التنبيه على أنّ أول نقطة يتوجه إليها الإمام عليه السلام في مسيرته العظمى في فتح الأمصار وتسخيرها، هي مدينة الرسول ﷺ، لكنه قبل الخروج من مكة يحقق بعض الاصلاحات، ويقطع أيدي سرّاق الكعبة ويعلّقها على بابها، وينصب عامل عليها، فلما يخرج منها يثبوا عليه فيقتلوه، فيرجع إليهم فيأتونه مهطعين مقنعي رؤسهم يبكون ويتضرعون ويقولون: يا مهدي آل محمد التوبة التوبة، فيعظهم وينذرهم ويحذّرهم، ويستخلف عليهم منهم خليفة ويخرج، فيثبون عليه مرة ثانية فيقتلونه، هنالك يرسل إليهم أنصاره من الجن والنقباء ويقول لهم: ارجعوا فلا تبقوا منهم بشراً إلا من آمن، فلو لا أنّ رحمة ربكم وسعت كل شيء وأنا تلك الرحمة لرجعت إليهم معكم، فقد قطعوا الأعذار بينهم وبين الله وبيني وبينهم، فيرجعون إليهم، قال الصادق عليه السلام: فوالله لا يسلم من المائة منهم واحد لا والله ولا من ألف واحد[٣].

وفي مسيره إلى المدينة يمرّ بالبيداء، فيقول: هذا مكان القوم الذين خسف بهم، وهي الآية التي قال الله: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[٤].

فإذا ورد المدينة كان له مقام عجيب فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين والمنافقين، وأول ما يظهره من العدل هو الانتقام لأمه الزهراء عليها السلام من أعدائها،

---

(١) عقد الدرر: ٩٨ من حديث أرسله عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) البحار٥٢: ٣٨٨، عن كتاب الغيبة للسيد علي بن عبد الحميد.

(٣) البحار٥٣: ١١ من حديث المفضل عن الصادق عليه السلام.

(٤) تفسير العياشي٢: ٢١٦ ضمن حديث عن الباقر عليه السلام، وعنه في البحار٥١: ٥٦، والآية في سورة النحل: ٤٥.

فينصب عاملاً عليها ويخرج تجاه الكوفه لمقابلة جيش السفياني وفتح ما في طريقه من البلدان وتطهيرها من أيدي الظالمين، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «**يخرج المهدي والسفياني كفرسي رهان فيغلب السفياني على ما يليه والمهدي على ما يليه**»[1]، غير أنه يوصي أصحابه قبل الخروج بعدم حمل الطعام والشراب، فيحمل معه حجر موسى بن عمران، وهو وقر بعير، فلا ينزل منزلاً إلاّ نبعت منه عيون، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظمآناً روي، ورويت دوابّهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة[2].

وما يمرّ على مدينة إلا تبعه أهلها من المؤمنين وردّ عليها الأمن والأمان والسرور والفرج، غير أنه عليه السلام لما يصل إلى الشقرة يبلغه مقتل عامله على يد أهل المدينة، فيرجع إليهم فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة إليها بشيء، ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه، والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، والبراءة من عدوه، حتى إذا بلغ الثعلبية قام إليه رجل من صلب أبيه، وهو من أشدّ الناس ببدنه وأشجعهم بقلبه ما خلا صاحب هذا الأمر، فيقول: يا هذا ما تصنع؟ فوَالله إنك لتجفل الناس إجفال النعم، أفبعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله أم بماذا؟ فيقول المولى الذي ولّى البيعة: والله لتسكتنّ أو لأضربنّ الذي فيه عيناك، فيقول له القائم: اسكت يا فلان، إي والله إنّ معي عهداً من رسول الله هات لي يا فلان العيبة أو الزنفيلجة فيأتيه بها فيقرؤه العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: جعلني الله فداك، جدّد لنا بيعة، فيجدّد لهم بيعة[3].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: يقوم القائم حتى يأتي النجف فيخرج إليه من الكوفة جيش السفياني وأصحابه والناس معه، وذلك يوم الأربعاء، فيدعوهم ويناشدهم حقه ويخبرهم أنه مظلوم مقهور، ويقول: من حاجّني في الله فأنا أولى الناس بالله... فيقولون: ارجع من حيث جئت لا حاجة لنا فيك، قد خبرناكم واختبرناكم، فيفترقون على غير قتال، فإذا كان يوم الجمعة عادوا، فيجيء سهم

---

(١) الفتن لابن حماد: ٩١.

(٢) أنظر الكافي١: ٢٣٦، الخرائج والجرائح٢: ٦٩٠، وعنه في البحار٥٢: ٣٣٤، كمال الدين: ٦٧.

(٣) تفسير العياشي٢: ٥٦ عن عبد الأعلى الحلبي، عن الباقر عليه السلام، وعنه في البحار٥٢: ٣٤٢.

فيصيب رجلاً من المسلمين فيقتله، فيقال: إنّ فلاناً قد قتل، فعند ذلك ينشر راية رسول الله ﷺ، فإذا نشرها انحطّت عليه ملائكة بدر، فإذا زالت الشمس هبّت الريح له، فيحمل عليهم هو وأصحابه فيمنحه الله تعالى أكتافهم فيولون فيقتلهم حتى يدخلهم أبيات الكوفة، وينادي منادیه: لا تتّبعوا مولّياً ولا تجهزوا على جريح، ويسير بهم كما سار عليّ عليه السلام في أهل البصرة[1].

ومن الأمور التي تظهر منه عند مسيره إلى الكوفة ما جاء عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا قام القائم عليه السلام أتى رحبة الكوفة - فقال برجله هكذا - وأومأ بيده إلى موضع ثم قال: احفروا هاهنا، فيحفرون فيستخرجون اثني عشر ألف درع واثني عشر ألف سيف واثني عشر ألف بيضة لكل بيضة وجهان، ثم يدعو اثني عشر ألف رجل من الموالي من العرب والعجم فيُلبسهم ذلك، ثم يقول: من لم يكن عليه مثل ما عليكم فاقتلوه[2].

وقال عليه السلام: كأني أنظر إلى القائم عليه السلام وأصحابه في نجف الكوفة كأنّ على رؤسهم الطير قد فنيت أزوادهم وخلقت ثيابهم، قد أثّر السجود بجباههم ليوث بالنهار، رهبان بالليل كأنّ قلوبهم زبر الحديد، يُعطى الرجل منهم قوة أربعين رجلا، لا يقتل أحد منهم إلا كافراً أو منافقا، وقد وصفهم الله تعالى بالتوسم في كتابه العزيز بقوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[3].

دخول الكوفة وموافاة الحسني

فقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن دخول المهدي الكوفة وموافاته الحسني، كما جاء عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: يدخل المهدي الكوفة وفيها ثلاث رايات قد اضطربت بينها فتصفوله، فيدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدري الناس ما يقول من البكاء، وهو قول رسول الله ﷺ: «كأني بالحسني والحسيني قد قاداها، فيسلّمها إلى الحسيني فيبايعونه، فإذا دخلت الجمعة الثانية، قال الناس: يا بن

---

(١) سرور أهل الإيمان للنيلي النجفي: ١٠١، البحار٥٢: ٣٨٧.

(٢) الاختصاص للمفيد: ٢٣٤،وعنه في البحار٥٢: ٣٧٧.

(٣) منتخب الأنوار المضيئة: ١٩٥، البحار٥٢: ٣٨٦، والآية في سورة الحجر: ٧٥.

رسول الله إنّ الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله، والمسجد لا يسعنا، فيقول: إني مُرتادٌ لكم، فيخرج إلى الغري فيخط مسجداً له ألف باب يسع الناس، ويبعث فيحفر من خلف قبر الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغري حتى يرمي في النجف، ويعمل على فوهته قناطر وأرحاء ماءٍ في السبيل، فكأني بالعجوز على رأسها مكتل فيه شيء حتى تطحنه بلا كراء»[1].

وفي شأن تسليم الراية للمهدي عليه السلام ومبايعة الحسني إياه جاء عن الصادق عليه السلام في حديث المفضّل عنه، بعد ذكر الزوراء وما يقع فيها من المأسة والخراب والدمار قال: ثم يخرج الحسني الفتى الصبيح من نحو الديلم يصيح بصوت فصيح: يا آل محمد أجيبوا الملهوف، والمنادي من حول الضريح، فتجيبه كنوز الطالقان، كنوزاً وأيّ كنوز ليست من فضّة ولا ذهب، بل هي رجال كزبر الحديد على البراذين الشهب بأيديهم الحراب، ولم يزل يقتل الظلمة حتى يرد الكوفة وقد صفا أكثر الأرض له فيجعلها معقلاً، فيتّصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام، ويقولون: يا ابن رسول الله من هذا الذي قد نزل بساحتنا.

فيقول: اخرجوا بنا إليه حتى ننظر من هو وما يريد؟ وهو والله يعلم أنه المهدي، وإنه ليعرفه، ولم يرد بذلك الأمر إلا ليعرّف أصحابه من هو؟ فيخرج الحسني فيقول: إن كنت مهدي آل محمد فأين هراوة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وخاتمه وبردته ودرعه الفاضل، وعمامته السحاب وفرسه اليربوع، وناقته العضباء، وبغلته الدلدل، وحماره اليعفور، ونجيبه البراق، ومصحف أمير المؤمنين عليه السلام؟ فيخرج له ذلك، ثم يأخذ الهراوة فيغرسها في الحجر الصلد وتورق، ولم يُرِد ذلك إلا أن يُري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتى يبايعوه.

فيقول الحسني: الله أكبر مُدّ يدك يا ابن رسول الله حتى نبايعك فيمدّ يده فيبايعه ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني إلا أربعين ألفاً أصحاب المصاحف المعروفون بالزيدية، فإنهم يقولون: ما هذا إلا سحر عظيم فيختلط العسكران فيقبل المهدي عليه السلام على الطائفة المنحرفة، فيعظهم ويدعوهم ثلاثة

---

(١) سرور أهل الإيمان: ٦٤، منتخب الأنوار المضيئة: ٢٣٥، البحار٥٢: ٣٣٠، غيبة الطوسي: ٤٦٨، الصراط المستقيم٢: ٢٦٤،وفي البحار: بدل (فيه شيء..) فيه بُرّ حتى تطحنه بكربلاء.

أيام،فلا يزدادون إلا طغياناً وكفراً، فيأمر بقتلهم فيقتلون جميعاً، ثم يقول لأصحابه: لا تأخذوا المصاحف، ودعوها تكون عليهم حسرة كما بدّلوها وغيّروها وحرّفوها ولم يعملوا بما فيها...[1].

وعند استقراره في الكوفة يبادر في امتحان أصحابه كما امتحنهم كراراً في مكة والمدينة، وقد أنبأ عن ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: كأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية وهم حكام الله في أرضه على خلقه، حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً من ذهب عهد معهود من رسول الله ﷺ فيجفلون عنه إجفال الغنم، فلا يبقى منهم إلا الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيجولون في الأرض فلا يجدون عنه مذهباً، فيرجعون إليه، والله إني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به[2].

وفي رواية أخرى عن أبي بصير قال: إنّ أصحاب موسى ابتلوا بنهر وهو قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ وإنّ أصحاب القائم يبتلون بمثل ذلك[3].

وبشأن الكوفة ومسجدها وما يقع فيها من العمران بعد الخراب

روي عن حبة العرني أنه قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحيرة فقال: ليتصلنّ هذه بهذه- وأومأ بيده إلى الكوفة والحيرة- حتى يباع الذراع فيما بينهما بدنانير وليبنينّ بالحيرة مسجداً له خمس مائة باب يصلي فيه خليفة القائم عليه السلام، لأنّ مسجد الكوفة ليضيق عليهم، وليصلّينّ فيه اثنا عشر إماماً عدلاً، قلت: يا أمير المؤمنين ويسع مسجد الكوفة هذا الذي تصف الناس يومئذ؟ قال: تبنى له أربع مساجد، مسجد الكوفة أصغرها، وهذا، ومسجدان في طريق الكوفة، من هذا الجانب و هذا الجانب- وأومأ بيده نحو نهر البصريّين والغريّين-[4].

---

(١) البحار٥٣: ١٥من حديث المفضل عن الصادق عليه السلام، ونحوه باختلاف يسير وإضافات ما في منتخب بصائر الدرجات: ١٩٠، الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٠٣.

(٢) كمال الدين: ٦٧٢ ح ٢٥، وعنه في البحار٥٢: ٣٢٦، أجفل القوم: أي هربوا مسرعين، وقريب منه في الكافي ٨: ١٦٧، وعنه في البحار٥٢: ٣٥٢،وفيه: فلم يبق إلا النقباء.

(٣) غيبة الطوسي: ٤٧٢، البحار٥٢: ٣٣٣، والآية في سورة البقرة: ٢٤٩.

(٤) التهذيب٣: ٢٥٣ ح١٩باب فضل المساجد البحار٥٣: ٣٧٤.

وفي حديث آخر عن المفضل قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها، واستغنى العباد من ضوء الشمس، ويعمّر الرجل في ملكه حتى يولد له ألف ذكر، لا يولد فيهم أنثى، ويُبنى في ظهر الكوفة مسجد له ألف باب وتتصل بيوت الكوفة بنهر كربلاء وبالحيرة، حتى يخرج الرجل يوم الجمعة، على بغلة سفواء يريد الجمعة فلا يدركها[1].

وفي حديث رواه أبو بصير عن الباقر عليه السلام إنه قال: إذا قام القائم دخل الكوفة وأمر بهدم المساجد الأربعة حتى يبلغ أساسها ويصيّرها عريشاً كعريش موسى ويكون المساجد كلها جمّاء لا شرف لها، كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويوسّع الطريق الأعظم فيصير ستين ذراعاً، ويهدم كل مسجد على الطريق، ويسدّ كل كوّة إلى الطريق وكل جناح وكنيف وميزاب إلى الطريق ويأمر الله الفلك في زمانه فيبطيء في دوره حتى يكون اليوم في أيامه كعشرة أيام، والشهر كعشرة أشهر، والسنة كعشر سنين من سنيكم[2].

وقال أبو هاشم الجعفري: كنت عند أبي محمد عليه السلام فقال: إذا قام القائم أمر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي: لأيّ معنى هذا؟ فأقبل عليّ فقال: معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنها نبيّ ولا حجة[3].

والذي يظهر من المرويات أنه عليه السلام يجعل الكوفة مركز حكمه والسهلة بيته، فمنها: ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام إنه ذكر مسجد السهلة فقال: أما إنه منزل صاحبنا إذا قدم بأهله[4].

وقد سأل المفضل عن دار المهدي ومجتمع المؤمنين؟ فقال الصادق عليه السلام: دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله وقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريّين، فقال المفضّل: يا مولاي كل المؤمنين يكونون بالكوفة؟ قال: إي والله لا

---

(١) غيبة الطوسي: ٤٦٨، وعنه في البحار٥٢: ٣٣٠. البغلة السفواء: خفيفة سريعة السير.

(٢) غيبة الطوسي: ٤٧٥ وعنه في البحار٥٢: ٣٣٣.

(٣) غيبة الطوسي: ٢٠٧، وعنه في البحار٥٢: ٣٣٣، الخرائج والجرائح ١: ٤٥٣.

(٤) الكافي٣: ٤٩٥، غيبة الطوسي: ٤٧١، وعنه في البحار٥٢: ٣٣١.

يبقى مؤمن إلا كان بها أو حواليها، وليبلغنّ مجالة فرس منها ألفي درهم وليودنّ أكثر الناس أنه اشترى شبراً من أرض السبع بشبر من ذهب، والسبع خطة من خطط همدان، وليصيرنّ الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، وليجاورنّ قصورها كربلاء، وليصيرنّ الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف فيه الملائكة والمؤمنون، وليكوننّ لها شأن من الشأن، وليكوننّ فيها من البركات ما لو وقف مؤمن ودعا ربّه بدعوة لأعطاه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا ألف مرّة...»[1].

وفي من يخرج عليه قال الباقر عليه السلام: ثم لا يلبث إلا قليلاً حتى يخرج عليه مارقة الموالي برميلة الدسكرة عشرة آلاف، شعارهم: يا عثمان يا عثمان، فيدعو رجلاً من الموالي فيقلّده سيفه فيخرج إليهم فيقتلهم، حتى لا يبقى أحد منهم، ثم يتوجّه إلى كابل شاه، وهي مدينة لم يفتحها أحد قط غيره، فيفتحها ثم يتوجّه إلى الكوفة، فينزلها وتكون داره، ويبهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب...»[2].

بعث السرايا والأمراء لتسخير البلدان

ومهما يكن من أمر، فإنّ المهدي عليه السلام بعد استقراره في الكوفة وتثبيت قواعده فيها يتّجه نحو أهل الشام والسفياني وقد سبق حديثه فلا نعيد، فيدخل الشام ويقيم فيها مدّة يبعث منها الأمراء والسرايا لتسخير سائر البلدان، وقد أنبأ الرسول المصطفى ﷺ عن تلك الفتوحات، كما جاء في حديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: «...ولا ينزلون على مدينة ولا حصن فوق ثلاثة أيام حتى يفتح لهم، وينزلون على الخليج، ويمدّ الخليج حتى يفيض، فيصبح أهل القسطنطنية يقولون: الصليب مدّ لنا بحرنا والمسيح ناصرنا، فيصبحون والخليج يابس، فتضرب فيه الأخبية، ويحسر البحر عن القسطنطنية، ويحيط المسلمون بمدينة الكفر ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل إلى الصباح ليس فيهم نائم ولا جالس، فإذا طلع الفجر كبّر المسلمون تكبيرة واحدة

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ١٨٥، البحار٥٣: ١١.

(٢) غيبة الطوسي: ٤٧٥، وعنه البحار٥٢: ٣٣٣،رميلة الدسكرة منزل في طريق البصرة إلى مكة.

فيسقط ما بين البرجين، فيقول الروم: إنما كنا نقاتل العرب والآن نقاتل ربّنا وقد هدّم لهم مدينتنا وخرّبها لهم، فيمكثون بأيديهم، ويكيلون الذهب بالأترسة ويقسمّون الذراري حتى يبلغ سهم الرجل منهم ثلاث مائة عذراء، ويتمتعوا بما في أيديهم ما شاء الله، ثم يخرج الدجال حقّاً، ويفتح الله القسطنطنية على يدي أقوام هم أولياء الله، يرفع الله عنهم الموت والمرض والسقم حتى ينزل عليهم عيسى بن مريم، فيقاتلون معه الدجال»[1].

وورد عن حذيفة، أنّ النبي صلى الله عليه وآله ذكر قصة المهدي عليه السلام وفتحه رومية، وقال: «ثم يكبرّون عليها أربع تكبيرات، فيسقط حائطها، وإنما سُميّت رومية لأنها كرُمّانة من كثرة الخلق، فيقتلون بها ستمائة ألف، ويستخرجون منها حُليّ بيت المقدس، والتابوت الذي فيه السكنية ومائدة بني إسرائيل، ورُضاضة الألواح، وعصا موسى، ومنبر سليمان، وقفيزين من المنّ الذي أنزل على بني إسرائيل أشدّ بياضاً من اللبن».

قال حذيفة: قلت يا رسول الله، كيف وصلوا إلى هذا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله بخت نصّر فقتل بها سبعين ألفاً، ثم إنّ الله تعالى رحمهم، فأوحى الله عز وجل إلى ملك من ملوك فارس أن سِر إلى عبادي بني إسرائيل، فاستنقذهم من بخت نصّر، فاستنقذهم ورُدّهم إلى بيت المقدس، قال: فأتوا بيت المقدس مطيعين له أربعين سنة، ثم إنهم يعودون، فذلك قوله عز وجل في القرآن: ﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بشرٍ من العذاب، فعادوا فسلّط عليهم طياليس ملك رومية، فسباهم، واستخرج حُليّ بيت المقدس والتابوت وغيره، فيستخرجونه ويردونه إلى بيت المقدس، ثم يسيرون حتى يأتوا مدينة يقال لها طاجنة فيفتحونها، ثم يسيرون حتى يأتوا مدينة يقال لها: القاطع...» ثم قال: «ثم يقفلون منها إلى بيت المقدس، فيبلغهم أنّ الدجال قد خرج في يهودية إصبهان...»[2].

---

(١) الملاحم لابن طاووس: ٨١، عقد الدرر: ١٩١و٢١١، وفي وجه تسمية القسطنطنية، قيل: نُسبت إلى مُنشئها وهو قسطنطين الملك وهو أول من أظهر دين النصرانية.

(٢) عقد الدرر: ١٩٧، عن المُقري في سننه، والآية في سورة الأسراء: ٨.

وقد ذكر الصادق عليه السلام هذا الحادث بنحو آخر، فقال: إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك فإذا ورد عليك أمرٌ لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفّك واعمل بما فيها، قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطنية فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء، قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة فيدخلونها، فيحكمون ما يشاؤن[1].

وفي خبر أنبأ أمير المؤمنين عليه السلام عن فتح الصين وجبال الديلم أيضاً، فقال بعد ذكر المهدي عليه السلام: ولا يترك بدعة إلا أزالها، ولا سنة إلا أقامها، ويفتح قسطنطنية والصين وجبال الديلم، فيمكث على ذلك سبع سنين...[2].

وفي حديث آخر عن كعب قال: يبعث ملك في بيت المقدس جيشاً إلى الهند فيفتحها، فيطأ أرض الهند ويأخذ كنوزها فيصيّره ذلك الملك حلية لبيت المقدس، ويقدم عليه أولئك مغلّلين، ويفتح لهم بين المشرق والمغرب، ويكون مقامهم في الهند إلى خروج الدجال، وفي لفظ: يقيم ذلك الجيش في الهند إلى خروج الدّجال[3].

شبه المهدي عليه السلام بذي القرنين

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً، جعله الله حجة على عباده، فدعا قومه إلى الله وأمرهم بتقواه فضربوه على قرنه، فغاب عنهم زماناً حتى قيل مات أو هلك بأيّ وادٍ سلك؟ ثم ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنته، وإنّ الله مكّن لذي القرنين في الأرض وجعل له من كل شيء سبباً، وبلغ المغرب والمشرق، وإنّ الله تبارك وتعالى سيجري سنته في القائم من ولدي فيبلغه شرق الأرض وغربها حتى لا يُبقي منهلاً ولا موضعاً من سهل ولا

---

(١) غيبة النعماني: ٣١٩ ب ٢١، وعنه في البحار٥٢: ٣٦٥ بتفاوت يسير، دلائل الإمامة: ٢٤٩.

(٢) عقد الدرر: ٢٢٤، ونحوه عن الباقر عليه السلام في روضة الواعظين: ٢٦٤، والإرشاد ٢: ٣٨٥.

(٣) الفتن لابن حماد: ١١٣، وعنه في الملاحم لابن طاووس: ٨١، عقد الدرر: ٢١٩.

جبل وطئه ذوالقرنين إلا وطئه، ويظهر الله عز وجل له كنوز الأرض ومعادنها وينصره بالرعب، فيملأ الأرض به عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً[1].

وقال الباقر عليه السلام: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً ناصح الله سبحانه فناصحه وسخّر له السحاب، وطويت له الأرض وبُسط له في النور، فكان يُبصر بالليل كما يُبصر بالنهار، وإنّ أئمة الحق كلّهم قد سخّر الله تعالى لهم السحاب، وكان يحملهم إلى المشرق والمغرب لمصالح المسلمين ولإصلاح ذات البين، وعلى هذا حال المهدي عليه السلام ولذلك سُميّ «صاحب المزنى والمسمع» فله نور يرى به الأشياء من بعيد كما يرى من قريب، ويسمع من بعيد كما يسمع من قريب، وإنه يسيح في الدنيا كلها على السحاب مرّة وعلى الريح أخرى، وتطوى له الأرض مرّة فيدفع عن العباد والبلاد شرقاً وغرباً[2].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: أما إنّ ذا القرنين قد خُيّر السحابين فاختار الذلول، وذُخر لصاحبكم الصعب، قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه، أما إنه سيركب السحاب ويرقى الأسباب أسباب السماوات والأرضين السبع، خمس عوامر واثنتان خرابان، وقال الصادق عليه السلام: لو اختار الصعب لم يكن له ذلك، لأنّ الله ادّخره للقائم عليه السلام[3].

خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام

قد سبق في الأحاديث المتقدمة ذكر خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام، ومن ثم نستعرض الأحاديث وما ورد من النبوءات فيهما، فنقول: إنّ الذي يبدو من الأخبار هو دخول الدجال في الشام ونزول عيسى عليه السلام في بيت المقدس حين تواجد الإمام عليه السلام فيها.

فمنها: ما روي بالاسناد عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) كمال الدين: ٣٩٤ ب ٣٨، وعنه في البحار١٢: ١٩٤، ونور الثقلين٣: ٢٩٤ بتفاوت يسير، إعلام الورى٢: ٢٤٩، كشف الغمة٣: ٣١٧ بتفاوت يسير أيضاً.

(٢) الخرائج والجرائح٢: ٩٣١ ب ١٧.

(٣) الاختصاص: ٣٢٦ وعنه في البحار٥٢: ٣٢١.

فكان أكثر خطبته حديثاً حَدثناه عن الدجال وحَذّرناه...فساق الحديث في الدجال، فقالت أم شريك: يا رسول الله فأين المسلمون العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل وجلّهم ببيت المقدس، يخرج حتى يحاصرهم، وإمام الناس يومئذ رجل صالح، فيقال: صلّ الصبح، فإذا كبّر ودخل فيها نزل عيسى بن مريم، فإذا رآه ذلك الرجل عرفه فرجع يمشي القهقرى، فيتقدم عيسى فيضع يده بين كتفيه ثم يقول: صلّ فإنما أقيمت لك، فيصلي عيسى وراءه،ثم يقول: افتحوا الباب، فيفتحون الباب، ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي، كلهم ذو ساج وسيف مُحلّى، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص وكما يذوب الملح في الماء، ثم يخرج هارباً، فيقول عيسى: إنّ لي فيك ضربة لن تفوتني بها فيدركه فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلق الله تعالى يتوارى به يهودي إلا أنطقه الله، لا حجر ولا شجر ولا دابة إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله، إلا الغرقد فإنها من شجرهم فلا ينطق، ويكون عيسى في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، يدقّ الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويترك الصدقة، فلا يُسعى على شاة ولا بعير، ويُرفع الشحناء والتباغض ويُنزع حمَة كل دابة ذي حمة، حتى يُدخِل الوليد يده في الحنش فلا يضرّه، وتلقى الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون في الإبل كأنه كلبها، والذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من الإسلام ويسلب الله عز وجل الكفار ملكهم، فلا يكون ملك إلا أسلم، وتكون الأرض كفاثور الفضة فتنبت نباتها كما كانت على عهد آدمؑ، يجتمع النفر على القطف من العنب فيُشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات»[1].

وهذا حديث هام مشتمل على نبوءات ذات زوايا متعددة، أحدها: خروج الدجال وما يصدر منه من الإجرام والإضلال، ثانيها: نزول عيسىؑ وصلاته خلف الإمامؑ ونصرته إياه، ثالثها: إبادة اليهود من وجه الأرض وإنهم أتباع الدجال، رابعها: انتشار العدل والرخاء ووفور النعم و... وقد ورد لكل منها أخبار كثيرة.

---

(١) الآحاد والمثاني للضحاك ٢: ٤٤٩، الفتن لابن حماد ١٥٩، وعنه في الأحاديث الطوال للطبراني: ١٢٦، ونحوه في سنن ابن ماجة٢: ١٣٥٩ ح ٤٠٧٧، وغيره باختلاف.

وعن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «بينما الشياطين مع الدجال يُزاولون بعض بني آدم على متابعة الدجال، فيأبى عليه من يأبى ويقول له بعضهم: إنكم شياطين وإنّ الله تعالى سيسوق إليه عيسى بن مريم بإيليا فيقتله، فبينما أنتم على ذلك حتى ينزل عيسى بن مريم بإيليا-وفيها جماعة من المسلمين وخليفتهم- بعد ما يؤذّن المؤذن لصلاة الصبح، فيسمع المؤذّن للناس عصعصة فإذا هو عيسى بن مريم، فيهبط عيسى فيرحّب به الناس، ويفرحون بنزوله لتصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يقول للمؤذّن أقم الصلاة، ثم يقول له الناس: صلّ لنا، فيقول: انطلقوا إلى إمامكم فيصلّي لكم فإنه نعم الإمام، فيصلي بهم إمامهم ويصلي عيسى معهم، ثم ينصرف الإمام ويُعطي عيسى الطاعة، فيسير بالناس حتى إذا رآه الدجال ماع كما يميع القير ويمشي إليه عيسى فيقتله بإذن الله تعالى، ويقتل معه من شاء، ثم يفترقون ويختبئون تحت كل شجر وحجر حتى يقول الشجر: يا عبد الله يا مسلم تعال هذا يهودي ورائي ويدعو الحجر مثل ذلك، غير شجرة الغرقدة شجرة اليهود لا تدعو إليهم أحداً يكون عندها» قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما أحدثكم هذا لتعقلوه وتفهموه وتعوه، واعملوا عليه وحدّثوا به من خلفكم، وليحدّث الآخر الآخر، وإنّ فتنته أشدّ الفتن، ثم تعيشوا بعد ذلك ما شاء الله مع عيسى بن مريم»[1].

وهذه الرواية كسابقتها في تلك المحاور، ولكن الذي يبدو منها وغيرها من المرويات أنّ الدجال يؤيّد بالشياطين، فتظهر منه بسببهم العجائب التي يفتتن بها الناس، وأنّ الطائفة الثانية من أعوانه هم اليهود الذين يحسّون بالفناء وكثير منهم يعملون السحر فيضلّون الناس، فيجتمعون حوله ويسيح بهم الأرض حتى يصلوا الشام، والمهدي عليه السلام والمسلمون في بيت المقدس قد نزل بهم عيسى عليه السلام، فيقع هلاك الدجال واليهود إذ ذاك على يد عيسى وجيش المهدي عليه السلام.

وفي نزول عيسى عليه السلام واقتداءه بالإمام عليه السلام

جاء عن الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله أنه قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم

---

(١) الفتن لابن حماد: ٣٤٧. وقوله: عصعصة: الصوت الصلب الشديد.

فيكم وإمامكم منكم»[١].

وفي حديث قال ﷺ: «ليس بيني وبينه نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر، كأنّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين ممصرتين، وإنه يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال، يقاتل الناس على الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام، ويُهلك مسيح الضلالة الكذاب الدجال، ويقع الأمنة في الأرض في زمانه، حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان والصبيان بالحيّات لا يضرّ بعضهم بعضاً، ثم يلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى فيصلّي عليه المسلمون»[٢].

وفي حديث آخر عنه ﷺ زاد: «ويقبض أموال القائم عليه السلام وهو الوزير الأيمن للقائم عليه السلام وحاجبه ونائبه ويبسط في المغرب والمشرق الأمن...»[٣].

وفي حديث آخر عنه ﷺ ذكر فيه فتنة الدجال ثم قال: «فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة»[٤].

وجاء عنه ﷺ: «إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثنى عشر، أولهم عليٌّ وآخرهم ولدي المهدي، فينزل عيسى بن مريم فيصلي خلف المهدي وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب»[٥].

وفي معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ وقفة لشهر بن حوشب مع الحجاج، فقال: إنّ عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته ويصلي عيسى خلف المهدي[٦].

---

(١) صحيح البخاري٤: ١٤٣، صحيح مسلم١: ٩٤، كشف الغمة٣: ٢٣٥، تأويل الآيات٢: ٥٧٠.

(٢) جامع البيان للطبري ٦: ٣٠٦، وانظر تاريخ دمشق ٤٧: ٣٦٨و٣٧٠، البداية والنهاية٢: ١١٧.

(٣) غاية المرام: ٦٩٧، حلية الأبرار ٢: ٦٢٠.

(٤) صحيح مسلم ٨: ٢٠١، مستدرك الحاكم ٤: ٥٤٣، صحيح ابن حبان ١٦: ٣٥٠.

(٥) ينابيع المودة ٣: ٢٩٥، ولاحظ البحار٥٢: ٣٨٣.

(٦) تفسير القمي١: ١٥٨، وعنه في البحار٩: ١٦٥، المحجة: ٦٢، والآية في سورة النساء: ١٥٩.

وفي حديث المعراج عن ابن عباس، عنه صلى الله عليه وآله إنه بعد ما ذكر فضائل عليٍّ عليه السلام قال: «...وقد جعلت له هذه الفضيلة، وأعطيتك أن أُخرج من صلبه أحد عشر مهدياً كلهم من ذريتك من البكر البتول، آخرهم رجل يصلي خلفه عيسى ابن مريم، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، أُنجي به من الهلكة، وأهدي به من الضلالة وأبرئ به الأعمى، وأشفي به المريض...»[1].

اجتماع الملل على الاسلام وكلمة التوحيد

ففي حديث المعراج أيضاً عنه صلى الله عليه وآله: «...وعزتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأُطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأُملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرياح، ولأذللنّ له السحاب الصعاب، ولأرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي ولأمدّنه بملائكتي، حتى يُعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثم لأديمنّ ملكه ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة»[2].

نعم هو كما أنبأ جده صلى الله عليه وآله لا زال الإمام عليه السلام يرسل سراياه وأمراءه إلى الأمصار فتخضع له طوعاً وكرهاً حتى لا يبقى على وجه الارض إلا من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ويقرّ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وليس هذا كلّه إلا بسبب الإمدادات الغيبية والأنفس القدسية، التي تظلّه وأصحابه من ابتداء مسيرته إلى انتهائها، فتجتمع جميع الملل على الإسلام حتى لا يُعبد غير الله وتنتهي جولة الباطل.

فقد روي عن الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهًا ﴾ أنه قال: أُنزلت في القائم إذا خرج باليهود والنصارى والصابئين والزنادقة وأهل الردة والكفار في شرق الأرض وغربها، فعرض عليهم الإسلام، فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكوة وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم يسلم ضرب عنقه، حتى لا يبقى في المشارق

---

(١) المختصر للحسن بن سليمان: ١٤١، وعنه في البحار٥٢: ٢٧٦،كمال الدين: ٢٥١.

(٢) عيون أخبار الرضا٢: ٢٣٨، كمال الدين: ٢٥٦، البحار٥٢: ٣١٢، ضمن حديث عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله، وتقدم هو وما قبله في باب النص على الأئمة الإثني عشر.

والمغارب أحدٌ إلا وحّد الله، قال الراوي: قلت جعلت فداك إنّ الخلق أكثر من ذلك، فقال عليه السلام: إنّ الله إذا أراد أمراً قلّل الكثير وكثّر القليل[1].

وفي قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ قال الباقر عليه السلام: إذا قام القائم ذهب دولة الباطل[2].

وهناك يتم تحقيق ما أنبأ به رسول الله ﷺ من قوله: «يبايع له الناس بين الركن والمقام، يردّ الله به الدين، ويفتح له فتوح، فلا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول لا إله إلا الله»[3].

و جاء في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ عن ابن عباس قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملّة إلا دخل في الإسلام، حتى تأمن الشاة...[4].

وفي قوله: ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ قال الصادق عليه السلام: إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ولا كافر إلاّ كره خروجه، حتى لو كان في بطن صخرة لقالت الصخرة: يا مؤمن فيّ مشرك فاكسرني واقتله[5].

وربما يسنح للقارئ سؤال في تفسير هذه الآية، كما سنح للمفضل إذ قال للإمام الصادق عليه السلام: يا مولاي: ما كان رسول الله ظهر على الدين كله؟ قال: يا مفضل لو كان رسول الله ﷺ ظهر على الدين كله ما كانت مجوسية ولا يهودية ولا صابئية ولا نصرانية ولا فرقة ولاخلاف ولا شك ولا شرك ولا عبدة أصنام ولا أوثان ولا اللات ولا العُزّى ولا عبدة الشمس ولا القمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة، وإنما قوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ في هذا اليوم وهذا

---

(١) تفسير العياشي ١: ١٨٣، وعنه في البحار ٥١: ٣٤٠، شرح الأخبار ٣: ٥٦٤ .

(٢) الكافي ٨: ٤٨٧، وعنه في البحار ٥١: ٦٢، والآية في سورة الأسراء: ٨١.

(٣) عقد الدرر: ٢٢٢.

(٤) ينابيع المودة ٣: ٤٢٣، البحار٥١: ٦٠، عن كنز جامع الفوائد وانظر تفسير القرطبي ٨: ١٢١، الحجة في ما نزل في الحجة: ٨٦، والآية في سورة البراءة ٣٤، والصف: ٩.

(٥) تفسير فرات الكوفي: ٤٨٢، وعنه في البحار ٥١: ٦٠.

المهدي وهذه الرجعة، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1].

نعم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله غلب الأحزاب كلها وظهر عليهم بحيث تركوا المخاصمة والمعارضة وركز راية الإسلام، لكن ما أسلموا جميعاً،بل كانت اليهود والنصارى وغيرهما تعيش في بلدانها مأمونة ما لم تظهر العداء، وكثير منهم كمنوا غيظهم وعداهم وتربّصوا الفُرَص كي يقضوا على الاسلام، و قد حققوا كثيراً من أمنياتهم بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله، ولا زال عدوانهم على المسلمين مستمراً حتى يظهر القائم من آل محمد فتزول شوكتهم وتسقط دولتهم وتطهر الأرض من لوثهم، فيظهر دين الحق على الدين كلّه.

بيد أنه لا يتمّ هذا الأمر ولا تكمل مهمة الإصلاح وبسط العدل في العالم، إلا أن يُقضى على إبليس وجنده ويأمن الناس من كيده ونفثه ووساوسه، لأنه أكبر أعداء البشرية، فلا مناص من إزالة هذا المانع كي يتم هذا الأمر﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ومن ثم جاء التبشير بهلاكه والإنباء عن إبادة جنده واضمحلالهم في دولة الإمام المنتظر عليه السلام ورجعة أئمة الحق عليهم السلام، وذلك بعد عودة الإمام من القدس الشريف إلى الكوفة.

مقتل إبليس وجنده

قال الصادق عليه السلام: إنّ إبليس قال: ﴿ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فأبى الله ذلك عليه، فقال: ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم، وهي آخر كرّة يكرّها أميرالمؤمنين عليه السلام، فقلت: وإنها لكرات؟ قال: نعم، إنها لكرات وكرّات، ما من إمام في قرن إلا ويكرّ معه البرّ والفاجر في دهره، حتى يديل الله المؤمن من الكافر، فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرّ أميرالمؤمنين في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات

---

(١) البحار٥٣: ٣٣، وانظر الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٢٩، والآية في سورة الأنفال: ٣٨.

يُقال لها: الرّوحا قريب من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يُقتتل مثله منذ خلق الله العالمين، فكأني أنظر إلى أصحاب أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات، فعند ذلك يهبط الجبار في ظُلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر، ورسول الله بيده حربة من نور فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبيه، فيقولون له أصحابه: أين تريد وقد ظهرت؟ فيقول: إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله ربّ العالمين، فيلحقه النبي ﷺ فيطعنه طعنة بين كتفيه، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يُعبد الله ولا يُشرك به شيئاً، ويملك أمير المؤمنين أربعاً وأربعين ألف سنة، حتى يلد الرجل من شيعة علي ألف ألف ولد من صلبه ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله[1].

وفي رواية: قال الوقت المعلوم يوم قيام القائم،فإذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو على ركبتيه، فيقول:يا ويلاه من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك: ﴿ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴾ منتهى أجله[2].

وذكر السيد ابن طاووس: أني وجدت في صحف إدريس النبي ﷺ عند ذكر سؤال إبليس وجواب الله له، قال:﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ قال: لا ولكنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فإنه قضيت وحتمت أن أطهّر الأرض ذلك اليوم من الكفر والشرك والمعاصي، وانتجبت لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للإيمان، وحشوتها بالورع والإخلاص واليقين والتقوى والخشوع والصدق... إلى أن قال: ذلك وقت حجبته في علم غيبي ولا بدّ أنه واقع، أُبيدك يومئذ وخيلك ورجلك وجنودك أجمعين، فاذهب فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم[3].

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ٢٦، وعنه في البحار٥٣: ٤٢، الايقاظ من الهجعة: ٣٦١ ب ١٠، وهبوط الجبار كناية عن نزول آيات عذابه، كما ورد عن الرضا في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ (البقرة: ٢١٠، فلاحظ البحار٣: ٣١٩).

(٢) منتخب الأنوار المضيئة للسيد علي بن عبد الحميد: ٣٥٧، عن إسحاق بن عمار، عن زين العابدين، وعنه في البحار٥٢: ٣٧٦، تفسير العياشي٢: ٢٦٢ ح ١٤ بتفاوت يسير.

(٣) البحار٥٢: ٣٨٤ عن كتاب سعد السعود لابن طاووس، والآية في سورة الأعراف: ١٥.

ثم إنّ شفافية جسم إبليس وأعوانه ونظرائه من الجن وعدم كونهم مرئيين بالحواس الظاهرة لم يمنع من تحقيق أمر الله عز وجل إذا حان وقته وجاء أجله، وليس بعزيز ولا عسير عند الله الذي أعطى لإبليس تلك الشفافية أن يسلبها منه في ذلك الوقت ويمنعه من أن يتشكل بشكل لا يراه إنسان، كما منعه وجنده سابقاً من التردد في السموات حين ولادة خاتم الأنبياء، إذ هو على كل شيء قدير، ثم يهلكه على يد أفضل بريته ويريح الخلق منه ويطهر الأرض من أعوانه، فتصفو للمؤمنين، فيعبدوا الله مخلصين له الدين ولو كره المشركون، لاتأخذهم في الله لومة لائم.

تكامل الوعي-تطوّر الحياة-إنتشار العلم-تسخير القوى الطبيعية

وهناك يجمع الله به عقولهم ويكمل به أحلامهم ويمدّ في أسماعهم وأبصارهم، ويفتح الله عليهم أبواب سمائه، ويسخّر لهم ملائكته يركبون على أجنحتهم يسيرون معهم في السماء، ويسخّر لهم السحاب والرياح يرتقون بها في السماء، وينشر العلم إلى أعلى درجة، فيجتازوا أعلى قلل الكمال، ويشهد لذلك ما ورد عن الأئمة الأبرار أوصياء الرسول المختار صلى الله عليه وآله.

منها:ما جاء بالاسناد عن الباقر عليه السلام قال: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم[1].

وعن الصادق عليه السلام: إنّ قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه[2].

وقال عليه السلام: العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاء به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام القائم أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً[3].

---

(١) الكافي١: ٢٥، الخرائج والجرائح٢: ٨٤٠ وفيه: وضع يده.، مختصر البصائر: ١١٧.

(٢) الكافي٨: ٢٤٠، الخرائج والجرائح٢: ٨٤٠مختصر البصائر: ١١٧، الصراط المستقيم٢: ٢٦٢.

(٣) الخرائج والجرائح٢: ٨٤١ ح ٥٩، مختصر البصائر: ١١٧ ح ٣٥، البحار٥٢: ٣٣٦.

وقال عليه السلام: إنّ المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق[1].

وفي حديث عن الباقر عليه السلام قال: كأنني بدينكم هذا لا يزال مولّياً يفحص بدمه، ثم لا يردّه عليكم إلا رجل منّا أهل البيت، فيعطيكم في السنة عطائين، ويرزقكم في الشهر رزقين، وتؤتون الحكمة في زمانه حتى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله ﷺ[2].

وفي حديث عن الرضا عليه السلام قال: إذا قام القائم يسلّم الملائكة بالسلام على المؤمنين والجلوس معهم في مجالسهم،فإذا أراد واحد حاجة أرسل القائم من بعض الملائكة أن يحمله، فيحمله الملك حتى يأتي القائم فيقضي حاجته ثم يردّه، ومن المؤمنين من يسير في السحاب، ومنهم من يطير مع الملائكة، ومنهم من يمشي مع الملائكة مشياً، ومنهم من يسبق الملائكة،ومنهم تتحاكم الملائكة إليه، والمؤمنون أكرم على الله من الملائكة، ومنهم من يصيّره القائم قاضياً بين مائة ألف من الملائكة[3].

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين ليس من شيء إلا وهو مطيع لهم حتى سباع الأرض،وسباع الطير تطلب رضاهم في كل شيء، حتى تفخر الأرض على الأرض، وتقول: مرّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم[4].

إشراق الأرض بنور ربها-طول العمر-كثرة الأولاد

فقد ورد عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ أنه قال: إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها، واستغنى العباد عن ضوء الشمس، وصار الليل والنهار واحداً، وذهبت الظلمة، وعاش الرجل في زمانه

---

(١) البحار٥٢: ٣٩١ عن كتاب الفضل بن شاذان، إثبات الهداة٣: ٥٨٤.

(٢) غيبة النعماني: ٢٣٩، وعنه في البحار٥٢: ٣٥٢.

(٣) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ٤٥٤، اثبات الهداة: ٥٧٣ ب ٣٢.

(٤) كمال الدين: ٦٧٣،وعنه في البحار٥٢: ٣٢٧، الامامة والتبصرة لابن بابويه: ١٣٦.

ألف سنة، يولد له في كل سنة غلام لا يولد له جارية، يكسوه الثوب فيطول عليه كما طال، ويتلون عليه أيّ لون شاء[١].

إنتشار الأمن–التعايش السلمي بين المخلوقين–وفور النعم والبركات

في حديث عن ابن عباس،عن النبي صلى الله عليه وآله: «...تأمن البهائم والسباع وتلقي الأرض أفلاذ كبدها»، فسأل ابن عباس عن كيفية ذلك، فقال: «أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة»[٢].

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله: «تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط، يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلا أخرجته، والمال يومئذ كدوس، يقول الرجل يا مهدي أعطني، فيقول: خذه»[٣].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «...يخرج في آخر أمتي المهدي، يُسقيه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية وتعظم الأمة»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري،عن النبي صلى الله عليه وآله: «إنّ في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً، فيجيء الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله»[٥].

وفي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام قال:...ولوقد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها،ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب المؤمنين،واصطلحت السباع والبهائم حتى تمشي المرئة بين العراق إلى الشام لا تضع قدميها إلا على نبات، وعلى رأسها زنبيل «زينتها» لا يهيجها سبع ولا تخافه[٦].

---

(١) دلائل الامامة: ٤٥٤، الحجة فيما نزل في الحجة: ١٨٥.

(٢) مستدرك الحاكم٤: ٥١٤، تاريخ بغداد ١: ٦٢.

(٣) عقد الدرر: ١٧٠، منتخب الأثر: ٣٦١، الكدوس: المجتمع المتراكم.

(٤) مستدرك الحاكم٤: ٥٥٧–كتاب الفتن والملاحم، عقد الدرر: ١٤٤.

(٥) شرح أصول الكافي للمازندراني٦: ٢٥٦، البحار٥١: ٨٧ عن كتاب الفتوح لابن أعثم، وانظر كنز العمال١٤: ٢٧٣، وسبل الهدى والرشاد١٠: ١٧١.

(٦) الخصال للصدوق: ٦٢٦، وعنه في بشارة الاسلام لابن قولويه: ٢٣٦، والبحار٥٢: ٣١٦.

وقال عليه السلام: ...فيبعث المهدي عليه السلام إلى أمرائه بسائر الأمصار بالعدل بين الناس، وترعى الشاة والذئب في مكان واحد، وتلعب الصبيان بالحيات والعقارب لا يضرهم شيء، ويذهب الشرّ ويبقى الخير، ويزرع الإنسان مُدّاً يخرج له سبعمائة مدٍّ، كما قال الله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ ويذهب الربا والزنا وشرب الخمر والربا، وتُقبل الناس على العبادة والمشروع والديانه والصلاة في الجماعات وتطول الأعمار وتؤدّى الأمانة وتحمل الأشجار وتتضاعف البركات وتهلك الأشرار ويبقى الأخيار، ولا يبقى من يُبغض أهل البيت عليهم السلام[1].

القسم بالسوية ورضى سكان السماء والأرض

في حديث عن أبي سعيد عنه ﷺ قال: «أبشّركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسّم المال صحاحاً، فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: «بالسوّية بين الناس» ثم قال: «ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادي، فيقول: من له في المال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول: ائت السدّان- يعني الخازن، فقل له المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احثُ، فيحثو حتّى إذا جعله في حجره وأبرزه ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً، أو عجزَ عني ما وسعهم، قال: فيردّه فلا يُقبل منه، فيقال له: إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده» أو قال: «ثم لا خير في الحياة بعده»[2].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام: قال: ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأً يلجأ إليه من الظلم وقال: «فيبعث الله رجلاً من

---

(١) عقد الدرر: ١٥٩، الآية في سورة البقرة: ٢٦١، وقد وردت هذه البشارات في الكتب السابقة أيضاً، وقد تقدم بعضها ضمن الأحاديث المتقدمة.

(٢) مسند أحمد ٣: ٣٧، وانظر كنز العمال ١٤: ٢٦٢، والصواعق المحرقة: ٩٩، مجمع الزوائد ٧: ٣١٣، وانظر غيبة الطوسي: ١٧٨، الفصول المهمة: ٢٧٩، نور الأبصار: ٢٣٠.

عترتي أهل بيتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلا صبّته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلا أخرجته،حتى تتمنّى الأحياء الأموات، يعيش في ذلك سبع سنين أو ثماني سنين أو تسع سنين»[1].

وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله: «تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة، قال: فيجيء السارق فيقول: في مثل هذا قطعت يدي، ويجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً»[2].

ويبلغ أمر الناس من وفور المال والنعمة ما قال الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله: «ليأتينّ على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء»[3].

ويبلغ أمر الإمام عليه السلام إلى ما أنبأ عنه النبي صلى الله عليه وآله، إذقال: «تأوي إلى المهدي أمته كما تأوي النحل إلى يعسوبها،يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، لا يوقظ نائماً ولا يهريق دماً»[4].

يحيي الدين والسنة بعد الخمود، ويستأنف الإسلام جديداً...

فقد جاء في الأخبار عن الباقر عليه السلام، إنه قال: إنّ قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد، كما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ الإسلام بدء غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء[5].

---

(١) شرح الاخبار للقاضي نعمان ٣: ٣٨٥، البحار ٥١: ١٠٤، تذكرة الحفاظ٣: ٨٣٦، وانظر مستدرك الحاكم ٤: ٤٦٥، المصنف للصنعاني ١١: ٣٧٢، مشكلة المصابيح٣: ٢٤.

(٢) سنن الترمذي٣: ٣٣٤، أمالي المرتضى١: ٦٥، البحار ٦: ٣١٠،صحيح ابن حبان ١٥: ٩٠.

(٣) صحيح البخاري٢: ١١٤، صحيح مسلم٣: ٨٤، صحيح ابن حبان١٥: ١٧٣.

(٤) الحاوي للفتاوي: ٧٧، وعنه في إثبات الهداة ٣: ٦٤٠، الملاحم لابن طاووس: ٧٠.

(٥) غيبة النعماني: ٣٢١، وعنه في البحار٥٢: ٣٦٦.

وسُئِل الصادق عليه السلام عن سيرة المهدي عليه السلام فقال: يصنع كما صنع رسول الله ﷺ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله ﷺ أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً[1].

وفي حديث عن الباقر عليه السلام، قال: يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد،وقضاء جديد على العرب شديد، ليس شأنه إلا بالسيف، لا يستتيب أحداً، ولا يأخذه في الله لومة لائم[2].

وعنه عليه السلام في جواب زرارة عند ما قال: وإنه هل يسير بسيرة رسول الله؟ فقال: هيهات هيهات يا زرارة ما يسير بسيرته، قلت: جعلت فداك لِمَ؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ سار في أمّته بالمنّ،كان يتألف الناس، والقائم عليه السلام يسير بالقتل، بذلك أمر؛ في الكتاب الذي معه: أن يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً، ويل لمن ناواه[3].

وقد سُئِل الصادق عليه السلام: أيسير القائم عليه السلام إذا سار بخلاف سيرة عليٍّ عليه السلام؟ فقال: نعم، وذاك أنّ علياً سار بالمنّ والكفّ، لأنه علم أنّ شيعته سيظهر عليهم من بعده، وإنّ القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي، وذلك أنه يعلم أنه شيعته لم يظهر عليهم من بعده أبداً[4].

ومن ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان لي أن أقتل المولّي وأجهز على الجريح، ولكن تركت ذلك للعاقبة من أصحابي إن جُرحوا لم يُقتلوا، والقائم له أن يقتل المولّي ويجهز على الجريح[5].

وعلى ضوء هذه الأحاديث ما أظن أن يبقى تساؤل في سبب هذه السيرة من الإمام عليه السلام، لأنه لو لا ذلك لما أمكن له من إقامة العدل وإزهاق الباطل، وما تسنّى له أن يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما امتلأت بسبب الظالمين والفاسقين ظلماً وجوراً، و عُطّلت الأحكام والسنن وظهرت البدع، فينتقض

---

(١) غيبة النعماني: ٢٣١، وعنه في البحار٥٢: ٣٥٢.

(٢) غيبة النعماني: ٢٣٣، وعنه في البحار٥٢: ٣٥٤.

(٣) غيبة النعماني: ٢٣٢، وعنه في البحار٥٢: ٣٥٣.

(٤) غيبة النعماني: ٢٣٢ وعنه في البحار٥٢: ٣٥٣.

(٥) غيبة النعماني: ٢٣٢، وعنه في البحار٥٢: ٣٥٣.

الغرض من ادخاره لإقامة الحق واجتثاث الباطل، وتخلّف وعد الله في ذلك.

ففي رواية يقول الإمام الصادق عليه السلام لبريد: يا بريد والله ما بقيت لله حرمة إلا انتهكت، ولا عمل بكتاب الله ولا سنة نبيّه في هذا العالم، ولا أقيم في هذا الخلق حدٌ منذ قبض الله أميرالمؤمنين صلوات الله عليه، ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا، ثم قال: أما والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى ويميت الأحياء ويردّ الله الحق إلى أهله ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه ونبيه، فأبشروا ثم أبشروا ما الحق إلا في أيديكم[1].

ولهذا الأصل ترى الناس في عصر ظهوره وعند ما يقيم الحدود والسنن المعطلة، ويردّ كل شيء إلى أصله، ويبيّن القرآن كما هو عليه، ويردّ الحق إلى أهله، يخال لهم أنه عليه السلام أتى بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد، وذلك لما وقع فيها من النسيان والتحريف والتعطيل.

وإلاّ فإنّ سيرة الإمام سيرة أجداده الطاهرين وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وشريعته شريعتهم، وإنه يقفو آثارهم ولا يخطئ عنها، ويدعو الناس إلى كتاب الله عز وجل، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث يصف شمائله، فقال: «...سُنّته سُنّتي يقيم الناس على ملّتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب الله عز وجل من أطاعه أطاعني و...»[2].

يحكم بحكم داود عليه السلام

أجل إنّ الإمام عليه السلام مأمور بأن يعامل الناس على الباطن كي لا يتسنّى للمنافق والمخالف أن يستبطن نفاقه وخلافه، ولا يجترء أحد أن يخفي عمله القبيح ويغطّي على ذنبه، ولا يتمكن الظالم من إنكار ظلمه أو يقيم البينة كذباً وعدواناً على من ظلمه، فإنّ هذه الأمور لا سبيل لها في حكومة الحق،وإنّ الإمام يُعطي كل نفس حقها ولا يسأل البينة.

كما أنبأ جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله فقال: «لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني

---

(١) الكافي٣: ٥٣٦، التهذيب٤: ٩٧، البحار٤١: ١٢٧.

(٢) كمال الدين: ٤١١، وعنه في إعلام الورى٢: ٢٢٧، وعنه في البحار٥١: ٧٣.

يحكم بحكومة داود، لا يسأل بينّة، يعطي كلّ نفس حقّها[١].

وأخبر أيضاً وراث علم المصطفى وباقره الإمام محمد بن علي عليه السلام، فقال: إذا قام قائم آل محمد ﷺ حكم بحكم داود وسليمان لا يسأل البينة.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام زاد: يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه ويخبر كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليه من عدوّه بالتوسم، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[٢].

إذن لا يقبل توبة منافق ولا متظاهر بها، ولا عذر معتذر مُكبٌّ على الذنوب والعداء، وهذا هو معنى قوله عليه السلام: لا يستتيب أحداً، حيث إنه عليه السلام رحمة على المؤمنين المستضعفين، ونقمة على الكافرين المستكبرين، وهو كما جاء في الأحاديث يعرض الإسلام والإيمان والتوبة على الناس، فمن آمن وتاب حقيقة وباطناً قبل منه، وإلا فيقتل، كي لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

ويصل أمر عدله عليه السلام وإحقاق الحق في دولته الكريمة، ما أخبر به رسول الله إذ قال ﷺ: **«يبلغ من ردّ المهدي المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يردّه»**[٣].

وفي سعة عدله جاء عن الباقر عليه السلام إنه قال: إذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسّوية وعدل في الرّعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله، وإنما سُمّي المهدي مهدياً لأنه يهدي إلى أمر خفيٍّ، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوارة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن، وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلى ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرّم الله عز وجل، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشرّاً[٤].

---

(١) الكافي١: ٣٩٧، وعنه في البحار٥٢: ٣٦٩ عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن النبي ﷺ.

(٢) الحديثين في الإرشاد٢: ٣٨٦، والآية في سورة الحجر: ٧٥.

(٣) الفتن لابن حماد: ٢٢٠، عقد الدرر: ٣٦، وعنه في الملاحم والفتن لابن طاووس: ٦٨.

(٤) غيبة النعماني: ٢٣٧، علل الشرائع١: ١٦١ باختلاف يسير، وعنه في البحار٥١: ٢٩.

وبهذا العطاء الوافر يجتثّ المهدي عليه السلام أحد عوامل الظلم والتعدي والفحشاء وهو الفقر، وبسائر ما تقدّم من مشاريعه تتم مهمة الإمام في تمهيد الأرضية لإصلاح العالم، ويصدق ما أنبأ به الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله من قوله: «يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً».

مدة حكومته وما يكون بعده

أمّا في مدة بقاء الإمام عليه السلام بعد ظهوره وحكومته فقد اختلفت المرويات كمّاً، فأقلّ ما ورد فيه هو خمساً،وأكثره أربعون سنة، وأياً ما تكون المدة، فإنّ كل سنة منها تعادل عشر سنين من سنيننا هذه، وذلك أنّ الله بقدرته يأمر الفلك باللبوث وقلّة الحركة فتطول الأيام والليالي والسنون، كما تشهد له الأحاديث، وقد تقدّم بعضها، فمنها: ما تقدم عن أم سلمة،عن النبي صلى الله عليه وآله في قصة المهدي أنه قال: «... ويعمل بسنتي، ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين، أو قال:تسع سنين،ثم يتوفّى ويصلّي عليه المسلمون»[1].

وتقدم في حديث أبي سعيد الخُدري عنه صلى الله عليه وآله: «إنّ في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً...»[2].

وفي حديث آخر عن أبي سعيد: «...إن قصر عمره فسبع سنين، وإلا فثمان، وإلا فتسع...»[3].

وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله: «...فيمكث سبعاً، أو تسعاً، ثم لا خير في العيش بعد هذا أو قال: لا خير في الحياة بعده»[4].

وعن حذيفة عنه صلى الله عليه وآله: قال: «المهدي من ولدي...يملك عشرين سنة»[5].

وعن حذيفة أيضاً عنه صلى الله عليه وآله قال: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى... فيمكث

---

(١) سنن أبي داود٢: ٣١٠، وعنه في عقد الدرر: ٢٣٥، العمدة لابن بطريق: ٤٣٣.

(٢) سنن الترمذي٣: ٣٤٣، كنز العمال١٤: ٢٦٢، كشف الغمة٣: ٢٩٧.

(٣) الفتن لابن حماد: ٣٣٤، وعنه في عقد الدرر: ٢٣٨، روضة الواعظين للفتال: ٤٨٥.

(٤) عقد الدرر: ٢٣٤، دلائل الامامة: ٤٧٢، البيان في أخبار صاحب الزمان: ٥٠٥.

(٥) عقد الدرر: ٢٣٩،عن أبي نعيم في مناقب المهدي،العمدة: ٤٣٩،نوادر المعجزات: ١٩٧.

أربعين سنة يعني المهدي[١].

وقد تقدم عن أمير المؤمنين عليه السلام في قصة المهدي عليه السلام وفتحه القسطنطنية والصين وجبل الديلم، قال: فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنيّكم هذه، ثم يفعل الله تعالى ما يشاء[٢].

وعن الحسين بن علي عليه السلام قال: يملك المهدي تسعة عشر سنة وأشهراً[٣].

وسُئِل الصادق عليه السلام عن مدّة ملك القائم عليه السلام فقال: سبع سنين، تطول له الأيام حتى تكون السنة من سنيّه مقدار عشر سنين من سنيكّم، فيكون سنوّ ملكه سبعين سنة من سنيّكم هذه[٤].

ومن المرويات ما تحكي عن ملك الأئمة بعده، وبعضها تحكي عن ملك أولاد المهدي عليه السلام، وقد وقع التهافت بينها من حيث الترتيب وبعض الجزئيات، بحيث لا يمكن البتّ فيها أيضاً، وإن حاول بعض الأعلام بعد النقض والإبرام في الوصول إلى نتيجة فيها، غير أنّ الأولى تفويض علمها إلى الله وإليهم عليهم السلام، حيث إنه لو كانت الحكمة في كشفها وتعيينها، لاتفقت كلمتهم في بيانها، إذ كل ما عندهم من علم قد نبع من عين واحدة.

وإليك بعض ما ورد في هذا الصعيد كي تلاحظ ما فيها من التعارض، فإذا تسنّى لك فاجمع بينها بمساعدة الشواهد والاستحسانات.

فمنها: ما جاء عن الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في الليلة التي كانت وفاته لعلي عليه السلام: «يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة» فأملى رسول الله ﷺ وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال:

---

(١) عقد الدرر: ٢٤٠، عن أبي نعيم والطبراني، وتقدم غيره من المصادر.

(٢) عقد الدرر: ٢٣٨، وفي روضة الواعظين: ٢٦٤ عن الباقر عليه السلام، وزاد قول السائل: فكيف تطول السنون؟ قال: يأمر الله الفلك بالليوث وقلّة الحركة فتطول الايام لذلك والسنون، قال: قلت له إنهم يقولون إنّ الفلك إن تغيّر فسد، قال: ذلك قول الزنادقة، فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيه ﷺ وردّ الشمس من قبله ليوشع بن نون، وأخبر بطول يوم القيامة، وأنه ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. (والآية في سورة الحج: ٤٧).

(٣) عقد الدرر: ٢٣٩.

(٤) الارشاد٢: ٢٨١، وعنه في البحار٥٣: ٩٠، كشف الغمة ٣: ٢٦٢، إعلام الورى٢: ٢٩٠.

«يا عليّ إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ومن بعدهم إثنى عشر مهدياً فأنت يا عليّ أول الإثني عشر الإمام...» وساق الحديث إلى أن قال: «وليسلمها الحسن عليه السلام إلى ابنه م ح م د المستحفظ من آل محمد صلى الله عليه وآله، فذلك اثنى عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلّمها إلى ابنه أول المهديين، له ثلاثة أسامي، إسم كإسمي واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والإسم الثالث المهدي وهو أول المؤمنين»[1].

وقد سئل أبو بصير الصادق عليه السلام عن قوله صلى الله عليه وآله: «إثنى عشر مهدياً» فقال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: يكون بعد القائم اثنى عشر مهدياً، فقال: إنما قال: اثنى عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقّنا[2].

وعنه عليه السلام في حديث طويل، إنه قال: يا أبا حمزة إنّ منا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين[3].

ومنها: ما جاء في تفسير العياشي عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله ليملكنّ منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاث مائة سنة يزداد تسعاً، قال: قلت فمتى ذلك؟ قال: بعد موت القائم، قال قلت: وكم يقوم القائم في عاله حتى يموت؟ قال: تسع عشرة سنة، من يوم قيامه إلى موته، قال: قلت فيكون بعد موته هرج؟ قال: نعم خمسين سنة، قال: ثم يخرج المنصور إلى الدنيا فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يقال لو كان هذا من ذرية الأنبياء ما قتل كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه أبيضهم وأسودهم، فيكثرون عليه حتى يلجوءنه إلى حرم الله فإذا اشتدّ البلاء عليه، مات المنتصر وخرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كل عدو لنا جائر، ويملك الأرض كلها، ويصلح الله له أمره، ويعيش ثلاث مائة سنة ويزداد تسعاً.

ثم قال أبو جعفر عليه السلام: يا جابر وهل تدري من المنتصر والسفاح؟ يا جابر

---

(١) غيبة الطوسي: ١٠٥،وعنه البحار٥٣: ١٤٧.

(٢) كمال الدين: ٣٥٧، وعنه في البحار٥٣: ١٤٥، مختصر البصائر: ٢١١.

(٣) غيبة الطوسي: ٢٩٩،وعنه في البحار٥٣: ١٤٥، ومثله في مختصر البصائر: ٣٩.

المنتصر الحسين، والسفاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين[١].

ومثله باختصار في غيبة الطوسي بالإسناد عن جابر، عن الباقر عليه السلام قال: والله ليملكنّ منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاث مائة سنة يزداد تسعاً، قلت: متى يكون ذاك؟ قال: بعد القائم، قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: تسع عشرة سنة، ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح[٢].

وأما ما ورد من الأعلام في هذا الصعيد، فمنها: ما قاله المفيد في الإرشاد من أنّه ليس بعد دولة القائم لأحد دولة إلا ما جاءت به الرواية من قيام ولده إن شاء الله ذلك، ولم يرد على القطع والثبات، وأكثر الروايات أنه لن يمضي مهدي الأمة إلا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج، وعلامته خروج الأموات، وقيام الساعة للحساب والجزاء، والله أعلم[٣].

وقال الطبرسي في إعلام الورى: أنه قد جاءت الرواية الصحيحة أنه ليس بعد دولة المهدي دولة إلا ما ورد من قيام ولده مقامه إلا ما شاء الله، ولم ترد على القطع والبتّ، وأكثر الروايات إنه لن يمضي من الدنيا إلا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها الهرج، وعلامته خروج الأموات وقيام الساعة والله أعلم[٤].

ويؤيده ما جاء عنهم عليهم السلام في باب الاضطرار إلى الحجة، منها: ما روي عن الصادق عليه السلام إنه قال: ما زالت الأرض إلا ولله تعالى فيها حجة يُعرّف الحلال من الحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل القيامة، وإذا رُفعت الحجة أُغلق باب التوبة ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ أن ترفع الحجة، أولئك شرار خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة[٥].

---

(١) تفسير العياشي٢: ٣٢٦، وعنه في البحار٥٣: ١٤٦، الاختصاص للمفيد: ٢٥٧.

(٢) غيبة الطوسي: ٤٧٨، وعنه في البحار٥٣: ١٤٥،مختصر البصائر: ٣٩، غيبة النعماني: ٢٣٢.

(٣) الإرشاد٢: ٣٨٧.

(٤) إعلام الورى للطبرسي٢: ٢٩٥.

(٥) كمال الدين: ٣٣٩، المحاسن للبرقي١: ٢٣٦ بتفاوت يسير، بصائر الدرجات: ٥٠٤.

و قال المجلسي رحمه الله في الجمع بين الأحاديث: هذه الأخبار مخالفة للمشهور، وطريق التأويل أحد وجهين: الأول: أن يكون المراد بالإثني عشر مهدياً النبي صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة سوى القائم عليه السلام بأن يكون ملكهم بعد القائم عليه السلام، وقد سبق أنّ الحسن بن سليمان أوّلها بجميع الأئمة، وقال برجعة القائم عليه السلام بعد موته، وبه أيضاً يمكن الجمع بين بعض الأخبار المختلفة التي وردت في مدّة ملكه عليه السلام.

والثاني: أن يكون هؤلاء المهديون من أوصياء القائم هادين للخلق في زمن سائر الأئمة الذين رجعوا، لئلاّ يخلو الزمان من حجة، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمة أيضاً حججاً، والله تعالى أعلم[1].

وما لاحظته من الأقوال هو نبذة مما ورد عن الأعلام في هذا المجال، وإن شئت مزيد الإطلاع فراجع كتاب الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحرّ العاملي، فإنه بذل الجهد في الجواب عن التسائل بأنّ هل بعد دولة المهدي عليه السلام دولة أم لا؟ وبعد ما سلّط الضوء على أحاديث الباب نفياً وإثباتاً، ذكر وجوهاً تسهّل الخطب في طريق الجمع بينها، ومهما يكن من أمر فالأولى عدم البتّ والقطع، وردّ علمها إلى الله سبحانه.

وفي نهاية هذا المطاف من بيان ما ورد من الإنباء في الإمام الثاني عشر وذكر الأحداث الهامة التي تقع في عصر ظهوره والتغييرات الحاصلة في العالم وظهور المعاجز والآيات التي لم يسبق مثلها.

يجدر بي أن أقول: عزيزي القارئ لا تستبعد شيئاً مما ورد في الأخبار الدالة على وقوع تلك الأمور التي لم تدركها العقول، ولم تتحقق ولم يأت حين وقوعها، وهي من الأمور الغيبية، وتعدّ من أحداث الساعة، وكلها مبتنية على إرادة الله تعالى وقضائه وسنته في الكون ولا تنالها يد البشر، فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وإنما أمره كلمح البصر أو هو أقرب،وإنه فعال لما يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وقد ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) البحار٥٣: ١٤٨.

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ...﴾ وقال: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ وقد وعد الأمم السابقة أيضاً،كما أخبر عنه القرآن في قوله: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[1].

فينبغي أن نؤمن جميعاً بما ورد في الأخبار، وننتظر حين تحققها، ونطلب من الله تعجيل الفرج وأن ينجز لوليّه ما وعده من النصر وظهور الأمر وأخذ الثار وإصلاح العالم، وأن يجعلنا من الفائزين بدرك ظهوره ورؤيته ومن أنصاره وأعوانه والراضين بفعله، وأن يرزقنا اليقين، ويجعلنا من الثابتين على ولايته وانتظاره، وإن توفانا قبل ظهوره، فيجعلنا ممّن يكرّ في رجعة آل محمد ﷺ، ويملّك في دولتهم، وتقرّ عينه برؤيتهم، آمين رب العالمين.

فإنّ من الأمور التي ورد فيها الإنباء ولا ينبغي الريب فيها هي الرجعة، وهي من أحد المشاريع والأهداف التي لا بدّ من تحققها في سبيل إقامة العدل وحكومه أهل الحق الذي وعد الله المستضعفين والمؤمنين تحققه في العالم ولو بعد حين، وتُعدّ جزء من أجزاء تلك المهمة.

---

(١) الآية الأولى في سورة القصص: ٦،والثانية في سورة النور: ٥٥،والثالثة في سورة الانبياء: ١٠٥.

اثبات الرجعة ونقل ما ورد فيها من الأنباء

وحيث بلغ الكلام في الرجعة، ولأجل أن تكمل مسيرتنا التنبؤية التاريخية، لا مناص من أن نسلّط الضوء عليها، ونستعرض أولاً لإثبات وقوعها عقلاً ونقلاً وموجزاً، ثم لما ورد فيها من الآيات والنبوءات الواردة عن الرسول المصطفى وعترته النجباء صلوات الله عليهم أجمعين.

وهي:-كما جاء في الأخبار، وعليه الشيعة-إنّ الله بقدرته وإرادته سيردّ طائفة من المؤمنين الذين مُحّضوا في الإيمان، وبعض من كان يرتقب دولة الحق ويتمنّى من الله أن يكون ممن يرجع ويشاهدها، وهكذا الكافرين الذين مُحّضوا في الكفر إلى الدنيا ليقتصّ من الظالمين والمستكبرين للمظلومين والمستضعفين، ويُردّ الحق إلى أهله، ويريهم وعده في الانتقام من الظالمين في هذه الدنيا، مضافا إلى عذاب الآخرة، وهذا ما يقتضيه عدله.

ومن هذا البيان يتضح أنّ الرجعة ليست بعامة، بل هي خاصّة، ولا مجال لإنكارها أو استبعادها والتشكيك فيها لمن اعتقد بأنّ الله على كل شيء قدير وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، كيف وقد رأى عظيم قدرته وخلقه في الكون، ورأى ما ورد من الأمثل وقصص الماضين والآيات الدالة على هذا الأمر، بما فيها من الدلالة على أنّ رجعة الإنسان وكرّته ليست من الأمور العسيرة على الله، وأنها ليست بأمر حادث في الكون حتى تقصر العقول عن دركه وتضلّ الأفكار عن فهمه، ألا ترى ما ورد في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾[1].

وقوله: ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾[2]، وإذا كان قادراً على رجعه

---

(١) الطارق: ٥-٨.

(٢) عبس: ١٧-٢٢.

للآخرة فهو قادر على رجعه ونشره في هذه الدنيا، ولا يجوز التفكيك في قدرته.

وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[1]، وكما أنه قادر على أن يجمع عظام الإنسان ويسوّيه كما كان أول مرّة للقيامة، قادر أيضاً على رجعته في هذه الدنيا.

وقد قدّم سبحانه لنا نماذج من قدرته في هذه الدنيا، منها: عند ما طلب إبراهيم عليه السلام أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال تعالى: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، وأخبر تعالى عن الذي تدارءت بنو إسرائيل في قاتله فأحياه وأخبرهم بمن قتله، فقال: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3].

وأحيى عُزيراً ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4].

وقد أرانا من قدرته في ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[5].

وقد أحيى الموتى على يد بعض أوليائه المقرّبين مثل

---

(١) القيامة: ٤.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) البقرة: ٧٢-٧٣.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) البقرة ٢٤٣.

عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وعليٌ وسائر الأئمة عليهم السلام وقد ورد ذكرها في التاريخ وعُدّت من معاجزهم وكراماتهم التي أقرّ بها حتى مخالفيهم.

وغيرها من الآيات والبينات التي تثبت لنا إمكان الرجعة في هذه الدنيا لبعض الناس كما وقعت من قبل، وإنه لا مانع من وقوعها مرّة أخرى وفي كل زمان، على أنها ليست من العجائب التي لم تقع في الكون حتى نشكّ في أصل حدوثها، ونبادر في إنكارها بسبب ضعف العقول عن إدراك كيفيتها، ولا يجب العلم بجزئيّاتها إذا تيقنّا أصل وقوعها، بل بإمكاننا أن نحيل علمها إلى أولي العلم الذين علّمهم الله علم ما كان وما يكون وجعلهم أوعية لحكمته وورثة لنبيّه صلى الله عليه وآله وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فنسلّم لهم.

علماً بأنه قد وردت في القرآن آيات خاصة، وفي السنة الشريفة روايات صريحة متواترة لفظاً أو معناً، ومتظافرة بعضها مع بعض - تقدم بعضها منا -، كلّها تضيء لنا حتمية وقوع الرجعة، وذلك في دولة الإمام المهدي عليه السلام، وقد أخرج طائفة منها المخالفون أيضاً بما أدّى على إذعان بعضهم على حتمية هذا الأمر، كما اتفقوا جميعاً على ظهور المهدي وسيطرته على العالم وأنه سيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وغيرها من الأمور التي ستحدث في الدولة المهدوية، مع أنّ الرجعة ليست بأهمّ من تلك الفكرة ولا بأعجب، بل هي استمرارٌ لها ولما سيقع في الدولة الكريمة من إقامة الحق وإبادة الباطل واجتثاث الكفر وأهله واستمرار دولة الحق إلى قيام الساعة.

ويا عجباً من الذين يؤيدون الفكرة المهدوية ورووا الأحاديث الكثيرة فيها، لكنهم ينكرون الرجعة ويتهجّمون على من اعتقد بها، ويبذلون جهودهم في تزييفها بطرح الشبهات والإشكاليات الواهية فيها، والافتراء على الشيعة بجرم الاعتقاد بها، كما كان دأب أسلافهم في عدم توثيق البعض من أجلّة أصحاب الأئمة من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله الذي هو من أوثق رواة الإمام الباقر عليه السلام، لأنه كان يؤمن بالرجعة!!!.

ففي صحيح مسلم بإسناده إلى محمد بن عمر الرازي قال: سمعت حريز

يقول: لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه، لأنه كان يؤمن بالرجعة[١].

ويا أسفاً على هؤلاء القوم الذين حرموا أنفسهم وغيرهم من الانتفاع براوية سبعين ألف حديث عن نبيّهم برواية أبي جعفرؑ الذي كان عندهم من أعيان أهل البيت الذين أمرهم الله بالتمسك بهم، وقد كانت كلّها عند جابر، فتركوها كلّها لهذا السبب المضحك.

مع أنهم قد رووا إحياء الأموات في الدنيا، وحديث إحياء الأموات في القبور للمساءلة، وحدّثوا عن إحياء أصحاب الكهف، وقرئوا ما ورد في القرآن من إحياء الأموات، ورووا حديث ذي القرنين وغير ذلك[٢]، ورواعنهﷺ أنّ «كل ما جرى في الأمم السابقة سيجري في هذه الأمة حذو القذّة بالقذّة» وغيرها من المرويات المتقدمة الدالة على تكرار تاريخ الأمم.

فإذا كانت الرجعة في الأمم السالفة حقاً، فما هذا الإصرار في إنكار الرجعة في الأمة الإسلامية!!!.

فيا عجباً من هذا التناقض البيّن والإصرار على الباطل والتهوّس على أهل الحق واتهامهم باليهودية بلا دليل واضح ولا برهان ساطع.

غير أني بعد التفكّر في هذه المسألة والنظر في إصرار المخالفين على إنكارها، رأيت أنّ من أحد عوامل هذا الإنكار والإصرار عليه هو وجود روايات صدرت من الرسول المصطفىﷺ وخلفائه المعصومين تلمح عن إحياء بعض المنافقين الظالمين لآل محمد والانتقام منهم على يد الصمصام المنتقم، وتشفّي

---

(١) صحيح مسلم ١: ١٥، ميزان الاعتدال للذهبي ١: ١٧٦.

(٢) فلاحظ ما ألّفه ابن أبي الدنيا تحت عنوان: من عاش بعد الموت، وقد طُبع محققاً في بيروت في دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٧، وقد أفرد أبو نعيم الاصبهاني في دلائل النبوة، والسيوطي في الخصائص الكبرى باباً في معجزات الرسولﷺ في إحياء الموتى، وذكر السيوطي كرامات في إحياء الموتى على يد غير النبيﷺ أيضاً، وورد في غيرها من كتبهم أخبار تكشف عن اعتقادهم ذاتاً بأصل الرجعة ومضمون هذه الفكرة، فتراهم يعارضونها وتراثهم ينطق بها، فلاحظ سيرة ابن هشام٤: ٣٠٥، الطبقات الكبرى لابن سعد٢: ٢٦٦،وما رووه عن عمر في إنكار موت النبيﷺ وقوله: والله إنه سيرجعنّ رسول اللهﷺ فليقطعنّ أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه قد مات، فعمر أول من قال بالرجعة فيهم.

قلوب المؤمنين بالنظر إلى تعذيبهم، وتحقق ما وعدهم الله بقوله: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾. وهذا مما يوجب خزي أتباع الطغاة الظالمين أمام المؤمنين المستضعفين، وبطلان ما كانوا يدّعون ويُصرّون عليه، وذلك ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[1].

فتراهم قد أجهدوا أنفسهم في سبيل إبطال فكرة الرجعة بتأويل الآيات والروايات الصريحة وصرفها عن الواقع، وطرح الإشكاليات فيها من أجل تشويش الرأي العام وصرفهم عن الاعتقاد بها.

إشكاليات حول الرجعة والإجابة عنها

فمن الاشكاليات هو: أنّ هذه الفكرة تؤدي إلى القول بالتناسخ المعلوم بطلانه عند جميع المسلمين، غافلين عن أنّ التناسخ أمرٌ والرجعة أمرٌ آخرٌ مباين له أساساً، لأنّ المراد من التناسخ هو حلول أرواح الأموات في أجساد غيرها، والرجعة تعني عودة أرواح بعض الناس إلى أجسادها على غرار ما سيقع في يوم القيامة، وقد بيّنها القرآن لنا، وقدّمنا بعض الآيات آنفاً، فإذا لزم في رجعة الآخرة إشكال لزم في هذه الرجعة أيضاً، وإلاّ فلا، والمفروض هو الاتفاق على عدمه.

وإن لزم إشكال في إحياء الموتى في الأمم السالفة للزم هنا، ولا نعلم أحداً تفوّه بأنّ الرجعة في الأمم الماضية كانت على نحو التناسخ، نعم إنّ من الموتى من لم تُبلَ أجسامهم بل هي باقية-كما في حياتها-مدى الزمان، كما دلّ عليه النقل من قبل الفريقين، والوقوع الخارجي ومشاهدة بعض الأبدان التي لم تتغيّر على مرّ الزمان، وقد ثبت هذا الأمر في أبدان الأنبياء والأئمة والشهداء في سبيل الله وبعض المؤمنين الذين مُحّضوا في الإيمان، ومن الموتى من تبلى أجسامهم وتتفرق أجزائهم ثم يجمعها الله بقدرته ويردّ إليها أرواحها ويرجعها

---

(١) الفرقان: ٢٧.

إلى الدنيا وينفّذ قضائه فيها، كي يجعلها عبرة للآخرين.

الإشكالية الثانية: تنافي القول بالرجعة مع قوله تعالى: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ فقد نصّ تعالى على عدم رجوع الظالمين، والحال أنّ الرجعة تعني رجوعهم.

الجواب: إنّ هذه الآية تحدّثت عن طائفة من الظالمين الذين أهلكوا جراء عتوّهم في الأرض، ونالوا عقوبة أعمالهم بالبلايا السماوية،فإنهم لا يرجعون في هذه الرجعة، وأما الظالمون الذين رحلوا بلا عقوبة ولا مؤاخذة فالآية ساكتة عنهم، وعدله تعالى يقتضي إرجاعهم ليُلاقوا جزاءهم في الدنيا، على أنّ نفس كلمة «لايرجعون» التي نفت الرجعة عن هؤلاء تثبت حقيقة الرجعة في الجملة ولبعض من سكتت عنهم الآية، وكما قال الباقر عليه السلام:..فهذه الآية من أعظم الدلالة في الرجعة، لأنّ أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أنّ الناس كلهم يرجعون إلى القيامة، من هلك ومن لم يهلك حتى يدخلوا النار [1].

إذن لابد من أن يكون المراد هو الرجعة في الدنيا.

الإشكالية الثالثة: إنّ عقيدة الرجعة تؤدي إلى الاغراء بالمعصية اتكالاً على التوبة حين الرجعة.

والجواب إنّ الرجعة لو كانت عامة تشمل جميع الناس أو بعضاً منهم على التعيين بالإسم لأمكن القول بالاغراء،بيد أنها ليست كذلك،بل القدر المتيقن فيها-كما تقدّم-هم أئمة الكفر والضلال وأئمة المؤمنين، ولا تعيين في البين إلا ما ندر من ذكر بعض الأشخاص نموذجاً ومثالاً للعائدين من أئمة المؤمنين وأئمة الكفر الذين مضى في علم الله تعالى أنهم لا يتوبون ولا يرتدعون مع كل ما شاهدوا من آيات الله وعلائم عذابه، لأنهم قد مُحّضوا في الكفر محضاً، ولذا ورد في جواب قولهم: ﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ عند عودتهم للمساءلة في القبر ومشاهدتهم العذاب وتيقّنهم صحة ما كانوا يوعدون، قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ... ﴾[2]، أو: ﴿ ... وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟

---

(١) تفسير القمي ٢: ٧٦، وعنه في البحار٥٣: ٥٢، الآية في سورة الانبياء: ٩٥.

(٢) المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1]، فإذا ورد ذكر بعضهم فهو لأجل أنهم مفروغ عنهم، وهذا لا يعني انسداد باب التوبة عليهم ما داموا في الحياة وقبل أن يتداركهم الموت، للإعتقاد بأنّ كل مذنب قادر على أن يرجع ويتوب ويكون من الصالحين، لكن الوارد في القرآن الكريم وعن أئمة الهدى الذين قد أخبروا عن الله في شأن بعض الظالمين يدلّ على القطع بعدم رجوعهم وعدم توبتهم بسوء اختيارهم، وإنهم جروا مجرى فرعون وهامان وقارون ومن قطع الله على خلوده في النار، كما قال تعالى فيهم: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وقال: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ وضرب لنا مثلاً في أبي لهب فقال: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ فقطع عليه بالنار وعدم انتقاله إلى ما يوجب الثواب، وغير ذلك مما ورد في القرآن وكلام أهل البيت عليهم السلام.

علماً بأنّ التوبة لا تقبل من الذين إذا أدركهم الموت ورأوا آثار العذاب قالوا آمنّا، ولم تقبل توبة أحد في الرجعة ولا في يوم القيامة،فإنّ فرعون لما أدركه الغرق ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ فردّ الله عليه إيمانه وقال: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[2]، وقال الله سبحانه في باب الرجعة: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[3]، فقد روي أنها وردت في شأن القائم المنتظر عليه السلام، فإنه إذا ظهر لم يقبل توبة المخالف.

هذا وقد رأيت عزيزي القارئ إشكاليات المخالفين للرجعة والجواب عنها، وعلمت أنه لا عذر لهم في إنكار الرجعة سوى ما قدّمنا لك في امتناعهم من

---

(١) الانعام: ٢٨.

(٢) يونس: ٩١.

(٣) أنعام: ١٥٨.

قبولها مع اعترافهم بأصل الفكرة المهدوية، والأتعس من ذلك هو ما صدر من بعض المنحرفين من تشبيه الشيعة باليهود لاعتقادهم بالرجعة، فقال: إنّ عقيدة الرجعة أدّت إلى ظهور اليهودية في التشيع[1].

وقد غفل هذا الكاتب عن أنّ كثيراً من المعتقدات الإسلامية هي مشتركة مع سائر الأديان، وهذا لا يوجب النقص في الإسلام وخاصة الشيعة، وإنما النقص فيما إذا استعار معتقدات باطلة وخرافات أدخلها اليهود أو النصارى في ملّتهم، والرجعة ليست كذلك، إذ قد تحدّث القرآن عنها في آيات متعدّدة، ووردت النصوص الصريحة من الرسول وآله عليهم السلام بما لا مجال لإنكارها، وهي من الأمور المظهرة لقدرة الله المطلقة في الكون، والموجبة لتعميق الاعتقاد بالله وتوحيده وعدله.

وإليك بعض ما ورد من الآيات والمرويات المصرّحة بالرجعة،ثم بعض التفاصيل الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في هذا الصعيد.

الآيات والروايات المصرحة بالرجعة

منها: قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحرّكه برجله،ثم قال: «قم يا دابة الله» فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله أنسمّي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: «لا والله ما هو إلاّ له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله في كتابه: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ثم قال: «يا عليّ إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة، ومعك مَيسمٌ تسيم به أعدائك» فقال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يقولون: هذه الآية إنما تكلِمهم(أي تجرحهم)، فقال أبو عبد

---

(١) انظر كتاب فجر الإسلام لأحمد أمين.

(٢) النمل: ٨٣.

الله عليه السلام: كلمهم الله في نار جهنم، إنما هو تُكلِّمهم من الكلام، والدليل على أنّ هذا في الرجعة قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ قال: الآيات أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام، فقال الرجل لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ العامة تزعم أنّ قوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ عنى في القيامة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أفيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجاً ويدع الباقين؟ لا ولكنه في الرجعة، وأمّا القيامة: ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[1].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[2].

فقد سُئِل أبو جعفر عليه السلام عن هذه الآية، فقال: تخضع لها رقاب بني أمية قال: ذلك بارزٌ عند زوال الشمس، قال: وذلك عليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليه، يبرز عند زوال الشمس على رؤس الناس ساعة،يبرز وجهه يُعرّف الناس حسبه ونسبه،ثم قال: أما إنّ بني أمية ليختبينّ الرجل منهم إلى جنب شجرة، فتقول هذا رجل من بني أمية فاقتلوه[3].

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

عن أبي بصير، قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا بصير ما تقول في هذه الآية؟ قال: قلت: إنّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله لا يبعث الموتى، قال: فقال: تبّاً لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزّى؟ قال: قلت: جعلت فداك فأوجدنيه، قال فقال لي: يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قباع، سيوفهم على عواتقهم، فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا، فيقولون: بُعِث فلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدونا فيقولون: يا معاشر الشيعة ما أكذبكم؟ هذه دولتكم

---

(١) تفسير القمي٢: ١٣٠، وعنه في البحار٥٣: ٥٢، مختصر البصائر: ٤٢، شرح أصول الكافي٥: ١٩٢، تأويل الآيات١: ٤٠٧ وفيه: دابة الأرض، والآية الأخيرة في سورة الكهف: ٤٨.

(٢) الشعراء: ٤.

(٣) مختصر البصائر: ٢٠٦، وعنه في البحار٥٣: ١٠٩، تأويل الآيات١: ٣٨٧، باختلاف يسير.

فأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلى يوم القيامة، قال: فحكى الله قولهم: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾[1].

وأما الروايات، فمنها: ما ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: ليس منّا من لم يؤمن بكرّتنا، ولم يستحلّ متعتنا[2]، أي لم يستحل ما كنا حكمنا بجوازها.

وعن موسى الحنّاط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم عليه السلام، ويوم الكرّة، ويوم القيامة[3].

وروى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام أنه قال: من أقرّ بسبعة أشياء فهو مؤمن... وذكر منها الإيمان بالرجعة.

ونحوه عن الرضا عليه السلام إلا أنه قال: من أقرّ بتوحيد الله... ثم قال: وأقرّ بالرجعة والمتعتين...فهو مؤمن حقاً، وهو من شيعتنا أهل البيت[4].

وما ورد في الأدعية والزيارات المأثورة عن أئمة الهدى عليهم السلام من الطلب من الله تعالى بأن يجعل الإنسان ممن يكرّ في رجعتهم ويملّك في دولتهم وتقرّ عينه برؤيتهم، والشهادة بأنّ رجعتهم حق، وهكذا تعليمهم بعض الأدعية والأوراد التي إن واظب عليها الإنسان رزقه الله الفوز بلقاء الحجة عليه السلام وإن مات قبل قيامه رزقه الله الرجعة في دولته، هو دليل آخر على إثبات حقيقة الرجعة ووقوعها في آخر الزمان.

والمتيقّن الذي دلّت به الأخبار هو رجعة النبي صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين وفاطمة الزهراء عليهم السلام وسائر الأئمة عليهم السلام وبعض من تبعهم من المؤمنين في دولة الامام المنتظر، وهكذا رجعة الظلمة وأعوانهم الذين كانوا في زمانهم، فينتقم من

---

(١) الكافي ٨: ٥١، وعنه في البحار٥٣: ٩٢، تفسير العياشي٢: ٢٥٩، والآية في سورة النحل: ٤١. وقبيعة السيف: ما على طرف مقبضه، وهو من فضة أو حديد.

(٢) الفقيه٣: ٤٥٨، البحار٥٣: ٩٢، وفي بعض النسخ: ويستحلّ متعتنا، عطفاً على المنفي، وفي لفظ: ليس منا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا(أنظر المسائل السروية للمفيد: ٣٠).

(٣) مختصر البصائر: ١٨، وفي الخصال: ١٠٨، عن مثنى الحنّاط، عن الباقر، وعنه في البحار٥٣: ٦٣، وينابيع المودة ٣: ٢٤٢، الصراط المستقيم ٢: ٢٦٤.

(٤) صفات الشيعة للصدوق: ٥٠-٥١، وعنه في البحار٥٣: ١٢١.

الظالم للمظلوم، وإنّه سيحكم كل من الأئمةعليهم السلام في كرّتهم، وذلك بعد انتهاء مدة القائمعليه السلام، وإنه ستستمرّ دولتهم إلى قيام الساعة.

وأما ترتيب زمان خروجهم وتقدّم بعضهم على بعض، أو أنهم يموتون بعد كرّتهم ويرجعون مرّة أخرى فيحكموا على الناس أو يمكثون إلى أن ينتهي أجلهم، فقد وقع التهافت في المرويات بما اختلط بعضها مع بعض بحيث لا يتسنّى للإنسان البتّ في تنظيم مسيرة وتخطيط برنامج خاص لرجعتهم وكيفية حكومتهم واستمرارها إلى قيام الساعة.

وعلّ أن تكون الحكمة في عدم كشف السرّ فيها كسابقتها-وهي قيام القائمعليه السلام- وأن يقع بعض الابهامات فيها إلى أن يأتي وقتها.

وهكذا الحال في أخبار قيام الساعة وأشراطها، ومن ثم ترى الأخبار فيها قد احتوت على كثير من الرموز والكنايات بحيث اختلط كثير منها في أخبار قيام القائمعليه السلام والأحداث التي تقع قبل قيامه وفي عصره، بل يمكن تطبيق كثير منها على أحداث الظهور والرجعة حسب القرائن والشواهد، فمن المثال إنّ من علامات الساعة خروج دابة الأرض، فإنها منطبقه حسب الأدلة على أمير المؤمنينعليه السلام، مع أنه أول من يرجع عند الظهور، إلا أن يقال أنه يخرج مرة أخرى قبل القيامة لأنه صاحب الكرات، ومنها خروج الشمس من مغربها، فإنها تنطبق أيضاً على الحجة المنتظر، كما تشهد له الآثار، فإذا وقع الخلط في الأمرين فهو ليس بعجيب، لأنّ قيام الامام المنتظر والرجعة يقعان في آخر الزمان وقبل قيام الساعة، على أنه قد عُبِّر عن كثير من الأحداث وحتى بعثة النبي الخاتمصلى الله عليه وآله بعلائم قيام الساعة، لقربها منها.

ومهما يكن من أمر سنختم مسيرتنا هذه بذكر ما ورد من الأنباء فيهما، ونُحيل تطبيقها وترتيبها الزمني إلى حين تحققها، ونأمل من الله أن يجعله قريباً ونكون ممّن يشاهد كيفية تحققها.

بعض تفاصيل الرجعة

منها: خروج دابة الأرض

قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض ومعها عصى موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام فتجلو وجه المؤمن بعصا موسى عليه السلام وتسيم وجه الكافر بخاتم سليمان عليه السلام»[1].

وفي حديث المعراج...يا محمد! عليٌّ أوّل ما آخذ ميثاقه من الأئمة، يا محمد عليٌّ آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلّمهم، يا محمد عليٌّ أظهره على جميع ما أوحيه إليك ليس لك أن تكتم منه شيئاً، يا محمد أبطنه الذي أسررته إليك فليس ما بيني وبينك سرٌّ دونه، يا محمد عليٌّ عليٌّ ما خلقت من حلال وحرام عليٌّ عليم به»[2].

وروي عن الاصبغ بن نباتة قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخلاً وزيتاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ فما هذه الدابة؟ قال: هي دابة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً[3].

وعن الأصبغ أيضاً قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة تزعمون أنّ علياً عليه السلام دابة الأرض؛ فقلت: نحن نقول، واليهود تقول، فأرسل إلى رأس الجالوت، فقال: ويحك تجدون دابّة الأرض عندكم مكتوبة؟ فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجلٌ، فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه إلياقال: فالتفت إليّ فقال: ويحك يا أصبغ ما أقرب إليا من عليٍّ[4].

وفي رواية أخرى عن الباقر عليه السلام، عن أمير المؤمنين في حديث طويل، ذكر فيه فضائله ومناقبه العجيبة، منها: قوله عليه السلام:...وأنا صاحب الهبات، وأنا المؤذّن على

---

(١) مختصر البصائر: ٢٠٨، وعنه في البحار٥٣: ١١١، تأويل الآيات١: ٤٠٦.

(٢) مختصر البصائر: ٣٦ و٢٠٨، وعنه في البحار٥٣: ٦٨.

(٣) مختصر البصائر: ٢٠٨،وعنه في البحار٥٣، تأويل الآيات١: ٤٠٤.

(٤) مختصر البصائر: ٢٠٩، وعنه في البحار٥٣: ١١٢.

الأعراف، وأنا بارز الشمس، وأنا دابة الأرض، وأنا قسيم النار، وأنا خازن الجنان وصاحب الأعراف...وأنا صاحب العصا والميسم...[١].

وفي رواية عن أبي بصير، عن الباقر عليه السلام قال: أيّ شيء يقول الناس في هذه الآية ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ...﴾ فقال: هو أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

وفي حديث سأل أبو الطفيل أمير المؤمنين عليه السلام عن رجعة أناس من أهل بدر، وعن سلمان والمقداد وأُبيّ بن كعب، فصدّقه بكلّ ذلك وقرأ عليه بذلك قراءة كثيرة وتفسيراً شافياً، قال أبو الطفيل: صرت ما أنا بيوم القيامة أشدّ يقيناً مني بالرجعة.وكان من أسئلته أن قال قلت: يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ ما الدابة؟ قال: يا أبا الطفيل أُلهُ عن هذا، فقلت يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك، قال: هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء، فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: هو زرُّ الأرض الذي تسكن الأرض به، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: صدّيق هذه الأمة وفاروقها وربيّها وذو قرنيها، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: الذي قال الله تعالى: ويتلوه شاهد منه، والذي عنده علم الكتاب والذي جاء بالصدق، والذي صدّق به[٣] والناس كلّهم كافرون غيري، قلت: يا أمير المؤمنين فسمّه لي، قال: قد سمّيته لك يا أبا الطفيل، والله لو أدخلت على عامّة شيعتي الذين بهم أقاتل، الذين أقروا بطاعتي وسمّوني أمير المؤمنين واستحلّوا جهاد من خالفني، فحدّثتهم ببعض ما أعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وآله لتفرّقوا عني حتى أبقى في عصابة من الحق قليلة أنت وأشباهك من شيعتي، ففزعت وقلت: يا أمير المؤمنين أنا وأشباهي متفرق عنك أو نثبت معك؟ قال: بل تثبتون، ثم أقبل عليّ فقال: إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرّ به إلا ثلاثة، ملك مقرّب أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان، يا أبا الطفيل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبض

---

(١) مختصر البصائر: ٣٤، وعنه في البحار ٥٣: ٤٨.

(٢) مختصر البصائر: ٢٠٩، وعنه في البحار٥٣: ١١٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣.

فارتدّ الناس ضُلّالاً وجُهّالاً إلا من عصمه الله بنا أهل البيت[١].

وفي حديث سُئِل عليٌّ عليه السلام عن الدابة، فقال: أما والله ما لها ذَنَب وإنّ لها للحية[٢].

وعن ابن عباس: إنها دابة من دواب الأرض لها زغب وريش، ولها أربع قوائم[٣].

وفي حديث سأل الراوي الباقر عليه السلام أن يحدثه، قال: أليس قد سمعت أباك؟ قال قلت: هلك أبي وأنا صبيٌّ قال قلت: فأقول فإن أصبتُ سكتَّ وإن أخطأتُ رددتني عن الخطأ، قال: هذا أهون، قال: قلت: فإني أزعم أنّ علياً دابة الأرض، قال: وسكت، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: وأراك والله ستقول: إنّ علياً راجع إلينا وقرأ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قال: قلت: والله قد جعلتها فيما أُريد أن أسألك عنها فنسيتها، فقال أبو جعفر عليه السلام: أفلا أُخبرك بما هو أعظم من هذا؟ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ لا تبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله -وأشار بيده إلى آفاق الأرض-[٤].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قال: ما أحسب نبيكم صلى الله عليه وآله إلا سيطلع عليكم إطلاعة[٥].

وفي حديث آخر قال الراوي سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ... ﴾ قال: فقال لي: لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليٌّ بالثوية فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجداً له اثنا عشر ألف باب -يعني موضعاً بالكوفة-[٦].

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ١٢٩، رواه أبان بن عياش عن أبي الطفيل، وقد قرأ ابن عياش جميع ما رواه سليم بن قيس على علي بن الحسين عليه السلام بحضور جماعة من أعيان الصحابة، منهم أبو الطفيل فأقرّه عليه زين العابدين عليه السلام وقال: هذه أحاديثنا صحيحة، وعنه في البحار٥٣: ٦٨، ومختصر البصائر: ٤٠.

(٢) مجمع البيان٧: ٤٠٤، وعنه في البحار٦: ٣٠٠، ونحوه في الملاحم لابن طاووس: ٩٩.

(٣) مجمع البيان٧: ٤٠٤، وعنه البحار٦: ٣٠٠، الزغب: أول ما يبدو من الشعر أو الريش.

(٤) مختصر البصائر: ٢٠٩، وعنه في البحار٥٣: ١١٣، والآية الأولى في سورة القصص: ٨٥، والثانية في سورة سبأ: ٢٨.

(٥) مختصر البصائر: ٢٠٩، وعنه في البحار٥٣: ١١٣.

(٦) مختصر البصائر: ٢٠٩، وعنه في البحار٥٣: ١١٣.

ويروى عن الباقرعليه السلام أنه قال: قال أميرالمؤمنينعليه السلام: لقد أعطيت الستّ: علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرات، ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدابة التي تكلم الناس[1].

وفي قوله صلى الله عليه وآله صاحب الكرات

يروى عن النبيصلى الله عليه وآله أنه قال: «تكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر: فتخرج خروجاً بأقصى المدينة فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية- يعني مكة-، ثم تمكث زماناً طويلاً،ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية- يعني مكة- ثم صار الناس يوماً في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على اللهعزوجل- يعني المسجد الحرام- لم ترُعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها، وتثبت لها عصابة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرّت بهم فجلّت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدرّية، ثم ولّت في الأرض لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، حتى أنّ الرجل يقوم فيتعوّذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؟ فيقبل عليها بوجهه، فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال، يُعرف الكافر من المؤمن،فيقال للمؤمن: يا مؤمن وللكافر يا كافر»[2].

رجعة الحسينعليه السلام وأصحابه

قال الصادقعليه السلام: أوّل من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن عليعليهما السلام، وإنّ الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة، لا يرجع إلا من مُحّض الإيمان محضاً أو مُحّض الشرك محضاً[3].

---

(١)الكافي١: ١٩٨، وعنه في البحار٥٣: ١٠١، مختصر البصائر: ٤١، المختضر: ١٦٠.

(٢) مجمع البيان٧: ٤٠٤، وعنه في البحار٦: ٣٠٠، مستدرك الحاكم٤: ٤٨٣ باختلاف يسير.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ٢٤، وعنه في البحار٥٣: ٣٩، الإيقاظ من الهجعة: ٢٧٧ ب ٩.

وقال الصادق عليه السلام: إنّ أول من يكرّ إلى الدنيا الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذّة بالقذّة ثم قال عليه السلام: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾[1].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: إنّ أول من يكرّ في الرجعة الحسين بن علي عليهما السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة، حتى يسقط حاجباه على عينيه[2].

وعنه عليه السلام: يقبل الحسين في أصحابه الذين قُتلوا معه، ومعه سبعون نبياً، كما بُعثوا مع موسى بن عمران، فيدفع إليه القائم الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه، ويواريه في حفرته[3].

وحدّث الباقر عليه السلام عن جدّه الحسين عليه السلام ما حدّثه لأصحابه عن جدّه رسول الله ﷺ في الإنباء عن استشهاده ومن معه من أهل بيته وأصحابه في كربلاء، وفي أنهم لا يجدون ألَم مسّ الحديد وأنه تلا: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[4]، فقال ﷺ: «يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم»، ثم قال عليه السلام: فأبشروا فوَ الله لئن قتلونا فإنا نُردّ على نبينا، قال: ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من ينشق الأرض عنه، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين وقيام قائمنا، ثم لينزلنّ عليّ وفدٌ من السماء من عند الله، ولينزلنّ محمد وعليٌّ وأنا وأخي وجميع من منّ الله عليه في حمولات من حمولات الربّ، خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق، ثم ليهزّنّ محمد لواءه وليدفعنّه إلى قائمنا مع سيفه، ثم إنّا نمكث من بعد ذلك ما شاء الله، ثم إنّ الله يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من ماء وعيناً من لبن... .

ثم إنّ أمير المؤمنين يدفع إليّ سيف رسول الله ﷺ ويبعثني إلى المشرق والمغرب، فلا آتي على عدوٍ إلا أهرقت دمه ولا أدع صنماً إلا أحرقته حتى أقع إلى الهند فأفتحها، وإنّ دانيال ويوشع بن نون يخرجان إلى أمير المؤمنين يقولان:

---

(١) تفسير العياشي٢: ٢٨٢، وعنه في البحار٥٣: ٧٦، والآية في سورة الاسراء: ٦.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ١٨، وعنه في حلية الأبرار٢: ٦٥٠، والبحار٥٣: ٦٣.

(٣) مختصر البصائر: ٤٨، وعنه في البحار٥٣: ١٠٣، والإيقاظ من الهجعة: ٣٦٨ بتفاوت يسير.

(٤) الانبياء: ٦٩.

صدق الله ورسوله، ويبعث الله معهما إلى البصرة سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم، ويبعث بعثاً إلى الروم فيفتح الله لهم، ثم لأقتلنّ كل دابة حرّم الله لحمها حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيّب، وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل، ولأخيرنّهم بين الإسلام والسيف فمن أسلم منّنت عليه، ومن كره الإسلام أهرق الله دمه.

ولا يبقى رجل من شيعتنا إلا أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرّفه أزواجه ومنزلته في الجنة، ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلا كشف عنه بلاءه بنا أهل البيت، ولينزلنّ البركة من السماء إلى الأرض حتى أنّ الشجرة لتقصف بما يريد الله فيها من الثمرة، ولتأكلنّ ثمرة الشتاء في الصيف وثمرة الصيف في الشتاء، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ ثم إنّ الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها، حتى أنّ الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعلمون[1].

إخراج اللات والعزّى ورجعة سائر أعداء أمير المومنين عليه السلام

في حديث المعراج عنه صلى الله عليه وآله: «... **قلت يا رب ومن هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحلّ حلالي ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي وهو راحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزّى طريّين فيحرقهما، فلفتنة الناس بهما يومئذ أشدّ من فتنة العجل والسامري**»[2].

وفي صعيد رجعة أعداء النبي والأئمة عليهم السلام والمؤمنين جاء في حديث طويل عن الصادق عليه السلام يصف فيه ما للمؤمنين من النعيم في البرزخ، فقيل له: فما حال الكافر؟ فقال: أبو عبد الله عليه السلام: أبدان ملعونة تحت الثرى في بقاع النار، وأرواح خبيثة ملعونة تجري بوادي برهوت في بئر الكبريت، في مركبات الخبيثات

---

(١) الخرائج والجرائح٢: ٨٤٨، وعنه في البحار٥٣: ٦١، والآية الأخيرة في سورة الأعراف: ٩٦.

(٢) كمال الدين: ٢٥٣، عيون أخبار الرضا٢: ٦١،وعنهما في البحار٥٢: ٣٧٩،كفاية الأثر: ١٥٣.

الملعونات، يؤدّي ذلك الفزع الأهوال إلى الأبدان الملعونة الخبيثة تحت الثرى في بقاع النار، فهي بمنزلة النائم إذا رأى الأهوال، فلا تزال تلك الأبدان فزعة ذعرة وتلك الأرواح معذّبة بأنواع العذاب في أنواع المركبات المسخوطات الملعونات المصفّدات مسجونات فيها، لا ترى روحاً ولا راحة إلى مبعث قائمنا، فيحشرها الله من تلك المركبات،فتردّ في الأبدان وذلك عند النشرات «النشآت» فيضرب أعناقهم، ثم تصير إلى النار أبد الآبدين ودهر الداهرين[1].

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: إذا قام قائمنا ردّ كلّ مؤذ للمؤمنين في زمانه في الصورة التي كانوا عليها وفيها بين أظهرهم لينتصف منهم المؤمنون[2].

رجعة سلمان وأمثاله من شيعة علي عليه السلام

روي بالإسناد عن سلمان الفارسي في حديث عن النبي ﷺ ذكر فيه الأئمة الاثني عشر وأوصافهم، قال: فبكيت ثم قلت: يا رسول الله فأنى لسلمان لإدراكهم؟ قال: «**يا سلمان إنك مدركهم وأمثالك ومن تولاهم حقيقة المعرفة**» قال سلمان: فشكرت الله كثيراً ثم قلت: يا رسول الله إني مؤجل إلى عهدهم؟ قال يا سلمان إقرأ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾.

قال سلمان فاشتدّ بكائي وقلت: يا رسول الله بعهد منك؟ فقال: «**إي والذي أرسل محمداً إنه لبعهد مني ولعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة وكل من هو منا ومظلوم فينا، إي والله يا سلمان، ثم ليحضرنّ إبليس وجنوده وكل من مُحّض الإيمان محضاً ومُحّض الكفر محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربّك أحداً، ونحن تأويل هذه الآية﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ**

---

(١) الأصول الستة عشر لعدة من المحدثين «كتاب زيد النرسي»: ٤٣، وعنه في البحار٦: ٢٩٢.

(٢) دلائل الإمامة: ٤٦٤.

فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾، قال سلمان: فقمت من بين يدي رسول الله ﷺ وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه[1].

وقال الصادق عليه السلام: يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبع وعشرون رجلاً خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون[2]، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً[3].

وقال عليه السلام لمفضّل بن عمر: أنت وأربعة وأربعون رجلاً تحشرون مع القائم، أنت على يمين القائم تأمر وتنهى، والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم[4].

ونظر الصادق عليه السلام إلى داود الرقي وقد ولّى، فقال: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أصحاب القائم عليه السلام فلينظر إلى هذا، وقال عليه السلام في شأنه: أنزلوه فيكم بمنزلة المقداد رحمه الله[5].

وقال الصادق عليه السلام: كأني بحمران بن أعين وميسر ابن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة[6].

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ قال الصادق عليه السلام: ليس أحد من المؤمنين قُتل إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يُقتل[7].

وعن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا تنتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام أُتي المؤمن في قبره، فيقال له: يا هذا إنه قد ظهر

---

(١) الهداية الكبرى: ٣٧٦، مقتضب الأثر لابن عياش: ٧، المختصر: ١٥٣وفيه: (ادع لي بإدراكهم) بدل: (فأتى لسلمان..)، الآية الاولى في سورة الاسراء: ٥، الثانية في سورة القصص: ٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ الأعراف: ١٥٩.

(٣) الارشاد ٢: ٣٨٦، وعنه في البحار٥٣: ٩١، تفسير العياشي ٢: ٣٢ باختلاف يسير.

(٤) دلائل الإمامة: ٤٦٤، إثبات الهداة ٣: ٥٧٣.

(٥) إختيار معرفة الرجال ٢: ٧٠٥، تنقيح المقال١: ٤١٤، التحرير الطاوسي: ٩٨.

(٦) مختصر البصائر: ٢٥، وعنه في البحار ٥٣: ٤٠.

(٧) تأويل الآيات ١: ٤٠٩، البحار ٥٣: ٤٠ عن مختصر البصائر، والآية في آل عمران: ١٥٧.

صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم[١].

وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا وُضع المؤمن في قبره فسح الله له في قبره مسيرة شهر أمامه وعن يمينه وعن يساره وعن خلفه، ويفتح له باب إلى الجنة فيدخل عليه روحها وريحانها إلى أن يبعث قائم آل محمد، وإنه ليزور آل محمد فيأكل من طعامهم وشرابهم ويتحدّث معهم في مجالسهم إلى أن يقوم قائمنا أهل البيت، فإذا قام قائمنا أقبلوا معه زمراً فزمراً، فعند ذلك يرتاب المبطلون، ويضمحلّ أثر المنتحلين وقليل ما يكونون.

ثم قال: يا عبد الحميد يهلك المخاصمون وينجو المقربون، ويثبت الحصن على أوتادها، وأما الكافر فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب جهنم يدخل عليه من فورها وحرّها إلى أن يبعث قائمنا، فيبعث فيضرب عنقه...[٢].

رجعة الأنبياء والمرسلين لنصرة عليٍّ عليه السلام

عن فيض بن أبي شيبة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وتلا هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ...﴾ قال: ليؤمننّ برسول الله صلى الله عليه وآله ولينصرنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام، قلت: ولينصرنّ أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام: نعم والله من لدن آدم فهلمّ جرّا، فلم يبعث الله نبيّاً ولا رسولاً إلا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتّى يقاتلوا بين يدي عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام[٣].

رجعة إسماعيل صادق الوعد

سأل بريد العجلي الصادق عليه السلام عن إسماعيل في قوله: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾ أكان إسماعيل ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام: إنّ إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإنّ إبراهيم كان حجة لله قائماً صاحب شريعة، فإلى من أُرسل إسماعيل إذاً! قال قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال: ذاك

---

(١) الخرائج٣: ١١٦٦، غيبة الطوسي: ٤٥٩، وعنه في البحار٥٣: ٩١، منتخب الأنوار: ٣٦.

(٢) سرور أهل الإيمان للنيلي النجفي: ٩٥، عن الكافي٨: ٢٩٤ باختلاف يسير.

(٣) مختصر البصائر: ٢٥٠، وعنه في البحار٥٣: ٤١، تفسير العياشي١: ١٨١.

إسماعيل بن حزقيل النبيعليه السلام بعثه الله إلى قومه فكذّبوه وقتلوه وسلخوا فروة وجهه، فغضب الله له عليهم فوجّه إليه سطاطائيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا سطاطائيل ملك العذاب وجّهني ربّ العزة إليك، لأعذّب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل، فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال إسماعيل: يا رب إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية، وأخبرت خيرخلقك بما تفعل أمته بالحسين بن عليعليه السلام من بعد نبيها، وإنك وعدت الحسين أن تكرّه إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممّن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تكرّني إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل ذلك بي، كما تكرّ الحسين، فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكرّ مع الحسين بن عليعليه السلام[1].

أصحاب الكهف من أعوان المهديعليه السلام

إنّ حديث حضور أميرالمؤمنينعليه السلام مع عشرة من الأصحاب عند أصحاب الكهف والرقيم وسلامه عليهم وردّهم السلام عليه وقولهم: إنا معاشر الصديقين والشهداء لا نكلّم بعد الموت إلا نبياً أو وصياً، معروف رواه أنس بن مالك، وقد ورد في مصادر الفريقين بما فيه دلالة على إمامة أميرالمؤمنينعليه السلام وعلى قدرته الفائقة من قبل الله تعالى والمهيمنة على الأكوان.

وقد رواه في عقد الدرر عن تفسير الثعلبي، وفيه بعد ذكر القصة: وأخذوا مضاجعهم، فصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهديعليه السلام، فقال: إنّ المهدي يُسلّم عليهم فيحييهم اللهعزّ وجلّ ثم يرجعون إلى رقدتهم، فلا يقومون إلى يوم القيامة[2]، ولم يذكر في هذا الحديث أنهم متى يرجعون إلى رقدتهم،غير أنّ المستفاد من سائر الأخبار هو أنهم يصحبون القائمعليه السلام ويكونون من أعوانه ووزرائه.

وقد ورد الإنباء عن ذلك عن ابن عباس، عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «أصحاب

---

(١) مختصر البصائر: ١٧٧، البحار٥٣: ١٠٥، عن كامل الزيارات: ١٣٨، الآية في سورة مريم: ٤٥.

(٢) عقد الدرر: ١٤١ عن الثعلبي في تفسير آية ٩ من سورة الكهف،وعنه في الطرائف: ٨٣، والعمدة لابن بطريق: ٤٣١، والبحار ٣٩: ١٥٠.

الكهف أعوان المهدي[١]، وهذا يستلزم بقائهم مدّة من الدهر.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة ذكر فيها ما يجري من الفتن قبل ظهور المهدي عليه السلام إلى أن قال: واليوم الثالث يفرق بين الحق والباطل بخروج دابة الأرض، وتقبل الروم بساحل البحر عند كهف الفتية، ويبعث الله الفتية من كهفهم إليهم، منهم رجل يقال: مليخا والآخر كمسلمينا، وهما الشاهدان المسلمان للقائم، فيبعث أحد الفتية إلى الروم، فيرجع بغير حاجة، ويبعث بالآخر، فيرجع بالفتح...[٢].

وتقدم في حديث الصادق عليه السلام ذكر نبذة من أهل الكرّة، فقال:... وسبعة من أهل الكهف... .

كيفية رجعة المؤمنين

في حديث عن الصادق عليه السلام بعد ذكر مدة ملك القائم عليه السلام قال: وإذا آن قيامه مطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يرَ الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم، فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب[٣].

رجعة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وعبد الله بن شريك و...

عن أبي خديجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إني سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبى، ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أخرى إنه يكون أول منشور في عشرة من أصحابه، ومنهم عبد الله بن شريك، وهو صاحب لوائه[٤].

و روى الكشي بسنده عن الباقر عليه السلام أنه قال: كأني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتاها بين كتفيه، مصعداً في لحف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مكبرون ومكرّون[٥].

---

(١) الدر المنثور٤: ٢١٥، فتح الباري لابن حجر٦: ٣٦٥، سبل الهدى والرشاد٢: ١٢٤.

(٢) منتخب البصائر: ٢٠١، وعنه في البحار٥٣: ٨٥.

(٣) الإرشاد٢: ٣٨١، وعنه في البحار٥٣: ٩٠، وكشف الغمة٣: ٢٦٢، إعلام الورى٢: ٢٩٠.

(٤) مختصر البصائر: ٢٦، وعنه في البحار٥٣: ٧٦.

(٥) رجل الكشي: ٢١٧، وعنه في البحار٥٣: ٧٦. اللحف: أصل الجبل.

أشراط الساعة

سبق أنّ ظهور المهديعليه السلام وعلائمه قد عُدّ في لسان الأخبار من أشراط الساعة ومن علائم القيامة، لاتصاله بها وقربه منها، فإذا وردت بعض علائم ظهور المهدي في أخبار أشراط الساعة، فمن هذا الباب، فترى قد عدّ رسول اللهصلى الله عليه وآله للساعة عشر آيات مُتقارنة بعلائم ظهور المهدي.

كما جاء عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع علينا النبيصلى الله عليه وآله ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة قال: «**إنها لن تقوم الساعة حتى يُرى قبلها عشر آيات**» فذكر«**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك كلّه نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[1].

طلوع الشمس من مغربها

وقد أنبأ القرآن الكريم عن أحداث الساعة في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[2].

جاء عن أبي هريرة انه قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا جميعاً، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً**»[3].

وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول اللهصلى الله عليه وآله يقول: «**إنّ أول الآيات خروجاً**

---

(١) الخصال للصدوق: ٤٣٦، وورد في مصادر العامة باختلاف يسير، فانظرصحيح مسلم٤: ٢٢٢٥،وعنه عقد الدرر: ٣٢٧، سنن الترمذي٣: ٣٣٣، مسند أبي داود: ١٤٣، مسند أحمد٤: ٦.

(٢) الأنعام: ١٥٨.

(٣) صحيح البخاري٦: ٧٣، صحيح مسلم١: ١٣٧كتاب الايمان، وعنهما في عقد الدرر: ٣١٩.

طلوع الشمس من مغربها والدابة، أيها كانت فالأخرى على أثرها قريباً[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[٢].

وعن أبي ذر قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: «يا أبا ذر، أتدري أين تغرب؟» قال: قلت الله ورسوله أعلم قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش عند ربها، فتستأذن فلا يؤذن لها، حتى تستشفع وتطلب، فإذا طال عليها، قيل لها: اطلعي من مكانك، فذلك قوله: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٣].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحىً».

قال عبد الله بن عمر: فأيتهما خرجت قبل الأخرى، فالأخرى منها قريب، قال عبد الله: ولا أظنّها إلا طلوع الشمس من مغربها[٤].

وفي حديث حذيفة عن رسول الله ﷺ في ذكر أشراط الساعة، قال: «...وطلوع الشمس من مغربها، يكون طول الليلة ثلاث ليال، لا يعرفها إلا الموحدون أهل القرآن، يقوم أحدهم فيقرأ حزبه «جزئه»، فيقول: قد عجلّت الليلة، فيرجع فيرقد رقدة ثم يُهبُّ من نومه فيسير بعضهم إلى بعض فيقول: هل أنكرتم ما أنكرنا؟ فيقول بعضهم لبعض: غداً تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها، فعند ذلك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر أشراط الساعة قال: ألا وتكون الناس بعد

---

(١) المستدرك٤: ٥٤٧، مصنف ابن أبي شيبة ٨: ٦١٩باختلاف يسير، وكنز العمال١٤: ٢٥٨.

(٢) صحيح مسلم-كتاب الإيمان١: ٩٥، مسند أحمد ٢: ٤٤٥ وفيه: الدخان بدل (الدجال).

(٣) كنز العمال٦: ١٧٣، تاريخ دمشق ٣: ١٦٣، عقد الدرر: ٣٢٣، الآية في سورة يس.

(٤) سنن ابن ماجة٢: ١٣٥٣، ونحوه في صحيح مسلم ٨: ٢٠٢، ومسند أحمد٢: ٢٠١.

(٥) سنن الداني-لوحة: ١٢، وعنه في عقد الدرر: ٣٢٤.

طلوع الشمس من مغربها كيومهم يطلبون النسل والولد، يلقى الرجل الرجل فيقول: متى ولدت؟ فيقول: من طلوع الشمس من المغرب، وترفع التوبة، ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾، هو التوبة[1].

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾ عن الصادقعليه السلام أنه قال: طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة والدخان، والرجل يكون مُصراً ولم يعمل على الإيمان، ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمانه[2].

خروج يأجوج ومأجوج

فمن تلك الآيات خروج يأجوج ومأجوج، الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[3]، وقال في موضع آخر: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾[4].

قال الطبرسي في تفسير قوله: ﴿...مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم، ويأكلون لحومهم ودوابهم، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضراً إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه، وقيل: إنهم أرادوا سيفسدون في المستقبل عند خروجهم.

وقال في قوله: ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ أي يعلوه ويصعدوه، ﴿ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ أي لم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته وصلابته، فنفى بذلك كل عيب يكون في السدّ.

---

(١) عقد الدرر: ٣٢٦.

(٢) تفسير العياشي١: ٣٨٤، وعنه في البحار٦: ٣١٣، الآية في سورة الأنعام: ١٥٨.

(٣) الأنبياء: ٩٦.

(٤) الكهف: ٩٣-٩٩.

قال ذوالقرنين: ﴿ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ أي هذا السدّ نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في دفع شرّ يأجوج ومأجوج عنهم، ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ﴾ يعني إذا جاء أشراط الساعة ووقت خروجهم الذي قدّره الله تعالى جعل السدّ مستوياً مع الأرض مدكوكاً، أي ذا دكٍّ، وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال.

وجاء في الحديث: إنهم يدأبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسوا وكادوا لا يبصرون شعاع الشمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولا يستثنون، فيعودون من الغد وقد استوى كما كان، حتى إذا جاء وعد الله قالوا: غداً نخرج ونفتح إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينفون المياه وتتحصّن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء...[1].

وفي قوله ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السدّ يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموّج باضطراب أمواجه...﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي فتحت جهنم، والمعنى انفرج سدّهم بسقوط أو هدم أو كسر، وذلك من أشراط الساعة، ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ أي من كل نَشَز من الأرض يسرعون، يعني أنهم يتفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ ﴾ أي الموعود الصدق وهو قيام الساعة، فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر، وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة، وهو علم من أعلام الساعة، وقيل لا يبقى

---

(١) وفي رواية أخرى عنه ﷺ بعد ذكر الدجال وقتل عيسى عليه السلام إياه ذكر يأجوج ومأجوج إلى أن قال: «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض فهلمّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنُشّابهم إلى السماء، فيردّ الله عليهم نُشّابهم مخضّبةً دماً». صحيح مسلم ٤: ٢٢٥٠-٢٢٥٥.

مؤمن إلا مسحته ولا يبقى منافق إلا حطمته... وساق الكلام في دابة الأرض[١].

هذا وقد جرى ذكرهم على لسان رسول الله ﷺ في حديث رواه حذيفة عنه ﷺ أنه ذكر قصة الدجال وقتل عيسى عليه السلام إياه، ثم قال: «فعند ذلك خروج يأجوج ومأجوج» قال: «فيوحي الله تعالى إلى عيسى: أحرز عبادي بالطور-طور سينين» قال حذيفة: فقلت: يا رسول الله وما يأجوج ومأجوج؟ قال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح» قال قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف،صنف منهم أمثال الأرز»، قلت: يا رسول الله وما الأرز؟ قال: «شجر بالشام طوال، وصنف منهم عرضه وطوله سواء، هؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه، ويلتحف بالأخرى ولا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية، فيحلّون بيت المقدس، وعيسى والمسلمون بالطور، فيبعث عيسى طليعة، فيشرفون على بيت المقدس، فيرجعون إليه فيخبرونه أنه ليس تُرى الأرض من كثرتهم»، قال: «ثم إنّ عيسى يرفع يديه إلى السماء، فيرفع المؤمنون معه، فيدعو الله تعالى، ويؤمّن المؤمنون، فيبعث الله تعالى عليهم دوداً، يقال له: النغف، فيدخل في مناخرهم، حتى يدخل في الدماغ، فيصبحون أمواتاً» قال: «فيبعث الله تعالى عليهم مطراً وابلاً أربعين صباحاً فيغرقهم في البحر، ويرجع عيسى إلى بيت المقدس، والمؤمنون معه»[٢].

---

(١) مجمع البيان ٦: ٣٨٧، وعنه في البحار٦: ٢٩٨-٣٠٠ و٥٧: ١١٧، وفي وصف يأجوج ومأجوج يقال: إنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك، غير أنّ البعض يقول: الترك سرّية خرجت تغيّر، فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجة، وقيل: هم نادرة من ولد آدم، وفي مسكنهم ومحل السدّ قيل: إنّ هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخرهما البحر المحيط، وقيل: إنه وراء دربند وخزران من ناحية أرمينية وآذربايجان، وقيل: إنّ مقدار ارتفاع السدّ مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً، مجمع البيان٦: ٣٨٩.

(٢) أنظر مجمع البيان٦: ٣٨٧، وسنن الداني-لوحة: ١١١، وعنه عقد الدرر: ٣٠٦، وفي: ٣١٠ مثله عن أمير المؤمنين عليه السلام. النَغَف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

وزاد مسلم: «...ثم يهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا أملأه رَمَمُهُم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البُخت فتحملهم حيث شاء الله تعالى، ويستوقد المسلمون من قسيّهم وجعابهم سبع سنين، ثم يرسل الله تعالى مطراً، لا يُكنّ منه بيت مدر، ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: انبتي ثمرتك وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمّانة ويستظلّون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أنّ اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك، إذ بعث الله ريحاً طيّبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن، وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»[1]، وما لاحظته هو بعض ما روي في يأجوج ومأجوج.

آية الدخان

وفي خصوص آية الدخان قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ فقد روي: إنّ الدخان آية من أشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين، وهو لم يأت بعد، وإنه يأتي قبل الساعة، فيدخل أسماعهم حتى أنّ رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ، ويصيب كل مؤمن منه مثل الزكمة، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص، ويمكث ذلك أربعين يوماً[2].

وفي حديث عن حذيفة،عن رسول الله ﷺ قال: «إنّ من أشراط الساعة دخاناً ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوماً، فأما المؤمن

---

(١) صحيح مسلم٤: ٢٢٥٠ كتاب الفتن وأشراط الساعة-باب ذكر الدجال-، وعنه عقد الدرر ٣٠٢-٣٠٤، قوله: فحفها: مقعر قشرها، اللقحة: اللقمة، الفخذ: الجماعة من الأقارب، تهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير.

(٢) مجمع البيان ٩: ١٠٤، عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجبائي، البحار٦: ٣٠١، الآية في سورة الدخان: ١٠، الخصاص: كل خرق أو فرج في باب أو بناء.

فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينيه وأذنيه ودُبره»[1].

وفي حديث آخر عنه، عن النبيﷺ في ذكر أشراط الساعة قال: «فعند ذلك يظهر الدخان» يعني عند هلاك يأجوج ومأجوج ورجوع عيسى إلى بيت المقدس- قال حذيفة: قلت يا رسول الله وما آية الدخان؟ قال: «تسمع ثلاث صيحات ودخان يملأ ما بين المشرق والمغرب، فأما المؤمن فتصيبه زكمة، وأما الكافر فيصيبه مثل السكران، يدخل في منخره وأذنه وفيه ودُبره، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وخروج الدابة-وذكر قصتها وقصة طلوع الشمس من مغربها- و قال: «ثم يبعث اللهﷻ من قبل مكة ريحاً ساكنة تقبض روح ابن مريم وأرواح المؤمنين معه، وتبقي سائر الخلق لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيمكثون ما شاء، فتقوم عليهم الساعة، وهم شرار الخلق»[2].

وجاء في كتاب الفتن لنعيم بن حماد بسنده عن النبيﷺ قال: «خروج الدابة بعد طلوع الشمس، فإذا خرجت قتلت الدابة إبليس وهو ساجد ويتمتع المؤمنون في الأرض بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه ووجدوه، فلا جور ولا ظلم وقد أسلمت الأشياء لرب العالمين طوعاً وكرهاً، والمؤمنون طوعاً والكفار كرهاً، والسبع والطير كرهاً، حتى إنّ السبع لا يؤذي دابة ولا طيراً ويلد المؤمن فلا يموت، حتى يتم أربعين سنة بعد خروج دابة الأرض، ثم يعود فيهم الموت فيمكثون بذلك ما شاء الله، ثم يسرع الموت في المؤمنين فلا يبقى مؤمن، فيقول الكافر: قد كنا مرعوبين من المؤمنين، فلم يبق منهم أحد، وليس يفقد منا ميت فما لنا لانتهارج، فيتهارجون في الطريق تهارج البهائم، ثم يقوم أحدهم بأمه وأخته وابنته فينكحها في وسط الطريق، يقوم عنها واحد وينزو عليها آخر لا يُنكر ولا يُغيّر، فأفضلهم يومئذ من يقول لو تنحّيتم عن الطريق كان أحسن، فيكونوا بذلك حتى لا يبقى أحد من أولاد النكاح، ويكون جميع أهل الأرض أولاد السفاح، فيمكثون بذلك ما شاء

---

(١) مختصر تذكرة القرطبي: ٢٥٠، وعنه في عون المعبود للعظيم آبادي١١: ٢٩١.

(٢) سنن الداني-لوحة ١١٢، وعنه في عقد الدرر: ٣٤١، جامع البيان للطبري١٥: ١٧.

الله،ثم يعقم الله أرحام النساء ثلاثين سنة فلا تلد امرأة، ولا يكون في الأرض طفل، يكونوا كلهم أولاد الزنا شرار الناس، وعليهم تقوم الساعة»[1].

الأخبار العامة عن أشراط الساعة

وقد وردت عن الرسول المصطفىﷺ وأهل بيتهعليهم السلام نبوءات تفصح عن قرب الساعة، كثير منها تنطبق على أحداث الظهور وما يكون عليه الناس من الحالة الاجتماعية والاقتصادية، وقد تحقق كثير منها، ومن ثم يقع الخلط-عند ملاحظتها- بينها وبين ساعة القيامة، وليس هذا إلا لوحدة الاسم، لأنّ قيام القائم يطلق عليه قيام الساعة، وهكذا القيام للآخرة، ولهذا سُمّي قيام المهدي بالقيامة الصغرى وقيام الآخرة بالقيامة الكبرى، أو لقرب عهد ساعة الظهور بساعة الآخرة واتصالهما.

فسنسلّط الضوء علىنبذة منها تكميلاً لمنهجية الكتاب وتتميماً للفائدة، ولما فيها من التحذير والايقاظ وبإمكان القارئ الكريم مواصلة الكتب المعدّة في هذا الصعيد للإطلاع على سائر المرويات الواردة.

فمنها: ما جاء في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ ﴾ يعني القيامة ﴿ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ بالإسناد عن عبد الله بن عباس، قال: حججنا مع رسول اللهﷺ حجة الوداع، فأخذ باب الكعبة، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «ألا أُخبركم بأشراط الساعة؟» وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رضي الله عنه، فقال: بلى يا رسول الله.

فقال: «إنّ من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟! قال: «إي والذي نفسي بيده،يا سلمان إنّ عندها أمراء جورة، ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة».

---

(١) الفتن لابن حماد ٤٠٣، وعنه في الملاحم لابن طاووس: ١٠١، المستدرك للحاكم٤: ٥٢١.

فقال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، يا سلمان إنّ عندها يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وأتمن الخائن ويُخوَّن الأمين، ويُصدّق الكاذب، ويكذّب الصادق».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟! قال: «إي والذي نفسي بيده، يا سلمان فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طُرفاً، والزكاة مغرماً، والفيئ مغنماً، ويجفو الرجل والديه، ويبرّ صديقه، ويطلع الكوكب المذنّب».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده، يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، ويغيظ الكرام غيظاً، ويُحتقر الرجل المعسر، فعندها يقارب الأسواق، إذا قال هذا: لم أبع شيئاً، وقال هذا: لم أربح شيئاً، فلا ترى إلا ذامّاً لله».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا بفيئهم، وليطؤنّ حرمتهم، وليسفكنّ دماءهم، ولتملأنّ قلوبهم رعباً، فلا تراهم إلا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟! قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها يؤتى بشيء من المشرق وشيء من المغرب يلوّن[1] أمتي، فالويل لضعفه أمتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً، ولا يوقّرون كبيراً ولا يتجاوزون عن شيء، أخيارهم خُنَاء، جثتهم جثة الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، عندها تكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، ويشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج فعليهنّ من أمتي لعنة الله».

---

(١) قوله: «يلوّن أمتي..» يتلوّنون ويتزيّنون بألوان مختلفة مما يؤتى إليهم من المشرق والمغرب، وهو ما يقال له: «المودليه».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، ويُحلّى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده، وعندها تُحلّى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتخذون جلود النمور صفاقاً».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالغيبة والرشا، ويوضع الدين، وترفع الدنيا».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله، فقال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حدّ، ولن يضرّ الله شيئاً».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ «إي والذي نفسي بيده يا سلمان، وعندها تحج أغنياء أمتي للنزهة وتحج أوساطها للتجارة، وتحج فقراؤهم للريا والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله، ويتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنا، ويتغنون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده، يا سلمان ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسُلّط الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر اللجاجة، ويفشو الحاجة، ويتباهون في اللباس، ويُمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من الأمة، ويظهر قرّاؤهم وعبّادهم فيما بينهم التلاوم، فأولئك يُدعون في ملكوت السماوات: الأرجاس والأنجاس».

قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «إي والذي نفسي بيده، يا سلمان فعندها لا يخشى الغني إلا الفقير، حتى أنّ السائل ليسأل فيما بين الجمعتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً».

قال سلمان: وإنّ هذا الكائن يا رسول الله؟ قال رسول اللهﷺ: «إي والذي نفسي بيده، يا سلمان عندها يتكلم الرويبضة»، فقال: وما الرويبضة يا رسول الله فداك أبي أمي؟ قالﷺ: «يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم، فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورة، فلا يظنّ كل قوم إلا أنها خارت في ناحيتهم، فيمكثون ما شاء الله،ثم ينكتون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها-قال: ذهب وفضة- ثم أومأ بيده إلى الأساطين فقال: «مثل هذا، فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة، فهذا معنى قوله فقد جاء أشراطها»[1].

وقولهﷺ: «فتلقى الأرض أفلاذ كبدها» من الأمور التي تحدث في عهد ظهور القائم عليه السلام، وقد وردت فيه النبوءات الكثيرة.

وقد لاحظت أنّ جلّ ما أنبأ به رسول اللهﷺ من الأمور قد تحقّقت، وكان ابتداء تحققها بعد ارتحالهﷺ إلى الرفيق الأعلى الذي عُدّ من الأشراط.

فقد قال النبيﷺ لعوف: «أعدد يا عوف ستاً بين يدي الساعة: أوّلهنّ موتي» قال: فاستبكيت حتى جعل يُسكّتني،ثم قال لي: «قل إحدى» قلت: إحدى، قال: «والثانية: فتح بيت المقدس،قل ثنتان» فقلت:ثنتان، قال: «والثالثة: موتان[2] يكون في أمتي يأخذهم مثل قعاص الغنم، قل ثلاث» فقلت: ثلاث، قال: «والرابعة فتنة تكون في أمتي وعظمها» ثم قال: «قل أربع» فقلت: أربع، قال: «والخامسة يفيض المال فيكم حتى أنّ الرجل ليُعطى المأة دينار فيتسخّطها، قل خمس» فقلت:خمس، قال: «والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر يسيرون إليكم على ثمانين غاية، تحت كل راية إثنى عشر ألفاً، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق»[3].

وفي حديث آخر قال النبيﷺ: «...وإنّ من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا ويقلّ الرجال وتكثر النساء حتى

---

(١) تفسير القمي ٢: ٣٠٣، وعنه في البحار٦: ٣٠٥-٣٠٦.

(٢) قال عليعليه السلام: بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض وجراد في غير حينه كالوان الدم، فأما الموت الأحمر فالسيف، وأما الموت الأبيض فالطاعون.(غيبة الطوسي: ٢٨٣).

(٣) تاريخ دمشق١: ٢٣٤، و٤٧: ٤٩، وانظر صحيح البخاري ٤: ٦٨، مسند أحمد٦: ٢٥.

أنّ الخمسين امرأة فيهن واحد من الرجال»[١].

وفي حديث عنه ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض فيبقى فيها عجاج لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً»[٢].

وفي حديث قال ﷺ: «بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً ويُمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا»[٣].

وفي حديث آخر عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا حذيفة قد ذهبت الدنيا أو كأنك بالدنيا لم تكن» قلت: فداك أبي وأمي يا رسول الله فهل من علامة يُستدلّ بها على ذلك قال: «نعم يا حذيفة احفظ بقلبك وانظر بعينك واعقد بيديك، إذا ضيّعت أمتي الصلوة، واتّبعت الشهوات، وكثرت الخيانات، وقلّت الأمانات، وشربوا القهوات، واظلمّ الهوى، وغار الماء، واغبرّت الأفق، وخيفت الطُرق، وتشاتم الناس وفسدوا، وفجرت الباعة، ورفضت القناعة، وساءت الظنون، وتلاشت السنون، وكثرت الأشجار، وقلّت الثمار، وغلت الأسعار، وكثرت الرياح، وتبينت الأشراط، وظهر اللواط، واستحسنوا الخُلف، وضاقت المكاسب، وقلّت المطالب، واستمروا بالهوى، وتفاكهوا بينهم بشتيمة الآباء والأمهات، وأكل الربا، وفشا الزنى، وقلّ الرضا، واستعملوا السفهاء وكثرت الخيانة، وقلّت الأمانة، وزكّى كل امرئ نفسه وعمله، وصار الباطل حقاً، والكذب صدقاً، والصحة عجزاً، واللوم عقلاً، والضلالة هدى، والبيان عمى، والصمت بلاهة، والعلم جهالة، وكثرت الآيات، وتتابعت العلامات، وتراجموا بالظنون، ودارت على الناس رحى المنون، وعميت القلوب، وغلب المنكر المعروف، وذهب التواصل، وكثرت التجارات، واستحسنوا البطالات، وتهادوا أنفسهم بالشهوات، وتهاونوا بالمعضلات، وركبوا جلود النمور، وأكلوا المأثور، ولبسوا الحبور، وآثروا الدنيا على الآخرة، وذهبت الرحمة من القلوب، وعمّ الفساد واتخذوا كتاب الله

---

(١) روضة الواعظين: ٤٨٥، صحيح البخاري ١: ٢٨، سنن الترمذي ٣: ٣٣٣.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ١٣، الشريطة: الأخيار، والعجاج: الأرذال ومن لا خير فيه.

(٣) سنن الترمذي٩٣: ٢٣٠، مستدرك الحاكم٣: ٥٢٥.

لعباً ومال الله دولاً، واستحلّوا الخمر بالنبيذ، والبخس بالزكوة، والربا بالبيع، والحكم بالرشا، وتكافأ الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وصارت المباهاة في المعصية، والكبر في القلوب، والجور في السلاطين، والسفاهة في سائر السلاطين، فعند ذلك لا يسلم لذي دين دينه، إلا من فرّ بدينه من شاهق إلى شاهق، ومن وادٍ إلى وادٍ، وذهب الإسلام حتى لا يبقى إلا إسمه، واندرس القرآن من القلوب، حتى لا يبقى إلا رسمه، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم، لا يعلمون بما فيه من وعد ربهم ووعيده وتحذيره وتنذيره وناسخه ومنسوخه، فعند ذلك تكون مساجدهم عامرة، وقلوبهم خاربة من الإيمان، علماؤهم شرُّ خلق الله على وجه الأرض، منهم بدت الفتنة وإليهم تعود، ويذهب الخير وأهله ويبقى الشرُّ وأهله، ويصير الناس بحيث لا يعبأ الله بشيء من أعمالهم، قد حُبِّبَت إليهم الدنيا والدرهم حتى أنّ الغني ليحدّث نفسه بالفقر»[1].

هذه نبذة من النبوءات التي وردت بشأن الأحداث العامة وما يُعبّر عنها بأشراط الساعة وقد لاحظت عدم اختصاصها بالساعة الكبرى، بل هي مختلفة وغالبها مرتبط بالساعة الصغرى أو القيامة الصغرى، وهي ساعة قيام الإمام المنتظر وما يقع فيها من التغيير والإصلاح والأمور الهامة.

وقد ختمت عملي القاصر بذكر هذا المقدار منها لجامعيتها، وكي لا يخلو الكتاب الجامع للأنباء المصطفوية منها، على ما في ملاحظتها من الانتباه والاتعاظ والتحذّر عن الوقوع فيما وقع فيه الآخرون من الانحراف وزوال الإيمان وسائر الفتن، وما فيه من الاهتمام في إكثار الدعاء والطلب من الله تعالى بأن يثبتنا على الإيمان ولا يزغ قلوبنا بعد إذ هدانا.

وقد ورد من الأئمة الأطهار عليهم السلام التأكيد على ذلك وانتظار الفرج من الله تعالى وكثرة الدعاء بتعجيل الفرج لما فيه من الآثار البنّاءة والفوائد الكثيرة للدين والدنيا والآخرة، وقد تصدّى لبيان تلك الفوائد بعض الأعلام في كتبهم، منهم السيد محمد تقي الموسوي في كتاب مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام.

---

(١) مسلية الأبرار ومحاضرة الأخيار٢: ١٤.

و في الختام أودّ أن أفصح عن شوقي ولهفي وانتظاري لصاحب الطلعة الرشيدة والغرّة الحميده، والشمس التي جللّها السحاب، والبدر المنير الذي بظهوره يستغني الناس عن ضوء الشمس والقمر فتشرق الأرض بنور ربها، وأن أخاطبه بما خاطبه بعض المتلهّفين له وأتمثّل بقوله:

قلبي إليك من الأشواق محترق ... ودمع عيني من الآماق مندفق

الشوق يحرقني والدمع يغرقني ... فهل رأيت غريقاً وهو محترق

ثم أقول:

بنفسي مَن مِن هجره أنا ضائل ... ومن للواء الفتح والنصر حامل

بنفسي إماماً قائماً غاب شخصه ... وليس له في العالمين مماثل

بنفسي من يحيي شريعة جده ... ويقضي بحكم لم يرُمه الأوائل

ويجتثّ أصل الظالمين وفرعهم ... ويُحيي به رسم العُلى والفضائل

فيا ربّ عجّل في ظهور إمامنا ... وهذا دعاء للبرية شامل

وأهدي لحضرته هذه البضاعة المزجاة والجهد القاصر، وأرجو منه أن يتفضّل عليّ بقبوله والغضّ عن نواقصه، فيكون أثراً مفيداً باقياً، وذخراً لي في الحياة وبعد الممات، إن شاء الله رب العالمين.

ويلزمني أن أُقدم الشكر الجزيل لسعادة الأخ غانم السعداوي لما بذله من المساعدة في مقابلة الكتاب واستخراج نبذة من المصادر.

وليكن آخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين.

ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه، ربّنا أتمم لنا نورنا.

٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٧ مشهد المقدسة

فهرست المصادر

حرف الألف

*ـ إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات-لمحمد بن الحسن الحر العاملي، المطبعة العلمية/إيران-قم.

*ـ إثبات الوصية-لأبي الحسن المسعودي، ط منشورات الرضي/إيران-قم.

*ـ أجوبة مسائل جار الله-لعبد الحسين شرف الدين، ط العرفان /لبنان-صيدا.

*ـ الآحاد والمثاني-لأبن أبي عاصم، ط دار الراية.

*ـ الأحاديث الطوال-لسليمان بن أحمد الطبري، ط دار الكتب العلمية/لبنان.

*ـ الإحتجاج-لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، ط دار النعمان/النجف.

*ـ الإختصاص-لمحمد بن النعمان العكبري-الشخ المفيد ط جامعة المدرسين/إيران-قم.

*ـ الإستيعاب-لابن عبد البرّ القرطبي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.

*ـ أُسُد الغابة-لابن الأثير، ط انتشارات إسماعيليان/إيران-طهران.

*ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد-لمحمد بن النعمان العكبري-الشخ المفيد ط دار المفيد.

*ـ الأربعين-الأربعين حديثاً في إثبات إمامة أميرالمؤمنين عليؑ-لسليمان بن عبد الله الملحوزي البحراني، نشر مطبعة أمير.

*ـ إرشاد القلوب-للديلمي، ط مؤسسة آل البيتؑ ـ إيران-قم.

*ـ إزالة الخفاء-لأحمد بن عبد الرحيم الدهلوي الهندي.

*ـ الإشارات والتنبيهات-لابن سينا، بالواسطة.

*ـ الإشاعة لأشراط الساعة-لمحمد بن رسول البرزنجي الحسيني، ط دار المنهاج/لبنان.

*ـ الإصابة في معرفة الصحابة-لابن حجر العسقلاني، ط دار الكتب العلمية/لبنان.

*ـ الأصول الستة عشر-لنخبة من الرواة، نشر دار الشبستري/إيران-قم.

*ـ أعلام النبوة-لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ط دار الكتاب العربي/ لبنان.

*ـ أعلام النسبة-لعبد الفتاح عبد المقصود ط/لبنان.

*ـ إعلام الورى بأعلام الهدى-للفضل بن الحسن الطبرسي، ط مؤسسة آل البيتؑ لإحياء التراث/إيران-قم.

*ـ الأغاني-لأبي الفرج الاصبهاني، ط دار إحياء التراث العربي-لبنان.

*ـ أمالي المرتضى-للشريف المرتضى، ط مكتبة المرعشي النجفي/إيران-قم.

*ـ الأمالي-للصدوق-محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ط مؤسسة البعثة/إيران-قم.

*ـ الأمالي-للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ط دار الثقافة/إيران-قم.
*ـ الأمالي-لمحمد بن النعمان العكبري البغدادي-الشيخ المفيد ط جامعة المدرسين في الحوزة العلمية/إيران-قم.
*ـ الإمامة والتبصرة-لابن بابويه القمي، ط مدرسة الإمام المهدي عليه السلام/إيران-قم.
*ـ إمتاع الأسماع-لأحمد بن علي المقريزي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ الإمامة والسياسة-لابن قتيبة الدينوري، تحقيق طه محمد الزيني، ط مؤسسة الحلبي/ مصر، وتحقيق علي الشيري، ط منشورات الشريف الرضي/ إيران-قم.
*ـ الإلمام علي بن أبي طالب-لمحمد بيومي مهران، ط دار النهضة العربية /لبنان.
*ـ الأموال-لقاسم بن سلام البغدادي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ أنساب الأشراف-لأحمد بن يحيى البلاذري، ط مؤسسة الأعلمي/لبنان.
*ـ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف-لعلي بن سليمان المرداوي، ط دار إحياء التراث العربي /لبنان.

حرف الباء

*ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار-للعلامة محمد باقر المجلسي، ط مؤسسة الوفاء/لبنان.
*ـ البداية والنهاية-لابن كثير، ط دار إحياء التراث العربي/لبنان.
*ـ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان-لعلاء الدين علي بن حسام الدين المعروف بالمتقي الهندي، ط شركة الرضوان/إيران-طهران.
*ـ بشارة المصطفى ﷺ لشيعة المرتضى عليه السلام ـ لأبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري، ط مؤسسة النشر الاسلامي/إيران-قم.
*ـ بصائر الدرجات الكبرى-لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فرّوج الصفار، ط مؤسسة الأعلمي/إيران-طهران.
*ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث-لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط دار الطلائع/لبنان.
*ـ البيان في أخبار صاحب الزمان-للكنجي الشافعي، ط النجف-سنة ١٣٢٤.
*ـ البيان في تفسير القرآن-للسيد أبو القاسم الخوئي، ط دار الزهراء/لبنان.

حرف التاء

*ـ تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة-للسيد شرف الدين علي بن الحسين الاسترآبادي النجفي، ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم.
*ـ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام-لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان

الذهبي، ط دار الكتاب العربي- بيروت.
*ـ تاريخ بغداد أو مدينة الإسلام-لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط دار الكتب العلمية /لبنان.
*ـ تاريخ الخلفاء-لجلال الدين السيوطي، ط دار الكتاب العربي/لبنان.
*ـ تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس-لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، ط مؤسسة شعبان/لبنان.
*ـ تاريخ الطبري-لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري-ط مؤسسة الأعلمي /بيروت، وط روائع التراث العربي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
*ـ تاريخ مدينة دمشق-لابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، ط دار الفكر- لبنان.
*ـ تاريخ محمد-لمحمد حسنين هيكل، بالواسطة.
*ـ تاريخ اليعقوبي-لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي، ط دار صادر/لبنان.
*ـ تجهيز الجيش-لحسن بن المولوي أمان الله الدهلوي العظيم آبادي.
*ـ التحرير الطاووسي-لحسن بن زين الدين، ط مكتبة المرعشي النجفي/قم.
*ـ تذكرة الحفاظ- للمباركفوري، ط دار الكتب العلمية/بيروت- لبنان.
*ـ تذكرة الحفاظ-لمحمد بن أحمد الذهبي، ط دار الكتب العلمية/لبنان
*ـ تذكرة خواص الأئمة عليهم السلام -للحافظ يوسف بن فرغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي، طبع مكتبة نينوى/إيران-طهران.
*ـ تفسير ابن كثير-تفسير القرآن العظيم-لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ تفسير الرازي-التفسير الكبير- لفخر الدين الرازي، ط دار الفكر/لبنان.
*ـ تفسير العياشي-لأبي النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، ط المكتبة العلمية الإسلامية/إيران-طهران.
*ـ تفسير فرات الكوفي-لأبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، ط وزارة الثقافة والإرشاد/إيران-طهران.
*ـ تفسير القرطبي-الجامع لأحكام القرآن-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط دار إحياء التراث العربي /لبنان.
*ـ تفسير القمي-لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي، نشر مؤسسة دار الكتاب/إيران-قم، الطبعة الثالثة.
*ـ تفسير الكشاف-لأبي القاسم الزمخشري، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ تفسير كنز الدقائق-للميرزا محمد المشهدي بن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال

الدين القمي، ط مؤسسة النشر الإسلامي/إيران-قم.
*- تفسير مجمع البيان-لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/لبنان.
*- التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام - لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، نشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام/ط دار الكتب الإسلامية، إيران-قم.
*- تفسير نور الثقلين-للسيد عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ط مؤسسة إسماعيليان/إيران-قم.
*- تلبيس إبليس-لأبي الفرج الأصبهاني، نشر مكتبة النهضة/مصر.
*- تنزيه الأنبياء-لعلي بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى، ط دار الأضواء/ لبنان.
*- تنقيح المقال في علم الرجال-لعبد الله بن محمد حسن المامقاني، ط المكتبة الرضوية-النجف الأشرف.
*- تهذيب التهذيب-لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط دار الفكر-لبنان.
*- التوحيد-للشيخ الصدوق، ط جامعة المدرسين-إيران-قم.
*- تيسير الوصول إلى جامع الاصول-لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني.

حرف الثاء
*- الثاقب في المناقب-لابن حمزة الطوسي ط مؤسسة انصاريان/إيران-قم.
*- ثواب الأعمال-للشيخ الصدوق، ط منشورات الرضي/إيران-قم.

حرف الجيم
*- جامع البيان عن تأويل القرآن-لمحمد بن جرير الطبري، ط دار الفكر.
*- الجامع لأحكام القرآن-لمحمد بن أحمد الأنصاري المعروف بالقرطبي، ط دار إحياء التراث العربي/لبنان.
*- الجامع الصحيح-للترمذي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير- لجلال الدين السيوطي، ط دار الفكر-لبنان.
*- الجرح والتعديل-لعبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الرازي، ط إحياء التراث العربي/لبنان.
*- جمع الجوامع-لجلال الدين السيوطي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*- الجمل-لمحمد بن النعمان، المعروف بالمفيد ط مكتبة الداوري/إيران-قم.
*- الجواهر السنية في الأحاديث القدسية-لمحمد بن الحسن الحر العاملي، ط مكتبة

الشيخ المفيد/إيران-قم.
*ـ جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام-لمحمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، ط مجمع إحياء الثقافة الاسلامية/إيران-طهران.

حرف الحاء

*ـ الحاوي للفتاوي-لجلال الدين السيوطي، ط مصر سنة ١٩٥٩.
*ـ الحدائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة-للشيخ يوسف البحراني، ط جامعة المدرسين في الحوزة العلمية/إيران-قم.
*ـ الحجة-لابن معد بالواسطة.
*ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء-لأبي نعيم الاصبهاني، ط دار الفكر- لبنان.
*ـ حياة الصحابة-لمحمد يوسف، ط دار الكتاب العربي/لبنان.

حرف الخاء

*-الخرائج والجرائح-لقطب الدين الراوندي، ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام/إيران-قم.
*ـ خصائص أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام-لأبي عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي الشافعي، ط مكتبة نينوى الحديثة.
*ـ الخصائص الكبرى-لجلال الدين السيوطي، ط دار الكتاب العربي/لبنان.
*ـ خصائص الوحي المبين-لشمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الربعي الحلي-ابن بطريق، ط دار القرآن الكريم/إيران-قم.
*ـ الخصال-للشيخ الصدوق، ط جامعة المدرسين في الحوزة العلمية/إيران-قم.
*ـ خلاصة عبقات الأنوار-للسيد حامد الحسيني النقوي، ط مؤسسة البعثة/إيران-قم.
*ـ خوارق اللاشعور-للدكتور علي الوردي، ط دار الوراق للنشر- لندن.

حرف الدال

*ـ دائرة معارف القرن العشرين-لمحمد فريد وجدي، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ درّ بحر المناقب-لأحمد الحنفي الموصلي المعروف بابن حسنويه- بالواسطة.
*ـ الدر المنثور-لجلال الدين السيوطي، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ دلائل الإمامة-لمحمد بن جرير الطبري، ط مؤسسة البعثة/إيران-قم.
*ـ دلائل الصدق-للشيخ محمد الحسن المظفر، ط دار المعلم للطباعة/مصر.
*ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة-لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.

حرف الذال

*ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى-لأحمد بن عبد الله الطبري، ط مكتبة القدسي/مصر.

حرف الراء

*ـ رجال الكشي-إختيار معرفة الرجال-للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام/إيران-قم.
*ـ الروض الانف في شرح السيرة النبوية-لعبد الرحمان السهيلي، ط دار إحياء التراث العربي/لبنان.
*ـ الروض الفائق في المواعظ والرقائق-لشعيب عبد الله بن سعد المصري، ط مصر.
*ـ الروضة في المعجزات والفضائل-لأحد علماء الشيعة.
*ـ روضةالواعظين-لمحمد بن الفتال النيسابوري،ط منشورات الرضي-إيران-قم.
*ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة-لمحب الدين الطبري، ط دار الكتب العلمية/لبنان.

حرف السين

*ـ سبل السلام-لمحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده/مصر.
*ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد-لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ سرّ السلسلة العلوية-لأبي نصر البخاري، ط منشورات الشريف الرضي/ إيران-قم.
*ـ السرائر الحاوي لتحري الفتاوي-لأبي جعفر بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلي، ط مؤسسة النشر الإسلامي/إيران-قم.
*ـ سرور أهل الإيمان في علامات ظهور صاحب الزمان-لبهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد الحسيني النيلي النجفي، ط دليل ما/إيران-قم.
*ـ السقيفة والخلافة-لعبد الفتاح عبد المقصود، ط مكتبة غريب.
*ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي الكوفي، تحقيق الأنصاري.
*ـ سنن ابن ماجة-لمحمد بن يزيد القزويني، ط دار الفكر/لبنان.
*ـ سنن الداني-السنن الواردة في الفتن-لأبي عمرو بن سعيد المقري الداني، مصور عن مخطوطات المكتبة الظاهرية/دمشق.
*ـ السنن الكبرى-لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ط دار الفكر/لبنان.

*ـ سنن النسائي=السنن الكبرى-لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ سيرة ابن دحلان، بالواسطة.
*ـ سيرة ابن كثير=السيرة النبوية-لاسماعيل بن كثير، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ سيرة ابن هشام=السيرة النبويةﷺ-لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، ط مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
*ـ السيرة الحلبية-لعلي بن برهان الدين الحلبي، ط دار المعرفة/لبنان.

حرف الشين

*ـ شرح نهج البلاغة-لابن أبي الحديد ط دار إحياء الكتب العربية-لبنان.
*ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار-لأبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي، ط مؤسسة النشر الإسلامي/إيران-قم.
*ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفىﷺ-للقاضي عياض الحصيبي، ط دار الفكر-لبنان.
*ـ شرح إحقاق الحق-للسيد نور الله الحسيني المرعشي، ط مكتبة آية الله المرعشي النجفي-إيران-قم.
*ـ شرح أصول الكافي-للمولى محمد صالح المازندراني.
*ـ شرح المواهب اللدنية-لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، نشر مطبعة الأزهرية بمصر.
*ـ شواهد التنزيل لقواعد التفضيل-لعبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، نشر مجمع إحياء الثقافة الإسلامية-إيران-قم.

حرف الصاد

*ـصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان-لعلي بن بلبان، ط مؤسسة الرسالة-لبنان.
*ـ صحيح البخاري-لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط دار الفكر-لبنان.
*ـ صحيح مسلم-لمسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري،ط دار الفكر/لبنان.
*ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم-لزين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي، نشر المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية-النجف.
*ـ صفات الشيعة-للشيخ الصدوق، ط عابدي/إيران-طهران.
*ـ الصواعق المحرقة-لابن حجر العسقلاني، ط مكتبة القاهرة، ومطبعة المحمدية بمصر.

حرف الضاد

*ـ ضعفاء العقيلي=الضعفاء الكبير-لمحمد بن عمرو بن موسى العقيلي، ط دار الكتب

العلمية/لبنان.

حرف الطاء

*ـ طب الأئمة-لأبي عتاب عبد الله بن سابور الزيات والحسين بن بسطام النيسابوريين، ط منشورات الرضي/إيران-قم.
*ـ الطبقات الكبرى-لابن سعد، ط دار صادر/لبنان.
*ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف-لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحلي، نشر مطبعة الخيام/إيران-قم.
*ـ الطُرَف-لابن طاووس، تحقيق قيس العطار ط مؤسسة عاشوراء-إيران-مشهد.

حرف العين

*ـ عدة الاصول-لمحمد بن الحسن الطوسي ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام- إيران-قم.
*ـ العُدَد القوية لدفع المخاوف اليومية-لعلي بن يوسف الحلي، ط مؤسسة الوفاء/لبنان.
*ـ عقد الدرر في أخبار المنتظر-ليوسف بن يحيى بن علي بن عبد العزيز المقدسي الشافعي السلمي، ط دار الكتب العلمية-لبنان.
*ـ العقد الفريد-لأحمد بن عبد ربه الأندلسي، ط دار الأرقم/لبنان.
*ـ علل الشرائع-للشيخ الصدوق، ط المكتبة الحيدرية-النجف.
*ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب-لجمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة، ط المكتبة الحيدرية-النجف الأشرف.
*ـ العمدة-عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار-ليحيى بن الحسن الأسدي الحلي المعروف بابن بطريق، ط مؤسسة النشر الإسلامي-إيران-قم.
*ـ عليٌ وبنوه-للدكتور طه حسين، بالواسطة.
*ـ عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية-لمحمد بن علي بن إبراهيم الإحسائي المعروف بابن أبي جمهور، نشر مطبعة سيد الشهداء/إيران-قم.
*ـ عون المعبود في شرح سنن أبي داود-لمحمد شمس الدين العظيم آبادي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام-للشيخ الصدوق، ط مؤسسة الأعلمي-لبنان.
*ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير-لابن سيد الناس، ط دار القلم-لبنان.
*ـ عيون المعجزات-لحسين بن عبد الوهاب، نشر المكتبة الحيدرية-النجف.

حرف الغين

*ـ الغارات-لابراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، ط دار الأضواء-لبنان.
*ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب-للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، ط دار الكتاب العربي/لبنان.
*-الغيبة-لابن أبي زينب محمد بن إبراهيم النعماني، ط مكتبة الصدوق/إيران-طهران.
*ـ الغيبة-لمحمد بن الحسن الطوسي، ط مؤسسة المعارف الإسلامية-إيران-قم.

حرف الفاء

*ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري-لابن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية-لمحمد بن علي الشوكاني، ط عالم الكتب-لبنان.
*ـ الفتن-لأبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي، ط دار الفكر/لبنان.
*ـ فرائد السمطين-لإبراهيم بن محمد بن المؤيد الجويني، ط مؤسسة المحمودي/لبنان.
*ـ فرج المهموم في تاريخ علماء النجوم-لرضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسيني، ط دار الذخائر للمطبوعات.
*ـ فرحة الغري في تعيين قبر أميرالمؤمنين علي عليه السلام-للسيد غياث الدين عبد الكريم بن طاووس، ط منشورات الشريف الرضي/إيران-قم.
*ـ فردوس الأخبار-الفردوس بمأثور الخطاب-لأبي منصور شهردار بن شيرويه الديلمي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة-لعلي بن محمد بن أحمد المالكي المعروف بالصباغ، ط دار الأضواء /لبنان.
*ـ الفضائل-لشاذان بن جبرئيل القمي، نشر المطبعة الحيدرية-النجف.
*ـ فضائل الصحابة-لأحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، ط دار الكتب العلمية /لبنان.

حرف القاف

*ـ القاموس المحيط-لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط دار الجيل-لبنان.
*ـ قرب الإسناد-لأبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/إيران-قم.
*ـ قصص الأنبياء-لقطب الدين الراوندي، ط مؤسسة الهادي عليه السلام-لبنان.

حرف الكاف

*ـ **الكافئة في إبطال توبة الخاطئة**-للشيخ المفيد ط دار المفيد /لبنان.
*ـ **الكافي**-لمحمد بن يعقوب الكليني، ط دار الكتب الإسلامية/إيران-طهران.
*ـ **كامل الزيارات**-لابن قولويه القمي، ط مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية-طهران.
*ـ **الكامل في التاريخ**-لابن الأثير الجوزي، ط دار الفكر/لبنان.
*ـ **كشف الأستار**-لنور الدين الهيثمي، ط مؤسسة الرسالة/لبنان.
*ـ **كشف الغمة في معرفة الأئمة**-لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، ط دار الأضواء/لبنان.
*ـ **كشف اليقين في فضائل أميرالمؤمنين**-للحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، ط وزارة الثقافة والإعلام/إيران-طهران.
*ـ **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر**-للخزاز القمي، ط انتشارات بيدار-إيران.
*ـ **كفاية الطالب**-للحافظ محمد بن يوسف الكنجي، ط دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام- إيران-قم.
*ـ **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**-لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي، نشر مؤسسة الرسالة/لبنان.
*ـ **كنز الفوائد**-لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي، ط مكتبة المصطفوي/إيران-قم.

حرف اللام

*ـ **لسان العرب**-لأبي الفضل جمال الدين بن منظور الأفريقي المصري، نشر دار إحياء التراث العربي-لبنان.
*ـ **لسان الميزان**-لابن حجر العسقلاني، ط مؤسسة الأعلمي/لبنان.

حرف الميم

*ـ **مثير الاحزان**-لابن نما الحلي، المطبعة الحيدرية-النجف الأشرف.
*ـ **مختصر بصائر الدرجات**-لحسن بن سليمان الحلي، نشر المكتبة الحيدرية-النجف.
*ـ **المختصر في أخبار البشر**-لإسماعيل بن علي بن محمد المعروف بأبي الفداء، ط القاهرة بمصر، وط دار المعرفة/لبنان.
*ـ **المختصر في أخبار الرجال**-لعماد الدين، ط القاهرة بمصر.
*ـ **المجدي في الأنساب**-لمحمد بن محمد العلوي، ط مكتبة المرعشي-إيران-قم.
*ـ **مجمع البحرين**-لفخر الدين الطريحي، ط نشر الثقافة الإسلامية-طهران.

*ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد-لنور الدين علي بن الهيثمي، ط دار الكتب العلمية-لبنان.
*ـ المحاسن-لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، ط دار الكتب الإسلامية-طهران.
*ـ المحجة في ما نزل في الحجة-للسيد هاشم البحراني، بالواسطة.
*ـ المحلى-لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ط دار الفكر/لبنان.
*-مدينة معاجز الأئمة الأثني عشر-للسيد هاشم البحراني، ط مؤسسة المعارف الإسلامية-إيران-قم.
*ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر-لعلي بن الحسين بن علي المسعودي، ط منشورات دار الهجرة/إيران-قم.
*-المسائل السروية-للشيخ المفيد، ط المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
*-مسند ابن راهويه-لإسحاق بن إبراهيم المروزي، نشر مكتبة الإيمان/المدينة المنورة.
*ـ مسند أبي داود الطيالسي-لسليمان بن داود بن الجارود، ط دار الحديث/لبنان.
*ـ مسند أبي يعلي-لإسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي، ط دار المأمون للتراث.
*ـ مسند أحمد-لأحمد بن حنبل، ط دار صادر/لبنان.
*ـ مسند الحميدي-لعبد الله بن الزبير الحميدي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ مستدرك الحاكم-المستدرك على الصحيحين-لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ المسترشد في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام-لمحمد بن جرير الطبري، ط مؤسسة الثقافة الإسلامية-إيران-طهران.
*ـ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار-لأبي الفضل علي الطبرسي، نشر المطبعة الحيدرية-النجف الأشرف.
*ـ مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام-للحافظ رجب البرسي، ط دفتر نشر فرهنك أهل البيت عليهم السلام/إيران-طهران.
*-مصابيح السنة-للحسين بن مسعود البغوي، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ المصنف-لابن أبي شيبة الكوفي، ط دار الفكر/لبنان.
*ـ المصنف-لعبد الرزاق الصنعاني، منشورات المجلس العلمي-لبنان.
*ـ المعارف-لابن قتيبة الدينوري، ط وزارة الثقافة والإرشاد بمصر.
*ـ معاني الأخبار-لمحمد بن بابويه القمي، ط انتشارات إسلامي/إيران-قم.
*ـ المعجم الأوسط-لسليمان بن أحمد الطبراني، ط دار الحرمين.
*-المعجم الكبير-لسليمان بن أحمد الطبراني، ط مكتبة ابن تيمية/القاهرة.
*ـ المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام-لأبي جعفر

محمد بن عبد الله الإسكافي.
*ـ مغازي الواقدي-لمحمد بن عمر المعروف بالواقدي، ط مؤسسة الأعلمي/لبنان.
*ـ مقاتل الطالبيين-لأبي فرج الأصبهاني، ط مؤسسة دار الكتاب/إيران-قم.
*ـ مقتضب الأثر في النص على الأئمة الإثني عشر-لأحمد بن محمد بن عبيد الله بن عياش الجوهري، ط مكتبة الطباطبائي/إيران-قم.
*ـ مقتل الحسين-للمؤرخ لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن مسلم الأزدي الغامدي، نشر المطبعة العلمية/إيران-قم.
*ـ مقتل الحسين-اللهوف في قتلى الطفوف-لعلي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاوس، نشر مطبعة مهر/إيران-قم.
*ـ مقتل الحسين-للخوارزمي، نشر مطبعة مهر/إيران-قم.
*ـ مقتل الحسين ومصرع أهل بيته وأصحابه في كربلاء-المعروف بمقتل أبي مخنف، ط دار الوفاء/لبنان.
*ـ مقتل الحسين-لسيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، ط دار الكتاب الإسلامي/ لبنان.
*ـ المقنعة-للشيخ المفيد، ط جامعة المدرسين في الحوزة العلمية/إيران-قم.
*ـ الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر-للسيد ابن طاووس الحسيني، ط منشورات الرضي/إيران-قم.
*ـ الملل والنحل-لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ط منشورات الشريف الرضي/إيران-قم.
*ـ مناقب آل أبي طالب-لابن شهر آشوب، نشر المطبعة الحيدرية-النجف.
*ـ مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب-لمحمد بن سليمان الكوفي، ط مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/إيران-قم.
*ـ مناقب أهل البيت عليهم السلام-ما روته العامة من مناقب أهل البيت عليهم السلام-للمولى حيدر علي بن محمد الشيرواني، نشر مطبعة المنشورات الإسلامية.
*ـ المناقب-للموفق بن أحمد الخوارزمي، ط مؤسسة النشر الإسلامي/إيران-قم.
*ـ مناقب المغازلي-مناقب علي بن أبي طالب-لعلي بن محمد الواسطي الحلابي الشافعي المعروف بابن المغازلي، ط المكتبة الإسلامية/ إيران-طهران.
*ـ المناقب والمثالب-للنعمان بن محمد المغربي، ط مؤسسة الأعلمي/لبنان.
*ـ منتخب الأنوار المضيئة-لبهاء الدين علي بن عبد الكريم بن عبد الحميد النيلي النجفي، ط مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام/إيران-قم.
*ـ منتخب تاريخ دمشق-تهذيب تاريخ دمشق-لابن منظور محمد بن مكرم، ط روضة الشام.

*ـ منتخب الطريحي=المنتخب في جميع المراثي والخطب-لفخر الدين الطريحي، ط مؤسسة الأعلمي/لبنان.
*ـ المنتظم-لأبي الفتح عبد الرحمن بن علي الجوزي، ط دار الفكر/لبنان.
*ـ المنتقى في مولد المصطفى-للكازروني، بالواسطة.
*ـ مهج الدعوات-لعلي بن موسى بن طاووس، ط إيران-طهران.
*ـ ميزان الإعتدال في نقد الرجال-لمحمد بن محمد بن عثمان الذهبي، ط دار المعرفة/لبنان.
*ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية-لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، نشر مطبعة بولاق/مصر.
*ـ الموطأ-لمالك بن أنس، ط دار احياء التراث العربي/لبنان.
*ـ موضع الأوهام=موضع أوهام الجمع والتفريق-لإبراهيم بيضون، ط المؤلف.

حرف النون

*ـ النهاية في غريب الحديث-لابن الأثير، ط مؤسسة إسماعيليان/إيران-قم.
*ـ نزهة المجالس-للصفوري الشافعي، ط مصر.
*ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر-للحسين بن محمد بن الحسن، ط مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه ـ إيران-قم.
*ـ النصائح الكافية لمن يتولى معاوية-لمحمد بن عقيل بن عبد الله العلوي، ط دار الثقافة/إيران-قم.
*ـ نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين-لجمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي، سلسلة من مخطوطات مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامة.
*ـ النهاية في الفتن والملاحم-لابن كثير، ط دار الكتب العلمية/لبنان.
*ـ نهج الإيمان-لعلي بن يوسف بن جبر، ط مجتمع إمام الهادي عليه السلام/ إيران-مشهد.
*ـ نهج البلاغة-للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط دار المعرفة/لبنان.

حرف الهاء

*ـ الهداية الكبرى-للحسين بن حمدان الخصيبي، ط مؤسسة البلاغ/لبنان.

حرف الواو

*ـ الوافي بالوفيات-لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، ط دار النشر فراتر شتانيز.
*ـ وسائل الشيعة-لمحمد بن الحسن الحر العاملي، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء

التراث/إيران-قم.
*- وسيلة المآب-ط المكتبة الظاهرية/دمشق.
*- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى-لنور الدين علي بن أحمد المصري السمهودي، ط دار إحياء التراث العربي، ودار الكتب العلمية/لبنان.
*- وفيات الأعيان وأنباء الزمان-لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ط منشورات الشريف الرضي/إيران-قم.
*- وقعة الجمل-لضامربن شدقم بن علي الحسيني المدني،نشرمطبعة محمدﷺ.
*- وقعة صفين-لنصر بن مزاحم المنقري، ط المؤسسة العربية الحديثة.

حرف الياء

*- ينابيع المودة لذوي القربى-للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، ط دار الأسوة/إيران-قم.
*- اليقين باختصاص مولانا عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين-لرضي الدين علي بن طاووس الحلي، ط دار الكتاب/إيران-قم.

فهرست الموضوعات

كلمة الموسوعة ٧
التمهيد ١١
التبشير بنبوة الرسول المصطفىﷺ ١٤
النبي والنبيء ١٧
منهجنا ٢١

الفصل الأول

الإنباء عن الغيب وحقيقته

وهل العلم بالغيب مختص بالله

هل العلم بالغيب مختص بالله ٢٥
القرآن وعلم الغيب ٢٧
الآيات التي تثبت العلم بالغيب لأوصياء الرسول المصطفىﷺ ٣٤
نبوءات الأنبياء والصالحين ٤٣
يعقوبؑ ينبيء عن مصير يوسف ٤٤
نبوءات يوسفؑ لأهل السجن ٤٥
صالحؑ يحذر قومه من عذاب قريب ٤٦
عيسىؑ ونبوءاته عن المغيبات ٤٧
الخضر وموسىؑ ٤٨
الانباء عن الغيب في العلم الحديث ٤٩
التنويم المغناطيسي(هيبنوتيزم) ٥٣
عود إلى بدء ٥٦
فرضية سينل ٥٧
اشكاليات العلم بالغيب ٦٠
معاملة الناس بالظاهر ٦٣
مقام التسليم والعبودية ٦٧
اشكالية التخلف ٧١

القضاء غير المحتوم ٧٢
فلماذا التنبؤ ٧٧
أهمية البداء في أحاديث أهل البيتﷺ ٧٨
نبذتٌ من اقوال علماء مدرسه أهل البيتﷺ ٨١

الفصل الثاني

نبوءاتهﷺ قبل الهجرة

ابتداء نبوءتهﷺ ٨٩
الإنباء عن الصحيفة الظالمة ٩٠
إنباؤهﷺ بولادة الزهراءﷺ وأنّ الله سيجعل من نسلها أئمة ٩١
الإنباء بانتشار الاسلام وانتصاره ٩٣
نبوءاتهﷺ عمّا رآه وسمعه ليلة الإسراء ٩٤
الإنباء عن انتصار المسلمين ومستقبل المشركين ٩٨
وامرأته حمالة الحطب ٩٩
قوله لأبي جهل سيخرج من صلبك ذرية طيبة ١٠٠
أبو جهل وأصحابه يطالبون بآيات الأنبياء ١٠٢
قولهﷺ: منكم من يطرح في القليب ومن يحزّب الاحزاب ١٠٧
الإنباء بالهجرة من مكة ١٠٨
الإنباء عن تآمر المشركين ونزول ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ١٠٩
إنباءه عليًّاﷺ بأنهﷺ سيسلم من كيدهم ١٠٩
قولهﷺ لعليﷺ: إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا علي ١١١
ما أنبأ به رسول اللهﷺ أبا بكر في الغار ١١١
في طريق المدينة وقولهﷺ لبريدة: ستبعث بعوثاً فكن في بعث ١١٢
إخبارهﷺ بقدوم عليﷺ ما أسرعه ١١٣
النبوءات الصادرة بعد الهجرة ١١٥
بناء المسجد النبوي وقولهﷺ: عمار ستقتله الفئة الباغية ١١٥
إنباءهﷺ عن مقتل أبي جهل وعتبة وشيبة والوليد ١١٧
غزوة العُشيرة والإنباء عن شهادة عليﷺ ١١٩
الإنباء عن انتصار العرب على العجم ١٢٠

غزوة بدر الكبرى..... ١٢١
قوله ﷺ: والله لكأني أنظر إلى مصرع أبي جهل..... ١٢١
قول علي رضي الله عنه: رأيت ريحاً شديدة..... ١٢٢
وقول النبي ﷺ: ذلك جبرئيل في ألف من الملائكة ١٢٢
قوله ﷺ للعباس: أين المال الذي وضعته في مكة عند أم الفضل..... ١٢٥
تحقق ما أنبأ عنه ﷺ في طرح رؤوس الكفر في القليب..... ١٢٧
قريش تبعث فداء أسراها إلى النبي ﷺ..... ١٢٨
مؤامرة قتل النبي ﷺ وإخباره ﷺ عنها..... ١٢٨
الإنباء عن مولد الحسن المجتبى رضي الله عنه..... ١٣٠
الإنباء عن موقف عثمان في إخفاء المغيرة في المشجب..... ١٣٠
من أطاف البارحة بفتاته..... ١٣٢
غزوة أحد وما ورد فيها من الإنباء..... ١٣٥
هزيمة المسلمين..... ١٣٨
مقتل أُبيّ بن خلف على يد النبي ﷺ وتحقق نبوءته فيه..... ١٤١
ما يلحق بغزوة أحد من النبوءات..... ١٤٣
منها: قوله ﷺ: حنظلة غسيل الملائكة ١٤٣
قوله ﷺ: عبد الله بن حرام تظله الملائكة بأجنحتها..... ١٤٣
قوله ﷺ: قزمان من أهل النار..... ١٤٥
غزوة الخندق وما ورد فيها من الأنباء..... ١٤٥
الإنباء عن فتوحات عظيمة في المستقبل..... ١٥٢
استمرار الحصار والنصر الإلهي..... ١٥٢
الإنباء عن هزيمة المشركين..... ١٥٢
غزوة بني قريظة..... ١٥٣
قوله ﷺ: دعهم فإنّ الله سيمكّن منهم..... ١٥٣
إخباره ﷺ عن مقالة الحبر الذكي بشأنه ووصيته لكعب..... ١٥٦
الإنباء عن هبوط الملائكة لتشييع سعد وضمة القبر إياه..... ١٥٧
نبوءة الرسول المصطفى ﷺ عن قصة الظالم والمظلوم..... ١٥٨
إنباءه ﷺ عن موت منافق عظيم النفاق بالمدينة..... ١٦٢

وعن قول المنافق: كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته؟..... ١٦٢
زواجهﷺ بجويرية بنت الحارث وما صدر من الإنباء في فداها..... ١٦٣
إنباؤهﷺ عن كيد الجن..... ١٦٤
صلح الحديبية والإنبه بدخول مكة..... ١٦٥
إتفاقية الصلح..... ١٦٨
تحقق ما أنبأ به النبيﷺ في فرج المستضعفين..... ١٧٢
عمرة القضاء وتحقق نبوءة الرسول المصطفىﷺ في دخول مكة..... ١٧٣
أنبه صدرت بين صلح الحديبية وفتح مكة..... ١٧٤
قولهﷺ في كسرى: أما إنه ستمزّقون ملكه ستملكون أرضه..... ١٧٤
قولهﷺ لرسول كسرى: أخبرني ربي أنه قتل ربك البارحة..... ١٧٥
قولهﷺ: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى..... ١٧٦
قولهﷺ: إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا..... ١٧٧
قولهﷺ لسراقة: كيف بك إذا أُلبست بعدي سواري كسرى..... ١٧٩
قولهﷺ لسلمان: سيوضع على رأسك تاج كسرى..... ١٧٩
قولهﷺ لعدي بن حاتم: فكأنهم ببيضاء المدائن قد فتحت..... ١٧٩
إرسال عليٍّ عليه السلام إلى طيّ وقصة عدي..... ١٨٠
الإنباء بفتح مصر..... ١٨١
حكومة الإسلام على جميع الأقطار..... ١٨٢
سفير الإسلام في اليمن، والإنباء عن ظهور الدين إلى منتهى الخف والحافر..... ١٨٢
سفير النبيﷺ إلى أمير الغساسنة في الشام والإنباء عن زوال ملكهم..... ١٨٤
الإنباء بفتح بلاد الروم..... ١٨٥
سفير النبيﷺ في عمان والإنباء بزوال الملك من جيفر وعبد ابني الجلندي..... ١٨٥
غزوة خيبر..... ١٨٦
الإنباء بالفتح على يد عليٍّ الكرار عليه السلام..... ١٨٦
قتل الابطال-فتح الحصون-قلع الباب..... ١٨٨
مؤامرة اغتيال النبيﷺ والانباء عن الشاة المسمومة..... ١٩١
عوامل التحريف..... ١٩٣
من القاتل لرسول اللهﷺ..... ١٩٤

فهرست الموضوعات ٧٢٩
مؤامرة أخرى من اليهود وإنباء النبيﷺ عنها..... ١٩٦
عليٌّ عليه السلام يبطل السحر..... ١٩٦
الإنباء عما فعله بعض الأصحاب من عمل البَر وتأثيره..... ١٩٧
غزوة مؤتة وما فيها من النبوءات..... ١٩٩
الإنباء عن مقتل زيد بن حارثة وقطع يدي جعفر ثم إستشهاده..... ٢٠٠
غزوة ذات السلاسل..... ٢٠٢
والإنباء عن قصة أهل الوادي وما أمره الله فيهم..... ٢٠٢
إنباء النبيﷺ عن مخالفة أبي بكر ورد المسلمين عليه..... ٢٠٣
نبوءتهﷺ عما فعل عمر..... ٢٠٤
إنباءهﷺ علياً بالفتح على يديه عليه السلام..... ٢٠٤
إنباء رسول اللهﷺ عما فتح الله على يد عليٍّ عليه السلام..... ٢٠٥
نبوءتهﷺ لصاحب الجزور..... ٢٠٧
الفتح المبين وما فيه من الإنبله..... ٢٠٨
الإنباء عن مجيء أبي سفيان لتجديد العهد..... ٢٠٩
الإنباء عن خيانة حاطب..... ٢١١
الإتجاه إلى مكة..... ٢١٢
الإنباء عن مقالة أبي سفيان لهند..... ٢١٧
الإنباء عن إتيان عكرمة مهاجراً..... ٢١٨
معركة حنين وما فيها من الإنبلءات الغيبية..... ٢٢٠
نبوءتهﷺ عن عزم شيبة في قتله..... ٢٢٣
نبوءة أخرى عن عزم النضير على اغتياله..... ٢٢٣
دور الفارين..... ٢٢٤
النصر الإلهي..... ٢٢٥
دور أمير المؤمنين عليه السلام..... ٢٢٦
ردّ الشمس لأمير المؤمنين عليه السلام والإنباء عن ردها مرة أُخرى..... ٢٢٧
تقسيم الغنائم..... ٢٢٨
سيخرج من ذي الخويصرة قوم يخرجون من الدين..... ٢٢٨
نبوءتهﷺ للأنصار: إنكم ستلقون بعدي أثرة..... ٢٣٠

حصار الطائف ٢٣١
نبوءة رسول الله ﷺ عن أبي ثقيف ٢٣١
الضربات الاقتصادية والمعنوية ٢٣٢
الإنباء عن خيانة عيينة بن حصن ٢٣٢
نبوءته ﷺ عن مقتل عروة بن مسعود ٢٣٤
إسلام ثقيف ٢٣٤
الإنباء عن موت النجاشي في الحبشة ٢٣٥
غزوة تبوك وما صدر فيها من الإنباء ٢٣٦
مؤامرة المنافقين في قتل أمير المؤمنين عليه السلام ٢٣٨
إخبار الدابة عن كيد المؤتمرين ٢٣٩
الإنباء عما حدث لأمير المؤمنين عليه السلام ٢٤٠
الإنباء عن مقالة المنافق حينما ضلّت ناقة رسول الله ﷺ ٢٤١
أبو ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده ٢٤١
الإنباء عن قول المنافقين: لكأننا بكم غداً مقرّنين في الحبال ٢٤٣
ستهبّ عليكم الليلة ريح شديدة ٢٤٤
وصول جيش الإسلام إلى تبوك وخروجه منها ٢٤٥
الإنباء عن موت معاوية الليثي بالمدينة ٢٤٦
أكيدر يصيد البقر ٢٤٦
عجوز من الأعراب تمرّ على ناقة لها معها سقاء ٢٤٧
مؤامرة العقبة ٢٤٨
انفراج الصخر بأمر رسول الله ﷺ ٢٤٨
الصخرة تكلم حذيفة ٢٤٩
حذيفة يطير في الهواء ٢٤٩
وفود العرب ٢٥١
نبوءته ﷺ عن وفد بني عبد القيس ٢٥١
نبوءته ﷺ بمسيلمة الكذاب ٢٥٢
نبوءته ﷺ في زيد الخيل ٢٥٣
نبوءته ﷺ بقدوم بقية أبناء الملوك ٢٥٤

نبوءته ﷺ بقدوم جرير بن عبد الله البجلي..... ٢٥٤
نبوءته ﷺ في أهل اليمن..... ٢٥٤
نبوءته ﷺ لليماني: إنك سخي تطعم الطعام..... ٢٥٥
قوله ﷺ للأسير: إنّ فيك خمس خصال..... ٢٥٥
نبوءته ﷺ للاعرابي عن أمور تخص به..... ٢٥٦
نبوءته ﷺ بقدوم تسعة من حضر موت..... ٢٥٧
إنباؤه عليًا ﷺ: بأنّ الله سيهدي لسانك ويثبّت قلبك..... ٢٥٨
إرسال معاذ إلى اليمن والإنباء عما سيسأله أهل الكتاب..... ٢٥٩
الإنباء عن دخول رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان..... ٢٦٠
نبوءته ﷺ: عن طلوع شخص ليس له عهد بأنيس..... ٢٦١
إنباؤه ﷺ ذا النمرة عن الله تعالى..... ٢٦١
إخباره ﷺ عن نبوءة تبّع فيه..... ٢٦٢
قوله ﷺ لقريش: إنكم تمطرون غداً..... ٢٦٣
قوله ﷺ لرجل: سيبعث عليك قرحة في لحيتك..... ٢٦٤
قوله ﷺ: إنّ هذا اليهودي يعضّه أسود في قفاه فيقتله..... ٢٦٤
نبوءته ﷺ عن موت أبناء الأنصاري وإحيائهما..... ٢٦٤
قوله ﷺ: يدخل عليكم من هذا الباب خير الأوصياء..... ٢٦٥
نبوءته ﷺ عمّن تخلف في الجبل..... ٢٦٥
نبوءته ﷺ عن أسئلة جماعة من ا لمسلمين..... ٢٦٦
قوله ﷺ: جئتموني تسألونني عن ذي القرنين..... ٢٦٦
قوله ﷺ لأبي سفيان: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري..... ٢٦٦
نبوءته ﷺ لرهط من اليمن عن كتاب يوشع..... ٢٦٧
قوله ﷺ: سيأتيكم رجل ينظر إليكم بعين الشيطان..... ٢٦٨
قوله ﷺ: إنّ الشيطان قد حال بين عمار وبين ا لماء..... ٢٦٩
نبوءته ﷺ في رجل: أنه من أهل النار..... ٢٦٩
نبوءته ﷺ عن إبليس عليه اللعنة..... ٢٦٩
نبوءته ﷺ عن أسئلة الجارود بن عمرو وصاحبه..... ٢٧٠
نبوءته ﷺ عن أسئلة الثقفي والأنصاري..... ٢٧١

قوله ﷺ لرجل: في قلبك من أربعة أشهر كذا وكذا ٢٧١
الإخبار عن الآباء وفضيحة الأعداء ٢٧١
أحاديث أُخرى في الإخبار عن الآباء ٢٧٢
نبوءته ﷺ عن مجيء أبي الدرداء وإسلامه ٢٧٤
نبوءته ﷺ لابن الزبير عن شرب الدم وسوء العاقبة ٢٧٤
نبوءته ﷺ عن قطع يد زيد بن صوحان ٢٧٤
نبوءته ﷺ عن شهادة أم فروة الأنصارية ٢٧٥
نبوءته ﷺ عن مدفن أبي أيوب الأنصاري ٢٧٦
نبوءته ﷺ عن سعادة رجل مذنب ٢٧٦
البسلط والإنباء عن حوار علي عليه السلام مع أصحاب الكهف ٢٧٧
الإنباء عن منطق البهائم ٢٧٩

الفصل الثالث

الإنباء عن تكرار التاريخ
والأحداث التي تحققت بعد وفاته ﷺ

لتركبنّ طبقاً عن طبق ٢٨٥
التاريخ يعيد نفسه ٢٨٥
قوله ﷺ: لتركبنّ سنّة من كان قبلكم ٢٨٧
شواهد في تكرار التاريخ ٢٨٧
تكرار تاريخ يحيى عليه السلام في الحسين عليه السلام ٢٨٧
تكرار التاريخ في والد الرسول المصطفى ﷺ ٢٨٨
تكرار التاريخ في قصة الإمام الثاني عشر عليه السلام ٢٨٩
نبوءات الرسول ﷺ عن تكرار تاريخ الأمم بعده ٢٩٠
افتراق الأمة وافتتانها ٢٩٢
تكرار التاريخ في الغدر بالوصي ٢٩٦
تكرار التاريخ في ردّ الشمس للوصي ٢٩٨
إنباء الرسول ﷺ عن تكلّم الشمس مع زوج البتول عليها السلام ٣٠٠
تكرار تاريخ هارون بن عمران في علي بن أبي طالب عليه السلام ٣٠١
تكرار التاريخ في إحياء الموتى ٣٠٢

تكرار التاريخ في مقتل قوم جحد النبي..... ٣٠٤
مضاهاة يهود هذه الأمة بأسلافهم..... ٣٠٦
قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا سيد الشيب..... ٣٠٧
حجة الوداع والإنبه عن قرب الوفاة..... ٣٠٩
نزول سورة النصر..... ٣١٠
ما رواه حذيفة بن اليمان..... ٣١١
ما رواه عمران بن حصين..... ٣١١
خطاب الرسول صلى الله عليه وآله في يوم عرفة..... ٣١٢
وفي غدير خم..... ٣١٢
الخروج إلى البقيع والإنباء عن الوفاة وإقبال الفتن..... ٣١٦
الإنبه عن الخلافة الإسلامية الحقة..... ٣١٩
كلام القندوزي في حديث الأئمة الإثني عشر..... ٣٢١
إنباؤه صلى الله عليه وآله جندل عن أوصيائه وقوله: إنك لن تدرك منهم إلا ثلاثة ويكون آخر زادك شربة من لبن..... ٣٢٢
حديث جابر وقوله صلى الله عليه وآله في الباقر منهم: إنك ستدركه..... ٣٢٥
اتمام الحجة في خلافة علي عليه السلام ووصايته ودفع الوصيه له عليه السلام وما صدرت فيها النبوءات..... ٣٢٦
مراسيم الوصاية وتبيين الموقف تجاه الأحداث المقبلة..... ٣٢٨
قوله صلى الله عليه وآله: إنّ القوم سيشغلهم عني ما يشغلهم..... ٣٣٠
إنّ أمتي ستفتتن بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي..... ٣٣١
قوله صلى الله عليه وآله في فاطمة: ويل لمن ظلمها وويل..... ٣٣٢
قوله صلى الله عليه وآله: يا علي إنّ القوم يأتمرون بعدي على قتلك..... ٣٣٥
مشاهدة علي عليه السلام صدق ما أنبأ به صلى الله عليه وآله في أمر غسله..... ٣٤٢
إنباؤه صلى الله عليه وآله عما سيجري على أهل بيته بعده من ظلم..... ٣٤٤
حديث الحدائق..... ٣٤٤
حديث جابر..... ٣٤٦
حديث المعراج..... ٣٤٦
حديث زائدة عن علي بن الحسين عليهما السلام..... ٣٤٩

قوله ﷺ: إنكم قتلى ومصارعكم شتّى ٣٥٠
الإنباء عما سيجري على كلٍ واحد من أهل البيت ﷺ ٣٥٠
صحيفة أملتها ﷺ على عليٍ ﷺ بشأن الأحداث ٣٥٢
قوله ﷺ: كأني بكما قد استلبتما ملكه وتحاربتما عليه ٣٥٣
قوله ﷺ سيصيب ولد عبد المطلب بلاء شديد ٣٥٤
قوله ﷺ لعليٍ ﷺ: عن قليل ينهدّ ركناك ٣٥٥
انطباق ما أنبأ به ﷺ بشأن الأحداث بعد وفاته ٣٥٧
المنع من إعلان وفاة النبي ﷺ ٣٥٨
مؤتمر السقيفة ٣٥٩
البيعة وتحقق ما أنبأ به الرسول المصطفى ﷺ ٣٦١
خروج عليٍ ﷺ إلى الأنصار لطلب النصرة ٣٦٧
نصيحة القوم وإتمام الحجة ٣٦٨
سلمان يخبر القوم بنبوءة رسول الله ﷺ ٣٧٠
الهجوم على بيت فاطمة ﷺ و إحراق الباب ولطم الخد وكسر الضلع وإسقاط الجنين ٣٧١
إخراج عليٍ ﷺ وأصحابه للبيعة ٣٧٦
شواهد من التاريخ في ما جرى على الزهراء ﷺ ٣٨٢
شاهد آخر ٣٨٥
مؤامرة اغتيال أمير المؤمنين على يد خالد ٣٨٦
وقفة أخرى لعليٍ ﷺ مع خالد وجماعة الحكم ٣٨٧
إخبار علي ﷺ عن نبوءة النبي ﷺ ٣٨٩
تحقق الأنباء في غصب حق الزهراء ﷺ ٣٩٠
شكوى عليٍ ﷺ من القوم وعلة قعوده عن مبارزتهم ٣٩٢
مقتل مالك من نويرة ٣٩٤
تزويج خولة الحنفية بأمير المؤمنين ﷺ ونبوءة النبي ﷺ فيها ٣٩٥

الفصل الرابع

ما ورد من الأنباء في أمير المؤمنين ﷺ خاصة

نبوءته ﷺ في خروج الزبير على عليٍ ﷺ ٤٠١

الإنباء عن خروج عائشة ٤٠٢
قتل الناكثين والقاسطين والمارقين ٤٠٥
وفي خصوص الخوارج ٤٠٨
نبوءته ﷺ بشأن الحكمين ٤٠٩
الإنباء عن شهادة أمير المؤمنين عليه السلام ٤١٠
الإنباء عن موضع قبر علي عليه السلام ٤١٣
انطباق ما أنبأ به ﷺ من قتل الناكثين ٤١٤
البيعة لعلي عليه السلام والإنباء عن نكثها ٤١٤
هناك بدأ النكث والخلاف على أمير المؤمنين عليه السلام ٤١٦
الإنباء عن طلحة والزبير ومآل أمرهما ٤٢٠
أم سلمة تذكّر عائشة بنبوءة رسول الله ﷺ فيها ٤٢٢
نباح كلاب الحوأب وتحقق نبوءة رسول الله ﷺ ٤٢٤
مقتل شيعة علي عليه السلام على يد أصحاب الجمل ٤٢٥
الإنباء عن مجيء عشرة آلاف فارس لنصرة علي عليه السلام ٤٢٦
الإنباء عن أويس القرني ٤٢٧
الإنباء عن الإنتصار ومقتل طلحة والزبير ٤٢٨
الامام عليه السلام يذكّر الزبير بنبوءة رسول الله ﷺ فيه ٤٢٩
إنطباق ما ورد من الأنباء بشأن الناكثين ٤٣٠
الإنباء عن غدر مروان وظلم وُلده على شيعة علي عليه السلام ٤٣٣
الإمام عليه السلام ينبئ عن عدم استقرار الأمر له ٤٣٥
قتل القاسطين (معركة صفين) ٤٣٦
تحقق نبوءة رسول الله ﷺ في عمار ٤٣٩
اشتداد القتال والإنباء عن أبي مسلم الخراساني ٤٤١
خدعة رفع المصاحف ٤٤٢
فتنة التحكيم ٤٤٤
الموادعة وانطباق ما أنبأ عنه النبي ﷺ ٤٤٥
تولد الخوارج ٤٤٦
تحقق نبوءة رسول الله ﷺ في أبي موسى الأشعري ٤٤٧

قتل المارقين (الخوارج) ٤٤٩
قوله عليه السلام: والله لا يقتلوا منكم عشرة ولا يسلم منهم عشرة ٤٥٢
تحقق نبوءة رسول الله ﷺ في ذي الثدية ٤٥٣
خذلان الناس علياً عليه السلام وإنذاره عما سيجري عليهم ٤٥٦
انتظار الشهادة ولقاء الأحبة والإنباء عما سيقع بعده ٤٥٧
استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ٤٥٩
الوصية والإنباء عن أمور غيبية وما سيجري على ولده ٤٦٤
نبوءات الرسول المصطفى ﷺ في الإمام الحسن عليه السلام لمحات من تاريخه ٤٦٧
إنباء أمير المؤمنين عليه السلام عن مظلومية الحسن واستشهاده عليه السلام بالسم ٤٦٨
نظرة في ما ورد في صلح الحسن عليه السلام من الأنباء ٤٦٩
إختبار الناس و الإنباء عن غدرهم ٤٧٢
إخبار الحسن عليه السلام عن مظالم بني أمية ٤٧٦
إعتراف معاوية بانطباق نبوءة رسول الله ﷺ فيه ٤٧٧
وقفة للحسن عليه السلام مع معاوية وأصحابه وإنبائهم عن أمور ٤٧٨
الإنباء عن أئمة الضلال ٤٧٩
إنباء الحسن عليه السلام عمن يسمه ٤٨٠
تحقق الإنباء في استشهاد الإمام الحسن عليه السلام بالسم ٤٨١
إنباء الحسن عليه السلام عما سيحدث عند دفنه، وتحققه ٤٨٢

الفصل الخامس

ما ورد من الأنباء في ملك بني أمية ٤٨٧
في خصوص معاوية ٤٨٩
في خصوص الحكم بن أبي العاص بن أمية وأبنائه ٤٩٣
في بني مروان ٤٩٤
قوله ﷺ في كعب بن عجرة ٤٩٦
قوله ﷺ في يزيد بن معاوية ٤٩٧
إنباءه ﷺ عن وقعة الحرة ٤٩٨
في ما يجري على المدينة وأهلها في عهد بني أمية ٤٩٩
في الوليد بن يزيد بن عبد الملك ٥٠٠

الإنباء عن الحجاج ٥٠٠
تحقق الإنباء في الشجرة الملعونة ٥٠٤
تبديل السنن ونشر البدع ٥٠٤
توجيه بُسر بن أرطاة إلى الحجاز واليمن ٥٠٥
النبوءة بمقتل حجر بن عدي وأصحابه ٥٠٥
استشهاد عمرو بن الحمق وإخباره ﷺ عن مصيره ٥٠٧
مقتل قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام ٥٠٨
جويرية بن مسهر العبدي يقتله العُتُل الزنيم ٥٠٩
النبوءة بمقتل رشيد الهجري ٥١٠
النبوءة بمقتل ميثم التمار ٥١١
ميثم يخبر عن هلاك معاوية ٥١٢
ميثم يخبر عن استشهاد حبيب بن مظاهر ٥١٤
الحسن البصري سامري هذه الأمة ٥١٤
الإنباء عن شرطة الخميس ٥١٦
النبوءة بفتنة سعد بن أبي الوقاص ٥١٧
خالد بن عرفطة لا يموت حتى يقود جيش ضلالة ٥٢٠
الإنباء بولادة الحسين وشهادته عليه السلام ٥٢١
إنباء الله عن مولد الحسين عليه السلام ومقتله ٥٢٢
قوله ﷺ لفاطمة: إنك ستلدين حجة لهذا الخلق ٥٢٣
الإنباء بشهادته عليه السلام يوم ولادته ٥٢٤
فطرس يخبر الرسول ﷺ عن شهادة الحسين عليه السلام ٥٢٦
حديث عائشة في شهادة الحسين عليه السلام ٥٣٠
قوله ﷺ: أقبّل مواضع السيوف ٥٣٠
قوله ﷺ لفاطمة: وكأني أنظر إلى معسكرهم ٥٣٠
الإنباء بقتل الحسين عليه السلام وبكاء النساء والرجال عليه ٥٣٢
قوله ﷺ: ولدي هذا مقتول مخذول ٥٣٢
أحاديث أم سلمة في شهادة الحسن والحسين عليهما السلام ٥٣٤
حديث ابن عباس في شهادة الحسين عليه السلام ٥٣٧

قوله ﷺ: الحسن عليه السلام يسقوه السم ويخضر لونه ٥٣٧
والحسين يقتلوه وينحوه ويخضب بدنه من دمه ٥٣٧
حديث علي عليه السلام عن النبي ﷺ في مقتل الحسين عليه السلام ٥٣٨
خبرٌ هام في تربة الحسين وتحقق نبوءة النبي ﷺ ٥٣٩
نبوءته ﷺ في طفل كان يلعب مع الحسين عليه السلام ٥٤٤
إخبار الله تعالى الأنبياء والأمم بشهادة الحسين عليه السلام ٥٤٤
الحسين عليه السلام ينبىء عن مصرعه حين خروجه من المدينة ٥٥٠
لقاء الملائكة والجن مع الحسين عليه السلام للنصرة ٥٥٣
تكاثر الكتب عليه وهو في مكة ٥٥٤
تحقق نبوءة الرسول ﷺ في شهادة مسلم بن عقيل عليه السلام ٥٥٥
الخروج من مكة والإنباء عن المصير ٥٥٦
الورود في كربلاء والإنباء عن نزول البلية ٥٥٩
إنباء الحسين عليه السلام عن مصير عمر بن سعد ٥٦٠
ليلة عاشوراء والإنباء عن قرب الموعد ٥٦١
الإنباء عن الرجعة والإنتقام من الظالمين ٥٦٢
صبيحة عاشوراء، الإنذار والإنباء عن مصير الظالمين ٥٦٣
تحقق نبوءة رسول الله ﷺ في الشمر قاتل الحسين عليه السلام ٥٦٦
خلفيات شهادة الحسين عليه السلام ٥٦٨
وقعة الحرّة ٥٦٩
حكومة الصبيان أو بني مروان ٥٧٠
بيان الباقر عليه السلام في ما جرى على أهل البيت وشيعتهم ٥٧١
تحقق الأنباء في مقتل زيد بن علي عليه السلام ٥٧٢

الفصل السادس

ما ورد من الإنباء في بني العباس ٥٧٩
نظرة في حقيقة بني العباس ٥٨١
تحقق الأنباء في مقتل محمد بن عبد الله المحض ٥٨٥
تحقق الأنباء في مقتل صاحب فخ ٥٨٨
مقتل الإمام الكاظم عليه السلام في السجن ٥٨٩

عهد المأمون العباسي واستشهاد الإمام الرضاعليه السلام..... ٥٨٩
إنباء الإمام الرضا عليه السلام عن شهادته في الغربة..... ٥٩١
الامام عليه السلام ينبئ المأمون عن مكيدته..... ٥٩٢
نبوءات الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله في شهادة الرضاعليه السلام..... ٥٩٤
الرضاعليه السلام ينبئ عن كيفية شهادته وعجائب تحدث بعدها..... ٥٩٦
مقتل الإمام الجواد..... ٦٠٠
إنباء الرضاعليه السلام عن ولادة الجوادعليه السلام ثم استشهاده..... ٦٠٠
عهد أكفر بني العباس..... ٦٠١
جعفر الكذّاب وما ورد فيه من الأنباء..... ٦٠٢
مقتل الإمام العسكريعليه السلام وتحقق ما ورد في جعفر..... ٦٠٤
الإنباء عن صاحب الزنج وخراب البصرة..... ٦٠٨

الفصل السابع

ما ورد من الأنباء في الإمام الثاني عشرعليه السلام..... ٦١٣
ما ورد في غيبتهعليه السلام..... ٦١٧
الإنباء عن المنتظرين لظهوره وفضلهم..... ٦٢٢
علائم الظهور والأحداث الممهّدة..... ٦٢٦
وقائع الظهور..... ٦٢٦
إنّ الله يصلح أمره في ليلة..... ٦٣٠
الصيحة السماوية..... ٦٣١
نداء السيف المغمود..... ٦٣٤
في شأن البيعة..... ٦٣٤
أوصافه وشمائله حين الخروج..... ٦٣٥
في وصف أنصاره وعددهم..... ٦٣٦
إكمال العلّة والبيعة..... ٦٣٨
أخذ العهد على العمل بالمنشور الحكومي..... ٦٣٩
خسف البيداء وقصة السفياني..... ٦٣٩
دخول الكوفة وموافات الحسني..... ٦٤٦
بعث السرايا والأمراء لتسخير سائر البلدان..... ٦٥٠

شبه المهدي عليه السلام بذي القرنين ٦٥٢
خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ٦٥٣
نزول عيسى عليه السلام واقتداؤه بالإمام عليه السلام ٦٥٥
اجتماع الملل على الإسلام وكلمة التوحيد ٦٥٧
مقتل إبليس وجنده ٦٥٩
تكامل الوعي - تطور الحياة - انتشار العلم - تسخير القوى الطبيعية ٦٦١
إشراق الأرض بنور ربها - طول العمر - كثرة الأولاد ٦٦٢
انتشار الأمن - التعايش السلمي بين المخلوقين - وفور النعم والبركات ٦٦٣
القسم بالسوية ورضى سكان السماء والأرض ٦٦٤
يحيي الدين والسنة بعد الخمود، ويستأنف الإسلام ٦٦٥
يحكم بحكم داود عليه السلام ٦٦٧
مدة حكومته وما يكون بعده ٦٦٩
إثبات الرجعة ونقل ما ورد فيها من الأنبأ ٦٧٥
إشكاليات حول الرجعة والاجابة عنها ٦٧٩
الآيات والروايات المصرحة بالرجعة ٦٨٢
بعض تفاصيل الرجعة - خروج دابة الأرض ٦٨٦
في قوله: صاحب الكرات ٦٨٩
رجعة الحسين عليه السلام وأصحابه ٦٨٩
إخراج اللات والعزّى ورجعة سائر أعداء عليٍّ عليه السلام ٦٩١
رجعة سلمان وأمثاله من شيعة عليٍّ عليه السلام ٦٩٢
رجعة الأنبياء والمرسلين لنصرة عليٍّ عليه السلام ٦٩٤
رجعة إسماعيل صادق الوعد ٦٩٤
أصحاب الكهف من أعوان المهدي عليه السلام ٦٩٥
كيفية رجعة المؤمنين ٦٩٦
رجعة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وعبد الله بن شريك ٦٩٦
أشراط الساعة ٦٩٧
طلوع الشمس من مغربها ٦٩٧
خروج يأجوج ومأجوج ٦٩٩

فهرست الموضوعات ٧٤١
آية الدخان ٧٠٢
الأخبار العامة عن أشراط الساعة ٧٠٤
فهرست المصادر ٧١١
فهرست الموضوعات ٧٢٥

Mausouat Al-rasool
Al-Mostafa

(25)

Address in Lebanon:
P.O.Box 25/138
Al-Ghobairi - Beirut

Address In Iran:
P.O.Box 91375/4436
Mashhad
Fax:(0098-511) 2222483

E-mail: almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com
Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by: Dar - Alathar

Published in Iran by: Jarf Publisher
Enqelab St. Fakhre Razi St. #111
Tehran - Iran
Tel: (0098-21) 6401727 P.O.Box: 13445-533

All rights reserved
First print: 1425 - 2004

Copyright © by: Dar Alathar
Shahrur bldg. Dakkash St. Bir Al-Abed - Beirut Lebanon
Tel: **03/349237 - 01/273913**
E-mail:alathar@yahoo.com
E-mail: alathar2002@hotmail.com